

موسوعة الفباء العربية

بحوث ميدانية وتاريخية

محمد سليمان الطيّب

المجلد الثاني

طبعة مزينة ومنقحة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

تاريخ الهجرات العربية إلى مصر

يلخص لنا الدكتور إبراهيم رزقانة تاريخ الهجرات العربية إلى مصر بقوله:
«إن دخول العرب مصر مرّ بالمراحل الآتية»:

المرحلة الأولى:

شغلت القرون الأربعة أو الخمسة السابقة لظهور الإسلام، وكانت القبائل في هذه المرحلة تغد من الحجاز ومن جنوب غرب الجزيرة إلى الشمال حيث تستقر بالقرب من حدود مصر الشرقية، إلى أن اشتركت في عملية التعريب النشطة التي شغلت الفترة التالية لذلك.

المرحلة الثانية:

كانت الهجرات تغد فيها بلا انقطاع من أجزاء مختلفة من بلاد العرب، وقد أدخلت هذه الهجرات بالفعل دماء جديدة بمصر فبدأت هذه المرحلة بفتح المسلمين لمصر في القرن السابع الميلادي، واستمرت حتى أواخر القرن الثالث عشر حينما تغيرت النظرة إلى العرب.

المرحلة الثالثة:

لم تصل فيها هجرات عربية جديدة إلى مصر وأصبح الاتجاه نحو وقف هذه الهجرات؛ لأن حكام مصر لم يصبحوا من العرب. وقد استمر النفوذ العربي قويا حتى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، واستمرت الأفواج العربية يتلو بعضها بعضاً ثم تغير نوع الحاكم في مصر فلم يعد عربياً بل أصبح مملوكاً، فتوقفت هجرات العرب إلى مصر.

ومن الملاحظ أن العرب الذين استقروا في أرض الكنانة قد مارسوا الزراعة وأقدم الذين مارسوها من العرب هم قبائل قيس في منطقة بلبيس، وأما قبائل شمال شرق الحوف (شرق الدلتا) فرغم قدمهم بهذه الجهات فإنهم لم يمارسوا الزراعة إلا بعد حكم المماليك، ويعتبر العباددة في جنوب الحوف آخر من اشتغل بالزراعة وعاش معيشة الاستقرار^(١).

(١) دكتور إبراهيم رزقانة. العائلة البشرية ص ٦٤٣ - ٧٤٣.

ثم ليس هناك شك في أن اتصالاً وجد بين العنصرين منذ أقدم العصور البشرية^(١).

وقد ظهر أن العرب كانوا قبل الإسلام يسكنون مدينة قفط، وفي ذلك قال أسترابون المؤرخ اليوناني أن نصف سكانها منهم، وربما أخذوا كلمة «قِط» من النسبة إلى هذه المدينة القديمة الواقعة في طريق الحجاز.

كما ذهب بعض المؤرخين العرب الحديثين الذين توفروا على دراسة تاريخ عمرو بن العاص إلى أنه سلك طريقاً بدوياً يستطيعه البدو واستطاعوه في قديم الزمن، ولا يزال سكانه منذ عرفه التاريخ بدوياً يشعرون بعصية القرابة لهذا الفاتح الجديد.

ومن الجماعات العربية التي استقرت قبل الإسلام في شرق الدلتا قوم يقال لهم «اليشموريون» انحدروا على أرجح الأقوال من سلالة العمالقة الأقدمين، وقد كان لهؤلاء اليشموريين مواقع استطلاع وعبور في هذه المنطقة، إذ كانوا يسكنون المراعي الواسعة على تخوم الصحراء بين البحيرات الشمالية وأودية الجنوب، وكان اليشموريون يعاونون العرب الفاتحين كما عاونهم عرب الصحراء في الشام على اختلاف العقيدة والمقام، وإذا لاحظنا أن بادية الفيوم كان يسكنها أناس يتكلمون بلهجة يشمورية علمنا أن أقسام البادية العربية لم تتغير كثيراً من قديم الزمن، وأن عمرو بن العاص قصد إلى الفيوم قبل فتح منف على علم بأصول هذه السلالة كما يقول العقاد في كتابه «عمرو بن العاص» ص ٧٧، ٩٧، ١٠٤، ١٠٥.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره عباس عمار في كتابه «المدخل الشرقي لمصر أو أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية»، من أنه:

«يأتي الإسلام وسيناء ينزل على حدودها ويمتد إلى بعض نواحيها الشرقية قبائل كهلانية من غسان ولخم وجذام. فلما امتدت الفتوحات الإسلامية شمالاً كان لا بد أن يتفرق النصارى من أولئك العرب، ومنهم غالبية غسان فينزل جزء منهم أرض الجفار في شمال سيناء حتى كان منهم حكام تنيس نفسها. وقد ذكر مؤرخو الفتح الإسلامي لمصر كيف أن الحصون على طريق الرمل الشمالي في سيناء كرفج

والعرش والواردة والبقارة وغيرها قد سكنها قوم من هؤلاء العرب المنتصرة يؤدون المال للمقوقس، كما ذكروا أن النجدة التي أرسلها عمر بن الخطاب عبر وسط سيناء لمساعدة عمرو بن العاص قد قابلت جمعاً هائلاً يقرب من ثلاثة آلاف سألوهم فإذا هم من عرب غسان ولخم وعاملة^(١).

ولعلَّ الامتزاج التاريخي الطويل مدى آلاف السنين بين جنوب غرب آسيا وشمال شرق إفريقيا مما جعل أهل المنطقة كلها شعباً واحداً، يحس بشعور واحد متجاوب، لعلَّ هذا الامتزاج هو الذي جعل أقباط مصر يستقبلون قدوم العرب بمثل ذلك الترحاب رغم اختلاف الدين. بينما وقف هؤلاء الأقباط قبل ذلك بقرنين اثنين موقفاً عدائياً جباراً من حكام مصر المسيحيين البيزنطيين عقب نفي البطريق المصري عام ٤٥١م وموته في المنفى عام ٤٥٤م، وتعيين أحد أعوان البيزنطيين «بروتيريوس» خلفاً له بين عامي ٤٥٢، ٤٥٧م رئيساً للكرسي الإسكندرية، إذ إن المصريين أبوا الرضوخ لذلك واختاروا مصرياً لتولي الكرسي البطريكى هو ثيموثاوس، ولما عزل بالقوة اشتعلت ثورة المصريين، وكادوا يجهزون على الإسكندرية ثم اغتالوا بروتيريوس صنيعه الغاصب وجرو جثمانه في طرقات الإسكندرية وأحرقوه وذروا رماده في الهواء^(٢).

وهكذا يبدو لنا الفرق واضحاً بين معاملة المصريين للعرب الفاتحين وبين معاملتهم لغير العرب من فرس أو روم.

ومما لا شك فيه أن العرب الفاتحين هم أول من تسمى بالمصريين ولم يأنفوا من مساواة أبناء البلاد بالانتساب إليها كما أنف الرومان واليونان من قبلهم^(٣).

ولعلَّ حديث هاجر أم إسماعيل -عليه السلام، ومارية القبطية زوجة محمد رسول الله ﷺ، لعلَّ هذا الحديث هو خير ما يؤكد صلات الأرحام التي ربطت بين القبط والعرب على طول فترات التاريخ ووشائج القربى التي جمعت بينهم منذ أقدم العصور البشرية.

(١) محمود كامل: عربتنا ص ٥٠، ٥١.

(٢) محمود كامل: عربتنا ص ٥٢، ٥٣.

(٣) محمود كامل: نفس المصدر ٥.

فإن هاجر أم إسماعيل مصرية صميمة، ونحن نعرف أن إبراهيم - عليه السلام - ارتحل مع زوجته سارة من العراق إلى فلسطين ثم إلى مصر فأهدى إليه ملكها هاجر فتزوجها وولدت له إسماعيل، فصاحب إبراهيم هاجر وابنها إلى بلاد العرب وأنزلهما بالوادي الذي تقوم به مكة اليوم، وتزوج إسماعيل فتاة من جرهم ولدت له اثني عشر ولدًا هم آباء العرب المستعربة أو القيسية، وهؤلاء ينتمون من ناحية خؤولتهم في جرهم إلى العرب أبناء يعرب بن قحطان، وينتمي أبوهم إسماعيل من ناحية خؤولته إلى مصر.

وفي سنة ٧٢٦م عندما أرسل محمد رسول الله ﷺ كتبه إلى الأمراء والملوك يدعوهم إلى الدين الجديد، كان المقوقس حاكم مصر صاحب أجمل رد على رسالة النبي وكان أكثرهم ودا ومجاملة، فقد بعث مع حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى رسول الله يقول له فيه: إنه يعتقد أن نبيا سيظهر كما بعث بهدايا كثيرة، وقد اصطفى الرسول ﷺ مارية القبطية وتزوجها، فولدت له إبراهيم^(١).

ثانياً - في العصور الوسطى

بافتتح العربي الإسلامي بدأت مصر تدخل في مرحلة هامة من تاريخها. فمنذ ذلك الوقت بدأت ترسخ فيها دعائم القومية العربية على أسس متينة وقواعد مكينة، ولعل من أهم الأسس التي أعطت لمصر وجهها العربي المشرق تلك اللهجات العربية النشطة التي شغلت الفترة التالية للفتح.

وإذا أردنا أن نتتبع حركة توافد العرب على مصر في هذه المرحلة الهامة لوجدنا أنه عندما تقدم عمرو بن العاص إلى أرض الكنانة فاتحاً كان معه جيش يتراوح عدده بين ثلاثة وأربعة آلاف ثم لحقت به أربعة آلاف أخرى، ثم وصل الزبير بن العوام ومعه اثنا عشر ألف مقاتل. وكانت قبيلتا لخم وجذام ممثلتين في الجيش العربي أظهر تمثيل، ثم أرسل عمر بن الخطاب، عبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو النوبة وكان معه عشرون ألف مقاتل، وخلال حكم ٨٣ حاكماً عربياً

(١) محمد فرج: عمرو بن العاص ١٤٦، ١٤٧. (طبع ونشر دار الفكر العربي ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م).

توالت هجرات القبائل^(١). وفي ذلك يقول عباس عمار في كتابه «المدخل الشرقي لمصر» ص ١٠٤، ١٠٧: إن سيناء أصبحت طوال القرون الإسلامية الأولى طريق مرور فقط تعبرها القبائل بشكل لم تعهده في فترات التاريخ السابقة، وكان من الأسباب الهامة الدافعة إلى تدفق القبائل إلى مصر عبر شبه الجزيرة مجيء الوالي الجديد الذي كان يرافقه جيش يقرب من ٢٠٠٠٠ مقاتل غالبيتهم من العرب؛ والذي كان وجوده في الحكم مشجعاً للقبائل التي ينتمي إليها على أن تهاجر إلى مصر كما يدل على ذلك تحليل القبائل المختلفة التي هبطت مصر في عهود الولاة المتتابعين...»^(٢).

ومن المعروف أنه في عهد الدولة الأموية وفدت إلى مصر جموع من قریش معظمهم من بني أمية وجموع من قيس عيلان ومن جهينة ومن الأزد ومن حمير ومن لخم.

وفي العهد العباسي وفدت جموع من بني العباس ومن تميم ومن الأزد ومن طي ومن لخم ومن مذحج ومن بجليّة ومن حمير^(٣). ولما بدأت العناصر غير العربية تحكم مصر بعد ذلك وبالتالي لم يعد هؤلاء الحكام يحابون العرب كما حدث أثناء حكم أحمد بن طولون ٢٥٧ - ٢٧١ هـ (٨٧٠ - ٨٨٤م) بدأت القبائل العربية التي كانت قد هاجرت إلى مصر تهاجر من جديد إلى شمال إفريقيا وإلى السودان.

ولما تولى الفاطميون حكم مصر سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣م) عاد الحكم العربي الصميم ورأى الخلفاء الفاطميون في القبائل العربية المستقرة بسورية على حدود مصر الشرقية مصدر خطر على حكمهم الجديد في شمال وادي النيل، فانتهوا إلى تشجيع القبائل على الهجرة إلى مصر^(٤).

ولكن عندما قبض المماليك على زمام الحكم في مصر بعد انتزاعه من العرب أصحاب السلطان أصلاً، بدأت تنقلب الأحوال وتتغير معايير الأمور، فإن المماليك

(١) أحمد لطفي السيد: قبائل العرب في مصر ج ١ ص ٩، ١٠.

(٢) محمود كامل: عربتنا، ص ٥٧.

(٣) أحمد لطفي السيد: قبائل العرب في مصر، ج ١ ص ٩، ١٠.

(٤) محمود كامل: عربتنا، ص ٥٨.

وبخاصة الممالك البحرية نظروا إلى العرب كعنصر غير مرغوب في بقاءه في البلد الذي آلت إليهم مقاليد حكمه، فقد تملك الممالك خوفاً وقلقاً من قيام العرب بإشاعة الفتن والثورات.

وبذلك فإننا نجد أن الهجرات العربية إلى مصر في هذه الفترة لم تنعدم فحسب، بل تحولت إلى موجات من الفارين منها بسبب اضطهاد الممالك للعناصر العربية^(١).

ولعل من أهم المراجع التي يمكن الاعتماد عليها في موضوع الهجرات العربية كتاب «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب»، الذي كتبه المقرئ وعثرت عليه الحملة الفرنسية فأخذت النسخة معها، ولخص كاترميرا (Quateremere) ما فيه في كتابه: *Mémoire sur les Tribus Arabes établis en Egypte* «مذكرة عن القبائل العربية المقيمة في مصر» ثم أصبحت هذه الوثيقة عمدة الكتاب الأجانب عن القبائل العربية في مصر^(٢).

لقد قسم المقرئ هذه القبائل في مصر إلى ثلاثة أقسام، ويمكننا عند دراسة هذه القبائل أن نسير على نهجه في هذا التقسيم:

(أ) القبائل القحطانية (اليمنية).

(ب) القبائل العدنانية (القيسية).

(ج) قريش.

(١) القبائل القحطانية (اليمنية).

١- جُذام بن عدي وقد جاءت جُذام في الفتح مع عمرو بن العاص وسكنت في منطقة شرق الدلتا وكانت هي أكبر أنداد قيس في هذه المنطقة، ومن بطون قبيلة جُذام بنو حرام الذين يقطنون في الوقت الحاضر محافظة المنيا^(٣).

(١) محمود كامل: عروبتنا، ص ٥٩

(٢) محمود كامل: نفس المصدر، ص ٥٨

(٣) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ١ ص ٧٥٢.

- ٢- طَيِّئٌ وهي من أكبر القبائل التي نزلت بمصر .
- ٣- بَلْيٌ وَجُهَيْنَةٌ وترجع القبائل الجهنية بنسبها إلى عبد الله الجهني الصحابي، وَجُهَيْنَةٌ وبلي من قُضَاعَةِ اليمينية^(١).

٤- لَحْمٌ وهو أخو جُدَامَ، وكان للخميين مُلْكٌ بالحيرة وهم ينسبون إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن بطون لَحْمٍ قبيلة بني مُر التي نزلت بأسبوط^(٢)، وما زالت قرية بني مُر في محافظة أسبوط تحمل اسم هذه القبيلة حتى اليوم، وإليها ينسب رائد القومية العربية وزعيم نهضتنا الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

وكذلك هبطت مصر مع الفتح قبائل قحطانية عديدة منهم بنو حمدان من ذي الأصبح، ويذهب أبو صالح الأرمني إلى أن الجيزة بنيت خصيصاً لهم، ومنهم الأنصار من الأزد وكانت ديارهم بحري منفلوط وما زالت حتى الوقت الحاضر إحدى قرى محافظة أسبوط تحمل اسم الأنصار^(٣). ومن القبائل اليمينية أيضاً بنو كَنَانَةَ عُدْرَةَ وكانوا في الدقهلية، ومنهم بنو بهراء^(٤) الذين ينسب إليهم المقداد بن الأسود أحد أصحاب رسول الله ﷺ.

(ب) القبائل العدنانية (القيسية):

١- قَيْسٌ عَيْلَانٌ، وقد نزل من القبائل القيسية عدد كبير وخاصة على عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك واليه ابن الحبحاب الذي أقطعهم أرضاً في بلييس.

٢- فَزَارَةُ، وقد رافقت فزارة بني هلال في دخولهم مصر في القرن الحادي عشر الميلادي.

٣- هَلَالٌ وَسَلِيمٌ، ويتنسب الهلاليون إلى هَلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ هَوَازِنُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ،

(١) دكتور محمد عوض محمد: السودان الشمالي (سكانه وقبائله) ص ٢١٠.

(٢) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج ١ ص ٦٣-١.

(٣) خريطة طرق مواصلات الوجه القبلي: مصلحة المساحة ١٩٥٥ (٥٢/٢٧٩).

(٤) أحمد لطفي السيد: قبائل العرب في مصر ج ١ ص ٤١-٥١.

القبائل العربية القديمة في مصر

بعد الفتح العربي^(١)

القبائل العدنانية

تمهيد:

تنسب القبائل العربية التي عاشت في النصف الشمالي من شبه جزيرة العرب، والتي تتكون من العرب المستعربة، إلى عدنان، باعتباره جدها الأعلى. وكان ذلك القسم الشمالي من الشعب العربي ينقسم بدوره إلى قسمين عظيمين هما: مَضَر، وربيعة. ثم يعود كل من هذين القسمين فينقسم أقساما أخرى أصغر. ونتناول بالحديث الآن هذه الأقسام جميعا مرتبة ترتيبا تنازليا:

القسم الأول: قبائل مَضَر

امتاز هذا القسم بالضخامة حتى لقد قيل: أكثر من ربيعة ومضر^(٢)، وهيات هذه الكثرة العددية التفوق المادي والأدبي لقبائل مضر، فكانت أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم^(٣). وفي الإسلام ظهر منهم جماعة من العلماء والمحدثين من المتقدمين والمتأخرين^(٤).

وقدمت قبائل من مضر، كما سنرى في جيش عمرو الذي فتح به مصر. وقد اختطت هذه القبائل - أي اتخذت مساكنها - بالفسطاط في أسفل الشرف - أو

(١) قبائل مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة للدكتور عبد الله عمر خورشيد.

(٢) السمعاني: الأنساب: ص ٥٣٣.

(٣) الفلقشندي: نهاية الأرب ص ٣٤.

(٤) السمعاني: الأنساب ص ٥٣٣.

التل - المطل على بركة الحبش، وهو التل الذي أقامت على سفحه قبائل حمير والمعاfer القحطانية^(١).

ويبدو أن قبائل مُضَرَّ بعامة فقدت جانباً من قوتها مع الزمن، أو أنها كانت بإقامتها في مصر أسرع من غيرها إلى التخلص من عنف البداوة، والأخذ بأسباب النظام والقانون، فحينما رفضت قبيلة المعاfer استعمال المدى الذي أراد الخليفة هشام أن يوحد به المكيال في خلافته سنة ١١٧هـ وكسرتة افتخر الشاعر المعاferي بهذا السلوك العنيف ضد الخليفة القوي.

من بعد ما ذلت له أعناق يعرب بل مُضَرَّ^(٢)

وقد حفظ لنا اسم أحد عرفاء مضر، شعبة بن عثمان التميمي (ت ١٣٣هـ) أول من قدم مصر من قواد المسودة (العباسيين)، وكان على مقدمة عامر بن إسماعيل المرادي الجرجاني. ولا نستطيع اتخاذ هذا دليلاً على انحياز مُضَرَّ إلى العباسيين عند ذاك، فإن شعبة نفسه قد ضرب صالح بن علي - أمير مُضَرَّ - عنقه سنة ١٣٣هـ؛ لأنه تشر على أحد الأمويين الهاربين^(٣).

وفي كل حال فإن بعض القبائل المُضَرَّة كان من بين القبائل العربية الكثيرة التي سارت إلى الجنوب بحثاً عن الذهب في منطقة العلاقي^(٤)، والتي أقامت بأسوان وملك الضياع في بلاد النوبة منذ صدر الإسلام في دولة بني أمية وبني العباس^(٥).

هذا عن قبائل مُضَرَّ ككل. ونتناولها الآن بالتفصيل الذي يتيح لنا أن نرى إلى نسبتها العديدة، وتحركاتها، وأثرها في الحياة المصرية في الفترة التي نغني ببحثها.

تنقسم مضر قسمين كبيرين هما: خندف، وقيس.

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ١٢٦ - ١٢٧، علي بهجت: حفريات الفسطاط ص ٢٢.

(٢) الكندي: الولاة: ص ٧٩.

(٣) الولاة ص ٩٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢ - ٣.

(٤) اليعقوبي: كتاب البلدان: ص ١٢٣.

(٥) الخطط: ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨.

أولا - خندف

تنقسم بدورها قسمين كذلك: بنو مدركة، وبنو طابخة.

١ - بنو مدركة

جاء إلى مصر من بني مدركة القبائل الآتية:

هذيل،

تفرقت هذه القبيلة في البلاد بعد الإسلام^(١). وجاء قسم منها إلى مصر، فكان لها خطة بالفسطاط^(٢)، في الحمراوات الثلاث^(٣)، وهي خطط القبائل من غير الجنس العربي من الروم والفرس^(٤).

وكانت هذيل تترك خطتها هذه مرة على الأقل كل عام، وتتجه نحو الشمال ذاهبة إلى بنا وبوصير^(٥) (مركز سمنود، محافظة الغربية)^(٦)، حيث كانت تأخذ مرتبها أي ترعى دوابها في الربيع. في حين اتجهت طائفة منها - في وقت متأخر أغلب الظن أنه يقع فيما بين منتصف القرنين الرابع والخامس - إلى الجنوب حيث أقامت في طوخ الخيل^(٧)، قرية بالصعيد في غربي النيل (مركز المنيا)^(٨). وعلى شواهد القبور ما يشير إلى ذلك. فهناك شاهدان يرجعان إلى أواسط القرن الثالث الهجري، لاثنين من هذيل أحدهما بالفسطاط والثاني بالصعيد^(٩).

(١) الأنساب ص ٥٨٨ ب. (٢) فتوح مصر ص ١١٧.

(٣) ابن دقماق: الانتصار ج ٤ ص ٥.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٩، وحفريات الفسطاط ص ٢٢.

(٥) فتوح مصر ص ١٤١.

(٦) Amélineau, p.9 والدليل الجغرافي ص ١٧٧، ويلاحظ أننا استبدلنا كلمة «محافظة» بكلمة «مديرية»

تمشيا مع القانون الخاص بذلك، قانون نظام الإدارة المحلية رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦

(٧) نهاية الأرب ص ٣٤٨.

(٨) ياقوت معجم البلدان ج ٦ ص ٦٦ والدليل الجغرافي ص ٢٩٣

(٩) Rép. Chro. II pp. 31 - 32, 199 - 200

ومن شخصيات هذيل البارزة بمصر بدر بن عامر وهو شاعر مخضرم^(١)،
ومنصف بن خليفة له شعر في مدح ابن طولون سنة ٢٦٩هـ^(٢).

وكان لهذيل في مصر بطون انتسب إليها أبناؤها بالرغم مما زعمه ابن عبدربه
من أن بطون هذيل كلها لا تنتسب إلى شيء منها، وإنما تنتسب إلى هذيل لأنها -
أي هذيل - ليست جمجمة^(٣).

وبطون هذيل بمصر في كل حال هي:

(أ) زليقة:

منها عطاء بن رافع (ت ٨٤ هـ)، كان من قواد الأسطول المصري^(٤).

(ب) حناعة:

منها عطاء بن دينار (ت ١٢٦ هـ) من صغار التابعين بمصر من الموالي^(٥).

والذي نستطيع أن ندركه بعد هذا هو أن قبيلة هذيل كانت بمصر محدودة
الأهمية، مثلما كانت محدودة العدد، وأنها ظلت ظاهرة بمصر حتى القرن الثالث.

كنانة:

قبيلة عربية كبيرة كانت مضاربها عند بدء الإسلام في المنطقة حول مكة^(٦).
وتستمد كنانة أهميتها من أن قبيلة قريش، والنبي بالتالي، منها. وبالرغم من أن
بطوناً مختلفة من كنانة قد هاجرت في فترات متفاوتة - كان آخرها في القرن
السادس الهجري - إلى مصر، حيث أقامت في غربي الدلتا وفي الصعيد قرب

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٦.

(٢) الولاة ص ٢٢٨.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨.

(٤) الأنساب ص ٢٧٧ أ.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٠٨ أ، ونهاية الأرب ص ٢٠٨، وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٩.

(٦) Ency. Isl. II, p.p 1017 - 1018.

إخميم^(١)، فإن هذه القبيلة - إذا نظرنا إليها في غير بطونها التي مثلتها في مصر - تبدو في الفترة التي ندرسها غامضة غير محسوسة الأثر. فليس لدينا من شخصياتها التاريخية سوى رجل واحد هو الدحامس بن عبد العزيز الذي قاد جماعة من قيس منضمًا إلى عمرو بن سهيل الأموي في الثورة على مروان الحمار سنة ١٣٢هـ ونزلوا الحوف الشرقي وأظهروا الفساد^(٢). وحتى هذا الرجل نشك في كونه من كنانة مدركة التي نتحدث عنها الآن، ونميل - اعتمادًا على ما نعرف من طبيعة ثورات أهل الحوف التي كان يقوم بها قبائل قيسية ويمينية بالذات - إلى الظن بأن الدماحس هذا كان من كنانة كلب القبيلة القضاية. أما شواهد القبور فتشير إلى وجود عدد كبير نسبيًا من هذه القبيلة بمصر في أواسط القرن الثالث الهجري^(٣).

وبالرغم مما يلاحظه مكمايل^(٤) من أن تاريخ هجرة كنانة إلى مصر ومداها كليهما غير مؤكد فلنأخذنا نستطيع أن نطمئن إلى وجودها من بين قبائل الفتح على الأقل ممثلة في بطونها^(٥) التي سوف نتحدث عنها بالتفصيل بعد قليل. ثم كانت كنانة من القبائل التي هاجرت - ولو جزئيًا - من الفسطاط إلى منطقة الأشمونين، حيث أقامت مع قريش التي تركزت في هذه المنطقة منذ القرن الثالث على الأقل^(٦).

وفي تاريخ يجيء بعد قيام الدولة الفاطمية، أي بعد منتصف القرن الرابع الهجري، هاجرت كنانة بصورة واسعة من الحجاز - ومعها جماعة من أخلط

(١) Ency. Isl. II, p. 1017 - 1018.

(٢) الولاة ص ٦٤.

(٣) Rép. Chro. II pp. 9 108 - 109, 158 - 208.

(٤) Macmichael, I, p. 141.

(٥) نهاية الأرب ص ٣٣.

(٦) أوراق البردي ج ١ ص ٧٤، وتناولنا مسألة تحرك قريش بالتفصيل ص ٨٦ - ٩ من هذا البحث.

العرب - إلى مصر. ويبدو أن كنانة اتجهت عند ذاك مباشرة إلى بلاد قريش أي منطقة الأشمونين اعتماداً على الصلات القديمة بينها وبين قريش. ولكن قريشا لم تمكنهم من التعدي إلى بلادها إلا بوساطة بني إبراهيم بن محمد وهم من سلالة جعفر الطيار^(١). ويبدو أن هذه الهجرة كانت بداية، أو إحدى الهجرات التي انتشرت كنانة عن طريقها في غربي مصر وفي صعيدها كما سبق القول.

ولكنانة بطون كبيرة بلغت درجة القبائل الكبرى التي تتكون من عدة بطون، ولكننا نرجئ الحديث عنها لحظة لنذكر البطون الصغيرة الآتية:

(أ) العقبة:

يظن السمعاني^(٢) أنه بطن من كنانة، ويذكر منه فضل بن عمير (ت ١٩٧هـ) من أهل مصر، محدث، ولي القضاء بإحدى كور مصر.

(ب) كنانة طلحة:

ذكرهم القضاعي في خطط مصر، وقال: إن منهم أخلاطاً في بلاد قريش^(٣).

(ج) جرش:

لا نعرف عن هذا البطن سوى ما ذكره ابن دقماق (ج ٤ ص ٣) من أنه من كنانة، من أهل الراية.

وننتقل إلى بطون كنانة الكبرى، وسنعاملها من حيث الترتيب معامل القبائل المستقلة.

فهر:

ليس لدينا قبيلة ذات كيان خاص تحمل هذا الاسم، فالمعروف أن فهرًا هو

(١) البيان والإعراب ص ٤٠.

(٢) الأنساب ص ٣٩٤ ب.

(٣) نهاية الأرب ص ٣٣٠.

جماع قریش منه تفرقت بطونها^(١). وعندما نتحدث عن الفهرين، أو بني فهر، فإنما نعني في الواقع ذرية الحارث ومحارب ابني فهر وهم قریش الظواهر لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم^(٢). أما ذرية الابن الثالث، غالب، فهم قریش، قریش البطاح^(٣).

يبدأ موكب الفهرين في مصر منذ اللحظة الأولى. فهم لهم دار باسمهم في الفسطاط^(٤). ونرى من شخصيات الفتح يزيد بن أنيس وولديه^(٥)، والمستورد بن سلامة الصحابي (ت ٤٥ هـ بالإسكندرية)^(٦)، وعقبة بن الحارث (ت ٥٨ هـ بمصر) الصحابي المقرئ الفقيه المحدث الأمير^(٧). ولعل عبد الرحمن بن جحدم هو أهم الفهرين في مصر على الإطلاق وإن كان لم يبق بها، فإن حروبه بها واستيلاء عليها باسم ابن الزبير (٦٤ - ٦٥ هـ) من أهم الحوادث في تاريخها^(٨).

ومن بني فهر كانت في مصر أسرة نشأت بها مع الفتح، وظل أفرادها حتى أوائل القرن الثالث يلعبون على مسرح الحياة المصرية أهم الأدوار أولئك هم بنو نافع بن عبد قيس. وكان نافع نفسه ممن شهد الفتح^(٩). وشهده معه ابنه عقبة (ت ٦٣ هـ)، الذي اختط بمصر، واضطلع بالمهمات الحربية الخطيرة، وولي المغرب^(١٠). وكان ابنه عياض ممن لحق بابن الزبير من أهل مصر سنة ٦٤ هـ^(١١).

(١) البيان والإعراب ص ٤٠.

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٠٧.

(٤) الانتصار: ج ٤ ص ١١، ١٢.

(٥) فتوح مصر: ص ١٣٥ - ١٣٦ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٩٣، ١٠٠.

(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٨.

(٧) المصدر نفسه ١: ٩٢. ويلحظ أن السيوطي يذكره خطأ بدلا من عقبة بن عامر الجهني.

(٨) الولاة ص ٤١ - ٤٣، والخطط ج ٤ ص ٣٤٠.

(٩) النجوم ج ١ ص ٢٠، ٢١.

(١٠) فتوح مصر ص ١٩٤ - ١٩٩، والولاة ٣٢ - ٣٣. والأنساب ٤٩٧ ب.

(١١) الولاة: ص ٤١.

وكذلك فعل ابنه أبو عبيدة الذي كان قائداً للمصريين في غزوة القسطنطينية سنة ١٠٠هـ^(١)، فضلاً عن أنه كان من مشاهير التابعين بمصر^(٢). وكان نافع بن أبي عبيدة قائداً بحريا كأبيه^(٣). ثم لعب آل نافع بن عبد قيس هؤلاء دوراً مهماً في الصراع الأخير بين الأمويين والعباسيين، فقد لحق الأسود بن نافع - أحد أحفاد نافع بالإسكندرية - فسود بها - أي لبس السواد علامة انضمامه إلى العباسيين - سنة ١٣٢هـ، واشتبك مع قائد مروان الحمار في معركة دارت رحاها في الكريون (ذو القعدة سنة ١٣٢هـ) وقتل فيها عمه عيسى بن عبدة^(٤). وقد أحسن العباسيون مكافأة الأسود بعد انتصارهم^(٥). وإذا كانت أسرة نافع التي بدأت أموية قد انتهت بالتحول إلى جانب العباسيين فلإن الأدوار التي مرت بها الحياة المصرية بعد ذلك جعلت أحد أفرادها - ابن عبيدس^(٦)، من ولد عقبة بن نافع - يتزعم أهل نتوغمي - بحوف مصر الشرقي، من أسفل الأرض^(٧) - في ثورة أسفل الأرض الكبرى سنة ٢١٦هـ^(٨)، وأن اشتراك ابن عبيدس في هذه الثورة التي ضمت سكان الدلتا جميعهم - عرباً وقبطاً - لدليل على مدى اقتراب هذه الأسرة بخاصة والعرب بعامه من الشعب المصري - القبط - اقتراباً يظهر في وحدة المصالح التي دفعتهم إلى التشارك في الثورة على أداة الحكم.

وإلى جانب هذه الشخصيات البارزة من الفهرين الأصليين نجد بعض الشخصيات المهمة من مواليتهم. فهناك يعقوب القبطي رسول المقوقس إلى

(١) المصدر نفسه: ٤١، ٦٩.

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٧.

(٣) الولاة ص ٨٠.

(٤) الولاة ص ٦٥ - ٩٦، ١٠١.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٠١.

(٦) ذكر باسمه عبدوس الفهري في الطبري ج ٧ ص ١٩١، ١٩٢ والنجوم ج ٢ ص ٢١٦.

(٧) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٦، ٤١٢.

(٨) الطبري ج ٧ ص ١٩١، ١٩٢، الولاة ص ١٠٩، ١٩٢، والنجوم ج ٢ ص ٢١٥، ٢١٦.

النبي ﷺ^(١). وولده مسلم^(٢)، وحفيده إبراهيم كان فقيها^(٣). ولكن لا جدال في أن عبد الله بن وهب - الفقيه المالكي المصري العظيم (١٢٥ - ١٩٧هـ)^(٤) - هو أعظم موالى فهر على الإطلاق. وهناك كذلك ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب (ت ٢٦٤هـ) كان محدثا ثقة^(٥).

لعل لنا الحق، بعد هذا العرض السريع لبني فهر في مصر أن نحكم بأنهم كان لهم طوال القرنين الأولين أثر بارز موجه في الحياة المصرية سياسيا ودينيا وفكريا واجتماعيا، ومن الواضح أن نفوذهم هذا كان نتيجة مركزهم الأدبي الرفيع، إلى جانب إقامتهم المستمرة في مصر، واتصالهم بالمصريين اتصالا يبدو في أن معظم موالىهم من أصل مصري.

قريش:

قبيلة من كنانة انفصلت عنها قبل ظهور النبي ﷺ ببعض الوقت^(٦). والمعروف أن قصي بن كلاب قام بجمع أولاد فهر بن مالك - وكانوا متفرقين في بني كنانة - إلى مكة من كل أرب، فأصبحوا عندئذ قبيلة واحدة يطلق عليها اسم قريش^(٧) لم تلبث أن تغلبت على خُزاعة وانتزعت منها سدانة الكعبة وحكم مكة^(٨). فذلك الاسم هو في الواقع جماع نسب، وليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة^(٩)، فكما تدل كلمة قريش على البطون الكثيرة التي تنضوي تحتها تدل

(١) الانتصار ج ٤ ص ٦، والأنساب ص ٤٤١ ب، وحسن ج ١ ص ١٠٠.

(٢) الأنساب ص ٤٤١ ب.

(٤) القضاة ص ٤١٠، ٤١٤، ٤١٧ - ٤١٨ وفيات الأعيان: ج ١ ص ٣١٢ والأنساب ص ٤٣٤ ب وحسن ج ١ ص ١٢١.

(٥) الأنساب ص ٥٨٦ ب وطبقات الشافعية ج ١ ص ١٩٩.

(٦) نهاية الأرب ص ٣٢١ و Mac, I, p. 140.

(٧) العقد ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٨) نهاية الأرب ص ٣٢٣ و Ency. Isl. II, p. 984.

(٩) البيان والإعراب ص ٣١.

على نسب عام كذلك؛ ولذلك نبدأ بالحديث عن قريش في مصر بما هي نسب عام يدل على جملة القبائل القرشية التي أقامت بمصر وينتسب إليه بعض الأفراد، فإذا فرغنا من هذا تحدثنا عن القبائل أو البطون القرشية في مصر.

كان عمر بن الخطاب قد حاجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل، وقال في تعليل ذلك: «إلا وأن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده، إلا فأما وابن الخطاب حي فلا. إني قائم دون شعب الحرّة أخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار»^(١). وربما كان هذا هو السبب الحقيقي لقلة القرشيين الذين شهدوا فتح مصر مع عمرو وأقاموا بها على نحو ما سئرى عند دراسة بطون قريش في مصر. ويكفي دليلا على قلتهم أول الأمر أنهم كانوا من أهل الراية^(٢)، أي العرب الذين لم يكن من قبائلهم في جيش الفتح عدد يكفي لاعتبار كل منها وحدة مستقلة فجمعهم عمرو معاً وجعل لهم راية خاصة بهم يقفون تحتها^(٣). أما ما يراه مكمايل من أن القرشيين كانوا ممثلين تمثيلا طيبا عند فتح مصر اعتمادا على أن عمرو بن العاص والزبير بن العوام وآخرين كثيرين من مشاهير الزعماء في الجيش ومعظم الصحابة الذين جاءوا مع عمرو - كانوا من قريش^(٤) فهو أمر لا نميل إلى الأخذ به بعد ما قدمناه.

على أن الأمر لم يستمر هكذا، فإن عثمان بن عفان لم يأخذ قريشا بالذي كان يأخذهم به عمر فانساحوا في البلاد^(٥). وهنا قد نجد فرصة لما يقوله مكمايل من أن آخرين كثيرين من قريش هاجروا مع الولاة الأمويين والعباسيين المتعاقبين وأن فرقة واحدة منهم على الأقل قد عبرت البحر الأحمر إلى السودان في القرن الثامن الميلادي (٨٢ - ١٨٤هـ)^(٦).

(١) الطبري ج ٣ ص ٤٢٧.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٣) فتوح مصر ص ٩٨، ١١٦ - ١١٧.

(٤) Mac. I, p. 141.

(٥) الطبري ج ٣ ص ٤٢٨.

(٦) Mac. I, pp. 141 - 142.

والمسألة البالغة الأهمية في كل حال هي مسألة تحرك قريش في مصر. فمن الثابت أن قريشا اختطت بالفسطاط حول عمرو والمسجد هم والأنصار وبقية أهل الراية (أسلم، وغفار، وجهينة، إلخ...^(١)) وربما كانت قريش تأخذ مرتبها في كورة منف ووسيم القريبة من الفسطاط حيث كان آل عمرو بن العاص وآل عبدالله ابن سعد يرتبعون^(٢).

وبدأت قريش منذ الربع الأخير من القرن الأول تزحف نحو الجنوب وتقيم في مدن الصعيد الأدنى القريبة من الفسطاط مثل حلوان وأسكر. وكان بنو أمية هم الذين مثلوا قريشا في هذا الزحف. ولما انتهت الدولة الأموية ١٣٣هـ كان للأمويين مراكز ثابتة في الصعيد مثل بوصير قوريدس (محافظة بني سويف) التي قتل فيها آخر خلفائهم. وربما كان فرار الأمويين من وجه العباسيين حينذاك والتجاؤهم إلى مدن الصعيد فرصة كذلك لانتشار القرشيين به. وفي خروج دحية ابن مصعب الأموي سنة ١٦٧هـ بأهناس (محافظة بني سويف) وتغلبه على عامة الصعيد دليل على وجود عصبية قرشية قوية هناك^(٣).

فلما كان القرن الثالث كانت قريش قد تكاثرت في الصعيد تكاثرا ملحوظا، ويقابلنا منها ومن مواليلها شخصيات كثيرة طوال ذلك القرن منهم: عبد الواحد الطحاوي (ت ٢٢٣هـ)^(٤) وابنه أحمد (ت ٢٤٤هـ)^(٥) من طحا (مركز قلو صنا بالمنيا)^(٦)، والبويطي الفقيه الشافعي العظيم (ت ٢٣١هـ) من بويط بصعيد مصر^(٧) وذو النون الأحميمي الزاهد (ت ٢٤٥هـ) من إخميم^(٨). وما كان الثوار العلويون

(١) فتوح مصر ٩٨، ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤١.

(٣) انظر بني أمية ص ٨٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٤، ٥) الأنساب ٣٦٨ ب.

(٦) Amé. p. 472.

(٧) الدليل الجغرافي ص ٣٠٠.

(٨) القضاة ص ٤٣٣ - ٤٣٥، ٤٤٧، معجم البلدان ج ٢ ص ٣١١ - ٣١٢، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥٧،

حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٣، طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧.

الثلاثة - ابن الصوفي، وبغا الأكبر، وبغا الأصغر - ليخرجوا في الصعيد ما بين عامي ٢٥٣ و ٢٥٥هـ^(١) لولا وجود عدد كبير من قریش بخاصة ومن العرب بعامه في الصعيد حينذاك. وإذا كانت شواهد القبور تقوم^(٢) دليلا ماديا على تكاثر قریش بمصر في القرنين الثاني والثالث، فلن أوراق البردي^(٣) تقدم الدليل نفسه على وجودها بالصعيد في القرن الثالث بخاصة.

نستطيع بعد هذا أن نطمئن إلى أن قریشا كانت في القرن الثالث تقيم إقامة فعلية في الصعيد الأدنى. ولكن في أى أجزاء هذا الصعيد؟

هنا نحب أن نشير إلى أنه أقام بأسوان خلق كثير من قریش ملكوا الضياع بأرض النوبة في صدر الإسلام: في دولة بني أمية وبني العباس^(٤)، كما أن منطقة الأشمونين (في مركز الروضة: محافظة أسيوط)^(٥) أصبح يطلق عليها في وقت متأخر اسم بلاد قریش. وذلك لما سكنتها قریش بعد أن طردت منها قبيلة جهينة بمساعدة الفاطميين. وبما أن هذه التسمية مألوفة جدا لدى القضاعي (ت ٤٥٤هـ) في كتابه «المختار في ذكر الخطط والآثار» فإننا نرجح أن تكون هجرة قریش هذه إلى بلاد الأشمونين تمت فيما بين أواسط القرن الرابع (وقت دخول الفاطميين مصر) وأواسط الخامس (زمن وفاة القضاعي) ولكننا نتساءل عما إذا كانت تلك الهجرة فعلية. وأن رواية الحمداني الخاصة بهذه الهجرة^(٦) تجعلنا نظن أن قریشا - أو جزءا منها على الأقل - كانت تقيم بمنطقة الأشمونين فعلا من قبل. ثم حدث خلاف بين قریش وبلي وجهينة سكان تلك المنطقة، فانتهزت الدولة الفاطمية

(١) الولاة: ص ٢١١ - ٢١٤.

(٢) Rép. Chro. I, pp. 50, 54, 57, 76, 109, 124, 222, 294 & II pp. 14, 27, 61, 121, 202 -

203, 273

(٣) أوراق البردي ج ١ ص ٧٣، ١٠٩ - ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ١١٧ وج ٢ ص ١٠١.

(٤) الخطط ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٥) Amélineau, p. 170

(٦) راجع هذه الرواية في نهاية الأرب ص ١٨٦ والبيان ص ٣١.

الفرصة للتخلص من قبائل بلي وجهينة المشاغبة، ولكن بليا خافت بمجرد سماعها بتحرك جنود الحكومة فانهزمت إلى الصعيد. أما جهينة فانتظرت حتى طردت طردا وبذلك بقيت قريش وحدها بالأشمونين التي سارع إلى الانتقال إليها عند ذلك سائر البطون القرشية التي لم تكن أقامت بها بعد.

ومن المهم أن نلاحظ أن هناك بطونا من قريش، لا ذكر لها في أخبار الفتح، نفاجاً بظهورها فيما بعد بصورة قوية. وهذه البطون هي: بنو مخزوم، وبنو تميم بن مرة (البكريون)، وبنو زهرة، وبنو شيبه (من بني عبد الدار)، بنو أسد ابن عبد العزى (الزيبريون)، وبنو مسلمة وبنو حبيب (من المروانيين والجعافرة). ويتأمل هذه البطون - وقد نتحدث عنها في الصفحات القادمة - نلاحظ أنها جميعا كانت من سكان منطقة الأشمونين، أو هي بمعنى أصح من القبائل التي هاجرت إلى تلك المنطقة في هجرة قريش الكبرى إليها. ونحن نتساءل: من أين هاجرت هذه القبائل؟ إذا كانت هاجرت من الفسقاط أو غيرها من بلاد مصر فكيف لا نجد لها ذكرا فيما قبل هجرتها تلك التي حددناها بالفترة الواقعة بين أواسط القرنين الرابع والخامس؟ إن ذلك يحملنا على أن نظن ظنا قويا أن بطونا من قريش قامت بهجرة واسعة النطاق من الحجاز إلى مصر بعد الفتح. ولكن متى على وجه التحديد؟ لا نستطيع أن نحدد تاريخا بعينه، ولكننا نستطيع أن نختار القرن الثالث لذلك. وليس بعيدا أن البطون التي كانت تصل إلى مصر عند ذاك كانت تتجه مباشرة إلى بلاد الأشمونين حيث لم تزل تتكاثر إلى أن طردت قبائل بلي وجهينة من هناك واستأثرت هي بالمنطقة.

والذي ننتهي إليه من ذلك كله هو أن قبيلة قريش اتجهت نحو الصعيد منذ القرن الأول اتجاها ظل موصولا طوال القرن الثاني. فلما كان القرن الثالث كانت قريش تقيم في الصعيد الأدنى ابتداء من حلوان حتى الأشمونين. مع ملاحظة أن إقامتها في الأشمونين كانت حتى ذلك الوقت إقامة جزئية، ففي خلال القرنين الرابع والخامس أصبحت قريش جميعها تقيم في منطقة الأشمونين التي أصبحت

منذ ذلك الوقت تعرف باسم بلاد قريش . وأخبار بطون قريش لدى القلقشندي توجي بهذه النقطة الأخيرة إحياءً قويا^(١).

وسوف نرى عند الحديث عن بطون قريش أن هذه القبيلة ظلت تتمتع في مصر بمركز قوي ممتاز . ويكفي أن الولاة كانوا طوال معظم القرون الثلاثة الأولى قرشيين ، بل إن حديث القلقشندي والمقريري عن بطون قريش يظهر في وضوح أن هذه البطون ظلت محتفظة بكيانها ونفوذها حتى وقتها أي القرن التاسع .

ونتقل الآن إلى ذكر بطون قريش التي أقامت في مصر :

(أ) بنو سامة بن لؤي،

لم يبق لنا من أخبارهم سوى زياد بن ذهل الذي شهد الفتح واختط بالفسطاط^(٢).

(ب) بنو عامر بن لؤي،

أظهر من كان بمصر منهم بنو مالك بن حسل بن عامر رهط سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ^(٣) . وأول شخصيات بني مالك هؤلاء وأخطرها هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي دخل مصر مع عمرو بن العاص على ميمته ، ثم شارك عمرا في حكم مصر واليا على الصعيد سنة ٢٣هـ ، ثم انتهى إليه أمر مصر كله صلاتها وخراجها سنة ٢٥هـ . ومثلما كان حاكما رشيدا كان قائدا عظيما انتصر في ثلاث حروب كبار ضد البربر في إفريقية سنة ٢٧هـ ، وضد الأساود في النوبة سنة ٣١هـ وضد البيزنطيين في البحر سنة ٣٤هـ . ثم رأس وفدا من وجوه مصر إلى عثمان سنة ٣٥هـ لما أطلت الفتنة الكبرى برأسها . وحال دون تطور الحوادث بعد ذلك بينه وبين العودة إلى مصر^(٤).

(١) نهاية الأرب ص ٦٣ ، ١٨٥ - ١٨٦ و ٢٦٢ و ٣٣٠ و ٣٣١ .

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٠٦ .

(٣) نسب عدنان ص ٤ .

(٤) فتوح مصر ص ٥٨ و ١٧٣ - ١٧٤ و ١٨٣ - ١٨٨ و ١٩٠ - ١٩١ والولاة ص ١٠ - ١٤ .

وبالرغم من أن عبد الله بن سعد توفي خارج مصر^(١) فإن أسرته ظلت مقيمة بها، حيث نزل نقابل أفرادا منها حتى أواخر القرن الثالث. وقد اختط عبد الله دارين له في الفسطاط، ثم بنى لنفسه (٢٧ هـ) قصرا كبيرا يعرف بقصر الجن^(٢). وكان آل عبد الله بن سعد من أهل الراية^(٣)، ولكن يبدو أنهم كانوا كثيرين نسبيا. وقد أقاموا معه في الفيوم التي يبدو أنه اتخذها مقرا حكم منه الصعيد^(٤). فلما عاد إلى مصر واليا بدلا من عمرو بن العاص «وصل ومعه خلق كثير»^(٥). وكان آل عبد الله في كل حال يرتبعون مع آل عمرو بن العاص في منف ووسيم^(٦) القريبتين من الفسطاط. ومن آل عبد الله هؤلاء نجد أخاه أويس بن سعد شهد فتح مصر واختط بها^(٧). ثم نجد طائفة يعرفون بالسرحين يقيمون بمصر، وهم من أولاد عبد الله بن سعد وقد انتسبوا إلى جده سرح. ومن هؤلاء السرحين سعد بن عمرو (ت ٢٨٧ هـ) وأبو الفيداق (٢٩١ هـ)^(٨).

وكان لعبد الله بن سعد موال نصارى ولكنه اعتقهم^(٩). ومن مواله وردان الذي تنسب إليه خطة بني وردان بمصر، وعيسى ابنه الذي ينسب إليه حيمن - أي وقف - وردان بمصر كذلك^(١٠).

ومن بني مالك بن حسل كان بمصر - سوى آل عبد الله بن سعد - طائفة من

(١) فتوح مصر ص ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١١٠.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤١.

(٤) انظر المصدر نفسه ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) ساويريس الأشموني: سير الأبناء البطارقة - المجلد الأول ص ٢٣٧.

(٦) فتوح مصر ص ١٤١.

(٧) الأنساب ٥٣ ب.

(٨) المصدر نفسه ص ٢٩٦ أ.

(٩) فتوح مصر ص ١٥٦.

(١٠) معجم البلدان ج ٥ ص ١٢٧.

كبار الموظفين منهم هشام بن كنانة (٢٥هـ)^(١) وابنه السائب بن هشام بن كنانة (٣٧هـ - ٦٥هـ)^(٢) والسائب بن هشام بن عمرو (٤٠ - ٤٩هـ)^(٣).

ومن سائر العامريين بمصر: بشر بن أبي أرطاة من رجال الفتح. وكان قائدا بحريا لمعاوية^(٤). ويحيى بن حنظلة الذي أشرف على إصلاح المسجد الجامع (٩٣هـ - ٩٤هـ)^(٥) وهرم بن سليم الذي اتهم بالقدر (١٦٩ - ١٧١هـ)^(٦).

نرى من هذا أن بني عامر ظهر منهم بمصر عدد كبير نسبيا من الشخصيات المهمة. ولكن من الواضح أن تفوق بني عامر لم يستمر طويلا وكأنما كانوا يستمدون قوتهم من شخصية عبد الله بن سعد الجبارة.

(ج) بنو سهم:

من انتهى إليه الشرف في الجاهلية فوصله بالإسلام، كانت إليهم الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لألهمتهم^(٧). حضر بعضهم فتح مصر فلما تم الفتح قدم على عمرو منهم من لم يكن شهده^(٨). ويبدو أن قد جاء منهم عدد كبير، فقد اضطر عمرو إلى أن يبنّي لهم دار السلسلة التي في غربي المسجد، والأرجح أنها دار بني سهم بالفسطاط التي أشار إليها الكندي^(٩) في حركة العلويين بمصر سنة ١٤٥هـ. فنحن نعرف أن دور بني سهم كانت حول جامع عمرو بالفسطاط^(١٠). وإذا دلت هذه الإشارة على وجود بني سهم بالفسطاط حتى أواسط القرن الثاني الهجري فإن شواهد القبور تشير إلى وجودهم بمصر طوال القرن الثالث^(١١).

(١) الولاة ص ١١. (٢) المصدر نفسه ص ١٣، ٢٠، ٣٨، ٣٩، ٤٣.

(٣) فتوح مصر ص ١٠٧، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٨٧.

(٤) فتوح مصر ص ١٩٠، ١٩٤، ٢٦٠، الولاة ص ١٧ - ١٨، والانتصار ج ٤ ص ١٠٦ وحسن ج ١ ص ٧٥.

(٥) الولاة: ص ٦٥. (٦) المصدر نفسه ص ١٣١.

(٧) العقد: ج ٢ ص ٢٠٣، ٢٠٤. (٨) فتوح مصر: ص ١٠٨.

(٩) الولاة ص ١١٤.

(١٠) نهاية الأرب: ص ٢٤٦، والبيان ص ٣٨.

(١١) Rép. Chro. I, pp. 195, 213, 224 & II, pp. 15, 149, 168 - 169, 262.

الفتح^(١). ومن موالي عمرو كذلك أبو قيس (ت ٥٤هـ) كان من مشاهير التابعين بمصر^(٢) ويزيد بن رباح له رواية^(٣). وهناك كذلك أبو هبيرة الكحلاني مولى عبدالله بن عمرو له رواية^(٤). ودراج بن سمعان (ت ١٢٦هـ) مولى عبد الرحمن ابن عمرو من صغار تابعي مصر^(٥).

لعلنا على حق في أن نقول أن آل عمرو بن العاص كانوا الشطر الأكبر من بني سهم في مصر. بل إن المقرئ ي حين يتحدث عن بني سهم في مصر، فإنما يعني بهم ولد عمرو بن العاص^(٦). ولا نزاع في أن آل عمرو هؤلاء تمتعوا بمركز ممتاز في مصر منذ البداية. وكانت لهم حصّة في وقف عمرو على أهله بفسطاط مصر^(٧). وظلوا يعيشون في الفسطاط ولكن كان فرق منهم أشتات بالصعيد^(٨). وقد ذكرهم المقرئ بمن كان بالصعيد من قريش^(٩) وأغلب الظن أنهم أقاموا في منطقة الأشمونين منذ هجرة قريش هناك التي سبق الحديث عنها^(١٠).

وئمة ملاحظة أخيرة على بني سهم بعامة وآل عمرو بخاصة تلك هي أنهم يغلب عليهم دائما الطابع الديني.

(د) بنو جُمَح:

أبناء عم بني سهم، وهم مثلهم ممن انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام وكانت إليهم الأيسار وهي الأزلام^(١١). أمر عمرو بن العاص أن تكون خطتهم بالفسطاط بجوار داره^(١٢). وينتهي القرن الأول دون أن نقابل منهم بمصر سوى بضعة أفراد منهم وهب بن عمير الذي شهد الفتح^(١٣)، ومحمد بن

(١) فتوح مصر: ص ٧٣ - ٧٤، ٩٣، ١٣٦ والولاة ص ٣٨ والانتصار ج ٤ ص ٦ و ٣٢ ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٧٧.

(۲) فتوح مصر ص ۲۵۰ وحسن ج ۱ ص ۱۰۵ . (۳) فتوح مصر ص ۴۹ ، ۱۸۳ ، ۲۵۰ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٥٨. (٥) حسن ج ١ ص ١٠٨.

(٦) البيان ص ٣٧. (٧، ٨) المصدر نفسه ص ٣٨.

(٩) المصدر نفسه ص ٣٦. (١٠) انظر ص ٨٩ - ٩٠ من البحث.

(١١) العقد ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(١٢) فتوح مصر: ص ١٠٨ .

(١٣) المصدر نفسه ص ١٠٨ ويلاحظ أنه مذكور بالاسم نفسه في الانتصار ج ٤ ص ٨ أما في النجوم ج ١ ص ٤

و ۲۳ فی ذکر باسم عمیر بن وهب الجمحی.

حاطب (ت ٧٤هـ) من الصحابة^(١)، وهذا في الواقع من شخصيات عصر الفتح. فإذا كان القرن الثاني قابلنا في ثلثه الأول أولاد ابن حاطب الذين ظلوا بمصر حتى نهاية الدولة الأموية (١٣٢هـ)^(٢). وفي أواسطه نقابل الحارث بن الحارث من كبار الموظفين^(٣). وفي أواخره ابن عبد الغفار الجُمَحِي (١٠٩هـ) من القواد^(٤)، وفي أوراق البردي وثيقة بتاريخ (١٥٩هـ) - يحتمل أنها كشفت في الأشمونين ببلاد قريش - تحمل اسم رجل من جُمَحٍ^(٥). وشواهد القبور تحمل أسماء بضعة أفراد آخرين توفوا في النصف الأول من القرن الثالث^(٦).

أما موالى بني جُمَحٍ فمنهم أبو فراس من عصر الفتح^(٧). وخالد (ت ١٣٩هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر^(٨). ثم ابنه عبد الرحيم (ت ١٦٣هـ) أول من قَدِمَ بعلم مالك إلى مصر^(٩).

هذا الفقر في الشخصيات - عادية كانت أو ممتازة، مع استثناء عبد الرحيم الفقيه - دليل على قلة بني جُمَحٍ في مصر، وعلى ضعف تأثيرهم فيها بالتالي، ولعلمهم ذابوا لقلتهم تلك في غيرهم من بطون قريش وأقاموا معهم في الأشمونين.

(هـ) بنو عدي بن كعب:

رھط عمر بن الخطاب^(١٠)، وعدي بن كعب نفسه هو جد عمر. ورھط عمر وعشيرته وأولاده من بعده ومواليه ينتسبون إليه، وفيهم كثرة وشهرة^(١١). وهم ممن انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام، فإن عمر بن الخطاب كانت إليه السفارة في الجاهلية^(١٢).

(١)، (٢) الانتصار ج ٤ ص ٨.

(١) الولاة ص ١٢٠ - ١٢١.

(٥) Arabie Papyrl, III p. 93.

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٧.

(٦) Rép. Chro. I, pp. 241. 264 & II, p 30.

(٨) حسن: ج ١ ص ١٢٠.

(٧) الانتصار: ج ٤ ص ٨.

(١٠) نسب عدنان ص ٣.

(٩) خطط: ج ٤ ص ١٤٥.

(١١) الأنساب: ص ١٣٨٦.

(١٢) العقد: ج ٢ ص ٢٠٣.

١ - العمرىون:

(٩) البيان والإعراب ص ٣٧.

٢- بنو خارجة بن حذافة:

كان خارجة نفسه ممن لعبوا دورا مهما في مصر إلى جانب عمرو بن العاص منذ الفتح حتى اغتيل بدلا منه سنة ٤٠هـ^(١). وليس بمستغرب أن يكون لعشيرة خارجة بعد هذا حظوة لدى الأمويين تظهر في معاملة معاوية لهم بشأن القصاص من قاتل خارجة^(٢). وكان خارجة من أوائل العرب الذين أقاموا مع المصريين صلات اجتماعية فإنه تزوج امرأة قبطية من سلطيس - سنطيس الحالية مركز دمنهور محافظة البحيرة^(٣) - وأنجب منها ولده عون^(٤). وظل آل خارجة يتمتعون فيما يبدو بمركز طيب في مصر فقد كان حفيد خارجة - الربيع بن عون - أحد وجوه مصر الذين خرجوا ببيعة أهلها إلى يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ^(٥).

ولئن كان بنو خارجة أبقي أثرا في مصر من العمرين فإن هذا لا يمنع من أن بني عدي بن كعب بعامة كانوا ذوي أهمية جد محدودة بالنسبة إلى الحياة المصرية.

(و) بنو مخزوم:

من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام. فإن خالد بن الوليد - وهو منهم - كانت إليه القبة والأعنة^(٦). كما كان منهم أم سلمة زوج النبي ﷺ^(٧). وليس لدينا ما ينبئ بقدمهم إلى مصر كقبيلة في عصر الفتح. بل ليس لدينا منهم سوى سعيد بن هشام بن صالح نزيل الفيوم الذي رفض أن يتولى قضاء الفيوم نائبا للقاضي العمري (١٨٥ - ١٩٤هـ)^(٨).

(١) فتوح مصر: ص ١٠٤، ١٠٧، ١٤٥، ٢٦٠ والولاة ص ١٥، ٣١ ووفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٣٨

والانتصار ج ٤ ص ٦ وحسن ج ١ ص ٥٩، ٨٣.

(٢) فتوح مصر: ص ١٠٦. (٣) الدليل الجغرافي: ص ٢٣٤.

(٤) فتوح مصر: ص ٨٤.

(٥) الولاة ص ٨٤ والأنساب ص ٣٨٦ ب.

(٦) العقد ج ٢ ص ٢٠٣.

(٧) نسب عدنان: ص ٣.

(٨) القضاء: هامش ص ٤١١.

أما مواليتهم فنجد منهم مهاجر بن القبطية مولى أم سلمة^(١)، ويحيى بن عبدالله بكير (ت ٢٣١هـ) المصري الأصل، راوي الموطأ^(٢). وهو نفس يحيى بن عبدالله بن أبي بكر المخزومي المصري الذي ذكره ابن دقماق على أنه صاحب مالك وله زقاق ابن بكر (كذا) في الفسطاط^(٣). ومن الطريف أن شواهد القبور حفظت لنا اسم حفيدة له تدعى زينب بنت عبد الملك (ت ٢٧٦هـ)^(٤).

والمقرزي يذكر بني مخزوم فيمن كان بالصعيد من قریش^(٥). وحديثه يفيد أنهم كانوا في وقته (التاسع الهجري) يقيمون بالهنسا، وكانوا أكثر قریش بقية وفيهم بأس ونجدة^(٦).

ونحن الآن نسأل: متى قدم بنو مخزوم إلى مصر؟

واضح مما سبق أنهم عاشوا في مصر كقبيلة. ونستطيع أن نقرر أنهم لم يدخلوها وقت الفتح، فإن الأخبار التي حفظت لنا أسماء بطون صغيرة لا أهمية لها لا يعقل أن تغفل قبيلة كهذه من قبائل قریش المرموقة. ولذلك نرجح أنهم دخلوا مصر في وقت متأخر وهو قبل هجرة قریش إلى الأشمونين في كل حال.

(ز) بنو قَيْم بن مَرْوة؛

من انتهى إليه الشرف من قریش في الجاهلية فوصله بالإسلام، فإن أبا بكر الصديق - وهم رهطه - كانت إليه في الجاهلية الأشناق وهي الديات والمغرم^(٧). وهم كأبناء عمهم بني مخزوم ليس لدينا ما يدل على قدومهم إلى مصر زمن الفتح بشكل قبلي ولكنهم يظهرون بعد ذلك. وإذا نحن استثنينا أبا عقيل التيمي (ت ١٣٥هـ)^(٨) الصالح الزاهد، نزيل مصر، ومن صغار التابعين بها، كان

(١) فتوح مصر: ص ٣١١ والأنساب ص ٤١١ ب وحسن ج ١ ص ٩.

(٢) القضاة ص ٣٩٥-٣٩٦، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٣٣ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٦ ومقدمة كست

للولاة ص ٢٤-٢٥.

(٣) الانتصار: ج ٤ ص ١٤.

(٤) Rép. Chro. II, p. 243.

(٥) البيان: ٣٦.

(٦) المصدر نفسه: ص ٣٧.

(٧) العقد ج ٢ ص ٢٠٣.

(٨) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٨ و ٢١٨.

البكريون - أي بنو أبي بكر الصديق - هم الذين مثلوا بني تيم في مصر تمثيلا فعليا. والواقع أن حديثنا عن بني تيم في مصر لن يكون سوى حديثنا عن عاش بمصر من بني أبي بكر هؤلاء.

وأول من تلقى من البكرين هو محمد بن أبي بكر الذي كان من زعماء حركة اغتيال عثمان في المدينة سنة ٣٥هـ، ثم ولي مصر لعلي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ وظل بها حتى خاض المعركة الفاصلة - موقعة المسناة - بينه كقائد لأنصار علي وبين عمرو بن العاص قائد لأنصار معاوية، فهزم وقتل سنة ٣٨هـ^(١).

ثم تلقى أخاه عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٥٣هـ بمكة) (٢) في نفس وقت معركة المسناة، سواء كان من جند عمرو (٣)، أو لأنه دخل مصر بسبب أخيه محمد (٤). وقد حدث أهل مصر عنه حديثا واحدا (٥) مما يدل على أنه أقام بها زمنا ما. أما هاشم بن أبي بكر قاضي مصر النزيه الحازم (١٩٤-١٩٦هـ) الذي أصلح ما أفسده سلفه القاضي العمري فتذكره بالرغم من أنه كوفي لأنه لعب بمصر، حيث مات، دورا مهما بالرغم من قصره (٦).

والذي يعنينا الآن هو أن البكرين الذين عاشوا بمصر إنما هم، فيما يقال، ولد محمد وعبد الرحمن هذين، والأول هم المعروفون ببني محمد في حين يعرف الآخرون ببني طلحة. ونتكلم عن كل منهما على حدة:

۱- بنو محمد:

كل من القلقشندي والمقريري يذكرهم مرة بما يفيد أنهم من ولد محمد ابن أبي بكر^(٧)، ثم يعود كل منهما فيذكر أنهم من بني طلحة الآتي

(١) الولاية ص ٢٧-٢٩، الطبري ج ٣ ص ٤١١.

(٢) النجوم: ج ١ ص ١٤٤، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٩١.

(٣) النجوم ج ١ ص ١١٠.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩١.

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩١ .

(٦) القضاة: ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١١-٤١٧ .

(٧) نهاية الإرب ص ٦٠١ ، والبيان ص ٢٧ .

ذكرهم^(١). وهذا الاضطراب في تعيين أبيهم، يضاف إليه ما نعلمه من أن عائشة لما بلغها قتل أخيها محمد بن أبي بكر وجدت عليه وجدا عظيما وأخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم^(٢)، يجعلنا نرجح أن بني محمد الذين يذكرون على أنهم من البكرين هم في الواقع فرقة من بني طلحة.

٢- بنو طلحة:

هم بنو طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر^(٣). وبما أن جدهم عبد الرحمن لم يقض حياته بمصر، فأغلب الظن أنهم هاجروا إليها في وقت متأخر وأقاموا بمصر الوسطى وبالأشمونين بخاصة^(٤). وبنو طلحة هؤلاء بطون كثيرة منهم بنو إسحق^(٥) وبنو فضالة^(٦) وكانت مساكنهم ببلاد الأشمونين.

ولعله من المهم أن شواهد القبور تشير إلى اثنين من ذرية عبد الرحمن بن أبي بكر توفيا بمصر في أوائل النصف الثاني من القرن الثالث^(٧). وهما ليسا من بني طلحة ولكنهما من أبناء عمومتهما.

ونستطيع بعد هذا أن نزعم أن من عاش بمصر من ولد أبي بكر إنما هم من ذرية ابنه عبد الرحمن فقط، وأنهم انتقلوا إلى مصر في وقت متأخر نسبيا. وليس لدينا في كل حال ما يدل على الأثر الخاص الذي تركه البكريون بعامة في الحياة المصرية فيما عدا محمد بن أبي بكر الذي فشل في إبقاء مصر في قبضة علي بن أبي طالب، فانتقلت بهزيمته سنة ٣٨هـ إلى سيطرة الأمويين، الأمر الذي كان له أثره في التعجيل بإنهاء الصراع بين علي ومعاوية سنة ٤٠هـ.

(١) نهاية الأرب: ٣٣٤ والبيان: ٢٧.

(٢) النجوم ج ١ ص ١١١.

(٣) نهاية الأرب ص ٢٦٧ والبيان ص ٢٦.

(٤) نهاية الأرب ص ٢٦٧ والبيان ص ٢٦.

(٥) نهاية الأرب ص ٣٤ والبيان ص ٣٦.

(٦) نهاية الأرب ص ٣١٨.

(٧) Rép. Chro. II, pp. 52, 190-191.

(ح) بنو زهرة:

قبيلة كبيرة من قريش، ومنها آمنة أم رسول الله ﷺ وخلق كثير من الصحابة وغيرهم^(١). وليس لدينا كذلك ما يدل على أنهم كانوا من جيش الفتح، ولكننا نجد حليفا لهم في مصر في أواخر القرن الأول هو عمران بن عبد الرحمن قاضي مصر (٨٦-٨٩هـ)^(٢). وفي القرنين التاليين - والثالث منهما بخاصة - يزدادون ظهورا بمصر، منهم الزهري القائد الذي حارب دحية بن مصعب الثائر الأموي سنة ١٦٩هـ^(٣)، وعبد الوهاب بن موسى (١٨٢-٢١٠هـ) من كبار الموظفين^(٤)، وأبو ضمرة (٢١٢هـ) ويبدو أنه كان من وجوه المصريين وذوي الرأي فيهم^(٥)، وهازون بن عبد الله (٢١٧-٢٢٦هـ) قاضي مصر الحازم القوي^(٦). وعلى شواهد القبور أسماء ثلاثة من بني زهرة توفي أولهم بالصعيد في ٢١٣هـ^(٧) وثانيهم بالفسطاط في ٢٣٩هـ^(٨) وثالثهم في ٢٦٠هـ^(٩).

أما موالى بني زهرة فنجد منهم ليثا القيسي^(١٠)، وعمر بن السائب^(١١) من محدثي القرن الثاني. على أن بني الأشج هم أهم موالى بني زهرة إن لم يكونوا من أهم موالى مصر جميعا. وتبدأ هذه الأسرة في الظهور ببحى بن مسلم بن الأشج الذي سود بأسوان ١٣٢ هـ عندما تفشت حركة التسويد في مصر^(١٢). والمفهوم من سياق الكلام أن بحى هذا كان مقيما بأسوان. وشواهد القبور التي

(١) نسب عدنان ص ٣ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧٢.

(٢) الولاة ص ٥٨ والقضاة ص ٣٢٦.

(٣) الولاة ص ١٢٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٩، القضاة: ٣٩٢، الخطط - ١٨٥: ٣.

(٥) القضاة ص ٤٣٢-٤٣٤.

(٦) المصدر نفسه ص ٤٤١ و ٤٤٣ و ٤٥٠.

(٧) Rép. Chro. p. 144-145.

(٨) Ibid, I, p. 281.

(٩) Ibid, II, p. 67.

(١٠) الأنساب ص ٤٦٧ ب.

(١١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٩.

(١٢) الولاة ص ٩٥.

تحمل عددا كبيرا نسبيا من أسماء بني الأشج، والتي ترجع إلى القرن الثالث الهجري، تزيد إقامتهم في الصعيد وفي أسوان بخاصة^(١). ولكن هذا لم يمنع بني ميمون بن يحيى (ت ١٩٠-٢)^(٢) - وهم الذين يجعلون اسم بني الأشج - أن يكون لهم زقاق باسمهم في الفسطاط^(٣) مما يدل على إقامة عدد كبير منهم بهذه المدينة. ولكننا نتساءل في كل حال عما إذا كان بعض بني زهرة قد أقام إذن بأسوان حيث أقام مواليتهم أولئك؟!.

نستطيع بعد هذا أن نرى في وضوح أن الزهرين أقاموا بمصر إقامة فعلية منذ القرن الثاني في الأقل. والمقريري يحسبهم ممن كان بالصعيد من قریش^(٤)، في حين يحدد الحمداني مكانهم ببلاد الأشمونين وما حولها من صعيد مصر^(٥)، ويفهم من هذا أنهم ذهبوا للإقامة في بلاد قریش منذ هجرة الأشمونين المشهورة التي مر ذكرها.

وإذا أردنا أن نرى هذه القبيلة وجدنا أن من ظهر بمصر من أبنائها ومن مواليتهم يهتئ لها مكانة طيبة بين العرب في مصر. وهنا يجب ألا ننسى أن اثنين من القضاة - أي من كبار الموظفين ورجال الدولة في مصر - وهما عمران بن عبدالرحمن الكندي الذي مر ذكره، وإبراهيم بن إسحق القارئ^(٦) - ٢٠٤ - ٢٠٥ هـ^(٦) قد حالفا بني زهرة. هذا؛ ومن المعروف أن ليثا - من كنانة - والقارة - من خزمية بن مدركة - حلفاء لهم^(٧).

(ط) بنو عبد الدار:

من انتهى إليه الشرف من قریش في الجاهلية فوصله بالإسلام، فقد كانوا سادة البيت وأصحاب الألوية^(٨). وليس لدينا ما ينص صراحة على أنهم ممن كان

(١) Rép. Chro. I, p. 292 & II, pp. 35, 39, 113 139.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٨.

(٣) الانتصار ج ٤ ص ١٨.

(٤) البيان ص ٢٦.

(٥) نهاية الأرب ص ٢٢٨.

(٦) القضاة ص ٤٢٧.

(٧) العقد ج ٢ ص ٢٢٠، والنجوم ج ١ ص ٨٧، والأنساب ص ٤٩٧ ب.

(٨) نسب عدنان ص ٣ والعقد ج ٢ ص ٢٠٣.

من قریش فی جیش الفتح. ولكن أحدهم - زكريا بن جهم العبدي - شغل في مصر منذ البداية منصبا خطيرا هو منصب صاحب الشرطة لعمر^(١). وكان ابنه عبد الحميد يروى عنه^(٢). وفي هذا ما يجعلنا نحتمل دخولهم مصر زمن الفتح كقبيلة ولكنها صغيرة.

ولكن هناك ما هو أهم من ذلك. فالمقرزي يذكر قوما من بني عبد الدار هؤلاء باسم بني شيبة، ويعدهم ممن كانوا بالصعيد من قریش، وكانت ديارهم بنواحي سفت^(٣). والمرجح أن سفتا هذه هي إحدى البلاد الكثيرة التي تحمل اليوم اسم سفت في محافظة المنيا بالذات^(٤). وتأتي شواهد القبور فتشير إلى مولى لبني شيبة هؤلاء توفي بالصعيد في ٢٤٢ هـ^(٥). ونحن نعرف أن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدي - وهو الذي ينتسب إليه بنو شيبة - كان حاجب الكعبة، وتوفي سنة ٥٩ هـ^(٦). وأرسل واحدا من أبنائه دخل مصر مع بني عبد الدار وقت الفتح، أو هو الأرجح فيما نرى - هاجر إليها فيما بعد فأقام بها وترك ذريته. والمهم هو أن بني شيبة كانوا في مصر منذ منتصف القرن الثالث في الأقل.

(ي) بنو أسد بن عبد العزى،

هم رهط خديجة زوج النبي ﷺ، والزبير بن العوام^(٧):

ونرى منهم بمصر الزبير بن العوام نفسه في معارك الفتح قائدا للمدد سنة ١٩ هـ. وإليه يرجع الفضل في الاستيلاء على حصن بابل^(٨). وقد اختط بمصر دارا وهبها فيما بعد لمواليه واختط غيرها^(٩). وقد صادر الروانيون هذه الدار من

(١) فتوح مصر ص ١٧٩ والولاء ص ١٠ و ٢٢.

(٢) الأنساب ص ٣٨٠ ب.

(٣) البيان ص ٣٦ و ٣٧.

(٤) انظر الدليل الجغرافي ص ٥٣.

(٥) Rép. Chro, I. pp. 298-299.

(٦) النجوم ج ١ من ١١٨ و ١٥٣.

(٧) نسب عدنان ص ٣ والعقد ج ٢ ص ٢٠٥.

(٨) فتوح مصر ص ٩٦ و ١١٤ والولاء ص ٨.

(٩) فتوح مصر ص ١١٤ والخط ج ٤ ص ١٠.

على أن الممثلين الحقيقيين للعنابس هم بنو خالد بن يزيد بن معاوية الذين كانوا ينزلون أرض دلجة^(١)، قرية بصعيد مصر من غربي النيل في الجبل بعيدة عن الشاطئ^(٢)، وهي دلجا الحالية مركز ديروط محافظة أسيوط^(٣). كما يبدو أن جزءا آخر منهم كان يقيم في تندة - مركز ملوي محافظة أسيوط^(٤) - مع فروع أخرى من بني أمية^(٥) - وأغلب الظن في كل حال أنهم انتقلوا إلى بلاد الأشمونين تلك في هجرة قریش إليها.

٢ - الأعياص:

وهم في مصر قسمان: آل عثمان بن عفان، وآل مروان بن الحكم. ونتحدث عنهما فيما يلي:

(١) العثمانيون:

المراد بهم هنا ذرية عثمان بن عفان ومواليه. وأول من نرى بمصر منهم هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، من الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة، وتوفي بسكر بصعيد مصر سنة ٩٦ هـ^(٦) مما يدل على انتقاله إليها. أما أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٤ هـ) فهو من أهل المدينة وولي إمرتها لعبد الملك بن مروان من ٧٦ هـ إلى ٨٢ هـ^(٧). وكان كثير العقب^(٨). وقد قدمت جماعة من أبنائه وأقامت مع سائر بني أمية وقریش في منطقة تندة بالأشمونين^(٩). وأغلب الظن أن ذلك حدث وقت هجرة قریش إلى الأشمونين.

(١) الخطط ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٦٧.

(٣) Amé. pp. 176, 488 والدليل الجغرافي ص ٣١٥.

(٤) الدليل الجغرافي ص ٣١٨.

(٥) نهاية الأرب ص ٧٤ والبيان ص ٣٧، و Ara. Pap. III, p. 92.

(٦) معجم البلدان ج ٥ ص ٩٨ والنجوم ج ١ ص ٢٣٤.

(٧) النجوم ج ١ ص ١٩٥ و ٤٠٢.

(٨) نهاية الأرب ص ١٢٨.

(٩) المصدر نفسه ص ١٢٨ والبيان ص ٣٧، و Ara. Pap. III, p. 92.

ولكن موالى عثمان بن عفان هم في الواقع أهم من أقام بمصر من المنتسبين إليه ويمتازون بأنهم ثلاث طوائف:

١ - أهل أيلة:

كانت هذه المدينة الواقعة على بحر القلزم - وهي العقبة حاليا - وبها مجتمع حاج الشام وحاج مصر منزلا لبني أمية، وأكثرهم موالى عثمان بن عفان، وكانوا سقاة الحاج^(١).

واشتهر من هؤلاء الموالى عدة محدثين- يحمل كل منهم النسبة: الإيلي منهم: عقيل بن خالد (ت ١٤١ هـ)^(٢)، ويونس بن يزيد (ت ١٥٢ هـ)^(٣) وابن أخيه عتبة بن خالد (ت ١٩٧ هـ)^(٤)، وهارون بن سعيد (١٧٠ - ٢٥٣ هـ) ممن أخذ بمحنة خلق القرآن سنة ٢٢٧ هـ^(٥)، وإسحق بن إسماعيل (ت ٢٥٨ هـ)^(٦)، وحسان بن أبان (ت ٣٢٢ هـ)^(٧).

٢ - أهل غيفة:

غيفة قرية تقارب بلبس، وأغلب الظن أنها غيبة الحالية مركز بلبس محافظة الشرقية^(٨)، ينزل فيها الحاج إذا خرجوا من مصر^(٩) وكان بها موال لعثمان بن عفان منهم محدثون مثل حسين بن إدريس^(١٠) وعمرو بن إدريس (ت ٣٢٩ هـ)^(١١).

(١) كتاب البلدان ص ١٢٩، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٩١، والمقرئ ج ١ ص ١٨٤.

(٢) الأنساب ص ١٥٥.

(٣) نفس المرجع.

(٤) نفس المرجع.

(٥) القضاة ص ٤٥١-٤٥٣.

(٦)، (٧) معجم البلدان ج ١ ص ٣٩٢.

(٨) الدليل الجغرافي ص ١٢٥.

(٩) معجم البلدان ج ٦ ص ٣١٨.

(١٠)، (١١) الأنساب ص ٤١٤.

٣- بنو عبد الحكم:

وهم هذه الأسرة الكبيرة الشهيرة التي لمعت في مصر ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف الثالث، وظهر منها عدد من الفقهاء الممتازين، إلى جانب المؤرخ المصري العظيم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) صاحب كتاب فتوح مصر^(١).

وفي ولاء بني عبد الحكم خلاف^(٢) ولكن إذا لاحظنا أن جدهم أعين بن الليث أصله من حقل^(٣)، وهي قرية بجانب إيلة على البحر في الطريق من مصر إلى مكة^(٤). وأن حفيده عبد الله بن عبد الحكم (٢٢٤ هـ) هو مولى رافع مولى عثمان بن عفان^(٥)، أصبح من المحتمل اعتبارهم من موالى عثمان.

(ب) المروانيون:

المراد بهم هنا بنو مروان بن الحكم ومواليهم بمصر.

أما مروان نفسه فقد أقام بمصر شهرين سنة ٦٥ هـ بعد أن استخلصها من يد ابن جحدم والي ابن الزبير عليها وردّها إلى سيطرة بني أمية^(٦). وعاد مروان إلى عاصمته دمشق تاركاً ابنه عبد العزيز أميراً على مصر^(٧). وقبل أن يموت عبد العزيز سنة ٨٦ هـ استخلف أخاه محمداً القائد^(٨) (ت ١٠٢ هـ) - والد مروان الحمار - الذي حالفه النصر طويلاً في بلاد الروم^(٩). ولكن يبدو أن ذلك كان استخلافاً اسمياً. فإن محمداً لم يدخل مصر قط فيما يبدو من أخباره. ومن المروانيين الذين لفتوا النظر في مصر عبد الله بن عبد الملك أميرها (٨٦ - ٩٠ هـ) الذي جعل

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ ومقدمة كست ص ٢٢.

(٢) الأنساب ص ١١٧٢.

(٣) الأنساب ص ١١٧٢.

(٤) المسالك والممالك ص ١٤٩ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٦.

(٥) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٦ والأنساب ص ١١٧٢.

(٦) الولاة ص ٤٢-٤٦.

(٧) المصدر نفسه ص ٤٧-٤٨.

(٨) المصدر نفسه ص ٥٥.

(٩) النجوم ج ١ ص ١٩٠، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩.

اللغة الرسمية في مصر هي اللغة العربية سنة ٧٨ هـ. ولكن المصريين سخطوا عليه وهجوه لسوء سيرته^(١)، وهناك أخوه محمد بن عبد الملك المحدث الناسك ولي مصر شهرا (١٠٥ هـ) ثم تركها إلى الأردن فرارا من الوباء ومن مسئوليات الحكم^(٢).

أولئك أفراد من آل مروان أقاموا بمصر - باستثناء عبد العزيز بن مروان - إقامة عابرة، ولكن هناك بطون - أو أسر - كاملة أقامت إقامة دائمة حفظها التاريخ. هذه البطون هي:

١ - بنو مسلمة:

هم بنو مسلمة بن عبد الملك (ت ١٢٢ هـ) الأمير القائد الذي تابعت غزواته من ٨٦ حتى ١٢٢ هـ^(٣)، وكانت مساكن بنيه هؤلاء مع قومهم بني أمية بتندة وما حولها من بلاد الأشمونين^(٤)، مما يرجع انتقالهم هناك في هجرة الأشمونين. هذا إلى أنهم كانوا - وهو عجيب - حلفاء بني جعفر بن أبي طالب^(٥).

٢ - بنو حبيب:

أبوهم حبيب بن الوليد بن عبد الملك، كانت ديارهم كذلك بتندة^(٦) وما حولها وأغلب الظن أنهم هم بنو حيدر الذين ذكرهم القلقشندي^(٧).

٣ - بنو عبد العزيز:

هو عبد العزيز بن مروان أمير مصر (٦٥ - ٨٦ هـ). أسس في مصر أسرة كبيرة هي الممثلة الفعلية بها للمروانيين بل لبني أمية جميعا، وكما استمتعت هذه

(١) الولاة من ٥٨-٦٤ والقضاة ص ٣٢٧-٣٢٩.

(٢) الولاة ص ٧٢ - ٧٣ والنجوم ج ١ ص ٢٥٧.

(٣) النجوم ج ١ ص ٢٨٩.

(٤) نهاية الأرب ص ٣٣٩ والبيان ص ٣٧.

(٥) الخطط ج ١ ص ٢٣٩.

(٦) البيان ص ٣٧.

(٧) نهاية الأرب ص ٢٠٣.

الأسرة بكل روعة المجد الذي بلغه الأمويون دفعت الجانب الأضخم من ضريبة الدم الرهيبة التي جباها منهم العباسيون الذين أسقطوا دولتهم سنة ١٣٢ هـ.

والواقع أن المروانيين - أو بني عبد العزيز في الأصح - عاشوا الفترة الأولى من حياتهم في مصر (٦٥ - ١٣٢ هـ) أمراء. وأن حياة عبد العزيز نفسه القريبة من حياة الخلفاء خير نموذج لعصر المروانيين الذهبي هناك^(١). فإذا ما سقطت الدولة الأموية وأسدل الستار عليها في بوصير بمصر سنة ١٣٢ هـ بدأت الفترة الثانية من حياة بني عبد العزيز التي كانوا فيها شهداء. وفي صفحات متتابعة يصور الكندي^(٢) عملية الإبادة التي شنها العباسيون عليهم فكانوا يعدمونهم بالجملة. فإذا ما انجلى غبار المعركة وانصرف العباسيون إلى جني الثمر، وسكتوا عن فلول الأمويين عاد هؤلاء يطلون برأسهم وقد تحركت فيهم غريزة الشار العربية. وهناك يظهر بنو عبد العزيز الثوار على مسرح الحياة المصرية. ودحية بن مصعب (١٤٥ - ١٦٩ هـ)^(٣) - من أحفاد عبد العزيز - نموذج كامل لأمويي ذلك العصر. وأغلب الظن أن الأمويين كانوا في تلك المرحلة من حياتهم بمصر قد دنوا كبيرا من عامة المصريين، فما كان لهم أن يقودوا تلك الحركات الثورية العنيفة بدون سند شعبي ضخم.

لعل لنا الحق بعد هذا كله في أن نحكم بأن الأمويين الذين عاشت أعداد كبيرة منهم بمصر طوال أكثر من قرن، والذين تحكموا في مصائرهم كل ذلك الزمن يعدون من أهم العناصر العربية بها.

(ن) بنو هاشم:

هم بنو هاشم بن عبد مناف، وكل علوي وعباسي فهو هاشمي^(٤). وكان بنو هاشم بمصر أقساما هي: العلويون، والجعافرة، والعباسيون. وتدل شواهد

(١) الولاة ص ٤٩-٥٨ والنجوم ج ١ ص ١٧١-١٧٨.

(٢) الولاة ص ٩٤-١٠٠.

(٣) المصدر نفسه ص ١١٢، ١٣٤ و ١٢٦ و ١٢٨-١٣٠ والمقريري ج ١ ص ٣٠٨ والنجوم ج ٢ ص ٤٩

و ٥٧ و ٦٠ و ٦١.

(٤) الأنساب ٥٨٧ هـ.

١ - العلويون:

(أ) الحسنيون:

.Rép. Chro. I, pp. 52, 99 (1)

. 137 & II, pp. 21, 90, 249-250 & Ara. Pap. III. P. 93 -

(٢) معجم البلدان ج ٧ ص ١٣٩ .

(٣) الولاية ص ١١١ و ١١٥ ، ومعجم البلدان ج ٦ ص ٦٦ ، ٦٧ والنجوم ج ٢ ص ١-٣ .

(٤) الولاية ص ١٣١ والنجوم ج ١ ص ٥٩ و ج ٢ ص ٤٠-٤١.

(٥) وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٢٢٣-٢٢٤ والخط ج ٤ ص ٣١٣-٣١٦ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨.

(٦) الولاية: ص ٢١٣-٢١٤.

(٧) المصدر نفسه: ص ٢١١.

بين الإسكندرية وبرقة، وانتقل بثورته إلى الصعيد حيث قتل في نفس العام^(١). وفي سنة ٢٧٠هـ - في عهد الطولونيين - نجد علي بن الحسن بن طباطبا نقيباً للطالبيين بمصر^(٢).

أما شواهد القبور فتؤيد وجود هؤلاء الحسينيين بمصر في القرن الثالث^(٣).
(ب) الحسينيون:

يعد أولهم ظهوراً بمصر زيد بن علي الإمام الذي تنسب إليه الزيدية من طوائف الشيعة. وقد بعث الأمويون برأسه إلى مصر سنة ١٢٢هـ، فسرقة أهل مصر ودفنوه وبنوا عليه مشهداً^(٤). ومع أن علياً الرضى (ت ٢٠٣هـ) لم يأت إلى مصر فإن توليته عهد المأمون أحدث فتنة كبيرة (٢٠٢-٢٠٣هـ)^(٥). وكان إسحق المؤمن بن جعفر الصادق، زوج السيدة نفيسة التي ذكرت في بني الحسن، من أهل الصلاح والفضل والخير والدين بمصر. وكان له بها عقب منهم بنو الرقي^(٦). وفي سنة ٢٤٨هـ كشف أمر ابن الخزري العلوي الذي كان يمارس الدعوة في الخفاء بمصر، فقبض عليه وأرسل هو وجمع من آل أبي طالب إلى العراق^(٧). وانضم ابن الأرقط العلوي إلى جابر المدلجي في ثورته (٢٥٢-٢٥٣هـ)^(٨). وهناك أخيراً السيدة أم كلثوم بنت القاسم، كانت من الزاهدات العابدات، ومشهداً بمقابر قریش بمصر بجوار الخندق^(٩).

وعلى شواهد القبور نجد طائفة من أسماء بني الحسين الذين توفوا بمصر حوالي منتصف القرن الثالث^(١٠).

(١) المصدر نفسه: ص ٢١٢.

(٢) القضاة ص ٥٠٩، ٥١٣.

(٣) Rép. Chro. I, p. 128 & II, p. 205.

(٤) الولاة ص ٨١ والخطط ج ٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٣.

(٥) الولاة: ص ١٦٧-١٧٠ والنجوم ج ٢ ص ١٧٤.

(٦) الخطط: ج ٤ ص ٣١٤-٣١٥.

(٧) الولاة ص ٢٠٣-٢٠٤ والخطط ج ٤ ص ١٥٣-١٥٤.

(٨) الولاة: ٢٠٦-٢٠٨.

(٩) الخطط ج ٤ ص ٣١٦.

(١٠) Rép. Chro. II, pp. 35, 63, 175, 187, 188, 189.

منهم، ومع ذلك فسنة وفاتها هي ٢٨٢هـ^(١). والعباس بن أحمد القماح (ت ٣٦٣هـ)، محدث راوية من أهل مصر، يكتفي السمعاني^(٢). بأن يذكر أنه مولى الجعافرة مما يدل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مألوفين في مصر.

نستطيع أن نخرج من هذا بأن الجعافرة عاشوا في مصر منذ القرن الثالث على الأقل، وأنهم هاجروا إلى الأشمونين في هجرة قريش الكبرى إلى تلك المنطقة.

يبقى بعد ذلك القسم الأخير من الهاشميين، وهم:

٣- العباسيون:

في وقت مبكر جدا، وفي خلافة عثمان (٢٣-٣٥هـ)، دخل مصر عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨هـ بالطائف)^(٣). جد السفاح أول خلفاء الدولة العباسية. ويبدو أنه أقام بمصر زمنا فقد روى أهلها عنه أحاديث^(٤). وبعده ظل بنو العباس لا يدخلون مصر حتى كان سبقوط الدولة الأموية وقيام دولتهم، هذه العملية التي اختتمت في صعيد مصر ١٣٢هـ. ومنذ ذلك الحين حتى حوالي منتصف القرن الثالث يتتابع على مسرح الحياة في مصر عدد كبير من العباسيين يقيمون بها إقامة تطول حيناً وتقصّر في أغلب الأحيان، ولكنها تنتهي في كل الأحوال بخروجهم من مصر. هؤلاء هم الأمراء من بني العباس الذين حكموا مصر، وكانوا في حكمهم بعيدين عن المصريين، بل كان منهم من يظل يؤجل حضوره إلى مقر حكمه مستخلفاً من ينوب عنه، بل كان منهم من حكم مصر دون أن يدخلها مطلقاً (عبد الملك بن صالح بن علي سنة ١٧٨هـ)^(٥).

ولئن كان العباسيون قد أثروا في مصائر الأمور في مصر بما هم سادة حاكمون، فإنهم قد أثروا فيها كذلك من الناحية التي نعني بها في البحث: ناحية

(١) Rép. Chro. II, p. 262-263

(٢) الأنساب ص ٤٦٠ ب.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠.

(٥) الولاة ص ١٣٦-١٣٧ والنجوم ج ٢ ص ٩٠-٩١.

الجنس والدم. من ذلك ما أتاه صالح بن علي -فاتح مصر وأول والٍ عباسي بها- من إلحاق ألفي مقاتل بأهلها^(١).

ومن موالي العباسيين لدينا ثلاثة ولاؤهم لأبي جعفر المنصور بالذات، كان أولهم (مطر: ١٥٧-١٥٩هـ) على خراج مصر^(٢)، في حين كان الثاني والثالث (واضح المنصوري: ١٦٢-١٦٩هـ)^(٣)، و(الحسين بن جميل: ١٩٠-١٩٢هـ)^(٤)، أميرين على مصر صلاتها وخراجها.

وبذلك تنتهي من الحديث عن قریش وقبائلها، فنواصل الحديث عن قبائل كنانة.

مدلج:

بطن من كنانة فيهم القيافة، ومنهم سراقه بن مالك الذي طارد النبي ﷺ حين هاجر^(٥). وهم من قبائل الفتح، فقد اختط بنو معاذ - منهم - دارين بمصر^(٦)، وكانوا مع عمرو بن العاص في غزوة طرابلس سنة ٢٣هـ^(٧). ولم تطل إقامتهم بالفسطاط فالظاهر أنهم كانوا يترددون على خربتنا - وهي خربتنا الحالية مركز كوم حمادة محافظة البحيرة^(٨) - للارتباع، ثم لم يلبثوا أن أقاموا بها فاتخذوها منزلاً لهم وذبحان حلفاءهم الحميريون^(٩). وكانت إقامتهم تلك مخالفة صريحة للأسس التي وضعها عمر بن الخطاب لإقامة العرب في بلاد الفتوح. ولكن الولاة اضطروا إزاء قوتهم ونزعتهم إلى التمرد إلى التغاضي عنهم. بل إن أحدهم، وهو قيس بن سعد الأنصاري (٣٧هـ) صارح محمد بن أبي بكر خليفته

(١) الولاة ص ١٠٣.

(٢) الطبري ج ٦ ص ٣٠٢، ٣٥٦ وابن دقماق ج ٤ ص ٥١.

(٣) الولاة ص ١٢١ والنجوم ج ٢ ص ٤٠-٤١.

(٤) الولاة ص ١٤٢-١٤٤ والنجوم ج ٢ ص ١٣٤.

(٥) نسب عدنان ص ٥، والعقد ج ٢ ص ٢١٩، ونهاية الأرب ص ٣٣٥.

(٦) فتوح مصر ص ١١٥.

(٧) المصدر نفسه: ص ١٧١.

(٨) الدليل الجغرافي ص ٢٤٤.

(٩) فتوح مصر ص ١٤٢.

على حكم مصر، (٣٧-٣٨هـ)، بتجنبهم اتقاء لشهرهم^(١). ومن مظاهر قوتهم أن نزل عليهم في خربتا شعبة عثمان من أهل مصر الذين غضبوا لقتل عثمان وطالبوا بثأره. ووسط هؤلاء الثوار بنو مدلج بينهم وبين أمير مصر قيس بن سعد^(٢) ولكن خربتا لم تكن أكثر من نقطة ارتكاز اتجهوا منها نحو الغرب. فعلى الطريق من مصر إلى المغرب منازل لبني مدلج في البرية بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل^(٣). وفي أداني قرى كورتى لوبية ومراقبة قوم منهم يعيشون مع سكانها الأصليين البربر^(٤)، وفي الرمادة في عمل لوبية وهي أول منازل البربر، قوم منهم كذلك^(٥). كما أقاموا في وادي هيب - بالجانب الغربي من مصر، فيما بين مريوط والفيوم^(٦) - حيث عملوا خفراء لدياراته الكثيرة^(٧). ومع هذا فقد أقام جانب ضخم منهم بالإسكندرية حيث نقابلهم منذ أخريات القرن الثاني حتى منتصف الثالث يقومون بأعنف الثورات^(٨).

وبالرغم من الطابع الثوري العنيف الذي يسم حياة بني مدلج بمصر نجد منهم شخصيات سلمية مثل الخيار بن خالد (ت ١١٥هـ) قاضي مصر، كان رجلاً صالحاً محموداً جميل المذهب^(٩). ويعمر بن أبي خالد الذي روى عنه الليث بن سعد^(١٠).

(١) الولاة ص ٢٧.

(٢) الولاة ص ٢٠، ٢١، ٢٧ والنجوم ج ١ ص ٦٨.

(٣) كتاب البلدان ص ١٢٨، ١٣١.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) خطط المقرئ (بولاق) ج ١ ص ١٨٦.

(٧) سير الأبناء البطارقة - مجلد أول ص ٥٦٨.

(٨) الولاة ص ١٥٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٠، ١٩١، ٢٠٥-٢١٠ و ٢١٢ وسير البطارقة مجلد أول ص ٥٤٤ و ٥٦٥.

(٩) فتوح مصر ص ٢٤٠ والقضاة ٣٤٣ والأنساب ٥١٥ أ، ب.

(١٠) الأنساب ص ٥١٥ ب.

وسجل الرسول ثناءه عليها في حديثه: «غفار غفر الله لها»^(١). ويبدو أنها كانت جديرة بهذا الثناء فإنها اعترفت بالخليفة أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ، وحاربت في صفه ضد القبائل النائرة^(٢).

وكانت غفار من قبائل الفتح. وقد اختطت بالفسطاط حول عمرو والمسجد مع قريش والأنصار وأسلم وجُهينة، وغيرهم من أهل الراية^(٣). وكانت خطتهم في الزقاق الذي عُرِف فيما بعد بزقاق ابن بلادة^(٤). وكونهم من أهل الراية دليلاً على قلتهم. وكانوا يتجهون دائماً نحو الشمال الشرقي، فكان لهم مرتب مع ليث في أترِب كما سبق^(٥). وكذلك كانوا يرتبعون هم وأسلم مع قبائل أخرى من جذام في كل من كورة بسطة التي كانت تشغل جزءاً من مركز الزقازيق الحالي^(٦)، وكورة فريبط وهي مركز كفر صقر حالياً^(٧)، وكورة طرايبة التي كانت تشغل مركز فاقوس الحالي ووادي الطميلات^(٨).

ومن الغريب أن الذين ظهروا بمصر من بني غفار كلهم من الصحابة من جهة ومن عصر الفتح، بل من وقت الفتح ذاته، من جهة ثانية. وقد اختلطوا جميعا بمصر، وحدثوا بها، وسكنوها ما عدا أباذر (٣٢هـ بالريذة)^(٩)، وهيب بن مغفل الذي ينسب إليه وادي هيب لأنه اعتزل به في فتنة عثمان وظل فيه حتى توفي^(١٠).

ومن مواليتهم جبر بن عبد الله القبطي (ت ٦٢هـ) رسول المقوقس إلى النبي ﷺ. وهو الذي تفخر القبط بسببه بأن منهم من صحب النبي ﷺ (١١).

(١) البخاري ج ٥ ص ١٧ - فتوح مصر ص ١٣٨ والأنساب ص ٤١٠ ب.

. Eney. Isl. II, p. 159 (r)

(۳) فتوح مصر ص ۹۸.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ١٥ .

(٥) فتوح مصر ص ١٤٢ و ص ٩٥ من هذا البحث.

(٦) فتوح مصر ص ١٤٢ و .Toussoun, p. 17.

(٧) فتوح مصر ص ١٤٢ و Toussoun, p. 23.

(٨) فتوح مصر ص ١٤٢ و Toussoun, p. 14.

(۹) فتوح مصر: ۲۸۶ وحسن ج ۱ ص ۱۰۱.

(۱۰) فتوح مصر: ۹۴ والخط ج ۱ ص ۱۸۶ وحسن ج ۱ ص ۱۰۰.

(۱۱) فتوح مصر: ص ۱۰۹ وحسن ج ۳ ص ۷۹-۸۰.

إن اختفاء غفار المبكر شاهد إما على انقراضهم وإما على انعدام التفوق فيهم. ومن المحتمل أنهم هم بنو ضمرة الذين يذكر القضاعي في خططه أن منهم أناسا ببلاد قريش يعني بلاد الأشمونين^(١).

وبذلك ننتهي من قبائل كنانة لنواصل الحديث عن قبائل مدركة:

أسد:

ليس لدينا مطلقا ما يتصل بحضورهم إلى مصر وقت الفتح أبو بعده. وكل ما لدينا هو اسم اثنين من أسد توفيا بمصر في الربع الأول من القرن الثالث^(٢). ولسنا نستبعد أن يكونا من بني أسد بن عبد العزى الذين مروا في قريش.

القارة:

اشتهروا بأنهم أمهر العرب جميعا في الرماية^(٣). وكانوا حلفاء بني زهرة^(٤). وليس لهم ذكر في أخبار الفتح أو ما بعده. ولعلمهم لم يذكروا لأنهم لم يكونوا قبيلة قائمة بذاتها، وإنما كانوا حلفاء لغيرهم.

وأول من نقابله منهم بمصر في كل حال هو يعقوب بن عبد الرحمن المحدث (ت ١٨١هـ)، سكن الإسكندرية وتوفي بها، ولكنه ليس مصريا أصلا^(٥). أما إبراهيم بن إسحق قاضي مصر (٢٠٤-٢٠٥هـ) الذي استقال احتجاجا على تدخل والي مصر في عمله^(٦)، فيبدو أنه مصري. وربما كان يحيى بن جابر، قاضي رشيد وأحد المحدثين الذين خرجوا منها^(٧) دليلا على إقامة بني القارة أو بعضهم في تلك المدينة.

فرغنا الآن من بني مدركة الذين يمثلون القسم الأول من خندف. وننتقل إلى

القسم الثاني.

(١) نهاية الأرب ص ٢٦٢.

(٢) Rép. Chro. I. pp. 144, 151.

(٣) العقد: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٤) النجوم ج ١ ص ٨٧.

(٥) الأنساب ص ٤٣٧ ب.

(٦) القضاة ص ٤٢٧.

(٧) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٢.

٢- بنو طابخة

جاء إلى مصر من بني طابخة القبائل الآتية:

تیس:

يبدأ ظهور هذه القبيلة بمصر مع قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ولعلها دخلت مع جيوش العباسيين التي فتحت مصر وقضت على آخر الخلفاء الأمويين بها، فإن أول من قدم من قواد العباسيين (شعبة بن عثمان ت ١٣٣هـ) من بني تميم^(١). وربما كان تولي اثنين من تميم (موسى بن كعب سنة ١٤١هـ)^(٢)، وسالم ابن سواده (سنة ١٦٤هـ)^(٣) حكم مصر فرصة متاحة لدخول آخرين من بني تميم.

والهذيل بن مسلم الفقيه (ت ١٨٩هـ) الذي سكن مصر وملك فيها دارا باسمه^(٤)، شاهد على إقامة بني تميم بمصر في القرن الثاني. أما القرن الثالث ففي شواهد القبور^(٥) دليل على أنه - أو نصفه الأول على الأقل - كان حافلا بالتميمين الذين عاشوا في مصر وماتوا بها.

نستطيع أن نظمئن إلى أن قبيلة تميم أقامت إقامة فعلية في مصر حيث تمتعت بمركز قوي استمدته من أبنائها الذين ولوا الحكم فيها، بل إن من مواليتها (موسى ابن رريق سنة ١٦٢هـ)^(٦). من كبار الموظفين.

مزينة:

هم الذين منهم زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور^(٧). ومن القبائل التي ذكر الرسول ﷺ أنهم مواليه^(٨). وكانوا من قبائل الفتح، إلا أنهم كانوا قلة، فهم

(١) الولاية ص ٩٩ والنجوم ج ١ ص ٣٠٢.

(٢) الولاية ص ١٠٦-١٠٨ والنجوم ج ١ ص ٣٤٢-٣٤٥.

(٣) الولاية ص ١٢٣ والنجوم ج ٢ ص ٤٧.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ٨.

.Rép. Chro. I, pp. 106, 110-111, 153, 247-248, 260 & II, pp. 96-97 (o)

(٦) الولاية ص ١٢١.

(٧) العقد ج ٢ ص ٢٢١.

(۸) البخاری ج ۵ ص ۱۴.

من أهل الراية^(١). وفي العصر الأموي نقابل منها بشير بن النضر قاضي مصر (٦٨-٦٩)^(٢). ولا يظهر من مؤينة بعد ذلك أحد حتى يكون القرن الثالث فيتألق الإمام أبو إبراهيم المزني (١٧٥-٢٦٤هـ) الفقيه الشافعي العظيم^(٣).

وهكذا نفرغ من بني طابخة، فنفرغ من خندف جميعا أي من القسم الأول من قبائل مضر، ويبقى أمامنا القسم الثاني منها:

ثانيا: قيس عيلان

تتضمن قيس على ثلاثة أقسام كبيرة: سعد، وجديلة، وخضفة. وستكلم عن كل قسم وما يضم من قبائل بعد أن نتحدث عن قيس القبيلة العامة.

قيس:

خضعت هذه القبائل في الجاهلية لإمبراطورية كِنْدَةَ قصيرة العمر، مثلها في ذلك مثل قبائل وسط شبه الجزيرة، ولما ظهر النبي ﷺ عادت أول الأمر عداء تاما، ولكنها كانت عندما مات قد خضعت لشريعة الإسلام. إلا أن معظمها عاد فانضم انضماما صريحا أو ضمنيا إلى حركة الردة التي فشت في جزيرة العرب جميعها. ولكنهم عادوا مسلمين طيبين منذ أن هزمهم خالد بن الوليد، واشتركت جماعات منهم في المعارك ضد الفُرس. وفي موقعة الجمل وفي صفين حاربوا إلى جانب علي^(٤).

كتب عبيد الله بن الجحباب صاحب خراج مصر (١٠٣-١١٦هـ) إلى الخليفة هشام أن ليس في مصر من قيس سوى قليل من بنى جديلة وهم: فهم وعدوان. وتناقل المؤرخون^(٥) هذا الزعم ما عدا ابن عبد الحكم^(٦). الذي نفى

(١) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٢) القضاة ص ٣١٣-٣١٤ والانتصار ج ٤ ص ٣٩.

(٣) القضاة ص ٤٦١ و ٥٠٨ و ٥١١ و ٦٧١، وحسن ج ١ ص ١٢٣، وطبقات الشافعية ج ١ ص ٢٣٨

٢٤١

Ency. Isl. II, pp. 654-655 (ε)

(٥) الولاية ص ٧٦ والبيان ص ٥٠.

(٦) فتوح مصر ص ١٤٣

الخلافة. ومنذ ذلك الوقت بدأت هجرة قيس الكبرى إلى مصر، فما زالوا ينتقلون إليها ويتكاثرون بها حتى بلغوا في حوالي نصف القرن (١٠٩-١٥٤هـ) خمسة آلاف نسمة، فقد قدم منهم أول الأمر سنة ١٠٩هـ أربعمئة أهل بيت لم يلبثوا أن بلغوا في سنة ١٢٥هـ - سنة موت هشام - ألفا وخمسمئة. وكان تولى الأمير القيسي؛ الحوثر بن سهل الباهلي (١٢٨-١٣١هـ) فرصة جديدة لتدقيق القيسية حتى أنهم تضاعفوا في هذه الفترة القصيرة فأصبحوا وقت موت مروان الحمار (١٣٢هـ) ثلاثة آلاف. ولم يتوقف نموهم عند هذا الحد، فإنهم قد «توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم» فإذا بهم بعد حوالي جيل - في ولاية محمد بن سعيد صاحب خراج مصر ما بين ١٤٢ و ١٥٢هـ - قد قاربوا الضعف من جديد، فكانوا صغيرهم وكبيرهم وكل من جمعت الدار منهم خمسة آلاف^(١). وليس لنا أن نشك في معدل الزيادة هذا إذا وضعنا في اعتبارنا نظرية مالتوس التي تقول بزيادة عدد السكان وفق متوالية هندسية: ٢: ٤: ٦: ٨... إلخ مرة كل ٢٥ سنة^(٢)، وإذا راعينا كذلك العلاقة الطردية بين زيادة السكان وبين ارتفاع مستوى المعيشة وهو ما حدث لهذه القبائل بما هيأ لهم ابن الحبحاب من الرخاء والانتعاش الاقتصادي عندما أمرهم باشتراء الخيول والإبل التي سهل عليهم تربيتها لجودة مرعاهم، ثم استغلوها في حمل الطعام إلى القلزم (السويس حالياً)^(٣) «فكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل»^(٤) ولا شك في أنه كان لهذه الخيول أثرها في الدور الخطير الذي لم تلبث قيس أن لعبته في حياة مصر سياسياً وحربياً. فالواقع أن هجرة قيس تلك إلى مصر وإقامتها بمنطقة الخوف كانت بداية مرحلة جديدة من مراحل حياتها هناك غلب عليها طابع العنف على نحو ما سنرى.

(١) مراحل هذه الهجرة المذكورة في الولاة ص ٧٦-٧٧ والبيان ص ٥١.

(٢) مصطفى كمال فريد: أصول المذاهب الاقتصادية ص ٨٢ وصلاح العبد: مبادئ علم الاجتماع

ص ٣٦.

(٣) Amé. p. 227.

(٤) الولاة ص ٧٧ والبيان ص ٥١.

ولكن هذا الولاء للعباسيين لم يكن أطول أجلا من الولاء للأمويين، فإن
فيسا قد تحالفت مع القبائل اليمنية الموجودة بالحدوف، فاختلف تاريخهم منذ ذلك
الوقت، وأصبح لهم اسم واحد، يجمعهم هو أهل الحدوف، وكونوا بتحالفهم
ذلك قوة هائلة قاومت الدولة مقاومة عنيفة في عدد كبير من المعارك الميرة التي
نشبت لأسباب تعود في معظمها إلى سوء معاملة الولاة وجشعهم في أخذ
الخراج وخيانة الموظفين. وهذا يبدو واضحا عند النظر في ثورات أهل الحدوف
في الأعوام ١٦٨^(٥)، ١٧٢-١٧٣^(٦)، ١٧٨^(٧)، ١٧٩-١٨٠^(٨)، ١٨٦^(٩)،

(٩) الولاية ص ١٤٠ والنجوم ج ٢ ص ١١٤.

١٩٠^(١)، ١٩٤^(٢)، ١٩٨ - ١٠٩^(٣)، ٢١٤^(٤)، ٢١٥^(٥)، ٢١٦ - ٢١٧^(٦)،
٢٥٣^(٧).

ولا عجب في هذا فقد كانوا باعتمادهم على الزراعة واهتمامهم بها يمثلون مصلحة طبقة المزارعين في مصر. بل لقد انتهى بهم الأمر إلى أن اشتركوا مع القبط في ثورة أسفل الأرض (٢١٦-٢١٧)^(٨) التي كانت ثورة المصريين بعامة، بل الفلاحين بالذات، على أنهم لم ينسوا عروبتهن وظلوا يمثلون مصالح الطبقة العربية؛ ولذلك وقفوا إلى جانب الأمين ضد المأمون في الصراع الذي دار بينهما، وكانت مصر مسرحاً لفصول منه طوال المدة من ١٩٦ إلى ١٩٨^(٩).

وكانت الدولة تقابل ثورات أهل الحوف بكل ما تملك من قوة وقسوة وحين كان الجيش المحلي - أهل الديوان - يعجز عن قهرهم كان الخليفة يضطر إلى إرسال جيش من عاصمته^(١٠). بل لقد اضطر المعتصم - وهو أمير بعد - إلى مقاتلتهم بنفسه في جيش هائل من أتراكه^(١١). ولقد لقيت الدولة عنتاً شديداً في إخضاعهم لغلبة البداوة عليهم وكثرتهم العديدة وثرانهم، فلم يكونوا يهزمون إلا ليعادوا التمرد من جديد. وكان انتصار الدولة عليهم يقابل بالتهليل من الشعراء باعتباره من الأمور الجديرة بالتمجيد والتسجيل^(١٢).

على أن أعجب ما في تاريخ أهل الحوف كله هو شهادتهم لأهل الحرس القبط بأنهم عرب. على أن الذي يبدو من ملابسات هذه القضية التي شغلت

(١) الولاة ص ١٤٣ والنجوم ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) الولاة ص ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٣-١٥٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٥-١٨٨ والنجوم ج ٢ ص ٢٠٥، ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) النجوم ج ٢ ص ٢١٢.

(٦) الولاة ص ١٩١ والنجوم ج ٢ ص ٢١٥-٢١٦.

(٧) الولاة ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٨) المصدر نفسه ص ١٩٠-١٩٢ والنجوم ج ٢ ص ٢١٥-٢١٦.

(٩) الولاة ص ١٤٩-١٥١.

(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧.

(١١) المصدر نفسه ص ١٨٨-١٨٩ والنجوم ج ٢ ص ٢٠٨-٢٠٩.

(١٢) الولاة ص ١٤٥.

الرأي العام في مصر زمننا طويلا (١٨٥-١٩٤هـ)^(١) أن اليمانية وقُضاة منهم بالذات، هم الذين وقفوا إلى جانب أهل الحرس لا القيسية، فقد كان من شهودهم حوى بن حوى العذري (ت ٢٠٠هـ) أحد أشرف مصر^(٢). هذا إلى أننا نستطيع اعتبار موقف الشاعر طاهر القيسي العدائي من هذه القضية صدى لموقف القبيلة كلها^(٣).

ولعله من الطريف أن كان من موالي هذه القبيلة أحد كبار الموظفين الذين ولوا أمر الخراج بالذات (محمد بن زياد بن طبق القيسي ت ٢٢١هـ)^(٤).

وهكذا نرى أن قيسا التي سارت في القرن الأول في طريق المدنية عندما عاشت في الفسطاط، لم تستطع أن تتخلص من بداوتها وعنفها وقسوتها لما أقامت في الخوف وبذلك كتب عليها أن يكون دورها على مسرح الحياة المصرية دورا دمويا هداما أكثر مما كان مدنيا سلميا بناءً.

نتحدث الآن عن القبائل القيسية في مصر متبعين ما أشرنا إليه من تفرع قيس إلى ثلاثة أقسام،

١- بنو سعد

وهم بنو سعد بن قيس عيلان.

عاش منهم بمصر القبائل الآتية:

باهلة:

كان العرب ينظرون باحتقار إلى هذه القبيلة، وأورد ابن خلكان طائفة من النوادر في السخرية منها^(٥). وجاءت باهلة إلى مصر في وقت متأخر ليس

(١) انظر تفاصيل هذه القضية المهمة في الكندي: الولاة ص ٣٩٧-٤٠٠.

(٢) القضاة ص ٣٩٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٤١٣، ٤١٥.

(٤) الولاة ص ١٤٧ والانتصار ج ٤ ص ٢٥.

(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٢-٥٤٣.

قبل ١٢٨هـ على أية حال وذلك عندما ولي أحد أفرادها (الحوثة بن سهيل) حكم مصر (١٢٨-١٣١هـ) فقد قال الكندي^(١)، وهو يسرد مراحل قدوم قيس مصر، أن قيسا مالت إلى الحوثة لما ولي مصر في زمن مروان بن محمد، فنتج عن هذا أن ارتفع عدد قيس إلى ثلاثة آلاف، بعد أن كانوا ألفا وخمسمائة، فكان هذه الدفعة الجديدة لم تكن لتقل عن ألف نسمة، وكون الحوثة باهليا يجعلنا نرجح أن تلك الدفعة كانت كلها أو معظمها من نفس قبيلته، لا سيما وأنه كان من أهل قنشرين والجيش الذي دخل مصر به لتأديب الثوار فيها كان قسم منه من أهل قنشرين^(٢).

ولسنا نعرف لباهلة دورا خاصا قامت به في مصر، ولكننا نجد أحد العمال بمصر منها (١٩٠-١٩٢هـ)^(٣)، وقد ظل الاحتقار القديم يلاحقها فوصف سعيد ابن عفير الشاعر المصري الباهليين بأنهم مأوى اللؤم من مضر^(٤). وتحفظ شواهد القبور اسم مولاة لرجل باهلي توفيت بالصعيد سنة ٢١٥هـ^(٥).

أشجع:

كانوا أهم عرب المدينة النبوية^(٦)، إذ كانوا يسكنون شمالها الشرقي^(٧). وقد اشتركت مع قيس في معادة النبي ﷺ أول الأمر، ولكنها وجدت المستصوب بعد غزوة الخندق (سنة ٦هـ) أن تعقد مع النبي ﷺ، من ناحية سياسية صرف، معاهدة تحالف، واشترك عدد منهم في فتح مكة (سنة ٩هـ) في صف النبي ﷺ^(٨).

وظلت أشجع محافظة على إيمانها، فكانت القبيلة الوحيدة من غطفان التي لم تشترك في الهجوم الذي قامت به القبائل البدوية على المدينة في حروب الردة^(٩).

(١) الولاة ص ٧٧ - انظر كذلك: البيان ص ٥١.

(٢) الولاة ص ٨٨.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٣.

(٥) Rép. Chro. I, p. 159.

(٦) نهاية الأرب ص ٣٧.

(٧) Ency. Isl. II, p. 655.

(٨) Ency. Isl. II, p. 566.

(٩) Ibid, I. p. 966.

واشتركت أشجع في فتح مصر، ولكنهم كانوا قلة فهم من أهل الراية^(١).
ومن المحتمل إن لم يحضر منهم إلى مصر سوى بطن واحد هو دهمان الذي
تنسب إليه عفيرة الأشجعية زوجة توبة بن عمر الحضرمي قاضي مصر (١١٥هـ -
١٢٠هـ)^(٢).

فzارة:

عاش أفراد هذه القبيلة - كلهم من كبار الموظفين - بمصر. فكان ابن يربوع
أول عربي ولي ديوان مصر بعد أن جعلت العربية لغته الرسمية سنة ٨٧هـ^(٣).
وحكم المغيرة بن عبيد الله مصر (١٣١-١٣٢هـ)، وجعل ابنه عبد الله
(ت ١٣٢هـ) على شرطه، واستخلف ابنه الثاني الوليد عند موته سنة ١٣٢هـ^(٤).
ولسنا نستطيع اعتبار هذه القبيلة مصرية، فابن يربوع من أهل حمص^(٥)،
والمغيرة وولده قدموا إلى مصر بحكم الوظيفة، ولم يكن لهم عصبية بها، بدليل
أن جند مصر فرضوا على الوليد موظفا معينا للشرطة^(٦).

عبس:

كانت من الجمرات الثلاث، أي القبائل التي لم تتحالف قط^(٧). وكانت
محترمة بالرغم من صغرها، ودخلت في منازعات، أشهرها حرب داحس، مع
عدد كبير من القبائل^(٨). وتزعم عبس أن كان فيها رجل موحد في زمن الإلحاد،
اسمه خالد بن سنان يقال فيه أنه كان نبيا^(٩). واشتركوا في حركة الردة بعد تردد
كثير^(١٠). وانتقل كثير منهم إلى المدائن، وإلى الكوفة حيث كان لهم مسجدهم

(١) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٢) القضاة ص ٣٤٢-٣٤٣ والأنساب ص ١٢٣٥.

(٣) الولاة ص ٥٩.

(٤) الولاة ص ٩٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٥٩.

(٦) المصدر نفسه ٩٣.

(٧) العقد ج ٢ ص ٢٢٣ و Ency. Isl. I. p. 73.

(٨) Ency. Isl. I. p. 37.

(٩) Ency. Isl. I. p. 73.

(١٠) Ency. Isl. I. p. 73.

الخاص في الحي الذي يسمى باسمهم^(١). وتحسنت أحوالهم في عهد المروانيين لأن عبد الملك بن مروان كانت زوجته ولادة منهم^(٢).

وشهدت عبس فتح مصر مع عمرو، وكانت من أهل الراية وكان لهم شأنهم شأن العرب الآخرين مكانهم الخاص بهم في الفسطاط^(٣). ويبدو أن كل من جاء منهم هم آل يسار بن ضنة^(٤).

وكانت عبس تترك الفسطاط إلى أتريب حيث تأخذ مرتبها^(٥). ولكننا نراهم منذ أواخر القرن الثاني في الحوف الشرقي^(٦). وقد اشتهروا بإقامتهم في بلبيس بالذات^(٧). حتى أن المتنبي (ت ٣٥٤هـ) نص على ذلك في مدحه إياهم^(٨). فمتى انتقلوا إلى هناك؟ لعلهم ذهبوا إلى هناك ليعيشوا مع قبائل قيس الأخرى التي هاجرت إلى تلك المنطقة في أوائل القرن الثاني كما سبق القول.

وأول من ظهر منهم بمصر كعب بن يسار (٢٠هـ) الذي أرغم على تولي القضاء وكان كثير البربر من الموالي. وهو حفيد خالد بن سنان^(٩). الذي مر ذكره. ودخل عمار بن ياسر (ت ٣٧هـ بصفين) مصر رسولا من عثمان في بداية الفتنة، ولكنه انضم إلى الثوار بها^(١٠). ولا شك في أن قرّة بن شريك، أمير مصر (٩٠-٩٦هـ)، هو أشهر العبسين فيها^(١١). وكان عثمان بن بلادة (ت ١٩٨هـ) أحد قواد أهل الحوف في المعركة ضد أهل الفسطاط في حركة خلع الأمين (١٩٦-١٩٨هـ)^(١٢).

(١) Ency. Isl. I. p. 73

(٢) Ency. Isl. I. p. 73

(٣) الانتصار ج ٤ ص ٣، و Ency. Isl. I. p. 73

(٤) فتوح مصر ص ٤٢

(٥) فتوح مصر ص ٤٢

(٦) الولاة ص ١٥٠-١٥٤ والانتصار ج ٤ ص ١٥

(٧) Ency. Isl. I. p. 37

(٨) معجم البلدان: ج ٢ ص ٢٦٢

(٩) القضاة ص ٣-٥

(١٠) حسن ج ١ ص ٩٣، ٣ والطبري ج ٣ ص ٣٧٩

(١١) فتوح مصر ص ١٣١ والولاة ص ٦٢-٦٥ والنجوم ج ١ ص ٢١٧-٢٢

(١٢) الولاة ص ١٥-١٥٤ والانتصار ج ٤ ص ١٥

والذي يلوح لنا هو أن دور عبس في مصر كان - كدور قيس بعامه - دورا ثوريا في معظمه.

٢- بنو جديلة

وهم بنو عمرو بن قيس نسبوا إلى أمهم «جديلة».

حضر إلى مصر منذ الفتح فرعاها كلاهما وهما: فهم، وعدوان^(١). وقد
وضحنا بطلان ما زعمه عبيدالله بن الحبحاب من أن جديلة كانت بفرعيها هذين
المثلة الوحيدة لقيس في مصر منذ الفتح حتى سنة ١٠٩هـ^(٢).

فهم:

شهدت الفتح واختطت بمصر^(٣). وكانت خطتها بالفسطاط في الحمراوات
الثلاث على ما يبدو من ظاهر كلام ابن دقماق^(٤). وكانت تأخذ مرتبتها في
أتريب وعين شمس ومنوف^(٥). وسرى أن قد جاء منهم إلى مصر بطون كثيرة،
وظهر منهم على مسرح الحياة المصرية طوال الفترة التي ندرسها شخصيات مهمة.
وقد أعجب قُرة بن شريك لحظة وصوله إلى مصر سنة ٩٠هـ بواحد من أفرادها
كان على الشرط، فمدحها بقوله:

ولن نجد الفهمي إلا محافظا
سأنتي على فهم ثناء يسرها
وهذه هي بطون فهم في مصر:

(١) الولاية ص ٧٦.

(٢) انظر ص ١٢١-١٢٢ من هذا البحث.

(٣) فتوح مصر ١١٣-١١٧ ونهاية الأرب ص ٣١٩.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ٥ .

(۵) فتوح مصر ص ۱۴۲.

(٦) فتوح مصر ص ٢٣٩ والولاة ص ٦٢-٦٣ مع ملاحظة أن هذين البيتين مكتوبان على أنهما سطور

(أ) بنو رفاعه:

هم في الواقع أسرة من بطن بني العجلان . وجدهم خالد بن ثابت الذي رفض أن يتولى المكس، وكان من وجوه شيعة عثمان سنة ٣٥هـ ثم من شيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ^(١). وقد تداول أفراد هذه الأسرة شرطة مصر وإمرتها حوالي ثلاثين عاما (٨٩-١١٩هـ) فكان منها عبد الأعلى بن خالد (٨٩-٩٠هـ)^(٢)، وعبد الملك بن رفاعه (٩٦-٩٩هـ)^(٣)، وأخوه الوليد (٩٦-١١٧هـ)^(٤)، وعبد الرحمن بن خالد (١٠٩-١١٩هـ)^(٥)، وغيرهم. وكان الليث ابن سعد الإمام الفقيه المحدث (٩٤-١٧٥هـ) من موالى هذه الأسرة^(٦).

(ب) بنو شبابة:

اخطوا بالفسطاط، وكان لهم المسجد الذي له المنارة^(٧).
وليس لدينا منهم سوى أحد موالىهم، هانيء بن المتوكل، كان فقيها، ونزل الإسكندرية^(٨).

(ج) بنو بليلة:

من موالىهم عبد الله بن محمد البيطارى (ت ٢٣١هـ)، محدث من أهل مصر^(٩).

(١) فتوح مصر ١١٢، ٢٣١ والولاة ص ١٥، ٤٢ وحسن ج ١ ص ٨٣.

(٢) الولاة ص ٦٠-٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٦٤-٦٧، ٧٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٦-٦٧، ٧٥-٧٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٧٦، ٧٩-٨٠ والنجوم ج ١ ص ٢٧٨ وحسن ج ١ ص ١١١.

(٦) الولاة ٨٩، ١٣٤ والقضاء ص ٣٦٥-٣٦٦، ٣٧٢-٣٧٣-٣٨٤ ومعجم البلدان ج ٧ ص ٥٨-٥٩

ووفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥٤-٥٥٥ ونهاية الأرب ٣١٩-٣٢٠ والنجوم ج ٢ ص ٨٢ وحسن ج ١ ص ١٢٠-١٢١ ومقدمة كست ص ٢٩-٣١.

(٧) فتوح مصر ص ١٢٠.

(٨) الأنساب ص ٣٢٨ ب.

(٩) المصدر نفسه ص ١٨٩، ١٨٩ ب.

(د) كنانة فهم:

لا نعلم عنها سوى أنها شرعت مع فهم إلى القنطرة^(١).

عدوان

كانت تتولى الإفاضة، أى الإشراف على سعي الحجيج بين عرفات والمزدلفة^(٢)، وسرعان ما نلاحظ قلة أهميتهم بالنسبة إلى إخوتهم بني فهم وكل ما بقي عنهم أنهم اختطوا بمصر^(٣)، وكانوا يرتبعون في بوضير^(٤)، والأرجح أنها بوضير بنا^(٥)، ولهم سويقة باسمهم بالفسطاط، وهي السويقة التي عند زقاق المكي^(٦).

٣- بنو خَصَفَة

جاء منهم إلى مصر القبائل الآتية:
بنو سُلَيْم:

قبيلة قوية نشيطة، كان في منطقتها - عالية نجد - بالحجاز سلسلة من الحُرَّات البركانية ومراكز التعدين والواحات. وكان لهم مركز ممتاز بين عرب الحجاز لسيطرتهم على الطريق إلى المدينة ونجد والخليج الفارسي، وغنى إقليمهم بالثروة المعدنية والزراعية^(٧).

(١) فتوح مصر ص ١١٦، ١١٨.

(٢) Ency. Isl. II, p. 655.

(٣) فتوح مصر ص ١١٨.

(٤) فتوح مصر ص ١٤١.

(٥) Amé. p. 9.

(٦) فتوح مصر ص ١١٧.

(٧) Ency. Isl. IV, p. 518، والبيان ص ٥١ ونهاية الأرب ص ٢٤٣.

وتفرق بنو سُلَيْمٍ في البلاد، ونزلت جماعة كثيرة منهم حمص^(١). والذي يهمننا أن مائة أسرة منهم قدمت إلى مصر ونزلت بلبيس في هجرة قيس الكبرى إلى مصر سنة ١٠٩هـ^(٢).

ويبدو أن سُلَيْمًا حافظت على أسلوب حياتها في الجزيرة، فواصلت اشتغالها بالزراعة وتربية الخيل، وهو ما كانت تجيده هناك^(٣). قال الحمداني: فيهم الأبطال الأنجاد والخيال الجياد^(٤). بل إنها لم تستطع أن تنسى التعدين فهاجر قوم منهم قبل نهاية القرن الثالث قطعاً إلى منطقة العلاقي لاستخراج الذهب^(٥).

ولعل سُلَيْمًا كانت تفضل الاشتغال بالزراعة والتجارة على الاشتغال بالسياسة، إذ لم يظهر منهم على مسرح الحياة العامة سوى يزيد بن أسيد الذي يتفرد ابن خلكان بذكر أن المنصور ولاء مصر سنة ١٥٤هـ لما عقد لأميرها يزيد بن حاتم على إفريقية^(٦).

هوازن:

قبيلة كبيرة. كانوا متفرقين في نجد على حدود اليمن وشرقي الحجاز قرب مكة. كانت الطرف الآخر في حرب الفجار التي نشبت في التسعينيات من القرن السادس الميلادي بينها وبين قريش وقبائل أخرى من كنانة. هاجموا المسلمين في حنين سنة ٨هـ وانتصروا أول الأمر ثم هُزِمُوا هزيمة منكرة. ثاروا في حركة الردة ولكنهم عادوا فأسلموا^(٧).

قدم من أفنائها مائة أسرة إلى مصر سنة ١٠٩هـ، ونزلوا بلبيس^(٨) وليس لهم ذكر في الحياة العامة بمصر.

(١) الأنساب ص ٣٠٣.

(٢) الولاة ص ٧٧ والبيان ص ٥١.

(٣) Ency. Isl. IV, p. 518.

(٤) نهاية الأرب ص ٢٤٣.

(٥) كتاب البلدان ص ١٢٣.

(٦) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٢.

(٧) Ency. Isl. II, p. 293-294.

(٨) الولاة ص ٧٧ والبيان ص ٥١.

تَقْفِ:

بطن من هوازن. زعم بعض النسابين أنهم من بقايا ثمود^(١). كانت منازلهم بالطائف وربما قيل أنهم موالي لهوازن^(٢).

قدموا إلى مصر قبل مقدم هوازن بزمان كبير فقد كانوا في جيش الفتح واختطوا في ركن المسجد الشرقي^(٣). ولا شك في قلتهم فهم من أهل الراية^(٤). أول من ظهر منهم بمصر حبيب بن أوس، سيد ثقيف، وهو من شخصيات الفتح، وقد اختط بالفسطاط، وعليه نزل يوسف بن الحكم ومعه ابنه الحجاج عندما قدما إلى مصر مع مروان بن الحكم^(٥). ولا يظهر منهم بعد ذلك سوى زرة بن سهيل - من قراء الكوفة - الذي كشف غلطة في مصحف عبد العزيز بن مروان^(٦). وعبد الوهاب بن عبد المجيد (١١٠-١٩٤هـ) كان من المحدثين الثقات^(٧).

ومن مواليتهم راشد مولى حبيب سالف الذكر، كان من صغار التابعين
عصر (٨).

بنو نصر:

بطن من هوازن^(٩). قدم منهم مائة أسرة إلى مصر سنة ١٠٩هـ ونزلوا بليس مع بطون قيس الأخرى^(١٠).
لم يظهر منهم أحد بمصر.

(۱) ذهب رأي أن ثقيف من بني إيلاد بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) نهاية الأرب ص ١٦٨.

(۳) فتوح مصر ص ۱۰۸، ۱۰۹.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٥) فتوح مصر ص ٩٠ و الانتصار ج ٤ ص ٩.

(٦) القضاة هامش ص ٣١٥ والانتصار ج ٤ ص ٧٢.

(٧) الأنساب ص ١١٥ ب.

(٨) فتوح مصر ص ٢٥٢-٢٥٣ وحسن ج ١ ص ١٠٨.

(٩) نهاية الأرب ص ٣٤٧.

(١٠) الولاية ص ٧٦ والبيان ص ٥١

سُلُول:

بطن من هوازن، لم تحضر هذه القبيلة إلى مصر، ولكن عاش بها منهم أفراد ذوو أثر في الحياة المصرية. هؤلاء هم في الواقع أسرة عبيد الله بن الحجاب مولى سلول، صاحب خراج مصر (١٠٢-١١٦هـ)^(١). وكان لابن الحجاب نفوذ ضخم في شئون مصر اقتصاديا وسياسيا. وحسبه أنه هو الذي حصل من هشام على الإذن بهجرة قيس الكبرى سنة ١٠٩هـ إلى مصر، تلك الهجرة التي كان لها أعمق الأثر في مجرى الأمور بمصر من بعد. وهناك ابنه القاسم الذي ولي خراج مصر كذلك (١١٦-١٢٤هـ) والظاهر أنه كون ثروة طائلة مكنته من أن يبني قرية في الجزيرة^(٢).

ويبدو أن المصريين والوا هذه الأسرة عند إقامتها بمصر، فهناك سعيد بن سابق الرشيدي المحدث مولى عبيد الله بن الحجاب^(٣).

ولا شك في قدوم أفراد مختلفين من بني سلول إلى مصر منذ ذلك الحين فعلى شواهد القبور اسم اثنين منها توفيا بمصر في القرن الثالث^(٤).

بنو عامر بن صعصعة:

من مجموعة هوازن الكبرى، أسلمت عام الوفود. وظلوا محتفظين بالهدوء في الثورة العامة على أبي بكر. وفي معركة مرج راهط (٦٥هـ) قاتلوا مع ابن الزبير هم وقبائل قيسية أخرى^(٥).

كان أول قدومهم إلى مصر سنة ١٠٩هـ في الهجرة المعروفة^(٦). وواضح من أخبارهم أنه قد قدم منهم إلى مصر قبيلتان كبيرتان هما:

(١) الولاة ص ٧٤-٧٧ والقضاة ص ٣٤١-٣٤٢ والخطط ج ١ ص ٢٠٨.

(٢) الخطط ج ١ ص ٢٠٨.

(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٢.

(٤) Rép. Chro. I, p. 228 & II, p. 71.

(٥) Ency. Isl. I, pp. 329-339.

(٦) الولاة ص ٧٦-٧٧ والبيان ص ٥١.

(أ) بنو هلال:

ظهر منهم عبد الله بن حليس الذي قاد ثورات أهل الخوف ضد الدولة طوال سنة ٢١٤هـ^(١) وقد انتشروا في وقت متأخر في الصعيد^(٢).

(ب) بنو كعب:

كان منهم في مصر البطون التالية:

١- الحريش:

نزل أكثرهم البصرة ومنها تفرقوا إلى البلاد^(٣).

وأول من ظهر بمصر منهم أبو الجراح بشر بن أوس، رسول الحوثة بن سهيل إلى أهل مصر سنة ١٢٨هـ، وقد ولي مصر استخلافا سنة ١٣١هـ^(٤). وكان ربيعة بن قيس بن الزبير أظهر بني الحريش، بل كان أبرز قيس كلها، فقد كان طوال حركة الأمين (١٩٦-١٩٨هـ) رئيسها الذي قادها في خلال المعارك العنيفة الطويلة ضد أنصار المأمون^(٥).

ومن مواليتهم مبارك الأسود الذي اغتال سنة ٢١٤هـ عمير بن الوليد أمير مصر وهو يطارد أهل الخوف^(٦).

٢- عَقِيل:

يقال: البيت في قَشِير، والعدد في عَقِيل^(٧).

ظهر منهم بمصر مسلم بن بكار (١٧٧-١٧٨هـ) من كبار الموظفين^(٨). وعلى شواهد القبور اسم واحد منهم توفي بالفسطاط في ٢٤٦هـ^(٩).

(١) الولاة ص ١٨٥-١٨٩.

(٢) نهاية الأرب ص ٢٧٠ والبيان ص ٢٩.

(٣) الأنساب ص ١١٦٣.

(٤) الولاة ص ٨٨، ٩٢-٩٣ والخطط (بولاق) ج ١ ص ٣٠٣ والنجوم ج ١ ص ٣١٤.

(٥) الولاة ص ١٤٩-١٥٣.

(٦) المصدر نفسه ص ١٨٦.

(٧) نسب عدنان ص ١٤.

(٨) الولاة ص ١٣٦ والنجوم ج ٢ ص ٨٧.

(٩) Rép. Chro. II, p. 38.

٣- قُشَيْر:

لم يظهر منهم بمصر شخصيات عامة، ولكن تدل شواهد القبور على إقامتهم بمصر في أواسط القرن الثالث^(١).

٤- جَعْدَة:

ظهر منها بمصر عبد العزيز بن داود الشاعر^(٢)، وابنه أشهب (١٤٠-٢٠٤هـ) الفقيه المالكي العظيم^(٣).

٥- بنو البكاء:

ظهر منهم بمصر معاوية بن صرد (١٧٧-١٩٢هـ) من كبار الموظفين بها^(٤). وبالفراغ من قيس نفرغ من قبائل مُضَر التي تمثل القسم الأول الكبير من القبائل العدنانية، ويبقى أمامنا قبائل ربيعة التي تمثل القسم الثاني من عرب الشمال.

(١) Ibid. I. p. 304, 310 g, II, p. 22

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٨١-٨٢ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٩٧ والانتصار ج ٤ ص ٢٣.

(٣) القضاة ص ٣٩٥-٣٩٨، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٩٧-٩٨ والانتصار ج ٤ ص ٢٣ والسمعاني

ص ٣٧٨ ب وحسن ج ١ ص ١٢٢.

(٤) الولاة ص ١٢٦-١٣٨ و ١٤١-١٤٢

وتاريخ مصر خال تماما من شخصياتها.

بنو شيان:

نقابل منهم بمصر سنة (١٢٧-١٢٨هـ) عمرو بن يزيد الذي كان من رؤساء فتنة خلع مروان بن محمد ووجهها^(١). ولكننا لا نستطيع أن نجزم بمصريته ولا بوجود غيره من بني شيان في مصر حينذاك. ولكن في ٢٠٧هـ قدم إلى مصر وال جديد، هو خالد بن يزيد الشيباني، على رأس جيش من ربيعة وأفناء الناس ليأخذها من يد عبيد الله بن السرى. وفشل خالد في مهمته التي كلفه بها المأمون بل إنه أسر واستأمن معظم جيشه وخرج من مصر إلى مكة^(٢). ولكن يبدو أن جيشه استطاب المقام بمصر. بل لعل قبيلته بل أسرته الخاصة لم توافقه على ترك مصر. ذلك بأننا لا نلبث حتى نجد أحد بني شيان (عسامة بن الوزير) يقود مراكب عبد الله بن السرى الثائر ضد ابن طاهر (٢١٠-٢١١هـ)^(٣). وفي ثورة أسفل الأرض (٢١٦-٢١٧هـ) ذهب عبيد الله بن يزيد - أخو خالد سالف الذكر - إلى الإسكندرية لإخضاعها من قبل الأفشين^(٤). أما ابنه محمد فكان أميراً للإسكندرية ذاتها سنة ٢٥٢هـ^(٥).

لعل لنا الحق بعد هذا في أن نعد بني شيان من بطون ربيعة التي أقامت بمصر إقامة فعلية. ومن الطريف أنه ظهر منهم عدد من القواد حالفهم الهزيمة جميعا.

بنو حنيفة:

من أهل اليمامة. وكانوا يمثلون أغلبية سكان وادي العلاقي - وأغلبية ربيعة بالتالي - فقد انتقلوا إليه بالعيلات والذرية. وأقاموا هناك بأحد المراكز المهمة لاستخراج التبر^(٦).

(١) الولاية ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٤-١٧٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٠.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩١.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٠٥.

(٦) كتاب البلدان ص ١٢٣.

وليس لدينا أخبار عن شخصياتهم.

بنو غیر:

هم بطن من يشكر من ربيعة^(١).

ظهر منهم بمصر أحمد بن العباس (ت ٢٨٣هـ) وهو محدث فيما يبدو، وحمزة ابن أخيه (ت ٣٠٧هـ) سمع من يونس بن عبد الأعلى^(٢) أما الكروس الشاعر فلا نجزم بمصريته^(٣).

بنو یونس:

قدموا مع ربيعة من اليمامة في هجرتهم الكبرى أيام المتوكل وملكوا عيذاب وسكنوها. ثم جرى بينهم وبين ربيعة العلاقي حروب انهزموا فيها، فرضوا من الغنمة بالإياب، ومضوا إلى الحجاز من عيذاب^(٤).

خلاصة:

بذلك تنتهي من القبائل الشمالية جميعا. ونحب، قبل الانتقال إلى القبائل الجنوبية، أن نلقى نظرة خاطفة على حياة تلك القبائل الشمالية في مصر ككل.

قدم من تلك القبائل ثلاثون قبيلة يضم بعضها (قريش، فهم، عامر) كثيرا من البطون. وقد عاش معظم هذه القبائل في مصر منذ اللحظات الأولى للفتح محتفظا بوجوده بها في خلال القرن الثالث. وقد أقامت أول الأمر في الفسطاط ثم انتقلت شمالا وجنوبا سواء لرعي دوابها في فصل الربيع (الارتباع) أو للإقامة الدائمة. وتنحصر الجهات التي انتقلوا إليها في الدلتا في البلاد الآتية:

عين شمس، أتريب، منوف (محافظة القليوبية)، بلبيس، بسطة، فرييط،
طراية (محافظة الشرقية)، بنا وبوصير (محافظة الغربية) خربتا (محافظة البحيرة)،
الإسكندرية.

(١) نسب عدنان ص ١٧، والأنساب ص ١٤٠٦.

(٢) الأنساب ص ٦٠٤.

(٣) الانتساب مصر ١٤٠٦.

(٤) البيان ص ١٨ .

أما في الصعيد فقد انتقلوا إلى البلاد الآتية :

حلوان، وسيم، منف، سكر (محافظة الجيزة)، بويط، بوصير، أهناس (محافظة بني سويف)، طحا، طوخ الخيل (محافظة المنيا)، الأشمونين، تندة، دلجة (محافظة أسيوط). أخميم (محافظة سوهاج)، أسوان، العلاقي (محافظة أسوان).

وكان أثرهم واضحاً في الحياة المصرية بنواحيها المختلفة. فقد كان منهم معظم أمراء مصر وعدد كبير من كبار الموظفين (أصحاب الشرط، القضاة، القادة) الذين حكموها ودبروا أمورها. كما أن منهم أو من مواليتهم معظم الفقهاء الكبار الذين تركوا أعماق الآثار في المجتمع المصري فكرياً ودينياً واجتماعياً (الليث بن سعد الفهمي، أشهب العامري، عبد الله بن وهب، والإمام الشافعي، والبويطي القرشيون، المزني). بل كان منهم كثير من الثوار الذين تدخلوا في مصائر الأمور بها (ابن عبيدس الفهري، دحية بن مصعب الأموي، العلويون، أهل الخوف من قيس، جابر المدلجي).

ولم يكن مواليتهم أقل أثراً في الحياة المصرية وبخاصة من الناحية الفكرية (ذو النون مولى قريش، بنو الأشج موالى زهرة، موالى عثمان بن عفان، بنو عبدالحكم موالى عثمان كذلك).

ولا شك في أن سيطرة بني عدنان بمصر على المناصب العليا، وتقلدهم في أنحائها على نطاق واسع، وإقامتهم المبكرة بالكور المختلفة . . لا شك في أن هذه أمور ساعدت بني عدنان على أن يتركوا أثراً قوياً في الحياة المصرية.

القبائل القحطانية

تمهيد:

تنتسب القبائل العربية التي عاشت في النصف الجنوبي من شبه جزيرة العرب، والتي تتكون من العرب العاربة، أي الحقيقيين. إلى قحطان باعتباره جدها الأعلى. وكان ذلك القسم الجنوبي من الشعب العربي ينقسم بدوذه قسمين عظيمين هما: كهلان، وحمير. ثم يعود كل من هذين القسمين فينقسم أقساماً أخرى أصغر. وبتناول بالحديث هذه الأقسام جميعاً متبعين نفس النظام الذي اتبع عند الحديث عن أقسام عدنان فنرتبها ترتيباً تنازلياً.

ولكن من الضروري أن نتوقف قليلاً عند مجموعة من القبائل نستطيع اعتبارها قسماً ثالثاً مستقلاً من القبائل القحطانية، تلك هي القبائل المنسوبة إلى سبأ.

سبأ

من الحق أن كهلان، وحمير ابنا سبأ الذي تزعم الرواية أنه «رجل ولد عامة قبائل اليمن»^(١). ولكن الذي حدث هو أن حمير وكهلان تكاثرتا تكاثراً ضخماً، وتفرع عنهما قبائل كثيرة جداً تكون في مجموعها القبائل اليمنية، أي القسم الجنوبي من الشعب العربي، في حين انطوت سبأ على نفسها، ولم تصبح أكثر من عدد من القبائل أو الأسر في الأصح - إذ ليس لسائر بني سبأ قبائل يعرفون بها^(٢) - جمعها اسم ذلك الأب القديم.

(١) الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٢) نسب عدنان ص ١٨.

وكان نتيجة ذلك أن أصبح يقال لبني سبأ كلهم السبثيون إلا حمير، وكهلان. فإذا سألت الرجل: من أنت؟ فقال: سبثي، فليس بحمير ولا كهلان^(١).

وفي كل حال فقد شهد هؤلاء السبثيون فتح مصر، واختطوا شرقي جنب، وكان لهم مسجد بالفسطاط^(٢).

واشتهر منهم وقت الفتح أسميّع بن وعلة إذ كان أول من شد على باب حصن بابليون حتى اقتحمه واتبعه المسلمون فكان الفتح^(٣). ويبدو أن أسميّع أقام بمصر فقد ترك بها ثلاثة أولاد حدثوا بها وكان أولهم من أشرافها وهم: عبدالرحمن، وعلقمة، وشرحيل^(٤).

وعاش بمصر حتى القرن الثالث طائفة أخرى منهم كلهم من الرواة^(٥).

أما مواليتهم فكان منهم عبد الله بن يزيد بن خذامر قاضي مصر (١٠٠-١٠٥هـ)^(٦) والقاسم بن أبي القاسم صاحب الشرط (١٠٣-١٠٥هـ)^(٧).

من هذا نرى أن السبثيين كانوا قلة بمصر، وكانوا منصرفين إلى العلم والدين بها.

والآن نتفرغ للحديث عن القسمين الحقيقيين لقحطان: كهلان وحمير:

(١) العقد ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) فتوح مصر ص ١٢٦ و ١٢٧ والانتصار ج ٤ ص ٤.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٦ عن القضاي عن الكندي.

(٤) الأنساب ص ١٢٨٨.

(٥) الأنساب ص ١٢٨٨.

(٦) القضاة ص ٣٣٧، ٣٤٠.

(٧) الولاة ص ٧١.

.Ency. Isl. II, p. 984 (o)

الباهلي أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان (٨٥-٩٦هـ) والخليفة يزيد الثاني (١٠١-١٠٥هـ)^(١).

أما في مصر فالأزد يظهرون منذ الفتح. منهم عمرو بن حمالة؛ قائد قبائل «الليف» إلى الإسكندرية في فترة الفتح^(٢)، وشريك بن الطفيل الذي كان يزيد بن أبي حبيب فقيه مصر العظيم من موالي ابنته عائشة^(٣). ويبدو أنه كان للأرديين سمعة طيبة فقد كتب معاوية بن أبي سفيان إلى مسلمة بن مخلد وهو على مصر (٤٧-٦٢هـ): «لا تول عملك إلا أزدى أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة»^(٤).

ولما كان زياد بن أبيه يحكم البصرة (٤٥-٥٣هـ) اتهم قوما من الأزد بأنهم من الخوارج ونفاهم إلى مصر، فنزلوا في الفسطاط بموضع يقال له الظاهر.

فأمسوا بدار لا يفزع أهلها وجيرانهم فيها تحيب وغافق

على قول عمران بن حطان الشاعر الذي رحب بخروجهم^(٥). وأطلق المصريون عليهم اسم العراقيين لمجيئهم من العراق^(٦).

لما ولي مصر الحاكم الأزدي يزيد بن حاتم (١٤٤-١٥٢هـ) جاء معه عدد من الأزد من أهل خراسان منهم العلاء بن رزين القائد الذي اشترك في إخماد حركة العلويين بمصر (١٤٥هـ)^(٧)، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الذي عين حاكما لكورة سخا وثار عليه القبط هناك وقتلوه سنة ١٥٠هـ^(٨). واستمر آل عبد الجبار بمصر بعد مصرع عميدهم فكانوا وجوه آل خراسان بها. ووهب لهم إبراهيم بن صالح العباسي أمير مصر داره العظمى التي بناها، وذلك عند مغادرته مصر سنة

(١) Ency. Isl. I, p. 530

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٥.

(٥) معجم البلدان ج ٢ ص ٢١.

(٦) الانتصار ج ٤ ص ٣٤.

(٧) الولاة ص ١١٣.

(٨) المصدر نفسه ص ١١٦-١١٧.

١٦٧هـ^(١). وكان عبد العزيز بن عبد الجبار من القواد الذين أحمدا ثورة أهل نتونمي سنة ١٩٤هـ^(٢).

وقد لعب آل عبد الجبار بقيادة عبد العزيز هذا دورا مهما في سياسة مصر يدل على بعد نفوذهم، فقد تزعموا الجند في الثورة على السرى بن الحكم أمير مصر فخلعوه سنة ٢٠١ ولولوا غيره^(٣). وتزعموا العناصر العربية الأخرى واستجابوا لإبراهيم بن المهدي الذي دعا سنة ٢٠٢هـ إلى خلع المأمون وولي عهده علي بن موسى العلوي. ولكن أمير مصر هزمهم وظفر بعبد العزيز وجمع من أهل بيته وقتلهم جميعا^(٤).

وكان منهم كذلك محمد بن زهير الذي حكم مصر سنة ١٧٣هـ وأكثر من عزل أصحاب الشرط^(٥). وابن الأبرش الذي ادعى ملكية القطاس - خصم ابن أبي الليث قاضي مصر سنة ٢٢٨هـ - وباعه^(٦).

وتشهد شواهد القبور بإقامة أشخاص من الأزدي بمصر في القرنين الثاني والثالث^(٧).

أما موالي الأزدي فأهمهم يزيد بن أبي حبيب (٥٢-١٢٨هـ) فقيه مصر وشيخها ومفتيها، وأول من أوجد فيها طريقة ثابتة بين فيها أسس الحلال والحرام^(٨). ومنهم الربيع بن سليمان الجيزي (ت ٢٥٦هـ) الفقيه الشافعي^(٩)، وابنه محمد المؤلف (٢٣٩-٣٢٤هـ)^(١٠).

(١) المصدر نفسه ص ١٢٤ و ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٥.

(٤) الولاة ص ١٦٨.

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٣.

(٦) القضاء ص ٤٥٧.

(٧) Rép. Chro. I, pp. 64, 178, 249 & II, p. 201.

(٨) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩-١٢٠ ومقدمة كست ص ٣٤-٣٥.

(٩) طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٥٩.

(١٠) مقدمة كست ص ٢٠.

ونتحدث الآن بالتفصيل عن قبائل الأردن في مصر:

١- غسان:

نزلوا الشام، وكان منهم ملوكها^(١). وكان بعضهم من اللفيف أي من هؤلاء الأفراد من القبائل المختلفة الذي انضم بعضهم إلى بعض وتعاقدوا على اللحاق بعمر بن حمالة الأزدي لما بعثه عمرو إلى الإسكندرية^(٢).

ظهر منهم في الحياة العامة شخصيات قليلة هم: يزيد بن عبد العزيز صاحب شرطة (١٨١-١٨٢هـ)^(٣)، والغمر بن الحصين (ت ٢٠٦هـ) من ولد السمؤال بن عادي اليهودي، له دار في الفسطاط باسمه^(٤)، وإبراهيم بن الغمر من شخصيات القرن الثالث^(٥).

٢- الأنصار:

وهم قبائل الأوس والخزرج، كان لهم ملك يثرب، نزلوها عند قدومهم من اليمن^(٦). شهدوا الفتح، وكانوا من أهل الراية^(٧)، وكان منهم بشر كثير في غزوة إفريقية سنة ٣٤هـ بقيادة معاوية بن حديج^(٨).

نرى منهم بمصر محمد بن مسلمة الذي قاسم عمرا ماله بأمر من عمر^(٩)، وجبله بن عمرو من فقهاء الصحابة^(١٠)، وقيس بن سعد (ت ٥٩هـ بالمدينة) الذي حكم مصر سنة ٢٧هـ^(١١)، ومسلمة بن مخلد أمير مصر (٤٧ - ٦٢هـ)^(١٢).

(١) العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٤٥ الأنساب ص ٤٠٨ ب.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٣-٤.

(٣) الولاة ص ١٣٨.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ١٠.

(٥) القضاة ص ٤٥٤.

(٦) نهاية الأرب ص ٤٧ و ٨١.

(٧) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٨) فتوح مصر ص ١٩٣.

(٩) فتوح مصر ص ٩٣ و ١٤٦.

(١٠) حسن المحاضرة ج ١ ص ٨٠.

(١١) الولاة ص ٢٠-٢١ وحسن ج ١ ص ٩٥.

(١٢) فتوح مصر ص ١٠٠ والولاة ص ٣٧-٤٠.

وأم كلثوم زوجته عبد العزيز بن مروان من بعده^(١)، وابنته أم عبد الله^(٢). وكان محمد بن بشير ممن اختط بالفسطاط من الأنصار كذلك^(٣). ومن مشاهيرهم سعيد بن كثير بن عفير (١٤٦-٢٢٦هـ) الفقيه النسابة الأخباري الشاعر^(٤). ومنهم الحسن بن عبيد بن لوط الذي دفع حياته (١٩٩هـ) ثمنًا لاستبداده^(٥). وعبد الملك ابن محمد الحزمي (١٧٠-١٧٤هـ) قاضي مصر النزيه^(٦).

وتدل شواهد القبور على استمرار الأنصار بمصر في القرن الثالث^(٧).

أما موالى الأنصار فهم كثير، منهم الحرث بن يعقوب التابعي العابد^(٨). وأبو المهاجر دينار (ت ٦٣هـ) أول من أقام بإفريقية حين غزاها^(٩). ويمتاز مسلمة ابن مخلد بكثرة مواليه الذين كان منهم أبو منصور^(١٠)، والسمط^(١١)، وعثيم^(١٢)، وبنو منير الحمصي الذين ظهروا في القرن الثالث^(١٣). ومن مشاهير هؤلاء الموالى عمرو بن الحارث الفقيه (ت ١٤٨هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر^(١٤). ويبدو أن موالى الأنصار بعامة كانوا كثيرين بمصر، وقد اتخذ القاضي العمري (١٨٥-١٩٤هـ) الشهود منهم فهجاهم يحيى الخولاني ووصفهم بأنهم «المدنيون أصحاب البلع»^(١٥).

(١) الولاة ص ٥٤.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٦.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٣-١٢٤، ٢٣٨ ومقدمة كست ص ٢٥-٢٦.

(٥) الولاة ١٥٣-١٥٥.

(٦) القضاة ص ٣٨٣-٣٨٥.

(٧) Rép. Chro. I, pp. 123-155-156, 177, 205-206, 234-235.

(٨) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٨.

(٩) فتوح مصر ١٩٧-١٩٩.

(١٠) الانتصار ج ٤ ص ٦.

(١١) فتوح مصر ص ٩٨.

(١٢) القضاة ص ٤٧٤، ٥٠٣-٥٠٤.

(١٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٢ والأنساب ص ١٧٦ ب.

(١٤) الولاة ص ٨٤، ٨٩، ١٠٥ والقضاة ص ٣٥٧، ٣٥٩ والذهبي: تذكرة-١ ص ١٦٥. وابن

حجر: ت. التهذيب ١٤١: ٨ وابن تغري بردي: النجوم ١٠: ٢ والسيوطي: حسن ١: ١٢٠.

(١٥) القضاة ص ٣٩٦.

نرى من هذا أن الأنصار عاشوا في مصر طوال القرون الثلاثة الأولى . وكانوا ما بين أمراء وفقهاء . ولا شك في أنهم تمتعوا بمركز ممتاز . وكانوا محل الرعاية من أولي الأمر ، وقد أوصى بهم عمر وصيته المشهورة : « وأوصى الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم »^(١) . ولكن ذلك لم يعصمهم في كل حال من المصير الذي انتهى إليه العرب في مصر بعامه ، فقد منع الحارث بن مسكين قاضي مصر (٢٣٧-٢٤٥هـ) أن يدفع إليهم - هم وقريش - من طعمة رمضان شيئاً^(٢) .

٣- خُزاعة^(٣) :

انتقلت من الجنوب في هجرة الأزد الكبرى قبيل القرن الخامس الميلادي إلى الشمال حيث أقامت بالقرب من مكة ، ثم دارت معارك بينها وبين جرهم انتهت بزوال سيطرة جرهم من مكة وانتقال سُدانة الكعبة وحكم مكة إلى خُزاعة . وظل الأمر كذلك حتى اختلف قُصي - سيد قريش ورئيسهم - مع خُزاعة بسبب سُدانة الكعبة اختلافاً سالت فيه الدماء وانتهى بانتقال السُدانة وحكم مكة لقُصي والسماح لخُزاعة بالإقامة مع قريش في أرباض البقعة المقدسة ، ومن الجائز أن قريشا عادت فزحزحتها خارج تلك الأرباض في وقت ظهور الإسلام^(٤) .

ولما كان فتح مصر والمغرب قد قام به محاربون جندوا من غربي شبه الجزيرة فقد اشتركت خُزاعة في فتح مصر^(٥) . وزعم بعضهم أن كان لها داران بالفسطاط^(٦) . ولكنها كانت من أهل الراية على كل حال^(٧) .

ووقفت خُزاعة في مصر ضد عثمان فقد كان منها عمرو بن الحمق الذي دخلها في خلافة عثمان ثم خرج منها ليعين على قتله^(٨) ، وابن ورقاء الذي

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٦٤-٢٦٥ .

(٢) القضاء ص ٤٦٩ .

(٣) ذهب رأي من بعض العلماء أن خُزاعة من عمرو بن لحي من مُضر العدنانية .

(٤) نهاية الأرب ص ٣٢٣ و Ency. Isl. II, p. 984 .

(٥) Ency. Isl. II, p. 984-985 .

(٦) فتوح مصر ص ١١٥ .

(٧) الانتصار ج ٤ ص ٣ .

(٨) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٣-٩٤ .

- (١) الولاة ص ١٧، ٢٧ والطبري ج ٢ ص ٤٠٢ و ٤٠٣.
- (٢) الولاة ص ١٠٨-١٠٩ والنجوم ج ١ ص ٣٤٧.
- (٣) النجوم ج ١ ص ٣٤٦.
- (٤) القضاة ص ٤٢٠-٤٢١.
- (٥) الولاة ص ١٥٢-١٦١.
- (٦) المصدر نفسه ص ١٥٣-١٥٨.
- (٧) المصدر نفسه ص ١٦٥.
- (٨) المصدر نفسه ص ١٤٧، ١٧١.
- (٩) الانتصار ج ٤ ص ٢٣.
- (١٠) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧ وطبقات الشافعية ج ١ ص ٢٦٥.

أسلم تلك هي الوحيدة التي ذكرها ابن عبد ربه^(١)، كما أنها هي التي ينسب إليها دون غيرها فيما يبدو من كلام السمعاني^(٢).

وأثنى الرسول ﷺ على أسلم في حديثه الذي ذكر فيه القبائل التي سارعت إلى الإسلام: «أسلم سالمها الله . . إلخ»^(٣). وقد شهدت أسلم فتح مصر، واختطت حول عمرو والمسجد مع أهل الراية فقد كانت هي من أهل الراية. وكانت خطتها مما يلي دار أبي ذر. وكانوا يرتبعونهم وغفار مع وائل من جذام وسعد في بسطة وقربط وطراية^(٤). وفي كل حال يبدو أن أسلم كانت قليلة العدد جدا بحيث لم يظهر منها أحد من ذوي الشهرة.

نستطيع أن نستنتج مما سبق أن خُزاعة حملت في مصر بعد مقتل عثمان. ثم عادت إلى الظهور والتحكم في مصائر الأمور طوال النصف الأخير من القرن الثاني بفضل أبنائها الذين قدموا من الخارج - من مكة والعراق - وحكموا مصر. والواقع أن شواهد القبور وأوراق البردي لا تدل على إقامة خُزاعة بمصر في القرن الثاني فحسب بل في الثالث كذلك^(٥).

٤ - العتيك:

رھط المهلب بن أبي صفرة^(٦). عاش بمصر منهم أسرتان متميزتان:

(أ) المهالبة:

آل المهلب بن أبي صفرة أمير خراسان (٨٣هـ)، وهم أهل بيت اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان والأمجاد النجباء^(٧). أول من ظهر منهم بمصر يزيد بن حاتم (ت ١٧٠هـ بالقيروان) من أحفاد المهلب، حكم مصر (١٤٤-١٥٢هـ) وقاوم

(١) نسب عدنان ص ٢٢

(٢) الأنساب ص ٣٥ ب

(٣) فتوح مصر ص ١٣٨، ٣ ٣

(٤) المصدر نفسه ص ٩٨، ١١٥، ١٤٣ والانتصار ج ٤ ص ٣.

(٥) Rép Chro. I, pp. 87, 138, 308 & Ar. Pap. III, p. 79

(٦) نسب عدنان ص ٢٢ والعقد ج ٢ ص ٢٤٣

(٧) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١

ثورات العلويين والأحباش والقبط والخوارج^(١). وكان نصر بن حبيب من قواده^(٢). وحكم ابنه داود بن يزيد مصر كذلك (١٧٤-١٧٥هـ)^(٣). في حين كان حفيده المهلب بن داود من أعوانه^(٤). وولي خالد بن يزيد شرط مصر سنة ١٧٦هـ^(٥)، كما وليها سليمان بن الصمة سنة ١٨١هـ^(٦). وكان أبو خالد المهلي من قواد المأمون ورسولا من لدنه سنة ٢١٤هـ إلى اليمانيين من أهل الأحواف يدعوهم إلى السلام^(٧).

ظهر المهالبة بمصر إذن طوال النصف الأخير من القرن الثاني أمراء وقادة وموظفين كبارا، وفي هذا ما يغني عن النص على أهميتهم الرسمية بمصر، فهم فيما يبدو لم يختلطوا بالمصريين خارج نطاق الطبقة الأرستقراطية الحاكمة.

(ب) بنو المغيرة:

أسرة من العتيك يبدو أنها كانت تقيم في القرن الثاني بصعيد مصر في كورة البهنسا (مركز بني مزار محافظة المنيا)^(٨)، فإن عميدها زياد بن المغيرة أنشأ جامعا بدروط بلهاسة (الأرجح أنها بلهاسة الحالية مركز مغاغة، محافظة المنيا)^(٩) من مدن تلك الكورة^(١٠).

ويبدو أنها كانت أسرة غنية ماجدة فقد رثى الشعراء زيادا ذلك عندما مات سنة ١٩١هـ، كما رثوا أخاه إبراهيم (ت ١٩٧هـ)، وابنه أحمد (ت ٢٣٦هـ) من بعده^(١١).

(١) الولاة ص ١١١-١١٧ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١-٣٧٤ والنجوم ج ٢ ص ١-٣.

(٢) الولاة ص ١١٣، ١١٦، ١١٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٣-١٣٤.

(٤) المصدر نفسه ص ١١٦.

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٥.

(٦) المصدر نفسه ص ١٣٨.

(٧) المصدر نفسه ص ١٨٦.

(٨) Amé. p. 92، والدليل الجغرافي ص ٢٩٤.

(٩) الدليل الجغرافي ص ٣٠٢.

(١٠) الخطط ج ١ ص ٢٠٥.

(١١) الخطط ج ١ ص ٢٠٥.

وفي حياة هذه الأسرة دليل جديد على أن قبيلة العتيك التي ظهرت متأخرة بمصر كانت قبيلة ممتازة تتمتع بالثراء والنفوذ.

٥- الحجر:

شهدوا فتح مصر وكانوا من اللفي^(١)، وقد اختطوا بالفسطاط خطة يبدو أنها كانت كبيرة^(٢). وكانوا من القبائل التي جعلها عمرو بن العاص تعسكر في الجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية^(٣). والواقع أن بطنا منهم فقط - هم بنو كعب بن مالك بن الحجر - هو الذي أقام بالجيزة واختط بها فيما بين بكيل ويافع من همدان^(٤)، وهذا سوى خطتهم الأخرى بالفسطاط أسفل من عقبة تنوخ^(٥).

ومن بني كعب بن مالك هؤلاء أول حجري نقابله بمصر، علقمة بن جنادة (ت ٥٩هـ) الصحابي الذي شهد الفتح وولي البحر لمعاوية^(٦).

ويسود الصمت الحجريين تماما حتى أول القرن الثالث حين يظهر سلامة بن عبد الملك الطحاوي بالصعيد متحالفا مع العناصر العربية الأخرى في الثورة على المأمون وولي عهده العلوي. وانتهت هذه الثورة الطويلة الفاشلة (٢٠٢-٢٠٤هـ) بمصرع سلامة وابنه إبراهيم^(٧). ولكن ظهر بعد ذلك حفيده أبو جعفر الطحاوي (٢٢٨-٣٢١هـ) رئيس الأحناف بمصر^(٨). وكان محمد بن أحمد يروي عن عمه أبي جعفر^(٩).

(١) الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٢) فتوح مصر ص ١١٧.

(٣) الانتصار ج ٤ ص ١٢٦ والخطط ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) فتوح مصر ص ١٢٩.

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٩ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٩٣.

(٧) الولاة ص ١٦٨-١٧١.

(٨) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٧ ومقدمة كست ص ١٧-١٨.

(٩) القضاة ص ٤٣٦ ومقدمة كست ص ١٨.

وإقامة هذه الأسرة في طحا دليل على انتقال القبيلة أو بعضها إلى تلك المنطقة الواقعة في محافظة المنيا الحالية منذ القرن الثاني الهجري. وكأنما قارب هذا الانتقال بينها وبين المصريين مع احتفاظها بمركز الزعامة في كل حال، فإن «الفقراء» - وهم العامة - قد انضموا إلى سلامة في ثورته.

وراسله من كان يحفى بفاقة وأصبح ذا ميل إليه عماليا^(١)
وفي جمع أفراد هذه الأسرة بين الانتساب إلى القبيلة والانتساب إلى البلد
ما يشير إلى سيرهم في طريق التمسر والأخذ بعادات المصريين.

٦- دوس:

شهدوا الفتح، وكانوا من أهل الراية^(٢).
ويبدو أنهم كانوا قليلين جدا في مصر، فليس لدينا منهم سوى ابن فاطمة
الصحابي الذي اختط بالفسطاط ثم صارت خطته إلى عبد العزيز بن مروان^(٣).
وقدم أبو هريرة الصحابي الشهير مصر على مسلمة بن مخلد في خلافة معاوية،
ويبدو أنه أقام بمصر زمنا فقد روى عنه أهل مصر ثلاثة وثلاثين حديثا^(٤). وهناك
شفيق بن ثور (ت ٦٤هـ) من مشاهير التابعين بمصر^(٥).
وهكذا تختفي دوس بعد عصر الفتح اختفاء تاما، وفي أوائل القرن الثالث
يظهر على شواهد القبور اسم أحد أفرادها^(٦). فلعلها كانت ما تزال تقيم في
خمول بمصر حتى ذلك الوقت.

٧- هناة:

ليس هناك ما يدل على قدومها كقبيلة إلى مصر. ولكن ولي مصر حوالي سبع سنوات ١٣٣-١٣٦هـ و ١٣٧-١٤١هـ - أبو عون من مواليتها^(٧). وفي ١٩٠هـ كان كامل الهنائي على شرط مصر^(٨).

(١) الولاية ص ١٧١.

(۲) الانتصار ج ۴ ص ۳.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٦.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ١٠٥ .

. Rép. Chro. I, p. 100 (7)

(٧) الولاية: ١٠١-١٠٢ ، ١٠٥-١٠٦ .

(٨) المصدر نفسه ١٤٢-١٤٣.

وقد هجا سعيد بن عفير الشاعر المصري هذه القبيلة ووصفها بأنها «ظلف ذي يمن»^(١).

٨- عك:

بلادهم جنوبي جزيرة العرب، وهي تهامة اليمن، وتمتد مساكنهم شمالا حتى إقليم جدة، وتتبع بلادهم الجنوب من ناحية الإدارة، ولكنها كانت تخضع أحيانا لحكومة مكة^(٢).

اشترك العكيون في مساكنهم مع قبائل أخرى كالخولانيين، وإن كانوا ظلوا في مخلافهم لا يشترك معهم سوى الأشعرين. الذين تربطهم بهم صلات وثيقة لا سيما وأن القبيلتين تنتميان إلى أصل واحد. وغالبا ما يظهر العكيون والأشعريون مشتركين في العمل فكان لهم مثلا حكام مشتركون، كما أن بعض الخصائص اللغوية تشترك بينهما^(٣).

وكان العكيون من أوائل الذين خرجوا عن نطاق الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، ولكنهم هُزموا هم وحلفاؤهم الأشعريون في أقصى الشمال من بلادهم^(٤).

وكان للعكيين دور بارز في فتح عمرو لمصر. وفي حروب علي مع معاوية استحقوا ثناء الأخير لأنهم خاضوا تحت إمرته موقفا من أخطر المواقف في معركة صفين. وفي سنة ٢٠٧ هـ يشار إلى رجل علوي يثير الاضطراب بين العكيين، ولكن المأمون سرعان ما قمعه في كل حال^(٥).

اشتركت عك في فتح مصر كما قلنا، ويقول ابن عبد الحكم^(٦) - وهو قول فيه نظر - أن الجيش الأول الذي سار به عمرو لفتح مصر بعد موافقة عمر،

(١) المصدر نفسه ص ١٤٣.

(٢) Ency. Isl. I, p. 240

(٣) Ency. Isl. I, p. 240

(٤) Ibid. I, p. 241

(٥) Ibid. I, p. 241

(٦) فتوح مصر ص ٥٦.

ويتراوح عدده ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة آلاف رجل، كان كله من عك. وهذا هو ما هيا لها الدور البارز في عملية الفتح. والأرجح أن العكيين كانوا يمثلون جانبا كبيرا نسبيا من هذا الجيش، وكان معظمهم من غافق التي ستحدث عنها بعد ذلك.

وأن ارتباع جند عك في أماكن كثيرة هي: بوصير، منوف، ودسبندس (من قرى مصر القديمة)^(١)، وأتريب للدليل في كل حال على كثرة أفراد القبيلة بمصر^(٢). وكانت فرسهم «عجلى» من خيل مصر المشهورة التي شاركت في الفتح^(٣).

ولا شك في أن «عك» كانت ذات مكان ممتاز في مصر لكثرتها العددية من جهة ولضخامة نصيبها في عمليات الفتح من جهة أخرى. وفي فتنة عثمان كان أحد أفرادها (الغافقي بن حرب العكي) القائد العام للجيش الذي وجهه ابن أبي حذيفة سنة ٣٥هـ إلى عثمان، وهو الذي حكم المدينة بعد مصرع الخليفة^(٤). وهذا الموقف لا يتفق مع موقف عك في الشام الذي ذكرناه من قبل.

واستمرت عك طوال القرن الأول محتفظة بمكانتها مزهوة بمجدها على ما يبدو من رد غمر بن أيفع العكي عندما حاول عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (ت ٩٥هـ) قاضي مصر وصاحب شرطها الاستهزاء بعك وفرسها عجلى^(٥).

ولكن يبدو أن العكيين لم يكونوا أكثر من جنوب، فلسنا نقابل منهم أجدا في الحياة العامة ولا المناصب العالية في مصر.

ومن الطبيعي أن تهيم لهم كثرتهم العددية الاحتفاظ بالبقاء في مصر حتى القرن الثالث، تشهد بذلك شواهد القبور^(٦).

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٥٨.

(٢) فتوح مصر ص ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٤.

(٤) الطبري ج ٣ ص ٣٨٥ و ٤٢١ و ٤٥٤.

(٥) فتوح مصر ص ١٤٤.

(٦) Rép. Chro. I, pp. 207, 246 & II. p. 42

٩- غافق:

بطن من عك، فهم منسوبون إلى غافق بن الحارث بن عك^(١).

وقد روينا سابقا أن الجيش الأول الذي توجه به عمرو لفتح مصر كان كله من عك، والآن نضيف أن ثلث هذا الجيش - أي ما لا يقل عن ألف جندي - كان من قبيلة غافق بالذات^(٢). وقد نص ابن عبد الحكم على هذه الحقيقة بقوله: «كانت غافق ثلث الناس مدخل عمرو بن العاص مصر»^(٣). ولعل غافقا هي التي يقصدها المؤرخون حين يذكرون «عك».

وليس أدل على ضخامة غافق من مساحة خطتها. فقد اختطت بالفسطاط بين مهرة ولخم فاستعت خطتها لكثرتهم، واستغرق وصف هذه الخطة حوالي الصفحتين عند ابن عبد الحكم الذي ختم حديثه عنها بقوله: «ولغافق من الخطة أكثر مما ذكرنا غير أن هذه جملها»^(٤). ونستطيع أن نقول أن غافقا كانت ترتبع في نفس الأماكن التي كانت عك ترتبع فيها.

ومثلما كانت ميول عك في مصر ضد عثمان كانت غافق كذلك. ومن الطبيعي أن نعتقد أنها حاربت مع محمد بن أبي بكر سنة ٣٨هـ ضد جيوش معاوية التي وجهها بقيادة عمرو لفتح مصر وانتزاعها من سلطان علي ولما هزم ابن أبي بكر في هذه الحرب هرب إلى خطة غافق واختفى في دار أحد أفرادها^(٥).

وظلت غافق محتفظة بميولها تلك التي جعلتها تتخذ موقفا عدائيا من الأمويين؛ ولذلك اختار العراقيون الذين نفاهم زياد (٤٥-٥٣هـ) إلى مصر لميولهم المعادية للأمويين أن يكونوا جيران غافق بالفسطاط.

(١) الانتصار ج ٤ ص ٤ ونهاية الأرب ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) فتوح مصر ص ٥٦ والولاء ص ٨.

(٣) فتوح مصر ص ١٢١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢١-١٢٢.

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٢ والولاء ص ٢٨.

ولما ولي ابن جحدم مصر سنة ٦٤هـ من قبل ابن الزبير انضمت غافق إليه استمرارا منها في عدائها للأمويين وتحملت معه أهوال القتال ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ^(١)، في حين كان العكيون يشتركون في إحراق الكعبة في أثناء حصار مكة.

ومن شخصيات غافق في مصر أبو مسلم الصحابي، كان يؤذن لعمره ويخبر المسجد^(٢). وابن هجالة الذي اختفى محمد بن أبي بكر في داره بعد هزيمته^(٣). وإياس بن عامر من مشاهير تابعي مصر، وحضر معارك علي في صفه^(٤). وعبد الله بن زريق (ت ٨٠هـ) من مشاهير التابعين كذلك ومن أنصار علي^(٥).

ومن مواليتهم عباس بن الوليد المعروف بالتقي (٢٣٢هـ)، كان أحد الشهود بمصر^(٦). أما عبد الواحد بن يحيى بن خالد مولى عمر بن عبد العزيز، وهو من محدثي القرن الثاني ويعرف بسواده، فقد نسب إلى غافق لسكنائه في خطتها بمصر^(٧).

ونتحدث الآن عن بطون غافق في مصر:

(أ) حمد:

كان لهم زقاق باسمهم في القسطاط. منهم أبو موسى الصحابي، كان له مسجد باسمه في زقاق عشيرته، وروى أهله مصر عنه حديثين^(٨).

(١) الولاة ص ٤٤.

(٢) فتوح مصر ص ٩٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٢.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٥ والأنساب ص ٢٠٥ ب.

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٥.

(٦) القضاة ص ٤٥٥ والأنساب ص ١٥٦٨.

(٧) الأنساب ص ٤٠٥ ب.

(٨) فتوح مصر ص ١٢١.

(ب) حذران:

ذكره السمعاني باسم: جذران بالجيم^(١).

كان لهم مسجدان بالفسطاط مما يدل على كثرة عددهم^(٢).

من مواليتهم يعقوب بن إسحق (ت ٢٢٥هـ) كان مؤذنا في المسجد الجامع العتيق، وكان مقبول الشهادة عند القضاة^(٣).

(ج) دهنة:

لهم خطة بالفسطاط^(٤).

ظهر منهم بمصر عفيف بن حبان (ت ١٨١هـ) من المحدثين، وخالد بن زياد^(٥).

من مواليتهم أبو حكيم كان عريف دهنة، وكان مقبولا عند القضاة^(٦).

(د) الحرقة:

من مواليتهم عثمان بن عتيق (ت ١٨٣هـ) أول من رحل من أهل مصر إلى العراق في طلب الحديث^(٧).

(هـ) تيم:

منهم الماضي بن محمد بن مسعود (ت ١٨٣هـ) كان وراقا يكتب المصاحف، وروى الموطأ عن مالك، وروى عنه ابن وهب^(٨).

(١) الأنساب ص ١٢٥.

(٢) فتوح مصر ص ١٢١.

(٣) الأنساب ص ١٢٥.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٢.

(٥) الأنساب ص ١٢٣.

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٣.

(٧) الخطط ج ٤ ص ١٤٣ والأنساب ص ١٦٤ ب.

(٨) الأنساب ص ١١٣ ب.

(و) قيامة:

ذكره السمعاني بالنون مرة وبالفاء مرة أخرى^(١).

ظهر منهم حماد بن صفوان بن عتاب كان جليسا لليث بن سعد، وعبدوس ابن علي من المحدثين^(٢).

(ز) أحذب:

من مواليتهم عيسى بن إبراهيم بن عيسى (١٧٠-٢٦١هـ) روى عن ابن وهب وغيره^(٣).

(ح) بنو عبد الجبار:

كانت لهم دار بالفسطاط^(٤).

(ط) الربانيون:

لم يحفظ لنا منهم أحد^(٥).

نستطيع بعد هذا كله أن نقول أن غافقا ظلت تحيا في مصر منذ اللحظات الأولى للفتح حتى أواخر القرن الثالث، وهذا ما تشهد به شخصيات غافق وبطونها من جهة وشواهد القبور من جهة أخرى^(٦). وإذا كانت غافق قد لعبت أدوارا حربية كان لها أثرها في مصير مصر فإن الطابع الذي غلب على أبنائها ومواليها طابع ديني في معظمه. ولعل في هذا ما يتفق مع التصريح العجيب الذي اتهم عمرو بن العاص غافقا فيه بأنهم قوم يُقتلون (بضم الياء) ولا يقتلون (بفتحها)^(٧). ولكن أهم ما يلحظ على غافق في حياتها في مصر هو عداؤها للأمويين والمروانيين وموالاتها للعلويين بخاصة - كان إياس بن عامر وعبد الله بن

(١) المصدر نفسه ص ٤٦٧ ب.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦٧ ب.

(٣) المصدر نفسه ص ١٩ ب.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٠.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٢.

(٦) Rép. Chro. I, pp. 56, 110, 141, 272.

(٧) فتوح مصر ص ٧٦-٧٧.

وزير التابعيان من جنود علي - وخصوص الأُمويين بعامة. وكان هذا الموقف مناقضا لموقف العكيين في الشام والحجاز^(١).

ونواصل الحديث عن قبائل الأزدي في مصر:

١٠- سلامان:

بطن من الأزدي^(٢). والواقع أن سلامان اسم لبطن من خزاعة^(٣)، والآخر من شنوءة^(٤)، وليس في استطاعتنا رد بني سلامان المذكورين في مصر إلى أحدهما. وقد اختطوا في كل حال بالفسطاط، في الحمراءوات الثلاث، ثم شرعت طائفة منهم إلى البحر^(٥).

وهم في مصر منذ الفتح، شهدهم منهم سعد بن مالك، الذي أصبح من شيعة عثمان واعتزل ابن أبي حذيفة عندما ثار بمصر، وظل محافظا على اتجاهه هذا وأصبح من شيعة بني أمية، ولما استولى ابن جحدم على مصر سنة ٦٤هـ تظاهر بموالاته وهو في الواقع مع مروان. ومن العجيب أن ظل من ولده بقية بمصر حتى زمن السيوطي (القرن التاسع الهجري)^(٦).

ومن بني سلامان عابد بن هشام الشاعر الذي حيا مسلمة بن مخلد عندما نظم أذان الفجر بالفسطاط بطريقة تجمع بين النظام والروعة^(٧). وكان منه عياض ابن عبيد الله ولي قضاء مصر مرتين (٩٣-٩٧، ٩٩-١٠٠هـ)^(٨).

ومن مواليتهم ابن قديد (٢٢٩-٣١٢هـ) مولى عبد الملك بن سعد بن مالك، من مشاهير الرواة المصريين، وهو صاحب نصف روايات كتاب الولاة وصاحب أكثر من ثلث روايات كتاب القضاء^(٩).

(١) Ency, Isl. I, p. 241.

(٢) الأنساب ص ١٣٢.

(٣) العقد ج ٤ ص ٢٤٣.

(٤) نسب عدنان ص ٢٢.

(٥) فتوح مصر ص ١١٦ والانتصار ج ٤ ص ٥.

(٦) الولاة ص ١٥، ٤٢ وحسن ج ١ ص ٨٧.

(٧) الخطط ج ٤ ص ٧.

(٨) القضاء ص ٢٣٢-٢٣٧.

(٩) الأنساب ص ١٣٢ ومقدمة كست ص ١٨.

١١- غنث:

اختطوا بالفسطاط^(١). ولابد أنهم كانوا كثيرين بمصر فقد حضر سبعمائة منهم غزوة إفريقية سنة ٢٧هـ^(٢).

١٢- ميدعان:

كان منهم سبعمائة جندي كذلك في غزوة إفريقية سنة ٢٧هـ وكان على مقاسمها شريك بن سمي^(٣).

١٣- بنو الحارث بن زهران:

إما أن يكونوا فرع من بني زهران من أرد مزقياء، وإما أن يكونوا من بني زهران من أرد شنوءة^(٤). وكان منهم على كل حال ناشر الأردني ممن حضر فتح مصر^(٥). ومن أحفاد ناشر هذا كان فتح بن الصلت المساعد الأكبر لدحية بن مصعب الأموي في ثورته بالصعيد سنة ١٦٩هـ. وقد بدا نجم دحية في الأفول بعد مقتل فتح في هذه الثورة^(٦).

١٤- بنو بحر:

هم قوم من الأرد. كانت خطتهم بالحمراوات الثلاث^(٧). وما يذكر أن دار عطاء بن دينار الفقيه المصري (ت ١٢٦هـ) كانت في خطتهم^(٨).

١٥- ثراد:

بطن من الأرد نزلوا مصر عند الفتح، واختطوا بها وذكرهم القضاعي في خططه^(٩). كانت خطتهم في الحمراوات الثلاث على ما يبدو من ظاهر كلام ابن دقماق^(١٠).

(١) فتوح مصر ص ١١٩-١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٤.

(٤) نهاية الأرب ص ٢٢٨.

(٥) الولاة ص ١٣٠.

(٦) الولاة ص ١٣٠.

(٧) فتوح مصر ص ١١٦ والانتصار ج ٤ ص ٥ والفلقشندي ص ١٤٩.

(٨) الأنساب ص ١٢٠٨.

(٩) نهاية الأرب ص ١٦٣.

(١٠) الانتصار ج ٤ ص ٥.

١٦- بنو شبابة الأزد:

اختطروا بالفسطاط، وكان لهم المسجد الذي له المنارة^(١).

١٧- خثيم:

اختطت بالفسطاط^(٢).

١٨- مازن:

اختطت بالفسطاط^(٣).

وهكذا نفرغ من قبائل الأزد جميعا، ولكننا نحب قبل أن نتركها أن نلاحظ أن الأزد أقاموا بمصر منذ الفتح حتى أواخر القرن الثالث، وكانوا طوال تلك المدة ظاهرين على مسرح الحياة المصرية يقومون عليه بأهم الأدوار إذ كان منهم ومن مواليتهم الولاة وأصحاب الشرط والقضاة والفقهاء والرواة، فأتيت لهم بذلك أن يؤثروا في الحياة المصرية من نواحيها المختلفة.

ولا ريب في أن كثرة الأزد العديدة قد ساعدتهم على التفوق والسيطرة في مصر، فقد رأينا كيف كان جيش الفتح يتكون منهم بصفة عامة أول الأمر. ثم إن هجرتهم إلى مصر قد استمرت بعد ذلك فجاء منهم العراقيون الذين نفاهم زياد، ثم جاءت طائفة من أهل خراسان مع المهالبة، ثم جاءت طائفة من خزاعة (المطيلية) مع أحد الولاة.

وبالرغم من أن الأزد كانوا أهل حرفة وصناعة في ماضي أيامهم، أي أنهم كانوا يمارسون الحياة المدنية، فإنهم كانوا في مصر أميل إلى التمرد على السلطة الحاكمة. ويلاحظ أنهم كانوا بوجه عام ضد العثمانيين والأمويين باستثناء بني سلامان. ولما جاء العباسيون وثاروا عليهم مرة عندما تألبت العناصر العربية في مصر ضد المأمون سنة ٢٠٢هـ بدافع من العصبية فيما يبدو.

ننتقل الآن إلى القسم الثاني من قبائل مالك.

(١) فتوح مصر ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١١٩.

(٣) المصدر نفسه ص ١١٩.

٢- بنو عمرو بن الغوث

عاش منهم بمصر أفراد من القبيلتين الآتيتين:

(أ) بجيلة^(١):

ليس هناك ما يدل على قدومها إلى مصر كقبيلة. ولكن يبدأ ظهور البجليين فيها بولاية أحدهم مصر (مسلمة بن يحيى ١٧٢-١٧٣هـ)^(٢). ومن المهم أن نلاحظ أنه دخل مصر في عشرة آلاف من الجند^(٣). ولنا الحق في أن نعتقد أن عدداً كبيراً منهم كان من قبيلة بجيلة. وقد ظلوا ظاهرين بمصر طوال مائة عام بعد ذلك التاريخ فكان منهم عدد من أصحاب الشرط بخاصة: عبد الرحمن بن مسلمة (١٧٢-١٧٣هـ)^(٤)، وحبيب بن أبان (١٧٣هـ)^(٥)، وسليمان بن غالب (١٩٢-١٩٦هـ)^(٦). وابنه محمد بن سليمان (٢٣٦-٢٣٨هـ)^(٧). كما كان منهم إبراهيم ابن البكاء قاضي مصر (١٩٥-١٩٦هـ)^(٨). بل إن اشتراك سليمان بن غالب صاحب الشرط في الحوادث العنيفة الدائرة حينذاك، واستيلاءه على حكم مصر بإرادة الجند وتأيدهم سنة ٢٠١هـ، ثم اشتراكه في الثورة العربية ضد المأمون (٢٠٢-٢٠٤هـ)^(٩) - أن هذا كله لم يكن ليتم لولا وجود جماعة قوية من بجيلة بمصر.

(١) ذهب رأي من النساين أن بجيلة وخثعم من أئمار بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) الولاية ص ١٣٢-١٣٣ والنجوم ج ٢ ص ٧١-٧٢.

(٣) الولاية ص ١٣٣.

(٤) الولاية ص ١٣٣.

(٥) الولاية ص ١٣٣.

(٦) المصدر نفسه ص ١٤٦، ١٤٨.

(٧) المصدر نفسه ص ١٩٩.

(٨) القضاة ص ٤١٧.

(٩) الولاية ص ١٦٥-١٦٨.

ويبدو أن البجليين انتشروا بمصر، فقد أقام بشر بن بكر (ت ٣٠٥هـ)، من صغار أتباع التابعين، بتنيس ونسب إليها^(١).

وفي شواهد القبور دليل جديد على إقامة البجليين بمصر وانتشارهم بها في القرن الثالث^(٢).

(ب) خثعم:

لم تأت إلى مصر في صورة قبيلة كذلك، وإنما هم أفراد ظهوروا منها أولهم عثمان بن أبي نسعة من قواد مروان الحمار، وقد قتله العباسيون لما فتحوا مصر^(٣). أما المثني بن زياد (١٣٦هـ) فكان من قواد العباسيين أو موظفيهم الكبار^(٤). في حين ولي مصر سنة ١٦٧هـ موسى بن مصعب مولى خثعم الذي انتهى به ظلمه وسوء سلوكه إلى أن قتله أهل الخوف سنة ١٦٨هـ^(٥).

ثم نتقل إلى القسم الثالث من قبائل مالك في مصر.

٣- همدان

همدان قبيلة كبيرة، كانت بلادها إحدى مراكز الحضارة في بلاد العرب القديمة، وقد تصدت للحاكم الحبشي أبرهة عندما حاول تدمير الكعبة في عام الفيل. ومع ذلك كانت من أخريات القبائل التي اعترفت بالنبي ﷺ. وقد نزلت الكوفة وحارب اثنا عشر ألفاً منها في جانب الخليفة علي في العراق سنة ٢٧هـ^(٦)، فإن همدان كانت شيعة علي عند وقوع الفتن بين الصحابة^(٧).

(١) حسن المحاضرة ج ٤ ص ١١٤.

(٢) Rép. Chro. I, p. 258 & II, pp. 143, 183.

(٣) الولاة ص ٩٦، ٩٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٣.

(٥) الولاة ص ١٢٤-١٢٨ والنجوم ج ٢ ص ٥٤-٥٥.

(٦) الأنساب ص ٥٩١، و Ency. Isl. II, p. 246.

(٧) نهاية الأرب ص ٣٥٢.

٢- الأخرج:

منها ثمامة بن شفي (ت قبل ١٢٠هـ) من محدثي مصر^(١).

٣- بكيل:

إحدى مجموعتي همدان القويتين. وكانت تسكن القسم الشرقي من بلاد همدان باليمن. وهي كثيرة البطون. ومن بلادها كان بيتاع السم الذي يقتل به الملوك^(٢).

شهدت بكيل فتح مصر، وعسكرت بالجيزة ثم أقامت بها واختطت في جنوبها الشرقي^(٣).

وكان من بكيل في مصر البطنان الآتيان:

(أ) أرحب:

قبيلة كبيرة تنسب إليها الإبل الأرحبية^(٤)، شهد منهم فتح مصر بنو عوف أو بنو حجر الذين عسكروا بالجيزة ثم اختطوا في قبليها^(٥).

(ب) الحياوية:

وهم من بني عامر بن بكيل. شهدوا فتح مصر، وعسكروا بالجيزة، ثم اختطوا في قبليها^(٦). وكان منهم مزاحف بن عامر صاحب مسجد جامع همدان بالجيزة. ويبدو أن همدان كانت تعبر النيل وتذهب لصلاة الجمعة في جامع عمرو بالقسطاط حتى كان عتبة بن عامر (٤٤-٤٧هـ) فأمرهم بأن يجمعوا في مسجد مزاحف هذا^(٧).

(١) المصدر نفسه ص ١٢٠.

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٧، و Ency, Isl. II, p. 246.

(٣) الانتصار ج ٤ ص ١٢٦ والخطط ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) معجم البلدان ج ١ ص ١٨٢، نهاية الأرب ص ٣٣، الأنساب ص ٢٤٢.

(٥) الانتصار ج ٤ ص ١٢٦ والخطط ج ١ ص ٢٠٦.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الخطط ج ٤ ص ١٢٣.

٤ - حاشد:

تمثل المجموعة الثانية من همدان، وكانت تسكن القسم الغربي من بلاد همدان باليمن. ولم يكن هذا يعني انفصال حاشد ويكيل فالواقع أن بطون كل منهما كانت تعيش في منازل بطون الأخرى^(١).

وشهدت حاشد فتح مصر، وعسكرت مع همدان بالجيزة، ثم اختطت بها ولكن في شمالها الغربي^(٢).

بذلك تنتهي قبائل مالك التي يتكون منها القسم الأول من كهلان فننتقل إلى القسم الثاني.

ثانيا - عريب

قبائل عريب أربعة أفرع: مرة، مذحج، طي، الأشعر.

مرة

تنفرع مرة فرعين: عدي، ومالك.

(أ) عدي

تنقسم إلى قبائل كبيرة هي:

١- كندة

وتدعى أيضا كندة الملوك. غير كثيرة العدد فيما يحتمل. كانت تقيم في الوقت السابق لظهور الإسلام في البلاد الواقعة غربي حضرموت. والواقع أنها هاجرت وقت مولد النبي ﷺ تقريبا إلى حضرموت في أكثر من ثلاثين ألف رجل وألحقت نفسها بالصدق الذين كانوا سبقوها إلى الإقامة ببلاد حضرموت. وكان

(١) Ency. Isl. II, p. 246

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٢٦ والخط ج ١ ص ٢٠٦.

من أهم بطونها عند ذاك نجيب. وتذكر لأول مرة في التاريخ في القرن الرابع من العصر المسيحي. وقد حكمت القبائل العربية المختلفة المقيمة في وسط شبه جزيرة العرب: أسد، وبكر، وتغلب، وقيس، وكنانة، وغيرها. وكان الدين اليهودي يسودها في الجاهلية. فلما ظهر الإسلام قاوموه أول الأمر، ثم شغلوا مناصب بارزة في البلاط كنبلاء ذوي أهمية كبيرة في وقت متأخر في العصر الإسلامي. وأطلق اسم كندة على مقاطعة في الشام وخطة (حي) في البصرة لإقامة جانب منها هناك طبعاً^(١). وقد تفرقت كندة في البلاد، وكان لأبنائها الصدارة في كل بلد انتقلوا إليه حتى صرخ هشام بن عبد الملك: يا لكندة! عندما لاحظ أن سادة فلسطين وحمص والجزيرة كلهم من كندة^(٢).

شهدت كندة فتح مصر، في عدد كبير فيما يبدو فقد ظلت مهرة - من قضاة من حمير - تتبعها في الديوان حتى سنة ١٠٢هـ^(٣). ويبدو أنه كان لها هي وغافق مقابر واحدة هي التي دفن فيها الكندي (٢٨٣-٣٥٠هـ) صاحب كتاب الولاة والقضاة^(٤).

وأول من تقابل من كندة بمصر هو غرفة بن الحارث الصحابي، شهد فتح مصر وسكنها وحدث بها^(٥). وكان حجر بن عدي رسول محمد بن أبي بكر أمير مصر سنة ٣٧هـ إلى الثوار من أنصار عثمان الذين اعتصموا بخربت^(٦). وكانت ليلي، أم عبد العزيز بن مروان، كندية^(٧). وهناك كذلك جعفر بن ربيعة (ت ١٣٦هـ) زميل يزيد بن أبي حبيب في النظر في الفتيا بمصر^(٨). ويحيى بن عبدالله بن العباس من وجوه قواد يزيد بن حاتم في إخماد حركة العلويين بمصر

(١) Ency. Isl. II, pp. 207, 1018-1019، ومقدمة كست ص ٥-٦.

(٢) الأنساب ص ١٤٨٩.

(٣) الولاة ص ٧٠-٧١.

(٤) المصدر نفسه ص ٥.

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٤.

(٦) الولاة ص ٢٨.

(٧) الخط ج ١ ص ٢٠٨.

(٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٤٣ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١١٠ ومقدمة كست ص ٣٥.

سنة ١٤٥هـ^(١). وكان أبناء كندة يأتون إلى مصر ويقيمون بها إقامة مؤقتة أو دائمة فولي إسماعيل بن اليسع الكوفي قضاء مصر (١٦٤-١٦٧هـ)^(٢)، كما نزل حسان ابن عبد الله بن سهل الواسطي (ت ٢٢٢هـ) مصر وحدث بها حتى وفاته^(٣).

وهكذا كان الكنديون في مصر ما بين قائد وفقه وقاض ومحدث. ولم يكن مواليتهم بأقل منهم، فقد لعب عباد بن محمد بن حيان دورا بارعا في سياسة مصر حتى وليها من قبل المأمون (١٩٦-١٩٨هـ)^(٤). وكان يحيى بن زكريا من الشهود عند القضاة في النصف الأول من القرن الثالث^(٥).

ومن الواضح أن كندة ظلت حية بمصر منذ الفتح حتى القرن الثالث .
وشواهد القبور تؤيد ذلك بالنسبة إلى القرنين الثاني والثالث^(٦) .

وكان لکنده بطون فی مصر هی :

(أ) السكاسك:

جدهم سكسك ملك^(٧). وكانوا ممن ساعدوا معاذ الذي بعثه رسول الله ﷺ حتى أجاب أهل اليمن إلى الإسلام، فدعا لهم النبي ﷺ بالمغفرة، وعدهم في خير القبائل^(٨).

قدموا الشام زمن عمر بن الخطاب ونزلوا وادي السكاسك بالأردن^(٩).
وشهدوا فتح مصر، واختطوا في المعافر. ولكن لم يظهر منهم أحد بمصر^(١٠).

(١) الدولة ص ١١٣.

(٢) فتوح مصر ص ٢٤٤ والقضاة ص ٣٧١-٣٧٣.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٥.

(٤) الولاية ص ١٤٨-١٥٥، ١٦٦-١٦٧، ١٧١.

(٥) القضاة ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

.Rép. Chro. I, pp. 79 119-120 & II, p. 140 (7)

(٧) القاموس المحيط مادة (السك).

(۸) فتوح مصر ص ۱۲۷.

(٩) الأنساب ص ٣٠٠ ب.

(١٠) فتوح مصر ص ١٢٦، ١٢٨.

(ب) بريح:

بطن من كندة، من بني الحارث بن معاوية.

نعرف منهم أبا القاسم بن عبيدالله، من التابعين، أدرك عبدالله بن عمرو ابن العاص^(١).

(ج) السكون:

من القريب جدا أنها كانت تعتنق اليهودية التي كانت تسود كندة كلها في الجاهلية. ومن المهم أن نلاحظ في هذا الصدد أن محمد بن أبي بكر سب معاوية ابن حديج، زعيم السكون في مصر، بعد موقعة المسناة سنة ٣٨هـ بقوله: «يا بن اليهودية النساجة»^(٢).

ولكن لما ظهر الإسلام ساعدت في إدخاله إلى اليمن، فعدها الرسول ﷺ في خير القبائل التي مدحها^(٣)، وإن كان عدم قيام الملوك منها جعلها في مركز أدنى بالنسبة إلى سائر القبيلة^(٤). ثم اشترك منها في فتح فارس فرقة حربية كبيرة يحتمل أنها أو جزءا منها قد انضم بعد ذلك إلى جيش عمرو الذي سار لفتح مصر^(٥).

ومن الواضح لدينا أن لم يحضر من هذه القبيلة إلى مصر - باستثناء تيجب - عدد كبير، فإن كل من ظهر منها بمصر هم الحديجيون ذرية معاوية بن حديج (ت ٥٢هـ) الذي لعب في فتنة عثمان دورا غير مجرى التاريخ في مصر إن لم يكن في العالم الإسلامي كله، فبفضله خرجت مصر من سلطان علي إلى سلطان معاوية^(٦).

(١) الأنساب ١٧٢ والقاموس المحيط مادة: (البرج).

(٢) النجوم ج ١ ص ١١٠.

(٣) فتوح مصر ص ١٢٨.

(٤) القضاة ص ٣٨٩.

(٥) مقدمة كست ص ٥.

(٦) الولاة ص ١٥، ١٨، ٢١، ٢٧، ٣.

ونحب أن نلاحظ أولاً أن معاوية بن حديج هذا غالباً ما يذكر منسوباً إلى نجيب ولا ينسب إلى السكون إلا نادراً. وهذا من باب الخطأ المشهور. وقد نبه ابن الأثير الجزري^(١). إلى ما في نسبه من اختلاف ونص على أن النسبة إلى السكون هي الصواب.

مراجعة تاريخ الحديجين في مصر يتضح في الحال أن أسرهم كانت من أهم أسر الأشراف أو الطبقة الأرستقراطية في المجتمع المصري طوال الفترة التي ندرس، فقد ظهر بعد عميدهم معاوية ابنه عبد الرحمن (ت ٩٥هـ) الذي كان من كبار رجال الدولة إلى جانب كونه من أئمة مصر المجتهدين^(٢). ولعل عبد الواحد ابن عبد الرحمن هذا الذي ولي قضاء مصر (٨٩-٩٠هـ) من أندر القضاة الذين عرفهم التاريخ، فقد ولي القضاء وعمره خمس وعشرون سنة فما تعلق عليه بشيء^(٣). وولي أخوه عبد الله بن عبد الرحمن إمرة مصر (١٥٢-١٥٥هـ) بعد أن تقلب في مناصب الشرطة ابتداء من ١١٩هـ وأخذ الحركة العلوية التي تزعمها خالد بن سعيد الصدي في الفسطاط سنة ١٤٥هـ^(٤).

وكان أخوهما محمد بن عبد الرحمن من أشراف مصر وقوادها وكبار موظفيها، وقد انتهى إلى أن ولي إمرة مصر سنة ١٥٥هـ^(٥). أما هشام بن عبد الله ابن عبد الرحمن، فإنه إلى جانب كونه من كبار الموظفين^(٦). قد لعب دوراً مهماً في قضية أهل الحرس (١٨٥-١٩٤هـ)^(٧) وفي الدعوة إلى خلع الأمين (١٩٥-١٩٨هـ)^(٨). وكان أخوه محمد بن عبد الله (ت ٢٢١هـ) - وكان يعرف بزين - صاحب دربين بالفسطاط وضيعة بالجيزة^(٩). وبدأ هيرة بن هشام بن عبد الله

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٣.

(٢) الولاة ص ٥٣، ٥٨، ٦٤ والقضاة ص ٣٢٤-٣٢٦ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١١٨.

(٣) القضاة ص ٣٢٨، ٣٣٠.

(٤) الولاة ص ٨١، ٩٣، ٩٨، ١١٠-١١٤، ١١٧-١١٨.

(٥) المصدر نفسه ص ١٠١، ١١٦-١١٨.

(٦) المصدر نفسه ص ١٢١، ١٣٩، ١٤٢.

(٧) القضاة ص ٣٩٧-٤١٣.

(٨) الولاة ص ١٤٨.

(٩) الانتصار ج ٤ ص ٢٩.

حياته العامة بالاشتراك مع أبيه في الدعوة إلى خلع الأمين سنة ١٩٥ هـ، ثم ولي الشرط ثلاث مرات^(١). وربما كان موقفه الرائع إلى جانب إبراهيم الطائي الذي استجاره سببا في وصوله إلى مركز الزعامة بين المصريين، هذه الزعامة التي انتهت بقتله سنة ٢٠٠ هـ في الصراع بين المصريين والخرسانيين^(٢). وولي حديج بن عبدالواحد الإسكندرية سنة ١٩٨ هـ^(٣). ووليها عمر بن هلال سنة ١٩٩ هـ كذلك^(٤)، ثم عاد فوثب عليها لصالح عبد العزيز الجروي، واشترك في الحوادث العنيفة التي قام بها الأندلسيون هناك وقتذاك، وانتهى الأمر بقتله على صورة تجمع بين البطولة والمأساة^(٥). أما معاوية بن عبدالواحد فولى الإسكندرية (٢٠٢-٢٠٣ هـ)، ثم كان الرئيس العام لأهلها في ثورة أسفل الأرض سنة ٢١٦ هـ^(٦). وولي معاوية بن معاوية بن نعيم الشرط مرتين (٢٢٦-٢٢٨ هـ)، (٢٣٤-٢٣٥ هـ)^(٧). أما مواليتهم فيكفي أن كان منهم إسحق بن الفرات (ت ٢٠٤ هـ)، أول من ولي قضاء مصر من الموالى^(٨).

هذا العرض لشخصيات الحديجين في مصر يبين أهمية هذه الأسرة، فقد حفلت بعدد كبير من رجال الدولة والحرب والعلم وأثرت في مختلف نواحي الحياة المصرية. أما من الناحية السياسية فقد أشرنا منذ قليل إلى الدور الخطير الذي لعبه معاوية بن حديج فحول مصر إلى ولاية أموية، والواقع أن رجالات السكون قد ظلوا منذ ذلك التاريخ حتى نهاية الدولة الأموية يرسون قواعد الحكم العربي في مصر ويثبتون دعائمه ويدافعون عن سلطان الدولة بعامه، وذلك عن طريق الوظائف الكبرى التي تولوها ونهضوا بأعبائها في كفاءة وإخلاص. ولا شك في

(١) الولاة ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢.

(٢) انظر تفصيلات هذه الحوادث المثيرة في الولاة ص ١٥٢-١٥٣، ١٥٩-١٦١.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٣.

(٤) الولاة ص ١٥٧-١٥٨.

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٧-١٥٨، ١٦١-١٦٣.

(٦) المصدر نفسه ص ١٧٠، ١٩١.

(٧) المصدر نفسه ص ١٩٦، ١٩٧.

(٨) القضاة ص ٣٩٢، ٣٩٤.

أن العباسيين كانوا يعلمون قدر رجال هذه الأسرة الذين كانوا «من أكابر المصريين من أعوان بني أمية»^(١). فأبقوا عليهم بالرغم من هذا، وأعطوهم الأمان عندما طلبوه منهم^(٢). لما فتحوا مصر سنة ١٣٢هـ. وبدوا أن الحديجين كانوا، نتيجة لممارستهم الحياة المنظمة منذ أمد طويل، يتمتعون بوعي سياسي رفيع جعلهم يفوقون غيرهم من العرب في إدراك معنى الدولة ووجوب إقامة سلطانها، فقد ظلوا على حالهم في الدولة العباسية يلون المناصب الكبرى في كفاءة وإخلاص ويتعرضون للموت في سبيل الدولة. وفي الصراع بين الأمين والمأمون وقفوا في الناحية الأخرى المقابلة للعنصر الفوضوي المعادي للدولة (أهل الخوف). ولا شك أن من آيات الثقة بالنفس والإيمان بسلطة الدولة إقدامهم على ولاية الإسكندرية التي كانت تعج بالفتن في أواخر القرن الثاني. ثم كان اشتراكهم في ثورة أسفل الأرض - وهي ثورة كان لها مبرراتها من فساد أداة الحكم في مصر باعتراف الخليفة المأمون نفسه^(٣). مظهرها جديدا لحرصهم على سلامة الدولة.

لم يكن أثر الحديجين في الحياة الاجتماعية أقل بروزا من أثرهم السياسي فقد ظلوا طوال حياتهم يحافظون على تقاليد الأرستقراطية العربية، وهي تقاليد النبالة بعامية. فقد حرص عميدهم معاوية على الثأر لعثمان، كما حرص على حفظ روح الفروسية الحقيقية في أولاده الذين لم تكن لسروجهم ركب إنما يشبون على الخيل وثبا^(٤). أما تخرش هاشم بن عبد الله بأهل الحرس وتمسكه بإلغاء نسبهم المزور فدلل على حدة عصبية الطبقة والجنسية معا. أما تفضيل هبيرة بن هاشم الموت على تسليم جاره الطائفي فمثل من أروع أمثلة الخلق العربي الأصيل الذي يعيد إلى الأذهان قصة السماأل على نحو ما التفت سعيد بن عفير الذي أعجب بهذا الصنيع - وهو الشاعر العربي القح - إعجابا شديدا^(٥). ولا يقل روعة عن هذا حمية عمر بن هلال الذي أثر هو وأقاربه الرجال أن يدلوا أنفسهم

(١) النجوم ج ٢ ص ١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الولاة ص ١٩٢ والنجوم ج ٢ ص ٢١٦.

(٤) فتوح مصر ص ١٤٣.

(٥) الولاة ص ١٥٢-١٥٣.

من القصر، وهو غير منيع، إلى أعدائهم على أن يقاوموا فيدخل الأعداء القصر ويفضحوا حرمهم. وكان لهذا السلوك صدى عميق سجله ابن عفير كذلك في شعره مقرونا بالإعجاب والتمجيد^(١).

(د) تحيب:

بطن من السكون^(٢). وقد ذكرنا عند الحديث عن كندة أن تحيب كانت من أهم بطونها عندما هاجرت إلى حضرموت وقت مولد النبي ﷺ تقريباً. ويبدو أنها سارعت إلى الإسلام فقد وصفها النبي ﷺ في حديث له بأنها «أجابت الله ورسوله»^(٣).

وأغلب الظن أنها كانت جزءاً من الفرقة الحربية المكونة من السكون والتي شاركت في فتح فارس. ثم سارت تحيب من هناك إلى غزو مصر. ومن الواضح أنها كانت إحدى الوحدات الكبرى في الجيش العربي الذي فتح به عمرو مصر^(٤). ويبدو أنها قامت بنصيب كبير في الاستيلاء على بابليون دعا شاعرها إلى الفخر: وبابليون قد سعدنا بفتحها. وحزنا لعمر الله فيثا ومغنما^(٥).

لم تكف تحيب بالإقامة في مصر فقد اتجهت نحو الغرب، فكان منها قوم في جبل برقة الغربي مع غيرهم من بطون العرب اليمنيين^(٦). ثم ساروا إلى إسبانيا حيث أصبح لهم نفوذ كبير في فترة ملوك الطوائف وفي عهد الخلفاء الأمويين سواء بسواء^(٧).

(١) المصدر نفسه ص ١٦٢-١٦٣.

(٢) العقد ج ٢ ص ٢٤٨.

(٣) فتوح مصر ص ١٣٨ والأنساب ص ١٠٣ ب.

(٤) مقدمة كست ص ٥.

(٥) الخط ج ٤ ص ٥.

(٦) كتاب البلدان ص ١٣٢.

(٧) Ency. Isl. II, p. 1019 & IV, p. 819 (٧).

كانت تجيب في كل حال من أوليات القبائل التي أقامت بمصر واختطت بها^(١). ولما كانوا هم أحوال الحضارمة فقد أقام هؤلاء معهم أول الأمر^(٢). ولكبر تجيب كان لها مرتبة: الأول - وكان لمعظمهم - في تمي (تمي الأمديد، مركز السنبلوين محافظة الدقهلية حالياً)^(٣). وبسطة ووسيم. والثاني - لطائفة منهم مع مراد - في البدقون^(٤) (كانت هذه الكورة تقع في محافظة البحيرة الحالية شاغلة جزءاً من جعيف والجزء الشمالي من مركز إيتاي البارود والجزء الجنوبي من مركز شبراخيت)^(٥). والذي يلفت النظر هنا، سوى تعدد أماكن ارتباع تجيب، تباعدها، فهي متناثرة في محافظات الدقهلية والشرقية والجيزة والبحيرة.

ومن الطبيعي أن نلتقي بشخصيات تجيب منذ اللحظات الأولى. فهناك أبوقبان الشاعر^(٦)، وعمار بن سعد التابعي (ت ١٠٥هـ)^(٧)، وبجاد الذي تولى إحراق محمد بن أبي بكر سنة ٣٨هـ^(٨)، وسليم بن عتر قاص مصر وقاضيها (ت ٧٥هـ)^(٩). وهؤلاء جميعاً من شخصيات الفتح.

ومن شخصيات القرن الأول عياض بن غنم أمير الإسكندرية سنة ٨٤هـ^(١٠)، وابن أبي أرطاة أحد شراة الإسكندرية الذين حاولوا اغتيال قرة بن شريك سنة ٩١هـ^(١١)، وأبو عمران التابعي كان الأمراء يقترضون منه^(١٢)، وشريح ابن صفوان الذي قاد القراء في ثورتهم على أمير مصر سنة ١١٧هـ^(١٣)، وابنه

(١) فتوح مصر ص ١٢٥.

(٢) فتوح مصر ص ١٢٣.

(٣) Toussoun, p. 34، والدليل الجغرافي ص ١٤٨.

(٤) فتوح مصر ص ١٤٢.

(٥) Toussoun, p. 16.

(٦) الخطط ج ٤ ص ٥.

(٧) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٦.

(٨) الولاة ص ٢٩.

(٩) القضاة ص ٢٠٣-٣١١ وحسن ج ١ ص ١١٨.

(١٠) النجوم ج ١ ص ٢٠٨.

(١١) الولاة ص ٦٤.

(١٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٥.

(١٣) الولاة ص ٧٨.

حيوة الفقيه (ت ١٥٨هـ)^(١) وخالد بن يزيد (ت ١٦٨هـ) كان من رجال الدولة المستبدين^(٢) وبينما كان يوسف بن نصير (ت ١٦٨هـ)^(٣) من قواد دحية الثائر الأموي كان بحر بن شراحيل^(٤). في جيش الدولة ضد دحية. ومحمد بن مسروق قاضي مصر القاسي (١٧٧ - ١٨٤هـ)^(٥)، ودراج بن السمح التابعي (١٢٤ - ١٨٢هـ)^(٦).

أما موالى تجيب فمنهم سعيد بن شريح^(٧) وأبو شبيب^(٨). وهما من شعراء القرن الثاني، وإبراهيم بن عبد الله الخفاف المحدث (ت ٢٠٥هـ)^(٩) ومحمد بن رمح الحافظ (ت ٢٤٢هـ)^(١٠).

والآن نتحدث عن بطون تجيب في مصر.

المعروف أن قبيلة تجيب تتكون من أبناء سعد وعدي ابني أشرس^(١١) وليست بطون تجيب في الواقع سوى الأسر التي تفرعت إليها ذرية سعد وعدي هذين. وهذه الأسر هي التي نتكلم عنها الآن.

١- بنو سعد:

شهدوا فتح مصر واختطوا بها^(١٢). وكانت لهم مرحلة باسمهم في الطريق إلى الفسطاط. وبهذه المرحلة نزل سعد بن أبي وقاص عندما قدم إلى مصر سنة ٣٥هـ رسولا من عثمان إلى الشوار المصريين. وذهب إلى ابن أبي حذيفة زعيم

(١) فتوح مصر ص ٢٤١، والولاء ص ٧٩ والقضاة ص ٣٦٣ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٠.

(٢) الولاء ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٦، ١٢٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٠.

(٥) القضاة ص ٢٨٨-٢٩٢.

(٦) الأنساب ص ١٠٣ ب.

(٧) الولاء ص ٨٧.

(٨) القضاة ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٩) الأنساب ص ١٢٠٤.

(١٠) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٦.

(١١) العقد ج ٢ ص ٢٤٨ ونهاية الأرب ص ٣٧، ١٥٨.

(١٢) فتوح مصر ص ١٢٢.

الثوار، يصحبه مائة منهم، فقابله مقابلة عنيفة أرغمت ابن أبي وقاص على العودة إلى المدينة ساخطاً^(١).

وكان بنو عتاهية أهمهم وأظهرهم بمصر. منهم مالك بن عتاهية الصحابي شهد الفتح^(٢). وعبد الرحمن بن حسان صاحب شرط عبد العزيز بن مروان (٧٦-٨٤هـ)^(٣)، وأخته أمينة والدة زرعة بن معاوية الخولاني أحد أشراف مصر^(٤)، وحفيده حسان بن عتاهية الصغير الذي ولي مصر سنة ١٢٧هـ، وضرب العباسيون عنقه لما فتحوا مصر إذ كان من أمراء بني أمية^(٥).

ومن الواضح أهميتهم ومكانتهم بمصر.

٢- آل أيدعان بن سعد:

بطن من نجيب، شهدوا فتح مصر واختطوا بها^(٦).

أهم من ظهر منهم بمصر كنانة بن بشر (ت ٣٦هـ). كانت له خطة وكان يملك «المقلد» أحد سيفي نجيب. وكان من أبرز الثائرين على عثمان في مصر، فقد كان «رأس الشيعة الأولى» كما كان أحد القواد الستة للجيش المصري الذي سيره ابن أبي حذيفة إلى عثمان سنة ٣٥هـ^(٧).

وقد ظلوا مقيمين بمصر، ولكن دون أن يبرز منهم أحد بعد ذلك سوى أبي شجرة المحدث (ت ٢٦٨هـ)^(٨).

والواقع أن موالي أيدعان هم الأكثر أهمية والأبقى أثراً في الحياة المصرية. وقد لمعت منهم أسرة سليمان بن برد الشاهد الفقيه^(٩). طوال القرن الثالث. وظهر

(١) الولاة ص ١٦٠.

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٦.

(٣) الولاة ص ١٠.

(٤) القضاة ص ٣٢٦.

(٥) الولاة ص ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٨.

(٦) فتوح مصر ص ١٢٢. والأنساب ص ٥٤ب.

(٧) فتوح مصر ص ١٢٥، والولاة ص ١٧-٢٠. والخطط ج ٤ ص ١٤٨.

(٨) الأنساب ص ٥٤ب.

(٩) القضاة ص ٤٢٢، ٤٣٦. والأنساب ص ٥٤ب.

منهم بعد سليمان ابنه أحمد (ت ٢٥٧هـ)^(١). وحفيده القاسم بن حبش (ت ٢٤٥هـ)^(٢)، وحفيده أيضا أحمد بن الرقاع (ت ٢٨٦هـ)^(٣). وكلهم من أهل الرواية والعلم والشهادة.

٣- خلاوة:

وتذكر بالحاء المهملة. من بني سعد كذلك^(٤).

ظهر منهم بمصر زياد بن حنطة (ت ٧٥هـ). كان له قصر باسمه في خطة تجيب. وكان من شيعة بني أمية، وأحد الأشراف الذين قاموا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان في ثورة ابن جحدم سنة ٦٥هـ. وكان من كبار موظفي عبدالعزيز بن مروان^(٥). وهناك كذلك ابن أخيه سعد بن مالك المحدث^(٦)، وقيس ابن الأشعث (ت ١٢٤هـ) من كبار الموظفين بمصر^(٧).

٤- بنو الأعجم:

من بني سعد. وقد شهدوا الفتح. واختطوا بالفسطاط^(٨). ولسنا نعرف منهم سوى موالهم الذين كان منهم أبو المهاجر البلهبي من الموالى الأشراف وعريف موالى تجيب زمن معاوية^(٩). وعبد العزيز بن سويد (ت ٢٠٤هـ) كان شريفاً ومن كبار الموظفين^(١٠). وعبد رب بن خالد (ت ٢٥٩هـ) من الرواة^(١١).

(١) القضاة ص ٤٦٨، ٤٦٩ والأنساب ص ٥٤ ب.

(٢) الأنساب ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٤ ب.

(٤) المصدر نفسه ص ١١٨٢، ٢١٣ ب.

(٥) فتوح مصر ص ١٢٤ والولاة ص ٤٢، ٤٥، ٤٩، ٥١.

(٦) الأنساب ص ١١٨٢، ٢١٣ ب.

(٧) الولاة ص ٨١ والأنساب ٢١٣ ب.

(٨) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٢ والأنساب ص ٤٤ أ.

(٩) فتوح مصر ص ٨٤ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٢ والانتصار ج ٤ ص ٢٤.

(١٠) الأنساب ص ٤٤ أ.

(١١) المصدر نفسه.

٥- بنو سوم:

من بني عدي، الفرع الآخر لتجيب^(١). شهدوا فتح مصر واختطوا بها. وكانوا يملكون اثنين من أشهر خيل مصر: الدعلوق والخطار^(٢). أشهرهم قيسبة بن كلثوم الذي جاء مع جيش الفتح في عدد كبير من أهله وعبيده وخيله. ثم تنازل بلا مقابل عن المكان الذي احتله بجوار الحصن لبني فيه المسلمون مسجدهم الجامع. وكان هذا الصنيع سخاء استحق لأجله هو وابنه مدح الشعراء^(٣).

ومع أنهم وقفوا مع ابن جحدم ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ^(٤). فإن أحدهم (إبراهيم بن الأومر) كان في جيش الدولة ضد دحية بن مصعب الناصر الأموي سنة ١٦٩هـ^(٥).

وكان مواليتهم من أهل العلم والفقه، منهم سليمان بن يحيى بن وزير (كان ظاهرا في أواخر القرن الثاني)^(٦)، وأبو زرعة المحدث الذي قيل أنه قتل في فتنة القراء سنة ٢١٧هـ^(٧)، وأحمد بن يحيى بن وزير (١٧١-٢٥٠هـ) من فقهاء مصر وعلمائها الكبار^(٨).

٦- بنو اندي:

والأرجح أنهم هم الذين ذكر السمعاني اسمهم مصحفاً إلى أبذو^(٩). وهم من بني عدي في كل حال^(١٠).

(١) الولاة ص ١٣٠ والأنساب ص ١٣١٨.

(٢) فتوح مصر ص ١٤.

(٣) الخطط ج ٤ ص ٥.

(٤) فتوح مصر ص ١٤٥.

(٥) الولاة ص ١٣٠.

(٦) القضاة ص ٤٢١.

(٧) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥٥ والأنساب ص ٦٧ ب، ١٧٧.

(٨) طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٢٣ وبغية الوعاة ص ١٧٤ وحسن المحاضرة ج ١ ص ١١٧ ومقدمة

كست ص ٢١.

(٩) الأنساب ص ١٦ أ.

(١٠) الولاة ص ٥١ والأنساب ص ١٥٠.

منهم أبو سويد بن قيس كانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة^(١) وكان عقبة بن مسلم (ت ١٢٠هـ) القاص حليفا لهم^(٢).

أما مواليتهم فكان منهم عبد الرحمن بن يحسن الذي قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ فكافأه عبد العزيز بن مروان بسخاء^(٣). وسالم بن غيلان (ت ١٥٣هـ) كان من قواد مصر البحرين^(٤).

٧- بنو فهم:

يذكر الكندي أنهم بنو «اذاة» - والأرجح أنه تحريف اندي - ابن عدي بن نجيب^(٥). فهم على هذا بطن من عدي كذلك.

كان منهم قيس بن سلامة من أعوان محمد بن أبي بكر^(٦). والمهاجر بن أبي المثني زعيم الشراة الذين تعاقدوا بالإسكندرية على قتل قررة بن شريك سنة ٩١هـ^(٧).

٨- بنو عامر:

من بني عدي. شهدوا الفتح واختطوا شرقي الحصن بمصر^(٨).

وكان عبد الله بن المهاجر الذي أخمد ثورة القبط سنة ١٥٦هـ حليفا لهم^(٩).

٩- زميلة:

بطن من نجيب، يذكرون أحيانا باسم زميل^(١٠).

(١) الأنساب ص ١٥٠.

(٢) الولاة ص ٧١ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٩.

(٣) الولاة ص ٥١، القضاة ٣٢١ والأنساب ص ١٥٠.

(٤) الأنساب ص ١٥٠.

(٥) الولاة ص ٢٨، ٦٤.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٧) المصدر نفسه ص ٦٤.

(٨) فتوح مصر: ص ١٢٥ والولاة ص ١١٩ والأنساب ص ٣٧٨.

(٩) الولاة ص ١١٩.

(١٠) المصدر نفسه ص ١٥، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٠، الأنساب ص ٢٧٨.

يبدو أنهم كانوا من شيعة عثمان ثم الأمويين من بعد، فإن سلمة بن مخزومة الذي شهد فتح مصر منهم، وعميد أهم أسر هذا البطن، أبى أن يأخذ عطاء من ابن أبي حذيفة لما اغتصب حكم مصر، وذهب إلى عثمان رسولا من قبل شيعة بمصر ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة^(١). أما عبد الله بن قيس فقد استخلفه عتبة بن أبي سفيان على مصر سنة ٤٤هـ، وكانت فيه شدة على بعض أهلها^(٢). وكان سعيد بن سلمة بن مخزومة (ت ١٥٢هـ) من محدثي مصر^(٣).

أما موالى زميلة فأهمهم أسرة حرملة بن عمران المحدث المصري (٨٠-١٦٠هـ)^(٤). وكان ولاؤها لأسرة سلمة. ومنهم حفيد حرملة يحيى بن عبدالله صاحب مسائل العمري قاضي مصر (١٨٥-١٩٤هـ)^(٥). أما حرملة بن يحيى الفقيه الكبير صاحب الشافعي (١٦٦-٢٤٣هـ) فلم يكن أهم أفراد هذه الأسرة فقط بل كان من أهم الشخصيات العلمية المصرية^(٦).

وكان عبد الوهاب بن خلف المحدث المصري (ت بعد ٢٧٠هـ) من مواليتهم أيضا^(٧).

١٠ - فتيرة:

هم من حبيب. الأرجح أن مقسم بن بجرة، أحد وجوه شيعة عثمان بمصر سنة ٣٥هـ، وشيعة بني أمية سنة ٦٤هـ، واحد منهم^(٨). ومنهم كذلك حبيب بن الشهيد (ت ١٠٩هـ)^(٩). ومن أئمة مصر المجتهدين وفقهيه طرابلس والمغرب كذلك^(١٠).

(١) الولاة ص ١٥، ١٦ الأنساب ص ٢٧٨.

(٢) الولاة ص ٣٥.

(٣) الأنساب ص ٢٧٨.

(٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٠.

(٥) القضاة ص ٣٩٥، ٤١٨.

(٦) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٩ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٣ الأنساب ٢٧٨ أ، طبقات الشافعية

ج ١ ص ٢٥٧.

(٧) الأنساب ص ٢٢٩ ب.

(٨) المصدر نفسه ١٤٤٣.

(٩) الولاة ص ١٥، ٤٢.

(١٠) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩ الأنساب ص ١٤٤٣.

١١- عباد:

بطن من تجيب نزل مصر^(١).

نعرف منهم يحيى بن السائب روى عن مالك. وابنه شعيب (ت ٢١١هـ)، كان رجلا صالحا غلبت عليه العبادة^(٢).

ومن مواليتهم سليمان بن أبي صالح كان من عمال الخراج بمصر زمن ابن الحبحاب. وابنه سلمة كان عاملا كذلك في أيام المنصور^(٣).

١٢- بنو القرناء:

بطن من تجيب، ومن الغريب أن يذكر السمعاني النسبة إليهم على أنها القرمانى. والأرجح أن هذا تصحيف لكلمة: القرمانى^(٤).

وكان منهم شريك بن سويد شهد فتح مصر^(٥). وعميرة بن تميم ابن جزء صاحب الجب المعروف بجب عميرة، وهو قريب من القاهرة يبرز إليه الحاج والعساكر. ومن المهم أن نلاحظ أن الفرسان المصريين الذين اشتركوا في معركة الخندق التي دارت بين ابن جحدم ومروان بن الحكم كانوا من جب عميرة هذا، مما يدل على إقامة بعض بني القرناء هناك.. وكان عميرة نفسه من بين هؤلاء الفرسان وقد قتل في تلك المعارك^(٦).

١٣- بنو الفصائل:

يؤخذ من كلام الكندي أنهم من تجيب^(٧).

منهم العباس بن عبد الرحمن صاحب شرطة مصر سنة ١٥٥هـ^(٨).

١٤- بنو فردم:

بطن من تجيب^(٩).

(١) الأنساب ص ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٤٨ ب.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) كتاب البلدان ص ١٢٩ معجم البلدان ج ٣ ص ٤٦ الخطط ج ٣ ص ٣٦٥ الأنساب ص ٤٤٨ ب.

(٧) الولاة ص ١١٨.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) الأنساب ص ١٤٢٣.

منهم أبو الدهمج، رياح بن ذوابة، الذي كان تحرشه هو وآخرين من أشراف العرب بأهل الحرس من أسباب إقدام أولئك على تزوير نسب عربي لأنفسهم (١٨٥-١٩٤هـ) (١).

نستطيع الآن أن نرى في وضوح إلى حياة تجيب بمصر، أن كثرة عدد بطونها دليل بارز على ضخامة عدد من جاء منها. ولم تكن تجيب متفوقة من حيث العدد فحسب، فإن امتلاكها المقلد وعريض بني حديج، وهما من أشهر سيوف العرب، وامتلاكها الخطار والذعلوق من أشهر خيلهم (٢). . . كان ذلك يهيئ لها تفوقا من نوع آخر. وكان إعفاء مسلمة بن مخلد إياها من الأمر الذي أصدره سنة ٥٣هـ إلى القبائل ببناء منار المساجد كلها آية أخرى من آيات تميزها (٣). ولكن تفوق هذه القبيلة يظهر في أحسن صورة في تلك الحياة القوية المنتجة الفعالة التي ظلت تجيب تمارسها في مصر طوال القرون الثلاثة الأولى. تقابل منها ومن مواليتها في تلك الفترة حشدا كبيرا من الصحابة والتابعين والأمراء والموظفين الكبار والقادة والقضاة والفقهاء والرواة والشعراء والشوار. وشواهد القبور تشير في سحاء إلى كثرتهم بمصر في القرن الثالث (٤)، مما يدل على أنهم أفلحوا في الاحتفاظ ببقائهم على نحو قوي حتى ذلك الحين. ولكن مما يلفت النظر أن مشاهير القرن الثالث هم في الواقع من مواليتها.

من الطبيعي إذن أن تتمتع تجيب بالشهرة بين القبائل الأخرى، حتى أنها كانت قريبة إلى السنة الشعراء حين يتحدثون عن مصر. وقد رأينا عمران بن حطان يذكرها وهو يرحب بالخوارج من أهل العراق الذين نفاهم زياد إلى مصر (٤٥-٥٣هـ) (٥). وذكرها جميل وهو يتحدث عن بثينة حين سكنت مصر.

مجاورة بمسكنها تجيبا وما هي حين تسأل من مجيب (٦)

(١) القضاة ٣٩٧ الأنساب ١٤٢٣.

(٢) فتوح مصر ص ١٢٥، ١٤٤.

(٣) الولاة ٣٨، ٣٩ الانتصار ج ٤ ص ٦٣.

(٤) Rép Chro. I, pp. 126-127, 131, 169-170, 177, 209, 321, 323, 260, 267, 279-

180 & II, pp. 94, 87, 89, 124, 155-156, 170.

(٥) انظر ص ١٥٠، ١٥١ من هذا البحث.

(٦) معجم البلدان ج ٨ ص ٧٦-٧٧.

كما ذكرها عبد الرحمن بن الحكم وهو يصف هول المعارك بين أخيه وبين ابن جحدم سنة ٦٥هـ:

وجاشت لنا الأرض من نحوهم بحبي تحيب ومن غافق^(١)

وقد اتصلت تحيب بالحياة في مصر اتصالا قويا منذ البداية. فهي قد اشتركت بقسط كبير في الفتح. ولما كانت فتنة عثمان سنة ٣٥هـ لعبت تحيب دورا رئيسيا. فكان منها كنانة بن بشر الأيدعي أحد كبار زعماء الفتنة. وكان في زقاق زويلة بالفسطاط المسجد الذي يقال أن تحيب تعاقدت فيه على قتل عثمان^(٢). ووقف بنو سعد موقفا سلبيا من اعتداء ابن أبي حذيفة على ضيفهم سعد بن أبي وقاص. وكان أحدهم (قيس بن سلامة، من بني فهم بن أندی) من أعوان محمد بن أبي بكر (٣٧-٣٨هـ). وفي سنة ٦٥هـ اشتركت تحيب بحبيها كليهما: سعد وعدي، على ما ذكر عبد الرحمن بن الحكم في قصيدته، مع ابن جحدم ضد مروان بن الحكم. أما الشراة الذين تأمروا على اغتيال أمير مصر قرّة بن شريك بالإسكندرية سنة ٩١هـ فكان زعيمهم المهاجر بن أبي المثني وأحدهم، ابن أبي أرطاة، كلاهما من تحيب. ولما قتل والي الوليد بن رفاعة وهيب الشاري سنة ١١٧هـ ثار القراء عليه وحاربوه يتزعمهم واحد من تحيب هو شريح بن صفوان. وكان من ضحايا هذه الثورة أبو زرعة المحدث مولى تحيب. وفي ١٢٩-١٣٠هـ بايع ناس منها للثائر الأباضي عبد الله بن يحيى طالب الحق، وكان نصيبهم القتل^(٣).

ومما لا يتفق مع اتجاهها العام انضمامها إلى السري بن الحكم سنة ٢٠٢هـ ضد الثائرين على المأمون وولي عهده العلوي، ولكنها سرعان ما تخلت عنه^(٤). وإلى جانب هذا الاتجاه الثوري نجد اتجاهها مدنيا مثله سلمة بن مخزومة الزميلي الذي وقف ضد ابن أبي حذيفة ومقسم بن بجرة الفتييري الذي كان من

(١) الولاة ص ٤٤.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٧.

(٣) الولاة ص ٩٢ والخطط ج ٤ ص ١٥٢ والنجوم ج ١ ص ٣٠٩-٣١١.

(٤) الولاة ص ١٦٩.

وجوه العثمانيين (٣٥-٦٤هـ). في حين كان زياد بن حناطة الخلاوي (ت ٧٥هـ) من شيعة بني أمية وكبار موظفيهم. وكان بنو عتاهية السعديون من كبار أتباع الأمويين. بل كان عبد الرحمن بن يحيى قاتل ابن الزبير (٧٣هـ) من مواليهم.

نفهم من هذا أن تحيب، شأنها شأن معظم القبائل المصرية، ثارت على عثمان متأثرة بدعاية الجماعة التي كان ينتمي إليها ابن أبي حذيفة، والواقع أن الأمر انتهى بأهل مصر جميعاً إلى أن أصبحوا من شيعة علي فيما عدا أنصار عثمان الذين اعتصموا بخربتاً^(١). ولكن معاوية، زعيم العثمانيين في العالم الإسلامي حينذاك، لم يلبث أن انتزع مصر من سلطان علي سنة ٣٨هـ وانتقم من أهلها، وقتل ثمانين من تحيب، وبذلك تعادل العلويون والعثمانيون فيها، فكان جندهما وأهل شوكتها عثمانية، وكثير من أهلها علوية^(٢). والأرجح أن تحيب ظلت في معظمها محتفظة بميولها العلوية. وجعلت فكرة الخوارج تتسرب بعد ذلك إلى مصر، ويبدو أن نشاطها اشتد فيما بين ٤٧-٦٢هـ^(٣). ولم يكن ابن الزبير يظهر ويدعو لنفسه حتى استعلن خوارج مصر المسترون وانضموا إلى ابن الزبير وهم يظنونهم من مذهبهم، واشتركت قبائل مصر، ومن بينها تحيب مع ابن جحدم والي مصر من قبل ابن الزبير، ضد مروان بن الحكم. والحق أننا لا نستطيع أن نعين ما إذا كان اتجاه تحيب علوياً أو خارجياً حينذاك. فالانتماءان كلاهما كان بارزاً ومتحدداً في مقاومة الاتجاه العثماني الذي كان يمثل مروان وعدد من أشرف مصر كان بعضهم من تحيب. وبذلك صار أهل مصر حينذاك ثلاث طوائف متعادلة: علوية وعثمانية وخوارج^(٤) ولكن انتصار مروان أخلى السبيل للعثمانية فغلبت على مصر، وانكفت السنة العلوية والخوارج^(٥). ويبدو أن تحيب سايرت الوضع الجديد وإن ظل جزء محتفظاً بميوله الخارجية ليثور على الدولة بين الحين والحين.

(١) الخطط ج ٤ ص ١٤٦ النجوم ج ١ ص ١٠٧.

(٢) الولاة ص ٢٨-٣٠، الخطط ج ٤ ص ١٥١ النجوم ج ١ ص ١٠٩-١١١.

(٣) الخطط ج ٤ ص ١٥١.

(٤) الولاة ص ٤٠-٤٤ الخطط: ج ٤ ص ١٥١ النجوم ج ١ ص ١٦٥-١٦٧.

(٥) الخطط ج ٤ ص ١٥٢.

كان لتجيب أثرها كذلك في الجانب العلمي من الحياة في مصر، فأسرتان من مواليتها - أسرة حرملة بن عمران (القرن الثاني والثالث)، وأسرة سليمان بن برد (القرن الثالث) - حفلتا بالفقهاء والشهود.

كما أنها شاركت في الحياة الفنية بشعراء ثلاثة: أبو قبان، سعيد بن شريح، وأبو شبيب.

وهكذا نستطيع أن نجزم بأن تجيب كانت من قبائل مصر البارزة التي أثرت في مجرى الأمور بها وتركت طابعها في كثير من جوانب حياتها. بهذا تفرغ من القبيلة الأولى من عدي.

٢- لَحْم

كانت لحم قد انتشرت قبل الإسلام بقرنين فوق الأراضي الواقعة شمالي شبه الجزيرة في الشام وفلسطين والعراق^(١)؛ ولذلك كانت قبائل منها تقيم، في الوقت الذي سار فيه عمرو إلى مصر، في جبل الحلال الواقع دون العريش من ناحية الشام. ولما مر عمرو بهذا الجبل في طريقه إلى مصر انضم إليه بعض هذه القبائل^(٢). وهكذا دخلت لحم مصر منذ أول لحظة مع جيش الفتوح.

ومن الثابت أن لحما كانت كثيرة العدد، فإن خطتها تبدو في وصف ابن عبدالحكم كبيرة جدا. والواقع أنها كانت ثلاث خطط لا واحدة^(٣). وقد جعلوا يتحركون - اعتمادا على كثرتهم وقوتهم - من خطتهم الأصلية وهي في جبل، متجهين نحو الأرض الخصبة «أرض الحرث والزرع»، مصطدمين في أثناء ذلك بالقبائل الأخرى ويحصب بالذات^(٤).

(١) Ency. Isl. III, p. II

(٢) فتوح مصر ص ٥٨، معجم البلدان ج ٣ ص ٩.

(٣) فتوح مصر ص ١١٩، الانتصار ج ٤ ص ٣، حفریات القسطاط ص ٢٢.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٨.

ومما امتازت به لحم أول الأمر أن كان منها نقر من الليف^(١). وكان لها فرس يقال له «أبلق لحم» من خيول مصر المشهورة^(٢).

ومن آيات كثرتها أن كانت ترتفع في كور ثلاث: الفيوم وطراية وفريط^(٣).
وأن قبيلة خشين - من قضاة، من حمير - ظلت تتبعها في الديوان حتى سنة
١٠٢ هـ^(٤).

وكانت لحم كثيرة الحركة، فقد نزلت طائفة منها هي وجُذام وخشين أكتاف صان (الكورة التي تحمل عاصمتها اسم صان الحجر الحالي بمركز فاقوس محافظة الشرقية)^(٥) وأبليل (كورة مجاورة لصان وتذكر معها دائماً)^(٦) وطرايبة. ويبدو أنهم اندمجوا في المصريين، فانقطعت صلتهم بزملائهم العرب، فإنهم «لم يحفظوا»^(٧). وأقام جانب ضخم منهم بالإسكندرية حيث لعبوا أخطر الأدوار في تاريخها وتاريخ مصر بعمامة في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث^(٨). كما أقام قوم منهم بصعيد مصر بالبر الشرقي^(٩). وسوف يتضح هذا عند الحديث عن بطون لحم. بل إنهم زحفوا غرباً فأقاموا في جبل برقة الشرقي مع آخرين من أهل اليمن^(١٠).

ظهرت شخصيات لحم على مسرح الحياة بمصر منذ اللحظة الأولى، فكان هناك لقيط بن عدي الصحابي من قواد عمرو^(١١). والقائد عمرو بن قيس الذي قتل «في جمع من الناس كثير» لما نزلت الروم البرلس سنة ٥٣هـ^(١٢).

(۱) الانتصار ج ۴ ص ۴ .

(۲) فتوح مصر ص ۱۴۴.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٢.

(٤) الولاية ص ٧١.

(٥) Toussoun, p. 33، والدليل الجغرافي ص ١٢٨.

(٦) معجم البلدان ج ١ ص ٩١، ج ٥ ص ٣٢٤.

(٧) فتوح مصر ص ١٤٢-١٤٣.

(٨) الولاية ص ١٥٣، ١٦٢-١٦٣ وسير الأبناء البطارقة: المجلد الأول، ص ٥٤٢، ٥٤٤.

(٩) نهاية الأرب ص ٢٣٢.

(١٠) كتاب البلدان ص ١٣٢ .

(١١) حسن للمحاضرة ج ١ ص ٩٦.

(١٢) فتوح مصر ص ١٢٤، الولاية ص ٣٨.

وكانت لحم علوية الهوى. فكان منها قيس بن حرمل من قادة ابن أبي حذيفة^(١). وحمام بن عامر الذي حضر الدار وحكم مصر نيابة عن الأشتر النخعي سنة ٣٧هـ^(٢). أما الأكرد ابنه، سيد لحم وشيخها، فقد حضر الدار مع أبيه وقاوم مروان بن الحكم مقاومة عنيفة جعلت مروان يبدأ بالتخلص منه بمجرد فراغه من أمر ابن جحدم سنة ٦٥هـ^(٣).

وكان للحم شعراؤها. ومنهم زياد بن قائد من المخضرمين، شهد الفتح وعاش حتى رثى الأكرد^(٤).

ولما فتح مروان مصر استسلمت لحم وأصبحت - ولا سيما موالها النصيريين - من أنصار الأمويين. فلما بدأت الدعوة العباسية تهز أركان الدولة الأموية شاركت لحم في إسقاط الأخيرة. فكان أيوب بن برغوث من رؤساء فتنة خلع مروان بمصر (١٢٧-١٢٨هـ)^(٥). ووالوا العباسيين، فكان الضحاك بن محمد - أحد أشرف أهل مصر - من أعوان العباسيين وقادتهم (١٢٦-١٣٧هـ)^(٦).

ويبدو أن العباسيين قد استحضروا عددا منهم إلى مصر من فلسطين سنة ١٦٩هـ^(٧). وظلت لحم طوال ربع القرن المحصور بين أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث تلعب دورا ثوريا عنيفا بمصر وبالإسكندرية بالذات التي كانت لحم أعز من في ناحيتها. فقد استولوا (١٩٦-١٩٨هـ) على الإسكندرية. ولما نزل الأندلسيون الإسكندرية حالفتهم لحم ثم عادوا فانقلبوا عليهم وحاربوهم سنة ٢٠٠هـ. وكان أبو ثور اللخمي زعيم العرب المقيمين في محلة أبي الهيثم من شريقون (مدينة بحوف مصر)^(٨)، يضعها كست في كورة سخا بأسفل الأرض، واشترك في ثورات

(١) الولاة ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦، ٤٣-٤٦ حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٤-٧٥.

(٤) الولاة ص ٤٦ حسن المحاضرة ج ١ ص ٨٦.

(٥) الولاة ص ٩٠.

(٦) المصدر نفسه ص ١٠٢، ١٠٣.

(٧) الولاة ص ١٢٩.

(٨) معجم البلدان ج ٥ ص ٢٥٥.

ابن الجروي (٢٠٥-٢٠٦هـ) ثم في ثورة أسفل الأرض سنة ٢١٦هـ، التي اشترك فيها اللخميون المقيمون بالإسكندرية كذلك^(١). هذا، وقد كان قوم من لحم ثاروا بالحوف سنة ٢١٥هـ فهزمهم والي الحوف^(٢).

وبالرغم من الطابع الحربي الذي ساد لحما ظهر فيها بعض رجال الفكر مثل طليب بن كامل (ت ١٧٣هـ) من أئمة مصر المجتهدين وقد سكن الإسكندرية^(٣). وطلق بن السمح النفاط (ت ٢١١هـ) بالإسكندرية) محدث ومن رجال الأسطول المصري، وابنه إبراهيم، روى عن أبيه وكان من رجال الأسطول كذلك^(٤).

وكما كانت لحم من قبائل مصر القوية كان مواليها كذلك. وكان النصيريون - أولاد موسى بن نصير - أهم هؤلاء الموالي. أما موسى نفسه (٩٧هـ) فقد أقام بمصر زمنا مع عبد العزيز بن مروان وزيار له ومشيرا ثم انطلق إلى المغرب يفتحه^(٥)، بينما ظل أحفاده بمصر يلعبون بها أهم الأدوار. فولى عبد الملك بن مروان خراج مصر، ثم ولي صلاتها سنة ١٣٢هـ^(٦) في تلك الفترة الدقيقة عندما كانت الأمور تتسرب من أيدي الأمويين إلى العباسيين. وولي أخاه معاوية الشرط^(٧). كما استعان بموسى بن المهند القائد لإخماد ثورة القيسية في الحوف الشرقي سنة ١٣٢هـ ضد الأمويين^(٨). وقد بلغ هؤلاء النصيريون من الكفاءة والمهارة مبلغا جعل العباسيين يبقون عليهم ويحفظون عليهم مكانتهم الرفيعة في الدولة. على نحو ما فعلوا مع الحديجيين^(٩). وكان للنصيريين مواليهم شأنهم شأن

(١) الولاية ص ١٥٣، ١٦٣، ١٧٣، ١٩١ والآباء البطارقة الأول: ص ٥٤٢، ٥٤٤.

(٢) الولاية ص ١٨٩ .

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢١.

(٤) الأنساب ص ٥٦٥ - ١٥٦٦.

(٥) فتوح مصر ص ٢٠٣-٢٠٤ الولاية ص ٤٧ ، ٥٢-٥٣ .

(٦) الولاية ص ٩٢-٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠١.

(٧) المصدر نفسه ص ٩٣.

(٨) المصدر نفسه ص ٩٤.

(٩) المصدر نفسه ص ٩٨، ١٠١.

الأشراف أهل الطبقة الأرستقراطية في المجتمع العربي . وكان لموالي النصيريين زقاق باسمهم في الفسطاط^(١).

والآن نتحدث عن بطون لحم في مصر .

(أ) راشدة:

من أبرز القبائل التي انضمت إلى جيش عمرو عندما مر بجبل الحلال^(٢) . وشهدت الفتح من أوله طبعاً . واختطت بمصر . ويبدو أن خطتها كانت بظاهر، أي خارج، الفسطاط حيث كان مسجد راشدة المنسوب إليهم^(٣) .

ويبدو أنها كانت كثيرة العدد، إذ كان منها في مصر عدد كبير من البطون . وكانت تمثل جانباً كبيراً من القسم الذي عاش من لحم بالصعيد فقد أقامت بطونها بالبر الشرقي من صعيد مصر فيما بين مسجد موسى وأسكر من عمل أطفيح^(٤)، وهي المنطقة التي كان الأمويون يكثرّون من التردد عليها .

وانضمت راشدة، شأنها شأن لحم كلها، إلى علي بن أبي طالب، وحاربت مع محمد بن أبي بكر ضد جيوش معاوية العثمانية . فلما انهزم المصريون في المسنة سنة ٣٨هـ لجأوا إلى حصن بابليون وولوا أمرهم واحداً من راشدة (قيس بن عدي بن خيمة)^(٥) .

(ب) بنو القشيب:

يبدو أنهم أقاموا منذ وقت مبكر جداً في بركوت من شرقية أرض مصر^(٦) .

(١) الانتصار ج ٤ ص ١٩ .

(٢) فتوح مصر ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٨ ونهاية الأرب ص ٣١٥ .

(٤) نهاية الأرب ص ٤٠ ، ١٨٨ ، ١٩ ، ٢١٥ .

(٥) الولاة ص ٢٩ - ٣٠ .

(٦) الأنساب ص ٧٥ ب .

وأهم - إن لم يكن كل - من عاش منهم بمصر هم رباح بن قصير^(١).
 وذريته الذين كان منهم علي بن رباح (ت ١١٤هـ) كان من علماء زمانه^(٢). أما
 ولده موسى بن علي (ت ١٦٣هـ) فكان من مشاهير أتباع التابعين بمصر إلى جانب
 كونه من كبار رجال الدولة، وقد حكم مصر (١٥٥-١٦١هـ) وكان من سكان
 الإسكندرية^(٣). مما يدل على وجود صلة مستمرة بين أهل الصعيد وأهل
 الإسكندرية من لحم. وكان ابنه عبد الرحمن بن موسى (١٦٨-١٨٦هـ) من رجال
 الدولة البارزين في العصر العباسي كذلك^(٤).

(ج) يشكر:

شهدت فتح مصر. وإليهم ينسب جبل يشكر الذي بني عليه جامع أحمد بن
 طولون فيما بعد (٢٦٣هـ)، لأنهم اختطوا عليه. وكانت خطتهم تلك تقع عند
 ذاك في الحمراوات الثلاث وهي خطط القبائل من غير الجنس العربي^(٥).

(د) بنو حدير:

بطن من بني جعد، من لحم.

مساكنهم بالأطفيحية بالبر الشرقي^(٦).

(هـ) بنو عدي:

مساكنهم بساحل أطفيح كذلك^(٧).

ونتقل إلى القبيلة التالية من عدي.

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥١ الأنساب ص ٧٥ ب.

(٢) فتوح مصر ص ١١٨، الولاة ص ٥٤ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩ الأنساب ص ١٥٥٣.

(٣) الولاة ص ١١٨-١٢٠، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٣ الأنساب ص ١٤٩٥، ب.

(٤) الولاة ص ١٢٦، ١٣، ١٣٤، ١٤٠.

(٥) فتوح مصر ص ١٢١، الانتصار ج ٤ ص ٥، نهاية الأرب ص ٣٦٠ الخطط ج ٤ ص ٣٥ حفریات

الفسطاط ص ١٢، ٢٢.

(٦) نهاية الأرب ص ١٩٢.

(٧) المصدر نفسه ص ٢٩١.

٣- جُذام

كانت جذام عصابة من البدو يحتلون الصحاري الواقعة فيما بين الحجاز والشام ومصر. وكانوا يرتزقون من إرشاد القوافل في الطرق التجارية التي تربط ما بين جزيرة العرب والشام ومصر.

وأدى اختلاطهم المستمر بالشام ومصر إلى انتشار الأفكار المسيحية بينهم منذ زمن مبكر. وفي السنين الأولى للهجرة نجدهم على رأس المستعربة أو العرب المنتصرة حلفاء البيزنطيين. وكانت مسيحيتهم في كل حال سطحية. وكانت علاقاتهم الأولى بالإسلام غير ودية على الإطلاق، ولكنهم أثبتوا بعد إحراز المسلمين النصر النهائي على البيزنطيين أنهم حلفاء مخلصون للعرب، وساعدوهم مساعدة عظيمة في إكمال فتح الشام. وكان نتيجة ذلك أن عوملوا كمهاجرين^(١).

وجُذام من قدماء عربان مصر، قدموا مع عمرو بن العاص^(٢). وهم يتفقون مع لحْم في أمور كثيرة بحكم الصلة القديمة القوية بينهما فقد كان نفر منهم معها في خطتها^(٣). وكان نفر منهم في اللفيث مثلها^(٤). وكانوا يرتبعون في طراية وفريط^(٥). وهما جزء من مرتبع لحْم. وكذلك نزل قوم منهم أكتاف صان وأبليل وطراية مع خشين ولحْم فلم يحفظوا^(٦). ويذكر الكندي أن نفرا منهم اختصموا إلى عبد الله بن سعد أمير مصر فعولهم إلى عثمان بن قيس يقضي بينهم^(٧). وقد تحركوا من مصر نحو الغرب فأقام بعضهم في جبلي برقة الشرقي والغربي، كما كان بعضهم يسكن العريش^(٨).

(١) Ency. Isl. I, p. 1058-1059

(٢) نهاية الأرب ص ١٧٤ البيان ص ٢٧.

(٣) فتوح مصر ص ١١٩.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٥) فتوح مصر ص ١٤٢-١٤٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) القضاة ص ٣٠٢.

(٨) كتاب البلدان ص ١١٨، ١٣٢.

ليس لدينا معلومات عن جذام مصر وقت الفتح وطوال القرن الأول أكثر من تلك ولكن الصلة القوية القديمة بينها وبين لحم تعطينا الحق في أن نفترض أنها سلكت نفس الطريق الذي سلكت لحم، بمعنى أنها كانت علوية الهوى، اشتركت في التخلص من عثمان وقاومت الأمويين حتى عاد مروان ففتح مصر سنة ٦٥هـ. ومن المهم أن نلاحظ أن روح بن زنباع، زعيم جذام بفلسطين والشام وأحد كبار رجال الدولة الأموية، كان في جيش مروان الذي غزا به مصر وقتذاك^(١). ويبدو أن روحا هذا خلف عددا من بنيه بمصر كانوا يؤيدون السياسة الأموية بها.

وكانت الصلة قائمة وقوية بين من بفلسطين ومن بمصر من جذام فلما ثار ابن نعيم الجذامي على مروان الحمار بفلسطين سنة ١٢٧هـ دعا المصريين إلى مشاركتهم وأرسل إليهم رسولا حرضهم على خلع مروان. فلما فشلت حركته أراد الالتجاء إلى مصر^(٢). ولما ثار ابن ضبعان الجذامي سنة ١٣٧هـ بفلسطين كذلك يبدو أن الجذاميين بمصر أيدوه فإن العباسيين تتبعوا ذرية روح بن زباع بمصر حينذاك وأبادوهم^(٣).

ومنذ أواخر القرن الثاني جعلت جذام تلعب نفس الدور الثوري الفوضوي الذي لعبته لحم في مصر. فظهر منها (١٩٠-١٩١هـ) المندر بن عابس قاطع الطريق^(٤). وقاد أحدهم (عثمان بن مستنير) أهل نتوغي في ثورتهم على الدولة سنة ١٩٤هـ^(٥). كما اشترك عثمان هذا في مقاومة الدعوة إلى المأمون بمصر سنة ١٩٦هـ^(٦). وحرصوا عبد العزيز الجروي على أن يجرب حظّه في السياسة المصرية ووقفوا وراءه في جميع أدواره العنيفة الماكرة التي مثلها على مسرح الحياة في مصر (١٩١-٢٠٥هـ)^(٧). كما اشتركوا في الفتن التي ظلت تضطرم في الإسكندرية منذ

(١) الولاية ص ٤٣ النجوم ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) الملاحظة ص ٨٥-٨٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٣-١٠٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٣-١٤٤.

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

(٧) المصدر نفسه ص ١٥١-١٧٢ وسير الأبناء: مجلد أول، ص ٥٤٢، ٥٤٤.

سنة ١٩٦ هـ حتى ثورة أسفل الأرض الكبرى سنة ٢١٦ هـ^(١). ثم عادوا فاشتركوا مع يحيى الجروي في ثورته سنة ٢١٨ هـ بسبب قطع العطاء عن العرب^(٢).

وبالرغم من الطابع العنيف الذي وسم حياة جذام بمصر، ظهر منها بكر بن سودة (ت ١٢٨ هـ)^(٣) وعثمان بن الحكم (ت ١٦٣ هـ)^(٤) من أئمة مصر المجتهدين.

أما مواليتهم فكان أشهرهم ابن سندر الخصي، قدم مصر سنة ٢٢ هـ، وأقطعه عمر بن الخطاب أرضا واسعة ودارا^(٥).

وعاش من جذام في مصر البطون الآتية:

(١) جرّي:

ويسمون عرب القاطع كذلك، كانوا يقيمون بالفرما والبقارة والورادة^(٦).

ظهر منهم بمصر معاوية بن مالك الذي رأس قيسا واليمانية في حلفهم ضد الوالي سنة ١٦٨ هـ^(٧). ولكن لا شك في أن عبد العزيز بن الوزير - ملك الساحل^(٨) - وذريته هم أهم هذا البطن إن لم يكونوا أهم جذام جميعا. وقد ظل عبد العزيز من ١٩١ هـ حتى ٢٠٥ هـ العامل الرئيسي في السياسة المصرية^(٩). وظل ابنه علي حتى ٢١٦ هـ يواصل سياسة أبيه^(١٠). وثار أخوه يحيى بن الوزير على الدولة لما قطع العطاء عن العرب سنة ٢١٨ هـ. ومن العجيب أن ابنه الحسن بن عبد العزيز (ت ٢٥٧ هـ) كان من حفاظ الحديث ونقاده، كما كان من أهل الورع

(١) الولاة ص ١٥١-١٧٢ وسير الأبياء ج ١ ص ٥٤٢-٥٤٤.

(٢) الولاة ص ١٩٤.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩ السمعاني: الانساب: ص ١٢٥.

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢١.

(٥) فتوح مصر ص ١٣٧-١٣٨ الخطط ج ٣ ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٦) الخطط ج ١ ص ٢١٢ والسمعاني ص ١٢٨ اب النجوم ج ٢ ص ٢٢٣.

(٧) الولاة ص ١٢٥.

(٨) الانتصار ج ٥ ص ٨٢.

(٩) الولاة ص ١٤٣-١٧٢ وسير الأبياء: مجلد أول ص ٥٤٢، ٥٦٩-٥٧٣.

(١٠) الولاة ص ١٦٩، ١٧٢-١٨٠، ١٨٩-١٩٠.

والفقر والعبادة^(١). ومن أهم شخصيات جري، عبد السلام بن أبي الماضي الذي ظل يتزعم ثورات اليمانية من أهل الحوف طوال سنة ٢١٤هـ^(٢).

(ب) سعد:

في جذام خمس سعود^(٣). ولسنا نستطيع تحديد من أقام منها بمصر، وإن كان المقريري^(٤). يذكر أنها كلها اختطت بمصر، ولكنه يتحدث عن وقت متأخر.

وفي كل حال شهدت سعد جُذام فتح مصر، وكانت ترتب في بسطة وفريط وطرايبة^(٥)، أي في المرتب العام للخم وجذام.

وظلت سعد محتفظة ببقائها في مصر منذ الفتح حتى اشتركت في الأدوار التي قامت بها جذام ممثلة في الجرويين، وسجل الشعراء ذلك^(٦). وكان ابن غصين السعدي من قواد علي بن عبد العزيز الجروي سنة ٢١٠هـ^(٧).

(ج) وائل:

حضرُوا الفتح، واختطوا بمصر^(٨). وقد نزل الفرس بناحيثهم^(٩) وكانوا يرتبعون مع سعد في مرتبعتها^(١٠).

ويبدو أنها اشتركت في فتنة خلع مروان بمصر (١٢٧-١٢٨هـ) فقد كان أحد أفرادها (محمود - أو عمرو - بن سليط) من رؤسائها ووجوهها^(١١). كما كان معروف بن سليط، من رواة القرن الثاني، منها^(١٢).

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٦.

(٢) الولاية: ص ١٨٦-١٨٩.

(٣) البيان ص ٢٦ .

(٤) المصدر نفسه.

(۵) فتوح مصر ص ۱۴۲.

(٦) الولاية ص ١٧٧ ، ١٧٩ .

(٧) المصدر نفسه ص ١٧٩ .

(۸) فتوح مصر ص ۱۲۸ الانتصار ج ۴ ص ۴.

(۹) فتوح مصر ص ۱۲۹..

(١٠) المصدر نفسه ص ١٥٧٨.

(١١) الولاية ص ٩٠.

(۱۲) الانساب ص ۵۷۸ ا.

يؤخذ من كلام المؤرخين أن لخمًا فنيت في جذام بحيث أصبحتا شيئًا واحدًا يطلق عليه اسم جذام فقط^(١). والواقع أننا نلاحظ في مصر الاشتراك التام بين القبيلتين ولكن في صورة عكسية تستقل فيها لحم بالكثرة والسيطرة والزعامة، مع ملاحظة أن هذا الاشتراك لم يبلغ شخصية أي منهما إلى الحد الذي تفنى عنده في صاحبتهما. ويذكر المؤرخون كذلك أن القبيلتين قد كانتا في صف معاوية بما هما من قبائل الشام^(٢). وفي مصر لا يستقيم هذا القول على علاقته. فقد رأينا أن لخمًا ظلت علوية الهوى حتى مجيء مروان على الأقل. ثم رأينا القبيلتين كليهما تعملان على إسقاط الدولة الأموية، وإن كان يبدو أنهما آثرتا الهدوء طوال العهد المرواني، ونستطيع الآن بعد معرفتنا لأماكن ارتباع لحم وجذام والمنطقة التي أقام فيها بعضهم إقامة دائمة أن ندرك أنهم كانوا من أهل الحوف، وأنهم هم اليمانية الذين يعينهم المؤرخون حين يتحدثون عن يمانية أهل الحوف وتحالفهم مع قيس.

بذلك ننتهي من قبائل عدي جميعا التي تمثل الفرع الأول من مرة، وننتقل إلى الفرع الثاني:

(ب) مالك

تنقسم إلى قبيلتين كبيرتين هما:

١- المعافر

المعافر قبيلة كبيرة قوية. ويبدو أنهم كانوا يقيمون من اليمن في مكان ممتاز وكانوا أهل جد ونجدة، فكانوا أقوياء مناضلين مثلما كانوا مهرة ينتجون الثياب المعافرية التي اشتهروا بها^(٣).

شهدوا فتح مصر، واختطوا إلى جنب عمرو بن العاص حول الجامع، فأذاهم البعوض زمن الفيضان، نقلهم عمرو إلى الجبل المشرف على البركة التي

(١) Ency. Isl. I, p. 1058 & III, pp. 11-12

(٢) Ibid, I, p. 1059 & III, p. 11

(٣) فوح مصر ص ٣٠٣ معجم البلدان ج ٧ ص ٤٠٢ ج ٨ ص ٩٢ وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٥ نهاية

الأرب ص ٣٤١

أطلق اسمهم عليها. وبذلك أصبحوا في موقع ممتاز يشبه في ارتفاعه مسكنهم القديم باليمن، كما أصبحوا يشرفون على قبائل مصر - وفيها قریش - التي كانت تسكن تحت أقدامهم حول الجامع. ولكنهم لم يكونوا وحدهم في مسكنهم هذا في كل حال، فقد كان معهم قبائل من حمير^(١).

كانوا يتحركون سنويا إلى مرتبعتهم في أثريب، وسخا (كورة عاصمتها هي مدينة سخا الحالية بكفر الشيخ)^(٢)، ومنوف^(٣). ولكن يبدو أن جانبا منهم أقام بالإسكندرية^(٤)، يؤيد هذا كثرة من سنقابل منهم بها بعد لحظات.

وليس تعدد مرتبعات المعافر هو الدليل الوحيد على كبر عددها، فقد ذكر القضاعي أنها كانت في حرب ابن جحدم ضد مروان ٦٤-٦٥ هـ «أكثر قبائل أهل مصر عددا، كانوا عشرين ألفا»^(٥). ومع ما في هذا الرقم من مبالغة واضحة فإنه يصور ضخامة هذه القبيلة في مصر.

ولا تكاد المعافر تظهر في عصر الفتح حيث لا نصادف منها سوى عبيد بن عمرو الصحابي الذي شهد الفتح، ويقال أنه أول من أقرأ - أو قرأ - القرآن بمصر^(٦). وعامر - رجل نكرة - كان أول من دفن بالقرافة^(٧).

ويبدأ ظهور المعافر الفعلي في الحياة العامة في حركة ابن جحدم التي اشتركوا فيها اشتراكا يدل على أهمية الرقم الذي ذكرناه منذ لحظة، إلى جانب الصورة القوية التي سجلها عبد الرحمن بن الحكم في قوله:

وسدت معافر أفق البلاد بمرعد جيش لها مبرق^(٨)

(١) فتوح مصر ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) Amé p. 410 & Toussoun, p. 32.

(٣) فتوح مصر ص ١٤٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢٧.

(٥) الخطط ج ٤ ص ٣٤٠.

(٦) الخطط ج ٤ ص ١٤٣ حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٢.

(٧) الخطط ج ٤ ص ٣١٨.

(٨) الولاة ص ٤٤.

وهذا الاشتراك دليل على ميولهم المعادية للأمويين، ويعطينا الحق في اعتبارهم إما علويين وإما خوارج. وهم على كل حال قد حملوا نصيباً ضخماً من هذا الصراع، وقتل منهم جمع كبير، ولذلك فإنه من العجيب أن يكون أحدهم (عبد الرحمن بن موهب) من بين الأشراف الذين قاموا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان^(١).

ولكن جزءاً من القبيلة رفض ذلك الصلح، فقد اضطر مروان إلى قتل ثمانين رجلاً منها أبوا أن يخلعوا بيعة ابن الزبير ليبياعوه هو^(٢). ومما له أهميته ما يقال من أن مروان إنما قتلهم لأنهم رفضوا إعلان البراءة من علي^(٣). وسوف نرى بعد قليل ما يشير إلى ميول المعافر العلوية.

وكما لفتت المعافر الأنظار بهذه الحوادث في القرن الأول عادت فلفتها في القرن الثاني (سنة ١١٧هـ) عندما تحدث الخليفة نفسه إذ رفضت استعمال المدي الذي أراد توحيد المكيال به في بلاد خلافته، مؤثرة عليه المكيال المحلي من الويبة والأردب^(٤). وقد أثبتوا بهذا السلوك أنهم ظلوا على ما اشتهروا «مشاقين للملوك، لقاحا، لا يدينون لأحد»^(٥). وقد افتخر شاعرهم بتعصب قومه وتمردهم على الخليفة.

من بعد ما ذلت له أعناق يعرب بل مضر^(٦)

تعطينا هذه الحوادث الحق في أن نحكم على المعافر بأنها ظلت تعادي الأمويين طوال حكمهم. ولكن يبدو أن جزءاً منها كان خارجاً على هذه السياسة. ومن هذا الجزء عبد الرحمن بن وهب الذي سبق ذكره، ويزيد ابن أبي أمية الرجل الوحيد الذي خالف إجماع أهل مصر على خلع مروان بن محمد لما دعاهم إلى

(١) الولاة ص ٤٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الخطط ج ٤ ص ٣٢١.

(٤) الولاة ص ٧٨-٧٩.

(٥) معجم البلدان ج ٧ ص ٤٠٣.

(٦) الولاة ص ٧٩.

ذلك الثوار اليمانيون سنة ١٢٧هـ^(١)، وعبد الرحمن بن عتبة الذي أخذ ثورة يحسن القبطي بسمنود سنة ١٣٢هـ ثم ثورة أبي مينا بها كذلك سنة ١٣٥هـ^(٢).

ولسنا نعرف موقف المعافر في حركة التسويد بمصر، ولكننا نعرف أنهم ظلوا محتفظين بميولهم العلوية، فإن أحدهم (عسامة بن عمرو) استقبل في منزله علي ابن محمد بن عبد الله أول علوي قدم مصر سنة ١٤٤هـ يدعوا لبني الحسن، وزوجه ابنته وأخفاه عنده لما فشلت حركته. وحبس عسامة لهذا السبب، ثم عفا عنه المهدي، وأصبح حتى مات سنة ١٧٦هـ من كبار رجال الدولة^(٣). وما يدل على قوة المعافر الحربية والسياسية من جهة وعلى ميولهم العلوية من جهة أخرى أن أمير مصر اطمأن لما عرف أن أبا حزن المعافري لم ينضم إلى الحركة العلوية التي ظهرت سنة^(٤). وفي ثورة المدلجي (٢٥٢-٢٥٣هـ) انضم ابن عسامة المعافري إلى ابن الأرقط العلوي في محاربة قوات الدولة، ولكنه استسلم ولبس السواد لما فشلت الثورة^(٥).

ومع هذا ظهر من المعافر عدد من رجال الدولة في العصر العباسي منهم بكار بن عمرو الذي قتل وهو يحارب دحية بن مصعب سنة ١٦٨هـ^(٦). ومحمد ابن عسامة الذي ولي الشرط لأربعة من أمراء مصر (١٩٠-٢٠١هـ)^(٧). وأبو بكر ابن جنادة الذي ولي الإسكندرية سنة ١٩٩هـ وولي الشرط سنة ٢٠١هـ^(٨)، وغيرهم.

بل ظهر من المعافر نفر من العلماء منهم بكار بن عمرو الذي سبق ذكره وسعيد بن عبد الله بن أسعد من كبار أصحاب مالك (ت ١٧٣هـ

(١) المصدر نفسه ص ٨٥، ٨٦، ٩٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٤، ١٠٢.

(٣) الولاة ص ١١١، ١١٥، ١٢١، ١٢٢ وغيرها. معجم البلدان ج ٦ ص ٦٦-٦٧.

(٤) الولاة ص ١١٣.

(٥) الولاة ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٦، ١٢٨ حسن الحاضرة ج ١ ص ١٠٨.

(٧) المصدر نفسه ص ١٤٢، ١٥٢، ١٥٤، ١٦١، ١٦٧.

(٨) المصدر نفسه ص ١٥٨، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧.

بالإسكندرية^(١). وعبد الله بن يحيى من صغار أتباع التابعين بمصر (ت ٢١٢هـ)^(٢). وضمَام بن إسماعيل من مشاهير محدثي مصر (ت ١٨٥ هـ الإسكندرية)^(٣).

ظلت المعافر حية بمصر إذن طوال الفترة التي ندرس. ومن الواضح أن نشاطها كان يزداد بتقدم الزمن، فالواقع أن العصر العباسي بخاصة كان المسرح الذي لعبت عليه شخصياتها المختلفة في الحياة المصرية. وكان الولاة يترضونها. فقد بنى أمير مصر لهم فسقية خاصة بهم (حوالي ١٤٦هـ) لما شكوا إليه بعد الماء عنهم^(٤). ثم حفر ابن طولون عينا كانت تمر بأرضهم كذلك ذكرها سعيد القاص وهو يبكي الدولة الطولونية بقوله:

يمر على أرض المعافر كلها
قبايل لا نوء السماء يدها
وشعبان والأخمر والحي من بشر
قبائل لا نوء السماء يدها
وشواهد القبور وأوراق البردي تسجل وجودهم في مصر في القرنين الثاني والثالث^(٥).

وهذه بطون المعافر في مصر:

(أ) بنو موهب:

اختلفوا في المعافر^(٦). منهم عمارة بن الحكم المحدث (٢٤٧هـ) من أهل الإسكندرية^(٨).

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠.

(٢) معجم البلدان ج ١ ص ٢٦١ السمعاني ص ١٥٣٥ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٣.

(٣) الأنساب ص ١٧٦ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٥.

(٤) الولاة ص ١١٥.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٥٥-٢٦٦.

(٦) Rép. Chro. I, pp. 58 117 & II. pp. 64-65 & Ar. Pap. III (٦).

(٧) فتوح مصر ص ١٢٦-١٨٠.

(٨) الأنساب ص ٥٤٥.

(ب) بنو كاسر المدى:

كاسر المدى هو عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة أطلق عليه هذا اللقب لما كسر مدى هشام سنة ١١٧هـ وصار نسبا لبيه^(١).

أما والده حيويل فهو من رجال الفتح، كان ممن وكل إليهم عمرو بن العاص تقسيم الخطط سنة ٢١هـ^(٢). وكان مرة بن عبد الرحمن (ت ١٥٧هـ) من محدثي مصر^(٣).

(ج) بنو خليف:

منهم صل بن عوف أحد أشرف أهل مصر في وفد عتبة بن أبي سفيان على أخيه معاوية سنة ٤٣هـ^(٤).

(د) شعبان:

كانت تمر بها العين التي تسقي المعافر^(٥).

منها شعبة شهد فتح مصر^(٦). وسعيد بن يعقوب ولي الحرس والأعوان لعبد العزيز بن مروان^(٧). وعبد الرحمن بن زياد المحدث (ت ١٥٦هـ)^(٨).

(هـ) بشر:

هي القبيلة المذكورة في شعر سعيد القاص^(٩). ولعلها من المعافر.

(١) الولاة ص ٧٨-٧٩.

(٢) فتوح مصر ص ١٨٨ الولاة ص ١٢ الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٣) الأنساب ص ٥٣٥ أ.

(٤) الولاة ص ٣٦.

(٥) المصدر نفسه ٢٢٥-٢٥٦.

(٦) الأنساب ص ٣٣٤ أ.

(٧) الولاة ص ٥٣.

(٨) الأنساب ص ٤٦ ب، ص ٢٣٤.

(٩) الولاة ص ٢٥٥-٢٥٦.

(و) القرافة:

بطن من المعافر، أطلق اسمهم على موضعين نزلوا بهما: الأول بالإسكندرية، والثاني بالقاهرة وهو الذي أصبح المقبرة المشهورة^(١).

منهم علقمة بن عاصم المحدث (القرن الثاني)، وأبو دجانة (ت ١٩٩هـ) محدث كذلك^(٢).

(ز) بنو سريع:

كان لهم مسجد في القرافة يقال له المسجد العتيق^(٣). أشهرهم أبو قبيل (ت ١٢٨هـ) من أئمة مصر المجتهدين^(٤).

(ح) الأخمور:

كانت في خطة المعافر، وكان عندها كوم الزينة^(٥). وذكرها سعيد القاص في الشعر الذي سبق^(٦).

لم يبق منهم سوى زيد بن شعيب بن كليب^(٧).

(ط) الأعموق:

كان منها بطن يقال له: لبوان، منهم عقبة بن نافع المحدث (ت ١٩٦هـ) بالإسكندرية^(٨).

(ي) الأهجور:

كان لهم مسجد في خطة المعافر.

(١) الخطط ج ٤ ص ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١ الأنساب ٤٤٥ ب النجوم ج ١ ص ٢٦ القاموس: مادة

القرف.

(٢) الأنساب ص ٤٤٥ ب معجم البلدان ج ٧ ص ٤٣-٤٤.

(٣) الخطط ج ٤ ص ٣٣٢.

(٤) الولاة ص ٨٣، ١٦٤ الأنساب ص ٢٩٧ ب، ٥٣٥ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩.

(٥) الانتصار ج ٤ ص ٥٣.

(٦) الولاة ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٧) الأنساب ص ٢٢، ١٨٦ ب.

(٨) الأنساب ص ٤٥، ٤٩٤.

منهم أبو الفرج بهد بن منصور (١٤٨هـ) كان يحدث في مسجد الأهجر^(١).

(ك) ثوجم:

منهم عمرو بن مرة، من أهل مصر، من رجال القرن الأول^(٢).

(ل) فوى:

منهم سفيان بن هانئ بن خير^(٣).

(م) بنو كمونة:

جرت دعوتهم في المعافر، فلعلهم منهم.

منهم علي بن الحسن الكموني (ت ٢٩٨هـ)^(٤).

وننتقل إلى القبيلة الثانية من مالك:

٢- خولان

امتازت بلادهم في اليمن بال عمران وكثرة الجيوب. وكانت صعدة، أكبر مدنها، مركزا مهما للدباغة في الجاهلية، واعتنقوا الإسلام سنة ١٠هـ، وعدهم النبي ﷺ في خير القبائل، ولكنهم ارتدوا ثم أعادهم أبو بكر إلى الإسلام^(٥). وقد افترقت خولان في الفتوحات^(٦). فنزل كثير منهم الشام^(٧)، ولعب آخرون منهم دورا مهما بين العرب الجنوبيين الذين اشتركوا في فتح مصر وأقاموا فيها^(٨).

(١) المصدر نفسه ص ٥٣ ب.

(٢) الأنساب ص ١١٧ أ.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٣٤ أ.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٨٧ أ.

(٥) معجم البلدان ج ٧ ص ٤٠٥-٤٠٦ فتوح مصر ص ١٢٨، Ency. Isl. II, p. 933.

(٦) نهاية الأرب ص ٢٠٨.

(٧) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥ الأنساب ص ٢١٢ ب.

(٨) Ency. Isl. II, p. 933.

فهم في مصر منذ الفتح، واختطوا بالفسطاط وكانوا يرتبعون في قرى إهناس، والبهنسا، والقيس^(١). (هي نفس القيس الحالية في مركز بني مزار محافظة المنيا، وكانت فيما مضى جزءا من إقليم البهنسا)^(٢). وهم أصحاب مصلى خولان الشهيرة^(٣). وكانوا كثيرين بمصر. وعلى شواهد القبور أسماء عدد ضخم منهم من القرن الثالث بخاصة^(٤). كما أنهم مذكورون بكثرة في أوراق البردي^(٥).

وعمر بن قحزم وذريته ممن اشتهر من الخولانيين في مصر. أما عمرو نفسه فمن أهل الفتح، وأحد من أشرفوا على تخطيط الفسطاط، وكان من وجوه شيعة عثمان الذين اعتزلوا ابن أبي حذيفة سنة ٣٥هـ^(٦). وكان ابنه عبد الرحمن من رجال الدولة في العهد المرواني^(٧). ولما قامت الدولة العباسية كانوا من رجالها كذلك. فكان عكرمة بن عبد الله بن عمرو يلي الشرط ويستخلفه الأمراء (١٣٣-١٤١هـ)^(٨). وفي فتنة الأمين والمأمون وقفوا ضد العنصر العربي فكان زرعة بن معاوية بن عبد الرحمن وابنه الحارث ممن دعوا إلى خلع الأمين سنة ١٩٥هـ^(٩).

ومن غير آل عمرو بن قحزم نجد من خولان في مصر أروى بنت راشد إحدى زوجتي مسلمة بن مخلد أمير مصر (٤٧-٦٢هـ) وقد شفعت في قومها عنده لما أمر القبائل ببناء المنار في جميع المساجد سنة ٥٣هـ فاستثناهم مسلمة^(١٠). وكان عبد الرحمن بن حجيرة (٦٩-٨٣هـ) من أفقه الناس، جمع له القضاء

(١) فتوح مصر ص ١٢٥، ١٤٢.

(٢) Amé. p. 397 الدليل الجغرافي ص ٢٩٥.

(٣) الخطط ج ١ ص ٢٣٤.

(٤) Rép. Chro. I, pp. 59, 72, 86, 89, 123, 168, 170, 198-199, 228, 248, 278, 285.

288, 301 & II. pp. 54, 64, 80, 114, 129, 162-163, 203-204, 211 212.

(٥) Ar. pap. II, p. 181.

(٦) فتوح مصر: ص ١٢٣، ١٢٤ الولاية ص ١٥ الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٧) الولاية ص ٥٩ القضاء ص ٣٢٦.

(٨) الولاية ص ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧.

(٩) المصدر نفسه ص ١٤٨.

(١٠) فتوح مصر ص ١٢١ الولاية ص ٣٨، ٥٤ الانتصار ج ٤ ص ١٣.

والقصص وبيت المال^(١). وكان ابنه عبد الله قاضيا لمصر كآبيه (٩٠-٩٨هـ)^(٢). وكان مالك بن شراحيل (ت ٨٥هـ) من أهم رجال الدولة بمصر، فكان يقود بعث البحر الذي سيّره عبد العزيز بن مروان من مصر إلى مكة سنة ٧٢هـ لقتال ابن الزبير، ثم ولي القضاء سنة ٨٣هـ. وكان الحجاج بن يوسف يبعث في كل سنة إليه بحلة وثلاثة آلاف درهم^(٣).

وكما حفلت خولان بالقادة والقضاة ورجال الدولة ظهر فيها الشعراء . منهم مسرور الخولاني الذي رثى حفص بن الوليد ورجاء بن الأشيم لما قتلهما الخوثة ابن سهيل سنة ١٢٨هـ^(٤) . ويحيى الخولاني كان متخصصا في الهجاء ، ومن الدعاة إلى العصية العربية^(٥) . ويبدو أن خولان كانت تتمتع بموهبة الشعر ، فمنها رجل لم يعن التاريخ بتسجيل اسمه قام بالرد على شاعر يدعى ابن جذل الطعان عرض بخولان في شعر له^(٦) . وحتى في القرن الثالث كانت هذه الموهبة لا تزال حية لديهم فعندما مات أحد الأطفال غرقا سنة ٢٥٩هـ أبى أبواه إلا أن يسجلا رثاءهما إياه على شاهد قبره شعرا^(٧) .

وقد رأينا أن خولان كانت ترتفع بالصعيد، ويبدو أنها أقامت هناك فقد ظهر من موالها عمران بن أيوب السمسطائي (ت ٤٣٠هـ) ينسب إلى سمسطا وهي قرية من قرى صعيد مصر الأدنى^(٨) (والأرجح أنها سمسطا الحالية مركز بيا محافظة بني سويف)^(٩). أما إنصنا (الشيخ عبادة حاليا، مركز ملوي، محافظة المنيا)^(١٠). فقد خرج منها جماعة من أهل العلم كان منهم: علي بن عبد الله بن محمد بن

(١) فتوح مصر ص ٢٣٥ القضاة ص ٢١٤-٢١٩.

(٢) القضاة ص ٣٣١-٣٣٣.

(٣) الولاية ص ٥١ القضية ص ٣٢٠-٣٢٢ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٨.

(٤) الولاية ص ٩١.

(٥) القضاة ص ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٠-٤٠٣، ٤١٢-٤١٥.

(٦) فتوح مصر ص ١٢٥-١٢٦.

. Rép. Chro. II, pp. 162-163 (v)

(٨) الأنساب ص ٣٠٧ ب.

(٩) الدليل الجغرافي، ص ٢٧٦.

. Amé. p. 51 (1.)

حيون (ت ٢٨٧هـ) والحسين بن أحمد بن حيون (ت ٢٩٨هـ) وهما من موالى خولان^(١).

وكان لخولان بطون في مصر هي:
(أ) الجديدة:

هم ولد رزاح بن مالك بن خولان^(٢). يبدو أنهم شهدوا الفتح. وقد ظلوا محتفظين ببقائهم في مصر حتى عهد السمعاني صاحب الأنساب. ومن المهم ملاحظة أنهم ينسبون إلى هذه القبيلة بقولهم: الجداوي^(٣).

ظهر منهم بمصر عبد الله بن الأسد عن شهد الفتح^(٤). ولكن يبدو أن آل عاصم بن العلاء هم أهمهم. أما عاصم نفسه (ت ١٧هـ) فكان على قصص مصر سنة ١٧٤هـ^(٥). وكان الليث ابنه إمام جامع مصر زمن الرشيد (١٧٠-١٩٤هـ)^(٦). وتولى أخوه العلاء بن عاصم إمامة جامع مصر كذلك، وكان من أشرف مصر الذين سعوا حتى ألغوا أنساب أهل الحرس العربية المزورة (١٩٤-١٩٦هـ)^(٧). وكان رازح بن رجب (ت ٢٣٠هـ) يروى عن عمه عاصم بن العلاء^(٨).

(ب) سعد:

هم سعد خولان^(٩).

(١) السمعاني ص ٥١ أ.

(٢) هو رازح في القاموس المحيط مادة: رزح.

(٣) الأنساب ص ١٢٣ ب.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) القضاة ص ٣٨٤ الأنساب ص ١٢٣ ب.

(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٥.

(٧) القضاة ص ٤١٣ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٦.

(٨) السمعاني ص ١٢٣ ب.

(٩) السمعاني ص ٢٩٨ أ.

ظهر منهم عبيد الله بن سعيد، كان من وجوه أهل مصر في عهد عبدالعزيز ابن مروان^(١).

وكان من مواليتهم عمر بن أبي مدرك البربري (ت ١٢٧هـ) من الرواة ومن موظفي حكومة عبد العزيز بن مروان^(٢). وبحر بن نصر بن سابق (١٨٠-٢٦٧هـ) من رواة مصر^(٣).

(ج) بنو عبد الله:

بطن من خولان، والنسبة إليه: العبدلي^(٤). ويبدو أنهم أقاموا في الصعيد وفي بركوت - قرية من كورة الشرقية - بالذات.

بقي لنا منهم ذكر علي بن محمد بن عبد الرحمن المحدث (ت ٣٢٩هـ)^(٥).

(د) بنو جعل:

يبدو أنهم شهدوا الفتح، فلهم مكان معروف باسمهم في الفسطاط عده ابن دقماق من الأماكن المهمة^(٦).

منهم حيي الخولاني، يروي عن أبي ذر فهو من أهل الفتح^(٧)، وكان معد ابنه يزوي عنه^(٨). واحتفظت شواهد القبور باسم واحد منهم توفي بالفسطاط سنة ٢٠٠هـ^(٩)، مما يدل على استمرارهم بمصر حتى ذلك الوقت.

(١) القضاة ص ٣٢٦.

(٢) الأنساب ص ٦٩ ب، ٧١ ب.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٩٨ ب وطبقات الشافعية ج ١ ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٤) الأنساب ص ٣٨٠ ب.

(٥) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥١ الأنساب ص ٧٥ ب، ٣٨٠ ب.

(٦) الانتصار ج ٤ ص ٣٥.

(٧) الأنساب ص ١٣٢ أ.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) Rép. Chro. I. p. 85.

(هـ) الأديم:

ظهر منهم أبو سعيد بن عبد العزيز (ت ٢٨٨هـ)، كان أفقه أهل مصر في أيامه^(١).

ومن مواليتهم عبد الله بن أبي رفاع (ت ٢٠٠هـ بالإسكندرية) من محدثي الإسكندرية^(٢).

(و) الحيا:

بطن من خولان^(٣).

بقي لنا منهم ذكر رائم بن ثعلبة، ويبدو أن نسبه كان موضع مناقشة^(٤).
(ز) حدس:

هو بطن من خولان، وقد قيل بطن من لحم^(٥).

منه إبراهيم بن أحمد بن أسد المحدث^(٦).

نستطيع بعد هذا أن نلخص السمات البارزة لقبيلة خولان بمصر في أنها كانت كثيرة العدد، وظلت محتفظة ببقائها طوال الفترة التي ندرس، وتحركت إلى الصعيد الأدنى وأقامت به، وكانت ميولها أموية، كما كانت في جملتها تميل إلى السلم وتتجه اتجاها مدنيا. ويبدو أن هذا الاتجاه من الخصائص الأصلية في خولان فمثلا ظهر جماعة من الزهاد والعلماء ممن نزل منها الشام^(٧). ظهر منها بمصر جماعة من القضاة والعلماء، كما رأينا.

(١) الأنساب ٢٣ ب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأنساب ص ١٨٢ أ.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٥.

(٥) السمعاني ص ١٥٩ ب.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه ص ٢١٣ ب.

ومن المهم أن نلاحظ ميل خولان إلى الشعر كذلك. ولا شك في أن ميول خولان المدنية تعود إلى حياتها الأولى قبل الإسلام في اليمن إذ كانت تعرف الاستقرار والزراعة والصناعة، كما قلنا من قبل.

بذلك تفرغ من مالك، فنفرغ أيضا من مزرة الفرع الأول الكبير من قبائل عريب وننتقل إلى الفرع الكبير الثاني.

مَذْحِج

كانت مذحج في حرب مع عامر بن صعصعة حوالي الوقت الذي ظهر فيه النبي ﷺ، وانتقل جانب منها إلى الكوفة حيث كانت أسر منها ذات سيطرة مع أسر كندة وهمدان^(١).

أما بالنسبة إلى مصر فمذحج من قبائل الفتح. واختلطت بين خولان ونجيب^(٢)، ويبدو أنها لعبت دورا خطيرا في السياسة المصرية. فكانت ميولها علوية، وكان منها الأشتر النخعي أمير مصر لعلي، الذي سُمِّ عند جسر القلزم في أول رجب سنة ٣٧هـ قبل أن يدخل مصر^(٣). كما كان منها حجر بن الحارث بن قيس، الذي كان علويا أول الأمر شهد صفين مع علي، ثم صار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان، ثم خرج وصار إلى مصر برأي الخوارج، وكان أول من قدمها برأيهم وظل فيها حتى خرج منها إلى ابن الزبير في إمارة مسلمة بن مخلد على مصر (٤٧-٦٢هـ)^(٤). وأغلب الظن أن حجرا هذا جعل ينشر مبادئ الخوارج بين المصريين طوال إقامته بينهم، وأنه كان يفعل ذلك في الخفاء، وأن المصريين أقبلوا على دعوته تلك إقبالا شديدا. وكانت قبيلته ممن اعتنق مبادئه، فإنها اشتركت مع ابن جحدم ضد مروان بن الحكم، وسجل عبد الرحمن بن الحكم ذلك لها في قوله:

وأحياء مَذْحِجٍ والأشعرين وحمير كاللهب المحرق^(٥)

ونتحدث الآن عن القبائل التي مثلت مذحج في مصر.

(١) فتوح مصر ص ١٢٦ الأنساب ص ٥١٧، Ency. Isl. III. p. 82.

(٢) فتوح مصر ص ١٢٦ الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٣) الولاة ص ٢٣-٢٥.

(٤) الخطط ج ٤ ص ١٥١.

(٥) الولاة ص ٤٤.

(أ) مراد

احتفظت مراد دائما بطابع بدوي نموذجي بالرغم من أنها كانت تجاور حضارة جنوبي الجزيرة. ويبدو أن بلادهم الجرداء المجذبة كانت مسئولة عن سمعتهم السيئة وكونهم قطاع طرق. وفي نفس العام الذي وقعت فيه غزوة بدر (سنة ٣هـ) تكبدت مراد على يد همدان هزيمة ساحقة أصابتها بالضعف الشديد. واشتركت مراد في حركة الردة ولكن أبا بكر هزمهم وعفا عن زعيمهم فلعبوا دورهم في الفتوح ببسالة. وخرج من مراد خلق كثير، ولكن الجزء الأكبر منهم أقام في الكوفة حيث ظهر منهم عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب^(١).

واشتركت مراد في فتح مصر. واختطت بها. وكانت تأخذ مرتبها في منف والفيوم. كما كانت طائفة منهم ترتب مع تقيب البدقون (في محافظة البحيرة حاليا)^(٢). ويبدو أن عددا كبيرا منهم قد انتقل إلى أتريب حيث كان يقيم في منتصف القرن الثاني^(٣).

وبرزت مراد في مصر بوجه خاص عندما حاربت قبيلة يحضب لما اختلفتا بسبب سباق أجري بين فرسين لهما (١٨٣-١٨٧هـ)^(٤).

ولا شك في أنهم كانوا كثيرين في مصر، فعلى شواهد القبور أسماء طائفة من القرنين الثاني والثالث^(٥)، كما أن النسبة «المرادي» كثيرة الاستعمال في أوراق البردي^(٦).

ومن الطبيعي أن تظهر شخصيات مراد منذ اللحظات الأولى، فهناك شراحيل بن حجية الذي نصب سلما آخر على حصن بابلين غير سلم الزبير بن

(١) وفیات الاعیان ج ١ ص ٢٣، Ency. Isl. III. p. 726.

(٢) فتوح مصر ص ١٢٦، ١٤٢.

(٣) القضاة ص ٣٦٥.

(٤) القضاة ص ٤٠٢.

(٥) Rép. Chro. I, pp. 51, 73-74, 127-128, 134-135 & II. pp. 48-49, 62, 144, 237.

(٦) أوراق البردي ج ١ ص ١١٠.

العوام^(١)، وسالم بن عامر أول من عُرِف على المؤذنين بجامع عمرو، وكان الأذان في ولده حتى انقرضوا^(٢). وشرحيل بن عامر أخوه (ت ٦٥هـ) كان عَرِيفٌ مؤذني مصر كذلك في عهد مسلمة بن مخلد^(٣). وابن مسلمة أمير تنيس الذي قتله الروم في جمع من الموالي في هجومهم الكبير على المدينة سنة ١٠١هـ^(٤). وابن شجرة الذي حاول اغتيال صاحب خراج مدينة أتريب سنة ١٤٤هـ لما أساء معاملة أهلها الذين يبدو أنهم كانوا من قبيلة مراد^(٥).

وكان فراس المرادي من شعراء مراد في القرن الثاني^(٦).

ويبدو أن بعضهم سكن رشيد، فإن عبد الوارث بن إبراهيم بن فراس - أحدهم - من أهل رشيد، وكان قاضيها، ويعد من المحدثين الذين خرجوا منها^(٧).

وامتاز موالي مراد بظهور بعض ذوي الأهمية منهم. فكان عبد الأعلى بن الهجرس عريف الموالي بالإسكندرية، ويبدو أنه سود بها سنة ١٣٢هـ ولذلك قتله الكوثر قائد مروان الحمار، بعد أن انتصر على المسودة ودخل الإسكندرية سنة ١٣٢هـ^(٨). وكان عطاء بن شرحبيل من كبار الموظفين في الشئون المالية في أوائل الدولة العباسية (١٣٥-١٤١هـ)^(٩). ومن موالي مراد كذلك الربيع بن سليمان (١٧٤-٢٧٠هـ) التلميذ العظيم للشافعي^(١٠).

وهذه بطون مراد في مصر:

(١) فتوح مصر ص ٥٨-٥٩ (ط. ماسيه).

(٢) الخطط ج ٤ ص ٤٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الولاة ص ٧٠.

(٥) القضاة ص ٣٦٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٤١٩-٤٢٠.

(٧) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٢.

(٨) الولاة ص ٩٦.

(٩) المصدر نفسه ص ١٠٢، ١٠٦.

(١٠) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٩-٢٣٠ وطبقات الشافعية ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠ حسن المحاضرة ج ١

١- رضا:

هو رضا - كسدى - بن زاهر بن عامر^(١). صاحب منامة - لعلها بمعنى فندق - مراد بالفسطاط^(٢). ويبدو أن رضا هذا ترك ذرية كثيرة بمصر كانت كافية لاعتبارهم بطنا من بطون مراد.

وليس لدينا خبر عن أحد من هؤلاء الرضائيين، ولكننا نعرف من مواليتهم عبد الله بن كليب بن كيسان الفقيه (١٠٠-١٩٣هـ) وعمر بن ثواب بن عمران (ت ٢٠٧هـ)، وأحمد ومحمد ابناه، وكانوا جميعا من الشهود المقبولين عند القضاة^(٣).

٢- زوف:

هو زوف بن زاهر بن عامر^(٤). والمفهوم أن خطتهم ومرتبعتهم كانا مع مراد^(٥). كما يفهم من شعر يحيى الخولاني أنهم أصحاب الزعفران فرس مراد الذي سرقت يحصب سبقه^(٦).

ويظهر هذا البطن في مصر منذ الفتح. ومن المهم أن نعرف أن أحدهم (رشد بن يزيد) كان فيمن وفد إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من أهل مصر، وقد قطع يده عبد العزيز ابن مروان لسبب تجهله^(٧). وما يلفت النظر أن جميع من بقي لنا خبرهم من هذا البطن من رجال الرواية والحديث. منهم: عبد الله بن أبي مرة من رجال الفتح، وأحمد بن شعيب بن سعيد (ت ١١٨هـ)، وأحمد بن سوار (من رجال القرن الثاني)، وأحمد بن عمرو بن شجرة (ت ٢٦٣هـ)، وإبراهيم بن عمرو بن ثور (ت ٣٠٣هـ)^(٨).

(١) الانتصار ج ٤ ص ٣٥ الأنساب ص ٢٥ القاموس المحيط مادة: رضى.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٣٥.

(٣) الأنساب ص ٢٥٥.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ٣٥.

(٥) فتح مصر ص ٢٥٥.

(٦) القضاة ص ٢٠٤.

(٧) الأنساب ص ٢٨١، ب.

(٨) المصدر نفسه.

طوال عهد الفتح^(١). وعابس بن سعيد الذي ظل منذ سنة ٤٩هـ حتى وفاته سنة ٦٨هـ يتقلب في مناصب الشرطة والقضاء. وكان من شيعة بني أمية بمصر^(٢). وكان عبد العزيز بن سهل بن سعد المحدث (ت ٢٢٠هـ) من مواليتهم^(٣).

٥- بنو جمل:

هم من بني ناجية بن مراد^(٤). ويبدو أن معظمهم نزل الكوفة مع سائر مراد، فإن السمعاني ذكر كثيرين منهم من أهل تلك المدينة^(٥). ولم يكن منهم بمصر كثير في كل حال، فلنسنا نقابل سوى يزيد بن عروة الذي كان من جند عبدالعزيز بن مروان^(٦).

والواقع أن مواليتهم هم الذين ظهروا بمصر ظهورا فعليا. وأهم هؤلاء الموالي عامر جمل الذي كان من رجال عمرو بن العاص، وبشر معاوية بقتل محمد بن أبي بكر. وما يدل على أهميته أنه كان عريف موالي مذبح جميعا^(٧). بل كان له هو نفسه مواليتهم، ومنهم محمد بن سلمة من محدثي القرن الثالث وكان يقوم بالكتابة للحارث بن مسكين قاضي مصر (٢٣٧-٢٤٥هـ)^(٨). وكان ابنه إبراهيم (ت ٢٨٥هـ) من محدثي مصر كذلك^(٩).

٦- وعلان:

اختطت بالفسطاط مما يلي القصر (حصن بابليون) ثم مضوا ينازلون خولان وتجيّب هم وبنو غطيف^(١٠).

(١) فتوح مصر ص ١٩٠-١٩٢، والولاء ص ٣٦.

(٢) الولاء ص ٣٨-٤٢، ٤٥، ٤٨ والقضاء ص ٣١-٣١٣.

(٣) الأنساب ص ٤١٠ ب.

(٤) نسب عدنان ص ١٩، العقد ج ٤ ص ٢٥١ الأنساب ص ١٣٥ أ.

(٥) الأنساب ص ١٣٥ أ، ب.

(٦) الولاء ص ٥٠ المخطوط ج ١ ص ٢٠٩.

(٧) الأنساب ص ١٣٥ ب.

(٨) القضاء ص ٤٦٨ الأنساب ص ١٣٥ ب.

(٩) الأنساب ص ١٣٥ ب.

(١٠) فتوح مصر ص ١٢٥، ١٢٦ الأنساب ص ٥٨٥ أ.

ويبدو أنها كانت قليلة الأهمية إذ لم يبق لنا منها سوى مولاهم إبراهيم بن نشيط (ت ١٢٣هـ) كان من الثقات^(١). وكانت مولاته زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن حجيبة الخولاني قاضي مصر (٩٠-٩٣هـ)^(٢).

٧- تدوّل:

لهذا البطن شهرة تاريخية لكون عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب منه^(٣).

وقد شهد عبد الرحمن هذا فتح مصر، واختط بها خطتين، وكان له مسجد معروف، وكان فارس تدوّل المعداد فيهم بمصر^(٤).

وربما كان هذا البطن ظل مقيما بمصر بعد ذلك، إذ تقابل في القرن الثالث أحد موالهم: النضر بن عبد الجبار (ت ٢١٩هـ) الزاهد العابد الذي استكتبه ابن المنكدر قاضي مصر (٢٠٢-٢١٤هـ)^(٥).

٨- سلهم:

سلهم كجعفر، لهم خطة بمصر^(٦).

ظهر منهم عمار بن سعد، كان هو وابنه عبد الكريم من محدثي القرن الثاني بمصر^(٧).

وكان حجاج بن ريان مولاهم (ت ٢٠٥هـ) من محدثي مصر أيضا^(٨).

(١) الأنساب ص ٥٨٥ أ.

(٢) القضاة ص ٣٢١.

(٣) الأنساب ص ١٠٤ أ.

(٤) الانتصار ج ٤ ص ٦ الأنساب ص ١٠٤.

(٥) القضاة ٤٣٥-٤٣٦ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٥، ٢١٨ الأنساب ص ١٠٤ أ.

(٦) فتوح مصر ص ١٢٣ الأنساب ص ٣٠٤ القاموس مادة: السلهم.

(٧) الأنساب ص ١٣٠ أ.

(٨) المصدر نفسه.

٩- كعب:

بقى ذكر اثنين منها من شخصيات الفتح. وهما جديع خادم النبي ﷺ الذي شهد الفتح^(١) وقيس بن الحارث كان يفتي الناس في زمانه وتزعم الرواية أنه فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت إليه^(٢). ولكن أملينو قد رد اسم هذه القرية إلى أصله الهيروغليفي^(٣).

١٠- ونبه (بفتح الواو وكسر النون)^(٤):

منهم ثابت بن طريف، شهد فتح مصر وحدث بها^(٥). وعمار بن صفوان (ت ٢٠٧هـ) من أهل مصر، وله ابن يقال له سالم الشاعر. وعبد السلام بن محمد بن بكر (ت ٢٦٠هـ) من محدثي مصر^(٦). نستطيع الآن أن نرى في وضوح أن مرادا ظلت محتفظة بقبائلها في مصر طوال الفترة التي نعني بها. وأنها كانت من القبائل متوسطة العدد. وكانت ميولها أموية. وقد انتشرت بمصر فسكنت القسوط وأتريب والإسكندرية ورشيد والصعيد. وغلب عليها الاشتغال بالعلم والدين. وظهر من موالها بعض النابهين.

ونتقل إلى القبيلة الثانية من مذحج في مصر.

(ب) سعد العشيرة

يبدو أنهم كانوا قليلين جدا بمصر وكان بعضهم يمثل جزءا من العتقاء أي من هؤلاء الذين كانوا يقطعون الطريق على من يأتي النبي ﷺ فبعث إليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم. ومن كان من سعد العشيرة من هؤلاء العتقاء كان من أهل الرواية^(٧).

(١) الأنساب ص ٤٨٤ ب.

(٢) الخطط ج ١ ص ٢٠٤ الأنساب ص ٤٨٥ أ، ٤٦٨ ب.

(٣) Amé. P. 395-397.

(٤) الأنساب ص ٥٨٦ أ.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٧ نهاية الأرب ص ١٢٧.

وكان منهم بمصر بطن واحد في كل حال هو:

زید:

كانت زبيد تعيش في اليمن مع الأشعرين في مخلاف واحد اسمه الحصيب^(١)، وقد شهدت فتح مصر. وكل من بقي لنا من شخصياتها من أهل الفتح، منهم حومل الذي بارز البطريق الرومي وقتله^(٢)، وزباد بن جزء^(٣)، ومحمية بن جزء الصحابي حليف بني جمح^(٤)، وعبد الله بن الحارث بن جزء الصحابي (ت ٨٦هـ) لأهل مصر عنه عشرون حديثا^(٥).

ويبدو أن عبد الله بن عبد الرحمن - أحد سبي بلهيب - قد والى زبيدا وأصبح عريف مواليهم بعد أن اعتنق الإسلام^(٦).

أما القبيلة الثالثة من مذحج في مصر فكانت قبيلة.

(ج) جلد

وظهر منها بمصر البطون الآتية:

۱- بنو الحارث بن كعب:

هناك بطنان بهذا الاسم، أحدهما من تميم من عدنان^(٧)، والثاني من مذحج من قحطان^(٨). ونحن نرجح أن بني الحارث بن كعب المذكورين في الولاة ص ١٦٩، ومنهم أبو بجاد الحارثي الشاعر، هم ذلك البطن من مذحج. وذلك لأن شعر أبي بجاد الذي يسخر فيه من ميمون بن السرى لما قتل في معركة شطنوف ضد عبد العزيز الجروي سنة ٢٠٣ هـ يدل على يمينته^(٩).

(١) كتاب البلدان ص ١٠٦ .

(۲) فتوح مصر ص ۱۷۵-۱۷۶.

(٣) الطبري ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الأنساب ٢٧٠ ب حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٧.

(٥) فتوح مصر ص ٩٤، ١٠٣، ٢٥٣، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١ حسن المحاضرة ج ١ ص ٨٩.

(٦) الطبري ج ٣ ص ١٩٧.

(٧) نسب عدنان ص ٨، ٩ نهاية الأرب ص ٤٣.

(٨) نهاية الأرب ص ٤٤ الأنساب ص ١٤٩ ب.

(٩) الولاية ص ١٦٩-١٧٠.

٢- النخع^(١):

قبيلة كبيرة، وقد نزلت الكوفة^(٢). والواقع أن ليس لدينا ما يدل على أنها دخلت مصر بصورة قبلية سواء وقت الفتح أو بعده. وكل ما نعرف عنها هو أن الأشر النخعي الذي أرسله علي ليحكم مصر سنة ٣٧هـ مات قبل أن يدخلها^(٣). ولكن يبدو أن أفرادا، أو أسرا دخلوا مصر فيما بعد، فعلى شواهد القبور أسماء أفراد منهم من أهل القرن الثالث^(٤).

٣- جنب:

هم الإخوة الستة الذين جانبوا أخاهم، وحالفوا سعد العشيرة^(٥). شهدت جنب الفتح، واختطت بمصر^(٦). وتشير شواهد القبور إلى وجودهم بمصر في القرن الثالث^(٧). ولكن يبدو أنهم كانوا قليلين جدا. فلسنا نقابل منهم سوى عبد الله بن علي الذي بعث به والي مصر في جمع كثير لقتال دحية بن مصعب وأهل الواحات سنة ١٦٧-١٦٩هـ^(٨). ومن مواليتهم عبد الملك بن نصير (ت ٢١١هـ) كان مفرض أهل مصر في زمانه^(٩).

(١) يذهب رأي لبعض النسابة إلى أن النخع من إباد العدنانية.

(٢) وفیات الأعيان ج ١ ص ٣ الأنساب ص ١٥٥٧.

(٣) الولاة ص ٢٣-٢٥ النجوم ج ١ ص ١٠٢-١٠٥.

(٤) Rép. Chro. I. pp. 108, 150, 183.

(٥) نسب عدنان ص ٢٠ العقد ج ٤ ص ٢٤٩.

(٦) فتوح مصر ص ١٢٦.

(٧) Rép. Chro. I. p. 161.

(٨) الولاة ص ١٣٠.

(٩) الأنساب ص ٥٣٨ ب.

(د) بديعة

كل ما نعرف عنها أنها قبيلة من مذحج اختطت بمصر^(١). والأرجح أنها أحد البطون.
بذلك نفرغ من قبائل مذحج الفرع الثاني الكبير من عريب، وننتقل إلى الفرع الثالث.

٣- الأشعريون

كانت تعيش مع زييد في مخلاف الحصيب باليمن كما قلنا^(٢). وقد أسلم جماعة منهم مبكرين وشاركوا في نشر الإسلام باليمن فاستحقوا ثناء النبي ﷺ^(٣).

شهد الأشعريون فتح مصر. وكانت خطتهم جزءاً من خطة المعافر^(٤). وكانت ميولهم ضد الأمويين فقد اشتركوا مع ابن جحدم في حربه ضد مروان سنة ٦٥هـ. وقد سجل عبد الرحمن بن الحكم لها ذلك في قوله:

وأحياء مذحج والأشعرين وحَمِير كاللهب المحرق^(٥)

ولكن يبدو أنهم كانوا قليلين جداً بمصر، ولم يظهر منهم أحد في الحياة العامة بها.

وكان منهم البطانان الآتيان:

١- بنو صنم:

بطن من الأشعرين في المعافر^(٦).

منهم ربيعة بن سيف الإسكندراني المحدث (ت ١٢٠هـ)^(٧).

(١) فتوح مصر ص ١٢٦.

(٢) راجع ص ٢٢٣ من هذا البحث.

(٣) فتوح مصر ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٦.

(٥) الولاة ص ٤٤.

(٦) الأنساب ص ٣٥٥ ب.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٥٥ ب حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٨.

٢- الأكنوع:

كل ما نعرفه عنهم أنهم من الأشعرين، واختطوا معهم في المعافر^(١). والذي يهمننا أن نلاحظه في هذا المقام، هو اختلاط الأشعرين بالمعافر، اختلاطاً يكاد يجعلهم بطناً منهم، فقد كانت خطتهم جزءاً من خطة المعافر، وكان ديوانهم مضموماً فيما يبدو إلى ديوان المعافر، فالسمعاني يقول عن ربيعة بن سيف الذي تقدم ذكره أن «اسمه في ديوان المعافر بمصر في بني صنم»^(٢). ويضيف إليه هو والسيوطي النسبة: المعافري^(٣).

أما الفرع الأخير من عريب في مصر فهو:

طبيئ

لم تكن من قبائل الفتح، ولم تظهر في مصر إلا في أواسط القرن الثاني. ونحن نعرف أن حميد بن قحطبة الطائي لما ولي مصر سنة ١٤٣هـ دخلها في عشرين ألفاً من الجند^(٤)، فأغلب الظن أن قبيلته كانت ممثلة في هذا الجيش. والواقع أنها تظل ظاهرة على المسرح منذ ذلك التاريخ حتى القرن الثالث الذي تدل شواهد القبور على وجود هذه القبيلة بمصر في أثنائه^(٥).

وكل من ظهر من طبيئ بمصر كانوا من الشخصيات البارزة فهناك بعد حميد ابن قحطبة، يزيد بن عمران كان صاحب البريد سنة ١٧٤هـ^(٦). وفي سنة ١٩٥هـ ولي مصر وال آخر من طبيئ هو جابر بن الأشعب^(٧). ومن المهم أن نعرف أن جابراً استخلف أحد أبناء قبيلته المقيمين بمصر (عبد الله بن إبراهيم) إلى أن

(١) فتوح مصر ص ١٢٦.

(٢) الأنساب ص ٢٥٥ ب.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٥٥ ب حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٨.

(٤) الولاة ص ١١٠.

(٥) Rép. Chro. I, p. 186 & II, p. 68.

(٦) القضاة ص ٣٨٤.

(٧) الولاة ص ١٤٧-١٤٩.

جاء^(١). وشارك إبراهيم بن نافع، باعتباره من وجوه مصر، في السياسة المصرية مشاركة كلفته حياته سنة ١٩٩هـ^(٢).

وكان معلى بن العلي الطائي - الشاعر الذي لا مبدأ له - من أظهر شخصيات طيئ في مصر في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث^(٣). وكان هناك في الوقت نفسه الشاعر الناشي أبو تمام (ت ٢٣١هـ) الذي قضى صدر حياته في مصر ثم تركها ليصبح أحد الشعراء الخالدين^(٤).

وكان في مصر من طيئ البطن الآتي:

الغوث:

وكان منهم عمار بن مسلم بن عبد الله الذي ولي الشرطة عدة مرات فيما بين سنتي ١٦٥، ١٨١هـ^(٥).

بذلك تنتهي قبائل كهلان جميعا التي تكون القسم الأول من قحطان أي عرب الجنوب. وننتقل إلى القسم الثاني.

(١) الولاة ص ١٤٨.

(٢) الولاة ص ٥١٢، ١٥٥-١٥٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٥٥، ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.

(٤) ١٨٨-١٨٩ القضاة ص ٤١٤ معجم البلدان ج ٤ ص ٨٤.

(٥) في نشأة أبي تمام في مصر وتفصيلات علاقاته بوجوهها وأمرائها وشعرائها انظر: محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية ص ٢٠٠-٢٠٨.

(٥) الولاة ص ١٢٤، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨.

القسم الثاني: قبائل حمير

تتفرع حمير فرعين: مالك، والهميع. وقبل أن نتناولهما بالبحث نتحدث عن حمير بوجه عام.

عرفت حمير الحياة المدنية منذ زمن بعيد وكان منها ملوك اليمن من التبابعة إلا من تخلل في خلال ملكهم في قليل من الزمن^(١). وعندما دخلت المسيحية بلادها في القرن الرابع الميلادي كانت هناك مجامع يهودية عديدة، وقد غزاها الأحباش في القرن الثالث، وظلوا يحكمونها حتى بداية الثلث الأخير من القرن السادس عندما سقط حكمهم وقام الاحتلال الفارسي العسكري الذي قضى عليه الإسلام. وعلى كل حال فالنبي ﷺ لما أرسل رسوله الأول إلى اليمن كانت مملكة حمير قد دالت منذ زمن بعيد، وتقبل زعماء حمير الدين الجديد بغير معارضة جدية بالذكر^(٢).

واشتركت حمير في فتح مصر، واختطت بالفسطاط قبلي خولان وشرقيها. ومن المهم أن نلاحظ أنها سكنت مع المعافر في موقعها الممتاز فوق الجبل. وكانت تذهب إلى الصعيد الأدنى ترتب في بوسير وقرى أهناس. في حين ذهبت طائفة منهم إلى خربتنا فأقامت بها مع مدلج وحالفتهم فيها فهي منازلهم^(٣).

ووقفت حمير، شأنها شأن معظم القبائل اليمنية، مع ابن جحدم ضد مروان ابن الحكم. ويبدو أنها قاتلت بعنف جعل عبد الرحمن بن الحكم يقول عنها أنها «كاللهب المحرق»^(٤).

(١) نهاية الأرب ص ٢٠٠.

(٢) Ency. Isl. II, pp. 310-311.

(٣) فتوح مصر ص ١٢٦، ١٤٢.

(٤) الولاة ص ٤٤.

وهم يظهرون في مصر طوال فترة البحث . ولكن كان أهمهم الغطريف الشاعر (١٢٧هـ)^(١) ، وعبد العزيز بن ودعة (١٣٣هـ) من وجوه المصريين^(٢) ، وابن هشام صاحب السيرة النبوية (ت ٢١٨هـ)^(٣) .

وتدل شواهد القبور على أنهم كانوا ما يزالون كثيرين بمصر في القرن الثالث^(٤) .

ونتحدث الآن عن فرعي حمير .

أولا - مالك

إن الأقسام الرئيسية التي تنقسم إليها القبائل المنتسبة إلى مالك هي في الواقع فروع لقضاة بن مالك . فلكي نتحدث عن مالك يجب أن نتحدث عن قضاة بما هي الممثل الفعلي لمالك .

قُضاة

شهدت قُضاة فتح مصر واختطت بها . وبالرغم من أن عمر بن الخطاب حول قبيلة بللي - وكانت تمثل ثلث قضاة بالشام - إلى مصر^(٥) ظلت قضاة قليلة العدد إلى حد بصوره أنها لم تكن صاحبة دعوة مفردة في الديوان ، أي لم تكن ذات سجل خاص بها يشتمل على أسماء الأفراد الموجودين منها في مصر ، وإنما كانت موزعة في القبائل الأخرى ، بمعنى أن كل بطن منها كان ملحقا بديوان قبيلة من القبائل . فكانت مهرة مثلا مسجلة في ديوان كندة . وتنوخ في الأزد ، وجهينة في أهل الراية . . إلخ ، وظلت قضاة على هذا الوضع حتى حكم مصر أحد أبنائها (بشر بن صفوان الكلبي) فأعاد تنظيم الديوان بأن استخرج بطون

(١) المصدر نفسه ص ٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٩٨ .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٥ ، حسن ج ١ ص ٢٢٨ بغية الوعاة ص ٣١٥ .

(٤) Rép. Chro. I, pp. 191, 254, 275 & II, pp. 27-28, 66

(٥) فتوح مصر ص ١١٦ ، البيان ص ٣٠ .

قضاة من القبائل الملحق بها وجعلهم دعوة مفردة. وكان هذا هو التدوين الرابع للعرب المقيمين في مصر، وقد تم في سنة ١٠٢ هـ^(١).

ويبدو أن جانباً من قضاة أقام في بلاد الخوف حيث كان لهم، قبل منتصف القرن الثالث على كل حال، بلدة باسم (مسجد قضاة) على الطريق - طريق الصيف - من الفرما إلى مصر. وكانت في منتصف المسافة بين فاقوس وبلبيس^(٢).

وفي القرن الثاني كانت قضاة بارزة على مسرح الحياة المصرية يتحدث عنها الشعراء^(٣).

والآن نتحدث عن أقسام قضاة ويطونها في مصر.
تنقسم قضاة ثلاثة أقسام رئيسية: عمرو، وعمران، وأسلم.
ونتحدث الآن عن كل قسم وما كان من بطونه في مصر.

١ - عمرو

كان من هذا القسم بمصر القبائل الآتية:

مهرة:

المهريون شعب قديم من شعوب جنوبي الجزيرة، يتكلم لغة تختلف اختلافاً أساسياً من اللغة العربية. وقد ارتدوا عن الإسلام، ولكن أبا بكر أخضعهم بسهولة فعادوا إلى الإسلام واشتركوا في حركة الفتح الكبرى التي بدأت في عهد عمر بن الخطاب^(٤).

وتظهر مهرة في معارك فتح مصر. ويبدو أنها امتازت بالبراعة في القتال امتيازاً جعل عمرو بن العاص يصف المهريين بأنهم «قوم يقتلون - بفتح الياء - ولا

(١) الولاة ص ٧٠-٧١.

(٢) المسالك والممالك ص ٢٢٠.

(٣) الولاة ص ١٥٠ القضاة ص ٣٩٩.

(٤) Ency. Isl. III. pp. 138-144.

ويبدو أنهم أقاموا بالخوف فإن واحدا منهم (مهدي بن زياد) هو الذي قتل موسى بن مصعب أمير مصر في معركة العريزار ذكرها ياقوت باسم الغرياء بالغين المعجمة وقال إنها موضع بحوف مصر^(١). التي دارت بينه وبين أهل الخوف سنة ١٦٨هـ^(٢).

ومثلما ظهر من مهرة رجال الحرب ظهر منها رجال العلم ورجال الدين مثل خالد بن حميد الإسكندراني (ت ١٦٩هـ بالإسكندرية) من مشاهير أتباع التابعين بمصر^(٣)، ورشدين بن سعد (ت ١٨٨هـ) لم يكن محدثا دقيقا^(٤)، وسليمان بن داود (ت ٣٥٢هـ) من أصاغر أتباع التابعين بمصر^(٥).

وهكذا نرى أن مهرة كانت قبيلة على حظ من القوة والشهرة بمصر، واستطاعت أن تظهر على مسرح الحياة العامة وتؤثر فيها حربيا وسياسيا وعلميا.
بلي:

بلي قبيل عظيم فيه بطون كثيرة. وكانت مساكنها على حدود الشام بين أراضي جهينة وجذام. وكانوا قبل ذلك جنوبي جزيرة العرب^(٦).

وظلت بلي تقاوم الإسلام منضمة إلى هرقل حتى تمكن المسلمون من هزيمتها هي واليونانيين في معركة اليرموك ١٥هـ ولكن هذا لم يمنع أنها - أو جزءا منها - قدم خضوعه للنبي ﷺ بعد فتح مكة سنة ٩هـ، وإن كانوا حاولوا التمرد بعد وفاة النبي ﷺ^(٧).

وقد نزل أكثرهم مصر بعد معركة اليرموك بإذن الخليفة عمر^(٨). وقد قاموا في عمليات الفتح بدور مهم، إذ يبدو أنهم تولوا ضرب حصن بابلليون بالمنجنيق، فسجل عمرو ذلك لهم في رجزه المشهور:

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٨٦.

(٢) الولاة ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٣.

(٤) الأنساب ص ٥٤٦ أ، مقدمة كست ص ٣٣.

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٧.

(٦) البيان ص ٣٠، Mac, I. p. 137 & Ency. Isl. I. p. 618.

(٧) Ency. Isl. I. p. 618.

(٨) الأنساب ص ١٩١، و Ency. Isl. I. p. 618.

منها ابن الجثما من رجال ابن أبي حذيفة سنة ٣٦هـ^(١)، وعبد الرحمن بن عديس الذي قام بالدور الرئيسي في مصرع عثمان^(٢). ثم كان عبد الله بن أبي حرملة صاحب الشرطة لمحمد بن أبي بكر الصديق^(٣). واستمرت ميول بلي ضد الأمويين فكان زهير بن قيس من قواد ابن جحدم في حربه ضد مروان سنة ٦٥هـ^(٤).

وكان عايد بن ثعلبة (ت ٥٣هـ)^(٥)، ووحوح بن ثابت من أشرف أهل مصر^(٦).

ومن شعراء بلي أبو المصعب صاحب القصيدة المشهورة التي هجا فيها أشرف أهل مصر^(٧).

وكان من موالي بلي شعيب بن حميد من أصحاب الشرط (١٠١هـ)^(٨)، وأبو الندى قاطع الطريق الرهيب (١٩١-١٩٢هـ) في الصحراء ما بين مصر والحجاز والشام^(٩).

وكان من بلي بمصر البطون الآتية:

(أ) فاران:

هو فاران بن بلي. منه فرح بن سهيل (ت ٢٣٨هـ) من محدثي مصر^(١٠).

(ب) عترة:

عترة اسم لبطون في قبائل كثيرة منها بلي^(١١).

(١) الولاة ص ١٩.

(٢) انظر بطن عترة فيما يلي.

(٣) الولاة ص ٢٧.

(٤) فتوح مصر ص ٢٠٢-٢٠٣ الولاة ص ٤٣.

(٥) فتوح مصر ص ١٢٣-١٢٤ والولاة ص ٣٨.

(٦) الولاة ص ١٠٢، ١٠٣.

(٧) فتوح مصر ص ١٢٣-١٢٤.

(٨) الولاة ص ٧٠.

(٩) المصدر نفسه ص ١٤٣-١٤٤.

(١٠) الأنساب ص ٤٣٦ ب.

(١١) المصدر نفسه ص ٣٨٣ ب.

وعترة بلي منها عبد الرحمن بن عديس الصحابي، شهد فتح مصر واختط بها، وكان أحد فرسان بلي المعدودين بمصر، وكان القائد العام للجيش المصري الذي سيّره ابن أبي حذيفة إلى عثمان سنة ٣٥هـ^(١).

(ج) بلي جزاء:

من بلي. لهم خطة بالفسطاط^(٢).

(د) بلي أهل الراية:

يبدو أنهم هم الجزء الذي أقام مع أهل الراية من بلي^(٣).

(هـ) الواوحة:

قوم من بلي كانت لهم خطة بمصر. بني في خطتهم عبد العزيز بن مروان قيسارية الكباش^(٤).

من الواضح الآن أن الدور الرئيسي الذي قامت به بلي في الحياة المصرية يكاد ينحصر في عملية الفتح نفسها ثم في الثورة على عثمان .. ومنذ ذلك التاريخ عاشت بلي بمصر في خمول يكاد يكون مطلقا بالرغم من العدد الكبير الذي أقام منهم بمصر.

ونتقل في كل حال إلى القسم الثاني من قضاة.

٢- عمران

كان من هذا القسم بمصر القبائل الآتية:

سليح:

ويبدو أنها كانت قليلة الأهمية. ولم يظهر منهم سوى عبد الملك بن مليل المحدث^(٥).

(١) الطبري ج ٣ ص ٤٠٧، ٤١١ الولاة ص ١٧، ١٩، ٢٠ الأنساب ص ٩١.

(٢) فتوح مصر ص ١١٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢٦.

(٥) الأنساب ص ٣٠٤.

كلب:

مجموعة من القبائل الرعوية الشامية، جعلهم فتح الشام في المقدمة بسبب التحالف الوثيق الذي عقده معاوية مع قبيلتهم. وقد سما بهم هذا التحالف إلى مرتبة عالية في البلاط والجيش. وقد ظلوا إلى جانب الأمويين بمدونهم بالمساعدات الحربية الفعالة في المناسبات المختلفة حتى أصبح اسم الكلبي مرادفا للمتعصب للأمويين. وكانوا في أثناء ذلك كله يناصبون قبيلة قيس العداء التقليدي المستحکم^(١).

ولم تظهر كلب في مصر إلا في وقت متأخر على كل حال، وإذا استثنينا دحية بن خليفة مبعوث النبي ﷺ الديبلوماسي الذي يبدو أن إقامته بمصر كانت قصيرة^(٢)، كان بشر بن صفوان والي مصر (١٠١-١٠٢هـ)، وصاحب التدوين الرابع المشهور، هو أول الكلبيين ظهورا بها^(٣). وبناء على ما مر بنا من سوابق نستطيع أن نفترض قدوم عدد من قبيلة كلب إلى مصر مع ذلك الوالي. والواقع أننا نجد أخاه حفظة يلي له الشرط سنة ١٠١هـ ثم يحكم مصر نفسها مرتين (١٠٢-١٠٥، ١١٩-١٢٤هـ)^(٤). وكذلك عياض بن حريية صاحب شرط حفظة هذا (١١٩-١٢٢هـ)، الذي ظل مقيما بمصر حتى قامت الدولة العباسية وخرج مع صالح بن علي العباسي في عشرة من أهل مصر سنة ١٣٣هـ^(٥). بل إن جانبا من كلب أقام في الحوف الشرقي مع القبائل اليمانية الأخرى المقيمة به، حيث ظهر منهم شرحبيل بن مذيلفة الذي قاد حركة التسويد بالحوف الشرقي سنة ١٣٢هـ^(٦).

ويصبح وجود الكلبيين مألوفاً بمصر بعد ذلك فنرى منهم أبا كندة بن عبيد من القواد (١٤٥هـ)^(٧)، وأبا الصهباء من أصحاب الشرط القساة (١٥٥-١٦١هـ)^(٨)، ويزيد بن الخطاب أحد زعماء الحوف في فتنة الأمين والمأمون. ومن

(١) Ency. Isl. II, p. 688, 689.

(٢) الأنساب ص ٤٨٥ ب.

(٣) الولاية ص ٧٠-٧١.

(٤) الولاية ص ٧٠-٧١، ٨٠-٨٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٨١، ١٠١.

(٦) المصدر نفسه ٩٥، ١٠١، ١٠٥ الانتصار ج ٤ ص ٢٩.

(٧) المصدر نفسه ص ١١٣.

(٨) المصدر نفسه ص ١١٩.

خطة اللقيف^(١). وكانت تنوخ مضمومة إلى الأزد في الديوان حتى استخرجها بشر ابن صفوان سنة ١٠٢ هـ وجعلها هي وسائر بطون قضاة دعوة مستقلة^(٢).

ظهر منهم بمصر بطنان أو أسرتان هما:

(أ) بنو علقمة:

اختط جددهم بمصر^(٣)، وورث كعب بن علقمة هذه الخطة ثم وهبها لعبد العزيز بن مروان الذي حولها إلى الحمام الذي كان يعرف بحمام زيان^(٤). وقد اتهم عبد الحميد بن كعب بالقدَر سنة ١٧٠ هـ^(٥).

(ب) آل كعب بن عدي:

كان جددهم كعب من أهل الحيرة، أرسله عمر إلى المقوقس سنة ١٥ هـ، وشهد فتح مصر^(٦). وانضم آل كعب إلى قريش في الديوان، وظلوا كذلك حتى التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ فانضموا مع سائر قضاة^(٧).

لم تكن تنوخ على ما يبدو مما سبق من القبائل المهمة بمصر، ولكنها ظلت محتفظة ببقائها منذ دخلتها مع الفتح حتى الثلث الثاني من القرن الثاني على الأقل.

خسین:

ذكرها «كست» ناشر الولاية باسم خسین الذي عده من الأسماء المجهولة^(٨). ولكن من الواضح أنها البطن من قضاة رهط أبي ثعلبة الخشني^(٩).

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٥١.

(٢) الولاية ص ٧٠-٧١.

(٣) فتوح مصر ص ١١٣-١١٤.

(٤) المصدر نفسه ص ١١٤.

(٥) الولاية ص ١٣١.

(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٦.

(٧) الولاية ص ٧٠-٧١.

(٨) الولاية هامش ص ٧١.

(٩) الأنساب ص ٢٠٠ القاموس مادة: الخشني.

الإطلاق. كان منهم إبراهيم بن حوي الذي قتله أهل الحوف في المعارك بينهم وبين الدولة ١٨٦-١٨٧هـ^(١). وكان حوي بن حوي (ت ٢٠٠هـ) من أشرف أهل مصر، صاحب فندق حوي بالفسطاط، ولي أولاده الولايات بمصر^(٢). فكان أحمد ابن حوي من أصحاب الشرط (١٨٩-١٩٩هـ)^(٣)، وكان أبو الكرم بن حوي من القواد، قتله أهل الحوف سنة ١٩٧هـ^(٤).

ويظهر بنو عذرة بمصر في القرن الثالث كذلك، فكان منهم أبو مجاهد عذرة ابن مصعب (ت ٢٥٢هـ) المحدث ومؤذن المسجد الجامع بمصر^(٥).

وقد احتفظوا ببقائهم في مصر زمنا طويلا بعد ذلك فإن الحمداني يذكر أن منهم جماعة بدمياط وما حولها بتنيس^(٦).

والواضح في كل حال من حياة بني عذرة بمصر أنهم كانوا من أشرفها أي من الطبقة الأرستقراطية بها. وأنهم كانوا في جانب الدولة دائما، فكانوا ممن يمثلون الاتجاه المدني المضاد للاتجاه البدوي.

جُهينة:

قبيلة عظيمة، فيها بطون كثيرة، اعتنقت الإسلام واندمجت في الجماعة الإسلامية بدون مقاومة. ولم يشتركوا في الردة، بل ظلوا معاونين أقوياء للخلافة الناشئة. ونزلت جهينة الكوفة والبصرة. ولكن جمهورها هاجر إلى مصر حيث نجدها عند الفتح مع أقسام أخرى وثيقة التحالف من قضاة^(٧)، ثم أخذوا يتقدمون بالتدريج من مصر السفلى نحو مصر العليا حيث لعبوا دورا ضخما في العصر الفاطمي عندما كانوا يقيمون في منطقة الأشمونين إلى أن طردتهم قریش

(١) الولاة ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) القضاة ص ٣٨٩، ٣٩٨ الانتصار ج ٤ ص ٤٠.

(٣) الولاة ص ١٤٢، ١٥٤.

(٤) المصدر نفسه ص ١٥١.

(٥) الأنساب ص ١٣٨٧.

(٦) نهاية الأرب ص ٢٩٣.

(٧) البيان ص ٣١ الأنساب ص ١٤٥ ب ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٣، Ency. Isl. I, p. 1060.

منها بمساعدة الفاطميين ومن المهم أن نلاحظ أن جهينة كانت عند الفتح من أهل
الراية، وقد اختلط معهم حول عمرو والمسجد^(١). ولم تشترك جهينة بسبب قتلها
مع أهل الراية في السكن فحسب، بل إنها ضمت إليهم في الديوان أيضا وظلت
كذلك حتى التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ^(٢).

ولم تجمد جهينة في مساكنها الأولى بالفسطاط، بل إنهم أخذوا يتقدمون بالتدريج نحو مصر العليا، حيث نراهم في القرن الثالث من بين القبائل المقيمة على حدود مملكة النوبة والتي حطمت تدريجياً سلطان هذه المملكة المسيحية القديمة. وقد كانت جهينة على أية حال هي التي مهدت السبيل إلى تفكك مملكة النوبة وتحولها إلى الإسلام، وبذلك حطمت أقوى دفاع كان يقوم على أراضي أعالي النيل في وجه غارات العرب والإسلام^(٣).

ومثلما سجل اليعقوبي إقامتهم في الجنوب في معادن التبر مع أصدقائهم بلي سجل اتجاههم نحو الغرب وإقامتهم مع بلي وبني مدلج وغيرهم في الرمادة من عمل لويبة^(٤)..

والواقع أن أهم تحركات جهينة هو ذلك الذي أدى إلى انتشارها في الصعيد. ولابد أن كثيرا من بطونها قد هاجر إلى مصر بعد الفتح وانضم إلى الفئة الأولى القليلة التي شهدت الفتح بحيث أصبحت جهينة من القبائل الكبيرة بمصر. ولا يمكن بغير هذا تفسير اشتراكهم في غزو بلاد النوبة الذي مر ذكره، ولا تفسير احتلالهم منطقة الأشمونيين وإقامتهم كأغلبية هم وبلي مع قريش التي كانت قليلة العدد بهذه المنطقة أول الأمر. فلما كان العصر الفاطمي زحفت قريش على الأشمونيين واستأثرت بها دون هاتين القبيلتين على النحو الذي ذكرنا من قبل. فسارت جهينة إلى الصعيد الأعلى حيث نزلت في بلاد أخميم أعلاها وأسفلها^(٥).

(١) فتوح مصر ص ٩٨ الانتصار ج ٤ ص ٣.

(٢) الولاية ص ٧١.

.Ency. Isl. I, p. 1060 (r)

(٤) كتاب البلدان ص ١٢١-١٢٢، ١٢٣، ١٣١.

(٥) نهاية الأرب ص ١٨٦ البيان ص ٣١، Ency. Isl. I, p. 1060 & Mac. I, p. 138، ص ٨٩ من

ومما يلفت النظر أن جهينة لم يظهر منها بمصر بالرغم من كثرتها سوى عقبة ابن عامر الصحابي، من كبار رجالات مصر ومحدثيها في عهد الفتح^(١).

وكل من ظهر منها بعد ذلك فهو من الموالي، مثل أبي الهيثم مولى عقبة^(٢)، وعبد الله بن صالح كاتب الليث (ت ٢٢٣هـ) من حفاظ الحديث ونقاده^(٣)، وسهل بن الربيع الأخميمي الشاهد المحدث (ت ٢٤٩هـ)^(٤)، وابنه أحمد بن سهل (ت ٢٨١هـ) شاهد ومحدث كذلك^(٥).

بذلك نفرغ من أقسام قضاة جميعا، فنفرغ من مالك أحد فرعي حمير، وننتقل إلى الفرع الثاني.

ثانيا - الهميسع

تمثل القبائل المنتسبة إلى الهميسع بن حمير سائر حمير غير قضاة^(٦). وهذه القبائل هي:

١ - حضرموت

من المهم أن نلاحظ أن بلاد حضرموت الواقعة في جزيرة العرب، شرقي اليمن كان يسكنها الصدف في عصر ما قبل الإسلام^(٧). وقد ذكرنا عند الحديث عن كندة أنها هاجرت في وقت مولد النبي ﷺ تقريبا من البحرين إلى حضرموت في أكثر من ثلاثين ألف رجل وألحقت نفسها بالصدف، وكانت تجيب أخوال الحضارمة أهم بطون كندة عند ذاك. ولذلك كان لنا أن نتوقع وجود صلات كثيرة بين الحضارمة سكان البلاد الأصليين والصدف وكندة وتجب سكانها الطارئین.

(١) فتوح مصر ص ٢٨٧، ٢٩٤ الولاة ص ١٤، ٣٦-٣٨.

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٧.

(٣) الأنساب ص ٤٦٩ ب حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٥.

(٤) الأنساب ص ٢٢ أ.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) نسب عدنان ص ٢٤.

(٧) Ency. Isl. II, p. 207.

والواقع أن ذلك الاختلاط كان له أثره البعيد في حياة الحضارمة إلى حد أن قال صاحب العبر أن أكثرهم ذهب واندرج باقيهم في كندة وصاروا في عدادهم^(١). وقد تأثر الحضارمة بنظام كندة في الحكم أو خضعوا لهذا النظام فكان يحكمهم في عصر النبي ﷺ الأمراء الملقبون بالعباهلة الذين كانوا يقابلون التبابعة ملوك اليمن في علو الصيت ونباهة الذكر^(٢). وكان هؤلاء العباهلة وائل بن حجر الذي ترك ملكه ونهض إلى الرسول ﷺ لما بلغه ظهوره، فبشر النبي ﷺ بقدومه الناس قبل أن يقدم بثلاثة أيام. ومن المهم أن نلاحظ أن السمعاني يضيف إلى وائل هذا النسبتين الحضرمي الكندي معا^(٣).

ويبدو أن الحضارمة شهدوا فتح مصر. فقد ذكر ابن عبد الحكم أسماء من دخل منهم الفسطاط مع عمرو. ولا شك في قلة عددهم آنذاك، فإنهم لم ينفردوا بخطة مستقلة وإنما أقاموا مع أخوالهم في تجيب. وفي آخر خلافة عثمان ركب مائة منهم إليه واستأذنوه في المسير إلى مصر فأذن لهم. وبذلك زاد عددهم في مصر بحيث أصبحوا يستحقون خطة مستقلة فاخطوا شرقي سلهم والصدف حتى أصبحوا وتحول إليهم من أراد التحول ممن كان منهم بتجيب^(٤). وصاروا يرتبعون في بيا (من كورة البهنسا)^(٥). وعين شمس وأتريب^(٦).

ويبدو أن طبيعة بلاد حضرموت الفقيرة ترغم أبناءها على الهجرة سعيا وراء الرزق، ويضطروهم هذا بالتالي إلى اكتساب مزايا معينة كالمهارة والأمانة تكفل لهم النجاح في كفاحهم في البلاد الغربية عليهم. وقد ظهر هذا بوضوح في حياة الحضارمة الذين أقاموا بمصر حيث كان لهم اعتبار خاص لدى أداة الحكم، فقد كتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد والي مصر ينصحه - وربما يأمره - بأن يختار

(١) نهاية الأرب ص ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧، Ency. Isl. II, p. 207.

(٣) الأنساب ص ١٧٠ أ. ب.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٣.

(٥) معجم البلدان ج ٢ ص ٥٣. الأرجح أنها كورة بنا التالية لكورتى عين شمس وأتريب.

(٦) فتوح مصر ص ١٤٢.

موظفيه من الأزد أو الحضارمة فإنهم أهل الأمانة^(١). وحدث أن ساء التفاهم بين عريف حضرموت (الملاس بن جذيمة) ووالي مصر (مسلمة بن مخلد) فاستأذن الملاس الخليفة معاوية في الانتقال إلى فلسطين فأذن لهم. ولكن مسلمة الذي كره ذلك لما فيه من خسارة مادية وأدبية لمصر بطبيعة الحال احتال حتى أحبط هذه المحاولة^(٢) وضرب الحضارمة الرقم القياسي في عدد من ولي القضاء منهم، ففي المدة ما بين سنة ٨٤ وسنة ٢٤٤هـ - أي في حوالي قرن ونصف قرن - ولي القضاء بمصر تسعة من رجال حضرموت - أي بمعدل قاضٍ واحد كل ثمانية عشر عاما - أولهم يونس بن عطية (٨٤-٨٦هـ) وآخرهم لهيعة بن عيسى (١٩٩-٢٤٤هـ). هؤلاء عدا من ولي القضاء منهم في الأندلس وبرقة وفلسطين وحمص ودمشق. ولا شك في أن الشاعر يزيد بن مقسم الصديقي كان على حق إذ هنا حضرموت بما اقتصت به من الحكومة بين العجم والعرب^(٣). ولما أخذ الحوثة بن سهيل فتنة خلع مروان بمصر سنة ١٢٨هـ ومضى يعدم زعماءها - وكان رجلا بدويا لا يجيد إلا سفك الدماء - هم بقتل خير بن نعيم الحضرمي قاضي مصر وقتذاك، ولكن حسان بن عتاهية التجيبي صاحب شرط الحوثة تدخل، فاكتمى الحوثة بعزل ابن نعيم^(٤).

والآن نتحدث عن بطون حضرموت أو الأسر التي عاشت منها في مصر.
(أ) بس:

دخل هذا البطن مصر مع عمرو، وكان أبرزهم نمر بن زرعة بن نمر^(٥). ومع الأيام أصبح بنو يغلب أشهر وأهم أسر هذا البطن بمصر، حتى صاروا ينتسبون إلى جدهم يغلب هذا^(٦).

(١) القضاة ص ٤٢٦.

(٢) راجع فتوح مصر ص ١٢٤.

(٣) القضاة ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) الولاة ص ٩٠ القضاة ص ٣٥٢.

(٥) فتوح مصر ص ١٢٣.

(٦) الأنساب ص ١٦٠ أ.

ومن بني يغلب توبة بن نمر (ت ١٢٠هـ) قاضي مصر وأحد أئمتها المجتهدين^(١). وعمه الحارث بن حرملة كان من تابعي مصر^(٢). واشتهر عقبة بن كليب بفرسه «الجون» كان من خيل مصر المشهورة^(٣). وكان ابنه عياش بن عقبة (١٣٢-١٥٥هـ) من رجالات العباسيين بمصر كما كان من المحدثين^(٤).

(ب) الأعدول:

بطن من الحضارمة، اشتهر منهم لهيعة بن عقبة (ت ١٠٠هـ) من مشاهير تابعي مصر^(٥). أما ابنه عبد الله بن لهيعة (٩٦-١٧٤هـ) فقد ولي قضاء مصر وحدث بها^(٦). وكان أخوه عيسى بن لهيعة (ت ١٤٥هـ) من المحدثين كذلك^(٧). وشاركت ذرية عيسى هذا في الحياة العامة بمصر، فولي ابنه لهيعة بن عيسى (ت ٢٠٤هـ) القضاء^(٨)، وولي عباس بن لهيعة (ت ٢١٥هـ) الشرط وحدث^(٩)، كما ولي عيسى بن لهيعة (ت ٢٥٧هـ) المظالم وحدث^(١٠).

(ج) الأحداث:

بطن من ناهض، من حضرموت^(١١).

كان أشهرهم خير بن نعيم (ت ١٣٧هـ) قاضي مصر وأحد أئمتها المجتهدين^(١٢).

(١) فتوح مصر ص ١١٩، القضاة ص ٣٤٢-٣٤٧ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩. الأنساب ص ١٦٠.

(٢) الأنساب ص ١٦٠.

(٣) فتوح مصر ص ١٤٤. الأنساب ص ١٦٠.

(٤) الولاة ص ٩٧، ١٠٣، ١١٤ القضاة: ص ٣٦٩، الأنساب ص ١٦٠.

(٥) الأنساب ص ٤٤ أحسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٧.

(٦) القضاة ص ٢٦٨-٢٧٠. الأنساب ص ٤٤ أحسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٠ مقدمة كست

ص ٣١-٣٢.

(٧) الأنساب ص ٤٤.

(٨) القضاة ص ٤١٧-٤٢٦.

(٩) الولاة ص ١٦٦. الأنساب ص ٤٤.

(١٠) الولاة ص ١٩٨. القضاة ص ٤٦٨. الأنساب ص ٤٤.

(١١) الأنساب ص ٢٠.

(١٢) الولاة ص ٩٠. القضاة ص ٣٤٧-٣٥٦. الأنساب ص ٢٠ أحسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٠.

(د) العقابة:

ظهر منهم رواية مثل: أواب بن عبد الله (مات قديماً)^(١)، وإسحق بن عمرو (ت ٢٤١هـ)^(٢).

(هـ) بنو عوف:

منهم ابن أمية الذي ساعد مسلمة بن مخلد على إحباط رغبة عريف حضرموت في الانتقال بالقبيلة إلى فلسطين^(٣). ولكن أهمهم هو بلا شك حفص ابن الوليد (ت ١٢٨هـ) أمير مصر ومن أصاغر تابعيها^(٤).

(و) الحارث:

دخلوا مع عمرو بن العاص، وكان أبررهم مالك بن عمرو بن الأجدع، وكانوا يدعون للملامس بن جذيمة عريف حضرموت^(٥).

(ز) عيدان:

بطن من حضرموت، منهم ربيعة بن عيدان الصحابي، شهد الفتح^(٦).

(ح) بنو سريخ:

ذكرهم السمعاني باسم سليخ بضم السين وفتح اللام^(٧).

وقد دخلوا مصر مع عمرو بن العاص. وكان أشهرهم الملامس بن جذيمة عريف حضرموت في عهد الفتح^(٨).

ولكن الذين اشتهروا منهم بمصر هم بنو الأعين بن نمر الذي دخل مصر مع عمرو^(٩). وكان ابنه حيان بن الأعين من محدثي مصر كما كان ممن لحق بابن

(١) الأنساب ص ٣٩٤، أ. ب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) فتوح مصر ص ١٢٤.

(٤) الولاة ص ٧١-٩١ النجوم ج ١ ص ٢٩٢ حن للحاضرة ج ١ ص ١١٠.

(٥) فتوح مصر ص ١٢٣، ١٢٤.

(٦) الأنساب ص ١٤٠.

(٧) المصدر نفسه ص ٢٠٤.

(٨) فتوح مصر ص ١٢٣-١٢٤.

(٩) المصدر نفسه ص ١٢٣.

عبدالعزیز (١٤١-٢٢٢هـ) الراوية^(١). هما أشهر وأهم موالی حضر موت. وكان أبو ذؤالة (ت ٢٠٤هـ) من الشهود وصاحب رحبة باسمه في الفسطاط^(٢).

وفي حديثنا عن موالی حضر موت لا بد لنا من الوقوف عند طائفة من أهل اليمن يتردد ذكرهم في تاريخ مصر، أولئك هم الأبناء. والأبناء، فيما أجمع المؤرخون، هم نسل الجنود الفرس الذين استوطنوا اليمن بعد أن طردوا منها الحبش وحكموها وتزوجوا منها^(٣).

وكان في حضر موت بمصر من هؤلاء الأبناء - ويذكرون في ابن عبد الحكم خطأ باسم الأشياء - عبد الله بن كليب دخل مع عمرو، وقيس أخوه حاجب مسلمة بن مخلد وعبد العزيز بن مروان. وكان هؤلاء الأبناء يدعون لعريف حضر موت الملامس بن جذيمة^(٤).

بقي علينا أن نلقي نظرة عامة على حياة حضر موت بمصر.

إن أول ما يلفت النظر في الحضارمة غلبة الاشتغال بالعلم والدين عليهم، ويكفي أن كان منهم تسعة من القضاة. أما من اشتغل منهم بالرواية إلى جانب هؤلاء القضاة فكثير، بل إن معظم كبار الموظفين منها كانوا من رجال الحديث كذلك. وقد مرت أمثلة كثيرة من ذلك. ولكن هذا لم يمنعهم من المشاركة في شئون الدولة، فقد ظهر منهم عدد من كبار رجال الدولة.

أما ميول حضر موت السياسية فتبدو في موقفها من الحوادث السياسية المهمة.

لم تظهر حضر موت في فتنة عثمان، ولعل ذلك لأنها لم تكن قد كثرت بعد بمصر. ولكنها كانت ذات ميول ضد الأمويين على كل حال: فقد كان سخدور الصحابي من المحرضين على قتال مروان بن الحكم^(٥)، وقد ذكرنا منذ لحظة أن

(١) الأنساب ص ٥٤٦ ب-١٥٤٧ ومقدمة كست ٢٧-٢٨.

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٣٧.

(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣٨ الأنساب ١٧ ب.

(٤) فتوح مصر ص ١٢٣ الولاة ص ٥٤.

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٨٧.

حيان بن الأعين كان ممن لحق بابن الزبير في الوقت نفسه سنة ٦٤هـ. ولما آذنت الدولة الأموية بالانتهاء وانفجرت الثورات ضد مروان الحمار كان أربعة من حضرموت هم: رجاء بن الأشيم، وفهد بن مهدي، ويزيد بن مسروق، وعبد الله ابن عبد الرحمن بن عميرة من كبار رؤساء الدعوة إلى خلع مروان (١٢٧-١٢٨هـ)^(١)، وفي الحركة العلوية التي ظهرت بمصر سنة ١٤٥هـ كان ابن عمير ويحيى بن جابر ممن أيدوها من حضرموت^(٢). وحفل العصر العباسي بالكثير من شخصيات حضرموت البارزة مما يدل على ثقة الدولة فيهم وولائهم لها.

من الواضح بعد هذا أن حضرموت كانت من القبائل الحية البارزة التي ساهمت مساهمة إيجابية في الحياة المصرية. وقد ظلت محتفظة ببقائها في قوة طوال القرون الثلاثة التي نعني بها على ما يبدو من حياة أشخاصها الذين مروا بنا. أما شواهد القبور فتقدم الدليل في سخاء على صحة هذا بالنسبة إلى القرنين الأخيرين^(٣).

نتقل إلى القبيلة الثانية مع الهميسع:

٢- الصدف

أشرنا منذ قليل إلى اختلاط كندة والصدف في بلاد حضرموت إلى جانب اختلاطهم مع الحضارمة سكان البلاد الأصليين^(٤). ويعبر ابن دقماق عن ذلك الامتزاج الغريب بقوله عن الصدف أنهم «بطن من كندة ينسبون اليوم في حضرموت»^(٥).

وقد شهدت الصدف في كل حال فتح مصر، وسجل عمرو دورها في مهاجمة حصن بابليون في رجزه المشهور:

(١) الولاة ص ٨٤-٩١، ٩٤، ٩٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١١٣، ١١٤.

(٣) Rép. Chro. I. pp. 42-43, 62-63, 104, 179-180, 196, 283, 289 & II, pp. 59, 89

(٤) انظر ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٥) الانتصار ج ٤ ص ٤.

* يوم لهمدان ويوم لصدف * (١)

واختطت قبلي مهرة (٢)، وكانت تأخذ مرتبها في الفيوم (٣). وظل الصدف محتفظين بعلاقتهم بكندة، فقد ذكر القضاعي أن دعوتهم مع كندة (٤).

ويبدو أن الجانب الأعظم من هذه القبيلة ترك موجة الفتوح تحمله خارج موطنه الأصلي، فقد قال أرباب علم النسب: أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب (٥). وذكر السمعاني أن في رواة العلم جماعة صدفين كان عامتهم بمصر (٦). وذكر ابن خلكان أن الصدف قبيلة كبيرة من حمير نزلت مصر (٧). وأشار اليعقوبي إلى أن قوما منهم كانوا بجبل برقة الشرقي مع غيرهم من أهل اليمن (٨). ويؤخذ من هذه الأخبار في كل حال أن مصر كانت المستقر لجانب كبير من هذه القبيلة. والواقع أن فرعيها كليهما - الأجدوم وكان منهم حيان بن يوسف عريف الصدف وقت الفتح (٩)، والأحروم ومنهم جعشم بن الخير بن ثعلبة ممن بايع تحت الشجرة (١٠) - مثلاً في مصر. ولكن من المؤسف أننا لا نستطيع رد شخصيات الصدف التي بين أيدينا إلى الفرع الذي تنتسب إليه كل شخصية منها، فقد كانوا يكتفون فيما يبدو بالانتساب إلى القبيل الأكبر. وأن الأسماء التي حفظتها شواهد القبور لمن مات بمصر من هذه القبيلة لتفوق في الكثرة الأسماء الخاصة بأية قبيلة أخرى على الإطلاق (١١). كما حفظت أوراق البردي بعض أسمائهم في القرن الأول (١٢).

(١) فتوح مصر ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٢.

(٤) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥٥ نهاية الأرب ص ٥٤.

(٥) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥٥.

(٦) الأنساب ص ٢٥٠ ب.

(٧) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٠.

(٨) كتاب البلدان ص ١٣٢.

(٩) فتوح مصر ص ١٢٣.

(١٠) الأنساب ص ١٦٦ أ.

Rép. Chro. I. pp. 43, 140-141, 145, 147, 157-158, 182, 213-214, 256, 261, (١١)

.286 & II, pp. 11, 31, 37, 67, 165

.Ar. Uap. III, p. 79 (١٢)

شرط الفسطاط التجيبي يسر لهم الهرب لما فشلت حركتهم، كما كان الضرب العقاب الوحيد الذي أنزل بمن اشترك معهم^(١).

وكان عبد الأعلى بن موسى (١٢١-٢٠١هـ) عميد الأسرة الثانية المهمة من الصدف في مصر^(٢). ولا شك في أن يونس بن عبد الأعلى (١٧٠-٢٦٤هـ) الفقيه الشافعي الكبير هو أهم شخصيات هذه الأسرة في الفترة التي ندرسها^(٣). ولا بأس من أن نذكر أن هذه الأسرة ظلت حية بمصر طوال القرن الرابع حيث ظهر منها عدد كبير من أهل العلم والحديث أهمهم الحافظ أبو سعيد، عبدالرحمن ابن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى (٢٤٠-٢٤٩هـ) صاحب تاريخ مصر الذي اعتمد عليه كل من جاء بعده من المؤرخين، والذي لا زلنا نعتمد اعتمادا كبيرا على ما بقي من أخباره في كتب المؤرخين^(٤).

نرى من هذا كله أن الدور الذي لعبته الصدف في مصر كان علميا بقدر ما كان سياسيا حرييا. ولكن الجانب العلمي كان ألمع الجانبين وأبقاهما أثرا. ثم تنتقل إلى القبيلة الثالثة من الهميسع.

٣- رعين

كان ذو رعين أبو القبيلة من أقبال اليمين^(٥). فهي من الأذواء. ودخلت رعين مصر في الفتح، ونزلت بها، واختطت شرقي خولان وقبلي مذحج^(٦). وكان من رعين بمصر البطون الآتية:

(١) المصدر نفسه ص ١١٣، ١١٤.

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥٤-٥٥٥.

(٣) القضاة ص ٤٥٤-٤٥٦ وغيرها ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥٣-٥٥٥ حسن المحاضرة ج ١

ص ١٢٤، ٢٠٧ طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٧٩-٢٨١.

(٤) الأنساب ص ٣٥٠ ب.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٥٥ ب العقد ج ٢ ص ٢٣٥.

(٦) فتح مصر ص ١٢٥، ١٢٦ الانتصار ج ٤ ص ٤ نهاية الأرب ص ٢١٩.

(أ) قتيان:

شهد هذا البطن فتح مصر. وكان منهم عند ذاك جبار بن ياسر الذي ترك ذرية ظهر منها عباس وجابر ابنا عباس بن جابر من المحدثين^(١). وكان جعل بن عاهان (ت ١١٥هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر^(٢). وكان عياش بن عباس من محدثي القرن الأول^(٣)، في حين كان ابنه عبد الله بن عياش قاصا بمصر سنة ١٤٤هـ^(٤). وكذلك كان فضالة القتباني (ت ١٢٢هـ) من المحدثين^(٥)، وهو والد المفضل (١٠٦-١٨١هـ) الذي ولي قضاء مصر مرتين^(٦). وكانت الليث بن عاصم (ت ١٤٥هـ) وابنه عبد الأحد (ت ١٦٩هـ) من رواة مصر البارزين^(٧). وكان سعيد بن يزيد (ت ١٥٤هـ) من أصاغر تابعي مصر^(٨). في حين كان سعيد بن عيسى (ت ٢١٩هـ) من صغار أتباع التابعين^(٩). ومن الواضح اهتمام قتيان بالعلم وتفوقها فيه.

(ب) حجر وعين:

هم وحجر حَمِير شيء واحد^(١٠). كان منهم زييد بن الحرث العنقي^(١١). ودخر بن عامر (ت ١٠٢هـ) من مشاهير تابعي مصر^(١٢). وكان شرحبيل بن قليب من القواد سنة ١٢٧هـ^(١٣). كما كان عمران بن سعيد (١٥٢هـ)، وعمرو بن عبدالعزيز، وعبد الغني بن عدي (١٨٢-١٨٧هـ) من كبار الموظفين^(١٤).

(١) الأنساب ص ٤٤٣ ب.

(٢) حسن للحاضرة ج ١ ص ١١٩.

(٣) الأنساب ص ٤٤٢ ب.

(٤) فتوح مصر ص ٢٤١، ٢٤٣.

(٥) القضاة هامش ص ٣٨٧.

(٦) المصدر نفسه ص ٣٧٧-٣٨٨ حسن للحاضرة ج ١ ص ١٢١.

(٧) القضاة ص ٤١٠ الأنساب ص ٤٤٢ ب - ٤٤٣ ومقدمة كست ص ٢٨.

(٨) حسن للحاضرة ج ١ ص ١٢١.

(٩) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٥.

(١٠) نهاية الأرب ص ١٢٧ الأنساب ص ١٥٧، ب القاموس مادة: الحجر.

(١١) فتوح مصر ص ١٢٠ وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٧.

(١٢) حسن للحاضرة ج ١ ص ١٠٥.

(١٣) الولاة ص ٨٧.

(١٤) المصدر نفسه ص ١١٧، ١٣٩.

وكان من حجر رعين في مصر البطن الآتي :

بنو بدر :

بقي لنا منهم عمير بن أبي ناجية مولاهم (١٥٣هـ) كان ناسكا متعبدا^(١).

(ج) جيشان :

دخلوا مصر مع الفتح واختطوا بها^(٢). وظهر منهم أسرتان بارزتان.

الأولى عميدها مسروق بن مسلم عن شهد الفتح^(٣)، وكان حفيده سعيد بن عبدالله من المحدثين^(٤). في حين كان عبد الأعلى بن سعيد (ت ١٦٣هـ) أول من سود بالصعيد سنة ١٣٢هـ وأصبح من رجالات الدولة العباسية بمصر^(٥).

ومن الطريف أن الأسرة الثانية من قبيلة المغافر أصلا ولكنها حالفت جيشان وأصبح أفرادها ينتسبون إليها^(٦). وعميد هذه الأسرة أبو سالم ممن شهد الفتح^(٧). وكان ابنه سالم من مشاهير تابعي مصر^(٨)، في حين ولي حفيده عبد الرحمن بن سالم (ت ١٥٣هـ) القضاء والقصص^(٩).

وظهر من جيشان عدا هؤلاء أبو تميم (ت ٧٧هـ) من أئمة القراءات^(١٠). وكان كريب بن مخلد (١٠٤هـ) من الشعراء^(١١).

ومن الواضح غلبة الطابع العلمي على هذه القبيلة.

(١) الأنساب ص ٦٨ ب.

(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٣ الانتصار ج ٤ ص ٢٥ الأنساب ص ١٤٧ ب القاموس مادة: جاش.

(٣) الأنساب ص ١٤٧ أ.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٧ ب.

(٥) الولاة ٩٥، ٩٦، ١٠١ وغيرها الأنساب ص ١٤٨ أ.

(٦) القضاء ص ٣٥٣ الأنساب ص ١٤٧ ب.

(٧) الأنساب ص ١٤٧ ب حسن المحاضرة ج ١ ص ٨٧.

(٨) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٥.

(٩) القضاء ٣٥٣-٣٥٤ الأنساب ص ١٤٧ ب - ١٤٨ أ.

(١٠) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٨، ٢٠٧.

(١١) فتوح مصر ص ١١٤ الولاة ص ٧٢ الانتصار ج ٤ ص ٣٩.

(و) كحلان:

بضم الكاف.

ظهر منها الحسن بن يزيد (ت ٩٩هـ) من أصحاب الشرط. وأبو هيرة مولى عبد الله بن عمرو^(١).

(ز) ردمان:

بفتح الراء.

لم يظهر منهم سوى المنتظر بن إسماعيل (١٤٥هـ) مولاهم، وابنه إسماعيل ابن المنتظر (ت ٢٣١هـ) من أهل مصر^(٢).

(ح) العبل:

بفتح العين والباء.

نستطيع أن نميز منهم ثلاث أسر.

عميد الأسرة الأولى مرثد بن زيد من رجال الفتح^(٣). وكان ابنه جناب (ت ٨٣هـ) صاحب الحرس والأعوان والشرط - وهي هيئات بوليسية وعسكرية - لعبد العزيز بن مروان^(٤). ويبدو أن صاحب الشرط عقبة بن نعيم (ت ١٢٨هـ)، أحد بني زنباع بن مرثد، ومن رؤساء فتنة خلع مروان من الأسرة نفسها^(٥).

وزرعة بن قرة من رجال الفتح هو عميد الأسرة الثانية^(٦)، وكان أخوه نمران (ت ١٥٧هـ) من المحدثين^(٧).

(١) فتوح مصر ص ٢٥٨ الولاة ص ٦٨ الأنساب ص ٤٧٥ ب.

(٢) الولاة ص ١١٢ الأنساب ص ٢٥٠ ب.

(٣) الأنساب ص ٣٨٢ ب.

(٤) فتوح مصر ص ٢٣٦-٢٣٧ الولاة: ص ٤٩، ٥١، ٥٣.

(٥) الولاة ص ٨١-٨٦، ٩.

(٦) الأنساب ص ٣٨٢ ب.

(٧) المصدر نفسه.

أما الأسرة الثالثة فيظهر منها حميد بن هاشم من رجال القرن الثاني - الثالث^(١)، وكان محمد بن حميد، وقرة بن محمد بن حميد، ومحمد بن قرة بن محمد بن محدثي أهل مصر^(٢).

ويبدو أن هذا البطن كان ذا ميول أموية، إذ كان أحد أفرادهِ (يحيى بن يعمر) ممن بايع معاوية بن حديج على الطلب بدم عثمان (٣٥-٣٦هـ)^(٣). كما يبدو أنهم كانوا ذوي منزلة خاصة لدى عبد العزيز بن مروان تبدو في معاملته لجناب بن مرثد الذي مر ذكره.

(ط) القبض:

أورد السمعاني هذا بأسماء ثلاثة أولها ذلك الاسم بالقاف والباء. وثانيها القبض بالياء، وثالثها القبط بالياء والطاء^(٤).

والشخصيات التي تتردد فيما بين هذه الأسماء كلها أولها زياد بن نمران من رجال الفتح، ثم ابنه عبيد من المحدثين^(٥). ثم زياد بن عبيد من محدثي القرن الأول - الثاني^(٦).

(ي) الأضمور:

بطن من رعين ينسب إليه جماعة بالضميري (بضم الضاد وفتح الميم)^(٧). منهم عتبة بن زياد من محدثي القرن الثاني^(٨). وينسب إليهم عبد الله بن محمد ابن الحجاج الدهشوري (ت ٣٢٣هـ) المحدث^(٩).

(١) القضاة ص ٤٣٦.

(٢) الأنساب ص ٣٨٢ ب.

(٣) الولاة ص ١٨.

(٤) الأنساب ص ٤٤١ ب، ٤٦٨ ب.

(٥) الأنساب ص ٤٤١ ب.

(٦) المصدر نفسه ص ٤٦٨ ب.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٦٢ أ.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) معجم البلدان ج ٤ ص ١١٤؛ الأنساب ص ٢٣٤ ب.

(ك) ذبحان:

لهم مخلاف باسمهم في اليمن. وشهدوا فتح مصر. وحالفوا قبيلة مدلج العدنانية وأقاموا معهم في حربنا^(١).

كان منهم بمصر عبيد بن عمرو الصحابي شهد الفتح، وعبد الملك بن عمر ابن جابر (ت ١٧٥هـ) من المحدثين، وطاهر بن إباد (ت ٣٠٤هـ) من المحدثين^(٢).

وربما كانت النسبة «الزنجاني» المضافة في النجوم^(٣). إلى منصور بن يزيد بن منصور الحميري الرعيني أمير مصر سنة ١٦٢هـ تصحيفا للنسبة: الذبحاني، فزنجان بلد بأذربيجان^(٤). ولم تجر عادة العرب في القرن الثاني على الانتساب إلى البلدان.

(ل) عجلان:

يبدو أنها بطن من رعين^(٥).

منها الحسن بن يزيد صاحب شرط أيوب بن شرحبيل سنة ٩٩هـ^(٦).

ومن الأسر التي لم نهتد إلى البطن الذي تنتسب إليه، ولعلها كانت تنتمي إلى القبيل الأكبر مباشرة، الأسرة التي يتزعمها بحر بن أضيع الصحابي من رجال الفتح^(٧). وكان له حفيدان أحدهما شاعر وهو مروان بن جعفر بن خليفة والثاني وهو أبو بكر بن محمد كان قائدا لمراكب دمياط في عهد عمر بن عبد العزيز^(٨).

نستطيع الآن أن نرى في وضوح أن رعين كانت قبيلة كبيرة بمصر، وقد برز منها كثير من رجال العلم ومن رجال الدولة على حد سواء. وقد ظلت محتفظة ببقائها في قوة طوال القرون الثلاثة.

ثم نتقل إلى القبيلة الرابعة من الهميسع:

(١) فتوح مصر ص ١٤٢ ابن خرداذبة، المقدسي ص ٩٠، السمعاني ١٢٣٩، القاموس: مادة: ذبح.

(٢) الأنساب ص ٢٣٩ أ.

(٣) النجوم ج ٢ ص ٤١.

(٤) القاموس مادة: زنج.

(٥) الولاة ص ٦٨ وهامشها.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٥.

(٨) المصدر نفسه.

٤- الكلاع

من الأذواء. نزلت الشام، وأكثرهم نزل حمص^(١). وحضر جانب منهم إلى مصر في الفتح، واختطوا بها خطة متصلة بخطة رعين^(٢).

ظهر منهم بمصر ضميم بن مالك قاضي الإسكندرية ومن صغار التابعين بمصر^(٣). وهاني بن المنذر من وجوه مصر (١٢٦هـ)^(٤).

ويبدو أن محمد بن معاوية، من رجالات مصر في العصر العباسي (١٣٢-١٤٣هـ)^(٥). ومحمد بن عبد الرحيم بن يحيى من المحدثين^(٦) من أسرة لعل عميدها بجير بن ريسان من رجال الفتح.

وكان من قبيلة الكلاع البطون الآتية:

(أ) السلف:

بضم السين وفتح اللام^(٧).

شهدوا الفتح، وكانت خطتهم مع القبائل المنسوبة إلى سبأ^(٨).

ظهر منهم حكي بن سعد بن بكر من رجال الفتح^(٩). وكان أبو عبد الأعلى

ابن عبد الواحد (ت ٢٣٠هـ) من المحدثين، يقال أنه توفي بالبرلس^(١٠).

(ب) نخلان:

بفتح النون وسكون الحاء.

(١) الأنساب ص ٤٩٢ القاموس مادة: الكلع.

(٢) فتوح مصر ص ١٢٦ الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٣) حسن للحاضرة ج ١ ص ١٠٨.

(٤) الولاة ص ٨٤.

(٥) الولاة ص ٩٦، ٩٨، ١٠٤-١٠٥، ١٠٨-١١٠.

(٦) الأنساب ص ١٢٦.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٠١ ب.

(٨) فتوح مصر ص ١٢٦ الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٩) الأنساب ص ٢٠١ ب.

(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٠٢.

كان منهم بمصر يزيد بن خالد بن مسعود من أصحاب الشرط (ت ١٦٥هـ)^(١). وقد ترك ناشر الولاية نسبته (النخلاني) بدون إعجام.

(ج) الخباير:

ظهر منهم إياد بن ياسر بن إياد (ت ٢٠٤هـ)، وأخوه يونس بن ياسر (ت ٢١٠هـ) وهما من المحدثين^(٢).

(د) نعيمة:

بفتح النون وكسر العين، أو بضم النون وفتح العين. وهم والخباير إخوان من الكلاع. كان منهم أبو الحسن بن حي، تابعي من أهل مصر^(٣).
(هـ) زياد:

بفتح الزاي والباء.

ذكر السمعاني طائفة منهم من المحدثين، منهم يزيد بن خمير، ومالك بن خير الإسكندراني من محدثي القرن الثاني^(٤).
(و) ميثم:

بفتح الميم وسكون الياء.

يقول السمعاني أنه بطن من الكلاع من حمير. ويسقط الكلام بعد ذلك فيما يبدو حين يتحدث عن واحد من هذا البطن يقول عنه أنه كان في الطبقة العليا من جند مصر^(٥).

(ز) هوزن:

ظهر منهم الحسن بن ثوبان (ت ١٤٥هـ) من أصاغر التابعين بمصر^(٦).

(١) الولاية ص ١٢٤ الأنساب ص ٥٧ ب.

(٢) الأنساب ص ١٨٧ ب.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٦٥ أ.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٦٨ ب.

(٥) الأنساب ص ٥٤٨ ب.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٩٣ أحسن المحاضرة ج ١ ص ١١٠.

(ح) الفقاعة:

هكذا اسمها في الخطط^(١). ولكن ابن خرداذبه^(٢)، يذكر مخلافا باسم
الفقاعة بينما يذكره المقدسي باسم القناعة بالنون^(٣).

وكان لهم في كل حال مسجد باسمهم في القرافة^(٤).

لنا الحق بعد هذا في أن نعتقد أن قبيلة الكلاع كانت من قبائل مصر
الكبيرة، وإن كان من المؤسف أن الأخبار الباقية لنا عن بطونها، ومعظمها في
الأنساب، يسودها التصحيف المخل. ومن الواضح في كل حال غلبة الاشتغال
بالدين عليهم.

ومن المهم أن نذكر بني خنيس الدمياطيين موالى الكلاع. ويبدو أنهم
مصريون أصلا. وكان لهم زقاق باسمهم في القسطا^(٥).

٥- أصبح

قبيلة كبيرة، إليها تنسب السياط الأصبحية، ومنها الإمام مالك بن أنس^(٦).
حضرُوا الفتح، ونزلوا الجيزة بأمر عمرو مع القبائل الأخرى، وكرهوا مثل يافع أن
يبنى الحصن فيهم^(٧).

كان بنو أبرهة أهم من عاش منهم بمصر. ولم يكن لهم خطة بالقسطا^(٨).
وإنما خطتهم بالجيزة^(٩).

وعميدهم أبرهة بن الصباح صحابي، دخل مصر في جيش عمرو^(٩). ويبدو
أن بنيه الأربعة جميعا: كريب وأبا شمر ومعدي كرب ويكسوم دخلوا مصر

(١) الخطط ج ٤ ص ٣٢٩.

(٢) المسالك والممالك ص ١٤١.

(٣) أحسن التقاسيم ص ٩١.

(٤) الخطط ج ٤ ص ٣٢٩.

(٥) الانتصار ج ٤ ص ٢٢.

(٦) نسب عدنان ص ٢٤ وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥٦ الأنساب ١٤١.

(٧) فتوح مصر ص ١٢٩ الانتصار ج ٤ ص ١٢٦ الخطط ج ١ ص ٢٠٦.

(٨) فتوح مصر ص ١١٣.

(٩) الخطط ج ١ ص ٢١١.

كذلك، وإن كان من الثابت أن الأول والثاني منهم قد هاجرا في خلافة عمر بن الخطاب^(١) ودخلا مصر وأقاما بها إقامة دائمة. فإن أبا شمر وهو أكبرهما كان سيد قبيلة أصبح عندما نزلت الجيزة^(٢).

وأغلب الظن أنه هو المذكور في الولاة مرة باسم أبي سهم بن أبرهة، الذي أصيبت عينه في غزوة الاسود سنة ٣١هـ^(٣). ومرة باسم أبي شمس بن أبرهة الذي قتله معاوية سنة ٣٦هـ فيمن قتل من زعماء الثورة ضد عثمان من أهل مصر^(٤). وقد بقيت ذريته في مصر على كل حال، وظهر من أحفاده إسحق بن أبرهة الذي ولي الإسكندرية سنة ١٩٩هـ^(٥).

أما كريب بن أبرهة (ت ٧٨هـ) فقد كان وقت فتح الشام غلاما لا يعي ما يسمع فلما كبر كان من أشرف مصر، ويبدو أنه كان سيد حمير جميعها فقد رآه أحدهم يخرج من عند عبد العزيز بن مروان «وأن تحت ركابه خمسمائة رجل من حمير». وبينما كان أخوه أبو شمر من الشائرين ضد عثمان كان هو من شيعة بني أمية، ومن عمل على إنهاء حركة ابن جحدم^(٦).

وليس لدينا ذكر لمعدي كرب ولا لأحد من أولاده. أما يكسوم فقد ظهر من أولاده أيوب بن شرحبيل أمير مصر (٩٩-١٠١هـ) الذي ألحق لأهل مصر خمسة آلاف سنة ١٠٠هـ^(٧).

وفيما عدا بني أبرهة هؤلاء ظهر من أصبح بمصر سودان بن أبي رومان كان من قادة جيش ابن أبي حذيفة الستة إلى عثمان^(٨)، والحارث بن داخر صاحب

(١) فتوح مصر ص ١١٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٩.

(٣) الولاة ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢٩.

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٨.

(٦) فتوح مصر ص ١١٣ الولاة ص ٤٢-٤٦ حسن للحاضرة ج ١ ص ٩٦.

(٧) الولاة ص ٦٧-٦٩.

(٨) المصدر نفسه ص ١٧.

شرط أيوب الذي مر منذ لحظة^(١)، وأبو خالد بن يزيد بن سعيد المحدث (توفي حوالي ٢٥٢هـ)^(٢).

وظاهر ما تدل عليه أخبار هذه القبيلة من قوتها ومكانتها في مصر. ومن المهم ملاحظة أنها بدأت حياتها السياسية بمعاودة عثمان، ثم تحولت إلى المعسكر الأموي في عهد زعيمها القوي كريب بن أبرهة. وتشير شواهد القبور إلى بقائها في مصر حتى القرن الثالث^(٣).

٦- یزن

من الأذواء، وإليهم تنسب الرماح اليزنية^(٤).

لا نعرف شيئاً من أخبارهم بمصر، ولم يبق لنا منهم إلا ذكر مرثد بن عبدالله (ت ٩٠هـ) قاضي الإسكندرية، ومن الأئمة المجتهدين^(٥).

۷- یحییٰ

امتازت بلاد يحصب في اليمن بالخصب وكثرة المياه. وهي ميزة سجلها الشاعر في قوله:

وبالربوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سدا تقلس الماء سائلا^(٦)

وقد هاجروا مع حركة الفتوح ونزل أكثرهم حمص^(٧)، ولكنهم دخلوا مصر كذلك في جيش الفتح، واختطوا قبلي المعافر، وإن كان بطن منهم قد أقام مع حضرموت في خطتها^(٨).

(١) المصدر نفسه ص ٦٨.

(٢) الأنساب ص ٤١ أ.

.Rép. Chro. I, p. 154 (r)

(٤) العقد ج ٢ ص ٢٣٥ الانساب ص ٥٩٩ ب.

(٥) الانساب ص ٥٩٩ ب الخطط ج ٤ ص ١٨ حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٨ .

(٦) معجم البلدان ج ٧ ص ٤٠٣ .

(٧) الانساب ص ٥٩٨ أ.

(٨) فتوح مصر ص ١٢٣، ١٢٦ الانتصار ج ٤ ص ٤.

كان منها في عهد الفتح العوام بن حبيب صاحب «ذي الریش» أحد خيل مصر المشهورة^(١). وفي سنة ١١٧هـ عانت هذه القبيلة موقفا حرجا عندما ثار وهيب اليحصبي من الخوارج، ضد والي مصر إذ أذن للنصارى ببناء إحدى الكنائس. فقبض الوالي على مروان بن عبد الرحمن، ولعله كان عريف يحصب، في جماعة من القبيلة، ولم يخل سبيلهم إلا عندما أعلنوا براءتهم من وهيب الذي لم يكن من أهل مصر، وإنما كان من اليمن قدم إلى مصر^(٢).

وفي العقد الأخير من القرن الثاني عادت يحصب فلفتت الأنظار عندما لجأت إلى الغش في سباق للخيول أجري بينها وبين مراد. فلما عرض الأمر أمام القضاء لجأت يحصب إلى رشوة القاضي العمري (١٧٥هـ-١٩٤هـ)، وكان قاضيا خرب الذمة، ليحكم لها بالنصر المسروق. ولكن القاضي الجديد صحح الأوضاع الفاسدة^(٣).

ومن الواضح أن يحصب كانت قليلة العدد وقليلة الأهمية بمصر وتشير شواهد القبور إلى بقائها في مصر في القرن الثالث الهجري^(٤).

٨- سيبان

جعلهم ابن عبد الحكم من مهرة^(٥)، وجعلهم ناشر الولاية من مراد^(٦) والواقع أنه سيبان بن الغوث بطن من حمير^(٧). يبدو أنهم اختطوا بمصر، وكان لهم مسجد باسمهم في الفسطاط^(٨).

(١) فتوح مصر ص ١٤٤.

(٢) الولاية ص ٧٧-٧٨.

(٣) القضاء ص ٣٠٢، ٤٠٣.

(٤) Rép. Chro. I, pp. 220-221.

(٥) فتوح مصر ص ١٢١.

(٦) الولاية هامش ص ١٢٩.

(٧) الأنساب ص ٣٢١ القاموس مادة: السيب.

(٨) فتوح مصر ص ١٢١.

ظهر منهم عبد السلام بن عبد الله بن هيرة الذي ولي برقة لما ضمت إلى مصر سنة ١٤٨هـ^(١)، وابن ذي هجران السبياني الذي حارب دحية بن مصعب سنة ١٦٩هـ^(٢).

٩- الرجة

هو الرجة - الجيم - بن زرعة بن كعب فيما ذكره ابن دقماق^(٣). ولكن السمعاني وصاحب القاموس يقولان أنهم بنو رجة - بالحاء - بطن من حمير^(٤). وكل ما نعرفه عنهم أنهم اختطوا بالفسطاط^(٥).

١٠- الوحاف

من قبائل الفتح، فقد كان نفر منهم من الليف^(٦). وأغلب الظن أنهم هم وحافة - ويقال أحافة - البطن من حمير^(٧).

بذلك ننتهي من قبائل حمير جميعاً، فتنتهي القبائل القحطانية التي تمثل القسم الجنوبي من الشعب العربي.

ولكننا لا نستطيع أن نزعم الفراغ من القبائل العربية في مصر قبل أن نتحدث عن أمرين: الأول هو بعض التجمعات الخاصة التي ظهرت بين تلك القبائل وقت الفتح. والثاني هو القبائل المجهولة التي لم تساعدنا المصادر التي في متناولنا على تحقيقها ووضعها في مكانها الصحيح.

(١) الولاة ص ١٦ أ.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٩.

(٣) الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٤) الأنساب ص ٢٤٩ ب القاموس مادة: الرجب.

(٥) الانتصار ج ٤ ص ٤.

(٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤.

(٧) ابن خردادبة ص ١٤١ المقدسي ص ٩١، معجم البلدان ج ٨ ص ٣٠٢ الأنساب ص ٥٧٨ ب

القاموس مادة: وحافة.

ما قاله ابن فضل الله العُمري عن قبائل مصر في القرنين السابع والثامن الهجريين^(١):

قال عرب مصر: قيل، ويدميّط سُنبس^(٢)، وهم من الغوث بن طيئ. وكان لهم أيام الخلفاء الفاطميين شأن وأيام؛ وهم الخزاعلة، وجموح، وعبيد، وحلفاؤهم من عُذرة فرقة غير من تقدم ذكره - ومُدَلَج. وديار هؤلاء من ثغر دميّط إلى ساحل البحر. وتجاورهم فرقة من كِنانة بن خُزَيْمة أتوا أيام الفائز الفاطمي في وزارة الصالح بن رُزَيْك ومقدمهم لاحق. ومن ولده قاضي القضاة شمس الدين بن عدلان^(٣)، وفرقة من بني عدي بن كعب؛ وفيهم رجال من بني عمر بن الخطاب ومقدمهم خلف بن نصر العمري؛ فترلوا بالبرلس وكانوا هم والكنانيون من ذوي الآثار نوبة دميّط^(٤).

قلت: ونحن من ولد خلف بن نصر المذكور؛ وهو شمس الدولة أبو علي. وقد وجد خاصة والوفد الكناني عامة من ابن رزيك [ط ٥٧/٣] فوق الأمل، وحلّوا محلّ التكرمة عنده على مباينة الرأي ومخالفة المعتقد. وقد أتيت بذلك مفصلاً في كتاب «فواضل السمر في فضائل آل عمر» [ص ١٩٦] قلت: إنما قدمت هذا الفصل لغرض هو تعلقه بنسبي وقومي الذين أنا منهم.

قال الحمداني: أول من سكن مصر جُذام^(٥) حيث جاءوا مع عمرو بن العاص، وأقطعوا فيها بلاداً بعضها بأيدي بنيهم إلى الآن. ثم عد من بها بالصعيد

(١) انظر مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ابن فضل الله العُمري القرشي) ٧٠٠-٧٤٩هـ / ١٣٠١-١٣٤٩م - دراسة وتحقيق دوزوتيا كرافولسكي.

(٢) قارن بالبيان ٧-١١ = Wüstenfeld 414-416، والصبح ١/٣٢١-٣٢٢، النهاية ٢٩٦-٢٩٧، القلائد ٨٧، ١٣٥.

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم الكناني شمس الدين بن عدلان (٦٦٣-٧٤٩) قارن عنه حسن المحاضرة ١/٤٢٨.

(٤) El2 "dimyât" II, 292.

(٥) لقد خصّ Wüstenfeld جذام هذه بعناية خاصة فرسم شجرة لأنسابهم إلى أيام الماليك. قارن

بـ Wüstenfeld: Über die Araber 493.

من العربان في زمانه؛ فقال: أولهم^(١) بنو هلال؛ ولهم بلاد أسوان وما تحتها. ثم بلي؛ ولهم بلاد إخميم وما تحتها. ثم جهينة؛ ولهم بلاد منفلوط وأسيوط. ثم قریش، ولهم بلاد الأشمونين. ثم لوائة؛ ويقال فيهم «لوائا» ولهم معظم بلاد البهنسا. ومنهم أناس بالجيزة وأناس بالمنوفية، وأناس بالبحيرة. وهم قبائل متفرقة يجمعهم لوائة. ثم بنو كلاب، ولهم بلاد الفيوم. قال: وهؤلاء القبائل المشهورة في الصعيد. ثم ذكر جملا من أحوالهم؛ وقال:

فأما بنو هلال^(٢) فيرجعون إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان. وكانوا أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيذاب. وبإخميم منهم بنو قره. وبساقية قلعة منهم بنو عمرو ويطونهم وهم بنو رفاعه وبنو حجير وبنو غرير. وبأصفون وأسنا بنو عقبة وبنو جميلة. ثم بنو جميلة منهم نجم الدين الأصفوني الوزير^(٣). وكان فقيها كاتباً عارفاً بأمور الديوان، ضابطاً للأموال؛ ثقل على الشجاعى^(٤)؛ وكان مشدداً معه ولم تمتد له معه يد في مال السلطان. فدس له سما في كعكة وأعطى عبداً كان له مائة دينار ليُطعمها له بكرة يكون فطره عليها وأوهمه أنها عملت للتأليف بينهما! فاطعمها ذلك العبد الجاهل سيده فكان فيها حتفه. واحتاط الشجاعى تركته وأمسك العبد [ص ٩٢ب] وقتله وأخذ ما كان يملكه، [ط ٥٨/٣] ووجد معه الدنانير بصرتها فأخذها.

وأما بلي^(٥) فمن قضاة؛ وكانوا مفرقين فاتفتت هي وجهينة فصار لبلي من جسر سوهاي غرباً إلى قريب قمولة. وصار لها من الشرق من عقبة قاو الخراب إلى عيذاب. قال: والموجود اليوم في هذه البلاد من أصول بلي بن عمرو: بنو

(١) النص في البيان ٢٧-٢٨ = Wüstenfeld 423-424.

(٢) النص في البيان ٢٨ = Wüstenfeld 424.

(٣) هو عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم نجم الدين الأصفوني (٦٧٧-٧٥٠)؛ حسن المحاضرة

٤٢٨/١.

(٤) هو الأمير علم الدين سنجر الشجاعى أول من ولي الوزارة من الأمراء؛ حسن المحاضرة

٢٢٢/٢-٢٢٣.

(٥) النص في البيان ٢٩-٣٣ = Wüstenfeld 424-26. قارن عنهم وعن جهينة Oppenheim II.

352-364. يقال إنهم جاءوا إلى مصر مع جهينة في زمن عمر بن الخطاب (البيان ٢٩).

هني، وبنو هرم، وبنو سودة، وبنو خارفة، وبنو رايس، وبنو ناب، وبنو شاد - وهم الأمراء الآن - وبنو عجيل بن الذيب وهم العجلة وفيهم الإمرة أيضا. ثم قال: ويقال إن بني شاد من بني أمية - وصل؛ يعني إذ طردوا إلى القصر الخراب المعروف بهم؛ وكان معه رجل من ثقيف معه قوس فسموه القوس. وذريته يعرفون بالقوسية والقوسة. ودَعَوْتهم لبني شاد وهم بطوخ. وكذلك يُدعى لهم خَلْق سواهم منهم هذيل وهم بطوخ أيضا. ومنهم بنو حماد وبنو فضالة بمنفلوط، وبنو خيار بفرشوط^(١). وقال: إن قوما زعموا أن بني شاد من بني العجيل بن الذيب وإنما هم إخوتهم. وإنما العجيل كان قد تزوج أخت إبراهيم بن شاد فولدت منه ولدا سمته شاديا فوهم الجهلة لذلك. قال: وقد قال قوم إن عجيل بن الذيب من ولد الشمر قاتل الحسين - رضي الله عنه - وليس كذلك!.

وأما جهينة^(٢) فمن قضاة. وهم أكثر عرب الصعيد. وكانت مساكنهم في بلاد قريش فأخرجتهم قريش بمساعدة عسكر الخلفاء المصريين فهم اليوم في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها. [ص ١٩٣] قال: وروي أن بلياً وبطونها كانت بهذه الديار، وجهينة بالآشمونين جيرانا بمصر كما هم بالحجاز؛ فوقع بينهم واقع أدى إلى دوام الفتنة. فلما أتى العسكر المصري لإنقاذ قريش على جهينة خافت بلي فانهزمت في أعلى الصعيد إلى أن أدبكت قريش وملكت دار [٣/٥٩] جهينة. ثم حصل بينهم جميعا الصلح على مساكنهم هذه التي هم بها الآن، وزالت الشحناء.

قلت؛ وفي المثل: «وعند جُهَيْنَة الخُبْر اليقين»^(٣). قال أبو عبيدة: خرج حصن بن عمرو بن معاوية بن كلاب ومعه رجل من جهينة فترلا منزلا فقتل الجهيني الكلابي وأخذ ماله. وكانت للكلابي أخت اسمها صخرة فجعلت تبكيه في المواسم؛ فقال الأخنس الجهني فيها: (من الوافر)^(٤).

(١) فرجوط، أو فرشوط في Halm I, 66.

(٢) النص في البيان ٣٢-٣٣ = Wüstenfeld 425-426.

(٣) قارن بالفاخر للمفضل بن سلمة ١٢٦، وفصل المقال ٢٩٥-٢٩٦، والمستقصى ١٦٩/٢-١٧٠، والأغاني (طبعة دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١) ص ٤، ومجمع الأمثال ٢/٥-٤.

(٤) قارن بالمستقصى ١٧٠/٢، ومجمع الأمثال ٢/٣-٥ رقم ٢٣٨٣.

كصخرة إذ تسائل في مراح وفي جرم وأعلمها ظنون
تسائل عن حصين كل حي وعند جهينة الخبر اليقين

وقيل^(١): بل كان جهينة يخدم ملكا يمانيا، وكان له وزير إذا غاب الملك
خلفه الوزير على بعض حظاياها فتبعه جهينة بحيث لم يره؛ فلما جلس الوزير على
مقعد الملك في لبسه والحظية إلى جانبه غنى وقد أخذ منهما السكر: (من الوافر)

إذا غاب المليك خلوت ليلي أضاجع عنده ليلي الطويل
كأن مطارح الوشحات منها هيال يطردن على وهيل

فلما دخل فيهما السكر قام جهينة فقتل الوزير ودفن رأسه تحت وسادة
الملك! فلما أتى الملك وفقد الوزير جهد في تعرف خبره فلم يقف عليه حتى سكر
جهينة ليلة عنده فقال: (من الوافر) [ص ٩٣ ب]

تسائل عن نجيدة كل وقت وعند جهينة الخبر اليقين

فسمعه بعض الندماء؛ فأخبر الملك، فأوقفه على الخبر؛ فأمره على بلاد
كثيرة وأجزل له العطاء.

وأما قریش^(٢) فمنهم الجعافرة، وهم من الزبانية^(٣)؛ ومنهم الزبانية، ومنهم
الشریف تغلب صاحب ذروة سربام^(٤)؛ ومسكنهم المتمرع من بحري منفلوط إلى
سملوط غربا وشرقا. قال: ولهم أيضا حدود ببلاد أخرى يسيرة. قال
[ط ٦٠ / ٣]: ويحرجة منفلوط قوم من بني الحسن بن علي^(٥). وفي أسبوط أناس

(١) قارن بالروايات المختلفة في هذا المثل المصادر الآنف ذكرها (١٥٩ ح ٣). أما رواية العمري هذه

فمختلفة.

(٢) النص في البيان ٢٣-٤١ = Wüstenfeld 426-432؛ وقارن بجمهرة ابن حزم ٤٦٤-٤٦٨،

والقلائد ١٤١-١٥٥، و Halm I, 114.

(٣) يعني أولاد جعفر الطيار بل ابن ابنه علي الزيني بن عبد الله بن جعفر الطيار الذي أمه زينب

بنت علي بن أبي طالب. ورد ذكر أولاد علي الزيني هذا في مصر في منتقلة الطالبية ٢٤٠، و ٣٠٤-٣٠٥،

وترجع معظم أخبار ابن طباطبا إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين. (قارن بالبيان ٣٤).

(٤) ويقال ذروة الشریف؛ راجع Halm I, 114.

(٥) قارن بمنتقلة الطالبية ١٩٨-١٩٩، و ٢٩١ حيث ورد ذكر من بالصعيد ويمصر من ولد الحسن بن

علي.

من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق^(١)؛ ويعرفون بأولاد الشريف قاسم. ثم ذكر بطون الجعافرة فقال: منهم بو أيمن وهم الحيادة منسوبون إلى جدهم حيدرة. ومنهم السلاطنة أولاد أبي جحيش؛ والإمرة فيهم في بني تغلب^(٢). وسمت نفوسهم إلى الملك وخصوصا الشريف حصن الدين. وقد كان أنف من إمارة المعز والدولة التركية، وكاتب الملك الناصر ابن العزيز^(٣)؛ وأرسل إليه الفاتري الوزير وغيره في جيوش؛ وكانت له ولهم أيام. وآخر مرة نصب له الظاهر بيبرس حبال الغدر، وصاده بغوائل المكر حتى شقه بالإسكندرية^(٤). قال: وهذه نبذة من أخبار الأشراف بالصعيد، وحدود بلادهم، وبلاد مواليتهم وأتباعهم وحلفائهم من بلاد الأشمونين بالصعيد إلى بحري إيتلدم^(٥) وما انحدر. ومعظمهم بالذروة.

قال [ص ١٩٤]: وأما غير الأشراف من قريش الساكنين بالصعيد فمنهم بنو طلحة وبنو الزبير، وبنو شيبه، وبنو مخزوم، وبنو أمية، وبنو زهرة، وبنو سهم. ومن موالى بني هاشم بنو مر وهم بنو قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فأما بنو طلحة^(٦)؛ فمن بني طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه^(٧)؛ وهم ثلاث فرق هم وأقرباؤهم، وأطلق على الكل اسم بني طلحة. فالأولى بنو إسحاق. ويقال إن اسم إسحاق ليس بجداً لهم؛ ولكنه موضع تحالفوا عنده سموه إسحاق كناية - كما تحالفت الأزد عند أكمة سموها مذحجا. والثانية فضا طلحة؛ وهم بطون كثيرة وأكثرهم أشتات في البلاد

(١) قارن بمتقلة الطالبية ٢٩٦.

(٢) عن بني تغلب في مصر قارن بعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ٣٢.

(٣) هو الملك الناصر ابن الملك العزيز الأيوبي (٦٣٤-٦٥٨). قارن عن مقاومة قريش للمماليك بالسلوك ٢/١ ص ٣٨٦ (سنة ٦٥١).

(٤) قارن بالمقدمة ص ٤١.

(٥) راجع Halm, 122.

(٦) النص في البيان ٤٠ = Wüstenfeld 431-32، والنهاية ٣٢٤، والقلائد ١٤٤.

(٧) قال ابن حزم (الجمهرة ١٣٧): فولد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر لهم بنجد عقب عظيم يحاربون الحسينيين والجعفرين فينتصفون؛ وقد انحدروا في وقتنا هذا إلى أعمال مصر.

لا حد لهم. والثالثة يعرفون ببني محمد من ولد محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما. ومنازل بني طلحة [ط ٣/ ٦١] بالبرجين، وسقط سكرة، وطحا المدينة^(١).

وأما بنو الزبير^(٢) فمنهم بنو عبد الله بن الزبير؛ وهم بنو بدر، وبنو مصلح، وبنو رمضان. ومنهم بنو مصعب بن الزبير، ويعرفون بجماعة محمد بن رواق. وبنو عروة بن الزبير وهم بنو غنيّ وبلادهم بالبهنسا وما يليها؛ وأكثرهم ذوو معاش وأهل فلاحة وررع وماشية وضرع.

وأما بنو مخزوم^(٣) فيدعون بنو خالد بن الوليد. وكذلك ادعى ذلك خالد بالحجاز، وخالد حمص، وغير هؤلاء وقد أجمع زهل العلم بالنسب على انقراض عقبه^(٤) ولعلمهم من سواهم. فهم من أكثر قريش بقية وأشرفهم جاهلية. وبلادهم متاخمة لما بينهم وفيهم بأس ونجدة.

وأما بنو شيبه^(٥) فيعرفون بجماعة نهار، وهم من جماعة شيبه بن عبدالدار، وديارهم نواحي سقط^(٦) وما يليها ويقاربها ويدانيها.

وأما بنو أمية فمن بني أبان بن عثمان [ص ٩٤ب] بن عفان^(٧)، وبني خالد ابن يزيد بن معاوية^(٨)، وبني مسلمة بن عبد الملك^(٩)، وبني حبيب بن الوليد بن

(١) زاد في القلائد ١٤٤: وهي البرجاية! وبرجاية هذه (بضم الباء) لا تبعد عن طحا المدينة الواقعة بالاشمونين إلا قليلا (قارن به Halm 112, 134).

(٢) النص في البيان ٤١-٤٢ = Wüstenfeld 432. وقارن أيضا بالنهاية ١٣٥-١٣٦، ٤٢٢، ٢٦٥، والقلائد ١٤٨-١٥٠.

(٣) النص في البيان ٤٢ = Wüstenfeld 432. وقارن بالقلائد ١٤٤-١٤٥.

(٤) قال ابن حزم (الجمهرة ١٤٨): وكثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلا، وكانوا كلهم بالشام؛ ثم انقرضوا كلهم في طاعون وقع؛ فلم يبق لأحد منهم عقب.

(٥) النص في البيان ٤٣ = Wüstenfeld 432-433، وقارن أيضا بالنهاية ٣١٠، والقلائد ١٤٧-١٤٨، والصبح ٣٥٦/١. قال ابن حزم ١٢٧: فولد شيبه جماعة مشهورون إلى اليوم.

(٦) زاد في القلائد ١٤٨، النهاية ص ٣١٠: سقط وما يليها من البهنساوية.

(٧) النص في البيان ٤٣ = Wüstenfeld 432-433، وقارن بجمهرة ابن حزم ٨٥.

(٨) قارن بجمهرة بان حزم ص ١١٢.

(٩) قال ابن حزم ١٠٣: كان مسلمة ولي العراقين وأرمينية، وله عقب باق بقرب حران في حصن يعرف بحصن مسلمة؛ وذكر فيما يلي محدثنا من ولد مسلمة دخل مصر، وبعض عقب مسلمة انتقلوا من مصر إلى الأندلس في زمن الحكم المستنصر (٣٦٦-٣٥٠ / ٩٦٦-٩٧٦).

عبد الملك^(١)؛ وديارهم تندة^(٢) وما حولها. قال: ومن هؤلاء المراونة من ولد مروان بن الحكم؛ ولهم قرابات بالأندلس وأشتات في المغرب. ومرت الدولة الفاطمية وهم بأماكنهم من ديار مصر لم يُرَوَّعَ لهم سرب، ولم يكدر لهم شرب؛ وهم إلى الآن.

وأما بنو سهم^(٣) فمن ولد عمرو بن العاص وهم بالفسطاط وفرق منهم أشتات بالصعيد ولهم حصّة في وقف عمرو بن العاص على أهله بمصر. قلت: وقد ذكر القضاعي في «خطط مصر» دور السهميين؛ قال: وهي حول المسجد حيث كان الفسطاط وهو موضع المحراب وما يليه من جانبيه إلى حيث السواري القبليّة.

قال: وفي بلاد قريش أخلاط من الناس سواهم. وذكرهم [ط ٦٢/٣] فقال: وأما كنانة طلحة فهي من كنانة بن خزيمّة بن مدركة بن إلياس بن مضر؛ وهم بنو الليث، وبنو ضمرة - وهما ابنا بكر بن عبد مناة بن كنانة^(٤)؛ وبنو فراس بن غنم ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة^(٥). وفي بني فراس يقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لبعض من كان معه: لوددت أن لي بألف منكم سبعة من بني فراس بن غنم بن ثعلبة! قال: ولم تمكّنهم قريش من التعديّة إلى بلادها إذ أتوا من بلاد بادية الحجاز إلا بمراسلة بني إبراهيم بن محمد. وكان مع كنانة جماعة من أخلاط العرب دخلت في لفيفها، وديارهم ساقية قلعة^(٦) وما يليها، وبنو الليث ومنهم خاصة سكان ساقية قلعة.

وأما الأنصار^(٧) فمنهم [ص ١٩٥] بنو محمد وبنو عكرمة بحري منفلووط. قال: وبنو محمد من بني حسان بن ثابت - رضي الله عنه - وبنو عكرمة ينتمون إلى سيد الأوس سعد بن معاذ - رضي الله عنه.

(١) قال في الجمهرة ٨٩: وهو جد الحسينيين الذين بقرطبة ورية، وهم عدد.

(٢) قارن به Halm, 136.

(٣) النص في البيان ٤٣ = Wüstenfeld 432-433. وقارن بجمهرة ابن حزم ٤٦٤.

(٤) قارن بجمهرة ابن حزم ٤٦٥. والنص في البيان ٤٦-٤٧ = Wüstenfeld 434-435.

(٥) قارن بجمهرة ابن حزم ٤٦٥.

(٦) قارن به Halm 87.

(٧) النص إلى آخر قريش في البيان ٤٧-٤٩ = Wüstenfeld 436-437.

وأما عوف فمن بني سليم. وفي سليم عوف أخرى^(١). قال: ومنهم في الصعيد، والفيوم، والبحيرة أناس كثير، وفي برقة إلى الغرب منهم ما لا يحصى. وأما فزارة فمن سعد بن قيس عيلان: فمنهم جماعة بالصعيد وجماعة بضواحي القاهرة في قليوب وما حولها، وبهم عرفت البلد المسماة بخراب فزارة^(٢).

قال: وقد مضى ذكر قریش ومن ساکنها.

وأما لواءة^(٣) - وهم يقولون إنهم من قيس بن غطفان بن سعد بن قيس . وقال بعض النسائي^(٤) : هم من ولد بر من ولد قبذار بن إسماعيل كان قد ارتكب معصية فطرده أبوه وقال له : البرّ البرّ ! إذهب يا بر ! فما أنت بر ! فأتى فلسطين فتزوج امرأة من العماليق فولد له منها أولاد منهم لواءة ، ومزاةة ، وزنارة^(٥) ، وهوارة ، وزويلة^(٦) ، ومغيلة ، ومليكة ، وكامة [ط ٣ / ٦٣] وغمارة ، ونفوسة . وكانوا من ذوي جالوت ؛ فلما قتل دخلوا المغرب . وقيل : إن البربر من ولد قفط ابن حام ! وقيل غير هذا كله .

عاد الحديث إلى لوائه. وهم بنو بلار وحدو خاص، وبنو مجدول^(٧)، وبنو حديدي، وقطوفة، وبركين، ومالو، ومزورة. قال: وبنو حديدي مجمع أولاد

(١) عدم المقرري في البيان ٤٨ = Wüstenfeld 436.

(۲) قارن بـ Halm 327.

(٣) لوائه؛ قال في الصبح ٣٦٤/١: بفتح اللام والواو والثاء المثناة وهكذا ضبطها في ص، ط، أ.

النص في البين ٤٩-٥٣ = Wüstenfeld 436-439 ، وقارن أيضا بالصبح ٣٦٤-٣٦٥.

(٤) قارن عن الاختلاف في نسب البربر بجهمية ابن حزم ٤٩٥، والصبح ١/ ٣٦٠-٣٦١، وابن خلدون ٦/ ١٨١-١٩٢.

(٥) زنارة؛ ضبطها في الصباح ١/٣٦٥: بضم الزاي وتشديد النون، وقال ابن خلدون ١٠/١:

إحدى بطون لواءة.

(٦) ذويلة عند مؤرخي العرب ليست بقبيلة ولكن قاعدة ملك بني خطاب الهواريين بيسرة (رحلة النجاني ١١٢، ابن خلدون ٦/٢٠٤، ٣٩٤). قال ياقوت ٢/٩٦٠-٩٦١: وذويلة قبر دعبل بن علي الخزاعي الشاعر؛ قال بكر بن حماد:

الموت غادر دعبلا بزويلة بأرض برقة أحمد بن خصيب

(٧) النص في البيان ٥٦-٥٣ = Wüstenfeld 439-440 ، والصبح ٣٦٤/١-٣٦٥ ، والقلائد

قريش، وأولاد زعازع - وهم أشهر من في الصعيد. وقطوفة تجمع مغاغة وواهلة، وبركين تجمع بني زيد وبني روحين، ومزورة [ص ٩٥ب] تجمع بني وركان وبني عرواس.

قال: وأما بنو بلار ففرقتان؛ فرقة بالبهنساوية، وفرقة بالجيزية. فالفرقة البهنساوية بنو محمد، وبنو علي، وبنو نزار، ونصف بني ثهلان. وأما الفرقة التي بالجيزية فبنو مجدول، وسفارة، وبنو أبي كثير، وبنو الجلاس، ونصف بني ثهلان. قال: ويقال لهذه الفرقة حدو خاص. ويقال للأولى البلارية. ومنهم مغاغة ولهم سملوط إلى الساقية. ولبنو بركين أقلوسنا^(١) وما معها إلى بحري طنبدي^(٢). ولبنو حدو خاص الكفور^(٣)، وسفط بوجرجة^(٤) إلى طنبدي وإهربت^(٥). ومنهم بنو محمد وبنو علي المقدم ذكرهما. وأمرأؤهم بنو زعازع.

قال: ومزورة^(٦) بنو وركان، وبنو عرواس، وبنو جماز، وبنو الحكم، وبنو الوليد، وبنو الحجاج، وبنو المحربية. قال: ويقال: إن بني الحجاج من بني حماس، ولهذا يؤدون معهم القطائع. وقال: وبنو نزار في إمارة بني زعازع؛ وهم من بني زربة. ومنهم نصف بني عامر، والحساسنة، والضباعنة. وأفرد قوم منهم لإمارة تاج الملك عزيز بن ضبعان ثم ولده. ومنهم أيضا بنو زيد وأمرأؤهم أولاد قريش، ومساكنهم نويرة دلاص. وكان قريش عبدا صالحا كثير الصدقة؛ وهو والد سعد الملك الباقي بنوه.

قال: وفي المنوفية من لوائه أيضا جماعة يأتي ذكرهم في مكانهم.

[ط ٦٤ / ٣] قال: وبالصعيد من لحم^(٧) قوم سكنهم بالبر الشرقي. ومنهم من بني سماك بنو مر، وبنو مليح، وبنو نهبان، وبنو عبس، وبنو كريم، وبنو بكر.

(١) Halm 175.

(٢) Halm 182.

(٣) الفهارس Halm.

(٤) Halm 176.

(٥) Halm 161.

(٦) قارن عنهم النهاية ٤٢٠.

(٧) النص في البيان ٦٢-٥٩ = Wüstenfeld 442-443، والقلائد ٦٩-٧١، والصحيح

بقوم شعيب وأصهار موسى". وزعم بعضهم أنهم من معد؛ وفي ذلك يقول جنادة ابن خشرم [ص ٩٦ب]: (من الوافر)

ألا من مبلغ المضرين أنا غضبنا كل أجوف كالهلal^(١)
وما قحطان لي بأب وأم ولا يصطادني شبه الضلال
وليس إليهم نسبي ولكن معديا وجدت أبي وخالي

[ط ٣/٦٥] قال: ومن إقطاعهم هريبط^(٢)، وتل بسطة^(٣)، ونوب، وأم رماذ^(٤) وغير ذلك. وجميع إقطاع ثعلبة كان في مناشير جذام من زمن عمرو بن العاص، وإنما السلطان صلاح الدين وسع لشعبة في بلاد جذام؛ ولذلك كانت فاقوس^(٥) وما حولها لهلبا سويد.

قال: ونبدأ قبل كل شيء بولد زيد بن حرام بن جذام: وهم سويد، وبعدة، وبرذعة، ورفاعة، وناتل^(٦). ومن هؤلاء بطون كثيرة فمنهم هلبا مالك، ومالك هو ابن سويد. ومنهم الحسنيون، والغوارنة - وهم أولاد الحسن والغور ابني بكر بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد. ومنهم بنو أسير؛ وهو ابن عبيد ابن مالك بن سويد. ومنهم العقيليون، وهم بنو عقيل بن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد - وفيهم إمرة؛ وهم في نجم وبنيه. وفيهم من أمر بالبوق والعلم؛ وهو أبو رشد بن حبشي بن نجم بن إبراهيم بن مسلم بن يوسف بن وافد ابن غدير بن عقيل بن قرة. ودحية وثابت ابن هاني بن حوط بن نجم بن إبراهيم.

عدنا إلى بقية بطونهم. ومنهم اللبيديون، ومنهم البكريون. وعدنا من أحلافهم أولاد الهويرية، والردالين، والحليفين، والحصينين والربيعيين. قال:

(١) البيتان الآخران في الصباح ١/ ٣٣٠، والنهاية ٢٠٦، القلائد ٥٥.

(٢) Halm, 636.

(٣) قال في معجم البلدان ١/ ٦٢٤: بسطة بالفتح أو بالضم كورة بمصر من أسفل الأرض.

(٤) نوب، أم رماذ Halm, 652, 700.

(٥) Halm, 426.

(٦) قارن عن بعدة، برذعة، رفاعة، وناتل بالطبري ١/ ١٧٤٣-١٧٤٤، وجمهرة ابن حزم ٤٧٧،

ويعرفون بحلف بني الوليد؛ وهم أولاد شريف النجّابين. وذكر أن لهم نسبا في قريش إلى عبد مناف بن قصي. وذكر من ولد الوليد بن سويد طريف المكنون الملقّب رزين الدولة^(١). قال: وكان من أكرم العرب، [ص ١٩٧] وكان في مضيفته أيام الغلاء اثنا عشر ألفا تأكل عنده كل يوم. وكان يهشم الثريد في المراكب. ومن أولاده فضل بن شمع بن كمونة، وإبراهيم بن غالي، وأمّر كل منهما بالبوق والعلم.

عدنا إليهم. ومنهم الحيادة من ولد حيدرة بن معروف بن حبيب بن الوليد ابن سويد؛ وهم طائفة كبيرة. وبنو عمارة بن الوليد؛ وفيهم عدد. ولهم البيروم^(٢). والحبيون من بني حية بن راشد بن الوليد. وأولاد منازل - وكان منهم [ط ٦٦/٣] مُعَيْد بن منازل؛ وأُمُرُ بَبُوق وعلم.

وهلبا سويد. ومنهم العطويون، والحميديون، والجبابريون، والغثاورة. ويقال لهم أولاد طراح المكوس. وحمدان، ورومان، وحرمان، وأسود - ويعرف هؤلاء الأربعة بالأخوية، واللكين، والقتلان.

قال: ومن بطون الحميدين أولاد راشد. ومنهم البراجسة، وأولاد سرير، والجواشنة، والكعوك، وأولاد غانم، وآل حمود، والأخينة، والزرقان، والأساودة، والحماديون. ومن بني راشد الحراقيص، والحنافيش، وأولاد غالي، وأولاد جوال، وآل زيد. ومن النجاية أولان نجيب، وبني فضل.

قال: ومن ولد مالك بن هلبا بن مالك بن سويد نمي أبو خثعم. وأقطع خثعم وأُمُرَّ، اقتنى عددا من المماليك الأتراك والروم وغيرهم، وبلغ من الملك الصالح أيوب منزلة. ثم حصل عند الملك المعز على الدرجات الرفيعة، وقدمه على عرب الديار المصرية. ولم يزل على هذا حتى قتله غلمانه؛ فجعل المعز ابنه سلمى ودغش عوضه، فكانا له نعم الخلف. ثم قدم دغش دمشق فأمره

(١) قال في القلائد ٦٠: وبطريف هذا تعرف نوب طريف من بلاد الشرقية (قارن Halm 662).

. Halm 607 (2)

[ص ٩٧ب] الملك الناصر بيوق وعلم، وأمر المعز أخاه سلمى كذلك فأبى حتى يؤمر مفرج بن سالم بن راضي مثله! فأمره! ثم أمر مزروع بن نجم كذلك - في جماعة كثيرة من جذام وثلعة. قال: فهذه هلبا سويد بأنفارهم.

قال: وأما هلبا بعجة بن زيد بن سويد بن بعجة فهم هلبا، ومنظور، ورداد، وناتل. فمن ولد هلبا مفرج بن سالم المقدم ذكره. ثم خلفه على إمرته ولد حسان. ومنهم أولاد الهريم من بني غياث بن عصمة بن نجاد بن هلبا بن بعجة. وجوشن صاحب السراة المضروب به المثل في الكرم والشجاعة من منظور ابن بعجة. والغوثية في عدد رداد بن بعجة. قال: ولناتل البئر المعروف ببئر ناتل على رأس السراة. ومن ولده مهنا بن علوان بن علي بن زبير بن حبيب بن [ط ٣/ ٦٧] ناتل. وكان جوادا، كريما طرقت ضيوف في شتاء ولم يكن عنده حطب يوقده لطعام أراد أن يصنعه لهم فأوقد أحمال بُر كانت عنده! وكان له كفر برسوط بنواحي مرصفا^(١). وبنو رديني؛ وهم من بني رديني بن زياد بن حسين بن مسعود ابن مالك بن سويد. ومنهم أولاد جياش بن عمران ولهم تل محمد^(٢).

وأما أولاد محربة أخي زيد - وهو ابن أمية، وقيل: مية، وقيل: ليس هو بأخي زيد بل هو ابن زيد بن أمية أو مية؛ وقيل: هو وزيد ابنا الضبيب. وقيل: بل الضبيب أبو أمية. ومن بني محربة أخي زيد رفاعة بن زيد بن ذؤيب^(٣) جد بني رَوْح؛ وهو الذي وفد على النبي ﷺ وعقد له على قومه فتوجه إليهم فأسلموا على يديه. ووهب لرسول الله ﷺ مدعما العبد - صاحب الشملة التي [ص ٩٨أ] فيها الحديث^(٤) - الذي قتل بخير.

ومنهم الشواكرة من شاكر بن راشد بن عُقبة بن محربة. ولهم شَنبارة بني خصيب^(٥). ومنهم أولاد العجاز أدلاء الحاج من زمن السلطان صلاح الدين

(١) Halm 329

(٢) Halm 691

(٣) الطبري ١/ ١٧٨٠-١٧٨١، والاستيعاب ٥٠٠ رقم ٧٧٦، وأسد الغابة ١٨١.

(٤) صحيح البخاري ٥/ ١٧٢.

(٥) Halm 675

وهلم جرا إلى الآن. ومنهم حميدة بن صالح بن أسد بن عُقبة. وفي عقبه هذا عدد يعرفون به. وفرقة منهم بالحجاز من واصل بن عُقبة^(١).

قال: فيما نقله عن المحدثين من ذوي المعرفة - كما قال -؛ إن عمرو بن مالك بن الضبيب، وعسرة، وزهير، وخليفة، وحصن أفخاذ من الضبييين، وأن بني خليفة وحصن قد انضموا إلى بني عبيد بالحلف؛ ولهم موضع من حقوق هريط يعرف بالأحراز^(٢). قال: وأما زهير فأكثرهم بالشام، والذين بمصر امتزجوا بولد زيد، وهم بحري الخوف إلى ما يلي أشموم؛ ومنهم بني عرين.

قال: ومن بني جُذَام بنو سعد. وفي جُذَام خمسة سعود: سعد بن إياس بن حرام بن جذام، وسعد بن مالك بن زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام؛ وإليه ينسب أكثر السعديين. وسعد بن مالك بن حرام بن جذام. [ط ٦٨/٣] وسعد بن أبامة بن عنيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام. وسعد بن مالك بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام. قال: والخمسة اختلطت عندنا بمصر وأكثرهم مشايخ بلاد وخفراؤها، ولهم مزارع، ومآكل، وفسادهم كثير. من مقدميهم أولاد فضل السلاجمة وسكنهم من منية غمر^(٣) إلى زفيتا^(٤)؛ ومنهم شاور الوزير العاضدي وإليه ينسب بنو شاور كبار منية غمر وخفراؤها. وذكر ابن خلكان أنه من سعد حليلة مريض النبي ﷺ [ص ٩٨ ب].^(٥) ومنهم بنو عبد الظاهر الموقعين^(٦). قلت: رأيت ينسب نفسه إلى روح بن زنباع. ومنهم أهل برهمتش^(٧) ومشايخها؛ ومن هؤلاء بنو شاس.

(١) قارن عن مساكن بني عقبة وانتشارهم في الشام ومصر Oppenheim II, 333-335.

. Halm 630 (2)

. Halm 651 (३)

.Halm 550 (ε)

(٥) وفیات الأعبان ٤٣٩/٢، رقم ٢٨٥.

(٦) قارن El III, 679-80، الوافي ٢٥٧/١٧-٢٩٠.

.Halm 613, 658 (v)

قال^(١): وفي بني سعد عشائر كثيرة منهم بنو شاس، وجوشن، وعلان؛ وفزارة بني سعد تل طنبول إلى نوب طريف. ومنهم بدقدوس، ودمريط، ووليه، ولسوس. وهؤلاء جميعهم ديارهم ضواحي القاهرة إلى أطراف الشرقية. وبالإسكندرية من جذام ولخم أقوام ذوو عدد وعدة، وأهل شجاعة وإقدام، وضرب بالسيف ورشق بالسهم. ولهم أيام معلومة، وأخبار معروفة، ووقائع في البر والبحر مشهورة. وبرشيد^(٢) القراططة، ومصفونة من مزديش، وبالبحيرة، والغربية طوائف من مزاتة. وبقليوب طوائف من فزارة؛ ومنهم بنو بعاية؛ وفيهم أعيان ودارهم أطراف الشرقية وما أخذ شرقا وقبلة.

وأما العائذ فكثير في العرب^(٣). والمشهور منها بمصر عائذ جذام. وبالحجاز عائذ ربيعة. وأما عائذ فريز فلما تنافرت ثعلبة وجذام ادعوا في ثعلبة.

وبالمنوفية - كما تقدم - فرقة من لواتة^(٤)، منهم بنو يحيى، والوسوة، وعدة، ومصلة، وبنو مختار. [ط ٦٩/٣] قال: ومعهم في البلاد أحلاف من مزاتة، وزنارة، وهوارة، وبني الشعرية - إلى قوم آخرين: ومن زنارة: مزديش، وبنو صالح، وبنو مسام، وزمران، وورديغة، وعرهان، ولقان. ومن هوارة بنو محريش، وبنو اشراث، وبنو قطران، وبنو كبريث.

وأما ثعلبة مصر والشام فمن طي^(٥). وفي كل من خندف، وقيس، ومراد، ويمن - ثعلبة، قال: وكانوا كما ذكر - يعني ثعلبة مصر - يدا مع الفرنج قديما! لكنني لم أراهم إلا غزاة مجاهدين لهم آثار في الفرنج. وهي بطنان: درما، وزريق - ابنا عوف بن ثعلبة. ويقال: بل ابنا ثعلبة لصلبه، واسم درما عمرو، وإنما غلب

(١) قارن بالبيان ٢٢ = Wüstenfeld 421، والصبح ٣٣٣/١، والقلائد ٦٣.

(٢) Halm 45, 311, 769.

(٣) قارن بالبيان ١٩-٢٠ = Wüstenfeld 420، والصبح ٣٣٣/١، والنهاية ٣٣٣، والقلائد

٦٤-٦٥.

(٤) النص في البيان ٥٦ = Wüstenfeld 440. وقارن أيضا بالقلائد ١٧٤-١٧٥، والصبح

٣١٦/١.

(٥) مر ذكرهم فيما قبل (ط ٢٢/٣). النص في الصبح ٣٢٢-٣٢٣، البيان ٣-٤ =

Wüstenfeld 412-413، والقلائد ٨٥-٨٧.

عليه اسم أمه درما. ومن أفخاذ درما بمصر: سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس^(١). ومن أفخاذ زريق بها أشعث، ولبنى. قال: وثعلبة، وعنين، ونيل^(٢) إخوة؛ الثلاثة أولاد سلامان. قال: ومن درما النفعة، وشبل - ولد نافع بن مروان. والحنابلة وجدهم حسين. والمراونة جدّهم مروان. والحيانيون من ولد حيان بن درما. ومن زريق بنو وهم، والطلحيون. وفي الطلحين آل حجاج، وآل عمران، وآل حصينة، والمصافحة؛ وكان مقدّمهم سقير بن جرجي، وأمر بالبوق والعلم. عدنا إلى بني زريق. ومنهم الصبيحيون. وفي الصبيحين الغيوث، والرموث، والروايات، والنمول، والسحمين، والسعالين؛ وهم بنو حصن، والرمالي، والوريشين، والسنديين، والبحابحة. عدنا إلى بني زريق. ومنهم العقيليون، والمساهرة، والجحافرة. ومنهم العليميون - وكان مقدّمهم عمرو بن عسيلة وأمر بالبوق والعلم. وفي العليمين القمعة، والرياحين بني مالك، والفرقة المعروفة بالأشعث بن زريق. وفيهم رجال ذوو ذكر ونباهة؛ خدموا الدول، وعضدوا الملوك، [ط٣/٧٠] وقاموا ونصروا.

قال: ومن ثعلبة الجواهره - جماعة سنجر بن عمر بن هندي.

وأما بنو بياضة، والأخارسة فبقطيا. وبنو صدر بالبدرية، وهو طريق البر من الشام إلى مصر.

وأما حرام ففي جذام^(٣)؛ وقليل [ص٩٩ب] في عرب مصر من يعرفها. وفي الخزرج حرام وحرام. قال: وما يدري أحد من أيهما هذه التي بمصر. وفي خندف حرام، وفي تميم حرام. قال: وحرام هذه القاطنة بمصر من الخزرج؛ وهم بنو حية وبنو ذبيان. قال: وهم أشعات بمصر وفيهم مشايخ بلاد، وخولة، وقضاة، وفقهاء، وعدول. وليست لهم دار خاصة ولا مكان معروف. وقد عد الحمداني جماعة منهم ليس فيهم شهير.

(١) أما في Wüstenfeld: Tab. 6/19: سلامة، الأجم، عمرو، قصير، أوس! لا يرد هذه الأسماء في المصادر القديمة لابن حزم، وأمثاله.

(٢) لا يرد نيل أو نيل هذا ذكر في المصادر القديمة كابن حزم وأمثاله.

(٣) النص في البيان ٦٢-٦٣ = Wüstenfeld 443-444.

وفي الدقهلية^(١)، والمرتاحية عرب يدعون الجمارسة، وقوم ينسبون إلى قریش، وهم نفر من بني عذرة - وهم من كنانة بن عذرة لا كنانة بن خزيمه. ومنهم بنو شهاب، وبنو زيدة، والرواشدة؛ وهم غير رواشدة هلبا سويد، وبنو عصا، وبنو محمد، وبنو سنان، وبنو حمزة، وبنو فراس؛ وهم بنية محمود^(٢)، ومنية عدلان^(٣). وبنو لأم وليسوا بلأم الحجاز، وبنو شمس، والفضليون - وقرارتهم كوم الثعالب^(٤) وما داناها. وبها فرق من عمرو وزهير المقدم ذكرهم، والحصنين، ورذالة، والأحامدة - وليسوا بأحامدة هلبا؛ والحمارنة - وهم بنو حمران، وبعضهم أصحاب إقطاع. وفي بني زهير هؤلاء من بني عزيز، وبني شبيب، وبني عبد الرحمن، وبني مالك، وبني عبيد غير عبيد المقدم الذكر، وبني عبد القوي، وبني شاکر - وهم غير شاکر عقبه، وبني حسن، وبني شماء - وهم غير شماء آل ربيعة.

بنو سُلَيْم^(٥) - وهم أكثر قبائل قيس. قال: ومساكنهم ببرقة مما يلي الغرب [ص ١٠٠] ومما يلي مصر. وفيهم الأبطال الأنجاد والخيال الجياد، [ط ٣/٧١] والإمرة فيهم في أولاد عزاز بن مقدم. ومنهم مزید بن عزاز^(٦) - وكان رجلا جليل القدر، جميل الذكر، معظما في الدول. وبنوه زايد، وحميد، وريان؛ وكلهم كرام، سراً، أماجد، وعطاء الله بن عمر بن عزاز - وكان للقرى والقراع؛ مطاعا في قومه؛ وهو أبو خالد. وهم أهل بيت فيهم عدد جم من ذوي القدر. وبنوه معز وعمر. ومن المشاهير منهم علوي بن إبراهيم بن عزاز، وسلطان بن زيدان بن عزاز، وعمر بن مشعل بن عزاز. ومن أكابر جماعاتهم جماعة ابن مليح

(١) النص في البيان ٦٣-٦٥ = Wüstenfeld 444-445.

(٢) قارن ب Halm 738.

(٣) Halm 730.

(٤) Halm 725.

(٥) قارن عن سليم البيان ٦٥-٧٣ = Wüstenfeld 445-450. والصح ٣٤٥-٣٤٦، النهاية

٢٩٤-٢٩٥، ونشوة الطرب ٥١٩/٢-٥٢٥، وقارن بالمقدمة ص ٤٩، والعبر ١٤١/٦-١٧٤، Mercier, E.:

L'Etablissement des Arabes 321.

(٦) ذكره في الروض الزاهر (تحقيق الخويطر) ص ٢٦٨، في حوادث سنة ٦٦٤.

المنصوري أصحاب غازي بن نجم، وعليان بن عريف، وبلبوش - وكان قد هرب من الملك الظاهر بيبرس^(١) فأنهد جيشا وراءه فقاتله، ثم نصر الجيش عليه وأمسك واعتقل، ثم أفرج عنه. وهو والد زيد بن بلبوش؛ وجماعة سعيد بن العريب بن الأحمر يقاربه. ومن ذوي مخالفهم جماعة محمد الهواري.

قلت: وكان آخر عهدي أن الإمرة على عربان البحيرة لقائد بن مُقَدَّم، وخالد بن أبي سلمان - وكانا أميرين سيدين جليلين، ذوي كرم وأمن يلاذ به ويتحرم إلى شجاعة وإقدام، وثبات رأي وإقدام، ثم لم أعلم ما حالت به الأحوال، وجرت بعدي به تصارييف الدهور.

فأما منازل العرب من لدن الجيزة ضاحية القاهرة على البحيرة أخذنا إلى أقصى الغرب؛ فسأذكر منه ما أملاه الشيخ المقرئ الورع أبو يحيى زكرياء المغربي أحد الأئمة بقلعة الجبل - حرست. قال:

قبائل العربان من مصر إلى أقصى المغرب^(٢):

جماعة قائد: زنارة، ومزاتة [ص ١٠٠ ب]، وخفاجة، وهوارة، وسماك - ومنازلهم من الإسكندرية إلى العقبة الكبيرة. ثم لبيد^(٣) - وهم جماعة سلام: فزارة، محارب، قطّاب، الزعاقبة، بشر، الجواشنة، البعاجنة، القبايص، أولاد سليمان، القصاص، العلاونة - ومنازلهم من العقبة الكبيرة [ط ٧٢/٣] إلى سوسة^(٤).

ثم جماعة جعفر بن عمر وهم^(٥): قتيل، المثانية، الباسة، عرعة، العظمة، العكمة، المزابل، العزة. ومن جملة هؤلاء العزة الجعافرة جماعة جعفر بن عمر. ومنهم البداري أيضا. وكذلك منهم السهاونة، والجلدة منهم أيضا، وكذلك منهم

(١) قارن بالمقدمة ص ٤٦.

(٢) النص في البيان ٧١ = Wüstenfeld 448-449.

(٣) عن بطون لبيد قارن بالقلاند ١٢٥-١٢٦. وقارن بالمقدمة ص ٤٩.

(٤) قارن بالمقدمة ص ٤٩.

(٥) النص في البيان ٧١-٧٢ = Wüstenfeld 448-449.

أولاد أحمد أيضا. ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرّة - وهي آخر حدود الديار المصرية. ومسافتها عن الإسكندرية نحو شهر بَسِير القوافل. ثم منها طيموم العلاونة - وهم غير أولئك، المهاملة، بنو بدر، ناصرة. وانتهاءهم إلى قصر ابن أحمد في طرف مسراتة من الساحل. ومن القبلة أرض فزان وودّان - وحكمها لأرض البرنو السودان. ومسافة ما بين بئر السدرّة وبين مسراتة عشرة أيام.

ومنهم^(١) من أرض مسراتة إلى بلاد طرابلس سليمان^(٢) جماعة غانم بن زايد، ولهم الأرض من مسراتة إلى باب مدينة طرابلس. ثم من طرابلس إلى قابس ذباب^(٣)؛ وهي تجمع المحاميد والجواري جماعة عبد الله بن صابر ومرغم بن صابر - وليسا بأخوين بل هم بنو عم من القبيلة.

قال الشريف أبو عمر عبد العزيز الإدريسي الحسني - وهو من أهل غرناطة وله تعلقٌ بخدمة السلطان أبي الحسن المريني؛ قال^(٤): ذباب مشيختهم لعبد الله بن ربيعة وأخيه إبراهيم، وأصلهم من سُلَيْم، وأرضهم من طرابلس إلى قابس، ويجاورهم في هذه الأرض الجوّاري، والمحاميد. وشيخ الجوّاري عبد الله بن سعيد، وشيخ (ص ١٠١) المحاميد عطية بن سعيد.

ثم تنقسم الطريق من قابس؛ فطريق جنوبية على الجريد. وطريق شمالية على الساحل. فالجنوبية الآخذة على الجريد أول قبائلها آل حجر^(٥) وفيهم عدة أشياخ منهم مرغم وذؤيب ابنا جعفر، وسفيان بن عطاء الله ورثيمة بن يخلف - وأرضهم من قابس إلى بشرى^(٦) وتأخذ في الساحل على الثنية [ط ٧٣/٣]. وبينهم أولاد صورة ومشيختهم في ابن مهلهل وأخيه جرموز.

(١) قارن عن سُلَيْم بين مسراتة وطرابلس Mercier, E.: L'Etablissement des Arabes 321 (عن ابن خلدون)، وقارن بالمقدمة ص ٤٩.

(٢) قارن بالنهاية ١١٢.

(٣) قال في نشوة الطرب ٥٢٢/٢: ومنازلهم برأس أفريقيا في جهة طرابلس، وقارن عنهم بالعبر ١٧٦-١٧٤، والمقدمة ص ٥٠.

(٤) قارن بالمقدمة ص ٥٠.

(٥) قارن بالمقدمة ص ٥١.

(٦) رحلة التجاني ١٤٢، ١٥٣، ١٧٣.

قال: وهم فرقة يسيرة وبينهم الكعبيون ويعرفون بالكعوب^(١) - وهم أكبر بيت بإفريقية من العرب؛ ومشيختهم في قوم يعرفون بأولاد أبي الليل وهم أربعة إخوة: يعقوب، وأحمد، وخالد، وقتيبة. [ويجاورهم قوم] هم أعداء لهم يعرفون بأولاد أبي طالب، ولهم شيوخ شتى؛ يعقوب، ومحمد ابنا طالب، وبنو عمهم سمير بن عبد الله، ويعقوب بن الحصين، والحاج علي بن شيحة. وأرضهم من بشري إلى بسكرة. ولهم في داخل البلاد إلى باب تونس، ولهم أماكن بها.

ويليهم فرقة كبيرة تعرف برياح^(٢). وفيهم ملك العرب القديم بالمغرب؛ وشيخهم يعقوب بن علي بن أحمد - وكان أبوه في غاية الكرم بعث إليه ملك إفريقية بثلاثين حملا من البز الرفيع والتحف السنية فوهبها ثلاثة من المستعطين لوقته. ويجاوره ابنا عمه حلوف بن علي بن جابر ونطاح أخوه - وهم أهل إبل يكون عند الرجل منهم نحو ستين ألف بعير. هكذا ذكر وعليه عهده!

قال: ويليهم عرب الغرب الداخل وأول بلادهم وطاة حمزة^(٣). وسكانها فرقة يسيرة تعرف بمغراوة تنزل حول قلعة حماد. ويليهم عرب بلاد ريغو واركلة^(٤). وهما مدينتان داخلتان في الصحراء؛ وهم من فزارة وشيخهم [ص ١٠١] طلحة بن معهود. قال: وهو رجل من أولياء الله والصالحين من عباده؛ وتنتهي أرضهم إلى المدية في الساحل. ويليهم سويد^(٥) وشيخهم عريف بن عبد الله أبو زيدان، وهو رجل جليل القدر، نبيه الذكر، وافر العقل، مشارك في أنواع العلم والأدب والتاريخ والمعرفة بأيام العرب، ووقائع الناس؛ وصحبته في الحج سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، فرأيت منه ما يملأ الصدر، ويقر العين؛ وهو بمنزلة من السلطان أبي الحسن المريني لا تُطاول ولا تُحاول، ولا [ط ٧٤/٣] يطمع بها طامح ولا طامع. ويتتهي حدهم إلى تافيلت من أرض سجلماسة. قال هذا

(١) قارن بالمقدمة ص ٥١-٥٢.

(٢) قارن بنشوة الطرب ٢/ ٥٠٠، والمقدمة ص ٥٢.

(٣) وطن حمزة في العبر ٦/ ٨٩.

(٤) قال في العبر ٦/ ٩٢١: ومن بلاد الصحراوية قرى ربغة وواركلي.

(٥) قارن بالمقدمة ص ٥٤.

الشريف. ولأبي زيدان عدو من بني عمه يسمى صقير بن عبد الله^(١). قال: وهو أكبر سنا منه وحسبا. ويليهم عرب تعرف بالفرايض يملكون إلى البحر المحيط وبلادهم حاحا، وركراكة، وشفشاوة، ومسوفة.

ومسوفة هذه أهل لثام ويرقع أزرق لا تزال تمشي الرجال بتلك البراقع والنساء مكشفات الوجوه. قال: وسبب براقعهم إظهار الحزن على المهدي بن تومرت.

قال: وأما الطريق الثانية الشامية الآخذة من قابس على الساحل فغالب أهلها بربر، ومصامدة سكان مدرة وأهل زرع وحرث. قال: يلي آل حجر الآخذين من قابس إلى إسفاقس فيما هو إلى المهدي طائفة تعرف بحكيم وشيخهم سحيم^(٢)؛ وكان قد دخل الأندلس غازيا وحضر يوم طريف. ولهذه الطائفة إلى القيروان.

ويليهم دلاج. وكان شيخهم الحمير^(٣)، ثم قتل وقام ولداه عبد الله ويحيى ابنا الحمير. قال: وهم رماة يرمون بقوس اليد رميا صائبا، ولهم تفرد بذلك دون بقية عرب الغرب. وأرضهم من سوسة إلى الحمامات إلى الجزيرة القبلية إلى تونس.

ويليهم طائفة من البربر من تونس إلى تبسة إلى بلد العنّاب. قال: وهؤلاء من هواره، ولهم أشياخ كثيرة، ومرجعهم إلى أولاد حمزة والكعوب.

ويليهم طائفة أخرى زراع من البربر والهامة^(٤) - وشيخهم صخر بن موسى^(٥).

(١) اسمه في العبر ١٠٠، ٩، ١٣٢: صغير بن عامر!

(٢) هو سحيم بن سليمان بن يعقوب بن عبد الله بن كثير بن حرقوص بن فائد ... بن حكيم (العبر ١٦٣/٦-١٦٤)؛ وقارن بالمقدمة ص ٥٥.

(٣) ورد اسم الحمير في العبر ١٤٤/٦ لكن ابن خلدون يذكر الحمير كاسم لبطن قبلي شقيق لدلاج وليس شيخا لهم.

(٤) الهامة: في الجمهرة ٤٩٧: رفاصة: في العبر (الفهارس).

(٥) قارن بالمقدمة ص ٥٦.

ويليهم سدويكش^(١). وبلادهم من قسطنطينية^(٢) إلى بجاية. وشيخهم عبدالكريم بن منديل^(٣). وله اعتلاق بخدمة السلطان أبي الحسن.

ويليهم في جبال زواوة بربر من بني حسن، وزواوة.

ويليهم أرض متيجة^(٤)، وسكانها بنو عبد الواد أصحاب تلمسان، وبنو عياد^(٥)، وفرقة تعرف بمغراوة^(٦). قال: ومغراوة نحو ثلاثين ألف فارس.

[ط ٣/ ٧٥] ويليهم تُجِين^(٧) وهم بأرض تلمسان على وادي شلف^(٨). قال:

وكلهم من بني عبد الواد وهم من زنانة. ويليهم بافراطة من تلمسان إلى فاس.

وأما مَسُون^(٩) فخالية من العرب.

ويليهم من فاس إلى مراكش رباح أيضا ثم المصامدة من مراكش إلى البحر

المحيط.

فهذا ما ذكره الشريف أبو عمر عبد العزيز الإدريسي. وحدثني بذلك كله

في صفر سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

وأما عرب الطرق المسلوكة التي تتوجه فيها المحامل إلى مكة المعظمة. فقد

ذكرنا فيما تقدم أنها أربعة طرق، ولا تُقصد مكة غالبا إلا منها. وهي أربعة

جهات: مصر، ودمشق، وبغداد، وتعز. وقد ذكرنا آنفا من العربان الذين بهذه

الطرق من ملاكها ومن يتحكم عليهم إذا حل بأرضهم كآل فضل، وآل مرا، وبني

(١) قارن عن سدويكش العبر لابن خلدون ٦/ ٣٠٣-٣٠٦، وقارن أيضا بالمقدمة ص ٥٦.

(٢) ورد في المصادر بأشكال مختلفة: قسطنطينية عند الإدريسي ٣/ ٢٦٥، قسطنطينية عند ياقوت،

وقسطنطينية في العبر ٦ الفهارس، وهي تنطق الآن قسطنطينية وهي من كبرى مدن الجزائر.

(٣) قارن بالعبر ٦/ ٣٠٥.

(٤) قارن بالعبر ٦/ ٤٠٦.

(٥) يعزو ابن خلدون بني عياد من سدويكش (العبر ٦/ ٣٠٣).

(٦) قال ابن خلدون في العبر ٦/ ٢٠٣: «وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زنانة.

كان لمغراوة وبني يفرن ... ثم صار لبني عبد الواد.

(٧) ربما تُجِين عند الإدريسي ٣/ ٢٥٧، وتوحين عند ابن خلدون (العبر ٦/ الفهارس) واحد.

(٨) قارن بالإدريسي ٣/ ٢٥٣، والعبر ٦/ الفهارس.

(٩) واد بين فاس وتلمسان (الإدريسي ٣/ ٢٤٧).

عقبة من لم يكن بد [ص ١٠٢ ب] من ذكره فيما تقدم. ونحن الآن نسوقهم طريقا طريقا وفريقا فريقا فيكون أوضح؛ إذ ذكر هذه الطرق وعربانها من المهم المقدم.

فأما طريق الركب المصري^(١): من القاهرة إلى عقبة أيلة لعابذ. ومن العقبة إلى الداماء ما دون القصب لبني عُقْبَة. ومن الداماء إلى أكدي وهي فم الضيقة لبلي. ومن أكدي إلى نما - وهي آخر الوعرات - لجُهَيْنَة. ومن نما إلى نهاية بدر على الفرعاء وإلى نهاية الصفراء على نقب علي لبني حسن أصحاب ينبع. ويليهم أقاربهم من بني حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج^(٢) في طرف قاع البزوة^(٣). ومن الصفراء إلى الجحفة ورايح لزييد الحجاز. ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السوق لسُلَيْم. ومن الثنية على خليص المشرفة على عسفان للشریف جَسَّار من بني حسن^(٤).

(١) النص في البيان Wüstenfeld 449، والصبح ٢٨٤/٤.

(٢) قارن ببلاد العرب للأصفهاني ١٧٠.

(٣) المعروف هو قاع البزواء. قارن بحمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة ١٩٦؛ ورحلة ابن بطوطة

٢٩٧-٢٩٦/١.

(٤) هو جَسَّار بن أبي دَعِيج بن أبي نُعْمٍ محمد بن أبي سعد الحسيني الملكي (العقد الثمين ٤١١).

منازل القبائل على حسب التقسيم الإداري لمصر في القرن التاسع الهجري (القرن ١٥ الميلادي)

وقد استعرض القلقشندي^(١) - الذي عاش حتى أوائل القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) - في كتابه (صبح الأعشى) أسماء القبائل العربية ومنازلها على حسب التقسيم الإداري لمصر في عهده، ففي الوجه القبلي قال: أننا نجد:

أولاً: في بلاد الأعمال القوصية قبائل:

(أ) بنو شادي بالقصر (قصر بني كليب) وهذه القبيلة تنتسب إلى بني أمية.

(ب) العجالة وهم بنو العجيل بن الذئب.

(ج) بنو بلي من قضاة بن حمير بن سبا من القحطانية (اليمنية). ويضيف المقرئزي إلى بلاد الأعمال القوصية أسماء هذه القبائل.

(د) الجعافرة وهم بنو جعفر الطيار ابن أبي طالب^(٢).

(هـ) الكنوز وهم من القبائل العدنانية (من ربيعة)، ويسكن الكنوز في منطقة النوبة^(٣).

وقد ذكر الدكتور محمد عوض محمد من بين القبائل التي تسكن منطقة النوبة أيضاً:

(ز) قبيلة البشاريين وهم يتمون إلى بني كاهل وإلى أحد أبنائه المسمى بشار أو بشارة ومنه اشتق اسم البشاريين^(٤).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤ ص ٧٦-٧٢.

(٢) المقرئزي: البيان والإعراب ص ٣٩.

(٣) أحمد لطفي السيد: قبائل العرب في مصر ج ١ ص ٦٠.

(٤) دكتور محمد عوض محمد: السودان الشمالي (سكانه وقبائله) ص ٧٠، ٧١.

كما أشار عمر رضا كحالة صاحب كتاب (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) إلى قبيلة أخرى تسكن في قنا وأسوان وهي:

(ز) قبيلة العباددة ويتنسب العباددة إلى عرب الحجاز^(١).

ثانياً: في أعمال الأشمونين نجد بني ثعلب وهم أولاد أبي جحيش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق وكانت منازلهم بدورت سريام، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بدروت الشريف (ديروت الشريف).

ثالثاً: في أعمال البهنسا نجد:

(أ) أولاد زعازع من قيس عيلان.

(ب) أولاد قريش من أمراء بن زيد.

(ج) عرب هواره الذين يمتدون من بهنسا حتى أسوان وكانت أوطانهم الأولى تمتد من محافظة البحيرة ومن الإسكندرية إلى مسافة بعيدة نحو الغرب والجنوب، وظلت هذه حالهم إلى آخر المائة الثامنة هجرية (القرن الرابع عشر الميلادي)، ثم اضطروا تحت ضغوط قبائل زنارة وحلفائهم من بقية عرب البحيرة إلى الخروج عن هذه المناطق واتجهوا إلى صعيد مصر، فنزلوا بالأعمال الأخيمية في جرجا وما حولها ثم قوي أمرهم وكثر جمعهم حتى انتشروا في معظم الوجه القبلي^(٢). ويقول المقرئ عن الهواره إنهم من القبائل الحميرية اليمنية وقد أنزلهم السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٢هـ (١٣٨٠م) في صعيد مصر. وذلك بأن أقطع إسماعيل بن مازن الهواري ناحية جرجا وكانت خراباً فعمروها^(٣). ويضيف الخالدي صاحب (كتاب المقصد الرفيع المنشأ - مخطوط) على ذلك بقوله إن الإمرة كانت لبني مازن في الهواره ثم صارت إلى أولاد غريب ثم عادت لأولاد مازن في سنة ٨٣١هـ (١٤٢٧م)^(٤) ومن المتواتر عند بعض عائلات الهواره أنهم ينتسبون إلى

(١) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٧١٧.

(٢) دكتور محمد عوض محمد: السودان الشمالي (سكانه وقبائله) ص ٢٤٩.

(٣) المقرئ: البيان والإعراب ص ٦٠.

(٤) الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ ص ١٤٣، ١٤٤ مخطوط.

ويضيف القلقشندي في كتابه أيضا عن القبائل العربية أن بني هلال بن عامر كانوا ينتشرون في الصعيد وبرقة، وكانت منازلهم تمتد بين مصر وأفريقيا، وأما بنو فزارة من غطفان فكانت منازلهم في الصعيد وقلوب. وبنو كنانة بالأخيمية، وبنو كلاب في الفيوم والأشمونين بالصعيد، وبنو شيعة بسفط بالصعيد وبنو الحسين في جرجا ومنفلوط، وأولاد الشريف قاسم في أسيوط^(١).

وقد أورد لنا الخالدي أسماء هذه القبائل العربية ومنازلها^(٢) على حسب التقسيم الإداري لمصر في القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) وذلك وفقا لما أورده القلقشندي تماما.

لمحة عن القبائل العربية في مصر في القرن التاسع الهجري

١ - قبائل طيء القحطانية:

في مصر بطون عديدة من هذه القبيلة تنتسب إلى فرعين رئيسيين لها فرع درما وفرع زريق. ومن البطون التي تنتسب إلى فرع زريق لشعب ولبنى وثعلبة وعنين ونبل وبنو هم والطلحيون. ومن الطلحيين آل حجاج وال عمران والمصافحة. وكان مقدمهم مقرر قد أمر بالبوq والعلم ومن أمرائهم عمر بن عسيلة وقد أمر كذلك بالبوq والعلم.

ومن البطون التي تنتسب إلى فرع درما سلامة والأجم وعمرو وأوس والبقة وشبل والحنابلة والمروانية والحبانيون وقصر.

وفي قطية بشمال سيناء من ثعلبة الأخارسة وبنو بياضة (البياضية) وفي البدرية منهم بنو صدر واليهم تنسب قلعة صدر التي في طريق البر إلى الشام، وفي القلائد أن البياضية والأخارسة من طيء، وسياق المؤلف يفيد أن ما ذكره هو ما كان في زمنه.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ١ ص ٣١٣-٣٦٠.

(٢) الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ ص ١٤٣، ١٤٤ مخطوط.

(١) لواتة: وتذكر من بعض المؤرخين لواتة (بالتاء) قبيلة من البربر في بلاد المغرب وهاجرت إلى مصر قديما ومنها باقى للآن فى بلادها.

٤ - جذام القحطانية:

يفيد كلام المقرئزي عن أصل قبيلة جذام أن هناك من ينسبها إلى سبأ. وكلتاها قحطانية على كل حال، وقد ذكر تفرعات وبطون هذه القبيلة ممزوجة بشيء من أحوالها وتاريخها.

ومما قاله أن في جذام عدة بطون وأفخاذ وعشائر.

ومن هذه البطون خبيب بن قرظ بن حفيدة بن نبيح، وهذا البطن متفرع إلى عدة أفخاذ وهي بنو سويد وبنو زيد وبنو بعجة وهلبا سويد وهلبا مالك وهلبا بعجة وبردعة ورفاعة وناثل وبنو مسعود وبنو منظور وبنو قرة الذين كانوا بالجزيرة قبل سنس ومحرمه رهط زيد بن روح من الصحابة. فأما سويد فإنهم بنو سعد ابن أسامة بن غطفان ومنهم روح ومنهم مخرط بن حفيدة بن نبيح ومنهم حرام وجشم وغطفان ونبيح وبنو عبيد بن تعب وحطمة بن عوف بن شنوءة بن نديل بن جشم بن جذام ومنهم طريف بن ثعلبة. ومنهم عبيد وهم بنو عبيد بن تعب بن أعلى، ومنهم بنو صليح وبنو الضبيب وبنو زيد وبنو رزالة أو رزال بن نبيح بن عبيد المذكور وهم إخوة بني حفيدة وصليح، ومنهم بنو شاكر بن الضبيب بن قريظ، ومنهم زهير ومالك وأقصى، ومنهم عمرو بن مالك بن الضبيب وبنو عمرو بن سور بن بكر، ومنهم عائدة وصبرة وجابر، وفي صبرة بنو جذام بن صبرة بن نصره، وكان من بني سويد الأمير المقدم زين الدين ظريف بن مكنون أحد الكرام من كبراء الأمراء الجذامين بمصر، وكان بمضافته أيام الغلاء اثنا عشر ألفا يأكلون عنده كل يوم، وكان يهشم الثريد في المراكب، ومن أولاده فضل الله ابن شيخ بن كمونة وإبراهيم بن عالي ومنهما أمر بالبوق والعلم، ومن جذام كعب ابن علي بن سعيد بن أسامة وهم فخذ من الضبيب وبني زيد سويد رميثة ومن بني تعب بنو صليح وبني مطرود ونفائة ورزالة.

ومن جذام بنو كحيل بن قرة بن موهوب وهم جماعة صلاح وطارق من قدامي جذام بالحوف^(١) ويساكن جذام بالحوف بنو راشد ويجمعهم فخذان وعشيرة في جذام من بني سويد ثم من بني عقبه.

(١) الحوف: بلاد شرق بلبيس في محافظة الشرقية.

فمن بني سويد راشد بن وليد بن سويد، ومن بني راشد بنو حبة بن راشد ومنهم عروة بن تمام وماضي بن الغريب وبنو عامر بن راشد ومنهم صخر بن عمارة وبنو حلمه من بني منيع إحدى بني عامر، وأما بنو عُقبة فمنهم راشد بن عُقبة أحد بني محرمة من بني رميته من بني الضبيب. ومنهم بنو حميدة بن صالح ابن راشد من عُقبة، ومنهم خوذ بن حميدة وله عقب. ومن بطون الحميديين البراجسة والجواشنة والعكوك وأولاد غانم وهلبا بعجة من نسل أبي الفوارس هلبا ابن بعجة بن زيد هلبا سويد من نسل «مالك بن سويد بن زيد».

ومن جُذام منظور والعبسة وبنو ثابت وبنو قبيضة وأمراؤهم أولاد بقر بن نجم ومن هلبا سويد بنو عمرو وبنو فهم. ومنهم أولاد شاش والعطويون والحميديون والخابريون والعتاورة، ويقال لهم أولاد طواح المكوس.

ومن جُذام «عُقبة» وينسبون إلى عُقبة بن عبيد بن مالك بن سويد بن زيد بن الضبيب، وهناك من وصل عُقبة جُذام بإياد بن نزار، وإلى هذا الفخذ يرجع كل عُقي ببلاد الشام وبحوف مصر وما بين إيلة وحوف مصر، ولبنو عُقبة من عقبه إيلة إلى قريب عينونة.

والعايد هم بطن من جُذام ينسبون إلى عائد الله وقيل إنهم ينسبون إلى عائذة إحدى بطون جُذام. وللعايد من القاهرة إلى عُقبة إيلة.

وبنو ردّاد بن بعجة بن زيد من جُذام أيضا، ومنهم بنو دويب بن سنان المجرس وبنو داود بن سنان، ومنهم من يسكن الشام.

وبنو زيد مناة بن أفصى من جُذام كذلك ومنهم بنو كنانة وبنو كلب وبنو روح وبنو سعد.

وفي جُذام خمسة سعود، وهم سعد بن رياس بن حرام، وسعد بن مالك ابن زيد وإليه ينتسب أكثر السعديين، وسعد بن مالك بن حرام، وسعد بن أسامة ابن غطفان، وسعد بن مالك بن أفصى، وقد اختلطت أعقابهم بمصر وأكثرهم مشايخ البلاد وخفرائها، ولهم مزارع وفسادهم كبير ومساكنهم من منية غمر إلى

زفيتا، ومنهم الوزير شاور^(١) وإليه ينسب بنو شاور كبار منية غمر، ومنهم بنو عبدالظاهر الموقعون ومنهم أهل برهمتش، ومن هؤلاء بنو شاش؛ ومن سعد هذه بنو الضبيب وبنو زيد وبنو سويد وبنو مية. ومن بني سويد بن زيد بنو قرة وبنو وليد وبنو صبرة بن نصرة أولاد سطر بن مالك، وإلى بني صبرة درك بركة الحجاج إلى آخرها. ومن بني سعد بنو شاش وجوش وعلان. وبنو قرة من قيس في هلال ابن عامر، وهم بنو قرة بن عمر بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عامر، فاحذر من الخلط بينهما.

ومما قاله في صدد أحوالهم وتاريخهم بالإضافة إلى ما سبق أنه لما قدم الغو (عسكر الترك) صحبه أسد الدين شيركوه إلى مصر قائد الحملات التي سيرها نور الدين زنكي سلطان الشام بناء على استنجد الوزير شاور ثم الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ) كان بأرض مصر من العرب قبائل طلحة وجعفر وبلي وجُهينة ولخم وجذام وعُذرة وطِيّ وسُنيس وحَنيفَة ومَعْزُوم، وكان في جرائد الدولة الفاطمية -يعني كشوفها أو جداول جندها- منهم ألفوف وكانت جذام من قدماء عربان مصر، قدموا مع عمرو بن العاص، وكانت لهم عدة إقطاعات منها هريبط وتل بسطة ونوب وروم وغير ذلك. وكان إقطاع ثعلبة (طِيّ) جميعه في مناشير جذام، وقد وسع السلطان صلاح الدين الأيوبي لثعلبة في بلاد جذام.

وكانت فاقوس وما حولها لهلبا سويد (جذام) وأمر جماعة منهم بالبوق والعلم، ومن أمر منهم أبو رشد حبشي بن نجم بن إبراهيم، ولم تزل الإمرة في نجم وبنيه. وكانت البرمون للحيادرة وهم أولاد حيدرة بن معروف بن حبيب بن وليد بن سويد وهم طائفة كبيرة ولبنى عمارة بن الوليد بن سويد معا، وكان في هؤلاء عدد، ومن أمر منهم معبد بن منازل، ومن أمر وأقطع أيضا يمينى بن خشعم من ولد مالك بن هلبا، وقد اقتنى عددا من ممالك الترك والروم وبلغ من نفس الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٦-٦٤٨هـ) منزلة عالية، وارتفع قدره في

(١) وزير الخليفة الفاطمي الأخير العاضد لدين الله الذي تنازع مع ضرغام ثم استنجد بنور الدين زنكي ثم بالصليبيين.

سلطنة المعز أيك وقدمه هذا على عرب ديار مصر، ولم يزل على هذا حتى قتله غلمان، فاقام المعز ابنه سلي و دغشم مكانه، كذلك ممن أمر بالبوق والعلم مفرح بن سالم بن راضي من هلبا بعجة، ومزروع بن نجم كذلك على جماعة كبيرة من جذام و ثعلبة، وخلف مفرجا في الإمرة ابنه حسان.

ومن رجال جذام مهنا بن علوان بن علي بن زبير بن حبيب بن نائل من هلبا، وكان جوادا كريما، وطرقه ضيوف في الشتاء وليس عنده حطب فأوقد أحمالا من بر كانت عنده لطبخ طعامهم، وكان له كفر برسوط بنواحي مرصفا. وكان لبني رديني بن زياد بن حسن بن مسعود بن مالك بن سويد تل محمد، ومن هؤلاء أولاد جياش بن عمران.

وكان للشواكرة أولاد شاعر بن راشد بن عقبة شنبارة بن محرمة بن خبيب ومنهم أولاد العجار أدلاء الحاج من أيام صلاح الدين، ومنهم حميدة^(١) بن صالح ابن راشد بن عقبة وقد صار لهم عدد ومنهم فرقة بالحجاز من واصل بن عقبة وكان لبني خليفة وحصن من بني عبيد موضع من حقوق هريبط يعرف بالأمرار.

ومن هؤلاء بنو زهير بالشام، وامتزج من كان بديار مصر منهم بولد زيد، وهم بحرس الحرف إلى ما يلي اشموم، وكانت قرارة بني سعد تل طنبول إلى أطراف الشرقية، وبالإسكندرية من جُذَام وَلَحْم جماعة ذو عدد وشجاعة وإقدام ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة ووقائع مشهورة.

والصورة التي احتواها سياق القريري عن هذه القبيلة قوية خطيرة حقا، سواء بما كان من قدمها أو نحوها وتفرعها بمقياس واسع أو انتقال كثير منها إلى حياة الحضارة وبروز كثير من رجالها في مجال الإمرة القبلية ووصولهم إلى المركز الممتاز لدى أصحاب السلطان أو بما كان تحت أيديهم من إقطاعات ومزارع أو بمن كان منهم من مشايخ وخفراء إلخ .

(١) وبنو حميدة في الأردن هم من أعقاب هؤلاء، وما زال بنو حميدة هؤلاء بدوا في الأردن. (انظر عنهم في بني عُبَّة في المجلد الأول).

السلطان الفاطمي بقي من هذه القبائل فرق عديدة وانتشر كثير من الذي بقي في شمال مصر وشرق النيل والبراري الواقعة بين أرض برقة والعقبة الكبيرة والإسكندرية.

ويلاحظ أن المقريري لم يذكر بني هلال في عداد القبائل التي قال أنها هي التي كانت موجودة حينما جاء أسد الدين شيركوه، مع أن وجودهم في مصر منذ أواخر القرن الرابع الهجري.

٦- الأوس والخزرج:

يوجد في مصر جماعة من الأوس والخزرج الذين ينتسبون إلى قبيلة الأزد القحطانية، وهم بنو محمد الذين ينتسبون إلى حسان بن ثابت الخزرجي شاعر رسول الله ﷺ وديارهم بحري منفلوط، ثم بنو عكرمة الذين ينتسبون إلى سعد ابن معاذ سيد الأوس، وهم في نفس الديار.

٧- لواتة:

أما فروع لواتة في مصر الذي ذكرها المقريري فهي بنو بلار وبنو مجدول وبنو حديدي وقطوفة وركين ومالوا ومزورة، ومن بني حديد أولاد قريش وأولاد زعازع وهم أشهر من في الصعيد ومن قطوفة طون مغاغة وأهله، ومن بركين بنو زيد وبنو روحين.

وبنو بلار فرقتان واحدة بالبهنساوية وأخرى بالجيزة، ومن الأولى بنو محمد وبنو علي نزار ونصف بني شهلان، ومن الثانية بنو مجدول وسقارة وبنو أبي كثير وبنو الجلاس ونصف شهلان.

ويقال للفرقة البهنساوية حد والفرقة الجيزية خاص أيضا، ولمغاغة سمالوط إلى الساقية ولبنى اقوسنا وما معها إلى بحري طنبيدي، ولفرقتي حد وخاص الكنور وسفط جرجا وأهريت. وأمراء بني محمد وبني علي من بني زعازع، وبطون مزورة هي بنو وركان وبنو غراس وبنو جمّاز وبنو الحكم وبنو الوليد وبنو الحجاج وبنو المحرشة.

ويقال أن بني الحجاج من بني الحماس لأنهم كانوا يؤدون القطائع معهم،
وبنو نزار في إمارة بني زعارع وهم من بني ذرية، ومنهم نصف عامر والحماسنة
والضباعنة. ومن أمرائهم تاج الملك عزيز بن ضبعان ثم ولده، ومنهم بنو زيد
وأماؤهم أولاد قريش ومساكنهم نويرة دلاص. وفي المنوفية من لواتة بنو يحيى
والوسوة وعبد وعضلة وبنو مختار، ومعهم أحلاف من مزانة وزنارة وهوارة وبني
الشعرية في أقوام آخرين.

٨- لحم^(١):

يوجد في صعيد مصر جماعات كثيرة من قبيلة لَحْم التي يتصل نسبها
بكهلان بن سبا القحطانية اليمانية وهم بطون كثيرة، منها بالبر الشرقي من أرض
مصر بنو سماك، ومن هؤلاء بنو مُر^(٢) وبنو مليح وبنو نبهان وبنو عبس وبنو كريم
وديارهم من طاف بيا إلى منجور دير الجميزة في البر الشرقي ومنهم حدان، ومن
هؤلاء بنو محمد وبنو علي وبنو سالم وبنو مدلج وبنو رعبس وديارهم في دير
الجميزة إلى ترعة صول، ومنهم بنو راشد، ومن هؤلاء بنو معمر واصل وبنو رامز
وبنو حيان وبنو معاذ وبنو النيص وبنو حجرة وبنو اشتوية. وديارهم من مسجد
موسى إلى أسكر ونصف بلاد أطفيح، ولبنو النيص الحي الصغير ولبنو اشتوية من
ترعة الشريف إلى معصرة بوش، ومنهم بنو جعد ومن هؤلاء بنو مسعود وبنو
جرير وبنو ثمال وبنو نصار وديارهم ساحل أطفيح، ومنهم بنو عدي ومن هؤلاء
بنو موسى وديارهم تل بني جعد، ومنهم بنو بحر ومن هؤلاء بنو سهل وبنو

(١) ٦٠-٦٢ رسالة المقرئ.

(٢) في صعيد مصر الآن قرية اسمها بنو مُر وهي التي نشأ منها البطل العربي الزعيم الراحل جمال
عبد الناصر ولقد اعتاد العرب حينما يشتون محلة جديدة أن يسموها باسمهم، ومن المحتمل جدا أن يكون
فرع بني مُر من بني سماك هو الذي أنشأ هذه القرية وسكن فيها وسمّاها باسمه، كما أن من المحتمل جدا أن
يكون بطلنا من أنسال هذا الفرع وبالتالي من قبيلة لَحْم من كهلان القحطانية من اليمن ومن بطونها التي
جاءت إلى مصر واستقرت في صعيدها. وقد ذكر بني مُر من بني سماك من لحم القلقشندي في صبح
الاعشى ج ١ ص ٣١٦-٣٦٠ وفي نهاية الأرب ص ٢٩٦.

وذكر بعض الباحثين الحديثين في مصر أن عشيرة جمال عبد الناصر من الأشراف من قريش جاءت
إلى بلدة بني مر من نواحي قنا مع عدة عشائر أخرى وأقامت بها وليست من أصل البلدة المنسوبة إلى لحم
القحطانية.

معطار وبنو فخم وبنو عشير^(١) وبنو مسند وبنو سباع ومسكنهم الحي الكبير، ومنهم قسيس ومسكنهم بلاد أسكر، وبنو تميم ولهم العدوية ودير الطين إلى جسر مصر، ومنهم عمرو ولهم نصف حلوان، ومنهم بنو حجرة ولهم النصف الآخر من حلوان ونصف طرة.

٩- بنو عذر:

في طينة تنيس جماعة من بني عذر الذين ينتسبون إلى همدان القحطانية من اليمن.

١٠- حرام (الخزرج):

أن المقرزي ذكر حراما كأحد بطون جذام، ثم عقد نبذة خاصة بهذا الاسم وقال: إن بطون الخزرج جماعة تعرف ببني حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الذين منهم جابر بن عبد الله الأنصاري، ويقال إن هؤلاء منهم. ومنهم صبرة بن مضرة ابن غطفان وإليهم درك بركة الحاج.

قلت: ولعل هؤلاء ما ذكرهم أميديه الفرنسي باسم نصف حرام.

١١- بنو عذرة:

قال المقرزي إن في الدقهلية قوما ينتسبون إلى قريش وهم نفر من بني عذرة من كنانة وهم الحقيقة كنانة قضاة وليسوا من كنانة خزيمية أحد أجداد قريش، ومن بطونهم بنو شهاب وبنو زيدة والرواشدة وبنو حميرة فراس وهم بمنية محمود ومنية عدلان، ومن بطونهم كذلك بنو لأم وليسوا بلأم الحجاز، وبنو شمس والفضليون وقرارتهم أي ديارهم كرم الثعالب.

١٢- زمر عربية أخرى في الدقهلية:

جمع المقرزي في نبذة واحدة زمرا عديدة وقال إنها بالدقهلية أيضا منهم قوم يدعون الحماسنة، ومنها طوائف من عمرو وزهير، ومنه الحصينيون ورذالة

(١) قلت: ومن عشير عائلات في الفيوم وشمال الصعيد ويطلق عليهم بالوقت الحاضر «العشيري».

والأحامدة وليسوا أحامدة هلبا وبنو جمار وبعضهم أصحاب إقطاع، ومن بطون زهير بنو عزيز وبنو شبيب وبنو عبد الرحمن وبنو مالك وبنو عبيد وبنو عبد القوي وبنو شاكر وبنو حسن وبنو شما.

١٣- بنو سُلَيْم:

قال المقرئزي إن هذه القبيلة من القبائل التي تنتسب إلى قيس عَيْلان إلى مُضَرَ وأنها جاءت مع عدة قبائل من قيس إلى أرض مصر سنة ١٠٩ هـ في ولاية الوليد بن رفاعه، ولم يكن بأرض مصر أحد من قيس قبل ذلك إلا جماعات من فهم وعدوان، ثم سرد قصة مجيء قبائل قيس بطلب من عامل الخراج في زمن هشام بن عبد الملك، وهي القصة التي أوردناها في سياق سابق فلا حاجة إلى إعادتها هنا.

وقد رجع المقرئزي بعد القصة إلى موضوع بني سُلَيْم فقال إن هذه القبيلة تنفرع إلى فروع بني زكوان وزُغَب وعوف والحارث ورفاعة وعُصية وظَفَر وذُبَاب وبَهز وغيرهم، ثم قال ومساكن سُلَيْم ببرقة مما يلي مصر، وكانت مساكنهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ثم تحولوا إلى مصر وإفريقية في بلادهم وصار لهم بإفريقية عدد عظيم.

ومنهم بنو هيب بن بُهْثَة وهم ما بين السدرة من برقة إلى حدود الإسكندرية، ومنهم بنو أحمد بإجدابية ولهم عدد، ومن بني هيب شمال ومحارب ورأستهما في بني عزاز.

وكان لبني هيب عزة لاستيلائهم على إقليم طويل وغدو ولايته لأشياخهم وفيهم الأبطال الأنجاد والخيال الجياد والإمرة فيهم في أولاد عزاز بن مقدم، ومنهم مزيد بن عزاز وكان جليل القدر معظما في الدولة، ومنهم بنو زائد وزيان وكلهم كرام، ومنهم أبو خالد عطا الله بن عمر بن عزاز، وكان كريما مطاعا في قومه، ومنهم بنو معز وعمر ومن هؤلاء علوي بن إبراهيم بن عزاز وسلطان بن زيان بن عزاز وعمر بن مشعل بن عزاز وجماعة بن مليح المنصوري أصحاب ابن غازي بن نجم وعليان بن عريف وبلبوش.

وكان الأخير قد هرب من الملك الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـ) فأرسل جيشاً وراءه فقاتلوه وأخذوه أسيراً فاعتقله مدة ثم أفرج عنه وهو والد زيد، ومنهم جماعة سعيد بن العريب بن الأحمر وجماعة محمد الهواري وكانت الإمرة على عربان البحيرة في أيام الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٣-٧٤١هـ)^(١) فيهم وهي لفايد بن مقدم وخالد بن أبي سليمان، وكانا أميرين سيدين ذوي كرم وأمن وشجاعة.

والسياق يفيد أن أكثر بني سُلَيْم توجهوا إلى بلاد المغرب، وأن قسماً قليلاً منهم تخلف في مصر وقسماً آخر أقام فيما بين برقة والإسكندرية، وأن برقة التي كانت في نطاق سلطان مصر إذ ذاك منذ القرن السادس إلى القرن العاشر كانت في وقت ما تحت حكم مشايخهم، وأن من الذين بقوا في مصر من كان في منطقة البحيرة وكانت الإمارة على عربانها لرؤساء منهم.

ونبه على أن الكلام المقريري عن مجيء بني سُلَيْم في جملة من جاء من قبائل قيس في سنة ١٠٩هـ يتضارب مع الرواية المشهورة التي أوردناها نقلاً عن ابن خلدون في الفصل السابق والتي نذكر أنهم جاءوا إلى مصر مع بني هلال في أواخر القرن الرابع الهجري بأمر العزيز الفاطمي ثم وجه معظمهم مع بني هلال أيضاً إلى إفريقية في أواسط القرن الخامس لإزعاج المعز بن باديس بتدبير اليازوري وزير المستنصر الفاطمي.

وسياق المقريري على كل حال يتضمن بيانات مفيدة عن الذين بقوا في مصر من بني سُلَيْم كما هو واضح.

وتوجد زمر عربية أخرى بين الإسكندرية والعقبة الكبرى أكثرها من سُلَيْم لأن المقريري ذكر بعد بني سُلَيْم بدون عنوان أسماء عدد من الأرومات العربية الضاربة فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى، وهي جماعات فائدة وخفاجة ولبيد وسلام ومحارب وقطّاب والزعاقنة وبشر والجواشنة والبعاجنة والقبايص وأولاد

(١) هذا الملك خُلع مرتين وكان يعود مرة بعد أخرى، ومدة حكمه الأولى ٦٩٣-٦٩٤هـ والثانية ٦٩٨-٧٠٨هـ والثالثة ٧٠٨-٧٤١هـ.

سليمان والقصاص والعلاونة، ومنازلها من العقبة الكبيرة^(١) إلى سوسة^(٢)، ثم جماعة جعفر بن عمرو وهم المثانية والياسة وعرعرة والعضمة والعكمة والمزايل والمعزة، ومن المعزة الجعافرة جماعة عمر، ومنهم البداري أيضا، ومنهم السهاونة والجلدة وأولاد أحمد ومنازلهم من سوسة إلى بير السدر، وهي آخر حدود ديار مصر ومسافتها من الإسكندرية نحو شهر بسير القوافل.

وقد ذكر المقرئ بعد هذا الأرومات العربية التي عليها درك طريق من القاهرة إلى مكة وما يتصل بموضوع الرسالة منها قبيلة العايد التي عليها الدرك من القاهرة إلى عقبة إيلة (على خليج العقبة)، وبنو عقبة الذين عليهم الدرك من عقبة إيلة إلى داما، وقبيلة بلي التي عليها الدرك من داما إلى أكرى، وقبيلة جُهينة التي عليها الدرك من أكرى إلى داما وهي آخر الوعرات. ثم استمر يذكر الأرومات التي عليها درك بقية مراحل الطريق في الحجاز مما لا يدخل في موضوع الرسالة.

وقد قال بعدها أنه يوجد في برقة أحياء لبني جعفر، وكان شيخهم أبا ذئب وأخاه حامد بن كميل، وهم ينتسبون إلى بني كعب من علاق بن عوف بن سليم. وفيما بين برقة والعقبة أولاد سلام، وفيما بين العقبة الكبيرة والإسكندرية أولاد مقدم، وهم بطنان أولاد التركية وأولاد فائد بن مقدم، وهم ينتسبون إلى لبيد من بني سليم.

(وهنا تنتهي رسالة المقرئ).

١٤- وما ذكر في تاريخ ابن خلدون من الزيادات عما ذكره المقرئ:

١- في الواحات من بلاد القبلة قبيلة مُحارب التي تنتمي إلى بني سليم، وقبيلة رواحة التي تنتمي إلى عبس من غطفان.

٢- في نواحي الصغير قبائل من بني هلال وبني كلاب وربيعة يركبون الخيل ويحملون السلاح ويعمرون الأرض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان.

(١) العقبة الكبيرة هي هضبة السلوم، وسوسة مدينة ليبية في برقة على شاطئ البحر المتوسط وهي بنفس الاسم القديم، وهي خلاف سوسة التونسية.
(٢) المصدر نفسه.

وفي الجزء الأول من صبح الأعشى من الزيادات:

١- قبيلة بَهْرَاء من قُضَاعَة وكانت منازلها من الينبع إلى عقبة إيلة شمال منازل بلي، ثم جاور منهم بحر القلزم خلق كثير وانتشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر وكثروا.

٢- بنو ذُبْيَان بن فَزَارَة من غَطَفَان، منهم جماعة بالصعيد في بني سويف والفيوم وجماعة بضواحي القاهرة في قليوب وما حولها.

٣- بنو مازن بن فزارَة، منهم جماعة بالقليوبية.

٤- بنو بدر بن فزارَة، ومنهم جماعة أيضا وهم أصل قبيلة المؤلف^(١) وقد قال إن أهل بلدتنا قلقشندة نصفهم بنو بدر والآخر بنو عمهم بني مازن.

وتنويه القلقشندي مهم حيث ينطوي فيه صورة من صور تطور حياة من القبَلِيَّة للمدنية وملتهم مدنا برمتها، ولا ريب في أن لهذه الصورة أمثالا لا تقع تحت حصر تلمح في ثنايا هذا الفصل.

٥- كِنَانَة بن خُزَيْمَة، منهم جماعة بالأخميمية من صعيد مصر يعرفون بكِنَانَة طلحة.

٦- بنو ليث بن عبد مناة بن كنانَة، منهم طائفة بساقية بالأخميمية من صعيد مصر.

٧- بنو مُدَلِّج بن مُرَّة بن عبد مناة بن كنانَة، منهم طائفة بالأعمال الغربية من ديار مصر.

٨- بنو صخرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانَة، منهم طائفة بساقية قلته وما يليها من بلاد أخميم مصر.

٩- بنو مالك من كنانَة منهم طائفة بالآشمونين وما حولها.

(١) وهو أبو العباس القلقشندي.

الإمارات العربية بمصر

في الوجهين القبلي والبحري

وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى نبذة هامة في صدد الإمارات العربية التي كانت زمن المؤلف (أواخر القرن الثامن الهجري) ممتدة إلى ما قبله.

ولقد نقل المؤلف (القلقشندي) عن الحمداني أن إمرة العربان بالوجه القبلي كانت في ثلاثة أعمال.

العمل الأول:

عمل قوص، وكانت الإمرة فيه في بيتين من بلي قُضاة من حمير، وهما بنو شادي وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف بقصر بني شادي بالأعمال القوصية. وبنو العجيل بن الذيب وكانوا معهم هناك، ومما يقال أن بني شادي من بني أمية من قريش.

العمل الثاني:

عمل الأشمونين وكانت الإمرة به في بني ثعلب من السلاطنة، وهم أولاد أبي جحيش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق من عقب الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وكانت منازلهم سربام، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بدمروت الشريف من يومئذ، وحصن هذا هو الذي قاد حركة التمرد ضد سلطنة مماليك الترك.

العمل الثالث:

عمل البهنسا^(١) وكانت الإمرة فيه في بيتين وهما أولاد زعازع من بني حديدي، وكانوا أشهر من في الصعيد وأولاد قريش^(٢): وهم من أمراء بني زيد، ومسكنهم نويرة دلاص، وكان قريش عبدا صالحا كثير الصدقة، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك.

(١) البهنسا: أجمع قط مصر أن المسيح عليه السلام وأمه العذراء بعد قدومهم من فلسطين كانا في البهنسا ثم عادا للقدس الشريف.

(٢) أولاد قريش هنا من بني زيد وهم من لواتة البربرية - كما أسلفنا عنها.

ثم نقل الفلقشندي عن كتاب التعريف للمقر الشهابي أن الإمرة بالوجه القبلي في زمنه وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣-٧٤١هـ كانت لناصر الدين عمر بن فضل، ولم يذكر مقره ومن أي العرب هو.

وأن الإمرة فيما فوق أسوان كانت لسيرة بن مالك من عرب يقال لهم الحدارية، وكان ذا عدد جم وشوكة منيعة، يغزو الحبشة أمم السودان ويأتي بالنهب والسيايا وله أثر محمود وفضل ماثور.

قلت: والحدارية من قبائل العرب في بلاد النوبة.

وفد سيرة على السلطان فأكرم مثواه وعقد له وشرّفه بالتشريف^(١) وقلّده، وكتب إلى ولاية الوجه القبلي وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب معه للغزو متى أراد له منشورا بما يفتتحه من البلاد، وبتقليده إمرة عربان القبلة مما يلي قوص إلى حيث تصل غايته وتركز رايته.

وقد قال القلقشندي بعد هذا إن الإمرة في زمنه ومنذ وجهت عرب الهوارة وجوهها من عمل البحيرة إلى الوجه القبلي، ونزلت به وانتشرت في أرجائه انتشار الجراد وبسطت يدها من الأعمال البهناوية إلى أسوان وما أولاها، وأذعن لها سائر العربان بالوجه القبلي وانحازوا إليها وصاروا طوع قسادة في بيتين منهم هما بنو عمر محمد وإخوته ومنازلهم بجرجا ومنشأة أخميم، وأمرهم نافذ إلى أسوان من القبلة إلى آخر بلاد الأشمونين من بحري، وأولاد غريب ويدهم بلاد البهنا ومنازلهم دهروط وما حولها.

وأما الوجه البحري فقد نقل القلقشندي^(٢) عن الحمداني الإمرة فيه في خمسة أعمال.

العمل الأول:

الشرقية والإمرة فيها في قبيلتين إحداهما ثعلبة والإمارة لشقير بن جرجا من المصافحة من بني زريق ولعرب ابن نفيلة من العلمين ، والثانية جذام والإمرة فيها

(١) كان يعنى إلباس الخلم المطرزة بالطراز السلطاني.

. VY-79, (2)

في خمسة بيوت: الأول بيت أبي رشد بن حبشي من العقيلين من ذرية زيد بن حرام، وقد أمر بالبوق والعلم، والعبارة تفيد أن أبا رشد هو أول المتأمرين من هذا البيت وأن الإمرة استمرت في بيته من بعده.

والثاني طريف بن مكنون من بني الوليد بن سويد من بني زيد بن حرام، وإلى طريف ينسب بنو طريف ببلاد الشرقية وكان من أكرم العرب، وكان يأكل عنده أيام الغلاء اثنا عشر ألفاً وكان يهشم الثريد في المراكب، ومن بنيه فضل بن سمح بن كمونة وإبراهيم بن غالي وقد أمر كل منهما بالبوق والعلم، والعبارة تفيد كما هو واضح أن الإمرة استمرت في هذا البيت ولداً بعد والد إلى أمد ما.

والثالث بيت أولاد منازل ومن ولد الوليد بن سويد، وكان منهم معبد بن مبارك الذي أُمّر بالبوق والعلم.

والرابع بيت نغمي بن خشع من بني مالك بن هلبا بن سويد وقد أقطع خشع بن نغمي وأمر واقتنى عددا من ممالك الترك والروم وغيرهم، وبلغ من الملك الصالح أيوب (الأيوبي) ٦٤٣-٦٤٧هـ منزلة عالية، ثم حصل عند الملك المعز أيك على الدرجة الرفيعة وقدمه على عرب الديار المصرية، ولم يزل على ذلك حتى قتله غلمانه فعين المعز ابنه سلمى ودغش مكانه فكانا نعم الخلف، ثم قدم دغش على دمشق فأمره الملك الناصر صاحب دمشق يومئذ من بني البوق والعلم وأمر الملك أيك أخاه سلمى كذلك، وعبارة بيت نغمي قد تفيد أن الإمرة استمرت في هذا البيت بعد دغش وسلمى لأمد ما أيضا.

والبيت الخامس بيت مفرج بن سالم بن راضي من هلبا بعجة من بني زيد
ابن حرام.

وأمره المعز أيك بالبوق والعلم حينما أمر سلمي بن خشعم، وكان هذا قد امتنع أن يؤمر حتى يؤمر مفرج، وعبارة بيت مفرج تفيد أن الإمرة استمرت في بيته من بعده لأمد ما.

العمل الثاني:

المنوفية والإمارة فيها لأولاد نصير الدين من لواتة (البربرية)، ولكن إمرتهم بمعنى مشيخة العرب، وقد تفيد العبارة أن مرتبتهم أقل من مرتبة السابقين.

العمل الثالث:

الغربية والإمارة فيها في أولاد يوسف من الخزاولة من سُنْبِس (طَبِي) ومقرهم مدينة سخا.

العمل الرابع:

البحيرة وقد نقل القلقشندي عن كتاب التعريف للشهابي أن الإمارة في الدولة الناصرية القلاوونية في هذا العمل كانت لخالد بن سليمان وفائد بن مقدم من هيب (بني سُلَيْم)، وقد كانا أميرين سيدين جليلين ذوي كرم وأفضال وشجاعة وثبات رأي وإقدام كما وصفهما مؤلف مسالك الأبصار.

العمل الخامس:

برقة^(١): وقد قال القلقشندي إن مؤلف التعريف قال إنه لم يبق من أمراء العرب في برقة في زمانه إلا جعفر بن عمر، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ومخاشنة وليان، وقد كان آخر مرة أن ركب طريق الواحات حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لائذًا بالعفو، ووصل ولم يسبق له خبر ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه وهو في جملة الوقوف بالباب، فأكرم أتم الإكرام وشرّف بأجل التشاريف وأقام مدة في قرى الإحسان وإحسان القرى وأهله لا يعلمون بما جرى له ولا أين يجم حتى أتتهم رافدات البشائر، وقد قال السلطان: لماذا لم تعلم أهلك بقصدك إلينا؟ فقال له: خفت أن يشبطوني ويقولون إن السلطان يفتك بك فاستحسن قوله وأفاض عليه طوله ثم عاد إلى أهله بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء ولم يشمت به عدو.

(١) كانت برقة في نطاق حكم ملوك مصر الماليك من الترك في هذه الحقبة كانت الإمارة من هيب (بني سُلَيْم).

وقد قال القلقشندي بعد هذا: إن الإمرة اليوم في عمر بن عريف، وهو رجل دين وكان أبوه عريف ذا دين متين، رأيته بالإسكندرية بعد الثمانين والسبعمائة واجتمعت به، فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه.

ويتهيء فصل القلقشندي عن أمراء العرب عند هذا الحد، وواضح مما احتواه منهم في صدد ما كان للأرومات العربية من بروز ومكانة في مجال الحكم السلطاني بسبب ما كان لهم من عصبيات قومهم وبيئتهم وباعتراف الملوك وتثبيتهم رسمياً، ويضاف إلى هذا ما ذكر من أمراء العرب الآخرين في ثنانيا النبذة السابقة من هذا الفصل فتقوى بذلك الصورة، ومن المؤسف أن يظل في الموضوع ثغرات كثيرة سواء في عدم ذكر سلسلة الذين كانوا يتولون الإمرة من الأبناء بعد الآباء أم في عدم ذكر شيء هام من سيرة الأمراء ومدى سلطانهم.

ومع أن السياق قد يفيد أن إمرة الأمراء وبيوتات الإمارة كانت في النطاق القبلي فإن فيه ما يفيد في الوقت نفسه أن ذلك النطاق كان يتسع حتى يشمل المنطقة وما فيها من قبائل وقرى أيضا، وكذلك فإن فيه ما يفيد أن القبائل وخاصة بيوتات الإمارة لم تكن بدوية رحالة بل كانت ريفية مستقرة في القرى والكفور، ومنهم من كان مستقرا في المدن.

وبلغت النظر خاصة إلى مدى حركة الشريف حصن الدولة الجعفري الهاشمي الطموحة في آخر الدولة الأيوبية، واجتماع العرب عليه أنفة من سلطة مماليك التُّرك، ثم إلى ما كان من مكانة ونشاط سبرة بن مالك حتى لكأنه ملك وصاحب دولة داخل دولة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فالتبادر أن ما أردته القلقشندي هو ما اطلع عليه أو سمع به خلال القرون الثلاثة السابع والثامن وبداية التاسع للهجرة، ولا يعقل أن لا يكون شيء من هذا قبل هذه القرون، كما لا يعقل أن الذي ذكره هو كل ما كان في القرون الثلاثة.

وعلى كل حال فالبيانات التي وردت في هذا الفصل تؤيد ما قلناه في ختام الفصل السابق من نحو القبائل والأرومات العربية وانتشارها في مختلف أرجاء مصر وتطور حياتها، وغمرها ريف مصر ومدنها وبواديها وطبعتها إياها بطابع العروبة الصريحة الشامل الخالد.

وكما هو واضح من كثرة القبائل والعشائر والعائلات التي توطنت في الديار المصرية سواء كانت قادمة من الجزيرة العربية أو بلاد المغرب أو بلاد الشام يتبين لنا أن مصر هي أم العرب جميعا، تفتح صدرها الحنون وترحب في واديها الخصب (النيل الخالد) بكل أبناء الأمة العربية المجيدة من المشرق والمغرب، وقد كان عدد سكان مصر عام ١٨٠٠م نحو ٢٠٠.٠٤٦٠ مليونين وربعمائة وستين ألفا، وها نحن في عام ٢٠٠١م وقد زاد تعداد القطر العربي المصري خلال قرنين فأصبح يزيد عن خمسة وستين مليون نسمة!

من أين إذن هذا التزايد السريع والرهيب في سكان وادي النيل بأرض الكنانة مصر؟

وهل يا ترى هو من نتاج سكان مصر الأصليين قبل الفتح العربي؟
كلا .. إنها نتاج هجرات قبائل العرب وجاليات العرب منذ الفتح العربي
لمصر عام ٦٤٠م وحتى أوائل القرن العشرين للميلاد لم تتوقف تلك الهجرات
لبعض الجاليات العربية للقطر المصري.

ويكفي أن نقول إن الجالية السودانية وحدها في مصر خلال آخر القرن العشرين بلغت نحو مليوني نسمة خلاف الآلاف الذين حصلوا على الجنسية المصرية في القرنين الأخيرين منذ تولي محمد علي باشا حكم القطرين مصر والسودان (وادي النيل).

وهناك جاليات عربية من بدو وحضر نزلت وحصلت على الجنسية المصرية خلال القرنين الأخيرين . . وستظل مصر عربية أبيةً وقلعة حصينة للأمة العربية وقلب العروبة النابض، ويكفي مصر فخراً أن ذكرها رب العزة - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز مرات ومرات، فهذا وسام تتحلى به مصر المحروسة بعناية

الرحمن . ولقد أوصى النبي الكريم ﷺ خيرا بمصر وأهل مصر، فالعرب كل العرب بخير ما دامت مصر بخير، هذه حقيقة ثابتة في التاريخ منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد على أيدي التتار (المغول) عام ٦٥٦هـ، فكانت مصر الصخرة التي تكسّر عليها الزحف المغولي التتاري على بلاد العرب والمسلمين .

وستظل مصر درعا للعرب تزدود ولا تبخل، وكما قال النبي ﷺ: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما» .

هنا يقصد النبي الكريم بالرحم أي الصهر لأن أم العرب العدنانية من ذرية نبي الله إسماعيل - عليه السلام - هي «هاجر المصرية» . وقال ﷺ أيضا: «إن أجناد مصر خير أجناد أهل الأرض لما أنهم في رباط إلى يوم القيامة» .

جمع الله العرب على الصفاء والوحدة والإخاء ليكونوا نبراسا للمسلمين في بقاع الأرض، ولتكون بحول الله تعالى أمة الإسلام هي أمة القرآن العظيم والدين القويم .

ملخص ما قاله القلقشندي

في نهاية الأرب عن قبائل مصر

وإتماما للفائدة أذكر ما قاله أبي العباس أحمد القلقشندي في نهاية الأرب وما ذكر من قبائل وبطون في الديار المصرية حتى بداية القرن التاسع الهجري، ولا زال الكثير من هذه القبائل باسمها للآن أو تحمل أسماء قرى ونجوع في وادي النيل .

ويمكن مطابقة هذه الأسماء على ما ذكرنا من قبائل في فصول سابقة ولم نذكر نسبها وحتى يسهل علينا معرفة جذورها .

ونذكر ما قاله القلقشندي حسب الحروف الهجائية:

١- بنو أبان: من ذرية عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية من قريش منهم في الصعيد خاصة تندة والأشمونين .

- ٢- بنو أحمد: بطن من هيب من سلّيم في الصعيد.
- ٣- بنو إسحاق: من ذرية أبي بكر الصديق من تيم بن مرة من قريش، وهم أقارب بني طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر، منازلهم في بلاد الأشمونين.
- ٤- بنو أشعب: فخذ من زريق من ثعلبة طيم، منازلهم في أطراف مصر مما يلي الشام.
- ٥- بنو البيض: من بني راشد من لحم، منازلهم بالحي الصغير من الأطفاحية (أطفح جنوب الجيزة).
- ٦- بنو الجلاك: من لواتة (البربر)، منازلهم البهنسا من بلاد الصعيد.
- ٧- بنو الحكم: بطن من مزورة من لواتة ديارهم في الدهناء من صعيد مصر.
- ٨- بنو الشعرية: من أحلاف لواتة في المنوفية.
- ٩- بنو الصدف: قبيلة من حضرموت ودعوتهم مع كندة، ويقال إنه الصدف بن مالك بن مرتع بن كندة، حضر منهم جماعة في فتح مصر.
- ١٠- بنو الضبيب: بطن من جذام ومن أفضأهم عمرو بن مالك بن الضبيب، وعشيرة، وزهير، وخليفة، وحُصين، ومساكنهم في بلاد الدقهلية، وبني خليفة وبني حُصين انضافوا إلى بني عبيد بالحلف ولهم موضع من حقوق هريط بالأحزاب (وهريطة من أعمال الشرقية).
- ١١- بنو الغافق: قبيلة من عك بن عدنان ودخل في القحطانية مع أغار بن أراش من كهلان، شهدت فتح مصر ومنهم طائفة.
- ١٢- بنو الليث: من بني كنانة بن خزيمه بلادهم في الأشمونين وجماعة في ساقية قلته من بلاد أخميم بصعيد مصر.
- ١٣- بنو الوليد: بطن من جذام، مساكنهم الحوف من أعمال الشرقية.
- ١٤- بنو أمية: من قريش وفروع أبان بن عثمان، وبني خالد بن يزيد، وبني سلمة بن عبد الملك، وبني حبيب بن الوليد، وبلادهم الأشمونين من ديار قريش.

١٥- آل عمرو: من غزية طيئ في الخوف وديار بقاياهم النصف والكمن واليحموم والأم والمعينة من مشارق الديار المصرية.

١٦- آل حجاج: بطن من الطليحيين من ثعلبة طيئ وهم قومهم ثعلبة في الشرقية وسيناء.

١٧- آل حصنة: بطن من الطليحيين من ثعلبة طيئ مع قومهم ثعلبة.

١٨- آل حمود: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جذام، منازلهم مع قومهم في الخوف بالشرقية.

١٩- أولاد الهبرية: بطن من أحلاف بني زيد بن حرام من جذام في بلاد الخوف من الشرقية.

٢٠- أولاد الهرم: بطن من غياث بن عصمة بن نجاد بن هلبا بعجة من جذام في بلاد الخوف من أعمال الشرقية.

٢١- أولاد بيرين: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جذام وبلادهم في الخوف.

٢٢- أولاد جوال: بطن من راشد من هلبا سويد من جذام في بلاد الخوف.

٢٣- أولاد جياش: بطن من بني نائل من جذام ولهم تل محمد بالخوف.

٢٤- أولاد راشد: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جذام مساكنهم في بلاد الشرقية.

٢٥- أولاد زعازع: بطن من لواتة في بلاد البهنسا من الصعيد وفيه الإمرة.

٢٦- أولاد غالي: بطن من بني راشد من هلبا سويد من جذام في الخوف من أعمال الشرقية.

٢٧- أولاد منازل: بطن من زيد بن حرام بن جذام، ومنازلهم بالخوف، وكان منهم معبد بن منازل أمراً بالبوق والعلم.

٢٨- أولا نجيب: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جُذام في بلاد الحوف.

٢٩- البحابحة: بطن من الصبيحيين من بني زريعة من ثعلبة طيئ في مشارق الديار المصرية مع قومهم.

٣٠- البراجسة: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جُذام في بلاد الحوف من الشرقية.

٣١- البقعة: بطن من ثعلبة من طيئ مع قومهم.

٣٢- البكريون: بطن من قريش من ولد عبد الرحمن بن أبي يكر بعضهم بناحية دهروط من البهنا بصعيد مصر.

٣٣- البكريون: بطن من زيد بن حرام بن جُذام في بلاد الحوف.

٣٤- البلارية: بطن من لواتة في البهنا ولهم سمالوط إلى الساقية.

٣٥- الثعالب: بطن من طيئ وهم بنو ثعلب بن عمرو بن غوث من طيئ ومساكنهم في صعيد مصر.

٣٦- الجواشنة: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جُذام في بلاد الحوف.

٣٧- الجواشنة: بطن من لبيد من سُلَيْم، بلادهم برقة ومنهم في مصر.

٣٨- الجواهررة: بطن من ثعلبة طيئ منهم في مصر والشام.

٣٩- الحدارية: بطن من البجة منهم في قوص بصعيد مصر.

٤٠- الحراقيص: بطن من بني راشد من الحميديين من هلبا سويد من جُذام في بلاد الحوف بالشرقية.

٤١- الحصنيون: بطن من الضبيب في الدقهلية.

٤٢- الحماريون: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جُذام في الحوف.

٤٣- الحمارنة: بطن من كنانة عُدرة من القحطانية وهم بنو حران في الدقهلية.

٤٤- الحماسنة: من لواتة بالبهنسا.

٤٥- الحميديون: من هلبا سويد من زيد بن حرام من جُذام في الخوف.

٤٦- الحيادة: من الجعافرة من جعفر الصادق من جدهم حيدرة بن جعفر ويعرفون ببني أيمن ما بين منفوط وسمالوط.

٤٧- الحيادة: من زيد بن حرام من جُذام في الخوف بالشرقية.

٤٨- الحيانيون: من ثعلبة طيئ في أطراف مصر مما يلي الشام.

٤٩- الخزاعلة: بطن من سُنُبس من طيئ في بلاد الغربية ومنهم أولاد يعمر وأولاد يوسف.

٥٠- الخنافيس: من بني راشد من الحميديين من هلبا سويد من جُذام في بلاد الخوف بالشرقية.

٥١- الربيعيون: من أحلاف زيد بن حرام من جُذام في الخوف من بلاد الشرقية.

٥٢- الرذاليون: من أحلاف بني زيد بن حرام من جُذام في الخوف.

٥٣- الرواشد: بطن من الجمارسة من كنانة عُدرة من القحطانية في بلاد الدقهلية والمرتاحية.

٥٤- الزبيريون: من قریش في البهنسا منهم بنو بدر وبنو مصلح وبنو رمضان وبنو غني وجماعة محمد بن رواق.

٥٥- الرزقان: من الحميديين من هلبا سويد من جُذام بالخوف.

٥٦- الزموت: من بني زريق من ثعلبة طيئ في أطراف مصر الشرقية.

٥٧- الزيانبة: بطن من جعفر الصادق بين منفوط وسمالوط.

٥٨- السعالي: بطن من الصبيحيين من زريق من ثعلبة طيئ مساكنهم مع قومهم في أطراف مصر الشرقية.

٥٩- السنديون^(١): بطن من الصبحيين من زريق من ثعلبة طيئ مساكنهم مع قومهم.

٦٠- السلاطنة: بطن من جعفر الصادق بين منفلوط وسمالوط.

٦١- الشواكرة: بطن من عقبه من جذام بالحواف.

٦٢- الصبحيون: بطن من زريق من ثعلبة طيئ مع قومهم في أطراف مصر الشرقية.

٦٣- الضباغة: من لواة في البهنا وينسب لهم كفر الضباغة هناك.

٦٤- الطليحيون: بطن من زريق من ثعلبة في أطراف مصر الشرقية.

٦٥- العطويون: بطن من هلبا سويد من جذام في بلاد الحوف.

٦٦- العقيليون: بطن من زيد بن حرام من جذام في بلاد الحوف.

٦٧- العقيليون: بطن من زريق بن ثعلبة طيئ بأطراف مصر الشرقية.

٦٨- العليميون: بطن من بني زريق من ثعلبة طيئ بأطراف الديار المصرية مما يلي الشام.

٦٩- العمريون: من نسل عمر بن الخطاب من بني عدي من قريش:

٧٠- الغتاوره: من هلبا سويد من جذام في الحوف.

٧١- الغوارنة: من هلبا سويد من جذام في الحوف.

٧٢- الغيوث: من زريق من ثعلبة فى أطراف مصر الشرقية.

٧٣- الفرع: بطن من الحماسة من كنانة عذرة القحطانية في كوم الثعالب وماداتاها.

٧٤- الفواطة: من بني مزديش من البربر في رشيد؛ ومشهور بهم بلدة تعرف بالإسكندرية.

٧٥- القمعة: من العليمين من زريق من ثعلبة في أطراف مصر.

(١) يرى بعض الباحثين أن بلدة سنديون بالقليوبية هي أصلاً مُسمّاة على هذا الحَي من طين القحطانية.

٧٦- القوسية: في الأعمال القوسية وهم من ثقيف ودعوتهم مع بني شاد من بني أمية من قريش.

٧٧- الكعوك: من الحميديين من هلبا سويد من جذام في بلاد الحوف بالشرقية.

٧٨- اللبيديون: من بني زيد بن حرام بن جذام في الحوف.

٧٩- المراونة: من درما من ثعلبة طيئ مع قومهم مما يلي الشام.

٨٠- المساهرة: من زريق من ثعلبة طيئ في أطراف مصر مما يلي الشام.

٨١- المشاطبة: من زريق من ثعلبة طيئ في أطراف مصر مما يلي الشام.

٨٢- المعديون: من الصبحيين من زريق من ثعلبة طيئ مع قومهم.

٨٣- النجاية: بطن من الحميديين من هلبا سويد من جذام في الحوف.

٨٤- النمول^(١): من الصبحيين من ثعلبة طيئ مع قومهم.

٨٥- الوسوة: بطن من لواتة في المنوفية ويقال لهم السوة.

٨٦- الأحامد: من الجمارسة من كنانة عُدرة من كلب في بلاد الدقهلية مع قومهم.

٨٧- الأخيو^(٢): من هلبا سويد من جذام في الحوف.

٨٨- الأساورة: من الحميديين من هلبا سويد من جذام في الحوف.

٨٩- بنو بحر: من لحم القحطانية في الحي الكبير من الأعمال الأطفيفية ومن فروعهم بنو سهل وبنو معطار وبنو فهم وبنو مسند وبنو عشير وبنو سباع.

٩٠- بنو بدر: من الزبير بن العوام من قريش في الأشمونين.

٩١- بنو بدر^(٣): من فزارة في قلقشندة بالقليلية يجاورون أبناء عموماتهم

من بني مازن هناك.

(١) لعل أن قرية نمول في القليوبية تُنسب لهذا الحي من طيئ.

(٢) وتنسب لهم قرية الأخيو بمركز الحسينية في الشرقية.

(٣) وإلى هؤلاء ينسب العلامة أبو العباس القلقشندي.

- ٩٢- بنو بردعة: من زيد بن حرام بن جذام في الحوف.
٩٣- بنو بعجة: من زيد بن حرام بن جذام في الحوف.
٩٤- بنو بعجة: من بني هلال ومنهم في مصر الغربية.
٩٥- بنو بلار: من لواتة في البهنسا وهم بنو محمد وبنو علي وبنو نزار ونصف بني شهلان، ومنهم قسم في بلاد الجيزة وهم بنو مجدول وبنو أبي كثير وبنو الجلاس ونصف بني شهلان أو شهلان. ويقال للفرقة الأولى من بلارية والفرقة الثانية جد وخاص.
٩٦- بنو تحيب: قبيلة من كندة وهم بنو أشرس منهم جماعة حضرت فتح مصر ولهم خطة أيام عمرو بن العاص ومنهم بنو صمادح.
٩٧- ثعلبة: وهم بنو ثعلبة بن سلامان بن ثعل وبنو بطنان درما وزريف، فأما ثعلبة الشام مما يلي مصر في الخروبة شمال سيناء وهم درما ومنهم سلامة والأحمر وعمرو وقصير وأويس وشبل والحنابلة والمراونة والحياثيون، ومن بني زريق الطليحون والصباحيون والعليميون ومنهم في بلاد الحوف بالشرقية.
٩٨- بنو ثمال: من بني جعدة من لخم في بلاد أطفيح جنوب الجيزة.
٩٩- بنو ثمامة: من طيء منهم في البحيرة.
١٠٠- بنو جدان: بطن من لخم منازلهم بالبر الشرقي من صعيد مصر من دير الجيزة، وهم أربعة فروع بنو علي وبنو سالم وبنو مدلج وبنو رعيش.
١٠١- بنو جديدي: من لواتة في الأعمال البهنساوية ومنهم أولاد قريش وأولاد زعازع وهم أشهرهم في الصعيد.
١٠٢- بنو جرير: من جعدة من لخم في ساحل أطفيح بالبر الشرقي من صعيد مصر.
١٠٣- بنو جعد: بطن من لخم في ساحل أطفيح بالبر الشرقي ومنهم بنو مسعود وبنو جرير وبنو زبير وبنو ثمال وبنو نصار.
١٠٤- بنو جميلة: من بني هلال بن عامر من هوازن في إسنا وأسوان.

١٠٥- بنو حيدة: بطن من بني عامر من هوازن ومنهم في الصعيد.

١٠٦- بنو حبان: من بني راشد من لحم بالبر الشرفي فيما بين مسجد موسى وأسكر من أعمال أطفح.

١٠٧- بنو حجرة: من بني راشد من لخم في أعمال أطفح فيما بين مسجد موسى وأسكر ولهم نصف حلوان ونصف طرا.

١٠٨- بنو حجير^(١): من بني عمرو من هلال في ساقية قلعة من الأعمال الأخيمية.

١٠٩- بنو حدير: من جعد من لحم في البر الشرفي من أعمال أطفح ويطلق عليهم الحديريون.

١١٠- بنو حرام: من الخزرج. منهم أدى ودينار، منهم أناس من قضاة وفقهاء ومشايخ بلاد في مصر وليس لهم دار خاصة ولا مكان معروف.

١١١- بنو حرام: من جذام في بلاد الحوف.

١١٢- بنو حماد: من لواتة البربر.

١١٣- بنو حماس: من لحم في البر الشرقي من الأعمال الأسبوتية ولهم ينسب شرق حماس البلدة المعروفة.

١١٤- بنو حيدر: من قريش من بنو حيدر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي في تنة من أعمال الأشمونين.

١١٥- بنو خصيب: من بني مخزوم من بني صخر عرب الكواكب منهم
أشتات بمصر.

١١٦- بنو خفاجة: من عُقيل من عامر بن صعصعة من هوازن منهم طائفة في البحيرة، وما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى (السلوم).

١١٧- بنو خلف: من الضبيين من جذام في الدهلية ومضافون مع بني حُصين ولهم من حقوق هريط يعرف بالحرار.

(١) ولهم يُنسبُ نَجْع الحجيرات في صعيد مصر .

١١٨- بنو راشد: من لحم بين مسجد موسى وأسكر من أطفيح ومنهم بنو معمر وبنو واصل وبنو رمزا وبنو حيان وبنو معاذ وبنو النيص وبنو حجرة وبنو اشتوة.

١١٩- بنو راشدة: من لحم أيضا من عرب الفتح ولهم مسجد راشدة في الفسطاط، ومنهم حاطب بن بلتعة الصحابي وكان حليف الزبير بن العوام.

١٢٠- بنو ردالة: من الحماسة من كنانة عذرة في الدقهلية.

١٢١- بنو رديني: من جذام من مالك بن سويد في الخوف منهم أولاد جياش ولهم تل محمد.

١٢٢- بنو رزاح: من عذرة كلب من قضاة منهم في صعيد مصر وخاصة أسبوط.

١٢٣- بنو رفاعة: من جذام في الخوف.

١٢٤- بنو رفاعة: من عامر بن صعصعة في ساقية قلعة من بلاد أخميم.

١٢٥- بنو رمضان: من الزبير من قريش في البهنسا.

١٢٦- بنو رميح: من الخزاعة من سنابس من طيء في بلاد الغربية.

١٢٧- بنو روحين: من لواتة في بلاد البهنسا.

١٢٨- بنو ريذة: من الحماسة من كنانة عذرة في الدقهلية.

١٢٩- بنو زبير: من بني جعفر من لحم بساحل أطفيح.

١٣٠- بنو زربة: من لواتة في البهنسا ومنهم نصف بني عامر والحماسنة والضباعنة.

١٣١- بنو زناتة: منهم في البحيرة وما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة ببرقة وهم من قبائل البربر.

١٣٢- بنو زهرة: من قريش في الأشمونين.

١٣٣- بنو رهير: من جذام في الدقهلية وأكثرهم في الشام وهم في مجرى الخوف إلى ما يلي أمتحوم الرمان، ومنهم بنو عرين.

١٣٤- بنو زيد: من زربة من لواتة في الأعمال البهناوية.

١٣٥- بنو زيد: من جذام فى الحوف بالشرقية.

١٣٦- بنو سالم: من خم بالبر الشرقي من صعيد مصر فيما بين دير الجيزة وترعة هبول.

١٣٧- بنو سعد: ومنه السعديين فى الشرقية وهم بطون من جذام.

١٣٨- بنو سمالك: من لخم في البر الشرقي ما بين طارف ببا إلى منحدر دير الجميزة وهم بنو مر وبنو مليح وبنو نيهان وبنو عبس وبنو كريم وبنو بكر.

١٣٩- بنو سنبس: من طيئ فروعهم الخزاعلة والإمرة فيهم في بني يوسف ومقرهم في سخا بالغريرية.

١٤- بنو سنان: من الحماسة من كنانة عذرة بالدقهلية.

١٤١- بنو سهل: من بحر من خم في الأطفحية.

١٤٢- بنو سواده: من طيئ في أخميم بالصعيد.

١٤٣- بنو سويد: من جذام بالحواف في الشرقية.

١٤٤ - بنو شادي: من جذام في ضواحي القاهرة إلى أطراف الشرقية.

١٤٥- بنو شادي: من بلي في القصر الخراب في الصعيد ويذكرون نسبهم إلى أمية من قریش.

١٤٦- بنو شاکر: من زهير^(١) من جذام فی الدقهلیة.

١٤٧- بنو شاعر: من عقبه من جذام في الحوف ويعرفون بشواكر عقبه.

١٤٨- بنو شبل: من ثعلبة طيئ مع قومهم وهم من ولد نافع بن مروان.

(١) يقال أن قرية طماي الزهايرة منسوبة إلى هذا الحي من جذام القحطانية، وهي تابعة لمركز السنلاوين بالدقهلية.

- ١٤٩- بنو شَمَّا: من أحلاف بني زهير من جذام في الدقهلية.
- ١٥٠- بنو شمس: من الحماسة من كنانة عذرة القحطانية في الدقهلية.
- ١٥١- بنو شنوءة: من بني راشد من لحم في البر الشرقي من صعيد مصر بين ترعة شريف إلى معصرة بوش.
- ١٥٢- بنو شهاب: من الحماسة من كنانة عذرة في الدقهلية، والحماسة ينسبون أنفسهم إلى قريش.
- ١٥٣- بنو شهلان: من لواتة في البهنسا ولهم تنسب البلدة المعروفة بني شهلان.
- ١٥٤- بنو ضمرة: من كنانة العدنانية في بلاد الأشمونين.
- ١٥٥- بنو طلحة: من البكرين من قريش في البرجين وسفط سكرة وطحا المدينة بالأشمونين.
- ١٥٦- بنو عامر: بطن من لواتة في البهنسا من صعيد مصر.
- ١٥٧- بنو عائد^(١): من جذام في بلبس والشرقية.
- ١٥٨- بنو عبد الله: من الزبير من قريش في البهنسا.
- ١٥٩- بنو عبيد: من جذام والإمرة فيهم في بني بقر في بلاد الحوف.
- ١٦٠- بنو عبيد: من سنابس من طيئ في بلاد الغربية.
- ١٦١- بنو عبيد: من لواتة في المنوفية.
- ١٦٢- بنو عجرمة: من طريف من جذام وهم العجارمة بلادهم في الشرقية.
- ١٦٣- بنو عدي: من كنانة عذرة في الدقهلية.
- ١٦٤- بنو عدي: من لحم في ساحل أطفيح وهم بنو موسى وبنو محارب.
- ١٦٥- بنو عدي: من قريش في البرلس والصعيد.

(١) وللعائد كفور العائد المعروفة حتى الآن في الشرقية.

- ١٦٦- بنو عرايا: من زنارة^(١) في أعمال البحيرة.
- ١٦٧- بنو عرين: من زهير من جذام في الدقهلية.
- ١٦٨- بنو عزيز^(٢): من هلال في ساقية قلته من أعمال أخميم ببلاد الصعيد.
- ١٦٩- بنو علي: من لواتة في البهنسا.
- ١٧٠- بنو عمارة: من جذام في الخوف وفيهم كثرة.
- ١٧١- بنو عمرو: من بلي فوق أخميم مع قومهم هناك.
- ١٧٢- بنو عمرو: من زهير من جذام في الدقهلية.
- ١٧٣- بنو عمرو: من لحم في بلاد أطفيح ولهم من الرستق إلى نصف حلوان.
- ١٧٤- بنو عنار: من سنابس من طيئ منازلهم بنواحي بطرة وبطيطة ولويقة من أعمال الغربية.
- ١٧٥- بنو غرواس: من مزورة من لواتة في البهنسا.
- ١٧٦- بنو غني: من الزبير بن العوام في البهنسا.
- ١٧٧- بنو فاس: من الحماسة من كنانة عذرة من قضاة في الدقهلية.
- ١٧٨- بنو فضاء طلحة: من بني أبي بكر الصديق في البرجين وسقط سكره وطحا المدرينة ودهروط.
- ١٨٩- بنو فضالة: من بلي في منفلوط.
- ١٨٠- بنو فهم: من بحر بن لحم مساكنهم مع قومهم الحي الكبير من الأطفيح وإليهم تنسب بلدة الفهميين.
- ١٨١- بنو قشير: من عامر بن صعصعة في بلاد أسيوط من صعيد مصر.
- ١٨٢- بنو قطران: من هواره في البحيرة.

(١) لعلهم دخلوا في هواره فيما بعد وقد ذكرهم أيضا القلقشندي ضمن هواره.

(٢) ومنهم العزايزة في صعيد مصر.

١٨٣- بنو قفجر: وهم قنبر مساكنهم بلاد الأشمونين مع قريش وجدهم كان مولى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه.

١٨٤- بنو قيس: من لحم مساكنهم من أسكر في الأطفيح إلى دير الطين إلى جسر مصر.

١٨٥- بنو كريب: من هواره في بلاد الجيزة.

١٨٦- بنو كريم: من سماك من لحم في طارف ببا ودير الجميزة بالبر الشرقي من بلاد الصعيد.

١٨٧- بنو مالك: بطن من زهير من جذام في الدقهلية.

١٨٨- بنو مر: من بني راشد من لحم في ساحل أطفيح بين مسجد موسى وأسكر.

١٨٩- بنو مسعود: من جعدة من لحم بالقرب من الحي الصغير في ساحل أطفيح.

١٩٠- بنو مسلم: من زنارة في البحيرة.

١٩١- بنو مسلمة: من أمية من قريش في تندة بالأشمونين.

١٩٢- بنو مصعب: من الزبير بن العوام في البهنسا.

١٩٣- بنو مصفوفة: من قريش في البحيرة.

١٩٤- بنو مصلح: من الزبير بن العوام في البهنسا.

١٩٥- بنو مصلة: من لواتة في المنوفية.

١٩٦- بنو معاذ: من راشد من لحم بين أسكر ومسجد موسى بساحل أطفيح.

١٩٧- بنو مغيلة: من البربر في البهنسا.

١٩٨- بنو مهدي: من طريف من جذام منهم في مصر بعض البطون وأهم بطونهم الشاطبة وأولاد بني عسكر والعناترة وأولاد راشد والبشير واليعاقبة

والمطارنة والعفير والرويم والقطاربة وأولاد الطامية وبنو دوس وآل سيار والمجابرة والسماعة والعجارمة.

١٩٩- بنو موسى: من جعد من لحم قرب الحي الصغير بساحل. أطفح.

٢٠٠- بنو ناب: من بلي فوق أخميم.

٢٠١- بنو نائل: من سويد بن بعجة من جذام في كفر مرصفا وكفر برسوط وبنو رديني في الشرقية.

٢٠٢- بنو نيهان: من سماك من لحم ما بين طارف البهنساوية من الديار المصرية ودير الجميزة.

٢٠٣- بنو نزار: من بني بلار بن لواتة ومسكنهم البلدة المعروفة ببني نزار في البهنسا، ولهم نصف بني عامر والحماسنة والضباعنة وهم في إمارة بني زعازع.

٢٠٤- بنو نصر: من لحم في البر الشرقي من أسبوط، ولهم بلدة بني نصر بالبر الشرقي من النيل.

٢٠٥- بنو نفاية: بطن من فزارة بالأطراف الشرقية من الديار المصرية.

٢٠٦- بنو هذيل: منهم طائفة بالجبل قرب أخميم يدعون في بني شاد هناك.

٢٠٧- بنو هرم: من بلي فوق أخميم.

٢٠٨- بنو هلال: منهم طائفة بساقية قلعة من أخميم ومنهم بنو رفاعة وبنو حجير وبنو عزيز وبنو جميلة وبنو عقة.

٢٠٩- هلبا بعجة: من جذام مساكنهم الخوف بالشرقية.

٢١٠- هلبا سويد: من جذام مساكنهم الخوف بالشرقية.

٢١١- هلبا مالك: من جذام مساكنهم الخوف بالشرقية ومنهم الحسينين والفوارنة.

وقيل أيضا هواره من ولد قبط بن فوط بن حام بن نوح، ويقال جالوت بن بربر بن قبط بن مصر بن فوط.

وقيل إن مصر هو ابن بيصر بن حام بن نوح، وإن تُركوت هي ابنة أحد أولاد يمن، وإن بعلها كان يعرف بكاهن بن جالوت وإنه أبو البربر، وإن من ولد تُركوت هذه إبراهيم جد علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم ملك المثلثين، ومن ولد تُركوت أيضا ملوك كزولة الجبل المعروف بجبل الكسه، وهم يزيدون على ثلاثمائة قبيلة كل قبيلة نحو ثلاثين ألف نسمة، ومنهم أنسكات ومصلات وأرنس وبنو طريف وبنو جابر وبنو وغرده وهشتوكه وارغتان. وقيل: إن من ولد صنهاج «يكتون» وهم المثلثون، وتزكيك ومسوفة ومشطوفة وهم صناع درق اللط ومتته بنت صنهاج عرفوا بأمهم ومنير وجروم.

وهوارة يزعمون أنهم من البربر القدماء، وأن مزارته ولواته كانوا منهم وانقطعوا عنهم وفارقوا ديارهم وصاروا إلى برقة وغيرها.

وتزعم هواره أيضا أنها من قوم من أهل اليمن جهلوا أنسابهم.

وكل هذه الأقوال لا تثبت ، والأشبه بالصواب أنهم من ولد هُوَارَ بن أوريغ ابن بُرنس بن ضَرَى بن زجيك بن مادغس بن بر بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح كما تقدم . وهوارة تتناسب - كما تتناسب العرب - وأصل ديارها من آخر عمل سرت إلى طرابلس الغرب ، ثم قدم منهم طوائف إلى أرض مصر ونزلوا بلاد البحيرة وملكوها من قبل السلطان . وهوارة التي ببلاد الصعيد أنزلهم الظاهر برقوق بعد وقعة بدر بن سلام هناك في سنة اثنين وثمانين وسبعمائة ، وذلك أنه أقطع إسماعيل بن مازن من هوارة ناحية جرجا وكانت خرابا فعمروها ، وأقام بها حتى قتله علي بن غريب فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهواري حتى مات . فولى بعده ابنه محمد المعروف بأبي السنون^(١) وفخم أمره وكثرت أمواله ، فإنه أكثر من زراعة النواحي وأقام دواليب السكر واعتصاره حتى مات فولى بعده أخوه يوسف بن عمر .

(١) ذكر رفاعه الطهطاوي في مناهج الالباب أن أبا السنون عرف أيضا بأبي شوشة.

وأضاف في حاشية قائلا: بعد أن نزلت هواره في أعمال الأخميمية قوي أمرها وانتشرت في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص إلى غربي الأعمال البهنساوية وأقطعوا فيها الإقطاعات وصارت الإمرة في بلاد أخميم لأولاد عمر، وفي أعمال البهنسا وما حولها لأولاد غريب، وإسماعيل بن مازن المذكور في النص هو جد الموازن ومن أولاده عمر الذي توفي سنة ٧٩٩هـ وهو والد بني عمر، وقد ذكر في الخطط أن هواره زحفت على أسوان في المحرم سنة ٨١٥هـ وخاربت أولاد الكثر (من ربيعة العدنانية) وهزمتهم وخربوا مدينة أسوان واسترقوا من فيها. وكانت الشهرة ببلاد الصعيد لقوص وأخميم ولم تكن جرجا مشهورة حتى نزلتها هواره في القرن الثامن الهجري.

(انتهی قول د. عبد المجید عابدین)

قلت: ومن أهم وأقدم النصوص التي ذكرت نسب الهوارة هو نص الجماهرة لابن حزم الأندلسي^(١) (٣٨٤-٤٥٦هـ) حيث ذكر تحت عنوان جمهرة من نسب البربر قائلا عن البربر بصفة عامة «قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح -عليه السلام- وأدعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلاً، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكذيب مؤرخي اليمن.

وأضاف ولد بر: مادغس، وبُرنس. فولد بُرنس: كُتامة وصنهاجة وعجيسة ومصمودة وأوروبة وأزداجة وأوريغ. فولد أوريغ بن برنس «هوار» ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدا.

وفي نهاية الأرب^(٢) ذكر أبو العباس القلقشندي عن هوارة قائلا:

بنو هوازة بطن من أوريغ، من البرانس، من البربر. وهم بنو هوازة بن أوريغ بن برنس بن بربر.

(١) انظر الجماهرة ص ٤٩٥ ط ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد الفلقشندي - تحقيق إبراهيم الإبراري - طبعة ثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م - دار الكتاب اللبناني - بيروت، ص ٤٤١، ٤٤٢.

والسدادة، والزيانية، والخيافشة، والطرده، والأهله، وأزلتين، وأسلين، وبنو قمير، والنية، والتبابعة، والغنائم^(١)، وفزارة^(٢)، والعبادة، وساوره، وغلبان، وحديد، والسبعة.

والإمرة فيهم لأولاد عمر، وفي الأعمال البهناوية وما معها لأولاد غريب والأمر على ذلك.

وذكر أحمد لطفي السيد في كتاب قبائل العرب^(٣) عن هواره قائلا:

هواره من قبائل البربر في بلاد المغرب مثل صنهاجة وكتامة ولواتة ومصمودة ولتونة وزناتة ومغيلة ونفزة وغمارة وغيرها، وأضاف أن البربر تصاهروا مع العرب وامتزجوا بهم^(٤) لدرجة أن جماعات كبيرة منهم نسيت أصولها للبربر حتى أن لواته قد ألحقت نفسها بحمير مثل صنهاجة، وقد نجحت هواره أكثر من أي قبيلة بربرية وهبطت لمصر وكونت لها إمارة في الصعيد المصري بعد أن سكنت شمال الغربية وفي البحيرة بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة في برقة، ولا تزال حتى اليوم لهم بقايا هناك في مريوط وما حولها يجاورون قبيلة أولاد علي، وأول من نقل هواره مستعمرة إلى جرجا هو الظاهر برقوق أول ملوك المماليك الشراكسة في مصر عام ٧٨٢هـ-١٣٨٢م.

وقد أصبحت الهواره من القبائل المستقرة في جرجا بالصعيد، وكذلك منهم في البحيرة والفيوم وغيرها.

(١) الغنائم: لهم نجوع كبيرة في صعيد مصر باسمهم حتى الوقت الحاضر.

(٢) فزارة: لعل هؤلاء من فزارة قيس ودخلوا في هواره في عهد الحمداني (القرن السابع الهجري).

(٣) قبائل العرب لأحمد لطفي السيد طبع عام ١٩٣٥م بالقاهرة.

(٤) هذا القول صحيح لأن بعض المؤرخين على رأسهم ابن خلدون ذكر أن بعض بطون بني سليم مثل لبيد في بحيرة مصر قد اندمجوا مع الهواره وامتزجوا بهم ويصعب التفريق بينهما، ويوجد فروع من الهواره مثل البلايش وأولاد سالم يرجع نسبهم لبني سليم العدنانية ورواتهم يذكرون ذلك، وهؤلاء مركزهم في أولاد طوق بمحافظة سوهاج ولهم نجوع خاصة بهم تحمل اسم نجع أولا سالم ونجع البلايش، وذكر القلقشندي البلايش (بالسين) من لبيد من سليم في برقة، وكذلك أولاد سالم من هيب من سليم، وفزارة وهم من غطفان. ومع الهواره أيضا فروع من الجعافرة الأشراف من بني هاشم سيأتي ذكرها نقلا عن الحبوني وقد جاورت الهواره من مدة طويلة وخالطتها.

نصوص تاريخية عن الهوارة

في كتاب بدائع الزهور ووقائع الدهور لابن إياس من مؤرخي القرن العاشر الهجري ذكر التالي عن الهوارة:

- في عام ٨٨١هـ تحركت هوارة بزعامة رؤسائهم بني عمرو وكانت حركتهم مزعجة، وسيّرت عليهم الحملات مرة بعد أخرى فكانوا يهزمونهم ولم تهدأ حركتهم إلا بعد عناء كبير.

- وفي عام ٨٨٢هـ تحالفت قبائل البحيرة وأعلنت تمردا وفي نفس الوقت عادت هوارة إلى التمرد.

- وفي عام ٨٩١هـ أمر السلطان بتوسيط عزور أمير هوارة وجماعة من أقاربه بسبب حركتهم التمردية.

- وفي عام ٩٠٣هـ قامت فتنة كبيرة بين حميد بن عمرو أمير هوارة وقريه إبراهيم.

- وفي عام ٩٢٣هـ حينما رشح السلطان سليم العثماني نحو مصر بعد معركة مرج دابق في الشام والتي انتصر فيها على السلطان قنصوه الغوري المملوكي ومقتله تحت سبائك الخيول، وبالتالي استمرار رشح العثمانيين على الشام ثم تولى الأمر طومان باي الذي تولى جعله لحكم الغوريين بحيث لا يستطيعون طلب منهم أن يأتوا بجماحة مله أشجع بل يفتتقروا في طلبها التجريدة التي كانت تعد لصدا السلطان العثماني، وقد حضر إليه الجند في رجب فغضبوا ونزلوا من الجيزة ثم دخلوا الرحلة حتى دبتهم منهم السلطان بنفسه، وقد انقلب أمر المماليك الترك عند العرب والعقلاء من أصحاب المماليك التي معها يملك المماليك بلاد الشام، ومع ذلك فإن أمراء الجند أقنعوا السلطان طومان باي بضرر استصحابه فرسان العرب

في التجريدة، فقال له: يا أبا، إنه سنة ٩١١هـ ولد لي -
 به، تدعى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٤م (في أول العهد العثماني) أرسل الأمير علي بن
 عمر شيخ الهوارة وحاكم الصعيقة هدية للسلطان سليم العثماني وود عليه السلطان

برسول منه إلى الأمير الهواري يحمل هدية عبارة عن قفاطين فخمة مع مرسوم باستمرار الأمير في حكم الصعيد.

وفي كتاب الخطط التوفيقية لعللي باشا مبارك ج ١٠ ص ٥٣ قال عن هواره:

- غير أن العثمانيين نزعوا حكم الصعيد من الهوارة في عام ٩٨٣هـ/ ١٥٧٦م وعهدوا بالحكم فيه إلى أحد بكوات الممالك؛ وذلك لأن الهوارة أهملوا فيما كلفوا بأدائه من مهمات مثل جمع المال والغلال المقررة للدولة كما أهملوا في شئون الزراعة.

وذكر الجبرتي في تاريخه عن الهوارة التالي ذكره:

- في عام ١١٢٣هـ كان نزاع بين محمد بيك حاكم الصعيد وإفرنج أحمد من أمراء الأجناد، وقد زحف الأول على الثاني لقتاله وكان معه جمع عظيم من عرب المغاربة والهوارة.

- وفي عام ١١٧٧هـ ولما قام علي بيك كبير أمراء الممالك بحركته متضامنا مع محمد أبي الذهب اندمج في حركتهما شيخ العرب همام الهواري وأمدهما بالمال والرجال.

وفي ترجمة أبواظ بيك من كبار أمراء الجند عام ١١٢٣هـ خبر فتنة بين أمراء الجند كان محمد بيك حاكم الصعيد طرفا فيها فجاء لقتال خصومه ومعه سواد أعظم من العرب المغاربة والهوارة، وقد قتل أبواظ بيك في هذه الفتنة.

- وفي عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م قال الجبرتي: عاش الصعيد عصرا ذهبيا في عصر الشيخ همام بن يوسف الذي وصفته المصادر المعاصرة بأنه عظيم بلاد الصعيد ومن كان خير وبره يعم القريب والبعيد وقد جمع فيه من الكمال ما ليس فيه لغير مثال.

- وفي عام ١١٩١هـ طلب الوالي في مصر من العربان والهوارة أن يذهبوا إلى الصعيد لقتال بعض الأمراء المتمردين وخلع على مشايخهم وقد ذهبوا واشتركوا في القتال ودارت الدائرة على الأمراء هناك.

- قال الجبرتي: وظل الهوارة يشتركون في الحياة السياسية (في العهد العثماني) بتأييدهم فريقا من الحكام ضد الآخر حتى عهد مراد بيك وإبراهيم بيك.

- وفي عام ١٢١١هـ / ١٧٧٧م انتهى بالهوارة إلى أن قتل مراد بيك شيخهم وصادر أموالهم.

- وفي عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م انتهاء أمر الهوارة بقدمهم إلى القاهرة أسرى ورهائن طالبين العفو والأمان من الوالي.

وذكر أميديه جويير الفرنسي في وصف مصر عن الهوارة قائلا:

الهوارة ما بين جرجا وأسوان في صعيد مصر وعدد فرسانهم كبير عن أي قبيلة هناك وذكر أنهم كانوا ألفين على الأقل، وأضاف أنه يتم اختيار شيخ هذه القبيلة بالانتخاب وهو يقيم في فرشوط، كما ذكر أن هناك عرب الهواري في الصحراء الممتدة إلى الجنوب من دمشق وأن عددها قليل عن غيرها من قبائل سوريا.

وفي كتاب الريف المصري في القرن الثامن عشر - مكتبة جامعة عين شمس - القاهرة ط ١٩٧٤م ص ١٥٧ ذكر عن الهوارة التالي:

- ظهر تأييد عربان الهوارة بزعامة شيخ العرب همام للبيوت المملوكية التي عارضت على بيك الكبير ومنازعته الحكم، ولذا فإن علي بيك أدرك خطورة هذا الشيخ على مركزه بعد اتساع نفوذه فقام بالتخلص منه.

وفي كتاب الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر ذكرت هيلين عن الهوارة النصوص التالية (ترجمة د. أحمد عبد الرحيم عام ١٩٦٧):

- وقد أمد همام (أمير هوارة) الحكومة بالقاهرة بحوالي مائة وخمسين ألف أردب من القمح نال في مقابلها مطلق السلطة في جباية الضرائب وحكم المنطقة.

- وجد الهوارة في مساندة الأمراء اللاجئين إلى الصعيد فرارا من وجه منافسيهم فرصة لتوطيد نفوذهم في البلاد المصرية.

- لم يلبث علي بيك (سلطان مصر المستقل عن العثمانيين) أن قرر عام ١٧٦٩م التخلص من همام زعيم الهوارة فأرسل إليه حملة عسكرية تمكنت من هزيمته بعد خيانة أحد أقاربه، وتوفي الشيخ همام عقب الهزيمة بفترة قصيرة.

وفي كتاب الصعيد في عصر شيخ العرب همام - قالت ليلى عبد اللطيف ص ١٠٤ عن الهوارة التالي:

- ولد الشيخ همام حوالي عام ١٢٢١هـ / ١٧٠٩م وتوفي في عام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م وكان والده الشيخ يوسف ابن الشيخ أحمد محمد همام الذي آلت إليه زعامة قبيلة هوارة في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

- استقبل الشيخ همام، علي بيك الكبير الذي طلب منه أن يصلح بينه وبين زميله صالح بيك القاسمي، وقد نجح همام في إقناع الأخير بالانضمام مع علي بيك الكبير.

- عند إدخال نظام الالتزام إلى الصعيد في الربع الأول من القرن السابع عشر سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضي الصعيد عن طريق حصول شيوخهم على مناصب الملتزمين في الصعيد، وسيطر الهوارة على معظم أراضي الصعيد بالالتزام عادت إليهم السلطة والسيطرة على الصعيد ولكن في ظل الإدارة العثمانية.

وفي كتاب الأحوال الزراعية في مصر - س.ب جيران ص ٢٦ قال عن هوارة (ترجمة يوسف نحاس عام ١٩٤٢م):

- وتمتع الفلاحون المصريون بحماية الهوارة فمارسوا أعمالهم في اطمئنان وأمن لم يعرفهما أمثالهم في الوجه البحري، كما اهتم الهوارة في عهد همام بصيانة الجسور والترع حتى بلغت الزراعة أيامه أقصى درجات ازدهارها.

وفي كتاب الإدارة في مصر في العهد العثماني قالت ليلى عبد اللطيف عن الهوارة في ص ٤٥٣:

- أصبح الصعيد في تلك الفترة نهبا لبيكوات القاهرة الذين سخرُوا أرضه وفلاحيه لآربهم الشخصية وأنقلوا كاهلهم بالمظالم فتدهورت الزراعة واضطرب الأمن.

وفي كتاب رحلة إلى النوبة قال بيركاردت عن الهوارة:

- كان إبراهيم باشا قد وجه عنايته لتأديب عصاة العربان فكان أن استخدم القوة العسكرية في القضاء على نفوذ الهوارة فانقض على قراهم في الصعيد وقتل العديد من شخصياتهم البارزة.

بعض ما قاله المؤرخون عن فروع وتاريخ هوارة:

(١) ما ذكره الدكتور عبد المجيد عابدين في تحقيقه لكتاب البيان والإعراب عن هوارة^(١): قال: أما هوارة فقد كانت منازلهم في زمن الفاطميين بالبحيرة من الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة. وظل الأمر على ذلك إلى أيام السلطان الظاهر برقوق (تولى العرش ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) إذ أنزلهم (قبل أن يتولى السلطنة بستين) في منطقة الصعيد الأعلى، وأقطع إسماعيل بن مارن شيخ هوارة (وهو جد الموازن) ناحية جرجا وما حولها، وكانت عواصم الصعيد الأعلى حيثئذ قوصا وإخميما، ولم تكن جرجا مشهورة شهرة غيرها، حتى نزلت هوارة بالصعيد جهة جرجا فاشتهر أمرها^(٢)، وصارت جرجا فيما بعد ولاية منذ عهد محمد علي باشا.

ولم تنتقل هوارة إلى الصعيد إلا بعد انقضاء الأحداث العنيفة التي وقعت بين المماليك وعرب الصعيد، وكان آخرها ما قام به الحلف التركي من حرب

(١) انظر ص ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦ كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل - تحقيق وتأليف الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ط ١٩٨٩م - دار المعرفة الجامعية.

(٢) نص البيان والإعراب ص ٥٤ - المقريزي.

اضطرت كثيرا منهم إلى الاختفاء أو الهجرة إلى بلاد السودان حتى قل عدد البدو الضارين في أرض الصعيد وأطرافها.

فلما نزلت هواراة إلى الصعيد، وسكنوا الجانب الغربي منه لم يجدوا مشقة كبيرة في السيطرة على البقاع التي استوطنوها، وعظم أمرهم، واشتد بأسهم، ولا سيما بعد هذه المرحلة التي نتحدث عنها، فانتشروا في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص إلى غربي الأعمال البهنساوية^(١).

وتشعبت لهم هناك فروع لا سبيل إلى حصرها، وصارت إمرة عربان الصعيد كلهم لأحد رؤساء هواراة وهو عمر بن عبد العزيز الهواري المتوفى سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م.

يقول أبو المحاسن في النجوم الزاهرة: وعمر هذا هو والد بني عمر أمراء العربان ببلاد الصعيد في زماننا هذا، ولعله يكون أول من ولي منهم الإمرة^(٢).

وحدث لهواراة ما حدث لسائر القبائل المهاجرة، فاستقرت طوائف منهم واشتغلوا في زراعة النواحي بقصب السكر بنوع خاص، والعمل في دواليبه لاغتصاره. وكان محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري قد عني بهذه الزراعة وادخر من وراثتها ثروة واسعة^(٣).

وبقيت جماعات أخرى تعيش حياة تشبه حياة البدو من هواراة، وتحدثنا المصادر أنهم زحفوا جنوبا إلى أسوان، وتحالفوا في بادئ الأمر مع بني الكنز (ربيعة) الذين دأبوا على مهاجمة مدينة أسوان منذ أن أبعدهم جيش صلاح الدين الأيوبي عنها (في عهد الدولة الأيوبية)، ثم نجد هواراة في سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م تناصب بني الكنز هؤلاء العداء وتهاجم أسوان وتخربها^(٤).

(١) نهاية الأرب للقلقشندي.

(٢) النجوم الزاهرة ١٥٦/١٢.

(٣) راجع شهرة الصعيد بزراعة قصب السكر واستخراج منتجاته (رفاعة رافع الطهطاوي

٢٨٩-٢٩٠-٣١٢).

(٤) الخطط للمقريزي ٣٢١/١.

وفي خلال هذه الفترة (٨٠٠-٨١٥هـ) زحفت جموع هواره إلى جنوب الوادي ودخلت سودان وادي النيل.

واستمرت بطون هواره في نمو مطرد حتى كان لأولاد همام (فرع من الهواره) في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) شوكة عظيمة في صعيد مصر وشمال السودان^(١) ولا تزال أسر من هواره تسكن إلى يومنا هذا في صعيد مصر في قرى لا تزال تحمل أسماء فروع من قبائلهم، ولا سيما في أسيوط وما حولها، وفي نجع حمادي، فمن القرى أولاد مؤمن (في طما)، والدناجلة (بأبي تيج)، والبلازد (وتسمى الآن البلايزة) في أبي تيج، وكذلك الصوامع والغنايم وأشحوم (مركز سوهاج)، والعبابدة (مركز أسيوط) وساحل سلين (نسبة إلى سلين أو أسلين بطن من هواره).

وفي ص ١٥٤ أضاف الدكتور عبد المجيد عابدين عن هواره في السودان قائلاً:

تدفقت قبائل هواره على صعيد مصر الأعلى في نهاية مرحلة الأحلاف، ودخلت منهم موجات في السودان منذ ذلك الحين إلى عهد قريب.

والهواره الذين يعيشون الآن في شمالي السودان هم بقايا هواره مصر والشواهد على ذلك ناطقة، ذكر بعضها ماك مايكل. ويروي هواره السودان أنهم نزحوا من صعيد مصر، من منطقة إستا، وهم في معظمهم بدو رحل، وقليل منهم يستقرون على ضفاف النيل في دنقلة، وفي فصل الأمطار يتنقل الهواوير الرحل بقطعانهم إلى العرب، ويرعون مع الكباش من وادي الكاب إلى حدود دارفور، ثم يعودون إلى الشرق في فصل الجفاف.

وهناك قسم آخر من الهواره يقيمون الآن بالقرب من الأبيض في كردفان، حول خمى وأم دليكة وغيرهما، ويروون أنهم بطن من قبيلة الهواوير وأن أجدادهم عاشوا في صعيد مصر، وأنهم كانوا بيض اللون. وأول من قدم منهم

(١) ماك مايكل (١) ٢١٨.

إلى الجنوب ونزل كردفان هو رجل اسمه الحاج عيسى ود محمد ود منصور، كان تاجرا جوالا من منفلوط بالقرب من أسيوط، فرحل إلى كردفان وتبعه آخرون من تجار الهوارة وتجمعت منهم طائفة ممن هاجروا من مصر، فسموا «جلابة الهوارة»^(١)، ولقي الجيل الأول من هؤلاء بعد الحاج عيسى واسمه الحاج محمد أبو منانة.

وبعد أن قطعوا شوطا في رحلتهم استغرق يوما كاملا، بلغوا قرية «دوم الخاتراب» بالقرب من «شريم» حيث لقيهم أهل المنطقة وأقنعوهم بالبقاء معهم، وولوا الشيخ محمد فقيها (بلغتهم فكي) لقريتهم وبعد وفاة الحاج محمد رجع قومه إلى خُمى وبقوا فيها. وقد ظهرت بعض الفوارق في السحنة بين بدو الهوارة وجلابة الهوارة على مر الزمن، فقد كان جلابة الهوارة أكثر امتزاجا بالعناصر الزنجية من أقاربهم البدو^(٢).

(ب) ما ذكرته الدكتور إيمان محمد عبد المنعم عن هواراة في كتاب العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي^(٣):

قالت: قبيلة الهوارة وهي من أهم القبائل العربية في صعيد مصر وقد حدث للهوارة عندما نزلوا جرجا ما حدث لمعظم القبائل العربية المهاجرة فاستقرت طوائف منها واشتغلت بزراعة قصب السكر. وقد ازداد نفوذهم في جرجا بعد القضاء على نفوذ عربان المغاربة والضعفا، وكانوا قد هاجروا إلى هناك من منطقة مريوط (الوجه البحري) في أيام الظاهر برقوق، وذلك بعد أن أقطع إسماعيل بن مازن الهواري ناحية جرجا وكانت خرابا فعمروها.

وقد كفل الهوارة الفلاحين في الصعيد الأمن والحماية من هجمات العربان الآخرين وكان الفلاحون التابعون للهوارة أكثر ثراءً وأمنا من فلاحى المناطق

(١) عن ماك مايكل ٢١٩-٢٢٠.

(٢) نفس المرجع السابق ٢٢٠.

(٣) طبع عام ١٩٩٧م عن طريق الهيئة المصرية العامة للكتاب وأصل الكتاب رسالة علمية حصلت بها صاحبها على درجة الدكتوراه، انظر ص ٦٤.

الأخرى، ولكن تلك السيطرة والنفوذ للهوارة انتهى على يد علي بيك الكبير الذي اتبع سياسة القضاء على قوة العربان في مصر حتى لا يشكلوا خطرا على سيادته وانتهت تلك المرحلة من حياة الهوارة بالقضاء على شيخهم همام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م. وغدا الهوارة مثلهم مثل باقي القبائل العربية القاطنة في الصعيد بعد أن كانت لهم الزعامة والسيادة عليها من قبل.

وتوجد عائلات الهوارة في خمسة فروع هي: أولاد علي^(١)، والبلايش، وأولاد عليو، والسماعة، وأولاد يحيى.

وقد بقيت بقايا من الهوارة في البحيرة لم تهجر إلى الصعيد، وقد عرفت بقايا الهوارة في البحيرة باسم (هوارة بحري).

ولا تزال هناك منازل للهوارة تمتد بين سوهاج وقنا في قرى كثيرة منها
البلايش^(٢) وأولاد سالم والشاورية والحميدات.

(ج) ما ذكره عبد السلام الحبوني في أنساب قبائل العرب عن هوارة^(٣):

قال الحبوني: أفادني حضرة الأستاذ إسماعيل كوكب وهو من الهوارة قال: الهوارة قبائل متعددة انتشرت في مديريات المنيا وأسيوط وجرجا وقنا وتشمل هذه القبائل أولا - أولاد علي (وهي غير قبيلة أولاد علي التي تقطن البحيرة والصحراء الغربية)، وأولاد علي الهوارة هم بنو محمد وإليهم تنتمي أسرة السوادي ومنهم صاحب المجلة المشهورة. ثانيا - أولاد عليو. ثالثا - البلايش. رابعا - أولاد يحيى. خامسا - السماعنة. وهذه الأسماء سميت بها قرى أو نجوع في المديريات التي نزلوا بها ويجمعهم جميعا اسم (الهوارة)، وكبار المؤرخين يقولون أنها قبيلة كبيرة من المغرب العربي ونزح منها البعض إلى الجهات الشرقية من الوطن العربي.

(١) وليس المقصود هنا أولاد على القاطنين في البحيرة وهم من السعادي من بني سليم.

(٢) البلايش تقع في مركز البلينا محافظة سوهاج وردت في تاريخ ١٢٣٠هـ باسم الايبير، والبلايش حتى حذف اسم الايبير نهائيا ١٨٨٢م، وقسمت في نفس العام إلى ناحيتين البلايش بحري والبلايش قبلي، وهو اسم بطن من قبيلة هواة.

(٣) انظر ص ١٩٤ وما بعدها - طبعة أولى ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م - عبد السلام أحمد الحسبوني واعظ مرسى مطروح - دار الزينى للطباعة والنشر.

ومن هذه القبيلة توزع رجالها في الصعيد ولا تزال بنو محمد في مركز
أبنوب مديرية أسيوط محط رحال القبيلة، ومن القبيلة بمديرية المنيا آل الشعراوي
وبلدتهم الأصلية (المواطن) مركز طما ولا يزال أهلهم بها، وسودة ومقرها
الأصلي بني محمد الشهابية مركز أبنوب، أما في مديرية أسيوط فزعامة القبيلة
كانت في آل خليفة جد مصطفى خليفة باشا، وآل عبد الوهاب وآل خشبة وآل
الهلال، أما آل غزالي وإن كانت بلدتهم الأصلية الآن بني محمد ولكنهم يقولون
بأنهم من أصل تركي. أما في جرجا فالزعامة كانت في آل أبي دومة، وقد كان
للشيخ السيد عبد الرحمن بيك أبو دومة من أشد المتعصبين لقبيلته، وكان لكل
قبيلة شاعر يعبرون بالمدايي ولهم في ذلك أشعار كثيرة منها قولهم:

الشاطرة ولد كثيرون أناس بيّض الله ثناهم

وقول آخر:

نزلت خيولهم من فرنه ونزلوا مشالي مشالي
وهدوك يا قصر رنه من بعد ما كنت عالي

وهنا يقول الشاعر الهواري:

شطور في بندر الغرب ثبت أمرها في النخيله
لما جاءها أبو دومة من الغرب تاهت مدوه وسط خيله

ومن كبار أهل جرجا عائلة أبو حمادي، وكذلك كان أبو كريشة سيد
العربان وهو من الهوارة وقد اقتنى الإقطاعيات والعبيد وكان صوته يهز أركان
الصعيد كما كان يسير في ركابه ألف عبد في لباس واحد وخيول متشابهة وأسلحة
متفقة.

ومن هوارة في جرجا: التمايمية وأبو حساب وأبو سباق وأبو علام والرفاف
وفادات وغيرهم وكل من هؤلاء في أقاليمهم أعمال نادرة وبطولة هي موضع فخر
أحفادهم حتى الوقت الحاضر.

أما هوارة في قنا فلقد كان الأمير همام رأس القبيلة الهمامية وجد الشيخ المحترم عبد السلام بيك عمران يلقب بأمير الصعيد، وبقي متمتعاً بهذا اللقب لعهد محمد علي باشا وكانت إمارته من سواقي موسى بجوار المنيا إلى أسوان، وقد كان يسير على منوال جده محمد أبو السنون المدفون بجرجا والذي لم تر البلاد أميراً فاضلاً عالماً ورعاً مثله. أما باقي الهوارة فقد استوطنوا مركز نجع حمادي ودشنا والجزير الشرقي من ضفة النيل بمركز البلينا وهم أربع قبائل هي البلايش والهمامية والفضيلات والوشاشات وما تزال خيوش بعضهم موجودة إلى اليوم أما النجدية منهم فمقرهم بالمشايعة.

ومن كبار أفراد هذه القبيلة أحمد بيك عبد الله، ومحمد بيك عمرو،
والأستاذ طاهر خلف الله، ومحمد بيك البربري.

هواره الشام:

قال: وهم يقيمون في مدينة الناصرة ويعُدُّون بالمئات في فلسطين وقد نزحوا من مصر مع إبراهيم باشا في فتوحه بالشام. بهذا كتب الأستاذ مطلق عبود الهوارى بدائرة المالية بفلسطين.

ومن نسل مطاوع انحدر فرع الونائنة إلى مصر وموطنهم الآن سبعة عشر بلدا بمرکز طهطا ومنهم آل الزمر وآل الشریعی وآل الأعور وآل الحینی، وهؤلاء من أولاد بدینی، أما آل شعراوي وآل سلطان فهما من بلدة تُسمی البصیلیة بمرکز أسوان، ثم انحدر معظم رجال القبيلة في بني محمد بأبنوب ومنها تخلف أبو نصیر بالنخلة.

أما آل الهلالي فكانوا قضاة وفقهاء أسيوط ثم انحدروا جنوبا وتخلف منهم في طما أبو دومة وأبو علي والعمائدة بالدوير، ثم انحدر منهم أولاد إبراهيم وهم أولاد محمد وأبو ربيعة والتماعي. وأما أولاد مأمّن فمنهم أولاد خليفة في قنا والأمير هنام جد عبد الستار بيك عبد اللا ومنهم آل خلف الله وغيرهم.

هؤلاء هم مشايخ العرب الأصليين في هواره، وعندما فتح إبراهيم باشا الشام أخذ أولاد مشايخ هواره منهم محمد عمران أمين الملتزم وهو جد مصطفى وخال أحمد بيك همام الفاتحين مع إبراهيم باشا بلاد الشام وهم أحفاد أكبر مشايخ الهواره بمصر. وقد أثبت بعض المؤرخين أن آل خشبة وآل الهلالي وآل محفوظ من بني محمد هم من أصل جعفري نسبة إلى جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - كما هو مبين في كتاب (بحر الأنساب) للسيد محمد الرفاعي. ومن أشهر جعافرة أسوان الدكتور إبراهيم بيك مشالي، ومنهم الأستاذ منصور السلواوي القاضي بالمحاكم المصرية، وعائلة معوض ومنهم الشيخ السيد عبد الحفيظ بن السيد عبد السيد بن السيد موسى نقيب الأشراف بمديرية أسوان والجعافرة، وهم قبائل أشهرها بمديرية أسوان قبيلة المرعيات والسنجاب والسعيداب والحسيناب والجويلاب والأحمداب وغيرهم لا يتسع المقام لذكرهم.

وهذا ما يتعلق بنسب آل محفوظ وآل خشبة وآل الهلالي وأبناء عمومتهم الجعافرة. وعن الأسرة الهمامية (من هواره) يقولون أن معهم إشارات شرعية من مستخرج رسمي من محكمة إسنا الشرعية أن الأمير همام بلغت إقطاعياته مساحة كبيرة في الصعيد بلغت ٢٤٢ ألف فدان.

وعن هواره بمربوط في الوجه البحري فيقيم معظمها بجهة الذراع البحري الممتد على ساحل البحر الأبيض المتوسط من جهة بلدة الدخيلة المجاورة لمدينة الإسكندرية إلى قرب بلدة الحمام بمربوط غربا ومحطة السكة الحديد التي تسمى الهوارية جنوبا نسبة لهذه القبيلة، وهي تابعة لمركز العامرية بمحافظة مرسى مطروح، وقطعا هم جزء من هواره الصعيد وهواره فلسطين وهواره المغرب العربي، وينقسمون إلى العائلات التالية سواء المقيم منهم بجهة الذراع أم بمديرية البحيرة:

- عائلة الشيخ وكبيرهم عوش وقبله كان أخوه نصر وأولاده محمود وإخوته وقد أسسوا مسجدا في هذه البقعة تقام فيه الشعائر الدينية ومدرسة ابتدائية تبرعا منهم لسكان هذه الجهة.

- عائلة أبو قمر؛ وكبيرهم سليمان رحيم.
 - عائلة مصطفى؛ وكبيرهم مصطفى مفتاح.
 - عائلة المويني؛ وكبيرهم عبد الونيس اللافي وعلوان الخولي.
 - عائلة أبو سالم؛ وكبيرهم إبراهيم عبد الجليل.
 - والعائلات المتقدم ذكرها تسمى «الحمامدة» من هواره مربوط.
 - عائلة فرشاح؛ وكبيرهم عبد العاطي خميس.
 - عائلة أبو حيرة؛ وكبيرهم إبراهيم أبو سلومة.
 - عائلة إكعميش؛ وكبيرهم عبد الخالق إكعميش.
 - عائلة أبو الطيب؛ وكبيرهم أبو فراج نجل سيدي عمر أبو فراج، وله ضريح يزار لعامة قبائل البدو وبجهة آخر ترعة التوبارية غربا.
 - عائلة الولاش؛ وكبيرهم عون عوض حسين الولاش.
 - عائلة سالم؛ وكبيرهم حمدون خزيم.
 - عائلة وحيدة؛ وكبيرهم عبد اللطيف عبد السلام وحيدة.
 - عائلة جابر؛ وكبيرهم عبد الحميد ضيف الله.
 - عائلة القطعانية؛ وكبيرهم عمر عامر أبو عذبة.
 - والعائلات السابق ذكرها تسمى (هواره مربوط).
 - (د) ما ذكر اللواء صلاح التايب عن هواره في القرن الحالي^(١).
- قال التايب:

هواره من أكبر القبائل المصرية وأعظمها شأنًا وأوفرها عدداً، وهم يتشرون بالوقت الحاضر في محافظات قنا وسوهاج وأسيوط والمنيا والفيوم^(٢) والبحيرة والساحل الشمالي والصحراء الغربية وهم إخوة لأولاد علي من السعادي، ويدعي

(١) عن كتاب القبائل المصرية - اللواء صلاح التايب.

(٢) هواره في الفيوم تسمى هواره المقطع وهواره عدلان.

بعض أولاد علي أن الهوارة هناك مرابطون لهم ولكن الهوارة يأنفون من ذلك بشدة ويردون على ذلك بالنفي ويردد شعراؤهم النبطيون القول:

كذاب العلي إن قال هم لي هم عند العرب كما الطاقة!

ويعني ذلك أنهم ليسوا مرابطين أو تابعين لأولاد علي وأنهم كما الطاقة أي مكانهم على الروس وليسوا تابعين لأحد.

وتنقسم هوارة إلى بطون كثيرة في صعيد مصر هي:

أولاد علي^(١) وهم غير أولاد علي من السعادي، وأولاد عليو، والبلايش^(٢)، وأولاد يحيى، والسماعة^(٣)، والوشيشات، والهمامية، وأولاد إسماعيل، والقليعات، والنجدية، وبني محمد.

ومن أشهر عائلات الهوارة عائلة (أبو دومة) ونذكر من رجالها التالي:

سعد الله بيك عضو مجلس الشيوخ سابقا، ومحمد أبو دومة رئيس المجلس المحلي القروي، والمهندس عبد العظيم أبو دومة رئيس المجلس المحلي، والشيخ ياسين نائب الطريقة الرفاعية، وأحمد ياسين عمدة كوم غرب، واللواء أمير الناظر، وعزيز الناظر وكيل وزارة في الجهاز المركزي للمحاسبات، والسفير حسين الناظر، والسيد جمال الناظر وزير السياحة السابق، وعبد العزيز محمود وكيل وزارة الصناعة وحامد الناظر رئيس وحدة محلية، ومحمود غالب عمدة التل الزوكي، وعصام أبو دومة مدير عام الدمغة، ومحمد عبد الرحمن رئيس مجلس محلي المركز، وأحمد عبد الرحمن الأمين المساعد بالحزب الوطني بسوهاج، وهاني أبو دومة مدير التعاون الزراعي بالجيزة، والشيخ عبد المنعم مصطفى عمدة

(١) أولاد علي باسمهم عدة قرى في البلينا وجرجا وطهطا ونجع حمادي وسوهاج.

(٢) البلايش ذكرناهم في بني سليم وأصل تسميتهم البلايش وسميت بلدة باسمهم في محافظة

سوهاج.

(٣) السماعة في الصعيد أصلا ليسوا من هوارة وقد انفصلوا من السماعة في الشرقية وسيناء ونزلوا الصعيد ودخلوا في هوارة قديما. والسماعة ذكرهم القلقشندي من جذام في آخر القرن الثامن الهجري ونوه عنهم في القلائد أول التاسع الهجري أنهم من بطون مهدي من عُدرة (قُضاعة) دخلوا في جذام، ولم يذكرهم في فروع الهوارة في نهاية الأرب وقد تقدم ذكر هذا النص، قد وضحنا عن أصولهم (انظر السرد عنهم).

أم دومة، وجمال أبو دومة رئيس ديوان التفتيش بالخارجية، والدكتور سيد أنور الوزير المفوض، واللواء مصطفى كامل، ويوسف عبد القادر عضو مجلس الأمة السابق، والمستشار عطية أبو دومة، والدكتور عبد العزيز بشركة النيل للأدوية، ومحمود أحمد رئيس الضرائب العقارية بصدفاء، والعقيد عبد العزيز سيد جامع، والدكتور طاهر هريدي وغيرهم الكثير من المناصب القيادية.

وفي محافظة قنا يعيش عدد كبير من الهوارة وكان منهم الأمير همام الذي كان ملقباً بأمير الصعيد قبل قرنين ونصف قرن، وكانت إمارته من ساقية موسى بمركز أبو قرقاص محافظة المنيا حتى أسوان، ومن رجالهم محمد أبو السنون، ومن النجدية أحمد بيك عبد الله، ومحمد بيك عمرو، ومحمد بيك البربري.

(والهامية) أكبر بطن في الهوارة ويتشرون في محافظتي قنا وسوهاج ومنهم اللواء محمد حسن الذي كان مديراً لامن أسيوط، ومنهم عبد الستار عمران - رحمه الله - عضو مجلس الشيوخ السابق، والعقيد همام محمد حسن، والسيد فهمي عمر رئيس الإذاعة، وعبد الحميد عبد الستار عضو مجلس الشعب، وعلي شمروخ عمدة الرئيسية، ولطفي شمروخ عضو مجلس الشعب، والدكتور ماهر مهران الوزير السابق للإسكان والأسرة في مصر، ومحمود رسلان عمدة الجزيرة وأحمد الشلقامي عمدة الحلفاية، والشيخ إبراهيم الشلقامي، والمستشار عبد المعطي عبد الرحيم، والأستاذ محمد عبد الرحيم الوكيل السابق لوزارة الصناعة، والعمدة ثابت، والمستشار عبد الشافي أبو بكر، واللواء عبد الفتاح أبو بكر، واللواء/ حسني خلف الله الدكاور، والعقلاء عمر طه، وسمير همام، وأحمد الدمرداش في بني مزار.

وفي الرئيسية عائلة أبو رحاب، وكان منهم خليل بيك أبو رحاب، وفي الحلفاية من فرع الهامية أيضاً نذكر منهم الشيخ عبد الوارث أمين الحزب الوطني، والأستاذ فؤاد أحمد وكيل النيابة.

ومن الهوارة عائلة أبو سباق في بيت خلاف بجرجا، ومنها حشمت أبو سباق، وهارون أبو سباق - رحمه الله - مساعد وزير الداخلية.

ومن الهوارة في فاو قبلي محافظة قنا، ومنهم عبد المقصود السمان أحمد السمان - رحمه الله - أحد ضباط الشرطة الذي استشهد وهو يؤدي واجبه الوطني.

ومن الهوارة (بني محمد)^(١) وهي متفرقة في الصعيد ولا تزال بني محمد اسما لبلدة في مركز أنبوب بأسيوط وهي محط رحال بني محمد، ومنهم أيضا في محافظة المنيا آل الشعراوي، ومنهم المجاهد الوطني الكبير علي باشا شعراوي زميل سعد زغلول في الحركة الوطنية عام ١٩١٩م في مصر وكان أحد أقطاب الوفد المصري، ومنهم حسن باشا شعراوي، وهدى هانم شعراوي زعيمة الحركة الوطنية النسائية في مصر، ومحمد بيك شعراوي، ومن بني محمد أيضا عائلة سلطان، ومنهم عمر باشا سلطان، ومحمد بيك سلطان.

ومن فروع الهوارة عائلة خليفة بالنخيلة محافظة أسيوط، وكان منهم مصطفى باشا خليفة، ومحمد بيك مصطفى، وعبد الراضي بيك مصطفى، وعائلة الهلالي بأسيوط وكان منهم نجيب الهلالي باشا الذي كان رئيسا لوزارة مصر وعضوا بالوفد المصري أيام الملكية، وعائلة الأعود ومنهم حسن الأعود عضو الوفد المصري، وعائلة الحسيني بأبوان مركز مطاي، ومنهم الفريق حيدر باشا، واللواء فاروق الحسيني مساعد وزير الداخلية.

وفي طما ينتشر الهوارة وكان بها زعيمهم أبو دومة ومنهم حاليا اللواء مصطفى أبو دومة، وفي جرجا عائلة حمادي، وفي أسيوط عائلة أبو كريشة، وفي جرجا أيضا التمايمة، وأبو حساب، والرفاف، وأبو رحاب.

ومن أشهر بطون الهوارة (السماعنة) ويتشرون في مركز أبو تشت، ومنهم أحمد رشوان من كبار المقاولين، والدكتور حسام رشوان، وفاروق الدبري عضو مجلس الشعب، والعميد ماهر الدبري من كبار رجال الشرطة.

ومن الهوارة في قنا وسوهاج فوج آخر من الهمامية. منهم الشيخ محمود جاد، والأستاذ صبري طايح وكيل النيابة.

(١) بني محمد فرع منفرد عن الهوارة وله شبه استقلال ذاتي.

ومن فروع الهوارة بطن (القليعات) في محافظتي سوهاج وقنا، ومنهم في مراكز أبو تشت وفرشوط ونجع حمادي، نذكر من رجالهم الشيخ مصطفى أبو زيد قاسم عضو المجلس المحلي، وأحمد بيك قاسم، ونور الدين قاسم العمدة - رحمهما الله- وأبو الوفا قاسم عمدة بخانس، ومحمد إبراهيم قاسم رئيس المجلس المحلي، والأستاذ أحمد منير رئيس المحكمة، والمستشار عبد الوهاب بربري، ولطفي محمود عمدة الشقيفي، والدكتور فتحي أحمد، وعبد الحكيم السيد عمدة القليعات، والأستاذ عبد الفتاح الأمير وكيل النيابة، والأستاذ أحمد البربري رئيس محكمة، والدكتور مختار البربري الأستاذ بجامعة القاهرة، وأحمد عيسى عضو مجلس الشعب، والشيخ علي حمادي، والرائد محمد عبد الله، والمقدم محمد فراج بالمباحث العامة، والمستشار أحمد منير، وأحمد بيك قاسم، وأبو زيد عضو مجلس النواب، وأبو الوفا قاسم العمدة، ومحمد إبراهيم رئيس المجلس المحلي، ولطفي محمود العمدة، وعبد الحكم العمدة، ومحمد حافظ ومحمد عبد الحكيم وكلاهما من الأعيان، وغيرهم الكثير من الرجال في الدولة المصرية. وهناك عدد كبير من المهندسين والمحامين والأطباء والمحاسبين ورجال الأعمال.

ومن أشهر بطون الهوارة (الحميدات) ومنهم أولاد سالم، ولهم نجح أولاد سالم بحري غرب النيل بسوهاج، ومنهم الدكتور أبو الفتوح محمد علي.

ومن فروع الهوارة (البلايش) ولهم نجح باسمهم في أبي طوق «دار السلام» محافظة سوهاج.

كما يوجد جزء كبير من الهوارة بالوجه البحري وهم على صلات بإخوانهم في الوجه القبلي ووسط الدلتا ونذكر من هذه الفخوذ فخذة المويني وأغلبها يقطن في الإسكندرية ومطروح والبحيرة ومنهم عائلات اللولج، وعيد، ومصطفى، وأبو حليقة، ونصير، والأمير، ودومة، وعبد العاطي، والدلاش، وأبو عكير، والعطائية.

ومن رجالها نذكر سيدي الشيخ عمر أبو لطيفة والعمدة عطية بريك سيية -
رحمهما الله- والعمدة عبد الكريم دومة والمهندس سعد السيد مهدي أمين الحزب
الوطني بالعامرية والعقيد ممدوح بريك سيية والعمدة نور الدين أبو العينين
والأستاذ محمود نصير العالم الإسلامي في الأزهر.

ومن الهوارة بطن (الوشاشات) ومن رجالاته محمد أبو رزق من الأعيان،
وأحمد أبو رزق رئيس المجلس المحلي في مركز أبو تشت، ومجاهد من الأعيان،
والمستشار فاروق توفيق، والمستشار يوسف أبو زيد، والمستشار عبد الرحمن السايح
نائب أمين عام مجلس الشعب، وحسن عبد العزيز العمدة، وطلعت مهران مدير
الثقافة بأبو تشت.

ومن الهوارة (التماتمة) ومن رجالهم محمد الطيب عضو مجلس الشعب
السابق، والدكتور أحمد الطيب أستاذ الجراحة بجامعة أسيوط، والدكتور عبد ربه
عبد اللطيف، والشيخ أحمد عبد العظيم عضو مجلس الشعب، وفاروق
عبد العظيم عمدة نفع مازن، والدكتور أبو الفتوح حساب أستاذ الجراحة بجامعة
الإسكندرية، والمستشار أحمد عبد اللطيف الراوي، والدكتور حشمت أبو ستيت
أستاذ القانون، وغيرهم الكثير من المحامين والأساتذة والضباط والمهندسين.

(هـ) ما ذكره الأستاذ محمد أحمد عيد الهاشمي في كتاب الدرر الذهبية عن

قبائل هواراة:

(١) قبيلة الهمامية فخر القبائل الهوارية

وفيه إمارة قبائل هواراة في الصعيد المصري.

يرجع تاريخ نسب قبيلة الهمامية إلى مسرح الحياة السياسية إلى جدهم
البطل الأمير شرف الدين همام بن يوسف بن أحمد بن همام بن صبيح بن سية
الهواري - أحد ولد هواراة في الديار المصرية^(١).

(١) انظر الدرر الذهبية في أصول الأمة العربية (الأشراف والهواراة).

يحدثنا الجبرتي المؤرخ المشهور في وصف الأمير شرف الدين همام، بما يثلج صدر كل عربي في أن أعمال الآباء والأجداد نحو الوطن والأوطان هي فخر الأحفاد. ومنها يستلهمون العبر فيستمروا في طريق أنوار الحرية التي ما زالت تجري في عروقهم، رغم الحواجز التي فرضتها العناصر الهدامة.

فيقول الجبرتي: (.. الجليل المعظم والملاذ المفخم الأصيلي الملكي. ملجأ الفقراء والأحرار .. وهل يلجأ الأحرار إلا لثائر على الطغيان لإيمانه بأن الوطن ملك للأمة صاحبة السلطان؛ لذا ثار من أجلها، فهو جدير بأن يكون فاضلا ومحط رجال الفضلاء والكبراء شيخ العرب).

ثم قال: وقد جمع فيه من الكمال ما ليس في غيره، مات -رحمه الله- في سنة ١٣٨٣م ودفن في بلده شمس قموله وله من الأولاد ثلاثة: درويش، وشاهين الذي أعقب محمدا، وعبد الكريم الذي أعقب هماما) اهـ.

وكان لإخلاص المترجم له نحو وطنه أن دفعته نخوته العربية الأصيلة إلى السعي الجدّي نحو خلاصهم من حكم الدخلاء عليهم المماليك. فكانت له معهم مساجلات كشفت قوته وصلابته للحق.

وكان لكفاحه الطويل الشاق معهم دليل على صدق وطنيته، وإن كانت الظروف لم تهين له أسباب النصر عليهم إلا أن أعماله هذه كانت بذورا للحرية ومسمارا دق في نعش الحكام الدخلاء على الأمة، فما زال أبناء الأمة من وقتها يحافظون^(١) على هذه البذور ويتعهدونها بالري والسماذ حتى كملت ونضجت. وقبيلة الهمامية تشغل رقعة فسيحة بديار مصر بمحافظات قنا وأسوان وسوهاج والمنيا فانتشروا في كثير من البلاد شأنهم في ذلك شأن بقية العربان. وبلادهم هي على سبيل المثال لا العد؛ الواقعة في كثير من المحافظات ففي قنا (الرئيسية، فرشوط - منها شيوخ العرب عبد اللاه مصطفى، وعبد الرحيم عبد المتجلي

(١) ويذكر الدكتور عبد المجيد عابدين: كان لأولاد همام - فرع من الهوارة - في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) شوكة عظيمة في صعيد مصر وشمال السودان ص ١٣٦ البيان.

- رحمه الله - والحلقاتية بحري وقبلي - وجزيرة الحمودي وهو - وبهجوره -
وآل بكار - وإسنا - وشتهور) وبني مزار - والقاهرة وأولاد إسماعيل بالمرافة -
وسمهود - والقبلي سمهود - والحلافي بمركز البلينا منها شيوخ العرب محمود
وحسن ولدي دياب بن منصور بن أحمد بن منصور وحسن بن دياب والد الأستاذ
خيرى .

ومنها شيخ العرب عثمان يونس همام والد همام .

ومنها الشيخ عبد الله أحمد حماد المقرئ الشهير التالي لكتاب الله ومن أبناء
الطريقة الشاذلية الطماوية . ومن هذه القبيلة الشاب الغيور المغفور له أحمد عبدالله
الذي تحدى الأمير السابق يوسف كمال ، الذي كان يُسخر أبناء منطقة نجع حمادي
في خدمة أرضه نظير قروش زهيدة - فرأى أحمد أن ذلك إهانة لأبناء الأرض
الشرعيين فكان - رحمه الله - يستأجرهم في زراعة أرضه ويكافئهم بما هم أهله
فأجمع الناس على خدمة أرضه وأعرضوا عن خدمة أرض الأمير . وكان لهذا
التحدي أثر ظاهر في وقته .

ولهذه القبيلة ينتمي المثقف الإذاعي فهمي عمر^(١) من بلدة الرئيسية بقنا .
والخلاصة أن أبناء الهمامية أصلاء كرماء خلُقهم عال مبالون إلى حب المعاشرة
والاجتماع ، وينتمي إليها أيضا الأستاذ سليم الشاوري المحامي - رحمه الله - وعن
الهمامية ، وإن كنت ذكرت أنهم أمراء العرب من هواره فهم كذلك لأنهم تجري
فيهم دماء البيت النبوي ؛ يرجع ذلك إلى أن جد هذه القبيلة من السابقين الأعلين
تزوج^(٢) بنت من نسل سيدنا الحسين - رضي الله عنه - فهم هاشميون أمّا
هواريون أبا .

وخلاصة ما يقال عنهم ما قاله شاعر النيل الأعظم - حافظ إبراهيم :

أب غبان عن الحسنى وبينهما في رائعات المعالي ذلك النسب
ولا يمتان بالقربى وبينهما تلك القرابة لم يقطع لها سبب

(١) صاحب فكرة مجلة الهواء التي تذاع بالإذاعة ولا تقرأ .

(٢) ذكر ذلك أحد عمداة هذه القبيلة أي الهمامية .

ومن يصدق عليه ذلك فهو ليس بحاجة لدعوته للعمل على وحدة أمته، وهم المنحدرون من أصلاب همام الهواري صاحب الثورة الوجدانية في عصره.

(٢) قبيلة الصوامعة

وأكثر فروعها بمحافظتي سوهاج وقنا بالوقت الحاضر.

يرجع نسب هذه القبيلة إلى الأصل الهواري كما ذكرها صبح الأعشى به (الصوامع) بدون هاء والعامة تنطقها الآن بالصوامعة آخرها هاء. وأهل هذه القبيلة يستوطنون كثيرا من البلاد في جمهورية مصر العربية لا سيما في محافظتي سوهاج وقنا. وبلاد الصوامعة التابعة لمحافظة سوهاج تنقسم إلى الصوامعة شرق والصوامعة غرب، ومن أشهر عائلاتها عائلة أبي عوف؛ منها شيوخ العرب دسوقي محمد إسماعيل العمدة السابق، والنقيب رياض أحمد إبراهيم بالجيش، والنقيب فيصل أحمد عبد الله طابع بالجيش. ولهذه القبيلة ينتمي الأستاذ الشاعر فؤاد عبد الغني المدرس بوزارة التربية والتعليم، والأستاذ أحمد حسين بوزارة الثقافة بسوهاج.

وأما المقيمون منهم بحافظة قنا فهم كثرة وبلادهم عدة، عمدها منهم
وشيوخها وخفراؤها كذلك.

وإذا تتبعنا أثر هذه القبيلة العظيمة لوجدنا كثيرا من بطونهما يستوطن القاهرة لا سيما «خرطة أبو السعود» بمصر القديمة، وضواحيها. يحترفون كثيرا من الحرف الشريفة كالتجارة والأعمال الحرة وغير ذلك. هذا بجانب العاملين منهم في الإدارات الحكومية حيث يتمتعون بكفاءة العمل والإخلاص والولاء لرجال عهدنا المبارك. وإلى الشبية من أبناء هذه القبيلة العربية الهوارية - الذين شاهدوا على مرأى من أعينهم حلم الوجود يتحقق على يد أبناء العرب الأوفياء.

قلت: وقد كان للصوامعة من هواره وقبيلة جهينة في الصعيد تاريخ مشرف في مفاومة الحملة الفرنسية عام ١٧٩٩م وقد كان النصر حليف المصريين في الصعيد وقد أوقفوا بالفعل تقدم الجيش الفرنسي الغازي للديار المصرية بالتعاون مع قبائل الأشراف وغيرها بعد خوضهم ملاحم رائعة مع الجنود الفرنسيين.

ومن رجالات الصوامعة أذكر ياسين عبد العزيز العمدة، وراضي عبدالموجود مدير المساحة بالإسكندرية.

وذكر أحمد لطفي السيد في قبائل العرب عام ١٩٣٥م الصوامعة^(١) وعدهم في قبائل العرب المرابطين القادمين من ليبيا وهذا خطأ منه.

(٣) قبيلة البهاليل

والبهاليل، قد حدثت عنهم أمهات الكتب من عهد قديم^(٢)، وأنهم بطن من بطون هواره استوطنوا أرض مصر من قرون عدة، وعلى أرضها ساهموا في بناء حضارة الأولين، وسكناهم الآن بجزيرة البهاليل نسبة إلى بطنهم الأول. وتقع جزيرة البهاليل غرب جزيرة شندويل التابعة لمحافظة سوهاج.

والآن هم يمثلون بطونا عدة ورجالهم كثرة، وإليهم ينتسب شيخ العرب جاب الله غازي عمدة البهاليل، وابنه مصطفى بالجيش المصري، وابنة شيخ العرب جاب الله غازي تزوج بها شيخ العرب أحمد علي عليوة من عرب العرابات بأولاد سلامة، وبين عرب البهاليل وعرب العرابات صلات قرابة ونسب وتصاهر من زمن طويل.

والبهاليل هم كما قيل من قول عربي أصيل:

بهاليلُ في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أولُ
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

(١) يوجد نجع البطحة من الصوامعة بقوص، ونجوع للصوامعة في إخميم بجرجا محافظة سوهاج - خلاف الصوامعة شرق والصوامعة غرب في سوهاج. والمقصود بشرق أي شرق النيل وغرب أي غرب النيل.
(٢) قول الحمداني مهنددار الديار المصرية في القرن السابع الهجري عن فروغ هواره في دفاثره السلطانية، وقد ذكر البهاليل من هذه الفروع في عهده، ونقل ذلك العلامة أبو العباس أحمد القلقشندي في نهاية الأرب وتقدم ذكرها.

(٤) بنو محمد

من الثابت المؤكد أن أبناء قبيلة بني محمد الهواري بمركز البلينا - محافظة سوهاج - يمثلون ثلث سكانه تقريبا. فبلادهم عديدة وجمعوعهم غفيرة، وهم كما يقول الشاعر:

بهم تضرب الأمثال شرقا ومغربا إذا قاتلوا قوما سريعُ انهزامها
عليهم ومن هو في حماهم تحية من الدهر ما غنى بأيك حمامها

وإن كانت كتب التاريخ لم تحدثنا عن قبيلة بني محمد الهواري بإقليم مركز البلينا في العصور المتأخرة بالتفصيل إلا أن الكتب التاريخية المتقدمة جاءت مليئة بأخبار ولد محمد الهواري، وهو موضع بحثنا هذا.

فالقلقشندي في صبح الأعشى يذكر أن بني محمد هم من البطون الهوارية، وفي كتابه قلائد الجمان عام ٨٢١هـ يذكر ذلك أيضا.

والدكتور عبد المجيد عابدين في تحقيقه على كتاب «البيان»^(١) والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» للمقريزي، يذكر (. . .) وهوارة التي ببلاد الصعيد أنزلهم الظاهر برقوق بعد وقعة بدر بن سلام . . . في سنة اثنين وثمانين وسبعمائة تخمينًا. وذلك أنه أقطع إسماعيل بن مازن بن هوارة (ناحية جرجا) وكانت خرابا فعمروها. وأقام بها حتى قتله علي بن غريب فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهواري حتى مات. فولى بعده ابنه محمد المعروف بأبي^(٢) السنون. وفخم أمره وكثرت أمواله . . . حتى مات^(٣) فولى بعده أخوه يوسف) اهـ.

ومن هنا يمكن القول بأن أبناء بني محمد^(٤) بمركز البلينا. هم فرع من ولد محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري المستوطن ناحية جرجا وحاكمها في القرن الثامن الهجري.

(١) ص ٥٨.

(٢) ودفن بجرجا ص ١٩٥ (أنساب العرب) للجبوني.

(٣) المرجع السابق.

(٤) صبح الأعشى ص ٦٩ ج ٤.

وقديما كانت البلينا جزءا من إقليم جرجا، ونحن نأخذ في اعتبارنا ما سبق من أن جد هذه الأسرة (محمد المعروف بأبي السنون) كان خلفا للحكم عن والده الذي كان أيضا خلفا في الحكم عن إسماعيل بن مازن المستوطن بناحية جرجا، ولا شك أن موقع سكنى بني محمد بمركز البلينا الآن هو ناحية من نواحي جرجا، لما سيأتي.

كما لا تغفل أيضا عامل الهجرة فأبناء محمد الهواري بمركز البلينا هم بطن من ولد محمد الهواري حاكم إقليم ناحية جرجا ثم هاجروا أي بعض منهم إلى موقع سكناهم الآن بمركز البلينا.

وعما يؤكد ذلك أن نسب المترجم عنهم يتصل بنسب أهل بندار كما يؤكد ذلك كل من أبناء القبيلتين أبناء قبيلة واحدة (هي بنو محمد) ومن المعلوم أن إقليم بندار من جرجا.

وبذلك يتضح أن أبناء محمد الهواري بمركز البلينا هم من هذه الدوحة العربية الأصلية الهوارية. أقام بعضهم بنواحي جرجا والبعض الآخر بمنطقة البلينا وما جاورها من القرى والتي منها:

بلاد نجع أبو ستيت (أولاد عليو) وبها أسرة المجد والكرم أسرة (أبو ستيت) التي أشاد بذكرها علي مبارك باشا في خططه التوفيقية بالمدح والثناء.
ولهذه الأسرة ينتمي شيوخ العرب:

اللواء إبراهيم أحمد أبو ستيت بالجيش، والدكتور حشمت أمين أبو ستيت والدكتور زكريا عثمان أبو ستيت^(١)، والأستاذ لبيب أحمد حميد أبو ستيت المحامي وعضو مجلس الأمة السابق (توفي - رحمه الله - سنة ١٩٦٥م)، وهو شقيق صادق أحمد عمدة أولاد عليو سابقا، ووالد الأستاذ أسعد صادق المحامي بالبلينا.

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في أبريل سنة ١٩٦٨م.

ومن هذه الأسرة شيخ العرب التقى الصالح أحمد عبد الرحيم حميد أبو ستيت وشهرته فايز عمدة أولاد عليو وعضو مجلس الأمة سابقا. وللمترجم عنه من الصفات العالية جعلت أبناء المنطقة وعارفيه ألسنتهم تلهج بالثناء عليه دوما، وكما يقول الشاعر:

فأنزلك مكانا ليس ينزله إلا الذي حلّ في قوم ذوي نسب
وطنية هذه الأسرة:

إن لهذه الأسرة في الماضي والحاضر أعمالا وطنية مجيدة رفعتها إلى ذروة العروبة. فمن أعمالها في الماضي أن بنىها وهم من ذوي اليسار أقاموا ببلدهم (نجع أبو ستيت) دارا لدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف، وكتب الفقهاء، وأحضروا لذلك العلماء على نفقتهم الخاصة هذا فضلا عن إيوائهم لطلاب العلم من المغتربين، فكانت هذه الدار بمثابة جامعة إسلامية آنذاك تخرج فيها كثير من حملوا لواء الإسلام من أبناء المنطقة وغيرها.

ومن وطنية عميدها حميد بيك أبو ستيت - رحمه الله - أنه كان يمد الثوار - أيام ثورة عرابي باشا - بكل ما يحتاجونه من مال وغلal وغيرهما ويومها تتوج بأعظم تيجان العروبة والإسلام؛ حيث اعتقلته القوات الإنجليزية بعد احتلالها لمصر ضمن من اعتقلتهم من المواطنين الأحرار.

أما وطنيتها في الحاضر بأنها قدمت الشبيبة من بنىها لتخوض معركة النصر والكرامة تحت قيادة الرئيس أنور السادات. ولهم مني ما قيل:

فأزف شكري خالصا لذوي الندى والأريحية

وبها أيضا من الأسر والعائلات، «عائلة الجندي» منها شيخ العرب كامل محمود الجندي، وشيخ العرب أحمد الجندي.

وعائلة آل رشوان إليها يتسبب شيخ العرب الأستاذ محمود إسماعيل رشوان الموظف بوزارة التربية والتعليم، وشيخ العرب محمد إسماعيل.

وعائلة العلالة وغيرها من العائلات العديدة يجمعها نسب واحد.
ومن مشاهير عربان أولاد عليو الأستاذ محمد علي مكّي بوزارة التعليم
العالي، وشيخ العرب عصمت أبو الهادي.

وبالساحل قبلي؛ وبه عائلات عدة منها شيوخ العرب الشيخ العالم الفاضل
الشاعر عباس يوسف سالم، وأحمد مرسي علي، وعبد اللطيف محمد نجيب^(١)
رجل الصلاح والتقوى، والأستاذ علي محمد حسين خليل وكيل وزارة السد العالي
سابقا. والأستاذ فاروق محمود مرسي من عائلة أولاد حمد؛ والمتوفي عام ١٩٧٢.

وبالساحل بحري، ومنها شيوخ العرب العمدة عفيفي بخيت، وعلي
حمدان.

السمسطا:

ومن عائلاتهما: الحروبة، منهم شيخ العرب مصطفى محمد حرب.
وعائلة الهيمومة، منها شيخ العرب فضيلة الشيخ نجيب حسب زيدان
وسليمان محمد علام.

وعائلة العزازمة، منها شيخ العرب فضيلة الشيخ أحمد عبد المجيد عزام -
رحمه الله-.

وعائلة أبو رحاب، منها شيخ العرب فضيلة الشيخ حسين أبو رحاب من
العلماء.

وعائلة آل نور الدين، منها شيخ العرب علي نور الدين.

وعائلة محمد سليمان.

بلدة الشيخ بركة وما جاورها من القرى:

من عائلاتهما: الجواهررة، منها شيخا العرب الأستاذ حارث عبد اللطيف
السيد حارث، وأحمد خيربي عبد اللطيف العمدة، وشيخ العرب علي السيد
حارث عضو مجلس الأمة سابقا.

(١) انتقل لرحمة الله سنة ١٩٦٥م.

وعائلة الشوافع، منها شيخ العرب محمود حريص، مأذون البلدة.
وعائلة المراعوة، منها شيخ العرب محمد أحمد محمود نجع الحضري، وبه
عائلة الشيخ الورع التقي الصالح^(١) العارف بالله الأستاذ محمد محمود بكري.
وفي بلدة الحرجة بحري ونجوعها ومنها شيخ العرب جاد الكريم المدني شيخ
البلد.

نجع أبو شافع ومنه الزميل العالم الأزهرى الطماوي أحمد إسماعيل.
نجع خباطة، منه شيخا العرب إسماعيل محمود هاجر، نائب العمدة،
وإسماعيل علي صدقة.
بلدة الحرجة قبلي ومن عائلاتها آل الضبع ومنهم شيوخ العرب الشيخ محمد
أبو قاسم، والشيخ محمد علي الموظفان بوزارة التربية والتعليم، والشيخ علي
محمد عثمان بالأزهر.
وعائلة العواطي منها شيخ العرب جاد الكريم محمد بن رشوان، حسين
جادالله عبد العاطي حميد^(٢).

وعائلة آل رفاعي: منها شيخ العرب صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز
رفاعي عثمان شقيق الشيخ عبد الواحد الموظف بوزارة التربية والتعليم.
ومن هذه البلدة ممن يجمعهم هذا النسب المترجم عنه شيخا العرب خيامي
عبد الرحمن علم الدين، وأحمد عبد اللطيف محمد عبد الله.
ويتبع هذه البلدة نجع ساقية المطاوعة وفيه شيخا العرب صاحب الفضيلة
الشيخ عبد اللطيف محمود الإناباي - رحمه الله - شيخ معهد جرجا الديني
الإسلامي سابقا، ورشاد عبد الكريم.

بلدة الحليل من عائلاتها الفزازعة، منها شيخ العرب السيد فزاع رجل البر
والتقوى والكرم، ومن مآثوراته - رحمه الله - أنه كان يؤثر الغير على نفسه ولو

(١) توفي والده في يوليو سنة ١٩٧٠م رحمه الله.

(٢) ولهذه القبيلة ينتسب شيخ العرب أحمد ماهر عبد اللاه محمد رشوان.

كانت به خصاصة - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته - وهو والد أحمد ومحمد.

وعائلة الخلايمة: منها شيخ العرب أبو الحمد فراج عبد الحليم - رحمه الله - ومحمود أحمد الديب التقي الصالح، ومحمود محمد عبد الحليم وشهرته الجمل، والتقي الصالح الولي العارف بالله مصطفى عبد العال - رحمه الله. بلدة الشلولية ومنها شيوخ العرب حسين^(١) علي حسن العمدة السابق - رحمه الله - وأخوه أمين علي حسن علي.

البلينا - المدينة - وبها عائلة التمايمة.

وبلاد الوحالي (الوحالية) يستوطنها كثير من أبناء القبيلة المترجم عنها (بني محمد الهواري).

وبلدة (برخيل) ونجوعها، وبها عائلة آل عزام وإليها ينتسب شيوخ العرب عبد العزيز متولى مهران عمدة برجيل - رحمه الله - وأحمد عبد المجيد مهران نائب العمدة، والأستاذ محمد عطاية الموظف بوزارة التربية والتعليم، وفضيلة الشيخ عز الدين السيد عثمان الموظف بوزارة الأوقاف، وعلي أحمد عبد القادر، وسالم حفني عبد القادر الموظف بوزارة الأوقاف والأستاذ محمد إسماعيل عبد القادر الموظف بوزارة التربية والتعليم، وشيخ العرب عبد الشافي محمود عبد العال - رحمه الله - والد شاهين عبد الشافي.

وعائلة موسى منها الأستاذ شيخ العرب محمد أحمد محمد الشهير بأبي كلاب وليس هذا بعيب في الألقاب، فنظيره في العروبة قديما قبائل بني كليب، وكرلاب، وكلب.

ومنها شيوخ العرب: الحاج السيد عطابة إبراهيم موسى، وأحمد عبد اللطيف عبد الفتاح شيخ البلد، ومحمد عبد الرحمن شقيق حسن عبد الرحمن.

(١) توفي لرحمة الله يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٦٣ م.

وعائلة آل مغيث المغاينة، وإليها ينتسب شيوخ العرب علي أحمد مغيث - رحمه الله- شغل منصب عمودية بلدة برخيل وبلاد أخرى كانت آنذاك تابعة لبرخيل وتلك البلاد يستطونها بنو محمد الهواري.

اشترك علي أحمد مغيث - رحمه الله - في ثورة عرابي، فقدم للشوار كثيرا من المساعدات، فكان يرسل إليهم تلك المساعدات العينية عن طريق السفن بالبحر، فكان جزاؤه أن اعتقل وزج به في السجن، وكان يلازمه في المعتقل كثير من الأحرار.

ومن أعماله: أنه أنشأ مسجداً^(١) بجوار منزله ببلدة برخيل، يعتبر آية في الروعة والفن، وكان يُدرّس فيه علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد وعلوم اللغة العربية، فأمه كثير من طلاب العلم، فأقام لهم مساكن خاصة كما كان يقوم بالنفقة على ذوي الحاجة، وكان يقوم بالتدريس في هذا المسجد نخبة ممتازة من أجلاء العلماء منهم الشيخ أحمد سعيد - رحمه الله - من علماء بلدة برخيل.

ومن هذه العائلة شيخ العرب أحمد شمندي - رحمه الله - وعز الدين مطاوع جبريل.

وعائلة آل غريب، منها شيخ العرب أبو زيد غريب شقيق عباس شيخ البلد - رحمه الله - ومحمد أبو زيد شيخ البلد بعد وفاة أخيه.

وعائلة أبو حمودة إليها ينتسب شيخ العرب يوسف أبو حمودة -رحمه الله- والد عبد الله، وكثير من العائلات الأخرى العربية الهوارية وأخرى من غير الهوارية كعائلة الركابات، ويذكر كثير من ولد هواره ببرخيل أن هذه الأسرة الركابات تنحدر من أصل عربي عريق وبالأخص يكثر هذا القول ويشاع في أبناء عائلة موسى الهوارية.

(١) ما زال المسجد قائما على نفقة العائلة غير أن دروس العلم غير قائمة به.

من آثار بلدة برخيل ومميزاتها:

- ١- كانت لعام ١٩٥٦م الأفاعي الموجودة بها أو التي في حيازتها (رمامها) لا تؤذي أحدا قط؛ حتى ولو رفعها الإنسان بيديه، وحتى التاريخ المتقدم ومن بعده صارت تؤذي الإنسان مثل مثيلاتها في أي بلد آخر.
- ٢- أن أهل برخيل اتصفوا بصفات كثيرة من صفات العروبة والإسلام منها: العفو عند المقدرة، ويميلون إلى عدم إثارة الشعب.
- سباقون إلى الصفح، وتناسي الخلافات ويميلون إلى حل مشاكلهم بأنفسهم.

(٥) قبيلة بنو يحيى

من القبائل العربية الهوارية بوادي النيل «قبيلة بنو يحيى» التي يستوطن بنوها بمحافظات قنا وسوهاج وأسيوط^(١) والمنوفية منذ زمن طويل.

فمن بلادهم بمحافظة قنا:

- ١- بلدة أبو مناع قبلي، منها شيخ العرب أحمد عمر العمدة.
 - ٢- بلدة أبو مناع بحري.
 - ٣- بلدة أبو مناع غرب.
 - ٤- بلدة أبو مناع شرق.
 - ٥- بلدة دياب شرق.
 - ٦- بلدة دياب غرب، منها شيخ العرب إبراهيم عبد الهادي.
- ومن مشاهير هذه البلاد وأعلامها شيوخ العرب:

(١) كتاب (نحن العرب) اللواء حامد صالح ص ١٥١.

حسن محمود الوكيل^(١) عضو مجلس الشيوخ السابق، ومحمد أحمد عمر عضو مجلس النواب السابق، ومحمد أحمد السباعي عمدة أبو مناع غرب (سابقاً)، ويحيى عبد اللطيف ثابت عمدة أبو مناع غرب، ومختار أحمد عمر، وعمر أحمد عمر، وجمعة محمد أحمد رئيس مجلس قرية أبو مناع شرق، وعباس عبد السلام عمدة أبو دياب شرق، وإبراهيم مصطفى عمدة أبو مناع بحري (سابقاً).

ومن بلادهم بمحافظة سوهاج:

- ١- أولاد يحيى قبلي.
- ٢- أولاد يحيى بحري.
- ٣- أولاد يحيى الحاجر، ومنها شيخ العرب عبد الحميد أحمد حسن، والشيخ حسين الصادق حسن.
- ٤- بلدة الشيخ جامع.
- ٥- نجع الزواوة.
- ٦- نجع العزبة.

ومن أعلام هذه البلاد شيوخ العرب:

الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم الصغير^(٢)، والشيخ محمد حافظ سليمان علي^(٣) مفتش الوعظ ثم عضو بمجلس الأمة، والأستاذ إبراهيم علي عبد الرحيم المحامي وعضو مجلس الأمة السابق، والأستاذ السيد النقر المحامي، وحلمي ثابت^(٤) عمدة الشيخ جامع؛ والد ثابت حلمي المدرس بمعهد أولاد طوق شرق الدمني.

(١) توفي رحمه الله في ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م/٤/٨.

(٢) وليادته أخ اسمه محمد الكبير توفي سنة ١٩٦٢م والمترجم عنه توفي سنة ١٩٧٣م.

(٣) وكان فضيلته شيخاً لمعهد أولاد طوق شرق الدمني.

(٤) توفي رحمه الله في ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م.

وعائلة آل بهنساوي من البيوتات العريقة من بيوت قبيلة أولاد يحيى لما لهذا البيت من المآثر الوطنية الحميدة.

من مآثر أبناء هذه القبيلة:

- أنهم يُحرمون على نسائهم الخروج من الدار، كما أنهم يحرمون عليهن رؤية غير المحارم. وإن سألتهم في ذلك أجابوك بما أجاب به القرآن في قوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾ (الأحزاب)

وإن ناظرتهم في معنى الآية أجابوك أيضا بأن الخطاب وإن كان خاصا إلا أن المراد به العموم.

والحق أنهم على صواب في عملهم هذا. قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضو عليها بالنواجذ».

ويمكن تمييز أبناء هذه القبيلة عن غيرهم؛ لما لأبناء قبيلة بني يحيى من خلق جم وحياء كبير، هذا مع حبهم للأناة والسكينة ومنهما ترى على وجوههم علامات الوقار والاحترام.

كيف ذلك؟

أولها البيئة وهي عامل هام جدا في تربية النشء.

ثانيها عنصرهم العربي الطيب الأصل.

ومنها ظلت أوراق هذه الشجرة الطيبة مخضرة لأن أصلها قائم على أرض طيبة هي أرض مصر؛ أرض العروبة منذ العصور المتقدمة، وغدا إن شاء الله سوف تلتقي الأغصان المورقة المخضرة على صعيد الوحدة، ويومها يقول أبناء قبيلة يحيى مع أبناء العروبة بمصر:

إن يكن للخلود أم فمصر هي أم الخلود حسنا ومعنى

كتب التاريخ تتحدث عن قبيلة بنى يحيى بمصر:

فلما تجد مؤرخا عربيا يغفل تأريخ قبيلة بني يحيى بمصر، ويكفي أن نذكر ما ذكره اللواء حامد أحمد صالح في كتابه^(١) عن قبيلة بني يحيى، لأن أبحاثه هذه نتيجة دراسات وأبحاث من مراجع عدة.

ولقد ذكر في فصل الأمكنة التي تنزل بها العرب من مصر حتى أول القرن العشرين في المحافظات، والمراكز. فعند ذكر محافظة جرجا «سوهاج» ذكر بني يحيى، وكذلك عند ذكره مراكز جرجا، والبلينا، وديروط، ومنفلوط.

وأيضاً عدّ بني يحيى من القبائل التي تستوطن هذه الأمكنة ضمن من تستوطنها من القبائل العربية الأخرى، وكذلك عدهم في المنوفية^(٢).

ومن هذا نستطيع أن نقول إن قبيلة بني يحيى لها بطون عدة بمصر تقيم في عدة أماكن من المحافظات والمراكز.

أولاد يحيى - بديروط، وبني يحيى:

يذكر نسبهم أنهم من ولد عبد الرسول أحد أولاد يحيى (قبيلة بني يحيى).

ويؤكد نسبهم أنهم جميعا قبيلة واحدة يجمعهم نسب واحد «يحيى»
المسمى باسمه القبيلة، وأولاد يحيى بدويوط وبني يحيى بيوتهم كثيرة وعائلاتهم
شهيبة منها:

عائلة الكيلاني، بدويوط تمتاز بالشهامة والرجولة وصلابة الرأي إن رأيت أحدا من رجالها حكمت عليه من أول نظرة أنه عربي أصيل، وإن عاملته تقول لاشك أنه يتسبب إلى أعظم القبائل التي أنجبت الأبطال والشجعان والأعلام، وإلى هذه الأسرة المترجم عنها يتتمي شيخ العرب علي كيلاني عضو مجلس الأمة السابق.

(١) كتاب نحن العرب ص ١٢١-١٥١.

(٢) المرجع السابق.

وعائلة «فولي» إليها يتنسب شيخ العرب الأستاذ أحمد عبد الغني فولي
وكيل مجلس المدينة، وأخوه عبد السميع^(١) المقاول الخاص.

وعائلة الخشائية، منها شيوخ العرب الوليد أحمد حلمي بوزارة الداخلية،
وعبد المغيث عبد المالك إبراهيم، شيخ بني يحيى.

وعائلة المذاكرة منها شيخا العرب الأستاذ عبد الحفيظ محمد وعبد الحافظ
فياض ناظري أحد مدارس وزارة التربية والتعليم.

وعائلة أولاد يوسف، وتتفرع إلى أولاد سنان والعقيلة والرحيمة وإلى هذه
العائلة ينتمي شيوخ العرب الوجهاء مخيمر محمد مخيمر - مزارع، والأستاذ
عبدالله أحمد محمد مخيمر المحامي، وإخوته غازي، وعبد المنعم بوزارة الزراعة،
ويحيى.

والشيخ يوسف عثمان سنان بيندر ديروط؛ والد الشيخ دياب شيخ بندر
ديروط، ويونس عثمان، وعبد الحفيظ أبو جبل سنان، والضابط عبد الموجود
محمد سنان - رحمه الله - والد محمود بالجيش.

ولأولاد سنان فروع بدمياط كما يذكر أولاد سنان بديروط ذلك.

(١) قبيلة القليعات

من القبائل العربية الهوارية التي يتربع بنوها على أرض مصر الطيبة أبناء
قبيلة القليعات ذات البطون الكثيرة المتعددة.

فمحافظات قنا: وأسيوط، والمنصورة يقيم بنو القليعات وبالوطن العربي
الكبير يقدمون له أجل الخدمات والأعمال الصالحات.

(١) ولقد حدثنا سيادته في حديث جرى بيننا وبينه في هذا الشأن - شأن اتصالهم ببني يحيى المترجم
عنهم في الفصل السابق - من كتابنا هذا - فأكد لنا أنهم من أولاد يحيى، كما ذكر أن لهم بالوجه البحري
أبناء عمومة ولهم بهم اتصالات متكررة.

المحققون من المؤرخين يتحدثون عن نسب القليعات :

يذكر اللواء حامد أحمد صالح في كتابه (فجر العروبة)^(١) كثيرا من القبائل العربية المختلفة والمتعددة بمصر ويذكر من ضمنها (القليعات).

وأستاذنا الشيخ منصور رجب يشيد بذكر هذه القبيلة - القليعات ويعدها من القبائل الهوارية حيث جاء من مقال لفضيلته بعنوان «سلام من هواراة مصر»^(٢) إلى هواراة تونس ذكر القليعات وأنها هوارية.

وجاء (..) وسكنى أفرادها في مركزي نجع حمادي وأبو طشت، وجزء منهم في قرى شطب جنوب أسيوط، وجزء آخر في عزبة منصور بمحافظة المنصورة.

وجاء: أن عدد أفرادها في الانتخابات يزيد على عدد ٤٠ ألف فرد) اهـ^(٣).
أي من الذكور لأن النساء لا يقيدون في جداول الانتخابات ويمنعن من مزاوله هذه المهمة وتلك عادة الكثير من القبائل العربية لا سيما المقيمين بصعيد مصر.

هذا، ونحن لا ننسى أن الصبيان ليس لهم حق الانتخاب فلا يشملهم الحصر المتقدم. ومنه يتضح أن أفراد قبيلة القليعات يبلغ عددهم أكثر من العدد المعتقد أضعافا مضاعفة.

مواطن سكنى أبناء القليعات:

محافظة قنا منها:

١- بلدة كوم البيحا وبها عائلة آل بربري، منها شيوخ العرب محمد إبراهيم بربري عضو مجلس الشيوخ السابق؛ والد الأستاذ أحمد عضو مجلس النواب السابق، ومنها الأستاذ يوسف بربري الموظف بوزارة الصحة بالقاهرة.

(١) ص ١٣٩.

(٢) ولعل أستاذنا حينما عبر بذلك عبر بالجزء - تونس - عن الكل (بلاد المغرب عامة) ولعل قصده (سلام من هواراة مصر إلى هواراة بلاد المغرب).

(٣) منبر الإسلام ٢١ رمضان سنة ١٣٨٣ هـ فبراير سنة ١٩٦٤ م.

٢- بلدة الرزقة وبها عائلة آل عيسى، ومنها شيخ العرب أحمد محمد عيسى.

٣- الكوم الأحمر، وبها آل مراد وآل وزيري.

٤- بلدة رفاعه: بها آل فكار، منهم شيخ العرب عبد العال فكار العمدة السابق.

٥- بلدة الكرنك وبها عائلة فكار أيضا وهم أبناء عمومة آل فكار ببلدة رفاعه. ومنهم بالكرنك شيخ العرب محمود فكار العمدة السابق، وشيخ العرب الأستاذ تمام حسان؛ المستشار الثقافي لنيجيريا.

٦- بلدة القارة وبها آل غلاب، ومن أعلام هذه البلدة شيخ العرب الأستاذ كمال أحمد حسين.

٧- عزبة السايح وبها آل فكار، منهم شيخ العرب صاحب الفضيلة محمد عبد العال فكار؛ المدرس بوزارة التربية والتعليم.

٨- بلدة الحسانات بها آل الكاشف؛ منهم شيخ العرب علام أحمد علام شيخ البلد.

٩- بلدة جزيرة وبها آل هلالى، وآل علم الدين.

ومن العائلة الأخيرة شيخ العرب فضيلة الأخ العزيز محمد محمود علم الدين بوزارة التربية والتعليم.

أما بمحافظة أسيوط والمنصورة: فكما تقدم أن من بنيتها من يستوطن بهاتين المحافظتين في بعض القرى التابعة لكل منهما، فهم كمن قال:

وكفاني من فخاري نسبة جمعت في طرفيها العربا

(٧) قبيلة الوشاشات

الوشاشات: قبيلة من القبائل العربية الهوارية القاطنة بمحافظة قنا خاصة، وغيرها عامة. وذلك لشهرتها العظيمة. ولقد أنجبت كثيرا من الأعلام البارزين أمثال الأستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ توفيق البتشتي؛ حيث كان له صدى في المحيط الأزهري في عصره.

مواطن سكتاهم:

يستوطن أبناء الوشاشات كثيرا من القرى والمدن بمحافظة قنا منها:

١- مدينة أبو طشت - مركز محافظة قنا، ويستوطن بها بعض عائلة آل سليم وهي من أعرق عائلات الوشاشات، وإلى هذه العائلة يتنسب الأستاذ أنور أحمد بن توفيق البتشتي، ومنها صاحب الفضيلة شيخ العرب فوزي محمد عبدالقادر المدرس بالأزهر.

٢- بلدة الشمارات.

٣- بلدة الأميرية.

٤- بلدة القصير.

٥- بلدة الزرايب.

٦- بلدة المحارزة.

٧- بلدة العوامر قبلي.

٨- بلدة كوم يعقوب.

٩- بلدة الحبيلات قبلي.

١٠- وبلدة الأوسط سمهود، منها شيخ العرب الأستاذ هارون أحمد

عبدالرحمن المحامي بأبي طشت.

١١- بلدة السلامات.

١٢- بلدة كوم هنديم.

١٣- بلدة الجزبة.

١٤- بلدة الطوط.

ومن ينتمي إلى هذه القبيلة - الوشاشات - (آل أبو عايد) منهم شيخ العرب محمد فؤاد عبد العال عايد عضو مجلس النواب السابق.

هذه هي بعض البلاد التي يستوطنها بعض أبناء قبيلة الوشاشات وكلها تقع بمحافظة قنا العامرة بسكان القبائل العربية العريقة من هواره وأشراف وأنصار وعرب رحّل.

(٨) قبيلة السماعنة

ما ذكره المحققون حول نسب السماعنة:

ذكر فضيلة الشيخ منصور رجب - رحمه الله - في مقال له بعنوان (رحلتي إلى تونس - سلام من هواره مصر إلى تونس) بمنبر الإسلام في عددها التاسع الصادر في رمضان سنة ١٣٨٣هـ/ فبراير سنة ١٩٦٤م.

ذكر أن السماعنة^(١) من هواره: ثم ذكر أن قبيلة السماعنة يعيش أفرادها في قرى مركزي البلينا وأبو طشت، وجزء منهم في قرى محافظة الشرقية بالوجه البحري اهـ بتصرف.

يذكر اللواء حامد أحمد صالح في كتابه (فجر العرب)^(٢) السماعنة بأنهم من القبائل العربية وأن مناطق سكنهم (فاقوس) «ولعل هذه كانت أول منطقة سكنهم منذ حلولهم أرض مصر في القرون الأولى المتقدمة».

(١) وذلك من خطاب قدمه لفضيلته أحد أبناء السماعنة ثم علق فضيلته عليه.

(٢) ص ٣٣، ١٣٥.

ويذكر أيضا أنهم كانوا ضمن القبائل العربية - الرحل - حيث جاء ذكرهم في الإحصائية الرسمية لعام ١٨٨٥ م بالوجهين القبلي والبحري على الوجه الآتي:

عدهم بالوجه البحري « ١٥٥٠ نسمة » وعدهم بالوجه القبلي نفس العدد السابق « ١٥٥٠ نسمة » اهـ بتصرف.

ومما يؤكد ما ذكره اللواء حامد صالح؛ أنه جاء ذكرهم في كتاب «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عربان الزمان»^(١) للقلقشندي تحقيق الأستاذ إبراهيم الإيباري؛ بأن السماعنة فرع من بطون جُذام وبالتحديد من (بني مهدي) وهم من جُذام، وذكر أن بني المهدي من بني عُذرة؛ وهم من قُضاعة من حَمِير وبالجملة فهم من عرب اليمن^(٢) اهـ. أي أن عُذرة وجُذام من عرب اليمن.

خلاصة هذه الآراء:

لعلّ الذي يقرأ هذه الآراء قراءة سطحية يلحظ من خلالها اختلاف نسب السماعنة: أهم من قبائل هواراة أم من غيرهم؟؟

لكن بخلاف من قرأها قراءة تمحيص ودراسة فإنه لا يرى أي اختلاف حول نسب السماعنة.

ذلك - وكما سبق القول في فصلي نسب بلاد المغرب والهواراة - لأن نسب الهواراة يرجع إلى السبئية (سبأ) كما في بعض الآراء. ومما لا شك فيه أن جُذام من سبأ.

لذا نجد السماعنة بصعيد مصر في تعداد القبائل الهوارية كما أنهم يذكرون ذلك ويعدونه مفخرة لهم. انظر ص ١٩٤ أنساب قبائل العرب للجبوني.

(١) ص ٦٦.

(٢) ص ٦٦ نفس المرجع.

بلاد السماعنة التي يستوطنها أبناؤها.

يستوطن أبناء قبيلة السماعنة كثيرا من قرى محافظات الجمهورية ومدنها بمحافظة قنا.

(١) بلدة: العمره: وبها عائلة «أبو درويش». منها شيوخ العرب عبد المجيد أبو زيد - رحمه الله - والد علي عبد المجيد من العلماء.

ومحمد أبو زيد درويش العمدة السابق، ولهذه العائلة: الشهرة بالجوود والكرم.

(٢) بلاد المال بحري «النواهض»: بها عائلة النيران ومنها شيخ العرب أحمد محمود أبو الذهب، وعائلة وهب الله منها شيخ العرب أحمد وهب الله؛ العمدة السابق.

(٣) بلاد المال قبلي «الكعيمات»: بها عائلة آل رشوان إليها يعزي شيخا العرب شمس الدين إبراهيم رشوان، وشقيقه الأستاذ عبد العزيز إبراهيم من العلماء.

(٤) كوم جابر: وبها عائلة حسنين، ومنها شيخ العرب عبد الشافي حسنين العمدة - رحمه الله -، وعائلة عامر، منها شيخ العرب أبو المجد عامر العمدة السابق.

(٥) الأوسط بحري «العليمات»: بها عائلة عليان منها شيخ العرب محمد سباق عضو مجلس الأمة السابق ورئيس رابطة قبيلة السماعنة بالقاهرة سابقا. وعائلة زغبة منها شيخ العرب حسين عثمان العمدة السابق - رحمه الله -، شقيق مدني عثمان.

ويتبع هذه البلدة (نجع الزمر) منه شيخا العرب عثمان السمان عضو محافظة قنا، والأستاذ أحمد عبد العزيز سلطان؛ وكيل نيابة محكمة شبرا للأحوال الشخصية.

(٦) العوامر منها شيخ العرب محمد عبد الغني العمدة.

ومن بلادهم التابعة لمحافظة سوهاج:

١- القناصية: وبها عائلة آل كمالي، منها شيوخ العرب أحمد أبو عليمي والد عليمي - رحمه الله -، والسيد أحمد، ومنها أحمد عبد العال^(١) محمد كحالي. ومنها أيضا شيخ العرب الشيخ خليفة محمد علي مأذون البلد والد أحمد الملقب بفندي، ومنها شيخ العرب أحمد إسماعيل كحالي - رحمه الله -، وعباس محمد^(٢) الطيب شيخ البلد - رحمه الله -، والمعلم نور الدين محمد المقاتل الخاص بالإسكندرية، ويتبعها نجع زيد وبه أسرة سباق منها شيخا العرب محمد حفني سباق، وأخوه أحمد سباق المقاتل الخاص بالقاهرة.

٢- العوكلية: بها عائلة بكار، منها شيوخ العرب محمد بكير بكار المتوفي في فبراير سنة ١٩٧٠ وأخوه محمود بكار، وأمين محمود بكار، أحمد أحمد بكار - رحمه الله.

وهذه العائلة لها مجد قديم حيث كانت الرئاسة فيها على بلاد عدة، من بلاد السماننة وغيرها.

وعائلة التراكرة (آل مرعي) إليها يتنسب شيوخ العرب علي حميد - رحمه الله - والد قناوي علي، ومنها أيضا الأستاذ أحمد أنور موسى من العلماء.

ويتبع العوكلية نجوع منها نجع الزرابي، منه عائلة آل حماد منها شيخ العرب عبد الشافي سليمان حماد.

ونجع شاهين - عزبة شاهين - وبها آل شاهين، ومنهم شيخ العرب زكي شاهين.

٣- الخلافي - ويتبعها بعض النجوع، منها نجع عبد السميع، ومنه شيوخ العرب عبد اللطيف علي خليفة من أعلام هذه القبيلة، وحفني محمد نائب

(١) توفي رحمه الله في فبراير سنة ١٩٦٤م.

(٢) توفي إلى رحمة الله في نهاية سنة ١٩٦٩م.

العمدة، والشيخ فؤاد أبو القاسم ناظر عزبة السيدة حنيفة السلحدار سابقا - الآن وزارة الإصلاح الزراعي.

وفي محافظة الشرقية بلدة تُسمى بالسماعة مركز فاقوس وبها عائلة الطويل، منها الدكتور محمد الطويل بمستشفى صيدناوي بالقاهرة، والأستاذان حسن الطويل، وأحمد الطويل المبعوث بفيينا - النمسا.

(٨) أولاد ماض

وأبناء هذه القبيلة من البطون الهوارية التي ذكرها القلقشندي^(١) منذ مئات السنين؛ فذكرنا لها اليوم إنما هو إشادة بأعمال بنينا على أرض العروبة في عصر نهضة الأمة العربية من المحيط إلى الخليج يسرون، فعلى بركة الله. مرددين قول من قال: وقائلين نحن من بلد «مصر»:

حفر الدهر للممالك قبرا وبنى الله للكنانة حصنا

مواطن سكنى أبناء هذه القبيلة:

تقع مواطن سكناهم ببلدتهم المسماة ببلدة أولاد ماض إحدى قرى محافظة سوهاج. وهم الآن فروع عدة، يعمل أبناؤها من أجل التلاقي على صعيد الوحدة.

(٩) أولاد شلول

ومواطن سكناهم تقع بجوار بندار الكرمانية بمركز جرجا في محافظة سوهاج، وهم الآن يمثلون الجم الغفير من أبناء العرب العاملين من أجل إقامة صرح الغروبة والإسلام العظيم.

ومن بطونهم الكريمة: بطن آل حجازي، منه شيخا العرب علي مصطفى،

ومحمد إبراهيم.

(١) ص ١٣٦ البيان والإعراب: الدكتور عابدين. وج ١ صبح الاعشى، ص ١٦٨ (قلائد الجمان)

أولاد شلول والمؤرخين:

لعلّ القلقشندي^(١) في ذكره: الشللة - من البطون الهوارية، هم أبناء المتحدث عنها (أولاد شلول) وسبق أن وضعنا أن كثيرا من القبائل والبطون دخلها بعض التحريف في المسميات الأولى، ومنه نفهم أن أولاد شلول السابق ذكرهم بالشللة هم المذكورون.

(١٠) الفرعان

من القبائل الهوارية قبيلة الفراعنة فهم من ولد محمد الهواري، وبلادهم التي يستوطنونها عدة وتقع بمحافظة سوهاج بمركز جرجا. منها بلدة الفرعان؛ وبها عائلة الفراعنة.

منها شيوخ العرب الأستاذ شوقي أحمد عثمان المحامي، وعضو مجلس الأمة سابقا، والشيخ العالم الجليل والشاعر الملهم علي الراجي - رحمه الله، صاحب قصيدة «أم القرى»، التي مطلعها:

ذهبت إلى أم القرى وقراها نواخي السلامة مع من قراها

(١١) قبيلة بندار

يرجع نسب أهل بندار إلى ولد بندارة، وهم بطن من بطون هواره، ذكرتهم أمهات كتب التاريخ منذ زمن طويل لا سيما صبح الأعشى للقلقشندي وغيره. كما يؤكد أهل بندار أنهم من ولد محمد الهواري، ولأن القلقشندي^(٢) يذكر أن «الإمرة كانت بجرجا ومنشأة أخميم لأولاد عمر بن عبد العزيز ومنازلهم بجرجا ومنشأة أخميم وأمرهم نافذ إلى أسوان» اهـ.

ولأن المقرئ^(٣) يذكر «أنه لما مات عمر بن عبد العزيز قتله^(٤) علي بن غريب من ولد هواره وكانت الإمرة في بيته، بدهروط وما معها من البهناوية،

(١) ص ١٦٨ (قلائد الجمان) الإيباري.

(٢) ج ١ بتصرف.

(٣) ص ٨ البيان للدكتور عبد المجيد عابدين.

(٤) ص ١٩ قلائد الجمان للإيباري.

ثم تولى بعده ابنه محمد بن عمر، المعروف بأبي السنون وفخم أمره وكثرت أمواله اهـ.

وبنو محمد: هم من ولد محمد بن^(١) عمر بن عبد العزيز الهواري من ولد إسماعيل بن مازن الذي أقطعه السلطان برقوق الإقطاعات بناحية جرجا وما حولها فعمرها بعد أن كانت خرابا، فاتخذها موطنًا لسكنائه ولبنيه فيما بعد فصارت لهم أمكنة استقرار ما بين متقارب منها ومتباعد، ولا زالوا يعرفون ببني محمد حتى كتابة هذه السطور.

غير أننا نلاحظ أن المؤرخين يذكرون أن بندار بطن من بطون هوارا، كالقلقشندي والمقريزي مثلاً، وزمن تأريخهم مرجعه إلى القرن الثامن الهجري ومطلع القرن التاسع الهجري.

ونحن عرفنا أن الهوارة نزحوا من البحيرة إلى الصعيد في القرن الثامن وأن الذي تولى الإمرة بجرجا وما حولها بنو عمر وهم محمد وإخوته في القرن الثامن الهجري وما بعده، وإذا وضعنا هذا كله في اعتبارنا، مع جعل أهل بندار من نسل محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري، أمير العربان في زمانه.

قد يدور بخلد باحث مدقق سؤال هو: «كيف يلحقون أهل بندار إلى نسل محمد بن عمر الذي هو يتنسب إلى بيت من بيوت هواره الذي جمعهم بطن واحد، هو بندار سواء روعي في تسمية هذا البطن: الحَيَّ أم الذات».

قلت: ما قاله الفلقشندي: (. . أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو قبائل فتنسب إليه كل قبيلة تحدث عنه، وتترك النسبة إلى القبيلة الأولى، كحظلة من تميم فتنسب إلى «حظلة» ويترك «تميم». ويبقى بعضهم بلا ولد، فلا يولد له أو لم يشتهر ولده، فينسب إلى القبيلة الأولى) وذكر أيضا أن الجوهري يذكر (أن النسبة إلى الأسفل تغني عن النسبة إلى الأعلى) اهـ (٢).

(١) ص ٥٨-٥٩ البيان للدكتور عبد المجيد عابدين.

(٢) ص ٢٠ قلائد الجمان للإياري .

وقلت أيضا: (من الجائز أن تكون البيوتات الأخرى غير بيت محمد قد نزلت فيما بعد إلى جهات أخرى كوادي النيل مثلا بالسودان وبأسوان وما حولها، حيث إن الرحلات مرغوب فيها عند العرب، هذا بالإضافة إلى ما يتمتع به بطن بندار من الإمارة وسطوة السلطان. والباقون الآن بنو محمد.

ولنا أن نقول أيضا أن بطن بندار خصوا بأنهم من ولد محمد بن عمر للغلبة حيث الشهرة في بيت عمر بن عبد العزيز الهواري الذي من ولده محمد، وإذا كان تحالف القبائل المختلفة يصير فيما بعد أشهرها علما على هذه الجماعات المتنوعة المتحالفة؛ يكون إطلاق أهل بندار على أنهم من بني محمد لا غبار عليه الآن وما قبله وما بعده الآن.

والخلاصة أنهم من هواره من ولد محمد بن عمر بن عبد العزيز ومنهم تفرق الكثير من الرجال في البلاد، حتى أن بني محمد يؤلفون عددا ضخما بقري مصر خاصة بمحافظة سوهاج وكذلك بقنا.

وبندار قسمان شرقية وغربية: يفصل بينهما شريط السكة الحديدية المصرية بالجهة الغربية من نهر النيل، ويتبعان مركز جرجا بمحافظة سوهاج.

أما بندار الشرقية فيسكنها منهم أقمار هم آل سلطان؛ خصوا بعد بالجمال. وهم أصحاب مجد وفخار من غابر الأزمان، وإليهم يعتزى شيوخ العرب عزت عبد المجيد موسى الكاشف العمدة السابق لهذه البلدة، والاستاذ أحمد محمد رضوان سلطان عضو مجلس الأمة السابق، والعالم التقي الورع الشاعر الملمهم الشيخ مصطفى محمد رضوان سلطان إمام وخطيب ومدرس بمسجد (الست سالمه) بجرجا، ويوم اجتماعي بفضيلته دار الحديث بيننا حول وحدة بني الملة عامة بعد وحدة بني عدنان وقحطان خاصة تذكرنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا عز العرب عز الإسلام» وقوله: «أرسلت إلى العرب خاصة وإلى الناس عامة».

وبهذا البلد (بيت أولاد حمد) منهم الشيخ حفني قناوي، والريس الطيب محمد حسين الهواري.

(وبيت البهايجه) وإليه يعتزى شيخ العرب الهواري محمد بيومي وشهرة هذا البيت (الكراسنة).

(وبيت العوايضة) وإليهم يتنسب شيخ العرب أحمد عبد العال.

وأما بندار الغربية: فيقطنها كثير من البطون الهوارية ممن لهم شرف الانتساب إليها قلوبهم مليئة بالإيمان بالله والوطن جنود وخدام. أذكر منهم على سبيل المثال شيخ العرب العالم الصوفي الروحي الشيخ عبد الله عبد العال نائب الطريقة الشاذلية - رحمه الله.

وبهذا البلد عائلة «النباتات» منها شيخ العرب أحمد علي عثمان العمدة لهذا البلد. ويتبع بندار الغربية نجوع يقطنها من لهم فخر الانتساب إلى محمد الهواري ومنهم: عائلة «عبد الجواد»، وإليها يعتزى شيخ العرب أحمد خليفة عبد الجواد عمدة نجوع بندار؛ عاش عمر العشرين بعد المائة كما حدثني الشيخ مصطفى محمد رضوان وذلك في عام ١٩٦٣م.

(١٢) قبيلة أبو دومة

تنسب هذه القبيلة كما حدثني فضيلة الشيخ عبد الرحمن أبو النجار - رحمه الله - من ولد محمد الهواري. ومن بلدة المجابرة (بجرجا) إلى ولد محمد بن مطاوع المنتسب إلى الونانة والتي يقول عنها فضيلة الشيخ عبد السلام حمد الجبوني في كتابه (أنساب قبائل العرب) ص ١٩٦ ما يأتي: ومن نسل مطاوع انحدر الونانة إلى مصر وموطنهم الآن سبعة عشر بلداً بمركز طهطا... ثم يستطرد فيقول: أما آل الهلالي «وهم من البطون الهوارية كما ذكرهم القائل في كتابه السالف الذكر ص ١٩٤-١٩٥» فكانوا قضاة وفقهاء أسيوط.

ثم انحدروا جنوباً وتخلف منهم في طما أبو دومة (اه).

وأما أبناء قبيلة أبي دومة فيذكرون أنهم يتنسبون إلى زناتة التي منها خليفة الزناتي، كما أكد لي بذلك الأستاذ أحمد سليمان أبو دومة رئيس مستخدمين بإدارة الأوقاف بأسيوط، والآن بسوهاج.

وإن كان القلقشندي يذكر زناته ذو كثرة ببلاد المغرب، ولا يعرف منهم أحد الآن في الديار المصرية فيما أظن. اهـ ص ١٧٦ (قلائد الجمان) تعليق وتحقيق الأستاذ إبراهيم الإياري.

فهذا لا ينفي نسب قبيلة أبي دومة إلى زناته لما يأتي.

١- أن القلقشندي نفسه لم يقطع بذلك^(١) حيث قال: (ولا يعرف منهم أحد الآن في الديار المصرية فيما أظن) اهـ.

٢- احتمال نزوح أفراد قبيلة أبي دومة من موطنها ببلاد المغرب إلى مصر بعد حياة القلقشندي. ومن المعروف أن القلقشندي أتم تأليف هذا الكتاب (قلائد الجمان) سنة تسعة عشرة وثمانمائة هجرية.

٣- واحتمال آخر هو من الجائز أن يكون أفراد هذه القبيلة جاءوا من المغرب بصحبة أفراد من قبائل أخرى، وكانوا جميعاً ينضون تحت لواء حلف واحد، وشاع إطلاق اسم القبيلة على أشهر القبائل آنذاك والمتحالفة مع القبائل الأخرى القادمة لمصر، وبمرور الزمن صار لبني أبي دومة شهرتهم الخاصة جعلتهم يتخذون طابعهم الخاص، ومن هنا ظهر في سماء العروبة بروق اسم قبيلة أبي دومة التي نتحدث عنها.

هذا من ناحية انتسابها إلى زناته كما يذكرونها، ومن ناحية ما يذكره المؤرخون حول عدم وجود من يتنسب إليها بالديار المصرية في العصور المتقدمة.

علما بأن السيد اللواء حامد صالح في كتابه (نحن العرب) ص ١٠٦ ذكر في أمهات القبائل المتفرعة والتي حصرها في ثلاثة عد منها زناته ثم قال: (وفي مصر كثيرون من كل هؤلاء).

(١) هذا رأي صحيح من صاحب كتاب الدرر الذهبية لأن زناته منها قبيلة تحمل نفس الاسم في شمال الصعيد نواحي ببا، وذكرها أميديه جويرير الفرنسي باسم الزناتية وكانوا أعداء الفرنسيين ومنهم في الوجه البحري. كما أن فروعا من زناته أيضا نزلت إلى الصعيد بعد موت القلقشندي بمدة وأهمها جراوة ويطلق عليهم الجراوات وسنأتي بلمحة عنهم (انظر عنهم).

أما من ناحية الاختلاف في نسب قبيلة أبي دومة إلى الونانة من هواره أو زناة فذلك الخلاف لفظي^(١) أكثر منه معنوي؛ لأن أبناء أبي دومة سواء أكانوا زناتيون أم ونتاجيون؛ فهم من أصل العروبة ينحدرون.

كما أنهم من المغرب نازحون قديما، وفي مصر الآن مقيمون.

مواطن سكناهم:

يقيم أبناء قبيلة أبي دومة ببلاد عدة بمركز طما في محافظة سوهاج منها:

١- بلد أم دومة، ومنها شيوخ العرب الأستاذ أحمد محمد عبد العال بالقضاء، والتقيب عطية عبد العال بالجيش.

والأمير الناظر قائد المدفعية بالجيش، والأستاذ حسين الناظر برئاسة الجمهورية، والأستاذ جمال عبد القادر بوزارة الخارجية، والأستاذ عبد العزيز الناظر مدير مصنع تجفيف البصل بسوهاج، والأستاذ محمد أحمد الناظر مدير المساحة بأسسوط، والأستاذ أحمد سليمان أبو دومة رئيس المستخدمين بإدارة أوقاف أسسوط. وسيادته هو الذي ذكر هذه الأسماء المنتمية إلى قبيلتهم (أبي دومة)، والأستاذ عطية محمود هريدي بالبنك العربي بالقاهرة، والمهندس الزراعي عبدالعظيم إبراهيم، والأستاذ عبد الحميد سليمان أبو دومة رئيس التنقلات بمكتب وزير العدل، والأستاذ عزيز سليمان المراجع بصندوق الدعم للمشروعات بالقاهرة.

والسادة عبد الحكيم أبو زيد، وعبد الرحمن محمود هريدي، وعبد الجواد أحمد.

٢- بلدة كوم غريب منها شيوخ العرب مصطفى عطية بالجيش، وأخوه سيد عطية وكيل البنك العربي السعودي بالقاهرة.

(١) ١- حيث عوامل الأحلاف. ٢- تحريف بعض المسميات. ٣- تشابه الحروف بين الاسمين ونانة

وزناته. ٤- كثرة اللهجات.

٣- بلدة جنية أبي دومة منها: شيخا العرب محمد أحمد عضو مجلس النواب السابق والد عصام الدين مأمور ضرائب.

٤- بلدة منشية أبي دومة منها: شيوخ العرب أساتذة القانون يوسف عز الدين قاضي محكمة أسبوط، وعطية عبد القادر القاضي بمحاكم مصر بالقاهرة. ويوسف عبد القادر عضو مجلس الأمة السابق. ومن سبق ذكرهم علا شأنهم وبمؤسسات الدولة برر عملهم.

٥- بلدة عرب أبي دومة.

٦- الوابور.

٧- نزلة عويضة.

٨- نزلة سعيد.

٩- نجع عطية موسى وجميعها تقطنها أبي دومة، ولله در القائل وكأنه يعني أبناء هذه القبيلة:

وابعثوا في المشرفين الكرما
إنكم ما زلتم رسل الكرم

(١٣) قبيلة الكوامل

من القبائل العربية بمحافظة سوهاج - الكوامل. ولقد جاء ذكرها في كتاب: فجر^(١) العرب: للسيد اللواء حامد أحمد صالح.

والكوامل اسم لبلدين: الكوامل بحري، والكوامل قبلي.

ولقد ذكر السيد حسن حسين منصور وهو من أبناء هذه القبيلة: أنهم يتسبون إلى بني محمد الهواري، كما ذكر أن أبناء الكوامل تجمعهم خمسة بلاد هي^(٢):

(١) ص ١٢٣-١٤٠.

(٢) من قرى صعيد مصر بأعمال محافظة سوهاج.

١- الكوامل قبلي، وبها عائلة بهاء الدين ومنها شيخ العرب أحمد خاطر أحمد وهو العمدة الآن.

وعائلة أبو صونه: منها شيخ العرب حسنين حسين أبو صونة العمدة السابق.

٢- الكوامل بحري: وبها عائلة زيدان فيها شيخ العرب رفاعي زيدان العمدة الحالي، وهذه العائلة لها مكانتها بين العائلات الكواملية، وعائلة حزيم وفيها شيخ العرب محمد أحمد حزيم العمدة السابق.

٣- أولاد غريب وإليهم يُعزى شيخ العرب السيد أبو الحسن التاجر بالقاهرة.

٤- الصقرية: وبها أسرة آل علام، فيها شيخ العرب محمد علام العمدة السابق.

٥- الهجارسه^(١). ومنها شيخ العرب فضيلة الشيخ محمد قنديل من علماء الأزهر.

(١٤) قبيلة البلايش

من القبائل العربية الأصيلة قبيلة البلايش التي يستوطن بنوها كثيرا من بلاد محافظتي قنا وسوهاج.

فمن بلادهم بمحافظة قنا:

١- بلدة فاو قبلي: منها شيوخ العرب الأستاذ قدرى عثمان مفتش التحقيقات بالشئون الاجتماعية بقنا شقيق مختار.

٢- بلدة فاو وعزب: منها شيخ العرب الأستاذ محمد عمر الهوارى المحامى.

٣- بلدة المعصرة.

(١) ذكر اللواء صالح حامد في كتابه فجر العرب ص ١٢٩-١٤١، أن كفر صقر (الهجارسه) اسم لبطن من البطون العربية.

- ٤- بلدة عزبة الألفي .
٥- بلدة بلايش نجع عزور .
٦- بلدة حمرة دووم .
٧- بلدة أبو خزام .
٨- بلدة الصبريات .
وأما بلادهم بمحافظة سوهاج بمركز أولاد طوق شرق (البلينا سابقا) فمنها:
١- بلدة البلايش بحري .
٢- بلدة البلايش المستجدة: منها شيخ العرب عبد اللاه أحمد الصادق^(١)؛
والد عزت .
٣- البلايش قبلي .
٤- مدينة أولاد طوق شرق «الدية سابقا» وبها عائلة المجد والكرم عائلة آل
رضوان، منها شيوخ العرب عبد الرحيم أحمد رضوان^(٢)؛ والد عبد الحميد^(٣)
عضو مجلس النواب السابق، وعبد اللطيف^(٤) عضو مجلس الأمة السابق، ومنهم
أيضا حسين أحمد رضوان^(٥) من أهل التقوى والصلاح .
ومن هذه العائلة محمد أحمد رضوان والد عبد المجيد عضو مجلس الأمة .
ومنها أيضا فتحي أحمد رضوان وكيل مجلس مدينة أولاد طوق ومدرس
بالمعهد الديني، وإخوته الباشا أحمد وفوزي أحمد الموظفين بالأزهر بمعهد جرجا
الديني .

(١) كان -رحمه الله- من كبار التجار وتوفي سنة ١٩٦٧م - رحمه الله .

(٢) وسيادته ممن له دراية تامة -بالقافة- صفات العرب الأولين. توفي -رحمه الله- سنة ١٩٦٨م.

(٣) توفي -رحمه الله- في ٦ من جمادى الثانية سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩٥٣/٩/٢٣ م.

(٤) توفي -رحمه الله- سنة ١٩٦٧م.

(٥) توفي -رحمه الله- سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

وطنية آل رضوان:

من أعمالها الدينية والوطنية ما يأتي:

- إنشاؤها معهدا دينيا على نفقتهم الخاصة.

- إنشاؤها دارا للمحكمة من مالها الخاص.

- تبرعها بمنزل فسيح الحجرات لإدارة مركز أولاد طوق سنينا عديدة.

- إقامة بعض المساكن للموظفين بأجر ضئيل جدا، هذا فضلا عن تسابقها إلى عمل الخير لأبناء المنطقة خاصة والعروبة عامة ما لا يمكن ذكره.

والفضل في ذلك يرجع أولا وأخيرا إلى شيخ العرب عبد الرحيم أحمد رضوان ولديه عبد الحميد وعبد اللطيف.

قبيلة البلايش والقومية:

تقدم حديثي عن أبناء قبيلة البلايش في مبدأ هذا الفصل عن هوارة بما هو مفخرة لكل عربي عامة ولأبناء قبيلة البلايش خاصة.

ومن هنا يمكن القول بأن أبناء البلايش ورثوا هذه الصفات عن سلفهم الصالح، حيث يذكر الأستاذ إبراهيم الإياري في تعليقه على كتاب «قلائد الجمان» للقلقشندي ما يأتي:

(... من الموجودين «أي بأرض مصر» من قيس عيلان .. سُلَيْم.

وهم بنو سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان.

وقيس عيلان هو^(١) ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .. وكان^(٢) لسُلَيْم من الولد بُهْثَة ومنه جميع أولاده، قال في العبر وكانت مساكنهم في عالية نجد.

... قال الحمداني ومنهم بالصعيد والفيوم والبحيرة خلق كثير، ثم قال وبإفريقية منهم حي عظيم. وقال في مسالك الأبصار: ومنهم ببرقة عما يلي الغرب

(١) ص ١١٠ قلائد الجمان.

(٢) ص ١٢٣-١٢٥ نفس المرجع.

ونحن نقول: الصحيح أن صلتهم بهذا المكان من قديم، كما أن بطونهم اتسعت فتربعت على عدة بقاع من أرض مصر بمحافظةتي سوهاج وقنا. وقبيلة البلايش بعض من الكتب التاريخية تحدثت عنها.

فيذكر اللواء حامد صالح في كتابه (نحن العرب)^(١) القبائل العربية بأرض مصر؛ ومنها البلايش.

ومما سبق يتضح لنا بجلاء مكانة هذه القبيلة، حيث إن جدهم بلبوش كان يبغى السيادة للعرب وما إلحاق جيش الظاهر بيبرس به والاشتباك معه في مساجلات حربية كانت نهايتها أن اعتقل إلا نزعة عربية دفعته للإقدام على هذه المخاطر ليسترد لوطنه الكرامة والعزة والحرية ممثلة في أن يكون الحكم بيد غيرها.

(١٥) قبيلتنا المجاورة والبلايزة

من القبائل العربية الهوارية قبيلة المجاورة من ولد محمد الهواري. كما حدثني بذلك كل من أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن^(٢) أبو النجار والشيخ يوسف محمود أحمد مدير.

بلاد أبناء هذه القبيلة بمحافظة سوهاج:

١- المجاورة: منها أصحاب الفضيلة سالف في الذكر، والشيخ يوسف محمود، وإن كنت أراه الآن داعية كبير في مدينة أسيوط لمبادئ الثورة، إنما هو نبع أصيل فاض من منبعه العظيم، يوم أن كان فضيلته يؤمن بذلك منذ الصغر. ومن هذه البلدة أيضا محمد محمود ناصر العمدة، شقيق الأستاذ علي محمود بوزارة العدل وعضو مجلس الأمة السابق.

ومنها الأستاذ محمد أحمد حسن ناظر مدرسة المجاورة الابتدائية.

ومنها المجاهد الوطني الكبير الدكتور الطيب ناصر^(٣).

(١) ص ١٢٥، ١٣٢.

(٢) توفي -رحمه الله- يوم ٢٢/٤/١٩٦٣ م.

(٣) توفي -رحمه الله- يوم ٢٣ من ذي الحجة ١٣٩١ هـ الموافق ٨/٢/١٩٧٢.

جاءت الحرب العالمية الثانية فكانت البلاد في أشد الاحتياج إلى إخلاص بنينا ليقوموا بالدور الإيجابي تجاه قضية وطنهم العزيز، فكان الدكتور الطيب ناصر آنذاك بألمانيا يدرس الطب، ولم يعقه بعد المسافة عن بلده عن أداء واجبه الوطني نحو بلده وأمته، فلقد استطاع وهو في مقتبل العمر أن يقدم لبلاده خدمات جليلة أثناء هذه الحرب وهو بألمانيا.

٢- بلدة البلايزة بمركز أبو تيج، محافظة أسيوط. ولعل القلقشندي^(١) في ذكره «البلازد» من البطون الهوارية: تكون هي البلايزة^(٢) المتحدث عنها، ومن هذه البلدة شيخا العرب الأستاذ محمد سالم المفتش بوزارة التربية والتعليم، والأستاذ حسن نصر ناظر إحدى مدارس وزارة التربية والتعليم.

بيان نسب أبناء قبيلة المجابرة:

سبق الحديث في مبدأ كتابة هذه السطور عن هذه القبيلة في الصعيد الأعلى ضمن القبائل الهوارية (خاصة مع قبيلة البلايزة).

ومما يؤكد ذلك أن اللواء حامد صالح قد ذكر أن المجابرة من عرب الغرب^(٣) من المرابطين من صنهاجة. كما ذكر لي فضيلة الشيخ يوسف محمود أن ببلاد المغرب بلدا لا زالت حتى الآن تسمى بالمجابرة، فهم أصلا نزحوا من بلاد المغرب إلى مصر منذ زمن طويل.

ونحن لا يسعنا إلا أن نقول في أبناء هذه القبيلة الأصيلة، ما قاله الشاعر:

عرب موفون أبناء الديار والوفاء كل الوفاء في العرب

(١) ص ١٦٩ قلائد الجمال. تحليل وتعليق الأستاذ الإيباري.

(٢) والسيد الدكتور عبد المجيد عابدين يذكر ما ذكرناه حيث قال:

والبلازد: الآن تسمى البلايزة ص ١٣٦. البيان والإعراب. عابدين.

(٣) ص ١١٠ «نحن العرب» ورجوعنا إلى كتاب أنساب قبائل العرب ص ١٣٠ للشيخ عبد السلام

حمد الحبشوني نحمده يذكر ما يأتي (قبيلة المجابرة هم أولاد حمد بن جبريل إخوة الجوازي والعواقير والمقاربة والعريسات من السعادي من بني سليم، وكانوا يقطنون مع إخوتهم هؤلاء (برقة) وفي القرن الحادي عشر الهجري سكنوا بواحة جالو في جنوب برقة .. إلخ)، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

(١٦) العربات

وأصل اسمها العربا أضيفت لها تاء التانيث بلهجة العوام كما حدث لكثير من القبائل. ذكرها القلقشندي في نهاية الأرب العرايا (بالياء) ولعلها صُحِّفَتْ في الكتابة بمخطوطه المذكور والصحيح العربا (بالباء) كما هو معروف بالوقت الحاضر.

والعربات إن كانت في تعداد البطون الهوارية في القرون المتقدمة، إلا أنها أصبحت الآن تمثل قبيلة عظيمة من القبائل الهوارية العربية بمصر لأنها تشتمل على بلاد عدة بمحافظة سوهاج، وها هي نبذة من بلادهم مع ذكر مشاهيرهم.

بلدة «أولاد سلامة» وبها عائلة «أبو عميرة» منها الأستاذ شيخ العرب عيسى عوض أبو عميرة المحامي، وشيخ العرب السيد وحسن والجارحي أولاد فاضل أبو عميرة، والأستاذ محفوظ رشوان أبو عميرة المحامي.

وعائلة «آل عبدون» وإليها يعزي مشايخ العرب الأستاذ شمس الدين عبدالرحيم عبد المنعم أبو عبدون، والسيد حافظ عبد الكريم عبدون.

وعائلة «آل عليو» إليها ينتسب شيوخ العرب موسى عبد العاطي - رحمه الله - والد أحمد.

والشيخ محمد إسماعيل والد فؤاد، وفوزي.

والسيد أحمد علي عليو وإخوته محمود وعبد الرحيم ولدي علي عليو.

والدكتور محمد الفاتح السيد إسماعيل عليو بوزارة الصحة.

وعائلة «آل حمادي» ومنها شيوخ العرب السيد رشدي عبد اللطيف بوزارة

العدل.

وعائلة «آل حسين» ومنها شيوخ العرب رجب عبد اللطيف، وعلي أحمد

حسين.

وعائلة «عبد الحميد» ومنها شيخ العرب كامل عبد الهادي.

«بلدة الدناقلة» وبها عائلة «الشقيري» وإليها يعزي شيوخ العرب برعي حسن دنقل، وعمار أبو عمره «دنقل».

(بلدة الزارة) وبها عائلة «آل كريشة» المشهورة في كتب المؤرخين لا سيما الخطط التوفيقية. وبها عائلة «آل مراد» ومنها شيخ العرب حسين علي أبو مراد عمدة البلدة.

وعائلة «حجاري» منها شيخ العرب محمود عثمان حجازي من العلماء، وللمترجم له أبحاث تاريخية في قبائل العربات والشيخ عبد العاطي حجازي.

وبلدة (الخناسة الشرقية) وبها عائلة «عذب» منها شيخ العرب محمود فريد نائب العمدة.

وبلدة (الخناسة الغربية) وبها عائلة «آل فرغل» ومنها محمد فرغلي «العمدة» - رحمه الله.

وبلدة (أولاد علي) وبها (عائلة آل كرميشة) أيضا، ومنها شيخ العرب الوجيه إسماعيل أحمد كرميشة «العمدة» - رحمه الله -، وعضو مجلس الشيوخ السابق والد مظهر وأحمد.

بلدة (الشواولة)^(١) وبها - عائلة «آل شحاته» ومنها شيخ العرب علي عثمان شحاته.

وبلدة (العمائدة) وبها عائلة «آل شيخون» منها شيخ العرب عبد اللاه أبو شيخون.

وبلدة (الدويرات) وبها عائلة «أبو حربي» إليها ينتسب شيخ العرب حافظ أبو حربي، وعائلة «آل رضوان» ومنها صاحب الفضيلة الشيخ محمد حافظ يوسف، هذا قليل من كثير في عائلات هذه البلاد ضمن العربات.

وبلدة (عراة أبو ذهب) من أمهات بلاد العرايات وبها عائلة «أبو فقير»، وإليها يتشرف بالانتساب شيخ العرب أبو المجد أبو فقير، وأحمد أبو فقير مصطفى.

وعائلة «أبو الذهب» ولهذه العائلة ينتمي شيخ العرب محمد أبو الذهب. وبلدة (أولاد عزاز) ومنها شيخ العرب محمود حسن.

«بلدة العرايا المدفونة» عراة أبيدوس:

وهذا البلد عربي منذ أن جعلها فراعنة مصر مقرا للحكم وبها أقاموا معجزات الدهر والتاريخ ما هو أعظم من محاولات الغريين إلى الوصول للمريخ.

قال الشاعر:

وادرس «عراة» واتعظ بمواعظ وافحص «طريق جنائزي» أوحدا

تجد الرواسي شامخات للعلل والرسم ممن شيده مجردا

هذه هي بلدة العراة منذ فجر التاريخ.

وبهذه البلدة «عائلة الشحاتات» منهم شيوخ العرب حداد^(١) محمد والد محمد الذي أعقب رشادا وأبو المواهب حسن عثمان عمدة البلدة - رحمه الله، وجاد الكريم حماد - رحمه الله - عمدة بلاد العرايات القبلية في عهده، والد عبدالشافي ورياض وحمدان، ومحمد رضا، وشيخ العرب شحاتة عبد الموجود.

ولهذه العائلة من الصفات العربية ما يعجز الواصفون عن وصفه، والقلم عن تسطيره حيث شجاعتهم وكرمهم العظيمان.

وعائلة «الجليلة» صاحبة المكانة العالية، وإليها ينتسب شيوخ العرب العالم الفاضل الشاذلي حمد الله عبد الجليل - رحمه الله - والد كل من الأساتذة محمد القاضي بوزارة العدل وأحمد المحامي، والشيخين عبد الحميد والأمير من العلماء.

(١) انتقل للرفيق الأعلى في يوم الثلاثاء الموافق ١٨ من صفر سنة ١٣٨٦ هـ ٧ يونيو سنة ١٩٦٦ م.

ومن هذه العائلة أيضا صاحب الفضيلة الشيخ أحمد حسين عبد الرحمن،
والشيخ أبو الفتوح محمد المدني من علماء الأزهر الشريف.

وعائلة «الخواطر» منها العارف بالله العالم الحجة فضيلة الشيخ عثمان
عبدالراضي أحمد - رحمه الله -، والشيخ المترجم له نال شهادة العالمية على
النظام القديم ولازم منزله يُدرّس العلم^(١) لأهل بلده وما جاورها طيلة حياته إلى
أن توفي - رحمه الله تعالى.

وبها عائلة «الهواشم»^(٢) وعائلة علي ناجي والد الشيخ محمد.

وبها عائلة «الجبورة» ومنها شيوخ العرب علي أحمد علي خلاف المقاتل
المعماري الخاص بالقاهرة، وعلي يونس قاسم خلاف، ومحمد عبد الحليم مطر.

وكما في نجع علي تمام وبه عائلة «التمامة» وبها عائلة «العشاروة» منها
شيوخ العرب جابر أحمد سليمان، وإلى آل تمام ينتسب نجع تمام بالغابات، ومنهم
شيخ العرب علي إسماعيل تمام.

بلدة بني منصور:

وبها عائلة من الحويطات^(٣) - وهؤلاء أبناء عمومة الحويطات بالعربا المدفونة
ومنهم شيخ العرب علي عبد اللطيف أحمد شيخ البلد.

وبها عائلة «الناصر» ومنها شيوخ العرب الأستاذ عبد العظيم أحمد عويس،
وهارون صبرة هارون - رحمه الله - نائبة العمدة - والد الشيخ أمين - من العلماء.
وإلى هذه العائلة ينتسب الشاب الوطني عبدالله أحمد إبراهيم عضو المؤتمر العام
للاتحاد الاشتراكي ولسيادته نهضة في مجال العمل مما جعله يشق طريق السؤدد.

وبها عائلة «آل سالم» ومنها الشيخ أحمد عبد اللطيف سالم - رحمه الله -
مأذون بلاد العربات والد عبد الشافي أحمد المأذون الحالي، ومحمد شيخ الطريقة

(١) ولفضيلته كثير من المؤلفات الدينية منها ما هو مطبوع وما لم يطبع، وكان يجيد نظم الشعر.

(٢) ومن هذه العائلة مؤلف كتاب الدرر الذهبية وينسب إلى الإشراف القاطنين مع الهوارة.

(٣) الحويطات هؤلاء من قبيلة الحويطات العربية الهاشمية المعروفة، وحويطات العربا المدفونة وبلدة

بني منصور هم جزء من قبيلة الحويطات المشهورة ولا ينسبون للهوارة.

السمانية وإليهم يتسبب عبد الرحيم محمد - رحمه الله - ، ومنسي من حفاظ القرآن الكريم؛ وبلغ من العمر حول المائة سنة، توفي عام ١٩٦٦م.

وعائلة «الجوابر» ومنها شيخ العرب عبد الشافي عبد المطلب شيخ البلد وأخوه عبد الحليم عبد المطلب، ومصطفى جابر محمد.

وعائلة «البعل» ومنها شيوخ العرب عبد الظاهر أحمد عثمان البعل وشهرته حسين، والظاهر محمد أحمد البعل وأخيه محمود جميعهم من العلماء.

والحق أن هذه القبيلة أنجبت على مر العصور شخصيات بارزة في ميدان العلم والفكر والعمل.

ومن هنا كان دور قبيلة العرابات بارزا في سني ثورتنا المباركة الأولى.

هذه هي بعض بلاد العرابات الواقعة بإقليم محافظة سوهاج من الديار المصرية وأهلها الذين سبق القول عنهم هم من ولد هواره كما ذكر ذلك القلقشندي في كتابيه صبح الأعشى ج ١ ، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان غير أنه ذكرهم بالعرايا - بالياء بدل الباء ولعله تحريف كما سبق التنبيه على ذلك.

وإن كنت تناولت ذكر هذه العائلات سالفه الذكر؛ لا على سبيل الحصر والبيان بل على سبيل المثال فقط حيث هناك كثير من العائلات غير ما ذكرناه تدخل في نطاق قبيلة العرابا أو العرابات.

ملاحظة عن نسب العرابات:

عرفنا أن هذه القبيلة عدها بعض المؤرخين في العصور المتقدمة أنها بطن من بطون هواره.

غير أن بعض نسابتهم يذكرون أنهم من ولد محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه.

وأیضا يؤكدون أنهم كانوا بالشرقية في الوجه البحري ثم نزحوا منها إلى البلاد الإخميمية؛ ومنها اتجهوا إلى بلادهم التي سبق الحديث عنها، وكانت أولى

البلاد التي استقروا بها بلدة أولاد سلامة، وعرابة أبو دهب، ثم اتجهوا شمالا حتى كانت نهايتهم بلدة الغابات جنوبا.

وإزاء هذين الرأيين: رأي المؤرخين الأول، ورأي نسابتهم - أي العرابات يمكن القول بأن كلا الرأيين صحيح، حيث عوامل الأحلاف لعبت دورا خطيرا في القرون الماضية في إدماج القبائل المتعددة المختلفة في قبيلة واحدة، هذا إذا ضم إلى ذلك عوامل التصاهر والمصلحة المشتركة والمكان. كل ذلك كفيل بمزج هذه العائلات المتحالفة في قبيلة واحدة أصبحت فيما بعد - قبيلة العرابات - التي هي أصلا من ولد هواره، ولذلك كثير من النظائر سبق بيانه في قبائل عديدة من العدنانيين امتزجت بهواره وساكتتها.

والذي يؤكد وحدة هذين البطينين في وحدة جامعة أن الهواريين من بني محمد الهواري كما هي شهرتهم بذلك وأيضا العدنانيين هم من ولد محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه.

فالاسمان متشابهان، فتطابقا. غير أن الراجح عن أبناء هذه القبيلة «العرابات» أنهم من ولد محمد بن أبي بكر الصديق لما يذكره نسابتهم ويؤكدونه، وطباعهم وتقاليدهم تؤيد ذلك. كما لا تغفل أن من بينها من ينتمي إلى القبائل الهوارية أو غيرها، وبموامل الأحلاف والتظاهر أصبح حيننا يذكر بعضهم أنهم هواريون والآخرين أنهم بكريون. «انظر البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين من ص ١١٥-١٦٥ مرحلة الأحلاف.

(١٧) الأهلة

من القبائل العربية التي تحدثت عنها أمهات الكتب التاريخية منذ مئات السنين قبيلة (عرب الأهلة) في الديار المصرية، وسوف تظل الكتب التاريخية في كل عصر تتحدث عن هذه القبيلة؛ مشيدة ببطولة بنينا وعزمهم الأكيد في خوض غمار ميادين الشرف والكرامة للذود عن حمى العروبة والإسلام.

أبطالكم خاضوا الحروب وخلفوا وجه الثرى بدم الجهاد خضيبا
 ثاروا - وقد رأوا العدو - وأقسموا ألا يروا بين البلاد غربا
 وعرب الأهله يرجع نسبهم إلى قبائل هواره كما ذكره القلقشندي في كتابيه .
 صبح الأعشى ج ١ ، وقلائد^(١) الجمان (تحقيق الأستاذ إبراهيم الإياري) .
 وقيل أن نسبتهم يذكرون أنهم من نسل حمير بن سبأ ، وكانت سكناهم بلاد
 المغرب ومنها نزحوا إلى مصر في العصر المتقدم ، ولا يخفى على القارئ أن هناك
 رأيا يرى^(٢) بأن هواره من ولد حمير بن سبأ .
 وقيل أيضا أنهم من ولد عدنان ، مع ملاحظة أن هناك بعض الآراء تميل إلى
 أن الهواره من ولد عدنان^(٣) .
 والحق أن كثرة المرويات في نسب عرب الأهله لهي آيات ناطقات بأن نسبهم
 في العروبة أعلى من الجبال الشاهقات . ومن الماثور أن كثرة الأسماء تدل على
 شرف المسمى .
 نسب به ابتهجي يا أمة العرب أكرم به لصلات الود من سبب
 ولنعد إلى ذكر موطن سكناهم - بمصر .
 يستوطن عرب الأهله بصعيد مصر منذ زمن بعيد ، ومواقع سكناهم تقع
 ضمن أعمال مركز طهطا بمحافظة سوهاج .

(١) ص ١٦٩

(٢) ص ٥٦ (البيان والإعراب عما نزل بأرض مصر من الأعراب) للمقريزي (تحقيق الدكتور عبدالمجيد

عابدين)

(٣) ص ٤٩ المرجع المتقدم ص ١٦٨ قلائد الجمان (الإياري) .

العبادة

أصل العبادة:

في تقاليدهم أنهم من نسل الزبير بن عوام^(١) القرشي أحد القواد الفاتحين لجنوب مصر. وقال أميديه جوبير: العبادة واللبايدة كثير و العدد في جرجا بصعيد مصر عام ١٧٩٨م.

وذكر أحمد لطفي السيد في قبائل العرب أن شيخ العبادة عام ١٩٣٥م كان يسمى منشح كرار ومقره إسنا في محافظة قنا.

قلت: وأغلبهم أهل إبل وغنم وهم يشغلون البراري الواقعة من شرق النيل من قنا إلى أسوان وشرقا حتى القصير على البحر الأحمر.

وذكر اللواء صلاح التايب في القبائل المصرية قائلا: العبادة أربع عمائر وتعرف بالبديئات، والعبادة (أولاد عباد) وهو جددهم المدفون في وادي عباد بالقرب من مدينة إدفو بأسوان، ومن أجداد العبادة عزاز الذي ينحدر من كهيل وهو جد الكواهلة في كردفان بالسودان، وقد روى ابن بطوطة المغربي أنه شاهد بعض قبائل كهيل (الكواهلة) تقيم على ساحل البحر الأحمر بالقرب من عيذاب بأسوان.

وفي الوقت الحاضر فإن العبادة لا يُنظر إليهم كعرب حقيقيين مثل جهينة والمعازة الذين لا يختلطون بهم كما سمعت منهم أن العبادة يشيرون لهؤلاء القبائل بكلمة عرب تميزا لهم عن العبادة واحدهم عبادي، والعبادة أقرب إلى

(١) ذكر أميديه جوبير أن العبادة من أصل نوبي يدعون النسب إلى الزبير بن العوام.

وذكر اللواء صلاح التايب نقلا عن شريعة الصحراء للواء رفعت الجوهري التالي: وأصبحت القبائل في مصر والسودان تفخر بالنسب إلى قریش وخاصة القادة والصحابه، وقد اختار البجا والعبادة على الاخص الزبير لينسبوا إليه تفاخرا به؛ وذلك عقب غزوة النوبة من الزبير بن العوام على رأس اثني عشر ألف مقاتل، وقد ساعد في فتح حصن أم دنين في القاهرة وقد جعل اسمه يدوي في وادي النيل حتى بلاد البجة، كما كان وجود عبد الله بن الزبير بن العوام على رأس الحملة السبب الذي ارتكبت عليه قبائل البجة في تجاهل اصلها الحامي واصطناع النسبة إلى الزبير بن العوام.

قبائل البجة من النوبة والبشارية سواء في المنظر أو العادات وغيرها، ويفصلهم عن قبيلة المعارة (بني عطية) شمالا خط عرض يمتد من قنا على النيل إلى بلدة الغردقة على البحر الأحمر وجنوبا إلى حدود السودان، كما يقيم بعضهم بالقرب من شواطئ النيل بالقرب من بلدة قنا شمالا إلى بلدة كورسكو جنوبا، وفي شمال القطر المصري بمحافظات الشرقية والدقهلية والغربية يقطن بعض من قبائل العباددة، ويقال إن هؤلاء انفصلوا من القبيلة الأصل في الصعيد عام ٩٢٥هـ - ١٥١٦م عقب غزو العثمانيين لمصر مباشرة وكانوا يقطنون بصحراء البحر الأحمر ثم نزحوا شمالا.

ويقدر الباحثون في مصر أن عدد العباددة فقط في الصحراء الشرقية يزيد عن ١٥,٠٠٠ نسمة خلاف من هم بالقرى على مقربة من النيل في أسوان وقنا وسوهاج.

وعمائر العباددة يسمونها بدينات وتنتهي دائما بكلمة آب ومعناها (أبناء) فالعشباب أبناء عشاب وهكذا.

(أ) العشباب (العباددة)^(١): وهم منتشرون في الصحراء الشرقية بين قنا وكورسكو، ومركز شيخهم مدينة أسوان، وأما آبارهم الشهيرة فهي أحмир وأنفاث وأبريق ومن عشائهم محمود آب وفيه فخوذ تبلغ ١٤ فخذا منها عيد ناب وعمر ناب ... إلخ، والكريشاب ومنه فخوذ عدة وهم صيادو أسماك على ساحل البحر الأحمر ويصيدون الأسماك بالحراش لا بالشباك! وكل معيشتهم على الأسماك حتى إن إيلهم تتغذى عليها!! ومن المعروف عن الكريشاب أنهم يشربون الماء قليل العذوبة الذي ينشلونه عند مصب الوديان في البحر الأحمر.

(ب) مليكاب (العباددة): وهم أربع عشائر أهمها بدر باب مليكاب، وسعد حميداب، ويوسف باب ويقيمون غالبا بين بلدة دراو وبربر بالسودان، وأشهر آبارهم بئر المرات ومركز شيخهم في بلدة دراو بأسوان وهي بحري مدينة أسوان وبها مركز تجارة الإبل المجمع من السودان وجنوب الصعيد.

(١) توجد نجوع للعباددة في قنا ويسمى نجع البرج ونجوع في الأقصر بقنا وإسنا بقنا وإدفو بأسوان، وغرب طوخ العباددة في قوص بقنا

(ج) الفقراء (العبادة): وهم متفرقون في شرق النيل بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم بلدة الرمادي قرب إدفو بأسوان.

(د) العوديين والشناتير (العبادة): وهم شرق النيل وبين قنا وكورسكو ومركز شيخهم بلدة السيالة بحري كورسكو، وفي مركز إدفو منهم قسم آخر. ذكر الجبرتي نصوصا عن قبيلة العبادة نذكر منها التالي:

- تعهدت قبيلة العبادة بنقل الحجاج من السويس مقابل أتاوات يقدمها أمير الحج، ولكن في حالة الامتناع عن تقديم هذه الأموال تقوم القبيلة بالاعتداء على الحاج^(١).

- وصل الأمر بعربان العبادة في عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م أن نهبوا قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس وكانت بضائع تلك القافلة محمولة على ستة آلاف جمل^(٢).

وذكر الدكتور حمدنا الله مصطفى حسن عن العبادة^(٣):

أصول العبادة ومجتمعهم:

العبادة هي واحدة من القبائل التي انتشرت في كل من مصر والسودان. ففي مصر احتلت مواطنهم الصحراء الشرقية جنوب خط يصل بين سفاجة وقنا شمالا والبحر الأحمر شرقا ووادي النيل غربا والحدود الإدارية جنوبا. أما في السودان فلهم مواطن أخرى امتدت عبر طريق القوافل القديمة بين بربر ودراو وأبو حمد وكورسكو. وقد تركزت مجموعات منهم في منطقة بربر وصحراء بيوضة ومنطقة بطن الحجر^(٤).

وفي مصر تركز العبادة في نطاقات تُسمى بالخواجر وهي مناطق انتقال بين الهضبة الصحراوية والوادي الأخضر، وتطل حافة الهضبة على الوادي مباشرة.

(١) الجبرتي ج ٢ حوادث شوال ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م ص ١٦٢.

(٢) المرجع: تاريخ الجبرتي ج ١ حوادث ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

(٣) انظر العبادة تحت الإدارة المصرية في السودان ١٨٢٠-١٨٩٧م.

(٤) محمد رياض: العبادة. دراسة في الاقتصاد الصحراوي. الجمعية الجغرافية، ص ١.

وعلى هذا فقد استقر العباددة في قنا وقوص والأقصر وأرمنت شرقي النيل، وفي إسنا وإدفو وكوم أمبو شرقي وغربي النيل، أما في أسوان وبلاد النوبة فكان تركزمهم في شرقي النيل^(١).

ويبدو أن اسم العباددة قد اشتق من سلفهم عباد الذي اختفى اسمه من صفحة التاريخ، إلا أن هذا الاسم ظل باقيا في وادي عباد المواجه لمدينة إدفو^(٢).

أما أصول العباددة ومدى صلتهم بالعروبة فقد كان مثار جدل بين الباحثين ممن تعرضوا لدراسة المجموعات السكانية في أفريقيا ولا سيما تلك التي استقرت في مصر والسودان. ولما كانت هذه المسألة شائكة جدا ويصعب القطع فيها برأي نهائي رغم تعدد وسائل المعرفة العلمية وتقدم علمي الأجناس والاجتماع، فإنه من الصعب الآن القطع بوجود مجموعات سكانية نقية خالصة؛ نظرا لحركة الهجرات الدائمة بين البلدان العربية والإسلامية واختلاط الأنساب، لا سيما وأن معظم المهاجرين كانوا من المسلمين الذين لا يجدون مانعا شرعيا في الزواج من غيرهم من المسلمين أو حتى من أهل الكتاب. وعلى هذا النحو حدث نوع من الامتزاج بين القبائل أدى إلى بروز عنصر جديد ذي سمات وملامح جديدة وإن احتفظ إلى حد ما بالجذور الأولى. ومع ذلك كله ورغم هذا التعقد العرقي فقد ظلت كل قبيلة تحتفظ لنفسها بنسب يتوارثه أبناؤها جيلا بعد جيل.

ويؤكد العباددة أنهم يرجعون في أصولهم إلى سلالة الزبير بن العوام أحد القواد الأربعة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب لنجدة عمرو بن العاص الذي كان يحاصر المقوقس خلال فتح مصر^(٣). ولا يزلون

(١) نفس المرجع، ص ١.

(٢) محمود محمد الحويري. أسوان في العصور الوسطى، ص ٢٥٠.

(٣) حسن أحمد خليفة العبادي - من زوايا التاريخ السوداني في القرن التاسع عشر، ص ٥.

انظر أيضا، جريدة صوت العرب، العدد الأول بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٤٨، مقال بعنوان: اعرف بلادك

دراو العربية، ص ٧. انظر أيضا: نعم شقير تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ص ٥.

حتى اليوم يحتفظون بهذا النسب رغم أن البعض لا يقرهم في ذلك^(١).

وقد خلط أكثر الباحثين بين قبيلة العباددة وبين قبيلة البشارية الذين هم فرع من البيجاه؛ نظرا لتجاور أوطانهم بل واختلاطها أحيانا كثيرة في الصحراء الشرقية على طول الحدود بين مصر والسودان.

فعند سليجمان ومحمد عوض وما جاء في الموسوعة البريطانية ومن أخذ عنهم أن العباددة فرع من البيجاه وأنهم كانوا فيما مضى يتكلمون اللغة التويداوية Tobedawi لغة البشارية والهندودة وهي لغة حامية غير أنهم فقدوا لسانهم القديم ويتكلمون الآن العربية^(٢).

(١) قلت: ذكر القلقشندي في نهاية الإرب وصيح الأعشى (العباددة) ضمن بطون من هواراة وقال إنهم منتشرون في بلاد الصعيد في عهده (القرن الثامن الهجري).
انظر نهاية الإرب ص ٤٤١-٤٤٢.
ولا يستبعد أن يكون العباددة هؤلاء انفصلوا عن الهواراة قبل ستة قرون وشكلوا قبيلة قائمة بذاتها وقد جاورت قبائل البيجاه في جنوب مصر وشمال السودان ثم أخذت عنهم النسب إلى الزبير بن العوام حسب تقاليدهم.

وذكر اللواء رفعت الجوهري في شريعة الصحراء عن البيجاه قائلا:

تنقسم إلى قبائل عظيمة في مصر والسودان هي:

(١) في مصر: قبائل العباددة وفروعهم العشاباب والفقرا والمليكاب والعبوديين والشناثير، والبشاريين وفروعهم الحموراب والستيراب وغيرهم من النوبة وهم مؤلفون من البيجا والعريب.

(ب) في السودان: الأحرار ويسكنون الصحراء غرب البحر الأحمر أي شرق الدولة السودانية بين بربر وسواكن ومركزهم بئر أرياب وهم جملة فخذ، والهندودة ويسكنون بين عطبرة وسواكن وهم من أقوى القبائل السودانية ومركزهم كسلا بالسودان، والحلانقة ومركزهم كسلا، والجياياب وهم شرق بني عامر ويمتدون جنوب حتى دولة إريتريا.

(٢) سليجمان، س.ج: السلالات البشرية في أفريقيا. ترجمة يوسف خليل. مراجعة الدكتور محمد محمود الصياد. ص ٩١، ٩٢.

وانظر أيضا: محمد عوض محمد: السودان الشمالي. سكانه وقبائله. ص ٨٠، ٨٤.

وانظر أيضا: محمد محمود الحويري: المرجع السابق. ص ٢٥٢.

وانظر أيضا: Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol. I., London, 1960. P.I.

وانظر أيضا: Encyclopaedia Britannica. A new survey of Universal Knowledge,

. Vol. I, The University of Chicago, p.5

. Sudan Notes and Records, Vol. XVI, 1935, Part I, p. 137 وانظر أيضا:

وقبل أن نناقش هذا الرأي نود أن نحدد معنى العروبة الذي هو حجر الزاوية في هذه القضية وعن طريقه يمكن أن نعطى اللثام حول حقيقة انتساب العباددة إلى العروبة من عدمه .

والعروبة تحددها ثلاثة عناصر:

أولها: النسب العربي أو الدماء العربية، أي أن تكون الجماعة أو القبيلة لها صلة نسب عربي اشتق قديما أو حديثا من الجزيرة العربية ولو بطريق غير مباشر.

وثانيها: الديانة، وهي في هذه الحالة الإسلام الذي حمل رسالته النبي العربي محمد بن عبد الله ﷺ وانتشر على يد العرب وأتباعهم إلى سائر البلاد والأقطار.

وثالثها: اللغة العربية التي انتشرت بانتشار العرب وافتبستها وتأثرت بها شعوب كثيرة اتصلت بالعرب وصاهرتهم وأصبحت بذلك ركنا أساسيا من أركان العروبة^(١).

وبناء على ما تقدم يمكننا القول بأن العبادة من القبائل العربية التي امتزجت بالقبائل الأخرى فيمن حولها واحتفظت بنسب عربي، وأنها كانت ولا تزال تتحدث العربية وتدين بالإسلام. وعلى ذلك فالأركان الثلاثة للعروبة متوفرة فيها تماما.

ولست مع القول الذي أورده سليجمان وغيره بأن العبادة فرع من البيجاه .
فقد استندوا جميعا على تجاور الأوطان واختلاطها لكل من العبادة والبيجاه .
وتشابه الشكل وادعاء اللغة المشتركة . ورغم وجاهة وأهمية هذين العنصرين فإننا
نتساءل متى كان لتجاور السكنى أو حتى لتشابه الملامح أثر في ذلك؟ وإلا
لأصبحت قبائل كثيرة متجاورة ومتشابهة الملامح من أصل واحد! .

ودليلنا في ذلك، على سبيل المثال، قبيلة أو بلدة وادي العرب التي عاشت
مئات السنين - ولا تزال - في قلب أوطان النوبيين المتسعة الأرجاء ولم تأخذ

(١) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة،

عنهم لغتهم البتة ولم تمح أصولها العربية وإن تشابهت وتطابقت - أحيانا - ملامح أبنائها إلى حد كبير من ملامح النوبيين ذوي البشرة السمراء. كذلك فإنه لم يزعم أحد أن سكان بلدة وادي العرب من أصول نوبية!

ونود أن نضيف إلى ذلك كله أن العباددة لم يتكلموا البتة لغة البيجاه بل تحدثوا دوما اللغة العربية بلهجة خاصة بهم كسائر القبائل العربية. لكن ذلك كله لم يحل دون معرفة العباددة بضع كلمات أو عبارات من لغة البيجاه بحكم الجوار واختلاط المعاملات وهذا شيء طبيعي لدى كافة القبائل والشعوب المتجاورة.

ويبدو أن الكتّاب الأوربيين ومن نحا نحوهم وأخذوا عنهم - دون روية - هم الذين راحوا يشككون في النسب العربي لهذه القبائل كما حدث في السودان حين شكك «ماكمايكل» في النسب العربي لبعض القبائل العربية في السودان ولا سيما في غربه بالنسبة لقبائل البقارة ذات الألوان الأبنوسية^(١).

وإذا كانت هذه القبائل لم تحتفظ بوثائق تثبت صحة أصولها العربية في هذا الشأن إلا أنها احتفظت في ذاكرتها بأصول أنسابها وتناقلته بدقة وحرصت عليه حرصها على دينها. والأهم من هذا وذاك أن السكان الآخرين المحيطين بهذه القبائل يقرون بنسبهم العربي. وهذا التشكيك والارتياب أساسا من صنع الكتّاب الأوربيين الذين وصلوا إلى حد الخلط بين النوبيين في جنوب مصر وشمال السودان وبين النوباويين في غربي السودان على تلال كردفان لمجرد التشابه الشكلي في الاسم!^(٢)

ومع ذلك كله نلتمس قليلا من العذر لهؤلاء الكتّاب ومن سار على دربهم دون تمحيص في أن دراساتهم قد شابها شيء من التعميم الشديد دون الأخذ في الاعتبار بعض الفروق الجوهرية فانخدعوا بالمظاهر الشكلية اللونية، ناهيك عن غياب

Mac Michael, O.S.O.: A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge, (١)

. 1922, p. 197

(٢) انظر: السعيد إبراهيم البدوي: النوباويون. دراسة تاريخية أنثروبولوجية. مجلة الجمعية الجغرافية. العدد رقم ٦ لعام ١٩٧٣، ص ١١٥ وما بعدها.

الوثائق التي تؤرخ لتاريخ هذه القبائل وهي مشكلة لا تزال تؤرق الباحثين في تاريخ أفريقيا الحديث. وقد زاد المشكلة تعقيدا أن كثيرا من الممالك الأفريقية المجاورة لبعض هذه القبائل مثل غانا ومالي والبرنو قد راحت تتلمس لنفسها أصولا وأنسابا عربية شرقية بعد انتشار الإسلام بين أبنائها ومن ثم راح المؤرخون الأوروبيون يشككون في كل شيء.

أقسام العباددة في صعيد مصر وشمالى السودان:

وينقسم العباددة إلى أربع مجموعات قبلية:

١- العشاباب.

٢- الفقرا.

٣- المليكاب.

٤- العبودية والشناطير.

وإذا حاولنا تتبع مراكز استقرار هذه المجموعات فإننا نلاحظ أنها موزعة على النحو التالى:

* فى جنوب مركز قنا: الشناطر والعشاباب.

* فى قفط وحاجرها الشرقى: العبوديون والشناطر والفقرا والمليكاب.

* فى قوص وحاجرها الشرقى: توجد بيوت من جميع قبائل العباددة.

* فى شنهور وحاجرها: يوجد الفقرا والمليكاب والعبوديون والشناطر.

* الأقصر وحاجرها: معظمها من العبوديين بالإضافة إلى الشناطر

والعشاباب وعدد قليل من الفقرا والمليكاب.

* إسنا وحاجرها الشرقى: العبوديون والشناطر.

* إدفو شرق وحاجرها: العبوديون والشناطر والعشاباب.

* الرديسة وحاجرها: العبوديون والشناطر والفقرا والمليكاب والعشاباب.

* قرية إقليت: بها عشاباب وفقرا ومليكاب وقليل من العبوديين بالإضافة إلى الشناطير.

* قرية الشطب: أكثرهم من العبوديين والشناطير.

* منطقة حاجر كوم أمبو: عشاباب.

* منطقة دراو: أكثرها من الفقرا والمليكاب وهي مركز كبير لهم. ويعتبر بيت آل خليفة من أكبر بيوتات العبادة في هذه المنطقة.

* قرية بنبان: وتقع على الضفة الغربية للنيل وبها عبادة من الفقرا والمليكاب.

* منطقة شمال أسوان: معظمها من العشاباب.

* النوبة المصرية: وبها أعداد من العشاباب يتشرون في دهميت ومارية، وقرطة، والعلاقي، والدكة، وتوشكه شرق. كما توجد أعداد من المليكاب والفقرا في منطقة كرسكو، وبعض البيوت للعبوديين والشناطير في سيالة والمحرقه ووادي العرب^(١).

ويتركز العبادة في السودان بوجه عام في الشمال ولا سيما في بربر وما حولها وأغلبهم من المليكاب. كذلك فقد استوطن دنقلة كثيرون منهم سكنوا الجبل الشرقي وأصابوا مالا كثيرا ونفودا كبيرا إلا أنه حين وصل الممالك إلى هذه المنطقة ارتد العبادة منها إلى مصر^(٢).

وهناك عدة ملاحظات حول التوزيع السابق للعبادة:

أولا: لا توجد مناطق خاصة بقبيلة عبادية بعينها، بل إنه كلما سنحت فرصة لاستقرار بعض البدو فإنهم غالبا ما ينزحون إلى مناطق سبقهم إليها عبادة آخرون أيا كانت تبعيتهم القبلية.

(١) كوثر عبد الرسول: استقرار البدو في جهات الصعيد. مجلة الجمعية المصرية الجغرافية وهي محاضرة أقيمت بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٩٦٢. ص ١٤٢-١٤٤.

انظر أيضا: نعم شقير: المصدر السابق. الجزء الأول. ص ٥٠.

(٢) بوركهات: رحلات بوركهات في بلاد النوبة والسودان. ص ٥٨.

ثانيا: أصبحت مناطق شرقي النيل أكثر مناطق الاستقرار، أما مناطق غربي النيل فلم تكن مناطق جذب كثيرة للعبادة اللهم إلا في منطقة إدفو، وذلك راجع إلى مرحلة استقرار متقدمة التزمت بالمناطق الزراعية وبخاصة في منطقة إدفو غربي النيل.

ثالثاً: أن الكثير من مناطق الاستقرار السابق ذكرها في شرقي النيل يقع على بدايات الطرق والأودية التي تعبر الصحراء الشرقية مثل منطقة الأقصر وقوص وإدفو شرق ودراو والعلاقي وسيالة وكركسو^(١).

مجتمع العبادة:

قد يكون من الصعب الحديث عن طبقات داخل مجتمع العبادة لأن التطورات الاقتصادية والاجتماعية داخل هذا المجتمع اختلفت تماما عن مجتمعات أوروبا التي أخذت بهذه التقسيمات، ولكن مع ذلك يمكن الحديث عن شيء من التمايز الاجتماعي داخل هذا المجتمع على النحو التالي:

١- المشايخ ورؤساء القبائل:

يمكننا أن نضع المشايخ ورؤساء القبائل في أعلى السلم الاجتماعي عند العبادة. وعادة ما يكون هؤلاء المشايخ والرؤساء من بين أكبر القبائل حجما وثروة وجاها. وتنحصر وظيفتهم في إدارة شئون القبيلة ولا سيما مسألة التحكيم بين أفراد القبيلة في المشاجرات والاختلافات التي تنشأ داخل أفرادها، وهي غالبا ما تكون بسبب المرعى والحيوانات. فالحياة في الصحراء مرتبطة بسقوط الأمطار، وسقوطها في مكان دون الآخر الأمر الذي يجعل الرعاة يتكدسون في بقعة دون أخرى فيحدث الاحتكاك والتلاحم والشجار.

والواقع أن مهمة هؤلاء المشايخ ورؤساء القبائل كانت سهلة إلى حد كبير، فتزاعات القبائل نادرة جداً، فالصحراء شاسعة تسع الجميع وعوامل الالتصاق والتجمع نادرة جداً، الأمر الذي طبع رجال العباددة وجيرانهم من سكان الصحراء بطابع الهدوء والأمانة الشديدة فلا سرقات ولا حوادث قتل.

(١) كوثر عبد الرسول: المرجع السابق. ص ٤٤.

ويحتكم المشايخ والرؤساء في حل المنازعات إلى الأعراف والتقاليد وهي أعراف وتقاليد حفظوها على مر الأيام بحيث أصبحت متغلغلة في دمائهم. فمجلس التحكيم أو مجلس «الأجاويد» كما يطلق عليه أحيانا يتكون من هؤلاء المشايخ والرؤساء وغالبا ما يكونون من كبار السن. ويمثل الطرفان المتنازعان أمام هذه المحكمة العلنية التي يحضرها رجال القبيلة من الطرفين المتنازعين ويعرض المتخاصمان كل على حدة قضيته أو وجهة نظره ثم يترك الحكم النهائي للمجلس الذي يصدر حكمه في نهاية الجلسة. ويتقبل الطرفان الحكم بصدر رحب ويصافح كل منهما الآخر إيذانا بانتهاء الخصومة وبداية صفحة جديدة. ولا يتم كتابة محضر صلح لأن الصلح هنا قد جرى علانية وأمام جمع كبير من الناس فيهم كبار السن وصغار السن وهم بمثابة شهود على ذلك. ويختتم الصلح بقراءة الفاتحة، فالناس هنا شديدو التدين.

وغالبا ما يكون الجزاء الموقع على المخطئ هنا هو دفع أعداد من الإبل ، وفي أحيان كثيرة يتنازل صاحب الحق عن حقه بعد الإقرار به إكراما للمجلس والحاضرين فيزداد إكبارا بين أفراد القبيلة وتوثق عرى المودة بين الطرفين المتخاصمين^(١).

ومن الجدير بالذكر أن العبادة قد تمسكوا بهذا التحكيم العرفي حتى وإن تفرقوا أو أقاموا في وسط سكان من غير العبادة. وقد حرصت الحكومة على الإفادة من تماسكهم الاجتماعي فأقرت أن يكون لهم شيخ من بني جلدتهم ينضوي تحت لوائه كافة العبادة الموزعين في البلدان المجاورة له القيام بهذه المهمة،

(١) لما كان للمشايخ في السودان دور كبير في حل المنازعات فقد صدرت بعد ذلك عدة تشريعات تمنحهم بعض السلطات على أفراد قبائلهم مثل قانون سلطات المشايخ الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٢٢ والذي منح هؤلاء المشايخ سلطات قضائية محدودة وتمثل في معاقبة رجال قبائلهم وفرض خصوماتهم. وفي عام ١٩٢٧ صدر قانون سلطات المشايخ الذي ألقى قانون سلطات المشايخ الأول (١٩٢٢). وقد جاء الأخير عاما يشمل القبائل الزحل وغير الرحل، وبموجبه خول للحاكم العام تعيين محاكم المشايخ في أي مكان بالسودان. وأصبح مشايخ القبائل يمارسون سلطات قضائية واسعة. (انظر: إبراهيم محمد حاج موسى: التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم في السودان. ص ١٣-١٤) انظر أيضا: تقرير الحاكم العام السنوي لسنة ١٩٢١

بالإضافة إلى تكليفه بالقيام بمهمة إدارية إذ إن هؤلاء المشايخ كانوا بمثابة حلقة وصل بين العباددة ورجال الإدارة الحكومية فهؤلاء المشايخ يعرفون كل كبيرة وصغيرة عن كل عبادي في البوادي والحضر.

ومع تطور الإدارة الحديثة في مصر واستقرار بعض العباددة في القرى المجاورة للنيل واختلاطهم ببقية السكان الآخرين من غير العباددة ظل العباددة محافظين على تبعيتهم لشيخ واحد من بني جلدتهم محافظة منهم على تماسك القبيلة^(١).

٢- قصاصو الأثر (الأدلاء):

ويأتي أصحاب هذه الحرفة - من حيث الأهمية - بعد المشايخ ورؤساء القبائل نظرا لأهمية الدور الذي يقومون به في هذا المجال.

ولقد ارتبطت هذه الحرفة بالبيئة التي نشأ فيها العباددة حيث الصحراء الشاسعة والجبال والأودية، الأمر الذي يؤدي إلى مخاطر كثيرة للتجار والمسافرين عبر هذه الصحراء. وهذه الوظيفة تعد في نظرهم فنا من الفنون، ولكنه لا يندرج تحت تلك الفنون التي تهدف إلى خدمة ذاتها، بل إنه فن يخدم المجتمع الصحراوي أجل الخدمات، فكثير من عابري الصحراء يضلُّون الطريق ولا يعرف لهم سبيل وهنا تتم الاستعانة بالعباددة فيقومون بهذه المهمة خير قيام^(٢). كذلك

(١) ففي شهر نوفمبر عام ١٩٤٥ اعترض أفراد قبيلة «الفقرا والمليكاب» بقرية الشطب بأسوان على سعي الحكومة في فصل هذه القبيلة إلى فرعين لكل فرع عمدة خاص، والتمسوا من رئيس الديوان الملكي أن يرفع التماسهم إلى جلالة الملك فاروق. وراحوا يشرحون أسباب اعتراضهم على هذا الفصل وخطورته «... نظرا لما يترتب عليه من منازعات ووجود خصومات بين أفراد القبيلة الذين هم أبناء رجل واحد ولا يفرقون في النسب».

ومضي الالتماس في شرح القضية بأن «... هذه القبيلة من عهد (محمد علي باشا) إلى يومنا هذا لم يكن لها إلا عمدة واحد، كما لا يوجد من أفرادها من يرغب الفصل غير شخص واحد لغرض في نفسه». وفي النهاية أكد الملتصقون أنهم ليسوا بحاجة إلى إجراء التعديل لا سيما وأن عمدة القبيلة مستقرة منذ مائتي سنة ولا داعي لإجراء هذا الفصل في كيانها. (محافظ عابدين - محفظة رقم ٤٢ التماسات ٥٥٥، العريان (٢٢/٥/١٩٠٣ - ١٩٤٨/١/١٨). التماس إلى صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان الملكي بتاريخ ١٩٤٤/١١/٣٠. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) بوركهارت: المصدر السابق. ص ١٢٨.

فإن أصحاب هذه الحرفة يقومون بدور هام في الحياة اليومية العادية حيث يقومون بتعقب العير الشاردة والنعاج الضالة. كما يساعد هذا الفن في معرفة الأخبار داخل مجتمع العباددة. فعلى سبيل المثال إذا مر أحد الرعاة على مكان أسرة من أسر العباددة ولم يجدها في مكانها الذي تركها فيه آخر مرة فإنه يتمكن بسهولة من التعرف على المكان الجديد الذي ذهبوا إليه والطريق الذي سلكوه إلى هذا المستقر الجديد. كذلك يقوم أصحاب هذه الحرفة في المعاونة على اكتشاف الجرائم وتعقب المهربين وغيرهم من المجرمين الهاربين في الصحراء.

ومعروف أن لكل فن قواعد وأسس يقوم عليها. والقاعدة الأساسية لفن اقتفاء الأثر هي أن «القاطع أحدث من المقطوع» بمعنى أنك إذا وجدت أثرا لسيارة أو لقدم آدمية مثلا تقطع أثرا آخر فمعنى ذلك أن صاحب القاطع قد وطئ المكان بعد صاحب الأثر المقطوع وأنه مر من هذا المكان في زمن لاحق ويمكنك أن تقرأ قصصا كاملة على أرض الصحراء^(١).

ويستطيع القائمون على هذا الفن أن يميزوا بسهولة بين أثر المرأة وأثر الرجل والحامل والبكر والثيب. كما يمكنهم تقدير الوزن والطول وما إذا كان الرجل أعمى أو مبصرا أو يبصر بعينه اليمنى أو اليسرى فقط. كذلك فلإنهم يميزون ببراعة شخصا عن آخر فيقولون هذه مشية عبادي وتلك مشية رجل غريب وهل هو كهل أو شاب، مستريح أو منهك، متردد أو واثق، خائف أو مطمئن!.

وليس بمستغرب على العباددة من سكان الصحراء أن يصلوا إلى هذه المرحلة العالية من الخبرة في اقتفاء الأثر وقيادة القوافل فهو عالمهم الذي نشأوا فيه وخبروا دروبه وجباله؛ لهذا كله استعانت الحكومة المصرية في جيشها بهؤلاء الرجال ولا سيما في سلاح الحدود لأداء مهمة اقتفاء الأثر. وقد حافظ العباددة على هذه المهنة وإن تغيرت وسيلة الانتقال حيث حلت السيارة محل الجمل في أحيان كثيرة.

(١) سمير خواسك: في بلاد العباددة. ص ٦٤.

٣- الرعاة:

ومن الأعمال التي اشتهر بها العباددة أيضا الرعي فهو يمثل حرفة هامة لدى عباددة الصحراء . وأهم الحيوانات التي يربهاها العباددة الماعز والإبل والضأن، وإذا كانت الماعز تأتي أهميتها في المرتبة الأولى من حيث العدد إلا أن الإبل تحتل المكانة الأولى من عدة جوانب، منها الثروة والنظرة الاجتماعية، فمجتمع العباددة الصحراوي يدور في كثير من نظمه حول رعي الإبل . وإذا كان الماعز والضأن هما المصدر الأساسي للحوم عند العباددة، إلا أن الإبل تشارك الماعز والضأن كمصدر للألبان التي تعد الغذاء الرئيسي للعباددة . كذلك فإن الإبل تشكل الوسيلة الوحيدة للركوب والانتقال والنقل في الصحراء المتسعة الأرجاء القليلة الماء .

ولما كان الجمل يعد مصدرا للثروة عند العباددة في الصحراء فإنه كان محورا للتمايز الاجتماعي . فمن يمتلك رؤوسا عديدة من الإبل تصبح له مكانة خاصة بين أفراد عشيرته، وربما نشأت رئاسات ومشیخات البطون والعشائر والقبائل أصلا عن مدى ما تتمتع به من ثروة تجعلها في موضع اجتماعي مرموق .

ولقد أدى انتقال عدد كبير من العباددة إلى الوادي واستقرارهم فيه إلى انتقال المشیخات من الصحراء إلى الريف وأصبحت الثروة - في مراحلها الأولى - تقاس بالعشور التي يدفعها أفراد القبيلة إلى شیخهم حينما يأتون بإبلهم إلى السوق لبيعها ثم استثمرت هذه الثروة في الأرض وأصبح كثير من رؤساء القبائل يمتلكون مساحات متفاوتة من الأرض الزراعية^(١) .

٤- التجار:

أصبحت التجارة جزءا أساسيا من اقتصاديات العباددة في الصحراء . وتأتي الجمال على قائمة الصادرات التي يقوم العباددة بتصديرها - إذا جاز استخدام كلمة صادرات - إلى الأسواق ولا سيما سوق دراو بأسوان فهذه السوق تعتبر نهاية أهم الطرق الصحراوية بين مصر والسودان في الجزء الشرقي من الصحراء . ويعتبر تجار

(١) محمد رياض: المرجع السابق . ص ٩ .

الجمال - على وجه الخصوص - من أصحاب الموارد الكبيرة نظرا لارتفاع أثمان الإبل وزيادة الطلب عليها في مصر.

كذلك فإن العباددة يبيعون الفحم النباتي في معظم أسواق قرى أسوان وقنا والبحر الأحمر وليس لهذه السلعة موسم معين وكانوا يحملونه إلى النيل فيشحنه التجار بالمراكب إلى القاهرة^(١).

كذلك فقد شكلت الأعشاب الطبية جزءا من صادراتهم. ويشتري العباددة ولا سيما من سوق دراو وارداتهم واحتياجاتهم الضرورية والتي تمثل في الذرة والمنسوجات والأواني النحاسية.

وقد شارك العباددة كغيرهم من التجار في القرن التاسع عشر في تجارة الرقيق، بل وتقاضى شيوخهم ضريبة عن كل رقيق يمر عبر الصحراء^(٢).

٥- عمال التعدين:

ومع التطورات الحديثة والبحث عن المعادن في الصحراء الشرقية لمصر واقترب هذه العمليات من مواطن العباددة كان لابد أن يشارك العباددة في هذه المهمة حيث تم الاستعانة ببعضهم كعمال وخفراء ومساعددين في أعمال الميكانيكا أو كسائقين أو العمل في وظيفة «ولاع ديناميت» أو «عطشجي» لقطارات المناجم.

ونتيجة لعملية الكشف أيضا نزحت بعض الأسر العباددة إلى قرى ومدن البحر الأحمر مثل سفاجة والقصير وإلى بلاد صغيرة نشأت على اكتاف الاكتشافات والمناجم مثل «حماضات» و «الحمراوين» وهي قرى صغيرة ظهرت في الصحراء الشرقية قريبة من مناجم الفوسفات بدأت بمساكن للجيوولوجيين والمهندسين والعمال الذين جاءوا لإدارتها ومعهم عائلاتهم، ثم ازدادت مقوماتها بعد أن قام البعض بفتح دكاكين صغيرة ثم بني جامع وظهر بجواره ما يشبه المدرسة أو الوحدة الصحية. وهكذا استمر نمو المرافق حتى اكتملت القرية.

(١) بوركهارت: امصدر السابق. ص ١٣٤.

(٢) نفس المصدر. ص ٣٧١.

وما إن يكتسب العبادي مهارة تعينه على المعيشة في البيئة الجديدة حتى ينزح إلى هذه المناطق ولكن على مشارفها. ففي الطرف الجنوبي للقصور يوجد تجمع للعبادة وكذلك في حماضات بلد الفوسفات.

ومن الجدير بالذكر أن العبادة من سكان الجبال ينظرون إلى إخوانهم من العبادة الذين استقروا كعمال في المناطق الجديدة والمتجاورة للمناجم على أنهم مرفهون لدرجة أن الفتاة العبادية التي تعيش في الصحراء وقسوتها تأنف أن تقترن بشاب من بين أولئك المترفين!

وضع المرأة العبادية:

ويشارك الرجل العبادي نساءه في الأعمال التي يقسم بها، فهو يستطيع تشييد الموقد الخاص بالطعام كما أنه يستطيع خبز «الرقاق» وطهي اللحوم. كذلك فهي تقوم بأعماله أيضا إن غاب في سفره فترعى الإبل والأغنام وتجدد الاحتطاب. كما أنها تعرف أسماء الأودية والجبال وتهتدي في طريقها بالجبال العالية ومواقع النجوم وتصنع ثياب زوجها وتغزل صوف النعاج ووبر الإبل.

وتقوم المرأة العبادية ببناء الخيمة؛ لذلك فإن الخيمة تعد ملكا لها، وتقام الخيمة في الغالب في مكان مرتفع نسبيا. ولا يوجد في الواقع أي نوع من الأثاث سوى بعض الغطاءات الصوفية التي تقوم المرأة بغزلها^(١).

والمرأة العبادية مخلصة لزوجها فهي تتزوج عادة في سن الثانية عشرة من عمرها ولا غربة في أن يكون زوجها صبيا في مثل سنها أو شيخا في عمر أجدادها، ففي كلتا الحالتين تكن له ولاء واحتراما. وإن مات لا تفكر في الزواج من غيره قبل مرور أعوام طويلة وتحت ضغط البيئة الصحراوية وضغط اجتماعي شديد. وتظل تحفظ عهده وذكره مع زوجها الجديد الذي يشجعها بدوره على هذا ويشاركها احترام زوجها الراحل فيذهب سويا لزيارة قبره في الوادي الذي دفن فيه مهما بعدت شقة السفر^(٢).

وتعد المرأة العبادية في الصحراء شديدة التحفظ ليس في الجوهر فقط وإنما أيضا في المظهر. فإن مر بها أحد الغرباء أو سمعت صوت سيارة أدارت ظهرها

(١) محمد رياض: العبادة. دراسة في الاقتصاد الصحراوي. ص ٢٤.

(٢) سمير خواصك: المرجع السابق. ص ٥٠-٥١.

وجلست القرفصاء ووضعت رأسها بين ساقَيْها ورمت غطاءً على جسمها كله وبدت وكأنها كومة سوداء.

وإذا كان هذا التحفظ يحدث تجاه الغرباء فلإن هذا التحفظ يزول في مجتمع العباددة الداخلي. فالزواة العبادية تقابل الرجال من العباددة وتناقشهم في كل شأن من شئون الحياة. وتلتقي الفتاة المخطوبة بخطيبها أمام الأهل، ويرعيان الأغنام معا طوال النهار ويجريان ويمرحان ويتسامران سويا في أي فج من فجاج الصحراء، وقد يسافران معا من بئر إلى أخرى^(١).

عادات وتقاليد:

وهناك بعض العادات والتقاليد عند العباددة حافظوا عليها. فعند ولادة طفل تذبح الذبائح ويأكل منها الجميع وكذلك عند الختان (الطهور). وأما بالنسبة للزواج فيختلف عند سكان الصحراء عن أمثالهم في الريف والمدن. ففي الصحراء يتم مبكرا جدا كما سبق الإشارة. وغالبا ما يكون المهر من الإبل الغنم^(٢).

وأما مسكن الزوجية فهو كسائر مساكن العباددة في الصحراء يتكون من خيمة تعد للعروسين وهي تتكون من «الأبراش» ووبر الجمال. ويقام احتفال للعروسين تكثر فيه الذبائح وتأتي إليه بطون القبيلة من كل دروب الصحراء. ويظلون يرقصون بالسيوف ولهم في ذلك جلبة شديدة.

وإذا كان هذا ما يحدث في الزواج فلإن الطلاق يكاد لا يعرفه مجتمع العباددة، بل عرف مسألة تعدد الزوجات. والأخيرة مرتبطة بالعدالة التي يحاول العبادي بقدر الإمكان أن يوفرها لزوجاته. وقد يكون مرد ذلك أن معظم الزيجات التي تتم تكون من داخل القبيلة الواحدة التي تجمع بينها أواصر القرى والجوار بالإضافة إلى عملية «تبادل المصاهرة» - إن جاز هذا التعبير - فيما بين أبناء القبيلة الواحدة والتي يستحيل فيها الطلاق. فلو فرض أن طلق زوج زوجته ففي الحال سوف تلقى أخته نفس المصير. ويمكن أن نضيف سببا آخر لندرة الطلاق بين العباددة وقبائل الصحراء يشكل عام من يجاورهم ويتمثل في شدة تمسك العباددة

(١) سمير خواسك: المرجع السابق. ص ٥١.

(٢) بوركهات: المصدر السابق. ص ١٢٦.

بالدين الإسلامي، فعلى الرغم من ترخيصه الطلاق بشروط فهو يعتبر أبغض الحلال عند الله؛ ولذلك فمن النادر اللجوء إليه.

وقد لاحظ بوركهارت في رحلته إلى السودان في أوائل القرن التاسع عشر أن عبادة القراريش برغم فقرهم يأبون أن يزوجوا بناتهم للنوبيين^(١).

وأما العادات المرتبطة بالوفاة وبعد موارة المتوفى التراب يتلقى أهله العزاء لمدة تصل إلى أسبوع، ثم يجدد الاحتفال بذكرى المتوفى بعد أربعين يوما، وأخيرا بعد حول كامل، ويسمى الاحتفال الأخير باسم (الحولية)^(٢). ففي حالة وفاة شخص عظيم يستمر العزاء لمدة أطول حتى تحضر كافة القبائل الموزعة في الصحراء حيث إنه من المتعذر أن تعلم كافة القبائل في وقت واحد، وغالبا ما يأتي هؤلاء ومعهم الهدايا من الإبل والنقود لأهل المتوفى.

والعبادة بشكل عام لا يتكلمون كثيرا كسائر أهل المدن أو المقيمين حول النهر. وربما يعود ذلك إلى حياة الصحراء التي علمتهم الصمت وربما تدربوا على هذه الخصلة كضرورة لحياتهم في تلك البقاع. . فالصمت يقلل من الظمأ فيوفر بعض الماء. وبالإضافة إلى هذا العامل فلإن اتساع الصحراء وتفرق الناس بين شعابها لا يتيح اللقاء كثيرا فأصبحت الوحدة والانفراد يشكلان عالم الرجل العبادي والبدوي بشكل عام في الصحراء.

ومن الأمور التي يجدر الإشارة إليها الطب عند العبادة وهو عبارة عن صفات ورثوها عن الأجداد بعد أن أخضعوها للتجربة على مدى العصور، فهم يتداون ببعض الأعشاب الصحراوية مثل الشيح والحرجل وحلف البر والخنظل وغيرها ولهم وصفات للعلاج من لدغ العقرب أو الثعبان.

وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن مجتمع العبادة كان مجتمعا بسيطا غير معقد، يسوده الوثام. ومرد ذلك إلى طبيعة المجتمع الصحراوي المترامي الأطراف والذي يتسع للجميع، وتعارف أهله الذين تجمعهم أواصر القرى والمصاهرة والذين سرت بينهم عادات وتقاليد تناقلوها من الأجداد وأصبحت بمثابة قوانين تحكم وتربط نسيج مجتمعهم رغم اتساع المسافات فيما بينهم في الصحراء.

(١) بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان. ص ٢٧.

(٢) نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته. الجزء الأول. ص ٢٠١-٢٠٢.

العبادة وفتح السودان ١٨٢٠-١٨٢١م:

لعب العبادة دورا رئيسيا في ضم أقاليم السودان إلى مصر^(١). وقد تمثل هذا الدور في إمداد الحملة التي قادها إسماعيل كامل نجل محمد علي باشا لضم سنار والحملة التي قادها محمد بيك خسرو الدفتردار لضم كردفان بالجمال لنقل المؤن والذخائر والأفراد للقتال في صفوف الجيش الزاحف صوب الأراضي السودانية، بالإضافة إلى دورهم كأدلاء أو مرشدين في دروب الصحراء ولا سيما الطريق الشرقي الذي يربط بين السودان ومصر عبر صحراء العتمور، إذ إنهم كانوا يعتبرون أنفسهم بمثابة «سلاطين الصحراء».

وإذا ما نظرنا إلى إعداد الحملة التي جهزت بقيادة إسماعيل كامل قسوف نلاحظ أنها كانت تتألف من أربعة آلاف مقاتل من بينها حوالي سبعمائة فرد من قبيلة العبادة، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف جمل قدمها أفراد هذه القبيلة تحت رئاسة الشيخ خليفة العبادي ووكيله داود كاشف^(٢).

وقد شارك العبادة في المعارك القليلة التي جرت خلال مسيرة الحملة صوب سنار ولا سيما التي جرت ضد جماعة الشايقية، كما أنهم لعبوا دورا هاما في الاتصال بأهالي المنطقة ونقل ورصد حركات المناوئين لحملة إسماعيل أو من يريد الدخول في السلم والانضواء تحت الإدارة المصرية.

(١) في حقيقة الأمر أن علاقة العبادة قد بدأت قبل عام ١٨٢٠ حين أرسل محمد علي باشا الشيخ خليفة في عام ١٨١٣ إلى السلطنة السنارية في بعثة استطلاعية لطرد المماليك. (انظر: مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية ص ٧٢).

(٢) دفتر رقم ٥ معية تركي - ترجمة المكاتب التركية رقم ٤٢٦ بتاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٥هـ. من الجناح العالي إلى متصرف جرجا. دار الوثائق القومية. انظر أيضا: محفظة رقم ١٩ بحرياً - وثيقة رقم ١٣ - السودان. من إسماعيل إلى الجناح العالي في ٢٩ محرم سنة ١٢٣٦هـ. دار الوثائق القومية.

انظر أيضا: نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ص ٤.

وأيضا: مكي شبيكه: السودان في القرن، ص ١٤.

وأيضا: عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير. ص ٩٩.

وأيضا: عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي. ص ١٤.

وأيضا: حسن أحمد خليفة العبادي. المرجع السابق. ص ٢٤.

وأيضا: Cailliauld. F. Voyage à Méroé, Tom. II, p. 50.

وأيضا: Hill; Egypt in the Sudan, p. 59.

ومع تطور العمليات العسكرية في أرجاء السودان ازدادت الحاجة إلى الكثير من الجمال المتوفرة لدى العباددة. فقد كثرت للرسائل إلى المسؤولين الإداريين على طول الطرق الموصلة بقنا والبحر الأحمر وأسوان تحثهم على «... إحضار الجمال اللازمة لنقل أحمال وأثقال البيادة والسواري الذين سيذهبون بطريق البر من قرية دراو.. (١)». كذلك فقد كانت هناك حاجة ماسة للجمال «... لنقل الغلال والمهمات التي ستذهب إلى شونة وادي حلفا، من أراضي شلالات أسوان ووادي حلفا» (٢).

ولتنفيذ هذه المهمة تعهد محمود أفندي محافظ القصير بإحضار الجمال المطلوبة بواسطة «عبيد بن جبران» شيخ العباددة وإنزالها إلى قرية دراو.

كذلك فقد أشير إلى علي أغا كاشف إسنا للقيام بأمر ترتيب الجمال المطلوبة «... والموجودة تحت أيدي فلاحي قرى إسنا وأسوان وجلب اللازم منها أولا فأولا بالأجرة وتسليمها إلى ملا حسين أغا محافظ قنا المكلف بتنظيم مصالح وادي حلفا».

وفي سبيل إتمام هذه المهمة بنجاح طلب إلى كشف إسنا تعيين «الرجال النافعين» لقرى إسنا وأسوان وإحضار مقدار كاف من الجمال لاستخدامها في نقل الغلال والمهمات. كذلك فقد تم التنبيه على كافة المسؤولين وهم يقومون بأداء هذه المهمة ألا «... يتسلطوا على جمال العباددة التابعة للشيخ عبيد بن جبران» (٣).

ويبدو أن كثرة المطالب المتعلقة بإحضار الجمال من قبيلة العباددة قد أصابت بعضهم بالكدر، الأمر الذي أدى إلى إصدار هذا التنبيه السابق، حيث إننا نقرأ في

(١) دراو حاليا هي مدينة ومركز تقع شمال مدينة أسوان بحوالي خمسة وثلاثين كيلو مترا.

(٢) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة الأمر العالي رقم ١١٧ بتاريخ ٢٥ ربيع أول سنة ١٢٣٦هـ.

أمر عال إلى متصرف جرجا. دار الوثائق القومية.

انظر أيضا: محافظ عابدين - محفظة رقم ٥٥٥ - التماسات العربان في الفترة من ١٩٠٣/٥/٢٢ إلى ١٩٤٨/١/١٨. دار الوثائق القومية.

(٣) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة الأمر العالي رقم ١١٩ بتاريخ ٢٥ ربيع أول سنة ١٢٢٦هـ.

أمر عال إلى علي أغا كاشف إسنا. دار الوثائق القومية.

الوثائق بأن ملا حسين محافظ قنا حين توجه إلى جهات أسوان وأحضر عبيد بن جبران وتحدث إليه في مسألة الجمال اعتذر الأخير ذاكرة أن الجمال التي ذهبت مع إسماعيل كامل قد هلك^(١).

وليس معنى ذلك توقف الاستعانة بقبيلة العبايدة من حيث الإمداد بالجمال ولكن ظلت الاستعانة بها مستمرة. وقد تم رصد عدة مبالغ لهذه المسألة حيث نقرأ أنه قد تم إرسال الشيخ جبران إلى الجبال لجلب الجمال، كما تم إرسال نجل الشيخ جبران لجمع جمال العبايدة الموجودة في إسنا وما حولها. وفي سبيل ذلك كله جرى أخذ مبلغ «خمسين ألف قرش من خزينة أسوان وتخصص مبلغ مائتين وخمسين كيسا نقديا»^(٢).

ونظرا لأهمية الاستعانة بالجمال فقد جرى تنظيم عملية الاستعانة بها حيث حددت أجورها وفقا للمناطق الذهاب إليها من حيث قرب وبعد المسافة التي تقطعها الجمال. فقد حددت أجرة الجمل الذهاب إلى دنقلة بتسعين قرشا والذهاب إلى بربر بمائة وعشرين قرشا والذهاب إلى شندي بمائة وثلاثين قرشا مع مراعاة أن تكون عليقتها من طرف أصحابها. وقد قبل العبايدة هذه الأسعار وبقيت الشروط المنظمة لهذه العملية^(٣).

كذلك فقد صدر أمر إلى ملا حسين محافظ قنا المعين على جهات وادي حلفا بتعويض العبايدة عن الجمال التي هلكت مع جيش إسماعيل كامل وذلك بدفع الأثمان المناسبة لها حسب أسعار تلك الجهات وبمعرفة شيخهم^(٤).

(١) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة الأمر العالي رقم ١١٨ بتاريخ ٢٥ ربيع أول سنة ١٢٣٦ هـ. دار الوثائق القومية.

(٢) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة الأمر التركي رقم ١٨٧ بتاريخ ٢٠ جماد أول سنة ١٢٣٦ هـ. دار الوثائق القومية.

(٣) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة المكاتبه رقم ٢١٣ بتاريخ ٢ جماد آخر سنة ١٢٣٦ هـ. دار الوثائق القومية.

(٤) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة المكاتبه رقم ٣٢٨ بتاريخ ٨ رجب سنة ١٢٣٦ هـ. دار الوثائق القومية.

وكلما ازداد إسماعيل كامل توغلا في أراضي السودان زادت الحاجة إلى معونة العباددة سواء من حيث الإتيان بالعساكر المشاة المتخلفين في المؤخرة من جهة ومن جهة أخرى لجمع المزيد من الجمال الضرورية للجيش سواء أكان ذلك بالاستئجار أو الشراء^(١).

ولم تقف الاستعانة بالعباددة عند حدود إمداد حملة إسماعيل كامل بالجمال والأفراد بل امتدت هذه المساعدة إلى جيش محمد بيك الدفتردار الذي قام بضم كردفان. فقد استطاع علي أغا كاشف إسنا - وهو بصدد الاستعداد لذلك - تدبير ألف وأربعمائة جمل من فلاحى إقليمى إسنا وأسوان، بل إن الحاجة كانت ماسة آنذاك لجمع ٢٢٧٥ جملا حسب تقرير كاشف إسنا، حتى يتم وصول الفرسان والمشاة إلى محل مأموريتهم بالسودان^(٢).

وقد طلب إلى متصرف جرجا الذهاب إلى وادي حلفا لجمع الجمال اللازمة لحملة الدفتردار بل والإقامة في أسوان «... لغاية تدارك الجمال بالأجرة من العباددة»^(٣).

كذلك فقد ضمت حملة الدفتردار - بالإضافة إلى إبل العباددة الكثير من أفراد هذه القبيلة كجنود محاربين غير نظاميين وسط الجنود الذين ضمتهم الحملة. فمن بين ثلاثة آلاف مقاتل كان هناك حوالي ثلاثمائة فرد من العباددة^(٤).

من ذلك كله يتبين لنا أن العباددة قد لعبوا دورا رئيسيا وأساسيا في كل من حملة إسماعيل كامل لضم سنار وحملة محمد بيك خسرو الدفتردار لضم كردفان، وذلك من خلال إمداد هاتين الحملتين بالجمال والأفراد المقاتلين. وقد

(١) محفظة رقم ١٩ بحريرا - ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦ بتاريخ ٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٦هـ. من إسماعيل (نجل ولي النعم) إلى الجناب العالي. دار الوثائق القومية.

(٢) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة الأمر التركي رقم ١٣٩ بتاريخ ١٠ ربيع الآخر سنة ١٢٣٦هـ. أمر إلى حضرة أحمد باشا متصرف جرجا. دار الوثائق المصرية.

(٣) دفتر رقم ٦ معية تركي - ترجمة المكاتب التركية رقم ١٧٢ بتاريخ غرة جماد أول سنة ١٢٣٦هـ. أمر إلى متصرف جرجا المعين على وادي حلفا. دار الوثائق القومية.

(٤) عبد الرحمن زكي: المرجع السابق. ص ١٣٨

أهلهم لهذا الدور معرفتهم بدروب الصحراء وتربيتهم للإبل القادرة على اجتياز هذه المقازات بين مصر والسودان.

ولم يتوار دور العباددة في أعقاب هاتين الحملتين المشهورتين بل ظل دورهم متصلا ومستمرا مع استمرار الإدارة المصرية في السودان. ففي عام ١٨٤٢ وعلى عهد الحكمдар أحمد باشا أبو ودان قام بشاريو العمراب بحركة عسيانية مستغلين انشغاله في حرب التاكه ضد الهندودة، فطلب هذا الحكمدار من الشيخ سليمان نمر العبادي القضاء على حركتهم، فخرج سليمان من بربر معقل العباددة على رأس قوة من جماعته تقدر بنحو ألفي رجل وباغت بهم البشاريين وألحق بهم هزيمة نكراء، لكن البشاريين أعدوا كميناً لسليمان وجنوده عند بلدة مرات (Murrat) وقتلوه مع كثير من جنوده^(١).

دور العباددة في التجارة بين مصر والسودان:

لعب العباددة دوراً متميزاً في التجارة عبر مصر والسودان. وقد تنوع هذا الدور ما بين مهام أمنية وتجارية وإرشادية.

وقد مارس العباددة هذه المهام بمهارة شديدة، فقاموا بتأمين القوافل التجارية المارة بالصحراء الشرقية عبر بربر مركز العباددة الرئيسي، وإمداد هذه القوافل التجارية «بالدلائل» أو المرشدين الذين يقومون بمهمة إرشاد التجار والسائرين في الصحراء إلى الطرق الصحيحة حتى لا يضلوا أو يتعرضوا للهجوم ومخاطر الصحراء.

ولم تكن هذه المهام التي قام بها العباددة قد بدأت مع الحكم المصري في السودان عام ١٨٢٠ فحسب ولكنها سبقت ذلك بكثير، وربما لا يعنينا هنا تتبع هذا الدور في عصور سابقة لهذا التاريخ لكن تكفي الإشارة إلى أن سلطنة الفونج - منذ قيامها في القرن السادس عشر وحتى سقوطها في الربع الأول من القرن التاسع عشر (١٨٢١هـ) على يد إسماعيل كامل بن محمد علي - قد استخدمتهم

في مهمة حراسة طرق القوافل بين مصر والسودان ولا سيما الفرع المسمى بالفقراء والمليكاب، وكانوا سادة الطريق الصحراوي بين مصر والسودان وحماته من أخطار القبائل المجاورة ولا سيما البشاريين^(١).

ولقد كان من الصعب على أي تاجر في ذلك الوقت أن يقصد السودان دون أن يُعرض نفسه وأمواله للأخطار فقلت رءوس الأموال المستثمرة في التجارة مع السودان حتى قدرها بوركهارت عند زيارته للسودان بستين أو ثمانين ألف ريال^(٢).

وقد يُعزى هذا التدهور التجاري بين مصر والسودان قبيل عام ١٨٢٠ إلى أن السودان آنذاك كان مفكك الأوصال ولم يكن يخضع لقوة سياسية قوية وموحدة تستطيع ضبط الطريق التجاري والحفاظ على أمنه وسلامته، فكان من الطبيعي - والحالة هكذا - أن يشتد نشاط اللصوص وقطاع الطرق وتعرض التجارة - ولا سيما في شرقي النيل - لأخطار جسيمة من جانب القبائل التي تقطن تلك المنطقة^(٣).

أما بعد عام ١٨٢٠ فقد خضع السودان لإدارة موحدة من جانب محمد علي فكان لابد أن يضع حداً لمثل هذه التجاوزات الخطيرة لا سيما وأن حركة التنقل بين مديريات السودان مصر قد ازدادت بشكل كبير، فهناك أدوات وأسلحة حكومية تنقل إلى السودان، وهناك عبيد ومواش وغير ذلك تأتي إلى مصر عبر هذه الطرق^(٤).

Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol. I, London, 1960, (A. (١)
ABABDA).

انظر أيضاً: Hill, R.: op. cit., p. 59.

انظر أيضاً: نسيم مقار: أحوال السودان الاقتصادية قبيل الفتح المصري الأول ١٨٢٠-١٨٢١. ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان. ص ٢٣٨.

(٣) حسن أحمد إبراهيم: محمد علي في السودان. (دراسة لأهداف الفتح التركي - المصري). ص ٢٧، ٢٨.

(٤) دفتر رقم ٩ مئة تركي، ترجمة المكتبة رقم ٢١٧ بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٩ هـ. دار الوثائق القومية. انظر أيضاً: حسن أحمد إبراهيم: المرجع السابق. ص ٥٣.

وبالإضافة إلى ذلك كثر تنقل الأفراد والحكام بين البلدين بعد ضم السودان. . كل ذلك اقتضى إعادة النظر في الاهتمام بالطرق الموصلة بين مصر والسودان ولا سيما البرية منها بعكس الطريق النيلي الذي لم يلاق اهتماما موازيا. وربما يرجع ذلك إلى كثرة العوائق الطبيعية به مثل الجنادل وغيرها.

وقد سلكت التجارة بين مصر والسودان بوجه عام طرقاً عدة أهمها طريق النوبة السفلى والعليا، والطريق الغربي أو ما عرف باسم درب الأربعين الذي يبدأ من كويي بدارفور حتى أسبوط، وطريق سواكن - السويس.

وقد لا تعنينا كل هذه الطرق السابقة بشكل أساسي ونحن نتكلم عن قبيلة العباددة، وإنما يعنينا منها الطريق الأول وهو طريق النوبة السفلى والعليا حيث لعب العباددة خلاله دورا كبيرا في التجارة بين البلدين. فكان هذا الطريق بحكم موقع النوبة أقرب إلى صعيد مصر وبمشابة حلقة وصل بين البلدين، كما كانت أسواق إسنا ودراو وأسوان أماكن لتصريف سلع ومنتجات النوبة السفلى كالتمر والشب والسنامكي في مقابل الذرة والمنسوجات القطنية. أما طريق النوبة العليا أو الجنوبية فكانت بربر وشندي أهم مراكزها التجارية وكانت تتصل بمراكز التجارة في صعيد مصر عن طريق القوافل الشرقي الذي يخترق الصحراء الشرقية ثم ينقسم إلى فرعين متوازيين: الأول: يخترق صحراء العتمور (طريق أبو حمد - كرسكو) والثاني إلى الشرق قليلا ويخترق صحراء العتباي «طريق بربر - دراو». فعلى سبيل المثال يمكن لقافلة شندي المتجهة إلى مصر أن تمر ببربر ثم عليها أن تختار السير إما في محازاة النيل حتى (أبو حمد) ومنها تخترق صحراء العتمور إلى كرسكو ثم إلى دراو أو أن تسير بعد أن تغادر بربر إلى الشرق قليلا مخترقة صحراء العتباي شمالا حتى تصل إلى بلدة دراو بأسوان.

وكان التجار في الغالب يفضلون السير في طريق العتباي تاركين طريق العتمور رغم أن الأخير قصير؛ وذلك لأن القوافل كانت تعاني فيه شح المياه وقلة العشب الضروري للإبل، ناهيك عن تعرض القوافل في طريق العتمور لأعمال السلب ودفع المكوس.

وتقطع القافلة طريق العتباي من دراو إلى بربر في مدة من ستة عشر إلى سبعة عشر يوما، ومن بربر إلى دراو في مدة اثني عشر يوما؛ وذلك لأن القافلة عقب مغادرتها لبربر تكون مزودة بعدد وافر من الإبل فيمكنها بذلك إراحة الإبل المحملة بالتناوب، بالإضافة إلى جدية رجالها في السير ليلا بحيث إنهم كانوا لا ينامون إلا قليلا، وأخيرا فإن نفقات القافلة المتجهة إلى مصر تقل لتوافر الإبل. ويقال أن راكب الهجين السريع من رجال البريد في إمكانه أن يقطع المسافة ما بين بربر ودراو في ثمانية أيام^(١).

وتعتبر بربر - مركز العبادة الرئيسي في ذلك الوقت - بحكم موقعها الجغرافي ملتقى للقوافل الآتية من داخل السودان وخارجه. فهي تستقبل بحكم موقعها شمال شندي وسنار القوافل الآتية من مصر عبر صحراء العتباي قبل أن تصل إلى هذه البقاع، وتمر بها قوافل شندي وسنار في طريقها إلى مصر. وبالإضافة إلى ذلك فهي تقع على أقصر طريق يصل النيل النوبي بساحل البحر الأحمر (طريق بربر - سواكن) عبر الصحراء الشرقية الذي ازدادت أهميته وكثر استخدامه عقب فتح الطريق البحري بين سواكن والسويس^(٢).

وهكذا هيا هذا الموقع شهرة تجارية شهد بها بعض الرُّحَّال الذين زاروها في النصف الأول من القرن التاسع عشر. فقد كثر تردد قوافل بربر على دنقلة بانتظام حاملة التمر والتبغ، كما كانت قوافل سنار تحمل إليها الرقيق والأسرة الخشبية وجلود الثيران بالإضافة إلى البن الذي يجلبه تجار سنار من الحبشة والذي كان يباع ببربر بسعر أقل من بن مخا اليمني. وقد وجدت جماعة من تجار سنار ودنقلة كان لها نشاطها التجاري الملحوظ في بربر. كذلك فقد كان لبربر صلات تجارية نشطة مع أقاليم التاكة، فقد تردد تجار هذا الإقليم على أسواق بربر لبيع الإبل والماشية والحصول على الأقمشة القطنية (الدمور) والتوابل^(٣).

(١) Douin: Histoire du Soudna Egyptien - Tome I, p. 61

(٢) حمدنا الله مصطفى: التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان. ١٨٤١-١٨٨١. ص ١٧٥.

(٣) دفتر رقم ٣٨٤٦ صادر تحريرات مديرية بربر ودنقلة بتاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٧هـ. دار

كذلك فقد كانت بربر ملتقى لتجار الرقيق القادمين من سنار والخرطوم عن طريق صحراء كرسكو^(١).

وهكذا نرى بجلاء تام أن بربر - مركز العبادة الرئيسي - كانت تمثل مركزا تجاريا هاما وملتقى لتجارة أقاليم السودان المحيطة بهذه البلدة بالإضافة إلى مركزها الخطير كمعبر تجاري بين مصر والسودان، الأمر الذي أضفى عليها وعلى سكانها من العبادة دورا هاما لعبوه باقتدار طوال التاريخ.

وفي ضوء هذه الأوضاع التي وجد العبادة أنفسهم فيها ببلدة بربر وما حولها من حيث الموقع الوسيط سوف نحاول أن نتبع تطور دورهم التجاري من عام ١٨٢٠ وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر.

ففي عهد محمد علي جرى تكليف مشايخ العباددة بحراسة القوافل التجارية المارة بهم بالإضافة إلى مهمات الحكومة التي كانت تتطلبها الإدارة المصرية بأقاليم السودان .

ويمكن أن نصف العلاقة بين العباددة وحكومة مصر طوال الفترة محل الدراسة بأنها كانت - بشكل عام - بين مد وجزر. فتارة نجد أنها في أبهى صورة لها طالما كانت التجارة وأدوات الحكومة ورجالها في أمان وسلام وهم يعبرون الصحراء الشرقية ما بين مصر والسودان وطالما التزمت الحكومة بتعهداتها تجاههم، وتارة أخرى يسودها التوتر إذا ما حدثت حادثة نهب أو سطو على التجارة أو حاول أحد زعماء العباددة أن يفرض لنفسه شروطا جديدة أو حاول أن يكون له نفوذ كبير عبر هذا الطريق يعلو فوق قبضة الحكومة.

وتبدأ هذه العلاقة منذ عهد إسماعيل كامل الذي فتح سنار حيث كافأ خدمات العباد له بالتأكيد على الحقوق الامتيازية التي كانوا قد حصلوا عليها من حيث مرافقة القوافل عبر طريق الصحراء الشرقية. كذلك فقد منحهم امتياز جمع

(١) تقرير هولرويد الوارد بتقرير بورنج بكتاب الدكتور محمد فؤاد شكري: بناء دولة مصر محمد

ضريبة مقدارها ١٠٪ على صادرات السودان في مقابل الالتزام بحراسة الطريق والإمداد بالجمال وحماية القوافل^(١).

كذلك فقد أعفتهم الحكومة من أية ضرائب مباشرة ما عدا الذين كانوا يملكون حصصا من الأرض أو السواقي، فهؤلاء عوملوا معاملة الفلاحين العاديين القاطنين على ضفاف النيل ممن كانوا يدفعون ضريبة عن كل ساقية^(٢).

وفي عام ١٨٣٨ وقعت حادثة أخلت بالأمن في طريق المواصلات عبر الصحراء النوبية أرادت من خلالها الحكومة أن تقوي قبضتها على الطريق والقائمين عليه. فقد انتهب أحد رجال قبيلة البشارية الفرصة وقام بقتل بضعة جنود واحتفى بالشيخ خليفة العبادي في بربر ظنا منه أن مكانة هذا الرجل عند الحكومة باعتباره متعهدا لطريق مرور القوافل بين مصر والسودان سوف تكون شفيعا له للنفو عنه. وطبقا للتقاليد والعادات العربية منحه الشيخ خليفة الحماية والتمس من حاكم بربر أن يقوم بدفع الدية عن الرجال القتلى. ولما كان المدير يحكم وفقا لقانون الإدارة المصرية المدون في هذا الجانب وليس وفقا للأعراف العربية أصر على أن يسلم القاتل إلى الحكومة فلم يمثل خليفة لذلك ورفض تسليم الرجل الذي احتفى به وشعر بأن في تسليمه إهانة له^(٣).

ويروى أحد أحفاد الشيخ خليفة أسباب وملابسات الحادث بأن مدير بربر عباس أغا الجندي قد استكثر على خليفة العبادي ما كان يأخذه من العشر على قيمة البضائع والسلع نظير تأمينه للقوافل من خطر اللصوص فأرسل كتابا إلى خليفة في أبي حمد حيث كان يقيم يأمره فيه بالتنازل عن أخذ العشر وأن يأخذ بدل ذلك ثلاثة ريالات عن كل جمل يمر بالعمشور؛ ريال من الحكومة وريال من

(١) Hill: op. cit., p. 59

Hoskins, G.A.: Travels in Ethiopia above the second Cataract of the Nile, (٢)

London, 1935, p. 56

انظر أيضا: نسيم مقار: أحوال السودان الاقتصادية قبل الفتح المصري الأول ١٨٢٠-١٨٢١.

ص ٢٥١.

(٣) Hill: op. cit., p. 59

التاجر وريال من صاحب الجمل، فرفض الشيخ خليفة أمره؛ لأن العشر قد أصبح حقا مكتسبا من قبل أن تحل الإدارة المصرية بالسودان. ولما أصر مدير بربر على تنفيذ أمره قام الشيخ خليفة بإغلاق الطريق بين أبي حمد وكركسو، فطلب منه المدير الحضور إلى بربر للتفاوض وجاء معه أناس كثيرون من قبيلته كعادة القبائل العربية. وأعاد المدير مرة أخرى مطلبه فأصر خليفة على عدم تنازله عن العشر واستمراره في إغلاق الطريق إلى أن يقوم المدير بإلغاء أمره. وقد اعتبر عباس أغا عدم تنفيذ الشيخ خليفة لأوامره، بالإضافة إلى امتناعه عن تقديم القاتل للعدالة خروجاً منه على الحكومة وعصياناً لها. ولما كان المدير يعلم تماماً أن الشيخ خليفة رجل قوي وأنه إذا ما اتخذ ضده إجراءات علنية فلربما يقاومه ويتغلب عليه بما عنده من رجال فقام بقتله حرقاً بالنار، كما قتل معه مائة واثنين وثلاثين رجلاً من قبائل مختلفة. وإضافة إلى ذلك قام عباس أغا بقتل الرجل الذي احتفى بالشيخ خليفة^(١).

وبالإضافة إلى هذه المتاعب التي لاقاها شيخ العباددة فقد قام حكمدار السودان أحمد باشا أبو ودان (١٨٣٩-١٨٤٤) بتخفيض أجرة الجمل من تسعين إلى ستين قرشاً فامتنع العباددة عن تقديم إبلهم ونتج عن ذلك «... تعطيل حركة نقل المبيعات الأميرية وسرى العطب إلى بعضها». ^(٢).

ومن وجهة نظر رجال الإدارة المصرية في بربر والخرطوم فقد انتهى الأمر عند هذا الحد من العقوبات لكن شقيق خليفة المقتول الذي يدعى بركة أسرها في نفسه حتى تحين له الفرصة فيأخذ بثأر أخيه.

وكان بركة هذا قد أصبح مسئولاً (ملتزماً) على الطريق الصحراوي كما كان شقيقه خليفة من قبل، وأثار متاعب للسلطات الحكومية لدرجة أن محمد علي كتب غاضباً إلى مسئوليه في بربر أن يقولوا لبركة بأنه (محمد علي) هو الذي قتل

(١) حسن أحمد حسين العبادي: المرجع السابق. ص ٨-٩.

(٢) دفتر رقم ٢٠٩ مكية تركي: وثيقة رقم ٩٧٨ بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٥٩هـ.

انظر أيضاً: نسيم مقار: أحوال السودان الاقتصادية تحت الإدارة المصرية، ص ١٨٤.

أخاه ولسوف تكون نهايته على نفس المنوال. ويبدو أن بركة لم يدعن لهذه التهديدات فبعث محمد علي بأمر قاطع للقبض على بركة وإحلال ابن أخيه حسن خليفة محله كمستول عن طريق التجارة. لكن بركة انسحب إلى الصحراء واستقر قرب آبار مرات يترقب الأمر، ولم ينتظر بركة طويلا. فقد توفي عباس آغا حاكم بربر الذي قام بتنفيذ قتل خليفة، وكان أخو عباس آغا يجتاز الصحراء لإحضار أسرة المتوفى إلى مصر حيث هجم عليه بركة وقتله هو وجميع الرجال الذين كانوا برفقته عدا النساء حيث خيرهن في أن يرسلن إلى كرسكو أو إلى أبي حمد فاخترن الثانية^(١).

وقد سارعت الحكومة بالانتقام فعلم بركة بذلك فولى هاربا حتى انتهى به المطاف إلى جبل يسمى جبل (حلوس) للاعتصام به وهو يقع على بعد مسيرة نحو سبعة أيام في الشمال الشرقي من آبار المرات. وينفي حسن أحمد حسين خليفة العبادي أن يكون غرض بركة هو التوجه إلى الحجاز كما ذكر أحد المؤرخين الإيطاليين الذي قال «أن بركة لما سمع بأن الحكومة تبحث عنه ذهب قاصدا القصير للهروب إلى الحجاز» فلو كان هذا غرضه - كما يذكر - فهناك عدة مراسي بسواحل البحر الأحمر أقرب إليه كثيرا من القصير مثل مراسي محمد قول ونقناب وحلايب^(٢).

ولقد قام بمهمة تعقب بركة رجل من العبادية أيضا يدعى سليمان نمر وهو من أسرة تنافس أسرة الشيخ خليفة في الرياسة. وقد تقدم سليمان إلى حاكم السودان آنذاك وهو أحمد باشا أبو ودان وأخبره أن في مقدوره القبض على بركة وتقديمه للحكومة، فأرسله إلى صحراء عتباي وأعطاه نحو مائتي جندي من المغاربة ورافقه جماعة من قبيلة العامراب البشاريين وتم القبض على بركة عند جهة تسمى

(١) حسن أحمد حسين العبادي: المرجع السابق، ص ٩-١٠.

(٢) نفس المرجع ص ١١.

وانظر أيضا: Hill: op. cit., p. 59.

كذلك فإننا نقرأ في نفس الرسالة تهديدا بضرورة معاقبته فيما لو أهمل في هذا المشروع^(١).

وقد طفت إلى السطح مرة أخرى مشكلة وجود أو تعيين حسين خليفة كمتعهد للطريق أو إحلال شخص آخر مكانه وذلك من خلال ملتصق قدمه إلى الحكومة يطلب فيه «... رفع سليمان إدريس متعهد الطريق بين كرسكو والعمور...» ويبدو أن هذا الشخص قد وضع مكانه عقابا له لإهماله في ضبط أمور الطريق. وقد طلب مدير دنقلة مخاطبة مدير الوجه القبلي بشأن رفع سليمان إدريس المنافس لحسن خليفة^(٢).

وقد كان هذه المشكلة مشار جدل ونقاش بين عدة أطراف: محمد علي، ومدير عموم الوجه القبلي، ومدير دنقلة وبربر وحسن خليفة. ويبدو أن الأمر كله في هذه القضية قد أحيل إلى مدير عموم الوجه القبلي للنظر فيه.

وقد تناقضت أحكام وآراء مدير عموم الوجه القبلي حول هذه القضية وهل يعود حسن خليفة إلى مباشرة وظيفته أم لا؟ فتارة نقرأ انحيازه لحسن خليفة على أن يتعهد الأخير بإدارة الطريق إدارة حسنة وأخذ شروط عليه وأن يتم ذلك كله بمعرفة مدير دنقلة وبربر. وتارة أخرى نقرأ لنفس المدير أن حسن خليفة «رجل مرتكب (مرتش) وغير قادر على إدارة الطريق ونقل المهمات في أسرع وقت»^(٣).

وقد علل مدير عموم الوجه القبلي رفضه لتعيين حسن خليفة بأنه لو أعطى الطريق رأسا فلا يمكن بسط السلطان عليه كما كان من قبل وسيظل معطلا. ويخلص في النهاية إلى إسناد مهمة حراسة الطريق إلى مدير دنقلة وبربر. وعزز مطلبه هذا بقوله: «إن حسن خليفة وأتباعه العبايدة موجودون داخل السودان وليس في داخل مديرية عموم الوجه القبلي»^(٤).

(١) دفتر رقم ٣٧٨ معية تركي. وثيقة رقم ٥٩٣ بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٠هـ. إرادة إلى مدير دنقلة. دار الوثائق القومية.

(٢) نفس الوثيقة.

(٣) محفظة رقم ١٩ بحرياً. وثيقة رقم ٦١ بتاريخ ١٣ محرم سنة ١٢٦١هـ. من مدير عموم الوجه القبلي إلى كامل بيك المشرف بمعية جناب الحديد. دار الوثائق القومية.

(٤) نفس المحفظة.

ويبدو أن الشيخ حسن خليفة قد عُرِف بالإسراف الشديد في إنفاق موارد القبيلة والبدخ والكرم الزائد عن الحد وحرمان كبار رجال قبيلته منها فنصح مرارا بترك البدخ فلم يستمع إلى هذه النصائح، فاجتمع رجال قبيلته وقرروا إعفاءه من الشياخة وتعيين الأرشد من إخوته مكانه فرفض التنازل عن المشيخة فتقدموا ضده بشكاوى إلى الحكومة بالخرطوم زمن الحكمदार لطيف باشا (١٨٥٠-١٨٥١) وذلك في عام ١٨٥١ الذي حقق معه وعزله من وظيفته وعين مكانه شقيقه حسين خليفة العبادي^(١).

وقد ربطت الحكومة لحسين خليفة ماهية شهرية قدرها خمسة وعشرون جنيها مصريا مع أخذ ستة قروش عن كل جمل يمر بطريق كرسكو وأبي حمد، بالإضافة إلى ما يأخذه العبايدة خبراء الطريق وأصحاب الجمال أجرة لجمالهم في نقل مهمات الحكومة وبضائع التجار المسافرين وسلعهم.

وقد رافق حسين خليفة سعيد باشا والي مصر في سنة ١٨٥٧م أثناء زيارته للسودان فمنحه أراضي شاسعة في زمام إدفو بالإضافة إلى لقب البكوية. وقد عين حسين خليفة في عام ١٨٦٩ مديرا لبربر. وفي سنة ١٨٧٠ أصبح مديرا لبربر ودنقلة معا وأنعم عليه برتبة الباشوية، وقام بعدة إصلاحات كحفر الترع وإدخاله نظام تسجيل الأراضي بالمديريتين^(٢).

ازدياد وتفاقم مشكلات الطريق وأهم الجهود:

إذا كان طريق التجارة الشرقي إلى السودان قد تعرض لبعض المشكلات وأشرنا إلى بعض منها، فهذا شيء طبيعي ولا سيما قبل عام ١٨٤١. أما بعد هذا العام فالأمر جد مختلف، وبالتالي فإن مشكلات الطريق قد تفاقمت بشكل بين؛ نتيجة لظروف جديدة قد يكون ظاهرها سياسيا ولكنها تحمل بين جنباتها طابعا تجاريا.

(١) حسن أحمد حسين العبادي: المرجع السابق. ص ١٣.

(٢) حسن أحمد حسين العبادي: المرجع السابق. ص ١٤.

ففي عام ١٨٤١ جرت تسوية لندن وفتحت بابا للتدخل الأجنبي في مصر وأيضاً في السودان. ليس معنى ذلك أن محمد علي قبل هذا التاريخ كان لا يشجع قدوم التجار إلى البلاد الخاضعة ولكن بشكل منظم ومحكم حين كانت سيطرته الداخلية عليهم كاملة. أما في أعقاب ١٨٤١ فبدأ التسرب الأجنبي يزداد بشكل جلي ساعد على ذلك ظروف أوروبا الاقتصادية التي كانت تعيشها في ذلك الوقت، ونعني بها الانقلاب الصناعي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث بدأت أوروبا تشعر تدريجياً بحاجتها إلى مصادر جديدة للخام وأسواق خارجية أيضاً لتصريف منتجاتها ذات الإنتاج الكبير، ووجدت في مصر بغيتها من حيث المناخ المعتدل والأرض الخصبة، والأهم من ذلك كله أن مصر بعد هذه التسوية أصبحت تطبق أو تسري فيها بنود أو معاهدات «الامتيازات الأجنبية».

وبالنسبة للسودان فقد عانى - تقريباً - نفس المعاناة التي نجمت عن هذه التسوية. فقد صدرت فرمانات: ١٣ فبراير ١٨٤١، ٢٣ مايو ١٨٤١، يونية ١٨٤١ من لدن الدولة العثمانية إلى محمد علي، وهذا كله يعني ضرورة سريان المعاهدات والقوانين التي أبرمتها أو تبرمها الدولة العثمانية مع الدول، وسريان قوانينها التي سنتها أو تسنها في السودان ومنها الامتيازات الأجنبية. كذلك فقد شجع الأجانب على القدوم إلى السودان - عدا ذلك - فتح النيل الأبيض بفضل رحلات سليم قبودان في الفترة ما بين ١٨٣٩-١٨٤١. وإذا كان مجيء الأجانب في بادئ الأمر قد اقتصر على الرحالة والمستكشفين سواء مع جيش إسماعيل كامل أو في أعقابهم، إلا أن التجار والمسافرين الذين جاسوا السودان والطرق الموصلة إليه بعد عام ١٨٤١ من خيار القوم بل كانوا - كما وصفهم القنصل الإنجليزي في مصر «كوهون Col. Quhoun» - من المغامرين الذين اقتصر تجارتهم على الرقيق، تحميمهم الامتيازات الأجنبية ويرعاهم القناصل^(١).

(١) دفتر رقم ٤٩ صادر معية عربي، صورة المكتبة العربية نمرة ٢٩ ص ١٢٨ بتاريخ ٥ محرم سنة ١٢٦٧هـ. من المعية إلى مدير عموم قبلي. دار الوثائق القومية.

وهكذا بدأ سيل منهمر من الأجانب ولا سيما التجار والمغامرون يفدون إلى السودان ويسلكون طريق الصحراء الشرقي وازدادت بالتالي مشاكل هذا الطريق .

وقد تولت الرسائل التي تشكو من الشكوى من الاعتداءات التي عمت طريق العتومور من جانب عربان البادية لدرجة أن مدير بربر طلب في عام ١٨٥٠ «... بأن لا يرسل أدوات ميري ولا تجاري بالعتومور ما لم يرسل خبير». كما أن مدير إسنا طلب من حكمدار السودان النظر في «... طريقة مستحسنة لتمشية سكة العتومور».

وفي ١٨ أكتوبر عام ١٨٦٤ ذكر نائب القنصل الفرنسي بالخرطوم في شكوى له المخاطر التي كانت تكتنف طريق العتومور (أبو حمد - كرسكو) وطريق العتباي (بربر - دراو) حيث كانا دائما مزدحمين باحتياجات الحكومة من السلاح والمؤن الحربية الخاصة بالجيش، وكان هذين الطريقين مسخران لخدمة الجيش وحسب». ويضيف قائلا: «إن كل ذلك يترك قليلا من الأمل للتجارة التي تعاني كثيرا من المواصلات والخسائر الجسيمة الناجمة عن ذلك. فهناك على سبيل المثال بضائع فرنسية مهمة ومعطلة بكورسكو نتيجة الأزمة المستحكمة لمدة شهر بسبب قلة الإبل، ناهيك عما يلقيه التجار من شح في الاحتياجات الضرورية ووهج الشمس المحرقة والجبال الجرانيتية المطبقة عليهم من كل جانب»^(١).

وراح القنصل الفرنسي في السودان يردد في رسائله تلك المخاطر التي لخصها في عبارة واحدة «... وللتجار اليوم في السودان عدوان: الحكومة بما تقوم به من تفتيش مستمر للتجار دونما معايير ثابتة، والعدو الآخر يتمثل في جماعة الأعراب التي تُغير على القوافل...»^(٢).

(١) الأرشيف الفرنسي - محفظة رقم ٥٩ - دار الوثائق القومية بالقاهرة. رسالة من: M.C.

Thibut, vice Consul de France à Khartoum à M.: Tostu, Agent et Consul General de France à Alexandrie. Khartoum, Le 18 Octobre, 1864, pp. 404-409.

(٢) الأرشيف الفرنسي: محفظة رقم ٥٩ - دار الوثائق القومية بالقاهرة - انظر: à: Annexe No. I.

la lettre de M.: OUTREY, du 19 Novembre, 1865, M. Munzinger General du Vice Consul General de France à Alexandrie. Cassala (Taka) 12 August, 1865, p. 1169.

وإذا حاولنا مناقشة هاتين المشكلتين اللتين كانتا تواجهان التجارة والتجار في هذا الطريق فيمكننا القول بأنهما المشكلتان التقليديتان أمام أي تجارة في أي بقعة من العالم وإن اختلفت المسميات: فالأولى عبارة عن موقف الحكومة الرسمي من التجار سواء من ناحية تحصيل الضرائب وعمليات التفتيش، والثانية تتمثل في مشكلة الأمن المتعلقة بالتجارة والتجار.

أما المشكلة الأولى وما تقوم به الحكومة من تفتيش للتجار دون معايير ثابتة فربما يكون مرد ذلك هو بداية حدوث خلل في الأوضاع الاقتصادية في مصر، الأمر الذي استدعى تحصيل الكثير من الأموال للخروج من الضائقة الاقتصادية التي استحكت في عهد إسماعيل. أما قبل ذلك ولا سيما في عهد محمد علي فقد كانت الأمور تسير على ما يرام حتى بعد عام ١٨٤١ حين انهال التجار على السودان وبدأ يطبق معاهدة بلطة ليمان ١٨٣٨-١٨٣٩ بشكل جدي ويضع أسسا ثابتة للتعامل مع التجار ويخفف الجمارك المتحصلة من بعضهم لا سيما المسلمون منهم^(١). أما في عهد إسماعيل فيبدو أن الرسوم قد وصلت إلى نسبة عالية ومبالغ فيها بلغت ٨٪ بعد أن كانت ٥٪ في عهد محمد علي، الأمر الذي أدى إلى شكوى التجار الأجانب ومطالبتهم بتخفيضها إلى ١٪^(٢).

ووصلت شكوى الأجانب إلى حد أن تدخل غوردون في ٣١ مارس عام ١٨٧٧ لصالحهم طالبا استخدام موظفين أوروبيين في جمارك السودان خصوصا بجهات بربر وسواكن ومصوع وزيلع وتيجرة بالإضافة إلى أسوان. وقد وعد المسئولون يبحث هذا المطلب وإن كنا لم نقرأ في الوثائق - التي اطلعنا عليها ما يفيد تحقيق هذا المطلب^(٣).

(١) حمدنا الله مصطفى: التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان ١٨٤١/١٨٨١، ص ٢٤٠.

(٢) حمدنا الله مصطفى المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٣) دفتر رقم ٣٤ عابدين - صادر - صورة التليغراف العربي الشفرة رقم ١٩ ص ١٦٤ بتاريخ الثلاثاء ١٢٩٤ هـ - إرادته إلى سعادة غوردون باشا حاكمدار الأقاليم السودانية. دار الوثائق القومية بالقاهرة

ويمكن تفسير شكوى التجار الأوروبيين من الحكومة بأنها حلقة في سلسلة الضغوط على الحكومة ومحاولة تدخلهم في شئونها سواء في مصر أو في السودان في عهد إسماعيل تمهيدا للسيطرة ثم الاحتلال. فتدخل غوردون لصالح التجار الأوروبيين يقيم الدليل على ذلك ولا سيما إذا علمنا كذلك أنه رشح للعمل في السودان من جانب أمير بريطانيا حتى يستطيع تنفيذ سياسة بريطانيا في المنطقة وإن أخذ مجيئه إلى السودان مع باقي الموظفين الأوروبيين شكل معاونة الخديو إسماعيل في حكم السودان ومقاومة تجارة الرقيق التي تبتتها إنجلترا لخدمة مصالحها. فصراخ التجار في ذلك الوقت وطلب استخدام موظفين أوروبيين على موانئ سواحل البحر الأحمر الغربي كان خطوة في الثوب للسيطرة على هذه المنطقة . . منطقة القرن الأفريقي وما جاورها نظرا لأهميتها الإستراتيجية ومواجهة بعض هذه الموانئ لمنطقة عدن التي سيطرت عليها إنجلترا . . . فكل هذه الصراخات من جانب التجار كان تمهيدا للاحتلال أو كما يقولون Flag Follows Merchants.

أما المشكلة الثانية المتعلقة بأمن التجارة والتجار فلم تقف الحكومة إزاءها مكتوفة الأيدي، بل راحت تبذل الكثير لراحة التجار والمسافرين. ففي يولية عام ١٨٦٥ طلب من حكمدار السودان تأمين هذه الطرق، والقيام بإعدام الأشخاص الذين تم القبض عليهم بتهمة ارتكاب حوادث السلب، وإرسال البعض الآخر إلى جهات جنوب السودان.

كما بعث المسئولون بمصر في أغسطس عام ١٨٦٦ إلى الشيخ حسين خليفة العبادي متعهد طريق العتمور آنذاك يحثونه على أداء مهمته في حراسة طريق التجارة قائلين له: «إن من أهم الأمور المرغوبة إلينا وأعظم المواد الملزمة لدينا التي لم نزل ندأوم على رعايتها والحض على مزيد ملاحظتها هو تأمين الطرق والمعابر وتسهيل السبل لكل وارد وصادر وصيانة كل تاجر ومسافر حتى لا يضيع لأحد عقال بغير ولا يصاب أحد في نفسه ولا في ماله بقليل أو كثير.»^(١)

(١) دفتر رقم ١٩٢١ - أوامر كرام ص ١٨٩ - صورة الأمر الكريم رقم ٢٣ - بتاريخ ٩ ربيع ثاني سنة ١٢٨٣هـ. أمر كريم إلى الشيخ حسين خليفة متعهد طريق العتمور. دار الوثائق القومية بالقاهرة.

وقد وجه اللوم الشديد إلى الشيخ حسين خليفة على ذلك الإهمال الذي أدى إلى وقوع حوادث النهب والقتل محذرين ومنذرين من وقوع مثل ذلك مستقبلاً^(١).

ومن الجهود التي بذلتها الحكومة في هذا السبيل حفر الآبار لما لها من أهمية بالغة في هذه الصحراء القاحلة الخالية من المياه. وقد نبه الحكومة إلى ذلك مشايخ العربان في هذه المنطقة أمثال العبابدة وغيرهم وغيرهم الذي حضروا إلى مدير دنقلة وبربر لاستكشاف هذه الآبار. ولما كان إسماعيل يعني بهذه الناحية ولديه هيئة أركان حرب في الجيش تقوم بهذه المهمة فقد طلب إعداد واستغلال هذه الآبار وعددها سبعة آبار بعضها عذب وبعضها مالحة تقع جميعها على طول الطريق ما بين أبي حمد (بالسودان حالياً) حتى الرديسية بأسوان^(٢).

ومن الجهود التي يمكن الإشارة إليها قيام الشيخ حسين خليفة شيخ العبابدة ومتعهد الطريق بفتح طريق قصير وآمن من كرسكو إلى أبي حمد حيث كانت القافلة الصغيرة تقطعه في مدة من ٨-١١ يوماً، كما قام بتنظيف وإعداد آبار (مرات) العذبة، وقام ببناء مركز حصين للقوافل عند أبي حمد ضد هجمات البشاريين التي هددت طريق التجار والتجارة^(٣).

ولم يقتصر دور العبابدة في التجارة ما بين مصر والسودان على مهمة الحراسة والدلالة فحسب ولكنهم شاركوا بقدر في هذه التجارة. فقد صدر العبابدة الجمال إلى أسواق مصر ولا سيما سوق دراو الشهيرة، خصوصاً إذا علمنا أن فروعاً وأعداد كثيرة من العبابدة تعيش في دراو وما حولها. ففي هذه السوق تعرض إبل العبابدة والبشارية والرشايدة الذين يقيمون حول العظيرة وكسلا.

كذلك فقد تاجر العبابدة في السنامكة والفحم النباتي ونقلوه إلى أسوان وقنا وموانئ البحر الأحمر. وكانوا يقومون بشراء حاجياتهم من سوق دراو والتي غالباً

(٢) نفس الوثيقة.

(١) Hill.: op. cit., p. 59

(٢) محمد رياض: المرجع السابق، ص ١٦

ما كانت تتكون من الذرة والمنسوجات والأواني النحاسية. وقد قدر وليم هودجسون Hodgson ضرائب جمرك دراو باعتبارها سوقا تجاريا هاما ومستقرا للعبادة بعشرة آلاف دولار في عام ١٨٣٣^(١).

وقد ظل العبادة محافظين على امتياز النقل عبر الطريق ما بين مصر والسودان حتى إنشاء خطوط السكة الحديدية ما بين حلفا والخرطوم حيث فقد العبادة الأموال التي كانت تجبى نظير حراسة ومرافقة القوافل المارة بالطريق فتفرقوا في أنحاء مصر والسودان.

العبادة والثورة المهدية:

لعب العبادة دورا بارزا في حوادث الثورة المهدية منذ اندلاعها وحتى استرداد السودان. وقد بدأ هذا الدور من خلال زعيمهم ومدير بربر حسين باشا خليفة ورجال العبادة، ثم بدأ هذا الدور يتعاظم بوصول غوردون إلى بربر في ١١ فبراير عام ١٨٨٤ وتطور الأحداث التي أفضت إلى انتصارات المهدي ثم بداية مرحلة جديدة فيما بعد للقضاء على دولة المهدية وبداية استرداد السودان.

ولقد بدأت الثورة بتحقيق انتصارات عظيمة حيث أباد المهدي تجريدة هكس باشا في شيكان في الخامس من نوفمبر عام ١٨٨٣، وأصبح الاستيلاء على الخرطوم مسألة وقت. كذلك فقد رسخت أقدام المهدية في شرقي السودان وأبيدت جيوش الحكومة المصرية في سنكات وطمانيب، كما كانت كسلا محاصرة. أما في الجزيرة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق فإن صهر المهدي ود البصير قد أحرز عدة انتصارات. هكذا كانت حالة البلاد عند وصول غوردون إلى بربر - معقل العبادة - في فبراير عام ١٨٨٤^(٢).

ومنذ هذا التاريخ بدأ دور العبادة - بشكل مباشر - في أحداث الثورة المهدية حيث أرسل غوردون، وهو في أسبوط، رسالة إلى حسين باشا خليفة مدير

(١) تقرير وليم هودجسون (١٨٣٤) كما ورد بكتاب د. محمد فؤاد شكري: بناء دولة، مصر محمد

علي. ص ٢٨١.

(٢) سلاطين باشا: السيف والنار في السودان. تعريف جريدة البلاغ، ١٩٣٠، ص ١١٨.

بربر طلب منه إبلاغ العمدة والأعيان بأنه أصبح واليا مفوضا على السودان وأنه عند وصوله سيعزل جميع الموظفين الأتراك والمصريين ويولي حكاما من أهل البلاد ليعيد الحكم إلى ما كان عليه قبل فتح السودان، وأنه أعفاهم من الأموال المتأخرة حتى عام ١٨٨٣، ومن دفع الأموال مدة سنتين في المستقبل، وأنه خفض الضرائب إلى نصف ما كانت عليه، وألغى الأوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق. وحين وصل غوردون إلى كرسكو أرسل إلى حسين باشا خليفة رسالة باسم محمد أحمد المهدي يسميه فيها سلطانا على كردفان، وطلب منه أن يرسل الرسالة مصحوبة بهدية عبارة عن جبة جوخ حمراء وقفطان حرير أحمر وطربوش أحمر ومركوب أحمر فقام حسين خليفة بإرسال الهدية.

وحين وصل غوردون إلى بربر عقد مجلسا من العمدة والأعيان وألقى عليهم خطابا أعاد فيه ما ورد في رسالته السابقة إلى حسين خليفة وأضاف أن الجناب العالي (الخدوي توفيق) ترك السودان لأهله بناء على أمر منه إلى غوردون في ٢٦ يناير ١٨٨٤، وأنه قادم إلى السودان بهدف إعادة العساكر إلى مصر ليس إلا، ثم اختار اثني عشر عمدة وأمرهم أن يشكلوا مجلسا ويحكموا فيه بالشورى وأن لا ينفذ المدير أمرا إلا بعد إقرار هذا المجلس. ثم قام بعزل الحكام الأتراك وتعيين بعض الحكام السودانيين، وأعلن أن كل من أراد العودة إلى مصر سوف يرسل على نفقة الحكومة فرحل الكثيرون. ثم أصدر منشورا صرح فيه تسمية محمد أحمد سلطانا على كردفان وفتح الطريق بينه وبين بربر بعد أن كان موصدا والصق المنشور على باب المديرية وفي شوارع المدينة. ومن هنا بدأت الأحداث تتطور وشعر الأهالي بخطورة الموقف وربما بضعف الحكومة أمام المهدي فبدأوا يفكرون في الهجرة إلى المهدي أفواجا لا سيما بعد علمهم بعزم الحكومة على إخلاء البلاد^(١).

(١) حول هذه الإجراءات التي قام بها غوردون انظر ما يلي:

- محافظ مجلس الوزراء - السودان - الثورة المهدية - محفظة رقم ١/٩ و شئون عسكرية الفترة من ١٨٨٣/١١/١١ - ١٨٨٨/٣/٢٣. دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- محافظ مجلس الوزراء - السودان - الثورة المهدية - محفظة رقم ١/٩ و تليغراف بشأن الإعلان المقدم من حاكم السودان عن استقلال السودان بتاريخ ٢٢ فبراير ١٨٨٤. دار الوثائق القومية.

ولقد أدى الكشف عن الوثيقة الخاصة بإخلاء السودان إلى إثارة القلق والخوف ولا سيما عند حسين باشا خليفة وغوردون واهتزاز مكانة كل منهما وسلطته. وعندئذ أبرر غوردون وثيقة أخرى وصفها حسين خليفة «... بأنها مخالفة لتلك التي عرضت في الاجتماع السابق». ومن الواضح أنها كانت إحدى الوثيقتين الأوليين اللتين خلتا من أي إشارة إلى ترك السودان. وهنا بين له حسين خليفة بأنه «ما كان يجب عليه عرض الدكريتو السابق الذكر والسماح بقراءته لسكان الإقليم وشيوخه أولا مع تأجيل الوثيقة الأخرى التي عرضت فعلا حيث إنها تسببت في إثارة كثير من القلق وتأكد بها الشعب من تنازل الخديو عن السودان لأهله». وقد أعطى حسين خليفة - بناء على طلبه - نسخة من تلك الوثيقة لنشرها. وعند عودته إلى بربر قام بعقد اجتماع قرأ فيه نسخة الوثيقة التي جاء بها تعيين غوردون حاكما عاما للسودان. ويبدو أن ذلك اعتبر مناقضا لعمل غوردون إذ لا ترد به إشارة جديدة إلى مجلس الإقليم، كما لم تكن استجابة الناس لذلك مرضية. واعتقد العامة والشيوخ أن هذه الوثيقة قد وضعت بمعرفة حسين باشا خليفة حيث إنها لم تقرأ بواسطة غوردون نفسه.

ولما وصل غوردون إلى الخرطوم صباح يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٨٤ أمر بهدم الحصون التي عززها عبد القادر باشا حلمي حول الخرطوم وحرق السجلات الحكومية وأباح تجارة الرقيق، كما عني بموضوع ترتيب نوع من الحكم في السودان يصاحب التخلي عنه. وأخيرا هون كثيرا من شأن الثورة المهدية.

ولم تكن القرارات والإجراءات التي أصدرها غوردون بدءا بقرارات بربر وانتهاءً بقرارات الخرطوم ذات فائدة كبيرة في التأثير على أهل السودان بشكل عام. فقد كان إعلان تعيين المهدي - مثلا - سلطانا على كردفان أمرا مثيرا للعجب

= - محافظ مجلس الوزراء - السودان - الثورة المهدية - محفظة رقم ١/٩ و/تليغراف بتاريخ ٢٧ فبراير ١٨٨٤، صادر من الخرطوم إلى كافة أهالي السودان. دار الوثائق القومية.

- إبراهيم فوزي: كتاب السودان بين يدي غوردون وكشنر. الجزء الأول. ص ٢٦٥ وما بعدها.

- هولت: المهدية في السودان. ترجمة جميل عبيد. ص ١١٠ وما بعدها.

- نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته. الجزء الثالث. ص ٢١٣ وما بعدها.

والدهشة؛ لأن المهدي كان يحكم فعلا في كردفان، إذ أصبح محمد أحمد بالفعل - بعد موقعة شيكان - سلطانا معنويا على السودان كله وسلطانا فعليا على جميع السودان الغربي فهل يحفل بعد بلقب «سلطان كردفان» من حكومة جرد سيفه لقتالها وقهر جنودها المرة بعد المرة؟ ثم ما هي الفائدة في إخلاء السودان في مثل تلك الأحوال سوى إظهار العجز أمام المهدي وحمل الأهالي الذين كان لهم بقية أمل في الحكومة على تركها نهائيا والانضمام إلى المهدي قبل فوات الفرصة.

لقد كانت هذه الإجراءات منذ بدايتها وحتى وصوله إلى بربر خاطئة وخطيرة ساعدت على مزيد من انتصارات المهدي وتجمع الأهالي حوله وإظهار الحكومة بمظهر الضعف.

ويعلق شكري على هذه الأحداث بأن إطلاع حسين باشا خليفة مدير بربر على كتاب الخديو توفيق لغوردون أو ما صار يعرف بالفرمان السري «خطأ تقدير». حقيقة أن غوردون لم ينشر رسميا، أي يصدر منشورا أو إعلانا يتضمن نص هذا الفرمان الخديوي أو فحواه، ولكن كان كافيا أن يطلع غوردون هؤلاء الأعيان في هذا الاجتماع السري ليتشرب الخبر بسرعة كبيرة؛ ولذلك فقد وصف ستوارت هذا العمل من جانب غوردون بأنه «قفزة في الظلام» Leap in the dark وأشار إليه السير ريجينالد وينجت Reginald Wingat حاكم دار السودان (١٨٩٩-١٩١٦) بأنه «المنشور ذو الأثر المميت الذي أضاع السودان». أما غوردون نفسه فقد اعترف بهذا الخطأ الذي ارتكبه في بربر فكتب في «جورناله» وقد اشتد عليه الحصار في الخرطوم في ٩ نوفمبر عام ١٨٨٤ «إذا حصل المهدي على هذا الفرمان (السري) لازدهى بنفسه عجباً وخيلاً. ومع هذا فقد يكون قد عرف به لأنني اطلعت عليه - وأنا لا علم لي جيدا بمحتوياته - حسين باشا خليفة»^(١).

ويتساءل سلاطين باشا حول هذه الحادثة قائلا: ما الذي أغرى غوردون بإذاعة هذا المنشور والإعلان فيه إخلاء الحكومة المصرية للسودان، وقد نصح له

(١) محمد فؤاد شكري: مصر والسودان. تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر.

حسين باشا خليفة ألا يقرأه في بربر ولكن عندما وصل إلى بلدة المتمة قرأه أمام جميع الناس. فهل لم تبلغ غوردون منشورات المهدي التي أرسلها عقب سقوط الأبيض؟ ألم يعرف أنه كان يدعو الناس في هذه المنشورات إلى إعلان الجهاد على الحكومة وأن من يعصيه في هذا الأمر يعتبر خائناً للدين فتصفي أملاكه وتؤسر نساؤه وأولاده ويصIRON عبيداً للمهدي؟. وإذا كان غوردون يرمي بذلك إلى الحصول على معاونة هذه القبائل حتى يتمكن من سحب الحاميات فكان بإمكانه أن يتفق معها حول ذلك ولكنه أضاع الفرصة إذ كيف يمكن أن تساعد هذه القبائل إذا كان هو قد أعلن إخلاء السودان؟، ومعنى ذلك أن تترك هذه القبائل لرحمة المهدي. وما كان يفعل المهدي لو أنه علم أنهم عاونوا غوردون على أن يسحب الحاميات^(١)؟.

ولقد كانت هذه القبائل - حسب تعبير سلاطين - أعقل وأحصف مما حسبها غوردون. ولم تكن ثمة حاجة إلى رجل ذي مهارة خارقة لسحب الحاميات والذخائر على بواخر إلى بربر بحجة رفع الحصار عن المدينة وعندئذ تسحب جميع الحاميات أو معظمها ولكن كان ينبغي السرعة في هذا العمل ثم أنه لم يكن ممكناً بعد سقوط بربر في ١٩ مايو ١٨٨٤ كما سنرى.

وعلى كل حال فإن إذاعة منشور غوردون قد عجل بسير الأحوال إلى حد مزعج، فقد عرف الأهالي نية الحكومة في إخلاء السودان وصار كل منهم ينظر إلى مصالحه الخاصة التي صارت على خلاف مع مصالح الحكومة التي قلبها مواطنهم المهدي^(٢).

وثمة خطأ آخر ارتكبه غوردون في بربر وهو إعلانه أن الأوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق قد ألغيت. فقد كان ذلك بمثابة تأكيد آخر بأن الحكومة تعتزم إخلاء السودان. وقد أثار هذا الإعلان دهشة الناس وكان - لغرابته عليهم - أن الناس لم تصدقه في بادئ الأمر ثم إن هذا الإعلان قد ساعد على أن تزيد ثقة تجار الرقيق في أنفسهم وهم الذين قامت الثورة المهديّة على أكتافهم^(٣).

(١) سلاطين: السيف والنار في السودان. ص ١٢٧.

(٢) نفس المصدر. ص ٢٢٨.

(٣) نفس المصدر. ص ٣٢٨.

سقوط بربر (١٩ مايو ١٨٨٤):

وكما سبق أن أوضحنا فإن أكثر مناطق السودان قد وقعت في قبضة المهدي ولم يبق إلا القليل. وتعدز الزحف إلى المناطق الشمالية بقيادة محمد الخير أستاذ المهدي الذي قرر تعيينه مديرا على بربر ودنقلة.

وتجدر الإشارة أنه حتى ذلك الوقت فإن كثيرا من كبار السودانيين - رغم الانتصارات الكبيرة التي أحرزها المهدي - كانوا على ولائهم للحكومة المصرية أمثال السيد أحمد الأزهري (جد السيد إسماعيل الأزهري) والشيخ عوض الكريم أبو سن شيخ الشكرية وزعيم العبادة حسين باشا خليفة مدير بربر^(١).

ولكن حماسة الجنود الذين يقودهم المهدي ورجاله كانت جارفة فتقدم محمد الخير إلى بربر معقل العبادة في أوائل شهر رجب عام ١٣٠١ هـ (مايو ١٨٨٤م) ومعه نحو سبعين ألف مقاتل. ولما اقترب من بربر أرسل إنذارا إلى حامية بربر والسكان يدعوهم فيه للتسليم فامتنعوا، وأحاط رجال المهدي بالمدينة سبع ليال منذ الثاني عشر من مايو كانت المخابرات السرية خلالها جارية بين محمد الخير وبين حسين باشا خليفة مدير بربر الذي كان يؤمل أن المهدي لن يولي غيره عليها.

وكان في بربر خمسون ألف جنيه أرسلت من مصر لتفقات حامية الخرطوم فأرسلت الباخرة (الفاشر) لحملها إلى الخرطوم فأخذ حسين باشا يماطل ربان الباخرة حتى لا يصل المال إلى الخرطوم ويكون غنيمة للمهدي. وقد وقعت آنذاك كثير من ملابس غوردون وأمتعته التي أرسلت خلفه من مصر في يد رجال المهدي.

وكان محمد الخير قد أرسل رسالة موقعا عليها من شيوخ الإقليم إلى حسين باشا خليفة مدير بربر وضباط حاميتها تدعوهم إلى التسليم، ولكن حسين خليفة رفض ذلك. ومما جاء في هذه الرسالة «... أن الحكومة المصرية تركت لنا بلادنا فسلموها لنا وإلا نخرجكم منها بالقوة»^(٢).

(١) شكرى: المرجع السابق. ص ٢٦٢

(٢) حسن أحمد حسين خليفة: المرجع السابق. ص ٢١-٢٢.

وكانت حامية بربر قليلة لم تزد على ألف وستمائة عسكري نصفهم من الباشبوزق «غير نظاميين» والنصف الآخر من العساكر النظامية تحت قيادة البكباشي محمد أفندي فهمي. وقد حفر حسين باشا خندقا حول المدينة (بربر المخيرف) طوله نحو سبعة كيلو مترات، وكان حسين باشا قد طلب من غوردون باشا أن يرسل له مددا لتعزيز الحامية فكان يعده بقرب وصول النجدة إليه من مصر، فلما نفذ صبره سأل مصر تلغرافيا فردت عليه بعدم تيسر إرسال جنود. ولما وصله كتاب محمد الخير المار ذكره جمع ضباط الحامية وقرأ عليهم الكتاب فأجمعوا رأيهم على عدم التسليم وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد الخير وخاطبهم هذا مرة ثانية ناصحا لهم فرفضوا.

ولما أصبح محمد الخير قريبا من بربر ذهب إليه عبد الماجد أبو لكيلك الميرفابي وخشم موسى محمد الميرفابي اللذين عينهما غوردون باشا مأمورين وانضمّا إليه بما كان لديهما من أسلحة وذخيرة الحكومة التي صرفت لهما ولأتباعهما ولمحاربة أنصار المهديّة، كما انضم إليه كثير من الميراف وقبيلة الجهيماب وبلغ جيش محمد الخير أربعين ألفا من المشاة والفرسان وأصبح من المحتم سقوط بربر لكثرة المهاجمين وقلة حاميتها^(١).

وقد قام أنصار المهدي بقطع اتصالات بربر بالشمال والجنوب وأعد حسين خليفة ما استطاع من استعدادات للمقاومة. وفي النهاية دخلت قوات محمد الخير المدينة عنوة دون أن يصيبهم أدنى ضرر وأثخنوا الأهالي قتلا، وتعرض العباددة لمذبحة كبيرة. ويقال أن أكثر من ثلاثة آلاف من المصريين قد راحوا ضحية هذه المذبحة. أما حسين باشا فقد أحاط بداره حرس محمد الخير ومنعوا وصول أي أذى له رغم الحصار الذي ضرب حول بيته ومحاولة الفتك به. وقدم حسين باشا خليفة خضوعه لمحمد الخير. وقد أحسن الأخير معاملته لأنه كان صديقا له قبل قيام الثورة المهدية، كما عرف عن محمد الخير أنه كان عالما جليلا درس العلم في

(١) نفس المرجع، ص ٢٠-٢١.

بلدة «الغبش» تجاه بربر على الشاطئ الغربي للنيل، وكان يتلقى مرتبا ماليا من الحكومة المصرية^(١).

وبعد شهرين من فتح بربر أرسل حسين خليفة إلى المهدي^(٢).

وهكذا سقطت بربر التي تعتبر مفرق طرق كبير الأهمية، بل إنها تعد النقطة الوحيدة التي يمكن الارتكاز عليها لإنقاذ الخرطوم سواء عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق النيل.

ولما وصل حسين باشا خليفة إلى مقر المهدي قابله الخليفة (علي ود حلو) وسأله عن حالة والي بربر السابق والحالة في وادي النيل. فوصف له حسين باشا خليفة البلاد التي بين بربر وفاشودة قائلا: إنها صارت تابعة للمهدي وإن المواصلات بينها وبين مصر قد انقطعت. أما الخرطوم فإن غوردون يدافع عنها ولكن عرب الجزيرة قد حاصروها. وكان حسين خليفة يصف الأحوال بالصيغة التي تروق للخليفة. وقد سر الخليفة بهذه الأخبار ووعده بأن يقدمه للمهدي وأنه سوف يعفو عنه. وبالفعل فقد تمت مقابلة حسين باشا خليفة للمهدي^(٣).

وفي تلك الأثناء كان سلاطين باشا مقبوضا عليه، ولما جيء بحسين خليفة وضعا في مكان واحد. وقد خلا كل منهما إلى الآخر وصارا - كما يروي سلاطين - يتحسran عن الحالة التي آل إليها السودان، الأمر الذي يؤكد إخلاص حسين باشا خليفة للإدارة المصرية. وقد سأله سلاطين عن الحالة في الخزطوم وما يفعله السكان هناك، فأجاب قائلا: «وأأسفاه هي كما وصفت للخليفة. فإن إذاعة المنشور بإخلاء السودان قد قلبت الحالة وكانت سببا غير مباشر في سقوط بربر، ولست أشك في أنها كانت ستسقط على أية حال، ولكن هذا المنشور أسرع في

(١) حسن أحمد حسين خليفة العبادي: المرجع السابق. ص ٢٢.

(٢) إبراهيم فوزي: المصدر السابق. ص ٣١٨.

انظر أيضا: هولت: المرجع السابق. ص ١١٥-١١٦.

انظر أيضا: سلاطين: المصدر السابق، ص ١٣١.

(٣) سلاطين: المصدر السابق، ص ١٢٧.

سقوطها. وأضاف أنه كان قد منع غوردون أثناء وصوله إلى بربر من اتخاذ هذه الخطوة ولا يدري ما الذي جعله يسلكها ثانياً^(١).

وبالرغم من ذلك كله فقد تمكن حسين باشا خليفة من مخادعة المهدي حتى أقنعه أنه مخلص له في السر والظهر. ولما كان المهدي تسول له نفسه فتح مصر والشام والقسطنطينية ومكة المكرمة وإخضاع جميع الأمم، وكان الإنجليز آنذاك قد خرجوا من دنقلة، فقد شرع في الاستعداد لغزو مصر وكان لابد له من رجال يساعدونه على تحقيق ذلك فقام بتسمية حسين باشا خليفة عاملاً عاماً على قومه العباددة الذين كانوا داخل حدود مصر ومن أراد الانضمام إليهم من أهله وطلب إلى حسين خليفة أن يوافق المصريين حتى يدركه بجيشه.

وقد بعث المهدي في ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ إلى حسين باشا خليفة بمنشور في هذا الصدد وطلب منه تبليغ دعوة المهدي إلى الناس وإعطائهم البيعة واستفادهم لإحياء الدين. وقد فوضه المهدي في تولية من يرى فيه إصلاح المسلمين وعزل من يرى فيه إفسادهم^(٢).

وفي ذات الوقت أرسل المهدي رسالة إلى الشيخ منتشع كرار العبادي يسميه أميراً على قومه «الشناثير»، وإلى الشيخ بشير جبران العبادي يسميه أميراً على قومه العشاباب، وأخبر كلا من الشيخين المذكورين بتولية حسين خليفة عاملاً عاماً على العباددة. وقد خرج حسين باشا خليفة من أم درمان في ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ إلى القاهرة وهو غير مصدق أنه نجح^(٣).

وبعد مبارحته أم درمان بأيام قلائل توفي الإمام المهدي فأرسل الخليفة عبدالله قوة من الأنصار تقتفي أثره وتعيده ولكن حسين باشا خليفة كان قد تمكن من دخول حدود مصر والوصول إلى أسوان ثم إلى القاهرة.

(٢) نفس المصدر. ص ١٢٧.

(١) انظر نص المنشور بالملحق رقم (١) ص ٧٨.

(٢) نعوم شقير المصدر السابق. ص ٣٤٦-٣٤٧.

وقد جرى تقديم حسين باشا في القاهرة إلى مجلس عسكري لمعرفة الدوافع التي أدت إلى سقوط بربر وضياح خمسين ألف جنيه كانت مودعة بخزانة مديرية بربر ومسئوليته تجاه ذلك كله، لا سيما وأن بعض الكارهين له قد استغلوا الصداقة التي كانت بينه وبين محمد الخير فأشاعوا أن حسين باشا كان ميالا لسقوط بربر.

وكان تشكيل المجلس العسكري من اللواءات زهراش باشا ومحمد نصحي باشا وخسرو عزمي باشا. وفي نهاية المحاكمة بُرئ من هذه التهمة وعين مفتشا بوزارة الداخلية حتى توفي في عام ١٨٨٦^(١).

وبعد وفاة المهدي عام ١٨٨٥ مضت الحملات في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، ثم كانت حملة النجومي للزحف صوب مصر.

وقبل إرسال حملة النجومي وتمهيدا لها أرسل الخليفة عبد الله التعايشي رسائل إلى مشايخ العباددة للخروج على طاعة المصريين والانضمام إلى جيشه للزحف إلى مصر. ففي أول أكتوبر عام ١٨٨٨م كتب إلى بشير مصطفى أبي جبران قائلاً: «ونعلمك أن المهدي قد اتسعت دائرتها وشاع في بلاد الله أمرها وقد التفت الآن لفتح الجهات البحرية والشروع في توجيه الجيوش إليها بعون رب البرية ولا بد من وصولها لجهاتكم عن قريب فيلزم أيها المكرم أن تكون في غاية الأبهة والاستعداد والتحزب لجهاد أعداء رب السلام اخترناك أن تكون عاملا من طرفنا على أهاليك العشاباب وجميع من تبعهم وحررنا لك هذا بالعمالة عليهم وأمرنا المكرم محمد بحر كرار بمؤازرتك على ذلك ومساعدتك على تنفيذ إشارتنا والقيام بأمرنا في تأييد الدين وجهاد الكافرين»^(٢). وقد طلب منه أن يقوم بالتنبيه على أهاليه بالاتحاد والاستعداد للجهاد والانفصال عن أعداء الله - كما يقول - حين

(١) محافظ مجلس الوزراء - السودان - الثورة المهدي - محفظه رقم ١/٩/١ نمرة ١٩٤ - سودان - دار

الوثائق القومية.

انظر أيضا: نفس المحفظة - شئون عسكرية خاصة بمديرية بربر رقم ١٠٩٦ - دار الوثائق المصرية.

انظر أيضا: Hill, R., A. Biographical Dictionary ... P. 169.

(٢) نعيم شقير: المصدر السابق. ص ٥١.

يبلغه خبر قدوم الجيوش المهدية من دنقلة إلى حلفا والقيام بشن الغارة عليهم وقطع طرق المواصلات عنهم^(١).

وهكذا راح الخليفة يستثمر وجود العباددة وزعمائهم في شمال السودان وجنوب مصر نظرا لدرائتهم بطرق الصحراء الشرقية بين مصر والسودان، ولوح للزعماء بالسلطة التي لم يكونوا في حاجة إليها، فلم يدعن العباددة لذلك بل ظلوا - بشكل عام - مخلصين أوفياء للحكم المصري في السودان.

ولما وصلت حملة النجومي زاحفة صوب الشمال بهدف الوصول إلى مصر لقيت هزيمة منكرة في توشكي في أغسطس عام ١٨٨٩ لتقضي على أحلام التعايشي ومن قبله المهدي في فتح مصر. ولقد كان أحمد بيك حسين خليفة وأخوه ياسين بيك وجماعة من قبيلتهم ومعهم مائة جمل مع جيش الحكومة في هذه الموقعة.

وفي ذات التاريخ عينت نقطة من العباددة المليكاب في آبار مرات بقيادة صالح بيك خليفة فقام باحتلالها وطرد حسن خليفة الموالي للخليفة عبد الله في ٣ أغسطس ١٨٨٩.

وفي عام ١٨٩١ وصلت إلى مسامع صالح خليفة أن جنود المهدي في أبي حمد يستعدون للهجوم عليه ورجاله ونزل بهم إلى أبي حمد ودارت معركة بين الطرفين قتل فيها قائد رجال المهدي ويدعى سليمان ودقمر. وكان من نتيجة هذه المعركة تعرض العباددة من جماعة المليكاب في السودان للظلم فقام الخليفة بنفي أعداد كبيرة منهم إلى بحر الجبل، وصمم على الأخذ بالثأر من صالح خليفة فطلب إلى أمير دنقلة يونس الدكيم أن يتولى ذلك فأرسل الأخير عثمان أزرع على رأس ستمائة مقاتل بالأسلحة النارية لغزو آبار المرات وذلك في ١٢ نوفمبر عام ١٨٩٣ فدارت معركة بين الطرفين قتل خلالها صالح بيك خليفة بعد أن أبلى بلاءً حسناً. وتولى شقيقه عبد العظيم قيادة العباددة وظلت المعركة حتى الليل فعاد

(١) نعوم شقير: المصدر السابق. ص ٥١١.

رجال المهدي إلى دنقلة بعد أن قتل منهم تسعة وعشرون رجلا . وأما العباددة فقد قتلهم منهم - عدا صالح بيك - أحد عشر رجلا . وقد عين السردار عبد العظيم محل أخيه^(١) .

وقد شارك العباددة في المعارك التي مهدت لاستعادة السودان . فقد ساهم عبد العظيم بيك خليفة في موقعة أبي حمد في ٧ أغسطس عام ١٨٩٧ حيث طلب منه السردار أن يوافي هتتر باشا في أبي حمد فوافاه إليها بأربعين رجلا^(٢) .

كذلك فقد ساهم العباددة في احتلال بربر عام ١٨٩٧ حيث بلغ إلى مسامع هتتر باشا أن الزاكي عثمان البقاري الذي كان أميرا على بربر قد تركها فأرسل أحمد بيك حسين خليفة (أخا عبد العظيم بيك) بأربعين رجلا من عربان العباددة لتحقيق الخبر فوصل بربر في الحادي والثلاثين من أغسطس فوجد الخبر صحيحا وشارك في طرد سرية من أنصار المهدي بقيادة صالح التعايشي ، كما طرد منها أيضا الأمير قريقر التعايشي ومن معه من الأنصار ، وبعث رسولا إلى هتتر فع حضر بأربع وابورات ودخل بربر في ٦ سبتمبر ١٨٩٧ ورفع العلم المصري عليها . وقد سر هتتر باشا لجهود أحمد حسين خليفة العبادي ووعدته بمكافأة جزاء عمله هذا^(٣) .

وفي شهر سبتمبر عام ١٨٩٧ أغار الأمير عبد الرحمن صغير على رأس كتيبة من خيالة المهدي على مدينة العبيدية ونهبوا البلدة واستولوا في الطريق على البوستة الأميرية والخصوصية المرسله من مصر . فقام أحمد بيك حسين خليفة من بربر بصحبة مجموعة من رجاله واستطاعوا استرداد البوستة والمنهوبات وعاد إلى بربر فقابله كتشنر وهتتر باشا وتدوي بيك قومندان الهجانة عند بئر محبوك فسلمهم البوستة والمنهوبات فشكروه على ذلك^(٤) .

(١) نعيم شقير: المصدر السابق . ص ٥٠٦ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٧١ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٩٩ .

(٣) حسن أحمد حسين العبادي . المرجع السابق . ص ٢٧ .

وانظر أيضا: نعيم شقير . المصدر السابق . ص ٦٠ وما بعدها .

(٤) حسن أحمد حسين العبادي . المرجع السابق . ص ٢٧-٢٨ .

وهكذا يتضح لنا في مسيرة العبادة مع الثورة المهدية أنهم قاوموا الثورة المهدية في كل مراحلها ولا سيما في الجبهة الشمالية وتعرض بعض زعمائها للسجن والقتل ولم يذعنوا لإغراءات المهدي ورجاله للانسلاخ عن الإدارة المصرية بل واصلوا خدمة هذه الإدارة بإخلاص وظلوا يشاركون في القضاء على المهدية حتى استرداد السودان.

الخاتمة:

من ذلك كله يتراءى لنا أن العبادة قد لعبوا دورا رئيسيا في خدمة الإدارة المصرية بالسودان، وكان هذا الدور هاما لعدة عوامل:

العامل الأول: أن العبادة قد تركزوا في منطقة بربر وما جاورها التي تعتبر حلقة وصل بين مصر والسودان من جهة، وبين السودان وشرقه من ناحية أخرى حيث يبدأ من بربر طريق يصلها بالبحر الأحمر، وهذا الموقع الإستراتيجي أتاح لبربر أن تكون محطة تموين ومركز حشد لمعدات الحرب.

العامل الثاني: أن العبادة من خلال موقعهم الإستراتيجي الوسيط بين مصر والسودان كانوا أدلاء مهرة للقوافل واعتبروا بمثابة سلاطين للصحراء. فقد لعبوا هذا الدور باقتدار شديد وكانوا أشبه «بترمومتر» لقياس مدى ازدهار وكساد التجارة بين مصر والسودان. فكلما ضبطوا الطريق وحافظوا على التجارة والتجار، ولم تغال الحكومة في فرض المكوس والضرائب عليهم كان ذلك مدعاة لنشر الأمن وازدهار التجارة على طول الطريق، وفي المقابل فكلما أخل العبادة أو تقاعسوا في أداء هذا الدور كسدت التجارة كنتيجة لخطورة الأمن على طول الطريق.

العامل الثالث: أنه مع معظم الأحداث الهامة التي ارتبطت بتاريخ العلاقات بين مصر والسودان برزت خطورة العبادة في أداء أو المساهمة في هذا الدور.

ومن أمثلة ذلك ضم أو فتح السودان على يد إسماعيل كامل بن محمد علي وإمدادهم لهذه الحملة بالإبل والرجال، وكذلك أحداث الثورة المهدية واسترداد السودان. فقد لاحظنا كيف كان العبادة يلعبون دورهم بحنكة عندما وجدوا

أنفسهم في خضم أحداث الثورة المهدية وفي موقف لا يحسدون عليه، وكان زعيمهم آنذاك حسين باشا خليفة الذي كان يدين بالولاء للإدارة المصرية فإذا به يجد نفسه أمام تيار جارف للمهدية يكتسح السودان ويصل إلى شماله حيث معقل العبادة وأنه لا محالة أن يكون من المغرقين فيه . وللحقيقة التاريخية نقرر أن حسين باشا خليفة العبادي قد أثبت أنه مخلص للإدارة المصرية رغم هزيمته في بربر على يد رجال المهدية وسوقه إلى المهدي ليلاقى جزاء إخلاصه لهذه الإدارة . وقد استطاع هذا الرجل بما أوتي من دربة وحنكة أن يقنع رجال المهدي بإخلاصه لهم وأنه سوف يحاول أن يقدم خدماته لهم لكنه لم يفعل . وحين قدم للمحاكمة لم يجدوا ما يدينه فبرئ بل وأعيد للعمل في الإدارة المصرية حتى وفاته .

العامل الرابع : وربما جاءت أهمية هذا الدور الذي لعبه العبادة باقتدار أنهم كانوا موزعين بين أرجاء مصر والسودان وكانوا شديدي المعرفة بسيكولوجية الطرفين وكيفية التعامل معهما، وإن كانت الإدارة المصرية قد استثمرت فيهم هذه الخاصية إلى حد كبير .

وأخيرا يمكننا أن نعتبر العبادة مفتاحا لفهم الشخصية السودانية والمصرية وعاملا هاما للتقارب بين الشعبين السوداني والمصري لا سيما وأنه قد وجد اتهام من لدن بعض الساسة السودانيين - على طول مسيرة التاريخ بين الطرفين - بأن المصريين لا يريدون فهم الشخصية السودانية . فالعبادة من خلال مصالحهم التجارية ومصاهراتهم للسودانيين ووجود عائلات مشتركة بين مصر والسودان على طول التاريخ يمكنهم أن يلعبوا دورا هاما لإيجاد لغة حوار مشتركة .

البراعصة

أصل القبيلة :

أجمع الرواة من القبيلة والمحققون والباحثون في ليبيا ومصر أن مؤسس البراعصة هو محمد الملقَّب «برعاص»، وهو من ذرية الولي المغربي الشهير عبد السلام بن مشيش المدفون في جهات طنجة من المغرب الأقصى «جبل العلم جنوب طنجة». وقد ذكرت المراجع العربية والأجنبية ^(١) أن محمد «برعاص» تربى في بيت حرب بن عقار جد قبيلة الحرايبي من بني سُلَيْم في الجبل الأخضر (إقليم برقة).

وهو محمد «برعاص» ابن محمود فخر الدين بن يحيى بن نايل بن يوسف ابن يونس بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي بن محمود بن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وقد اختلفت المراجع في ترتيب الأسماء أو إسقاط بعضها أو زيادة أسماء أخرى في سلسلة محمد الشهير «برعاص» حتى الإمام إدريس الأكبر.

تاريخ القبيلة وما قاله بعض المؤرخين عن فروعها وشيوخها :

وتعد قبيلة البراعصة من أكبر القبائل العربية في إقليم برقة بالجمهورية العربية الليبية، حيث سيطر أفراد من هذه القبيلة على وظائف حساسة في العهد الملكي وساد نفوذهم آنذاك، ولا زال في هذا العهد يمثل البراعصة أهمية في إقليم برقة بليبيا ويتقلد الكثير منهم الوظائف المدنية والعسكرية في القطر العربي الليبي الشقيق.

(١) من المراجع التي تناولت نسب البراعصة.. انظر السنوسي محمد الغزالي (برقة قديما وحديثا ص ١٧١ منشورات دار الكتاب الليبي، انظر برقة العربية أمس واليوم ص ٦٥-٦٤ لمحمد الطيب بن أحمد بن إدريس الأشهب مطبعة الهوارى مصر، وسكان ليبيا لهنر يكودي أغسطيني ج ٢ ترجمة خليفة محمد التليسي ص ١٢٩ - الدار العربية للكتاب، معجم سكان ليبيا- خليفة محمد التليسي ص ٩٦، ٩٧ - دار الريان، وحاضر العالم الإسلامي لوثروب ستودارد - ترجمة عجاج نويهض تعليق الأمير شكيب أرسلان ج ١ ص ١١٢ طبعة ١٣٤٣ هـ - المطبعة السلفية بالقاهرة وذلك فيما أورده أرسلان من فصول وتعليقات ص ١١٢

وعُرفت قبيلة البراعة بين القبائل العربية بمجموعة من الصفات أشهرها كما يقول الأمير شكيب أرسلان في تعليقه على مؤلف حاضر العالم الإسلامي في ج ١ ص ١١٢: الشجاعة والنجدة، وتلقّب البراعة بأشراف ووجهاء البوادي ومثقفين يتميزون بنظافة اللبس وحسن المظهر، وكانوا يحفظون القرآن الكريم في سن مبكرة بزوايا السادة السنوسية ولا زال أغلبهم يحفظ القرآن، ولا يميل البراعة للتعصب القبلي.

وكانت حكومة الخليفة العثماني في إقليم برقة تخشاهم كما يقول محمد الطيب بن أحمد بن إدريس الأشهب في مؤلفه برقة أمس واليوم ص ١٢٤ - ١٢٦: تُخشى قبيلة البراعة ويحسب لها حساب كبير من الأتراك، وخاصة أن البراعة قد انتصروا على القوات التركية بزعامة خليل باشا والي بني غازي في معركة حاسمة، وقد سجلت أشعار البراعة هذا الانتصار الباهر على جيش الأتراك.

كما خاضت قبيلة البراعة معارك غديدة ضد الاحتلال الإيطالي الغاشم الذي بدأ في أوائل القرن العشرين وقد اعتمد المجاهد الكبير عمر المختار على أبناء البراعة في حروبه ضد الطليان في الجبل الأخضر، وقد أشاد العديد من المؤرخين في ليبيا بالدور الوطني لهذه القبيلة وتحدثوا عن بطولات أبنائها.

وكان الملك إدريس السنوسي ملك ليبيا الأسبق قد اعتمد على رجال البراعة في تصريف شئون دولته والتي أقيمت بعد خروج الطليان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من الأراضي الليبية.

قال عبد السلام الحبوني عن البراءة التالي^(١):

أملى علي السيد خليل العريضة البرعصي عضو مجلس الشيوخ الليبي قائلاً عن قبيلته البراعصة: يرجع نسب هذه القبيلة إلى سلسلة الشرف، المعروف أن جدهم الأكبر المسمى محمد فخر الدين، والذي ينتهي نسبه إلى سيدي عبد السلام ابن مشيش، ويسكن أفراد هذه القبيلة في المكان المشهور المعروف (الجبل الأخضر) الذي يمتد طوله شرقاً إلى مدينة درنة وغرباً إلى مدينة بنغازي وأمكتهم المشهورة هي جهات (مسي والبيضا) التي فيها قبر سيدي ربيع الأنصاري الصحابي الشهير وجنوبا (جروس والجراري) ومنهم عدد كبير بجهة الفيوم من الديار المصرية.

وينقسم البراعصة إلى ثلاثة فروع كبيرة هي: مسعود، وعبد المولى، وحسين. أما مسعود فمن بيوته طامية وعريف وخزاعل واليتامى وفيهم رجال مشهورون فمن طامية أبو بكر حدوث بيك واسمه أشهر من نار على علم والذي كان عرب البادية يلقبونه (اليه باكير) وابن أخيه محمد أبو فروة وعمر أبو جرجاف وتوفى منهم في الجهاد المجاهد الكبير الشيخ عبد الله حفالش والشيخ أبو جيداور ومنهم المجاهد المشهور سيدي حسن الجوفي وله وقائع مشهورة يرويها عنه العرب من الشجاعة نادرة المثال، ومنهم حمد أبو مريم وحمد أبو سليمان وحمد أبو مؤمن والصيفات أبو فروة وأبو أشديق مازق والصغير أبو بكر حدوث.

أما عريف بيوته شعيب وجريط ومنه أبو بكر سعيد عباس، والشيخ زقية أبو قفة وفيهم العمدة يوسف أبو سعيد، والشيخ مفتاح أبو زقية وعبد الله أبو إبراهيم وعبد السلام، دجاجات صاحب الصيت الطائل في حرب الطليان، والنائب المحترم ابريك حسن والشيخ السنوسي ابريدان والسيد الصاغ غيت أقدوره ضابط الحدود اللسية بجهة (كابتزو).

والفرع الثاني عبد المولى ومنه بيوت النظيف والطويرة.

والفرع الثالث حسين ومنه بيوت أحمددي ومن هذا البيت محمد أبو حماد السكران -رحمه الله-، وقد كان في زمنه عمدة لجميع أفراد القبيلة، والشيخ سعد أحويجه -رحمه الله-، لعائلة فاطمة، والعالم مفتاح أبو رجعة -رحمه الله-، ومن الأحياء المشايخ علي أبو رجعة ومحمد عبد الشجيع (عائلة أبو مخيشن).

ثالثاً عائلة عبد القادر وفروعهم كثيرة منهم العارف بالله تعالى سيدي عبد ربه ومنهم الشيخ المدهم رحمه الله وابنه صاحب العلم سيدي عثمان، ومنهم الشيخ حمد العريضة وقد خلف سبعة أولاد منهم أربعة توفوا في الجهاد مؤدبين حقوق الوطن، وكان أحدهم قائد الحملة التي جرها على الفرنسيين العارف بالله تعالى سيدي المهدي السنوسي والد الملك إدريس السنوسي وتوفي في عين كلك كما هو مدون بقلم فضيلة الشيخ الأخضر العيساوي، والثلاثة الباقون حاملون لكتاب الله تعالى: حسين العريضة وعبد السلام العريضة وموسى العريضة وكان في حملة السودان وتوفي مستشهداً في بلدة أم العظام بالسودان ومعه المجاهد السيد عبد الله الطوير والموجود منهم الآن المشايخ التريكي أدهيم عمدة القبيلة ووالده كان له شأن يذكر في السخاء والشهامة وعبد الله عبد السيد الملقب بالبوسته

وكان مرافقاً لسيد أحمد الشريف -رحمه الله- في الأستانة ومنهم عياد أبو القاسم وكان معه السيد المجاهد عمر المختار -رحمه الله.

عائلة أشعوه وبيوتهم أربعة، من المتوفين منهم: الشيخ صالح اللافي وعثمان أبو الويقة ومحمد أبو عرقوب والغرايني عثمان، وقد كان قائم مقام بجردس العبيد وتوفي في الجهاد، ومنهم البطل الشهير السيوفي خليل وموسى عثمان وعبد العليم عبد الله، من الأحياء العمدة العكول عثمان والحاج صالح محمد أبو عرقوب وقد كان مرافقاً لسيدي أحمد الشريف ومن المقرين إليه وإقامته ببلدة سيدي براني على الساحل الشمالي المصري.

وعائلة محمد وبيوتها أربعة، وفيهم من المتوفين السيد موسى أبو جودة وقد كان قاضياً بمدينة بني غازي ومنهم محمد الحنش والسيد موسى الدعيس، ومن الأحياء المشايخ حميد محمود الحنش والعمدة محمد محمود الحنش والعمدة محمد محمود، ومن كبارهم السيد حسين يوسف مازق حدوث والي برقة، والمستشار منصور أبو صديق مازق والنائب محمد الصيفات والشيخ دلاف عبد الله جلفاف عمدة عائلة جلفاف والشيخ عبد الحميد جلفاف والشيخ محمد عبد الله مدير مديرية طلميسة بليبيا.

وعميد قبيلة البراعصة حسين مازق بن يوسف بومازق بوبكر حدوث (باكير بيك) الذي كان حاكماً للجبل الأخضر في العهد التركي وهو من مواليد عام ١٩١٧م، ويمتاز بحدة الذكاء ودماثة الأخلاق إلى جانب سعة اطلاع وخبرة إدارية وبعد نظر، وقد تقلب في عدة مناصب إدارية هامة وشغل مراتب ذات قيمة جعلت أقرانه يشهدون له بالمقدرة الفائقة والخبرة الناضجة في تصريف الأمور وإنجاز الشئون الإدارية والسياسية.

وعندما تم تحرير إقليم برقة اتجه اختيار الجهات العليا إلى السيد حسين مازق فأُسندت إليه في سنة ١٩٤٦م منصب المتصرف لمنطقة شحات فكان أول متصرف وطني يتسلم مسئولية كاملة خلفاً لضابط كبير من أعضاء الإدارة العسكرية المؤقتة في ذلك الحين، كما كان أول قاضٍ ليبي يعين بالمحاكم الجنائية في البلاد، ثم رقي بعدئذٍ إلى منصب متصرف لواء الجبل الذي يشمل منطقتي شحات والمرج فصرفت الأمور بحنكة ودراية فائقة أهلته لأن يحتل قلوب السكان فأحبوه ولمسوا فيه أكرم الخلال وأنبل الأوصاف التي يمكن إطلاقها على الحاكم الرزين الحصيف والوطني المخلص الغيور.

وفي سبتمبر عام ١٩٤٩م حينما أعلن سمو أمير برقة (ملك ليبيا فيما بعد) استقلال إمارته الداخلي اختار أول من اختار السيد حسين مازق لتولي وزارة الزراعة والغابات ثم تجددت هذه الثقة الكريمة فأُسندت إليه وزارة الداخلية في الوزارة الساقزلية الأولى لبرقة، وقد بقي في هذا المنصب الرئيسي الممتاز الذي يحتاج إلى توفر صفات هامة، قل أن توجد في سواه، حتى شهر مايو ١٩٥٢م عقب إعلان استقلال ليبيا التام فعينه الملك إدريس الأول ملك ليبيا واليا على ولاية برقة، والوالي في ليبيا يمتاز على بقية الحكام باعتباره ممثل الملك ومركزه الأدبي والسياسي يقع قبل منصب الوزير في الأهمية، وإنك حينما تضرب في أية جهة من القطر الليبي لا تجد إلا من يشي على هذا الوالي الشاب الذي طبقت شهرته جميع أنحاء البلاد لما يتحلى به من أخلاق كريمة وإخلاص لوطنه وولاء للملك الذي وضع فيه ثقته السامية، وقد خطت ولاية برقة تحت حكمه خطوات واسعة في سبيل النهضة الاجتماعية والعمرانية والثقافية، ولاشك في أنه يحتل المكان الأول بين حكام الاقاليم الليبية الثلاثة لما أظهره طيلة توليه من مهارة ونشاط وإحكام.

ومن طامية عائلة حدوث ظهر محمد الصيفاط أبو فروة من مواليد عام ١٩١٦م التحق بالحياة السياسية في ليبيا في أواخر عام ١٩٥٠م حيث انتخب عضواً في مجلس نواب برقة في عهد الاستقلال الذاتي، كما تعين بمرسوم ملكي عضواً في الهيئة التأسيسية الليبية، وبعد أن أنهت الهيئة المذكورة أعمالها وأعلن استقلال ليبيا اشترك في انتخابات مجلس برقة التشريعي، وبعد ثلاث سنوات في المجلس المذكور عُين في شهر مايو سنة ١٩٥٥م بمرسوم ملكي ممثلاً لولاية برقة في لجنة البترول الليبية.

وكان اختيار الملك إدريس السنوسي له أكبر شاهد على ما لصاحب الترجمة من عقل راجح وكريم محتد؛ وذلك يرجع لبعد نظره، وكما قلنا سابقاً أن نسب هذا البيت (طامية) له سلسلة شرف فهم إذن عرب أشرف تحلّوا بصفات يعرفها عنهم جميع من خالطتهم، ورحمه الله الشاعر الذي قال هذا البيت:

هم حلّوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا

ومن عائلة شعيب من بيت عريف من المساعيد البراعصة نذكر عائلة حسن الفرخ أهل رأس مراوة مقر رئاسة المجاهدين بقيادة الشهيد عمر المختار، كان يقيم صاحب الترجمة وهو ما نعنيه "الأميرالاي" غيث قدورة البرعصي حكمدار الحدود الشرقية مثل من أمثال الحاكم التزية المتصرف خلال العقد له ميزة قل أن توجد في سواه، وكان اختيار الملك المعظم له حكمداراً للحدود الشرقية الليبية المجاورة للحدود الغربية لمصر أكبر شهادة لمتزلته عند جميع مواطنيه شرقاً وغرباً.

البراعصة في الديار المصرية بالبحث الميداني

يقيم معظم قبيلة البراعصة في محافظة الفيوم إلى جانب انتشارهم في محافظات أخرى بشمال الصعيد والوجه البحري، ويتنسب معظم براعصة مصر إلى زايد وجليد أبناء موسى بن يونس المعروفين في ليبيا بعائلة طامية وهم قلب البراعصة وبيت الزعامة والرئاسة فيهم، ومن أهم عائلاتهم بالفيوم بياض ومفتاح وباسل ولابد وهويدي وعقيلة، كما يتنسب بعض البراعصة بالفيوم إلى عائلة عبد نسبة إلى عبد بن مسعود بن برعاص، ومن عائلاتهم الهان والمبري وبعيص والبراني وأبو حرق، كما يتنسب بعض البراعصة إلى اليتامى نسبة إلى الإخوة الملقين باليتامى من أبناء مسعود بن برعاص، ومن أهم عائلاتهم سكران وأبو سيف ومن البراعصة من ينسب إلى أولاد حسين بن برعاص، ومنهم من ينسب إلى عريف بن مسعود بن برعاص، ومن عائلاتهم فكيرين والأبعج وحمودة وأبو سنين وأبو بذلة والمبري ومحمود، ويتنشر هؤلاء جميعاً في قري ونجوع ومراكز محافظة الفيوم.

ومن أهم عائلات البراعصة بالفيوم نفصل عن البعض منها كالتالي:

١- عائلة بياض (١)

ومؤسس هذه العائلة عمار الملقَّب بياض ابن جليد بن موسى بن يونس بن عبد بن مسعود بن محمد برعاص. وعمار هو أحد أبناء جليد من زوجته خضراء ويسمون بأولاد خضراء ويلقَّب عمار (بياض)، وقد عقب عمار العديد من الأبناء والأحفاد منهم عبد الله وحسين ودكم.

(١) منحت حكومة محمد علي باشا أبعادية للشيخ عبد الله بياض من قبيلة البراعصة بالقرب من صرنو بمديرية الفيوم وعائلة بياض بها رئاسة البراعصة في عهد محمد علي باشا.

ومن أشهر رجالات بياض:

العمدة نسيم مقبول سليمان بياض عمدة قصر بياض، والعمدة مدحت حسين توفيق سليمان بياض عمدة بقصر بياض أيضاً، والعمدة أحمد أبو بكر سليمان بياض عمدة بقصر بياض أيضاً، والأستاذ دكتور محمد أبو بكر بياض أستاذ أمراض النساء بالقصر العيني، والأستاذ الدكتور محسن أبو بكر بياض الأستاذ بكلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية، والأستاذ الدكتور محمد سعد مقبول بياض أستاذ الأمراض التناسلية والعقم بالقصر العيني، والمستشار فاروق يوسف بياض نائب رئيس محكمة النقض، والأستاذ عمرو ياسين يوسف بياض وكيل نيابة إدارية، وعميد شرطة ممدوح سعد مقبول بياض وكيل إدارة المخدرات، وعقيد بالقوات المسلحة عبد العظيم مصطفى مقبول بياض، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم كيلاني بياض بالزراعة، والعمدة محمود حمد دكم بياض، والمستشار أحمد محمد عبد القادر دكم بياض وكيل النائب العام، والأستاذ محمد نسيم مقبول بياض بالتربية والتعليم، والمهندس جمال عدلي مقبول بياض، والمحاسب طارق عدلي مقبول بياض بالسفارة الأمريكية، والمهندس صلاح علي بياض، والمحاسب علي محمد علي بياض، والمهندس جمال محمد مصطفى بياض، والمحامي محمد صلاح علي، والمهندس المعتر أنور بياض، وشيخ العرب عدلي مقبول بياض، والمحاسب مجدي محمد عبد القادر دكم بياض، والمحاسب حمد محمود حمد دكم بياض، وشيخ العرب محمد علي محمد علي^(١) بياض

(١) كان محمد علي بياض الكبير قائد حملة التبرعات من مصر إلي المجاهدين في ليبيا، ومعه سعودي نمر بياض وكان يقوم بجمع التبرعات من عرب القوم حمد باشا الباسل -رحمه الله-، ويتولى محمد علي بياض توصيلها إلى درنة في شرق الجبل الأخضر ويتولى حراستها. وكان للملك إدريس السنوسي وحمد علي بياض إقطاعية بالفيوم اشتروها من سمعان صنداوي ثم قام إبراهيم الشلمي مدير الطيران الملكي السنوسي بإعطاء العقد لسمعان صنداوي الذي استولى على الإقطاعية وقام بطرد محمد علي بياض بالحماية الفرنسية التي يحملها معه (لأن صنداوي يهودي فرنسي).

وهو من أبرز عائلة بياض المقيمين بعزبة محمد علي بياض تبع قرية فيدمين مركز سنورس، وكانت أسرته على علاقة وطيدة وصداقة متميزة بالأسرة السنوسية الحاكمة في ليبيا قبل عام ١٩٦٩م، ولهذه الأسرة أيضاً دور بارز في تجميع البراعة في مصر لمساندة الشعب العربي الليبي أثناء الغزو الإيطالي في بداية القرن العشرين، وأذكر أيضاً محمد محمود بياض الشهير برشاد بياض وله دور بارز في حل النزاعات بين قبائل العرب بالفيوم، ومصطفى عمار بياض -رحمه الله-، والشهيد طيار أحمد عصمت بياض، وشيخ العرب سنوسي عمار بياض -رحمه الله-، ومراد بياض -رحمه الله-، وشيخ العرب يوسف بياض وغيرهم الكثير.

ومن عائلة بياض في سوريا أسرة البطران في تل سبعين بمدينة حلب، ومن رجالاتهم أذكر عبد الرحمن علي البطران بياض، ومصطفى جنيد البطران بياض، وحسين عبد الرحمن البطران بياض، ودياب علي البطران بياض، وبكري بطران بطران بياض.

٢- عائلة مفتاح

وهم من أولاد مفتاح بن فكيرين بن علي بن زايد بن موسى بن يونس بن عبد بن مسعود بن محمد برعاص.

وقد عقب مفتاح من الأبناء علي وعقب علي سبعة أولادهم: محمود وعبد القوي وعبد الرازق وعبد الحميد وعبد الهادي وعبد العليم وعبد النبي، وقد استقروا جميعاً في بداية الأمر بعزبة والدهم علي مفتاح بناحية فارون مركز أبشواي، ثم انتقلوا إلى بلدة المشرك قبلي عقب تولي أحد أبنائها وهو محمود علي مفتاح عمدة القرية منذ إنشائها ١٩٠٣م، وقد عاد بعض عائلة مفتاح خلال فترة الستينيات والسبعينيات إلى مسقط رأس أجدادهم بمدينة البيضاء بالجبل الأخضر في برقة (ليبيا) ومازال يقيم معظم عائلة مفتاح ببلدة المشرك قبلي مركز أبشواي بالفيوم.

ومن أشهر أبناء هذه العائلة أذكر التالي:

العمدة محمود علي مفتاح تولي عمدة المشرك قبلي منذ إنشائها عام ١٩٠٣م حتى وفاته عام ١٩٥٢م، وكان كريماً جواداً شهماً شجاعاً لا يخشى في الحق لومة لائم، عرف جوده وكرمه القاصي والداني وقد أسهم بالمال والعتاد في

تحرير ليبيا من براثن الاحتلال الإيطالي عن طريق الشيخ محمد أبو فروة مندوب المجاهد الكبير عمر المختار إلى القبائل ذات الأصول الليبية بمصر، كما كان -رحمه الله- من قضاة القبائل العربية وأهل الحكم في مناراتها ليس في مصر فقط بل في أنحاء الوطن العربي، وقد قصده شعراء البادية وتنافسوا في مدحه. ومما قيل فيه:

همة علي مفتاح ما تدارى
 محمود ماظني حريم تجيبه
 شمس عظيمة لا ربح لا
 كثر الغريب وصاحبه وقريبه
 هني ملذوذ من عاش بجواره
 من بيت أماره بيت زايد
 وخوته قرومه جاعدين جواره
 كيف القمر يمشوا الناس في ضيه
 ولا ينجن عيت الصبايا ريه
 مرت عليها غيمه
 علقم على العدوان كيف الحيه
 يقضي حياته دوم في ماله
 فراسين لا تلبس لا تدارى
 كواكب سما بانث في ليلة عشه

ومن عائلة مفتاح أيضا العمدة محمد محمود علي مفتاح تولى عمدية
المشرك قبلي بعد وفاة والده وحتى وفاته وقد كان -رحمه الله- مثالا للكرم
والمروءة والنخوة، أحبه بصدق وإخلاص كل من عرفه، كما كان سياسيا بارعا
قوي الشكيمة شجاعا حتى أنه لُقّب بإمبراطور غرب الوادي رمزا لسيطرته على
مقاليد الأمور في هذا الإقليم، ومدحه شعراء البادية والحضر وأذكر فيما قيل
عنه:

البراعة اللي كانوا في كل وادي
أهل عزة وأنت أهل للكرامه
عمدة تجوز المهابه والشهامه
في نواحي الحق لا تخشى ملامه

ومن عائلة مفتاح أيضاً عبد الله بك محمود علي وهو من الشخصيات العامة في محافظة الفيوم والسياسيين البارعين، فيها شغل العديد من المناصب

السياسية على رأسها عضو بالبرلمان المصري (مجلس الشعب) حيث كان أصغر أعضاء المجلس وقت انتخابه أول مرة إذ كان عمره ثلاثين عاما، واستمر عضوا بمجلس الشعب لأكثر من دورة. ومن المناصب التي تولاه أيضا عضو المكتب السياسي بالحزب الوطني الديمقراطي وأمين عام الفلاحين بالحزب الوطني بمحافظة الفيوم وعضو مجلس محلي الفيوم وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لمنتجي الأقطان في مصر ولازال حتى الآن يشغل هذه الوظيفة.

ومن عائلة مفتاح شيخ العرب راغب محمود علي مفتاح كان أحد عمد قبيلة البراعصة بمحافظة الفيوم وانتخب شيخاً لبلدة المشرك قبلي.

ومنهم الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله محمود علي مفتاح الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر والمحامي بالنقض وعضو الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والتشريع والجمعية المصرية للقانون الدولي وأمين عام وعضو مجلس إدارة جمعية تنمية المشروعات الصغيرة بمحافظة الفيوم والمستشار القانوني للجمعية ولشركة أعلاف الفيوم.

ومنهم الأستاذ محمد عبد الله محمود المحامي والمستشار القانوني بالفيوم، والكيميائي إيهاب عبد الله محمود براديو وتلفزيون العرب ART بالملكة العربية السعودية، والمهندس زراعي عبد الجواد محمد محمود علي حالياً بالبيضاء- ليبيا، والطيار كمال محمد محمود علي بالجماهيرية العربية الليبية، ويأسر عبد الله، ومحمود محمد راغب المحاميان.

٣- عائلة باسل^(١)

ومؤسسهم باسل بن فكيرين بن علي بن زايد بن موسى بن يونس بن عبد ابن مسعود بن محمد برعاص وقد عقب باسل ولدين هما أبو لطيفة، وعبد الله وتقيم هذه العائلة بقصر أبو لطيفة مركز أبشواي وقد تولي العديد من أبنائهم عمدية البراعصة بمحافظة الفيوم، منهم العمدة السيد أبو لطيفة، وكما يتولون عمدية أبو لطيفة منذ إنشائها وحتى الوقت الحاضر.

(١) وهم غير عائلة باسل من الرماح من الفوائد في الفيوم والذين منهم حمد ماشا الباسل.

ومن أشهر أبناء الباسل في الفيوم أذكر التالي:

العمدة عبد الجواد عبد الله باسل عمدة قصر أبو لطيفة -رحمه الله-،
والعمدة محمد عبد الله باسل -رحمه الله-، والعمدة علي محمد عبد الله باسل
-رحمه الله-، والعمدة عبد التواب صالح أبو لطيفة -رحمه الله-، ومصطفى
موسى أبو بكر عبد الله باسل عضو مجلس أبشواي من خبراء أبناء البراعة،
ومحمد إبراهيم عبد الجواد عبد الله باسل، وصالح عبد التواب صالح أبو لطيفة
نائب رئيس مجلس مدينة أبشواي، ورائد شرطة حسين عبد التواب صالح
أبو لطيفة بمديرية أمن الفيوم، وحمدى يونس شيخ بلدة أبو لطيفة، وعبد السلام
علي عبد السلام عبد الجواد عبد الله باسل المحامي، والأستاذ عطية موسى
أبو بكر عبد الله باسل بالتربية والتعليم. وهناك الكثير من أبناء هذه العائلة
ومعظمهم من الشباب المشرف.

٤- عائلة مويدي

ومؤسس العائلة هويدي بن فكيرين بن علي بن زايد بن موسى بن يونس ابن عيد بن مسعود بن محمد برعاص. وقد عقب هويدي مختار، وعقب مختار السيد. ومن أشهر أبناء هذه العائلة هو الأستاذ عبد الجليل السيد مختار بالتربية والتعليم، ومختار السيد مختار، وتقيم هذه العائلة بعزبة الشاهد مركز أبشواي.

٥- عائلة لاند

ومؤسس العائلة لابد بن فكيرين بن علي بن زايد بن موسى بن يونس بن عبد بن مسعود بن محمد برعاص.

ويقيم معظم أبناء هذه العائلة بالوقت الحاضر في الجماهيرية العربية الليبية، ومن أشهر رجالاتهم في الفيوم حسين عبد الجيد لا بد ويقيم مع بعض عائلته بالمشرك قبلى مركز أشواي بالفيوم.

٦- عائلة رحيم وعائلة أبو شويحة

وهم من عائلة زايد بن موسى بن يونس بن عبد بن مسعود بن محمد
برعاص ويقيم معظمهم بالمشرق قبلى .

٧- عائلة أبو سيف

وتقيم بالمشرك قبلي، وهم فرع من اليتامي.

٨- عائلتنا المحضي وشويشن

وهم فرع من عبد بن مسعود بن محمد برعاص وقيمون بالمشرك قبلي.

٩- عائلة العنقوس

وهم فرع من فرع حسين بن محمد برعاص وقيمون بالمشرك قبلي.

١٠- عائلة المبروك

وهذه العائلة تقيم في الشرك قبلي أيضاً مركز أبشواي- محافظة الفيوم.

١١- عائلة الجيلاني

هي إحدى عائلات قبيلة البراعصة بمحافظة الفيوم وتقيم في عزبة الجيلاني- مركز أبشواي، ونذكر منهم الأستاذ ربيع صديق الجيلاني المحامي بالنقض، والمستشار حسين ربيع صديق الجيلاني بهيئة قضايا الدولة، والأستاذ عماد ربيع صديق بالجهاز المركزي للمحاسبات، والعمدة صالح عبد القوي الجيلاني عمدة عزبة الجيلاني، والعمدة محمد عبد النبي الجيلاني، وشيخ العرب علي عبد النبي الجيلاني عضو مجلس محلي محافظة الفيوم.

١٢- عائلة سكران

وهي إحدى عائلات قبيلة البراعصة، وتنسب إلى اليتامي، وهي تقيم بمركز إطسا ومركزي الفيوم وأبشواي.

١٣- عائلة الهانين

وهي إحدى عائلات قبيلة البراعصة المنتسبة لعبد بن مسعود بن محمد برعاص وتقيم بعزبة الهانين في شعلان مركز أبشواي. ومن أبنائها البارزين فتحي صابر الهانين عضو مجلس الشعب -رحمه الله-، والعمدة سعداوي عبد الرحمن الهانين عمدة قرية الهانين، والمهندس حمدي محمد عبد الرحمن الهانين مدير ري الفيوم، وعدلي عبد الوهاب الهانين عضو مجلس إدارة وسكرتير جمعية الخضر والفاكهة، وسيد عبد الحلیم الهانين من كبار المزارعين، وعبد الويس عبد الحلیم الهانين، وعبد الرحمن سعداوي الهانين وغيرهم.

١٤ - عائلة السعداوي

وتنسب إلى عبد بن مسعود بن محمد برعاص وتقيم بعزبة السعداوي تبع
عمدية الهانين بمركز أبشواي، ومنهم الأستاذ عادل سعداوي المحامي، والدكتور
شريف سعداوي الأستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان.

١٥ - عائلات بعيص والبراني ودردير وأبو حرق

وهذه العائلات تنسب إلى عبد بن مسعود بن محمد برعاص، وتقيم بقرية
فيدمين مركز سنورمن وعزبة دردير مركز أبشواي وعزبة جاب الله وعزبة دسوق.
ومن رجالاتهم أذكر:

دسوقي عبد القادر دسوقي مدير بالتعليم الاعدادي، وشيخ البلد أحمد
مصطفى دردير، وشيخ البلد سعيد دسوقي - رحمه الله -، وكرم عمار دردير،
وهشام دسوقي عبد القادر، وشيخ العرب سعداوي براني، والأستاذ مصطفى
محمود محمد جاب الله بالجمارك، والمحاسب طارق ربيع محمد جاب الله -
والمستشار خميس علي مجاور عمار رئيس محكمة، وشيخ العرب رواق بطور
جاب الله.

١٦ - عائلة خزاعل

هي إحدى عائلات البراعصة بالقيوم وتقيم بعزبة السلوت تبع قرية سنهور
مركز سنورس وقرية السيلين وعزبة الحلفايا والشيخ صالح وعزبة والي مزار
والأبعدية بقارون. وأذكر منهم شيخ العرب مرعي علي داوود، وشيخ البلد داوود
علي داوود، وشيخ العرب حسين عبد الحميد عبد السلام، ومحفوظ صالح
مرعي، وعبد اللطيف عبد العزيز عبد المولى، وشيخ العرب محمد سلطان
أبو العيد، ومحمد صالح خزاعل، وأحمد محمد صالح وغيرهم.

١٧ - عائلة المبري

وهي إحدى عائلات عريف بن مسعود محمد برعاص، وقد منح الملك
فاروق الأول ملك مصر والسودان السابق جدهم المبري لقب الباكوية، وتقيم بعزبة
المبري مركز أبشواي وعزبة هويدي مركز أبشواي أيضاً. وأذكر من رجالاتهم:

شيخ العرب نايف حاتم المبري، وطلال حاتم المبري، وعبد الرحمن مأمون
المبري، والمبري عبد الجواد المبري بعزبة هويدي.

١٨- عائلات الأبعج وفكيرين وحمودة وأبو بذلة وأبو سنين ومحمود

وهم من العائلات المنتسبة الى عريف بن مسعود بن محمد برعاص، ومنهم شيخ العرب محمد المأمون الأبعج، والأستاذ راضي سليم توفيق الأبعج المحامي، وشيخ العرب للموم الأبعج، وحمد الأبعج. وتقيم معظم هذه العائلات في نجع الأبعج بمركز إطسا.

١٩- عائلة رحيم

وهي إحدى عائلات البراعةة ويقيمون بمركز الفيوم نجع محجوب رحيم، والشيخ فضل، وقرية ثلاث. وأذكر منهم: الأستاذ حسن محمد عوض محجوب بديوان عام محافظة الفيوم، والمستشار صلاح لطفي محمد عبد النبي محجوب بالقضاء، والمحاسب أحمد محمد عبد النبي محجوب، والأستاذ جمال لطفي محمد عبد النبي المحامي، والضابط بالقوات المسلحة علي حسن عبد الجواد محجوب

٢٠- عائلة السميكي

وتشتهر أيضاً بعائلة عقيلة وهي تنسب لجليل بن موسى بن يونس بن عبد بن مسعود بن محمد برعاص، وشيخهم الأحول عقيلة -رحمه الله-، وقد عقب الأحول عقيلة: الأحول وعقيلة ثم عقب عقيلة الشيلابي ثم عقب الشيلابي عقيلة وعمار، وقد تولى عقيلة عمدية قبيلة البراعةة حسب ما ورد في قانون العريان الصادر في ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥م ثم خلفه محجوب عقيلة، ثم خلفه علي محمود عقيلة، وآخر من تولى منهم عمدية قبيلة البراعةة هو محمد عقيلة -رحمه الله-. أما عمار فقد أعقب عبد الجواد ثم أعقب عبد الجواد السيد الذي كان عمدة منشأة دكم، وخلفه محمد عبد الجواد. ومن رجالات هذه العائلة العريقة أذكر التالي:

شيخ العرب عبد الستار محمد عقيلة -رحمه الله-، والعمدة محمود السيد عبد الجواد عمدة منشأة دكم، وجودة السيد عبد الجواد عضو مجلس الأمة وكان من أصغر أعضائه ثم عضو المجلس الشعب على مدار أكثر من دورة، وهو من كبار السياسيين في الفيوم ومن كبار المحكمين بين القبائل في سائر المنازعات، واللواء السيد جودة السيد بالقوات المسلحة، والمهندس محمد جودة السيد مدير الإدارة

الهندسية بشركة الإصلاح والمعادن بالفيوم، والمحاسب هشام جودة مدير البنك الوطني بمركز أبشواي، والمستشار بهجت جودة السيد بمجلس الدولة، والمحاسب عبد الله عبد الستار محمد عقيلة مدير شركة الاستزراع السمكي بالفيوم، والأستاذ عاطف عبد الستار مدرس بالتعليم الثانوي، وشيخ العرب صديق الدامي -رحمه الله-، والمهندس محمد محمود السيد عبد الجواد بجامعة البحرين، والأستاذ طارق محمود السيد عبد الجواد مدرس بالتعليم الثانوي، والمحاسب مصطفى محمود السيد عبد الجواد، وشيخ العرب عمار محمد عبد الجواد -رحمه الله- وشيخ العرب صلاح محمد عبد الجواد، والأستاذ حاتم محمد عبد الجواد، وحمدي محمد عبد الجواد، وكمال محمد عبد الجواد.

ويقيم معظم أفراد هذه العائلة بعزبة عقيلة ومنشأة دكم بمركز سنورس بالفيوم.

٢١- عائلة عبد البرعصي

كما توجد عائلة عبد البرعصي في عزبة عقيلة سعد تبع منشأة الذهب-المينا، ومنهم الأستاذ أبو الفتوح مساعد تولى مصمم ديكور ودراما ومناظر بالتليفزيون المصري.

أهم عائلات البراعصة بالوجه البحري

١- عائلة أبو دنيا في طنطا محافظة الغربية.

٢- عائلة المشري في سمندو محافظة الغربية.

٣- عائلة أبو راس في حوش عيسى بمحافظة البحيرة، ومنهم عبد الكريم أبو راس والأستاذ مرزوق أبو راس.

٤- عائلة جلفاف بالساحل الشمالي.

سمالوس

نسب القبيلة:

اختلف الرواة من القبيلة في نسبها فبعضهم ذكر أن جد القبيلة الأكبر كان يُسمى أحمد بن نصر الحساني من قبيلة بني سليم العدنانية، وسكنوا وادي سمالوس بالجبل الأخضر في إقليم برقة بليبيا فسميت القبيلة باسم ذلك الوادي وقدم منهم للديار المصرية قسم كبير قبل ثلاثة قرون، وانتشروا في الوجهين البحري والقبلي، وتعد من قبائل المرابطين الكبيرة.

وقيل أن أهم آبارهم في الساحل الشمالي المصري هي ثواني السمالوس علي بعد ٥٠ كم شرق مدينة السلوم، والأخرى على بعد ٢ كم جنوب مركز الضبعة.

وهناك رأي يذكر نسبهم للأشراف الحسينيين من قريش العدنانية. وذكر النابلسي في تاريخ الفيوم، وعلي باشا مبارك في الخطط التوفيقية أن سمالوس من بني عجلان ولم يرفعا في نسبهم ولم يذكر علي أي مرجع استندا.

قلت: وعجلان بطون عديدة في قبائل العرب ولا يمكن بذلك إقرار نسبهم لأي قبيلة لو صح أنهم أصلاً من عجلان هؤلاء.

ما قاله بعض المؤرخين عن سمالوس

ذكر ب. م. مارتان الفرنسي المؤرخ المعروف وقد أسماهم «السمالو» وقال: أحيانا يُطلق عليهم السمالوس، وقد أطلق هذا الاسم على التجمع القبلي الذي كان يقيم أهله بإقليم الفيوم ويوزع شيخ القبيلة على أبنائه زعامة كل قسم من أقسامها، وكان السمالو قوماً ذوي بأس شديد، وكانوا على الدوام في حالة حرب مع القبائل الغربية التي تأتي لشن غاراتها داخل الإقليم لسلب قرى السمالو، وقد استقر عربان السمالو بصفة ثابتة في إقليم الفيوم، وكانوا يعيشون في حرب مع قبائل الضعفا والفرجان

وقال أميديه جويير الفرنسي: كان عرب السمالو يقيمون في نواحي بحيرات النطرون (في الصحراء الغربية لمصر) ويقومون بنقل ملح النطرون من البحيرات^(١).

وقال أيضاً جيران - مؤرخ أوروبي: كانت تلك القبيلة العربية قد نزلت أرض الفيوم في أوائل القرن الثامن عشر واندمج الكثير من أفرادها مع فلاحي قرى الفيوم.

وقال اللواء صلاح التايب عن سمالوس^(٢):

السمالوس من كبرى قبائل المرابطين في مصر منذ ستة قرون قدموا من وادي سمالوس^(٣) في برقة بليبيا فسموا به، وذكر المؤرخون في ليبيا أن جدهم الأعلى يسمى نصر الملقب بجبار الكسر، وقد أنجب ثلاثة أمهم من قبيلة أولاد سليمان وهم القاضي وذريته ويسمون القواضي، وسلطان وذريته السلاطنة، ومحير وذريته المحارزة، والثلاثة الآخرون سيدي عزيز وأبو حريرة وعبد الله الذي تزوج من قبيلة خويلد المشهورة في بني سويف وأنجب تسعة أولاد هم: حمود ومنه الحمودات ومنهم بالحمام بالساحل الشمالي عائلة همام، وعبد الرزاق وهو جد عائلة أبو زويل ومنهم في «أبو المطامير» بحيرة، وأبو كبيرة، وعزيز، وعيسى، وعويان، وأبو شودة، وأبو نخيلة، والعنادي.

ومساكن سمالوس في محافظة الفيوم وبعضهم في الصحراء الغربية وفي البخيرة، وعن العائلات في الفيوم فأغلبها في أبو جندير والمنزلة والحامول، وأيضاً منهم في عزب المختلطة وشعلان مركز أبشواي وهم من أغني العائلات في تلك النواحي، وكما تنتشر عائلات موسى سيف النصر وعائلات مغيب وغيث في تلك النواحي أيضاً وفي قرى نزلة شقيطن المختلطة بأبشواي وغيرها، وهذه العائلات من أقوى وأشهر عائلات الفيوم، ومن عائلة سيف النصر سيف النصر بيك موسى - رحمه الله - عضو النواب السابق ومنهم الدكتور أحمد رشاد موسى الأستاذ في جامعة القاهرة، وموسى عبد العال مدير مكتب وزير النقل

(١) انظر وصف مصر ج ٢ ص ٤٣ - (حصر القبائل العربية ما بين مصر وفلسطين).

(٢) القبائل المصرية - صلاح التايب.

(٣) يروى من كبارهم أنهم من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب (أشراف) من قريش.

والمواصلات، ومن رجالاتهم أيضاً شيخ العرب رياض سيف النصر، وشيخ العرب ربيع سيف النصر عمدة سمالوس في الفيوم، وطه سيف النصر عضو النواب، وكمال سيف النصر وكيل وزارة التموين، والمستشار إبراهيم موسى، ومن عائلة مغيب شيخ العرب علي علواني، ومحمود خليفة غيث، ومحمد غيث عمدة صول.

ومن عائلات سمالوس أيضاً في الفيوم عائلة زيدان ومنها رجالات عدة أذكر منهم صالح غيث رئيس المجلس المحلي.

ومن سمالوس^(١) فروع منتشرة في الصحراء الغربية منها الفلاط والتعابي والحبوص والدمينات والجويليلي، ومن هذه الفروع عدة عمد منهم العمدة فوضة عبد القادر، والعمدة، عبيد رسلان والشيخ إبراهيم محمود عضو مجلس الشورى المصري.

وأشهر فروع سمالوس هي الدمينات ومنها عائلات كبيرة في الصحراء الغربية والبحيرة مثل: الضاوي، وأبو قلادة، والبطوي، والخشومات، والحصنا، والعزازه، والسقروف، والمحمودات، والعربي، والخطابي، وحسين، وكيلائي، ومسعود، ودمين، والشكيوي، وخليفة، ومبروكة، وقاسم.

ومن الدمينات العمدة محمد عبد الفضيل والمستشار فايز عبد الفضيل والشيخ عبد الفضيل في العامرية والبحيرة وله نشاط في رابطة أبناء القبائل. كما تتفرع من سمالوس فرع زواوة ومن شيوخهم سالم عابد وجويده أيوب وأندير آدم ومنهم فرع الحبوس ومن كبارهم كريم مهدي وعبد الله حميدة، ومن سمالوس في الغربية وقراهم منية البطس والطارمة ونزسا وبجوية.

وقال عبد السلام الحبوني عن سمالوس^(٢):

أملاني السيد عبد الفضيل قاسم أبو أمين عمدة قبيلة سمالوس ومقيم بعزبته بجهة أبو المطامير (محافظة البحيرة) قائلاً عن نسب القبيلة:

(١) ذكر أميديه جويرير الفرنسي عام ١٧٩٨م في وصف مصر أن السمالوس في نواحي وادي النطرون وعدد فرسانهم ٢٠٠ فارس، ومنها في الفيوم في «أبوجندير» وسنورس وشرق التوتون ودفنو وهلية والعدوة والمعصرة والمصلوب وسرسنا وجبله ومطر طارس وباهي آمون وترسا والزواني والروضة، وكما ذكر أن من فروعهم كرم الوزاي والمناسي والمعرين والروملة والحمودات وحواطة، وأن شيوخهم أبا صالح وعدد شاتهم ٩١٠ وخيالهم ٥٠٥ وجمالهم ١٠٨٥ وخرافهم ٧١٥٠

(٢) انظر أنساب قبائل العرب الحبوني ص ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣ ط ١٩٦٠م

(١) هنا رواية العمدة السمالوسي فيها ثمة خطأ فقال إن الوادي تسمى باسم القبيلة، والعكس هو الصحيح أن القبيلة تسمت باسم الوادي المعروف قبل تكون سلالتها، ولأن مؤسسها أصلاً كان يسمى نصر وليس سمالوس، ولم يكن ذلك لقباً له حسب ما أجمع رواة القبيلة.

وأضاف الحبوني قائلاً أنه قد وصل إليه نسب وفروع السمالوس من الشيخ خالد سليمان إمام مسجد مطروح حيث قال: الجد الأعلى لقبيلة سمالوس هو (نصر الملقب جبار الكسر) ومقامه بجهة بالقطر الطرابلسي، وقد خلف جدوعاً ومقامه بجوار أبيه وهو خلف الخنشير وله ستة أولاد؛ ثلاثة منهم أمهم من قبيلة أولاد سليمان وهم القاضي وذريته يُسمون بالمحارزة والثلاثة الآخرون سيدي عزيز ولم يعقب والثاني أبو حرية ولم يعقب أيضاً، والثالث عبد الله، وقد تزوج بنت سيدي جبر الله من قبيلة خويلد المشهورة ببني سويف وغرب طرابلس، وقد خلف منها تسعة أولادهم حمودة ومنه الحمودات ومنهم بالحمام عائلة همام، ثانياً عبد الرازق وهو جد أولاد أبو زويل^(١)، ومنه عائلة الدريس وكبيرهم الشيخ عبد اللطيف منصور البريس بمحطة المركب مركز أبو المطامير بمحافظة البحيرة، ثالثاً أبو كعيرة وهو جد الحبوس وكبيرهم الآن الشيخ إسماعيل الشوبكي بمحطة الريكو، رابعاً عزيز وهو جد العزارة بمديرية الفيوم، خامساً عيسى وهو جد المعريين والخشومات والمنافسة، سادساً عويان هو جد الزاوات، سابعاً أبو شودة وهو جد الشوايات بالفيوم، ثامناً أبو نجيلة وهو جد الشعوب والرميلات، تاسعاً الضاوي هو جد الضوايات ومنهم سيدي فلاق وسيدي شبيب رضي الله عنهما، ومن بين هذه القبيلة عائلة تسمى أبو ريشة، ومن كبار هذه العشيرة الشيخ صالح أبو مسعود السمالوسي، وله شأن يذكر في فض النزاع بين قبائل العربان في الديار المصرية، وعمدة هذه القبيلة بجهة الصحراء الغربية بمركز الضبعة هو العمدة فوضه وهو رجل شهم مشهور بحسن السيرة المحمودة وطيب الخلق والكرامة.

ومن مشاهير السمالوس أيضاً فضيلة الشيخ عبد الله كريم مدرس بمعهد الإسكندرية ووالده الشيخ كريم، وفضيلة الشيخ موسى حسين -رحمه الله-، وفضيلة الشيخ موسى أبو حقاق وهو من نسل «أبو حقاق» المشهور عند العرب بنضارة الجروح على اختلاف أدوائها.

وقبيلة السمالوس من أعظم قبائل المرابطين في الديار المصرية تملأ فروعها البحيرة والغربية والشرقية وكفر الشيخ والفيوم وبني سويف والمنيا والجيزة.

(١) من أولاد زويل ظهر العالم المصري المشهور في الولايات المتحدة وهو أحمد زويل وقد حصل على جائزة نوبل العالمية عام ١٩٩٩م.

وفي موضع آخر ذكر الحبوني في كتابه أنساب العرب عن سمالوس قائلاً:

هي من القبائل الذين لهم احترام عند جميع العرب وخصوصاً (عشيرة الدمينات) وكبيرهم السيد قاسم دمين، وكم فض هذا الرجل من مشكلات ومنازعات عند العرب، وكم آوى غرباء وأطعم محتاجين. وقد عثرت على ورقة عند الشيخ خميس أبو ناجي وفيها أن جد قبيلة سمالوس الأول هو (نصر المسمى جبار الكسر) وهذا العنوان دليل على بركته -رحمه الله تعالى-، ونصر خلف جذوعاً وهو خلف الخنشير والأخير خلف سلطان وسلطان أعقب صالح وأولاده ستة هم: سعيد ومنه عائلة كرامة بالفيوم، وسعد الله ومنه الشواشنة بمديرية الجيزة، ومبارك ومنه الفلالطة وعبد الشريف ومنه عائلات أبو زعير وعبد الجواد وأبو جزية، وعبد الرحمن ومنه عائلة أبو عقابة ومنهم بالفيوم عدد كبير بأبي جندير ومنشية سيف النصر وفيصل الرابع والحاملول والمجراني ولهم عُمديات خاصة بهم، واشتهرت منهم عائلة شيخ العرب سيف النصر موسى -رحمه الله-، وكان عضو مجلس الشيوخ المصري، ولا زال أولاده في الفيوم، وكذلك عائلة زيدان بأبي جندير ومنهم أولاد شيخ العرب الرايخ زيدان -رحمه الله- وهم الأستاذ عبد الغني زيدان المحامي، وعبد الهادي وعبد الرازق وهما من الأعيان، ومنهم مشايخ العرب معوض معوض زيدان عمدة قبيلة سمالوس، والشيخ فؤاد محمود عمدة العوقي، والأستاذ رياض محمود المحامي، والأستاذ عبد العال زيدان مدير الإدارة التشريعية بالمعارف، وعبد الواحد بيك معوض مدير تفتيش ري، والأستاذ عبد الجواد معوض مدرس، والأستاذ عبد الوهاب زيدان سكرتير عام مكتب الغزل، وعبد الرحمن أفندي محمود، وعبد المقصود أفندي وغيرهم. (انتهى).

الفرجان

أصل القبيلة:

يذكر بعض الباحثين أن مؤسس قبيلة الفرجان هو فراج بن حمدان وينسب إلى الأشراف الأدارسة. وتعد قبيلة الفرجان من أكبر قبائل المرابطين في مصر وليبيا وتونس والجزائر وهم مشهورون بالورع والتقوى.

ومن هذه القبيلة قسم كبير بالديار المصرية في الوجهين القبلي والبحري ولهم قرى باسمهم في السهنة وبني مزار^(١) ولهم نجوع كبيرة في شمالوط وبني سوف والفيوم والجيزة غرب إمبابة^(٢) ومنهم في الغربية والبحيرة والشرقية.

ما قاله بعض المؤرخين عن الفرجان

قال علي بركات^(٣) عن الفرجان: قبيلة استقرت في الشرقية في التاسع الهجري (انتهى).

وقالت ليلى عبد اللطيف^(٤): كان الفرجان لهم فروع في البحيرة والإسكندرية على حافة الصحراء في الفيوم (انتهى).

وقال ب. م. مارتن^(٥): كان الفرجان يتجمعون في الفيوم بعد مجيئهم عن طريق قصر قارون ليقوموا بعمليات النهب ضد عربان السمالوس المقيمين بإقليم الفيوم (انتهى).

وفي معجم سكان ليبيا قال خليفة محمد التليسي عن الفرجان:

الفرجان إحدى القبائل الكبيرة في منطقة سرت وتتكون من الفروع التالية:

(١) توجد نقطة عرب علي عبد الله في بني مزار من الفرجان.

(٢) في غرب إمبابة توجد عزبة غيضان محافظة الجيزة وبها عائلات من الفرجان فيها بركة الحواية من عضات الحيوانات أو الكلاب المسعورة (الضالة) وهو ما يسمى بمرض الكلب، ويقوم الحاوي الفرجاني بالعزيم بركة عهد من سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري وهو الولي المدفون في زليطن بليبيا، وذلك على ماء يشربه المعضوض ويبرأ بإذنه الله من المرض، أو بمعنى أصح لا تؤثر فيه العضة من ذلك الحيوان المسعور ولا يسري السم في جسده بقدرة الله، وقد جربت جميع قبائل البدو هذا الأمر وصحت نتائجه، أما الحضر فهم يأخذون ٢١ حقنة للمصابين.

(٣) انظر تطور الملكية الزراعية في مصر ١٨١٣ - ١٩١٤ م وأثره على الحركة السياسية. القاهرة ط ١٩٧٧ ص ٢٦٨.

(٤) انظر سياسة محمد علي تجاه العربان ص ١٥

(٥) انظر وصف مصر ج ٢ ص ٢٧٤

الفروج والتوافق والرميئات وأولاد أبي عايشة والصباحة، وتحدّر من فرجان ترهونة وهم إخوة للفرجان وأولاد أبي عايشة بالرقيعات (النواحي الأربع)، وفرجات زليطن وخوازم ورافلة، وكما توجد لهذا الفرع عائلات مستشرة في برقة بليبيا ومصر وتونس.

وأضاف: إن الفرجان من قبائل زليطن وفروعها الفروج والنواجي والرميثات والملايا، وهؤلاء من فروع فرجان ترهونة وسرت، ومنهم فرجان القرارة في ترهونة، وفرجان الزيتونة بساحل الأحامد.

وقال أيضا أن فرع بوعائشة منهم مع قبيلة العواقر ومنزلهم إلى الشرق من قمينس وبيوتهم الأحميدات والبصرة والقواسم وأبومراغة، وقال أيضاً عن فرجان الخلّة: وهم من ذوي عكارة وأصلهم من فرجان ترهونة.

وعن فرجان الداوون: قال هي كبيرة من ربع أولاد مسلم بترهونة ومن فروعهم: التوافقة ويوتهم السعائدية والمهارة والهندارة، والعمور ويوتهم ضنى خليفة والفتارشة والسنينات، الصبحة ومن بيوتهم الضوال، والفروح ومن بيوتهم الغواليبة والشتاوي، والرميثات ومن بيوتهم المطارقية وأولاد عمر.

وأضاف: إن جميع فروع الفرغان الداوون المذكورة هم من المرابطين ويؤكدون أنهم من سلالة سيدي حمدان (من قبيلة العمور) ودفين المنطقة، ويتفرع عن فرغان الغرارة (ربع أولاد معرف) وينتمي إليهم فرغان سرت والنواحي الأربع (عكارة) وزليطن وخوازم ورفلة (فرع السبائية) ومن إختوتهم الفرغان المنتشرون بمصر وتونس، ومن الأخيرين ينحدر أولاد الفرغاني بساحل الأحامد، وفي برقة توجد جماعة من الفرغان منضوية مع العواقر.

تفاصيل عن قبيلة الفرغان في مصر بالبحث الميداني

أولاً- في الفيوم: يروي لنا الشيخ محمد عبد العليم العبد نوير من كبار السن في قبيلة الفرغان والمقيم في قرية السيلين بمركز سنورس محافظة الفيوم حيث تقطن عشيرة نوير وهي من أكبر عشائر الفرغان هناك، فقال: إن الفرغان بالفيوم من فخذين كبيرين هما الرميثات والحوامد، وهم منتشرون بالفيوم وبني سويف والجيزة خاصة في العياط والحوامدية والمنصورة وإمبابة.

وفي الوجه البحري بالشرقية خاصة في جزيرة سعود مركز الحسينية
وشلشمون ومنيا القمح وطنطا وخاصة في صفط تراب وميت غمر بالدقهلية وكفر
الشيخ والمحمودية بالبحيرة.

ومن أشهر عشائر الفرغان المشهورة نفصل عن التالي:

عشيرة فراج

وفيها زعامة ورياسة الفرغان وينسب إليها العمدة حسن بيك فراج -رحمه الله-، كان عمدة قبيلة الفرغان، وتقيم عائلة فراج بقرية جبله مركز سنورس بالفيوم.

ومن عمد الفرجان أيضاً شبيب النيشي وهو من أبرز عمد الفرجان -رحمه الله- وكذلك العمدة شاكر محمد طلبة فراج -رحمه الله- ومن عائلة فراج مصطفى أحمد بيك عويس -رحمه الله- وأبو بكر محمد توفيق عضو مجلسي الشعب والشوري -رحمه الله- والمهندس حسين عويس وكيل وزارة الزراعة بالفيوم، والدكتور أكرم إبراهيم علي أحمد بكلية زراعة الفيوم، والأستاذ عبد التواب حماد أحمد المحامي، والأستاذ سيد سيد فراج مدير بنك، والمهندس محمد أبو القاسم فراج.

عشيرة نوير

وتتكون من الأفخاذ الآتية: العبد، سعادوي، الديب، إبراهيم، خضر، إسمير، عبد المقصود، عمار، علاق.

ومنهم شيخ العرب كامل مبروك سعداوي نوير - رحمه الله - والشيخ محمد عبد العليم العبد نوير ويعد نسابة للفرجان، وشيخ العرب مصطفى أحمد العبد، والشيخ مراد محمد العبد نوير، والأستاذ إيهاب أحمد عباس، والأستاذ محمد عبد الستار عبد الرحمن عبد الجواد، وشيخ البلد عبد الفتاح عبد الرحمن عبد الجواد، والأستاذ محمد عبد الفتاح جنيدي المحامي، والمهندس مختار عبد الفتاح جنيدي بالإسكان، والشيخ توفيق محمد مبارك عمار، والشيخ يوسف عبد القادر علي محمود، والأستاذ جلال عبد الواحد، والأستاذ عويس رمضان سلطان، والشيخ إسماعيل حافظ يوسف، والسيد منصور علي يوسف المحامي، وشيخ البلد علي حسن حميدة نوير، والأستاذ معوض عبد الباقي خضر بالجهاز المركزي للمحاسبات.

عشيرة عجرة النيشي

إحدى عشائر قبيلة الفرغان و يقيمون بقرية التوفيقية مركز سنورس بالفيوم،
ومنهم شيخ البلد مكرم حسين عبد الصادق سالم، وشيخ البلد بهي الدين علي

جمعة عجرة، والعمدة صلاح علي جمعة عجرة عمدة التوفيقية، وعميد شرطة قدري علي جمعة، وشيخ العرب صبري كامل أبو عرب.

عشيرة البطران

تقيم عشيرة البطران من قبيلة الفرغان في نجع البطران تبع قرية السيلين بالفيوم، ومنهم المستشار بطران عبد الحميد البطران، والمهندس مصطفى سيد عبد الهادي وكيل التشريعات الزراعية العام.

عشيرة الهائلة

ويقيمون بقرية بني صالح بمركز الفيوم وهم إحدى عشائر الفرغان المعروفة، ومنهم الشيخ طه عبد الحليم سعداوي، ومحمد يوسف حبيب غانم، والشيخ أحمد مهلهل حميدة غانم، والشيخ دياب غانم، والأستاذ محمد زهير مراد زايد المحامي، والأستاذ زايد نجيب زايد بالجامعة، والأستاذ غانم نجيب زايد بالضرائب العامة، والشيخ محمد عبد الغني خالد، والشيخ غانم أحمد دياب مدير مدرسة.

عشيرة أبو العيد

إحدى عشائر الفرغان وإليها ينسب الفنان البدوي حامد الفرجاني المتألق في القناة السابعة بالتلفزيون المصري^(١). ومنهم عائلات: الحاج جمعة، وعبد السميع، والخطوية.. وتقيم هذه العائلات بعزبة اليوزباشي تبع قرية المظاطلي مركز طامية بالفيوم، ومن عائلاتهم الشهيرة جندي وجيشي وتقيم هذه العائلات بعزبه دبانة وساويرس وبدران والخطي، وفي مركز طامية منهم الشيخ عرابي حسين عرابي، والشيخ عبد الحميد.

فرجان الخطيان

وتعني كلمة الخطيان هم الفرغان الذين يقيمون بالمنازل. وتعني كلمة الخيش هم الفرغان الذين يقيمون بالخيام. وقرية الخطيان تبع مركز طامية بالفيوم، ونذكر منها المهندس عبد الويس عبد الرازق، وسيد عبد السلام سعداوي، وعبد التواب عبد الرازق ضيف الله.

(١) ويقيم هذا الفنان البدوي في عزبة اليوزباشي تبع المظاطلي بمركز طامية- الفيوم.

وتقطن بالخطيان عائلات الفرغان الشهيرة مثل معتوق، وأبو زيد، وهويدي، وحبيشي، وفرج، ومجاور، وحيز، وموسى، وشحات.

ومن هذه العائلات نذكر الأستاذ كمال سيد بالضرائب، والشيخ كامل معتوق، وحسين عبد الغفار، وشيخ العرب عدلي محمود أبو زيد، والدكتور محمد علي سعيد، والمهندس مندي مناع، والأستاذ محمد حسن موجه بالتعليم، والأستاذ محمد براني بوزارة العدل، وشيخ العرب بشير عبد الستار، وكامل أبو العيد، والشيخ سنوسي، وبكري خميس، ومحمود علي عطيه، وأمين الساعدي.

وأماكن الاستقرار في خطيان الفرغان، ونجع خلوصي، والمدنية، وعزبة جلاله، والغابة (مركز طامية- محافظة الفيوم)

فرجان مركز الفيوم

ويقومون بعزبة طاهر والعدوة وسيل والناصرية ومنهم عائلة أبو قاعود.

فرجان إطسا

ويقومون بمنشأة عبد المجيد والحوشة وحشمت والحجر وفرحات ومنية الحيط مركز إطسا. ومنهم عائلات: نعومة، ومحمود، وشهاب الدين، وأبو عيشة والأخيرة تقيم بالبرنس مركز إطسا ومنهم شيخ العرب عبد الحي عبد المجيد سنوسي، وعوض سالم محمد.

فرجان أبشواي

ويقومون بعزبة جاد سالم تبع قرية المشرك، وقارون، والخالدية، وقصر الجبالي، والصبيحي وأبو كساء حيث تقيم عائلات: شهاب الدين، وأبو عيشة، وطحاري.

ومن رجالاتهم توفيق عبد القوي في بنك التنمية

فرجان محافظة بني سويف

وتقيم هذه العائلات وأهمها مغربي، ونصار، وسالم، بوجود، وعيشة بمصرة أبو صير وسمسطا والفشن.

فرجان محافظة المنيا

وهم في الكوم الأحمر وأبو قرقاص (نجم عرب بلال منصور ونجم مبروك نصر)

وفى بنى مزار (نقطة عرب على عبد الله والبهنسا وههيا).

ومنهم العمدة المعروف محمد شبيب النبيشي من عائلة النبيشي، والحوامد المشهورة، وشيخ العرب منصور سنوسي بوعون الفرجاني، والشيخ عيون الفرجاني.

فرجان محافظة الجيزة

وهم الحوامد ونذكر منهم العائلات التالية:

عائلة بركات ويقطنون كفر بركات بالعياط والحوامدية، وعائلة عابد بالمنصورة ومنهم اللواء شرطة عزت عابد مدير أمن بني سويف الأسبق، وعائلة نوיר وهم بالبدرشين والعزة الغريبة ونذكر منهم البهنساوي عبد الحليم نویر، وهناك بعض عائلات من الفرجان بعزة غيضان مركز إمبابة وتقدم السرد عنهم.

فرجان الوجه البحري

أهم عائلاتهم: عائلة النيشي ويقطنون بجزيرة سعود وشلشمون ومنيا القمح بالشرقية، ومنهم المهندس سيد عبد المنعم النيشي.

وعائلة أبو عيشه في عزبة الفرجاني ميت أبو خالد مركز ميت غمر، ومنهم رجل النخوة والكرم الشيخ على عطية أبو عيشة الفرجاني.

وعائلة أبو حجاب ومنهم اللواء محمد محمود حجاب بالشرطة، والمستشار أحمد حجاب بوزارة العدل.

وعائلة نوير وهم بصفتهم تراب (طنطا). كما استقرت بعض عائلات الفرغان بعزبة الشبكة بكفر الشيخ والمحمودية بحيرة ومنهم الشيخ خميس وعائلة سلطان خليل القرماني.

الجوابي

نسب القبيلة:

يذكر رواة القبيلة وبعض الباحثين أن مؤسس قبيلة الجوايص هو الشيخ عبد الجواد الكسار من الأشراف الأدارسة في الساقية الحمراء، وقد نزح إلى منطقة برقة في ليبيا وكون قبيلة الجوايص من المرابطين ثم نزلت فروعها بالكامل إلى صحراء مصر الغربية قبل أربعة قرون ثم انتشرت في القطر المصري.

ما قاله المؤرخون عن الجوابيص في مصر

قال دي شابرول عن الجوابيص^(١): قبيلة عربية استقرت في البحيرة وكانت تمثل جماعة صغيرة من الرعاة، وكانت تتجول بحثًا عن المراعي اللازمة لإمداد قطعانها بالغذاء، وكانت الجوابيص تذهب كل عام من مريوط إلى الصعيد، وهكذا فإنهم يملكون بوادي البحيرات بالنطرون ويحملون معهم كميات من الملح مقابل ثمن محدد كما كانوا يذهبون إلى الواحات لشراء البلح الطازج أو المجفف لبيعه بعد ذلك لتجار مصر.

وقال اللواء صلاح التايب عن الجوابيص (٢):

من قبائل المرابطين جدهم ينحدر إلى الشيخ عبد الجواد الكسّار، ونزحوا إلى الديار المصرية منذ أربعة قرون من بلاد المغرب، ويقيم أغلبهم بالوقت الحاضر في وادي النظرون بالصحراء الغربية لمصر ولهم فروع منتشرة في محافظات الجيزة والمنوفية والبحيرة والغربية والفيوم والمنيا وأشهر عائلاتها حميدة، وزموط ومنها العمدة مصري زموط، ورحيم، ومحمود، ومطروود، وسيف النصر، وفي الجيزة عائلات غيضان والكسّار وكريم، وفي مركز الشهداء منوفية عائلة البربري، وفي كفر الشيخ عائلة جابر وعائلة أبو عقادة، وفي المنيا عائلة سكرف وهم إخوة ل قبيلة الجوازي من السعادي هناك ومنهم في مركز مطاي ووادي نظرون.

(١) انظر العربون المحدثون، وصف مصر ج ١ ترجمة زهير الشايب القاهرة ١٩٧٨، ص ١٢٢.

(٢) القبائل المصرية - اللواء صلاح التايب .

وذكر أحمد لطفي السيد ونعم شقير أن الجوابيص منتشرون في الجيزة والمنوفية والبحيرة وبني سويف وهي من القبائل الرحالة في الصحراء الغربية أيضاً كانت تحمل النطرون من واديه وتوزعه على جهات القطر المصري من مريوط إلى أسيوط في عهد الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م.

كما ذكر أميديه الفرنسي أن الجواييص بنواحي بحيرات النطرون وعدد فرسانهم ٦٠٠ فارس، وقال: إن عرب الجواييص من أصل إفريقي، وهم يقومون بنقل ملح النطرون من البحيرات حتى الإسكندرية والطرانة، وينقل البضائع الخاصة بواحة آمون (سيوة).

وذكر الجبرتي في عام ١٢١٩هـ حضر للبasha محمد علي من أخبره أن طائفة من قبيلة أولاد علي نزلوا بناحية الأهرام بالجيزة فركب عليهم فوجدهم ارتحلوا ووجد هناك قبيلة الجوابص فنهبها.

وذكر أيضاً في عام ١٢٢١ هـ دهم عسكر محمد علي قبيلة الجوابيص في
جهة الجيزة فشاع أن العسكر اشتبك مع الألفي وجماعته وقد قتلوا وأسروا منهم
جماعة ونهبوا متاعهم، ويظهر أن هذه القبيلة موالية لأمرء الممالك الذين كانت
أكثرية العربان موالية لهم على ما تفيد الأحداث.

وذكر عبد السلام الحبوني عن الجوابيص^(١) التالي:

أملى العمدة عبد اللطيف عمدة وادي النظرون التابع لمحافظة الصحراء الغربية (مطروح حاليًا) التالي عن قبيلة الجوايص:

حضر من حوالي ٤٠٠ سنة (أربعة قرون) الشريف عبد الجواد الكسار من الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى وحضر أيضا قبله قصير الفخذ الذي نتج عنه القصران وحضر أيضا الفنانين الذي نتج عنه أولاد فانه، وأيضا السيد حسنين الصبحي الذي نتج عن الصبحات.

ومن هؤلاء تتكون قبيلة الجوايص وأصبحت عائلات كثيرة منهم عائلة الشيخ التي منها الشيخ رحيم فعيلم -رحمه الله- (شيخ مشايخ القبيلة) وبعده عيّن

(١) انظر أنساب العرب ص ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦ الحبونی ط ١٩٦٠م.

ابنه مطرود رحيم -رحمه الله- وبعده عَيْنُ ثلاثة مشايخ هم: جنيدي رحيم، وحمد محجود وزموط حسين -رحمهم الله- ثم بعدهم عَيْنُ اثنان للجوايص هما: عبد السلام حمد، وسيف النصر -رحمهما الله- ثم تعين أخيراً قبيل ١٩٦٠م الشيخ عبد العزيز حميد، والشيخ عبد المجيد مطرود رحيم، والشيخ جاد المولى سيف النصر، أما قصير الفخذ فمن أبنائه حسن غيضان وكيل القبيلة بالجيزة سابقاً، وحالياً الشيخ كامل حسن وكيل القبيلة، والشيخ عوض عبد السميع، كما أنه يوجد من أبناء الكسار بمديرية الجيزة الشيخ ثعلب كريم وأبناء الشيخ رضوان كريم -رحمه الله-، وأبناء الشيخ عبد المجيد فرح -رحمه الله- وغيرهم كثيرون. أما الفاني الموجود من سلالة جاد الله طه شيخ القبيلة -رحمه الله- والشيخ عبد القادر البربري بمركز الشهداء، والشيخ موسى عويضة بوادي النطرون، والسعدي أبو سلامة، والشيخ مسعود يعمل بالمقاولات وكثيرون بمديريات البحيرة والغربية والمنوفية وكفر الشيخ والجيزة وبنى سويف والفيوم والصحراء الغربية.

وعلى سبيل المثال في كفر الشيخ وتوجد عائلة جابر وأبو عقادة نذكر منهم الشيخ راشد أبو عقادة وأولاده الأستاذ طاهر المحامي وإخوته . ومن العمدة الحاليين العمدة عبد المؤمن زموط ، والعمدة جاد المولى سيف النصر ، والعمدة عبد المجيد مطرود رحيم .

وقد اشتهر من أفراد هذه القبيلة رجال توفوا إلى رحمة الله تعالى ولهم تاريخ يذكر منهم الشريجي رسلان دخيل، وعمر زموط، وكان الأخير جد مبروك زموط عمدة القبيلة السابق، وأبو جحيل ثعلب وصاحب الضريح هو والده الموجودين في الأضرحة المجاورة لضريح السيد عبد الرحمن والمعروفين باسم (المجاذيب). وللجواييص شأن يذكر في مصالحة القبائل عندما يقوم نزاع بين القبائل الأخرى، وهناك عائلات أخرى منها عائلات حمودة ورئيسهم الشيخ موسى عويضة، وأبو سلامة ورئيسهم السعدي عوض، والبربري ورئيسهم عبد القادر البربري ومن كبارهم جاد الله طاهر.

(انتهی ما ذکرہ عبد السلام الحبونی)

قلت: وأضيف عن الجوابيص بالبحث الميداني في كفر الشيخ أذكر عائلة الشيخ المعروفة في الجوابيص ومنهم بيوت سالم وشقيقه سلومة. ويؤكد الرواة أنهما قدما إلى منطقة الحامول بمحافظة كفر الشيخ عام ١٨٤٠م (أيام حكم محمد

علي باشا) ويقال أن نزوحهما من الصحراء الغربية المصرية من البادية إلى الوادي والدلتا كان عام ١٧١٠م أي منذ قرنين تقريباً.

فمن عائلة سالم بيوت منها أبو هيسة والجبورة وحمودة، وكبيرهم الأستاذ يوسف مسعود سالم يوسف المحامي من المهتمين بتراث القبيلة، ومنهم الدكتور عبد الناصر مسعود سالم يوسف، والمهندس فرجاني مسعود سالم، والشيخ سالم يوسف سالم، وسالم مسعود سالم، وحامد عبد المولى أبو زيد يوسف سالم.

ومن عائلة سلومة بيوت منها رمضان، وسلومة (الأصغر) وعيد وجمعة وبوعقادة، وكبير سلومة المهندس عبد الجليل خميس رمضان وهو مدير عام هيئة تحكيم القطن في كفر الشيخ، ومنهم جمعة عليوة رمضان، وعطية عليوة رمضان، ومحمد عليوة سلومة، وجمعة سلومة جمعة.

وجميع بيوت الشيخ المذكورة تقطن عزبة سالم، وعزبة عيد سلومة، وعزبة المحضر بمطوبس، وعزبة الجزيرة والخاشعة.

كما من عائلة الشيخ خلّاف البيوت المذكورة هناك بيوت أخرى في وادي
النطرون بالصحراء الغربية المصرية، ومنهم فروع أخرى في نجع العربان بالخاشعة
مثل بيت بريك وبيت سعود وبيت عمران وبيت هويدي، ومن الشيخ أيضا في
عزبة عمران وعزبة إيطاليا بمركز الحامول.

كما من الجوابيص في الشهادية مركز بلطيم السلاهية، وأذكر بيت مطر من الجوابيص في الحامول بكفر الشيخ وكذلك بعزة إيطاليا، وكبيرهم الشيخ محمد مجاهد.

كما يوجد فرع صقر أبو دومة في غمرة ٧ بكفر الشيخ وأصلهم من قبيلة النُّجَمة وانضموا للجواييص.

وأذكر أيضا من الجواييص جماعة كبيرة في كفر الدوار بمحافظة البحيرة
ولهم عزبة الجواييص هناك.

الضعفا

نسب القبيلة:

اختلف الباحثون والرواة في نسب قبيلة الضعفا فبعضهم يذكر أن الضعفا من بني تميم العدنانية، وقال آخرون أن موطنهم التميمي في ليبيا فنسبوا إلى هذه البلدة، والصحيح أنهم من بطون الأشراف الفواتير من الأدارسة الذين قطنوا ليبيا بعد عودتهم من المغرب الأقصى إلى ليبيا ومصر.

وتعد من قبائل المرابطين ويقيم قسم قليل من الضعفا في ليبيا ومعظم فروعها بالوقت الحاضر في الديار المصرية.

ويقول بعض الرواة من القبيلة أن تسمية القبيلة (الضعفا) للأسباب التالية:

١ - يقال أن شيخهم دُعي للغزو والإغارة على بعض قبائل العرب في البوادي فرفض ذلك لتمسكه بالدين الإسلامي فأُطلق عليهم (الضعفا) بسبب ذلك.

٢- وقيل أن جدتهم تُسمى (ضعفا) وهي من الفواتير من الأشراف الأدارسة، ومؤسسهم أيضاً من الفواتير.

شيوخ وعمد وفروع القبيلة:

وكان شيخ قبيلة الضعفا منصور بريك لطيف أيام محمد علي باشا والي مصر منذ عام ١٨٠٥ م.

وأفادني بعض رواة القبيلة في محافظة الفيوم أن عمدة قبيلة الضعفا بعد عهد محمد علي باشا كالتالي:

الأول سليمان أبو قشيشطية وهو من عائلة أبو حمرة، والثاني سيد موسى عصيدة من بيت مطيريد عائلة أبو عصيدة، والثالث محمد حسن ديهوم من عائلة ديهوم، وكان وكيله محمود محمد عبد الحميد سعيد محمد حميد من عائلة حميد، ثم بعد استقالة محمد حسن ديهوم فقد حل محله وكيله محمود محمد عبد الحميد وأصبح رابع عمدة للقبيلة، وكان شيخ الفرقة أو القبيلة هو صاوي

محمد عبد الحميد سعيد محمد حميد من بيت حميد، وعندما كان محمود محمد عبد الحميد المذكور وكيلًا للقبيلة كان في نفس الوقت عمدة على الضعفا بالفيوم فقط .

ويذكر الرواة أن أفضاخ الضعفا الرئيسية في مصر هي: حميد، وجريبع، وأبو بكر، وديهوم، ورحومة، والعصيلي، وموسى، وخلف، والحبوني، وامطريد.

كما هناك عائلات مشهورة في الضعفا نذكر منها: برغوث، وأبو عصيدة، وديهوم، والرفاعي، وأبو غزالة، وأبو حليقة، وأبو دريس، والصقعي، وأبو خليل، وعبد الحميد، ولطيف، وأبو رغبة، وأبو بكر، وأبو ديب، وبطور، وحميدة أبو الحسن، وأبو سعيدة، وأبو عبد الله، والساعدي، وبوجمعة، والخناضلة، ويزيد، وأبو شريفة، ويوسف، وهليل، والمنشاوي، الخبايرة، والمكاوي، والغياضة.

ونذكر بعض العائلات في الفيوم وبني سويف كالتالي:

عائلة برغوث: يقطنون بعزبة برغوث تبع منشأة طنطاوي مركز سنورس وقرية فيدمين مركز سنورس وقرية العزب بالفيوم وشيخهم عسحاس محمد علي برغوث -رحمه الله-، ومنهم الأستاذ إبراهيم مصطفى عسحاس المحامي، والمستشار هلال عبد الرحمن حميدة المحامي العام لنيابات القاهرة، والأستاذ جلال محمد إمام، والأستاذ محمد عبد الهادي أبو شريفة.

وعائلة خبيري (الخبائرة) ويقيمون في ناحية طامية بالفيوم، ومنهم الدكتور عدلى سالم محمد حسن المنشاوي الخبيري.

وعائلة أبو عصيدة: ويقيمون بناحية المظاطلي مركز طامية، ومنهم العمدة أبو بكر بوعصيدة، ومنهم الأستاذ علاء أبو عصيدة رجل أعمال، والشيخ محمد أبو حويج المقيم بفرقص مركز طامية بالفيوم.

وعائلة أبو دريس: ويقطنون مركز أبشواي ومنهم الأستاذ محمد عبد العاطي المحامي.

وعائلة الصقعي: ويقطنون بقرية الصقعي مركز أبشواي بالفيوم، ومنهم الشيخ محمد علي حدوث الصقعي، والشيخ أمين حدوث، ومحمد أبو بكر حدوث، وينحدرون من بيت لطيف.

وعائلة أبو خليل: ويقطنون بناحية الخلطة مركز أبشواي بالفيوم.

وعائلة عبد الحميد: ويقطنون بعزبة عبد الحميد تبع قرية سيلا مركز الفيوم وهم من فخذ حميد كما تقدم.

وعائلة ديهوم: ويقيمون في بني سويف ومنهم العمدة حسن ديهوم بكري ديهوم - رحمه الله.

ومقدم شرطة هشام حسن ديهوم. كما توجد عمديتان للقبيلة بمحافظة بني سويف هما: عمدة ديهوم ومنهم العمدة حسن ديهوم، وعمدة لطيف ومنهم العمدة محمد أبو بكر أبو عصيدة.

وعائلة وهيب لطيف: المقيمون بقرية دالاص محافظة بني سويف، منهم الكاتب المعروف الأستاذ أنيس منصور، والشيخ مجدي محمد عبد المجيد وهيب عضو مجلس الشورى، والشيخ محمد براني وهيب.

وعائلة أبو حليقة: وهم في بني سويف أيضاً ومنهم الأستاذ علي أبو حليقة مدير بشركة البترول، والأستاذ محمد عبد العزيز أبو حليقة.

كما من عائلات وأفخاذ قبيلة الضعفا في المنيا والجيزة والسنتة بالغربية وبنها بالقليوبية والبحيرة وغيرها من محافظات الوجه البحري.

وقال اللواء صلاح التايب عن الضعفا^(١):

تحسب هذه القبيلة من المرابطين وأكثر الضعفا في قرية الحمام في بني سويف، وانتقل منهم قسم إلى قرى البرج ثم بهبش ودالاص، ومنهم فروع في منشاة طنطاوي بمركز سنورس بالفيوم وهم أولاد سعيد وأولاد آل ديهوم وهم عائلات عسحاس وبرغوث، وفي طامية يقيم فرع بوبكر بوعصيدة، وفي قارون أيضاً فرقة من الضعفا وكذلك في عزبة الصقعي وعزبة بركة بمركز أبشواي بالفيوم، وكذلك في منشاة لطيف وإطسا، وفي الجيزة بالهرم عائلة بو جمعة وعائلة يوسف، وفي منشاة دهشور عائلة هليل والرفاعي والمنشاوي والمكاوي والخبيري ويزيد، وفي مركز الصف بالجيزة قسم كبير من الضعفا يقال لهم الخضاورة، وكذلك في البدرشين وأشمنت وكفر بني عثمان بالواسطى والمصلوب

(١) القبائل المصرية تأليف: اللواء صلاح التايب.

وفوة والحومة وأبجيج وأبو صير الملق، وأولاد غيضان في العيضية والحناطلة في أطواب وميدوم وصفط ميدوم، وفي قمن العروس يقيم قسم من عائلة أبو غزالة ويقيم قسم آخر في زهور الأمراء مركز الدلنجات بالبحيرة، وقسم من الضعفا يقيم في مركز السنطة بمحافظة الغربية وقسم آخر في طحا في القليوبية وكذلك في بليس شرقية وآل مبارك في كفر شكر بالقليوبية، وكذلك عائلات ديهوم والحمايدة وأبو خليل في مركز الواسطى وبوش.

ومن أقطاب هذه القبيلة عشيرة لطيف وكان منهم منصور بيك لطيف وتفرع منها عائلات الحسبوني ومطيريد، وكان منصور لطيف هذا من ضمن الملتزمين المعينين من قبل محمد علي باشا منذ قرنين من الزمان، ويوجد فرع آخر للضعفا في محافظة الغربية وهو فرع عبد الله وشيخهم دسوقي العربي أبو عبد الله -رحمه الله- (وأسماءهم أحمد لطفي الضعفا البحرية) وأشهر أفضاخ الضعفا في مصر: حميد، وجريبيج، وأبو بكر، وديهوم، ورحومة، ومنهم العضيلى وموسى وخلف بالصلوب وعزبة سعد الدين بالواسطى بمحافظة بنى سويف .

وذكر أميديه جوبير الفرنسي في وصف مصر أن الضعفا في ضواحي شمال بني سويف عام ١٧٩٨ وعندهم ٢٠٠ فرس، وقال إنه على الرغم من قلة عدد هذه القبيلة في بني سويف إلا أنهم مرهوبون تماماً في البهنسا، وذكر فروعهم في بني سويف مثل أولاد حميدة، والوطنات، ونولات سعيد، والسيدرات، والقاضي، ونولات يزيد، كما ذكر أميديه أسماء القرى التي يعيشون فيها مثل أبو صير والعواونة وقمن العروس وإفوة وميدوم والحمام والحافر والميمون وصفط ميدوم، كما ذكر أن عدد فرسانهم ٤٥٢، ومشاتهم ١١٠، وجمالهم ١٧٢٠، وخرافهم ٣٩٠٠.

وقال مارتان في ريف مصر: كان الضعفا يشنون غاراتهم بصفة مستمرة على إقليم الفيوم وخاصة في مواسم فيضان النيل.

وذكر الجبرتي في عام ١١٢٥هـ قام عرب الضعفا بحركة تمردية حتى قطعوا درب الفيوم، وقد سيرت عليهم حملة من الدولة فلم تفر منهم بطائل، وقد طلب قائد الحملة من سالم بن حبيب شيخ عرب نصف سعد أن يجمع له فرسان من قبيلتي سعد وبللي وإرسالهم مع ابنه لمساعدته على قمع حركة عربان الضعفا فلم يلب الطلب.

وذكر الحبوني عن الضعفا^(١) التالي . قال :

أفادنا الضابط بقسم السلوم محمد سلطان من قبيلة الضعفا أن قبيلته هي فرع من قبائل بني تميم وأن سبب تسميتها بهذا الاسم أن شيخها واسمه «زيدان» وقد كان رجلاً صالحاً فطلب منه بعض القبائل الغزو على قبائل أخرى فامتنع لأنه كان يكره هذا الأمر فذهبوا وبقي هو وأطلقوا عليه وعلى قومه اسم (الضعفا) فصار اسماً للقبيلة، وقد قدم أجداد الضعفا من بلاد الحجاز إلى مصر في القرن الرابع الهجري ثم ذهبوا إلى مكان مشهور يسمى الساقية الحمراء في بلاد المغرب ومكثوا بهذا المكان إلى القرن الحادي عشر الهجري ثم عادوا إلى مصر ثانياً ونزلوا ببلدة الحمام وهي قرية من قرى بني سويف، ولما لم يقبل الجد الثالث البقاء عاد إلى المغرب وبقي أباه بمصر ثم انتقل من قرية الحمام إلى قرية البرج ثم إلى قرية بهيش ثم منها إلى قرية دلاص في بني سويف فاستقرت بها الضعفا ومازالت في تلك النواحي .

قال : ومن أهم العائلات والبيوت الشهيرة بهذه القبيلة هي :

١- عائلة لطيف وفروعه من ابنه منصور الذي ترك ابنه لطيف الذي ترك ابنه منصور والأخير ترك أولاده أحمد ولطيف وعلي وسليمان وحامد .

٢- عائلتنا الحبوني وامطيريد وذريتهم هم بقرية كوم أبو خلاد ومن هؤلاء تزوج منصور من عائلة لطيف التي تقدم ذكرها .

ومن عائلة لطيف كان منصور في أواخر حكم محمد علي باشا وقد تسلم عهدة أربعة عشر قرية يتولى أمورها جميعاً نظير مبلغ يدفعه كأتاوة (خراج) لحكومة محمد علي سنوياً وهي وظيفة تضاهي حاكم مقاطعة، والقرى المذكورة تابعة للفيوم وبني سويف، وكان ممثلاً في البرلمان المصري لمدة نصف قرن حتى ألغي البرلمان عام ١٩٥٢م بعد ثورة يوليو . وذكر إن من الضعفا من يقيم في محافظة الغربية وأهمهم عائلة عبد الله التي منها الأستاذ الكبير الشيخ دسوقي العربي أبو عبد الله، ومنهم الدكتور عمر الدسوقي المدرس بكلية العلوم وهو نجل الشيخ المذكور .

(١) أنساب قبائل العرب تأليف عبد السلام الحبوني ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

وأضاف الحبوني أن السيد محمد سلحات رحومة محمد جرييع عثمان محمد التميمي أفاده أن قبيلة الضعفا هم أبناء السيد محمد التميمي الموجود بضريحه الخاص بينها العسل بالقلويية من الديار المصرية ومنه جاء السيد عثمان-رضي الله عنه- الموجود ضريحه الآن بالسد بجوار عين الغزالة بالقطر الليبي، وهذه القبيلة كانت تسكن بساحل البطنان في ليبيا، ولذلك سُموا عائلة تميمي باسم جدهم الأول المنسوب لبني تميم العدنانية، ومن الضعفا خمسة فروع هي:

حميد، وجرييع، وأبو بكر، وديهوم (وهؤلاء إقامتهم بسفط ميدوم وميدوم، ورحومة. (انتهى)

الفواخر

أصل القبيلة:

يُنسب الفواخر إلى الأشراف الفواتير من الأدارسة، ويذكر بعض رواة القبيلة أن الفواخر من أولاد يونس بن يعقوب الفيتوري وهو الملقب بالفاخر.

وتعد هذه القبيلة من المرابطين، ومنها قسم كبير قطن محافظات مصر في الوجهين البحري والقبلي، وذكرت الفواخر من قبائل مصر عام ١٧٩٨م كقبيلة لها انتشار في الديار المصرية.

ما قاله المؤرخون

ذكر التليسي في قبائل ليبيا مشجراً أوضح فيه أن الجد الملقب بالفاخر له من الأبناء الطير، وبومعون، ومن الأخير سلالة القبيلة فقد أعقب أبو مباركة الذي تزوج من امرأتين إحداهما تُسمى أم شيبة. والثانية تُسمى عالية، فمن الزوجة الأولى أعقب عثمان وسواق والأجيرب، ومن الثانية حبيب الله وبوعوسة والميعيني.

وقال خليفة التليسي: يدّعي الفواخر أنهم سلالة يعقوب السخان وهو أحد الأبناء السبعة لسليمان الفيتوري الجد الأشهر للفواتير.

ولا تتفق الروايات أيضاً حول اسم (الفاخر) فبعضهم يرى أنه لقب يعقوب السخان نفسه، ويرى آخرون أنه اسم لابنه أو أحد أحفاده.

وأضاف: ينقسم الفواخر إلى جماعتين هما: أولاد أم شيبة ويعرفون أيضاً باسم الشرقيين نسبة إلى موقعهم، وأولاد عالية وهم يعرفون أيضاً باسم الغربيين المنضمة إليهم عائلة المحابات التي تردّها الروايات المتوارثة إلى سلالة المحابة خادمة أم شيبة، ومواقع استقرارهم في الغالب تضم أقصى المناطق الجنوبية بين ظهر الأبيض وأقصى الشرق من برقة.

وفي ص ٧٤ من المعجم ذكر أولاد عالية إحد فروع الفواخر الغربيين

كالتالي:

خويلد

أصل القبيلة:

يذهب رأي لبعض الباحثين أن خويلد من الأشراف الأدارسة في ليبيا وجدهم أبو القاسم أو شوشة من ذرية عبد الله بن إدريس الحسني، وقد نزل إلى مصر بعض الفروع من هذه القبيلة قبل ثلاثة قرون.

ما قاله بعض المؤرخين عن خويلد

قال التليسي في معجم سكان ليبيا: خويلد قبيلة من قبائل مدينة زوارة منطقة زلطن، وعائلاتها المجاذبة وتتفرع إلى أولاد بن نور، وأولاد التواتي وأولاد محمد والصماح، والسبانويون وتتفرع إلى أولاد زائد وأولاد ميلاد وأولاد سعود. وكما ذكر من خويلد عشيرة العكارة في تاغمة.

وأضاف أن جد هذه القبيلة هو سيدي أوشوشة دفين زلطن، ويقال أن أصله من النوايل^(١).

خويلد في مصر

تنتشر خويلد في الديار المصرية فبعضها كما ذكر حصر العربان عام ١٨٩٧م في الوجه البحري وأكثرها في صعيد مصر، ومعظم هذه القبيلة في الوقت الحاضر في بني سويف والفيوم والمنيا، وكان عمدة القبيلة المعروف مجاور الأحول، وقد تسلم منه عبد السلام الأحول العمدة، وكان منهم المستشار محمد سالم يونس -رحمه الله- كان من كبار رجال القضاء في مصر.

وذكر أميديه جوبير الفرنسي قبيلة خويلد من قبائل ولاية البهنسا وكان عدد فرسانهم نحو ٤٠٠ فارس عام ١٧٩٨م.

وذكر أحمد لطفي السيد أن عدد خويلد في بني سويف والفيوم حوالي ٢٣٥٧، وعددهم في وجه بحري ٣٩٣ نسمة وذلك عام ١٨٨٣م.

(١) النوايل منطقة أو بلدة في الجبل الغربي وهي تنسب إلى قبيلة أولاد نائل من ذباب من بني سُلَيم وقد خالطتهم فروع عديدة من العرب والبربر وتكونت البلدة من هؤلاء جميعاً وإذا صح القول فإن جد خويلد يصبح من سُلَيم على الأرجح لا من الأدارسة الأشراف.

وقال الحبوني عن خويلد في كتاب أنساب العرب:

وهي من القبائل التي تسكن مصر من أيام الفتوحات الإسلامية وممتدة العدد في جهات بلدة مزورة التابعة لبني سويف وعمدتها شيخ العرب محمد خليفة سليمان، وبلدة الدير وعمدتها محمد إبراهيم الأحول، وشيخ العرب محمد مجاور، وبلدة إهناسيا وعمدتها شيخ العرب محمد عبد الجواد حميدة الذي يرجع إلى بيت الكسار الذي يتفرع عنه عائلات عيسى وحسين أبو غانم وقد اشتهر من هذه العائلة الكريمة شيخ العرب غانم -رحمه الله- وهو والد شيخ العرب إسماعيل يونس عمدة منشية كساب، وأخوه محمد أفندي يونس وهما علمان من أعلام العرب في الجود والشجاعة والمكارم، وعائلة خير ببلدة الشرها، وعائلات أبو مشرقة وجهمي ومحفوظ وجمعة التابع لعمودية شيخ العرب محمد إبراهيم الأحول، ومن عائلات خويلد أيضا السجاية وعيسى وعبد الله وأبو رحامة وفضل الله وأبو شوشة وهذه العائلات ترجع إلى فخذ (عبار)، ومن أبي شوشة؛ عبد المجيد بيك لطفي سكرتير نادي العرب بمصر وابنه محمد بيك عبد المجيد القاضي بالمحاكم الأهلية الوطنية، والأستاذ عباس أبو شوشة -رحمه الله- بوزارة التربية والتعليم الذي يعتبر بحق فخر الأبناء للعروبة، ولهذه القبيلة فروع في جهة طرابلس الغرب.

وفى موضع آخر ذكر الحبونى عن خويلد أيضاً التالى قائلاً:

قبيلة خويلد "عرب إهناسيا" من كبارهم محمد جابر قاسم -رحمه الله- وابنه جبر وشقيق قاسم، وابن أخ الشيخ محمد قاسم، وميهود، وامجاور، وعبد الوهاب قاسم، والأستاذ تهامي قاسم ناظر مدرسة، وعبد القوي شيخ إهناسيا، وأخيه محمد، وعلي مجاور عمدة شرها، وجبر نائب العمدة، وسيد جبر وإخوته، وكذلك عائلات عيد والجندي بشرها، وبغيض وصالح سليمان بإهناسيا، وعبد السلام البديني بمنشأة البديني، وعائلة كساب وشهرتها تغني عن وصفها.

القذازفة

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين في ليبيا، يرى بعض الباحثين أن أصلها من الفرع الموسوي من ذرية موسى الكاظم من الأشراف الحسينيين، ولا زالت هذه القبيلة في منطقة سرت بليبيا، ونزل معظمها إلى الديار المصرية، فقد ذكرت في حصر العربان عام ١٨٩٧م في معظم محافظات الوجهين البحري والقبلي بمصر.

ما قاله المؤرخون عن القذازفة

قال التليسي في معجم سكان ليبيا عن القذازفة:

القذازفة إحدى القبائل الكبيرة بمنطقة سرت، وهم من سلالة الوالي الشهير سيدي قذاف الدم دفين منطقة غريان، وأصلهم من غريان وقد نزحوا عنها منذ ما يزيد على قرنين، ويعرفون أيضاً باسم أولاد موسى^(١). ويتكون القذازفة من الأفخاذ الآتية: الوملة، والخطرة، والسواودة، وأولاد عمر، والمجذب، والقحوص.

القذازفة في مصر

ذكر علي باشا مبارك القذازفة في الخطط التوفيقية من قبائل المنوفية. وقال اللواء صلاح التايب: إن القذازفة بالوقت الحاضر في المحمودية التابعة لإطسا بمحافظة الفيوم ومنهم جماعة في عزبة فوزي مراد بمركز طامية بالفيوم، ولهم نجع خاص بهم ويسمى عزبة الأصفر بكوم أوشيم مدخل الفيوم من الجهة البحرية، ومنهم في عزبة البصير بمنشأة طنطاوي مركز سنورس ومنطقة قارون بمركز أبشواي بالفيوم.

(١) أولاد موسى: ذكرهم أحمد لطفي السيد ونعم شقير من قبائل الشرقية في مصر، والراجح أن هؤلاء من القذازفة وحملوا اسماً آخر لهذه القبيلة ومن أولاد موسى في الفيوم، أما سائر القبيلة فالاسم المشهور في مصر وليبيا القذازفة وتنطق من العوام (بالدال) أي القذازفة واحدهم قذافي

ومن القذاذفة في البهنسا وبني مزار بالمنيا، ومنهم في المريوطية بالجيزة ومركز تلا بالمنوفية ومركز حوش عيسى بالبحيرة.

قلت: يوجد نجح للقذاذفة في مركز بيا محافظة بني سويف، وفيه عائلات عديدة من القذاذفة ولا زالوا يحافظون على لهجتهم البدوية الليبية وزي رجالهم ونسائهم يشبه زي البدو في ليبيا.

وقد انتقل الكثير من القذاذفة في مصر إلى ليبيا بعد الاستقلال وحملوا الجنسية الليبية وبذلك زاد عدد قبيلة القذاذفة في سرت بليبيا بعد هذه الهجرات في منتصف القرن العشرين.

ومن هذه القبيلة قائد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م الزعيم معمر القذافي .
(انظر عن القذاذفة في ليبيا في المجلد الثالث من هذه الموسوعة).

الربايح

نسب القبيلة:

يرى بعض المؤرخين أن أصل هذه القبيلة من بني تميم العدنانية. وتنتشر هذه القبيلة الكبيرة في مصر وليبيا وتونس والجزائر^(١). وتعد الربايح من كبرى قبائل المرابطين ولكنها متفرقة في عدة بلاد عربية أفريقية.

قال التليسي في معجم سكان ليبيا:

الربايح من قبائل نالوت^(٢) وفروعها أولاد علي، وأولاد يحيى، وأولاد محمد، وأولاد سليمان. ويبدو أن الاسم يستمد أصله من جدّهم الأكبر من القبيلة التونسية (الربائع) وهي قبيلة عربية، وللربايح أملاك في وديان نيكريف وأم زقاروني والمرطبة.

قلت: ومن الربايح بليبيا أيضا في منطقة الجميل غرب طرابلس والتوي وسبها وبراك الشاطئ بعض الأفخاذ والعائلات.

الربايح في مصر بالبحث الميداني

تنقسم الربايح في مصر إلى عائلات أهمها التالي:

- عائلة خلف الله ومنها الأستاذ خلف الله محمد خلف الله من أبناء الربايح البارزين وموجه تعليم بالجيزة ويعتبر عميد الربايح في الجيزة ويقيم في عزبة خلف الله مركز أبو رواش، ومنهم الأستاذ محمد خلف الله محمد مأمور ضرائب في الشرق الأوسط، والأستاذ عبد الجواد عبد الله خلف الله، والشيخ عبد العزيز خلف الله، والأستاذ فرج مفتاح خلف الله، وشيخ العرب فهد خلف الله، والشيخ فيصل خلف الله.

(١) انظر عنهم في قبائل الوادي سوف بصحراء الجزائر الشرقية في المجلد الثالث، وكذلك عنهم نبذة أخرى ضمن قبائل الصحراء الكبرى العربية الأفريقية في المجلد الثالث أيضا.

(٢) نالوت: بلدة كبيرة في الجبل الغربي (جبل نفوسة) وهي غير بعيدة عن الحدود التونسية.

- عائلة عبد القادر: ومنها بيت سالم، وبيت ضيف، وبيت سلامة.
- عائلة أبو بكر: ومنها العمدة عبد الرازق مهدي، وشيخ العرب فراج أبو بكر، وعبد النبي سعيد، وأبو بكر محمود.
- وعائلة الغول: ومنها شيخ العرب عبد العزيز عبد المولى الغول، والشيخ جاب الله الغول
- عائلة مفتاح: ومنها الشيخ سلامة حمد مفتاح.
- عائلة عبد المجيد: ومنها الشيخ محمد عبد المجيد، والشيخ رمضان عون سعد عبد المجيد
- ومعظم هذه العائلات المتقدم ذكرها في منطقة أبو رواش بمحافظة الجيزة.
- عائلة الثوابت: ومنهم شيخ العرب محمد علي عون الله والشيخ عبد الجواد مسلم، وفرج مهدي وحسين فراج، وهذه العائلة تقيم في قرية أم الاتل جيزة، ومنهم في الفيوم، وفي عزبة الربيع التابعة لبني مزار بمحافظة المنيا.
- عائلة شحات: ومنها الشيخ إبراهيم عثمان فراج، وشيخ العرب صابر سليم، والشيخ عمر السيد عمر، وفرج سيد حسين.
- عائلة أبو طالب: ومنها الأستاذ عبد الله حسين عطية، ونصير جمعة، وعبد السميع عبد العال.
- عائلة لطيف: ومنها الشيخ عبد السلام لطيف، والشيخ عبد المولى لطيف.
- عائلة العبادلة: ومنها خليفة مسعود، وسعيد حمزة، وخالد عبد الله مسلم، وجاد الله عبد الله، وضالح جبريل، وحمد مسلم، وهؤلاء يقيمون بالجيزة والفيوم خاصة في عزبة لعبش مركز طامية.

النَّجْمَة

أصل القبيلة

يؤكد الباحثون ورواة القبيلة أنهم من أنسال رجل يُسمى نجم الدين وهو أحد قادة الجيوش الفاتحين لبلاد برقة ويتصل نسبه بالصحابي الجليل سعد الأنصاري^(١) من العرب القحطانية.

ولذلك بدأ تكوين هذه القبيلة في القطر العربي الليبي وعُدَّت النُّجْمَة من قبائل المرابطين وقد نزحوا إلى الديار المصرية قبل أربعة قرون ولم يبق لها بقية في الديار الليبية.

ما قاله بعض المؤرخين عن النُّجْمَة

قال محمد رمزي: إن النجمة مقرها الجيزة وكان منوطاً برجالها حراسة الأهرامات والدروب الموصلة للغرب.

وقال اللواء صلاح التايب عن النجمة^(٢)

قبيلة من المرابطين ويتصل نسبهم بالأمير نجم الدين أحد قادة جيوش العرب كما يذكر الرواة والباحثون، وكانوا في ليبيا ونزحوا إلى صحراء مصر منذ ما يزيد على ثلاثة قرون، ولهم فروع في الجيزة وأكثرهم في نزلة بطران والكوم الأخضر وكفر الجبل وكفر نصار بالهرم، ومنهم قسم كبير بزواية مسلم ونزلة الأشطر وأوسيم والزيدية وكفر حكيم والمنصورية وبرقاش وسبك الأحد، كما منهم في قليوب جماعة.

وكانت معيشتهم في البادية إلى أن بدأ السياح يتوافدون بكثرة إلى منطقة الأهرام في خلال القرن العشرين بالذات فظهر منهم طائفة التراجمة والأدلاء للآثار، وعندهم الخيول والإبل يعتنون بتربيتها وخاصة لتأجيرها للسياح من أنحاء العالم، وقد توارثوا هذه المهنة من جيل إلى جيل.

(١) ولم يعرف هل هو سعد بن عبادة، أم سعد بن معاذ، وكلاهما من الأوس والخزرج من قبائل الأزد والقحطانية

(٢) يوجد لمجم النجمة في مجمع حمادي فيه فرقة منهم (محافظة قنا).
وتوجد عزبة النجمة في الأقصر بقنا أيضاً.

محمد، ومحمد علي منسي، وتوفيق مراد، ومحمد علي رحيم، ومحمد الدسوقي رشدان عمدة العزيزية، وأمين بيك عمدة المرازيق بمركز العياط، وشيخ العرب رسلان عميد عائلة خطاب، وشيخ العرب علام خطاب عمدة أبو رواش بمحافظة الجيزة. وفي موضع آخر ذكر الجبوني في ص ٣١٥ عن النجمة فقال:

وقبيلة النجمة بعنوان الشيخ وابن الشيخ في صحراء الأهرام لمجلة المصور المصرية حيث قالت: منذ ثلاثمائة عام هاجر إلى مصر من ليبيا بضع مئات من الأعراب واستوطنوا سفح الهرم من وقتها إلى اليوم، هؤلاء هم عرب قبيلة النجمة أو عرب الأهرامات كما يسمونهم وعددهم الآن حوالي أربعة آلاف نسمة ومعيشتهم الأولى كانت معيشة البداوة إلى أن بدأ السياح يتوافدون إلى مصر من جميع أصقاع العالم لزيارة آثارها، وكان ذلك من مائة عام فظهرت منهم أربعة طوائف جديدة هي التالي:

١- طائفة أرباب المهن والحرف في مصر.

٢- طائفة التراجمة والأدلاء.

٣- طائفة تجار الآثار.

٤- طائفة فرسان العرب.

وظل النجمة يتوارثونها جيلاً بعد جيل، وقد ثبت تفوق أبناء التراجمة بسبب خبرتهم بالصحراء وأسرارها، وهم مشهورون بالأمانة شهرة عالمية، ونجد جميع السائحين يأمنونهم على أموالهم طوال مدة إقامتهم في مصر، وقد سحب بعض السائحين أفراداً من هؤلاء التراجمة عند انتهاء زيارتهم للآثار المصرية وجعلوا منهم أمناء لهم في سفرهم حول العالم.

وعن تجار الآثار ومحللاتهم بشارع إبراهيم باشا وفي خان الخليلي، ولفرسان العرب بنوع عام شهرة دولية، وقد اختص عرب الهرم بتدريب الخيول مما استرعى الإعجاب، وأصبحوا اليوم يقيمون في قصور شاهقة رغم أنهم عاشوا عيشة البداوة.

وأبرز هذه العائلات عائلات فايد والحلو والسروري والجبر وخطاب والشاعر والبطران، ولما اتسع نطاق بلدة نزلة السمان وامتدت رقعتها رأى ولاية الأمور في

سنة ١٩١٠م فصلها إداريا عن الكوم الأخضر وجعلها مستقلة بذاتها وتعين أحد أبنائها العرب عمدة لها، ومن مشاهير هذه القبيلة الشيخ أبو طالب الجابري وهو رجل مهيب الطلعة، ناهز المائة من عمره، وهو نائب عمدة نزلة السمان، وكان رفيقا لأحمد حسنين في رحلته عبر الصحراء، ومنهم الشيخ مبارك الجابري، والشيخ محمد عبد الكريم الجابري، والشيخ إبراهيم الجابري، ومنهم عائلات كبيرة مثل عائلة البطران ومنهم عبد العال مهدي عمدة كفر الجبل، وعبد الحميد مهدي، وحسن وعبد الوهاب ومحمد وصالح ومهدي حمزة، والأستاذ محمد عبد المجيد، وشيخ العرب رحيم البطران -رحمه الله-، وكان عمدة القبيلة، والشيخ منصور خليفه نائب العمدة، والشيخ عبد الحميد حمد البطران نائب عمدة البطران، والشيخ رشاد أبو بكر، والأستاذ محمود أبو بكر البطران مدير بنك مصر بالقاهرة، والدكتور حسين رحيم البطران مدرس بطب القصر العيني، والمهندس عباس حمزة بالجيش المصري، والأستاذ عبد الستار البطران بالضرائب، والأستاذ رحيم البطران بالمصانع الحربية، والأستاذ عزيز بالصحة، والأستاذ السيد حسن بكلية التجارة (انتهى).

فروع النجمة بالبحث الميداني في محافظة الجيزة

تنقسم القبيلة إلى عدة أفخاذ أهمها في مصر: أبو خطاب والشاعر والبطران وأبو حسين.

ومن أبرز رجالات النجمة الآتي ذكرهم:

الأستاذ مجدي أبو طالب خطاب عضو مجلس الشعب، والشيخ رضوان الشاعر عضو مجلس الشعب، والعمدة علّام خطاب عمدة أبو رواش حاليا، وحمد دسوقي خطاب، وجلال دسوقي خطاب وعزت دسوقي خطاب، وممدوح فرجاني خطاب، وخطاب صلاح الدين، وشيخ العرب نصر خطاب، وجلال محمود خطاب، وزغلول نصر خطاب.

سعيط

قبيلة عربية من قبائل المرابطين (وتنطق بالسين أو الصاد) ويذكرها البعض من المؤرخين الحديثين باسم «صعيط»، والقسم الأكبر من هذه القبيلة في بنغازي وإجدابيا وليبيا ومنهم قسم في مصر خاصة في بني سويف وأسيوط والبحيرة والجيزة، ويذكر رواة القبيلة أن مؤسس القبيلة هو حمد الملقب السعيطي.

تاريخ القبيلة

ويرى البعض أن سعيط من العرب الفاتحين للديار الليبية (منطقة برقة) وقد استقر جدهم الأول في هذه المنطقة وكون هذه القبيلة التي تنتشر في برقة وغيرها من القطر العربي الليبي.

ولهذه القبيلة مواقف بطولية على مر التاريخ حيث قاومت الاستبداد التركي وكذلك شارك العديد من أبنائها في الجهاد ضد الغزو الإيطالي البغيض للأراضي الليبية في القرن العشرين وقد استشهد منها الكثير، وقام الاستعمار الفاشستي الإيطالي بإعدام أبو بكر ذقيق السعيطي وأخيه بشير ذقيق السعيطي في ميدان عام بمدينة إجدابيا.

وكانت هذه القبيلة مصدر قلق للمستعمر الإيطالي، وقد أدى ذلك أن أساء لها بعض الكتاب الإيطاليين في كتبهم ودراساتهم الأثنوغرافية عن سكان ليبيا. وسعيط تكاد تلتحم مع قبيلة العواقير من قبائل السعادي من بني سلّيم ويرى البعض من سعيط أنهم جزء لا يتجزأ من العواقير ويشاركونهم في الديار خاصة فرع إبراهيم من العواقير.

ويرى آخرون أن سعيط قبيلة قائمة بذاتها من المرابطين الأوائل في ليبيا ومنهم الشيخ سيدي عبد الواحد وأولاده الذي كان صاحب زوايا دينية معروفة في نواحي إجدابية وبنغازي، ولهذا الشيخ وأولاده أضرحة ومقامات معروفة حتى الآن في ليبيا.

وأملاني أحد رواة سعيط في مدينة الفشن^(١) التالي عن فروع القبيلة ورجالاتها في مصر وليبيا:

(١) هو الأستاذ الفاضل حسن أبو فخرة السعيطي رئيس المركز الإعلامي في مدينة الفشن بمحافظة بني سويف، ويعد من رجالات سعيط البارزين في مصر ومن أعيان مركز الفشن ومن كبار الزراع

وعائلة الزقيلي ومن أهم بيوتها ربيعة والفرد.

وعائلة المريعيش ومنها بيوت هود ومختلفة وسلام ومسعودة وريضة ومنهم سلام مع العواقر.

ومن هود أيضا فروع صبرة والحاج حمد والهבוד، ومن روضة فروع أبو نعمة وطواح وأحميدة.

وعائلة أبو طاحونة وهم مع قبيلة العبيد.

ومن سعيط عائلات محمد وأبو عجة وبرغط مع قبيلة العبيدات من الحرابي، وكذلك القرباع وهم في درنة وطبرق.

ويوجد من هذه القبيلة العديد من الأولياء ولهم أضرحة منها ضريح سيدي خليل وضريح سيدي عبد الجليل وضريح سيدي محمد وضريح سيدي أبو دراع وضريح سيدي المرتضى.

ومن رجالات ومشاهير هذه القبيلة بليينا ومصر التالي:

أولاً. في ليبيا: الشيخ سعد الكيلاني أبو جراعيد -رحمه الله-، وكان من المجاهدين الذين قاوموا الاحتلال الإيطالي الغاشم للبلاد العربية الليبية، وهو من رفاق المجاهد الكبير عمر المختار، والشيخ عبد القادر أبو جراعيد، وهو رئيس فض المنازعات بالسلطات تبع مدينة إجدايا، والشيخ مسعود علي الصديق من رجال الأعمال، والشيخ محمد موسى أبو جوارى وهو رئيس لجان المصالحات في ليبيا، والسيد فرج السعيطي سفير ليبيا بمصر، والسيد أبو بكر السعيطي السفير السابق لليبيا في مصر، والعقيد أبو بكر السعيطي بمديرية أمن إجدايا، وعوض السعيطي رئيس كتبة أمن بني غازي، وسالم السعيطي بالخارجية، وعلي سالم السعيطي مدير بالتعليم في ليبيا ورئيس لجنة التعليم الشعبية بجاردينا، ومحمد شريف السعيطي مدير سترال مدينة بنغازي.

ثانياً. في مصر: الشيخ أبو فخرة مقاوي السعيطي -رحمه الله-، وكان شيخ من مشايخ سعيط المعروفين في الفشن بمحافظة بني سويف وابنه عبد العزيز أبو فخرة -رحمه الله-؛ وكان شيخ غزبة أبو فخرة، والأستاذ حسن أبو فخرة رئيس المركز الإعلامي بالفشن وكان رئيساً للمجلس الشعبي لمدينة الفشن،

والمهندس عيسى للموم السعيطي بمدينة سمالوط، والشيخ مسعود عبد العزيز بنجع سعيط بمطاي، والشيخ رحيم - رحمه الله - بنجع سعيط بالفشن، وحسين أبو فخرة بالوحدة المحلية بالفشن - محافظة بني سويف، وموسى أبو حامد السعيطي مدير الشؤون القانونية بالتربية والتعليم، والشيخ عبد الله محمد السعيد السويدي السعيطي بالبحيرة، والشيخ إبراهيم أبو رقة السعيطي، والشيخ بسيس عبد الجواد أبو طاهر السعيطي بالبحيرة، والشيخ الجليل أبو طاهر السعيطي بالبحيرة، والدكتور رجب شرف، والشيخ نوفل الصايم عضو المجلس الشعبي بمحافظة البحيرة، والشيخ عبد العزيز عوض في أبي المطامير بمحافظة البحيرة، والشيخ حامد أبو شيحة في أبي المطامير أيضا، والشيخ سالم الوزار في أبي المطامير، والأستاذ عبد الباسط أبو شيحة المحامي، والأستاذ شبل عبد الله السويدي بالإذاعة والتليفزيون، والدكتور صلاح بكر حميدة، والأستاذ رشدي عبد الهادي، والمهندس محمد حميد، والشيخ أبو النصر، والشيخ حميد مراجع أبو بكر وغيرهم الكثير.

ومن سعيط في مركز شبراخيت وإيتاي البارود محافظة البحيرة فروع كثيرة وعائلات عديدة وكذلك في الجيزة وملوي بأسسوط وجميعهم على صلات قوية بفروع سعيط في بني سويف.

وقال اللواء صلاح التايب عن قبيلة سعيط في مصر^(١):

قبيلة من المرابطين قدمت من ليبيا من ثلاثة قرون، وعددها كبير وتقيم غالبيتها في محافظة المنيا ومنهم قسم في صحراء مصر الغربية. من عائلاتها في المنيا: أبو جوارى، وخويطر، والفحل، وأبو طاحونة، وهنداوي، وأغلب هذه العائلات في دهروط بمركز مغاغة بمحافظة المنيا، ومن رجالها الدكتور صلاح بكر حميدة، والأستاذ رشدي عبد الهادي، والمهندس محمد حميد، والشيخ أبو النصر، والشيخ حميد مراجع أبو بكر.

وقال عبد السلام الحبوني عن قبيلة سعيط في مصر^(٢):

ينقسمون قديما إلى قسمين: حمد، والأديع.

(١) القبائل المصرية - صلاح التايب.

(٢) انظر أنساب العرب للجبوني ص ٢٣٠.

فحمد أولاده أبو شميلة ومنه الشمول وأبو عصابة والمريعيش، ومن أبي عصابة فروع سعيد والحفيان.

والأديرع أولاده الحاج مؤمن وشعيب والمشهور منهم عائلة عبد الواحد يعطون الفاتحة ولهم احترام عند العرب ويقيم منهم عدد كبير في مديرية المنيا وهم عائلات أبو جوارى وخويطر وأبو طاحونة والفحل، واشتهر فيهم الشيخ عبد الخالق على بمطروح -رحمه الله-، ومنهم اليوزباشى عبد القادر بالحدود الليبية المصرية.

وقال خليفة محمد التليسي^(١) عن فروع سعيط كالتالى:

تنقسم سعيط من مؤسسهم حمد إلى الشمول وأبو عصابة والمريعيش.

ومن سعيط الأديرع ومنه حاج مؤمن وشعيب، وسيدى حسين ومنه عبد الغنى وتفرع منه أبو فضيلة، ومنه عبد الرحيم أبو متوفة والشراميط وعقيلة وسيدى عبد الواحد.

وفي ص ٢١٤ ذكر الشمول من سعيط. ومنهم العائلات التالية:

عائلة أبو جوارى، ومنها بيوت أبو حمار والأشلم والحري، وعائلة الريضى ومنها بيوت رخيص وطالب ودقشوش وأبو حربا عيد ورجوة أبو فرع، وعائلة أبو شوية ومنها بيوت حسين والأطرش وسعيد.

وفي ص ٣٣٨ من المعجم ذكر المريعيش وفصل عائلها كالتالى:

عائلة هود ومنها بيوت صبرة والحاج حمد والهبود، وعائلة سلام، وعائلة مسعودة، وعائلة روضة ومنها بيوت أبو نعجة وطواح واحميده، وهم معتبرون من الأشراف.

وفي ص ٢٨ ذكر أبو فضيلة وفرعها إلى العائلات: علي وميكائيل وحمد ومحمد وعبد العالى وسليمان.

وقد أوضح أن «أبو فضيلة» من عبد الغنى من فرع سيدى حسين.

وفي ص ٢٤٦ ذكر عبد الرحيم أبو متوفة، وعد بيوتها أبو بكر والدرعاني والحاج يونس وعطية.

وفي ص ٢٦٢ ذكر عقيلة، وعد بيوتها عريب ومبارك وسعيد وعقيلة وسالم وإبراهيم وهؤلاء يقيمون ضمن قبيلة البراعصة.

(١) معجم سكان ليبيا ط ١٩٩١ م.

وقال عبد السلام الحبوني عن العوامة:

هم عائلات أولاد مفتاح وأولاد الأشلم وأبو ربيعة والحدود ومداوي العين والضامنة وأبو الضباع وأبو معيز وأبو جرادة وغنيوة والضممران ولجيوب والقرى وعقاب واضليل وشيخهم الآن بالضبعة على ساحل مصر الشمالية هو حسن عوض أبو دومة.

قبيلة العوامة بالبحث الميداني بالفيوم

ففي الفيوم يقطن قسم كبير من هذه القبيلة وهي وافدة على محافظة الفيوم ومطروح خاصة بالضبعة وزاوية العوامة والبحيرة خاصة «أبو المطامير» وحوش عيسى وكفر الدوار.

ومن هذه العائلات الآتي ذكرها في الفيوم فروع أخرى في درنة والقبه والبيضا وترهونة وإجدايا وبنغازي والجبل الأخضر في عدة مناطق من الديار الليبية.

وأهم عائلات العوامة في الفيوم خاصة في مركز طامية بعزب صالح العوامي، ونجع خميس عمار العوامي، ونجع حامد سليمان، وعزبة مراد الجندي، وعزبة طاهر، وعزبة الصيحات هم التالي:

- عائلة صوان: ومنهم بيت حمد ومنه أسر صالح وعمار وأبو جمعة وجاب الله.

- عائلة صالح: ومنهم الدكتور إبراهيم عبد الستار صالح أستاذ بكلية الطب البيطري، والأستاذ صالح عبد الونيس العوامي شاعر بدوي، والأستاذ خميس عبد العاطي العوامي بالتربية والتعليم

- عائلة عمار: ومنهم الأستاذ محمد خميس عمار بالشهر العقاري بطامية محافظة الفيوم، والدكتور حسن عمار خميس بالطب البيطري، والأستاذ سيد عبد النبي عمار بالتربية والتعليم.

- عائلة أبو جمعة: ونذكر منهم الاقتصادي المعروف سلطان علي العوامي، وشيخ العرب صالح أبو سيف والشيخ ماهر عبد الحكيم.

- عائلة جاب الله: ومتهم الأستاذ أحمد مصري عبد السلام المحامي،
والشيخ سعيد عبد الجواد جاب الله، والشيخ عبد الغني محمد عبد الغني،
والشيخ حسين حمد حسين شلتوح.

ومن مشايخ قبيلة العوامة المشهورين أذكر شيخ الفرقة عبد الحفيظ عمار
العوامي، وشيخ الفرقة عبد الونيس جودة صالح العوامي، والشيخ نصر
عبد السلام العوامي.

ومن فروع العوامة في الصحراء الغربية المصرية الخداد (الخدد)، ومنهم بيوت
جاد الله ومبروكة وإدريس وحمد وإبراهيم و خليل وخلف الله وعطشان.

الجهمة

أصل القبيلة

من قبائل المرابطين في ليبيا دخلت إلى مصر قبل ثلاثة قرون تقريباً^(١).

ما قاله بعض المؤرخين عن الجهمّة

ذكرهم العياشي الرحّالة المغربي المعروف في رحلته للحج أثناء مروره في برقه عام ١٠٦٥ هـ (القرن الحادي عشر الهجري) وعدهم من قبائل برقة وقتئذ.

قال أحمد لطفي السيد: الجهمّة من قبائل العرب في مصر، نزلت مصر في العصور الأخيرة من طرابلس الغرب قبل الحملة الفرنسية بحوالي قرن من الزمان.

وقال جومار: تقيم الجهمّة على ضفاف بحر يوسف بين دجا وديروط أم نخلة حتى صفت الخمار المواجهة للمنيا، ولهم خيام متناثرة في أماكن شديدة التباعد فيما بينها، ويوجد منها وسط قبيلتي ابن وافي (المغاربة)، وابن كريم (طرونة).

وذكر الجهمّة كل من علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية، ونعوم شقير في تاريخ سيناء من قبائل أسبوط بصعيد مصر.

قلت: والجهمّة بالسوق الحاضر لهم نجوع خاصة بهم في محافظة أسبوط، ولهم نجع التزير في طوى بأسبوط، ونجع العاقولة في قوص وبنجع حمادي محافظة قنا لهم نجوع أيضاً، ولهم نجع عبد الله أبو عمار في ملوي أيضاً، ولهم نجع عرب الجهمّة في المنيا، وعرب حسن عبد الله في منفلوط وعرب سالم سليمان في ديروط.

ومن الجهمّة فروع في عدة محافظات بالوجه البحري وذكرت في حصر ١٧٩٨ م.

ومن الجهمّة فرع في شمالي الأردن يُسمّى بني جهمة ويقطن في عجلون.

(١) ولا يستبعد أن تكون هذه القبيلة هي بني جهمة من العنبر بن عمرو بن نعيم العدنانية، وقد نزحت إلى برقة مع العرب الفاتحين أو بعد الفتح العربي.

قلت: وإجلاص أصلهم من لواتة دخلوا في ترهونة.

وذكر أميديه جوير في وصف مصر إبان الحملة الفرنسية ١٧٩٨م ترهونة في ضواحي سمالوط.

وذكر الجبرتي في عام ١٢٣٠هـ وقال في حوادث شهر رجب أن كريم شيخ عرب ترهونة في الوجه القبلي وكان عاصياً على الباشا محمد علي والي مصر، وقد جاء طائعاً إلى إبراهيم باشا ابن محمد علي حينما كان أبوه على رأس حملة إلى الحجاز لمحاربة السعوديين، ونتيجة لمساعي إبراهيم أعطى الأمان لشيخ ترهونة، ولما عاد الأب (محمد علي) أتاه شيخ ترهونة على أمان ابنه إبراهيم ومعه هدية أربعون جملاً فأخذ منه الهدية ثم أمر برمي عنقه في الرميلة^(١)!

ومن ترهونة جماعة في بني سويف ومنهم في الفيوم وخاصة في أبشواي وأذكر منهم فرقة في عزبة شعلان، ومن أشهر عائلاتها في أسطال محافظة المنيا عائلة عامر التي ينتمي لها المشير عبد الحكيم عامر عضو مجلس ثورة ١٩٥٢م.

(١) قلت: وهذا شيء في طبع محمد علي وشيمته الغدر فهو ألباني لا يمت للعروبة في شيء وهو مثله مثل المماليك والأتراك طبعهم الغدر والخيانة. ومن شيم العروبة والإسلام أن المؤمن لا يخون ولا يغدر من أعطى الأمان حتى لو كان من أعطاه غير مسلم.

من كبار هذه القبيلة الشيخ عبد الوهاب محجوب - رحمه الله - وأولاده مشايخ العرب زكريا، وأحمد العمدة الحالي، وأمين جيرة عمدة القبيلة، والدكتور أحمد جيرة بجامعة القاهرة، والسيد الأستاذ عبد الستار جيرة القاضي، وعبد العظيم هندي وكيل القبيلة، ومحجوب حميدة، ومحمد سليمان هندي، ومن كبارهم أيضا مشايخ العرب من عائلة مبروك؛ زايد حسين زايد، ومحمود إبراهيم، وعبد وزايد مبروك، وخليل إبراهيم ميهوب، ومشايخ العرب أحمد عمدة جزيرة ببا، وعمر عبد العزيز.

قلت: وذكرت قبيلة المشاركة في حصر العربان عام ١٨٩٧م في معظم محافظات الوجهين البحري والقبلي في مصر.

حَبِیْبُ

أصل القبيلة:

يذكر الباحثون أن هذه القبيلة من المرابطين من الأشراف الأدارسة^(١) في إقليم برقة بالقطر الليبي، وقد نزح قسم منها إلى مصر.

ما قاله المؤرخون عن حبون

قال خليفة التليسي في معجم سكان ليبيا: الحبون يقولون إنهم وافدون من الغرب (مراكش) في شيء من الغموض دون أن يضيفوا إلى ذلك شيئاً آخر، ويعرف جدهم الأكبر باسم حسان حبان الذي أنجب السلالة التي تكونت منها هذه القبيلة.

كما تضاف عائلات أخرى من أصول مختلفة وهي كثيرة العدد نسبيا بحيث تجعل الحبون كما يبدو في الوقت الحاضر جماعة شديدة الاختلاط يتألف أكثر من نصفها من عناصر غربية.

ويقيمون بأقصى منطقة الدفنة في إقليم برقة ولهم عائلات بمصر. (انتهى).

وقال اللواء صلاح التايب في القبائل المصرية عن حبون:

من القبائل المصرية الآن ويعتبرون من قبائل المزابطين، وهناك رأي يذكر أنهم أصلاً من الساقية الحمراء جنوب المغرب ونزحوا إلى ليبيا قبل خمسة قرون.

وتنتشر هذه القبيلة الآن في الصحراء الغربية والعامرية غرب الإسكندرية وفي محافظة البحيرة ومن أشهر عائلاتها أو فخوذها التالي: الأعمى وهم ينسبون لجدهم خليفة الأعمى ومن ذريته فروع موسى وغيضان وعثمان ومسعود وحميدة وبريق وخليفة وعيسى وصالح ويطلق عليهم عائلة الحاج عمر، وعائلة جبران ومنها الحاج جويدة جبران، عضو المجلس المحلي لمحافظة الإسكندرية، ومنهم في أبو حمص بحيرة، وعائلة أبو حديرة وتوجد في حوش عيسى بحيرة، والعامرية غرب الإسكندرية، وعائلة بلحمة وهم في برج العرب والطرح وسيدي براني،

(١) ويرى البعض أنهم أصلاً من الساقية الحمراء، منحدرين من سيدي عبد السلام بن مشيش من الأدارسة.

وقد خلف عبد الحميد -رحمه الله-؛ الأستاذ حامد الموظف بصحة كفر الزيات، وخلف الأستاذ علي وشعبان، هذا هو فرع سليمان بن كريم. ومن كريم أيضاً فضيل -رحمه الله- وابنه المبروك فضيل، وعائلة عبد الغني بجهة صفر مركز أبو حمص بالبحيرة، والمبروك وأولاده عبد وسلامة وأولاده ومن خلفه كريم عويان وأولاده للموم الذي أعقب ميكائيل وسعد.

ثم عائلة عبد الجيد وهو أخو أبو بكر المتقدم ذكره والمدفون بوادي القبقابة في ليبيا، وقد خلف إبراهيم وكان صاحب عقل راجح وعلم غزير -رحمه الله- وهو صاحب القصيدة المشهورة بمدح السيد ابن السنوسي الكبير، والتي قال فيها باللهجة البدوية:

شاع نور من نور الرسول الصافي
شاع نور من نور النبي في دفه
موصوف لي خاتم أيجي في كفه
شاع نور النبي بحدوده
أبجد الدين أو يشهره بأحدوده

عليه الصلاة الدائمة بالوافي
أو مير النحل ترجع عليه اللفه
أيشابه لمن لان الحجر لقدامه
على قول حبوني روه أجدوده
في ثلاث محمد وقيل الرابع

وهي طويلة ويكفي منها هذا القدر من الآيات.

ومن ذرية إبراهيم عبد الجيد (الصايغ) وقد خلف الصايغ أبو بكر والفقيه صالح وقد خلف صالح محمد وأبو الحسن وإبراهيم وذريتهم، وقد خلف محمد أبو صالح (العمدة لامين) أبو محمد عمدة قبيلة حبون غرب، وخير ما يُقال فيه أنه من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، واسع الصدر، كبير الحلم يحسن لمن أساء إليه. ومنهم الفقيه عبد القادر أبو بكر الصايغ من حملة كتاب الله تعالى ومتزوداً بكثير من العلوم الشرعية، هذا، وقد ورث إبراهيم عبد الجيد -رحمه الله- حفيده جعفر أبو محمد وفي الشعر له باع طويل.

أما عائلة زمط فقد اشتهر منهم سيدي حمد أبو أوريدة وله مزار كبير بجهة الحقنة بالسلم، ومن هذه العائلة عدد كثير بمديرية البحيرة بمصر، وكذلك منهم بالعامرية الشيخ عتيق أبو الهادين وابنه الشيخ دامي وكان منهم صالح عبد الرحمن وأخوه مسعود -رحمهما الله-، ومنهم على عبد الرحمن بجهة سيدي براني.

وأما عائلة أرميلة فممنها بيوت عديدة مثل فرهودة وشنيوير وحسن، وفيهم الآن المشايخ بلل مؤمن وأخيه حميدة، والفقيه هوسين وأخيه العمدة محمد حميد، والشيخ حسن مرزوق، ومحمد أبو الحسن -رحمه الله-؛ وأولاده، ومحمود حسن وأولاده.

هذا، ومن عائلات حبون الشهيرة (عائلة جبران) بمربوط ومنهم المشايخ عبد الله وحسن، والفقيه عوض -رحمه الله- (وعائلة رشاش) بمديرية البحيرة، (وعائلة الضليل) بمركز أشمون بالمنوفية وفيهم كثير من العلماء والمتعلمين ونذكر منهم صاحب الفضيلة مصباح عمر الضليل، (وعائلة كروش) ومنهم بيوت فرح والأعرج والشدية والهشكال، (وعائلة بلحما) ومنهم أولاد الحاج، وتقيم بمربوط من عائلة بلحما بيوت كثيرة مثل بيت امسيعد وهم ملاك بجهة الذراع البحري، وكذلك من بيت الحاج وقد اشتهروا بالشجاعة والفروسية، ومنهم مجيد أبو السبع -رحمه الله-.

ومن عائلة كروش المشايخ سلامة أبو سعيد، والديب أبو المختار، والشيخ واعد مخلوف.

(وعائلة فرنش) وهم بيوت مبارك وحسين ومحمد ويونس ومن هذه العائلة الشيخ رمضان والشيخ سعد النعاس والشيخ إدريس عبد الله وابنه -رحمهم الله جميعاً-، وعبد النبي وأخيه سرحان والمنطول.

(وعائلة هروش) ومنهم حسين أبو عقيلة -رحمه الله-؛ وأولاده الآن حسن حابر طاهر المقيم برمل الأسكندرية، والشيخ مرعيط وعبد الصمد.

(وعائلة رمية) ومن كبارهم السيد مطر بمربوط وأولاده ولهم سيرة طيبة، ومنهم الشيخ حسن واعر، والشيخ بلل مؤمن، ومؤمن، وحميدة مؤمن، وعبد السلام أبو حسن، ومفتاح أخوه، ومحمد أبو الحسن -رحمه الله-؛ وأولاده.

(وعائلة كريم) منهم الشيخ طيب وأولاده عبد الله وحسين وإبراهيم ومحمد أبو طيب وأولاد عبد الله حامد عبد الحميد.

ومن قبيلة حبون عائلات الحاج موسى وشعيب ومنبي ومتنوح وعلي وإقامتهم بمربوط. هذا؛ وبين قبيلة حبون وقبيلة القطعان مودة قديمة يقول فيها الشاعر:

نلقاني قول زماني وهم قطعان سحم كبده على حبوني

الحسون

أصل القبيلة^(١):

يرى بعض الباحثون في ليبيا أنها من ذباب من بني سُليم، وتُحسب من قبائل المرابطين في ليبيا ونزح قسم من هذه القبيلة للديار المصرية قبل ثلاثة قرون.

ما قاله المؤرخون عن الحسون

قال التليسي في معجم سكان ليبيا: الحسون إحدى قبائل سرت، ولها أصل مشترك مع معدان (أولاد سالم من ذُباب جذم بني سُليم).

ومن عائلاتها منتصر، الطويلب، رزق الله.

قلت: وفي ليبيا منطقة بويرات الحسون مسمّاة باسم هذه القبيلة.

وذكرت الحسون من عربان مصر في حصر ١٨٩٧م بعضها في محافظات الوجه البحري وبعضها في أبي قرقاص محافظة المنيا في نجع خاص بهم، وبعضهم في الفيوم وبني سويف.

(١) يرى بعض الباحثين أن الحسون من حمير من عرب اليمن وهم سكان بلاد المغرب بداية الفتح العربي. والله أعلم.

العطايات

أصل القبيلة:

من المرابطين في ليبيا، ويرى بعض الباحثين أنها من الأشراف الأدارسة، نزع قسم كبير من هذه القبيلة إلى صعيد مصر.

ما قاله بعض الباحثين عن العطايات في مصر

قال جومار في كتاب الحملة الفرنسية: قبيلة عربية استقرت في أسبوط، ويكاد يكون سكان كل قرى الشطر الأيمن للنيل في أطفيح وأشمونين ومنفلوط من عربان العطايات، وقد دخل معظمهم ميدان الزراعة في عصر علي بيك الكبير. (انتهى).

قال التليسي عنهم في معجم سكان ليبياء، وأسماهم العطايا (بدون تاء التانيث): هي قبيلة من القواتير بزيطن ومن عائلاتها: أولاد حودة وأولاد حامد والصداعية والغلابة وأولاد رجب وأولاد سليمان والأذياب.

وأضاف أن هذه القبيلة تنحدر من سيدي محمد الكبير دفين جبانة السبعة، ومنها فواتير مسلاتة المعروفون باسم شعاب الخروب وأولاد عبد الخالق وشُعَب أخرى من الفواتير المقيمين بمصراتة (انتهى).

وذكر العطايات أميديه جويير الفرنسي في وصف مصر من قبائل منفلوط بصعيد مصر.

كما ذكرهم أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٥م وقال: لهم قرى باسمهم، ومنهم من يتبع قبيلة الجهمة في منفلوط بمحافظة أسيوط.

قلت: ومنهم عرب العطايات القبيلة والبحرية في أنبوب بمحافظة أسيوط.

زناتة

أصل القبيلة:

من أعظم قبائل البربر في بلاد المغرب العربي ومنها فروع قليلة في مصر.

ما قاله المؤرخون عن زناتة

قال القلقشندي: زناتة بطن من البربر ببلاد المغرب.

قال ابن خلدون في العبر: واسم زناتة (جانا) بالجيم- ويقال: شانا بالشين-

بن يحيى بن صولات بن روساك بن ضرى بن رحيك بن مادغش بن بربر.

ونقل ابن حزم عن بعضهم أنه ضرى بن شفعو بن تبدواد بن ثملان بن

مادغش بن هوك بن برسق بن كداد بن مازيغ بن هراك بن هريك بن بديان بن

كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

وقيل: جانا بن يحيى بن ضريس بن جالوت بن هريك بن جديلات بن

جالود بن رديلات بن عضى بن بادين بن رحيك بن مادغش الأتر بن قيس غيلان

وحيثئذ تكون من العرب العدنانية.

وقيل: جالوت بن جالود بن ديال بن قحطان بن فارس، فيكونون من

القحطانية.

قال في العبر: ونسابة زناتة تزعم الآن أنهم من حمير من التبابعة، فتكون من

اليمن القحطانية.

قال القلقشندي: وبعضهم يقول إنهم من العمالقة، وإن جالوت من العمالقة

وهذه المقالات الأخيرة صريحة أن زناتة من صميم العرب.

وأضاف: ومن زناتة ملوك المغرب الأقصى وهم بنو عبد الحق، ومن زناتة

أيضا بنو عبد الواد ملوك تلمسان، وكانوا قائمين بالحكم وقت تأليف كتاب القلائد

في بداية القرن التاسع الهجري.

وفي ليبيا ذكر التليسي زناتة في معجم سكان ليبيا فقال:

زناتة من قبائل منطقة العلاونة فرع الأهالي عائلاتها الربد والشرايدية وأولاد أبي العون أصلهم من القبيلة القديمة المعروفة من بطون مادغيس التي لا تزال بقاياها منتشرة في شمالي طرابلس الغرب بغريان والرحيبات والزنتان والحوض والنوايل .
والقسم الأكبر من هذه القبيلة يقيم في الحي المعروف باسمها في الساحل الليبي .

وفي عشيرة العبادلة بالرحيبات عشيرة تُسمّى زناتة تقيم بجيطال ، وهم إخوة لزناتة غريان والحوض والنواحي الأربع والنويل بزوّارة ، وهم بقايا قبيلة زناتة القديمة من مادغيس وكانت قبيلة قوية في منطقة الشمال الغربي من طرابلس الغرب .

فروع زناتة في مصر بالوقت الحاضر

قال أميديه جوبير المؤرخ الفرنسي عن زناتة في وصف مصر :
عرب الزناتى في الصحراء المصرية على مسيرة يوم ونصف من القاهرة وعدد فرسانهم ٢٠٠ ، وكانت هذه القبيلة في حالة حرب مع القوات الفرنسية عام ١٧٩٨م في مصر .

كما ذكرهم في موضع آخر من عربان طهطا بصعيد مصر وعدد فرسانهم ٤٠ فارسا .

قلت وزناتة لهم نجوع في الصعيد بطهطا وبني سويف وغيرها من الديار المصرية .

الجراوات من زناتة في صعيد مصر

أصل الجراوات من قبيلة جراوة الزناتية المشهورة وحُرّف اسمها بالصعيد المصري إلى «الجراوات» .

ذكر المؤرخ الجزائري مبارك الملي الهلالي أن جراوة بطن عظيم من زناتة كان لهم وجود في الأوراس بالجزائر ومنهم الكاهنة المشهورة^(١) أيام الفتح العربي ثم تفرقوا وضعفوا بمرور الزمن .

(١) مع خلاف المؤرخين لنسب الكاهنة فقد ذكرها البعض إلى قبيلة كُتامة البربرية المشهورة أيام الفاطميين

وفي مراكش بوادي ملوية لهم بلدة باسمهم «جراوة» وحتى الآن معروفة بالمغرب الأقصى.

وقد نزح من هؤلاء عائلات وأفخاذ من عدة قرون إلى صعيد مصر وقطنوا في سوهاج وقنا وبني سويف وغيرها من الديار المصرية، ولا يُعرف تاريخ هجرتهم من المغرب إلى مصر.

وأذكر منهم نجع الجراوات وتُسمى نجع عبد الله عبد الكريم مركز المحروسة بالدير الشرقي بمحافظة قنا ويقيم بهذا النجع قسم كبير من الجراوات (جراوة).

كما يوجد نجع آخر في الشيخ علي شرق نجع حمادي بمحافظة قنا وبه قسم آخر من الجراوات ومنهم العمدة عبيد العبودي في الشيخ علي وابنه جمال عبيد العبودي عقيد شرطة وأخيه ناصر عبيد العبودي مقدم بالشرطة.

ومنهم الأستاذ فارس بوزارة التربية والتعليم، وابن أخيه الأستاذ الفاضل مجدي محمود فارس المحامي بالاستئناف، ويقيم بالقاهرة مع عائلته وأسر أخرى من الجراوات.

لواتة

أصل القبيلة:

من قبائل البربر البتر في المغرب العربي ومنها قسم كبير نزل إلى مصر أيام الدولة الفاطمية وقطنوا البحيرة والمنوفية والجيزة وغيرها.

ما قاله بعض المؤرخين عن لواتة في مصر

قال الدكتور عابدين: لواتة عدة بطون كبني بلار وبني مجدول وبني حيدرة وقطوفة وبركين ومالو ومزورة.

فأما بنو حيدرة فمنهم أولاد قريش وأولاد زعازع وهم أشهر من في الصعيد.

وأما قطوفة فإنها تجمع مغاغة^(١) وواهلة^(٢).

وبركين فإنها تجمع بني زيد وبني روحين.

وأما بنو بلار ففرقتان: فرقة بالبهنساوية وفرقة بالجيزية، فالتى بالبهنساوية بنو محمد وبنو علي وبنو نزار ونصف بني شهلان، والتي بالجيزية بنو مجدول وسقارة وبنو أبي كثير وبنو الجلاس^(٣) ونصف بني شهلان^(٤) ويقال لهذه الفرقة التي نزلت بالجيزية «حد وخاص» والفرقة التي نزلت بالبهنساوية (البلاوية) ومنهم مغاغة ولهم سمالوط إلى الساقية.

ولبني بركين أفلوسنا وما معها إلى بحرى طنبدى^(٥).

ولبني حدوخاص الكفور وسفط وجرجه وأهرت^(٦).

وبنو محمد وبنو علي أمراؤهم بنو زعازع.

(١) مغاغة: لعل تسمية بلدة مغاغة بالصعيد المصري يرجع لهذا البطن من لواتة.

(٢) واهلة: ينسب إليها بنو واهلة من أعمال المتوفية بالديار المصرية، وهي حرفت إلى منى واهلة، وورد في الانتصار منى وهلة وكفرها في أعمال المتوفية وكانت مضافة إلى كفر يسمى شنطورة.

(٣) ذكرت من قبائل مصر باسم إجلاص عام ١٨٨٣ م.

(٤) بنو شهلان مساكنهم بالبهنساوية وبهم تعرف البلدة المعروفة ببني شهلان، أما بنو مجدول إخوانهم فلمهم بلدة من أعمال الجيزة.

(٥) قرية بمركز شين بالمنوفية.

(٦) أهرت في بني مزار والفيوم.

الهداهيد

أصل القبيلة:

هي من قبائل المرابطين الصغيرة تقيم في الصحراء الغربية المصرية والبحيرة من الديار المصرية.

قال الجبوني في أنساب العرب عنهم:

قبيلة الهداهيد وإقامتهم ببلدة أورين مركز شبراخيت في محافظة البحيرة، ومن عائلاتهم عائلة جويد ومن كبارها شيخ العرب عبد الجواد جوير -رحمه الله-، والشيخ محمود عبد الجواد جويد -رحمه الله-، وأولاده رشاد وممدوح وصابر وعبد الجواد ومدحت.

ومن الهداهيد الأستاذ عزت جويد بكلية طب الإسكندرية، وحمد عبد الجواد، وشيخ العرب إبراهيم جويد والسيد عبد الرحمن جويد، والسيد الصاغ محمد عبد القادر جويد في شرطة الإسكندرية، والأستاذ فؤاد المدرس، والمهندس صالح، ومحمود السيد المدرس، والصابغ الدكتور عبد الحميد جويد بالجيش، ولا يزال هذا البيت مقصداً لطلاب الحاجات وفيه الشهامة والمروءة.

الحسنة

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين الصغيرة في ليبيا، نزح بعضها إلى مصر وهي بيوتات قليلة.

ما قاله بعض المؤرخين عنهم

قال خليفة التليسي في معجم سكان ليبيا: الحسانة بيوتها أبو شخيتير، والغراف، وأبو بكر، وأبو شعيلة، والحرم، وميلاد، وحلاق، وضنى هيبية (غراب، حمد).

وقال الجبوني: قبيلة الحسانة من المرابطين منهم عائلات وبيوت عديدة مثل أبو شخيتير والغراف وأبو بكر وأبو شغيلة والحزم وميلاد وحلاق وغراب وحمد والأريد.

وهنا خلاف في أسماء العائلات حيث ذكر التليسي شعيلة بالعين وذكرها الجبوني شغيلة، وكذلك ذكر التليسي اشخيتبر وذكرها الجبوني بالياء (شخيتير).

الزاوية

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين ويرجع نسبهم للأشراف حسب ما يؤكد الباحثون في ليبيا.

ما ذكره الباحثون عن هذه القبيلة

قال الحبوني، تتكون هذه القبيلة من أربعة بطون الأول الشيخ وجميع هذا البطن يقطن في منطقة العقيلة، والثاني بناشة ويقطن جهة مرادة، والثالث الفكاسير، والرابع غزالة.

وأضاف: قالوا إن نسب هذه القبيلة ينتهي إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

قلت : ومن هذه القبيلة بيوتات في الصحراء الغربية المصرية.

بنو غازي

أصل القبيلة:

ذكر بعض النساين أن أصل هذه القبيلة من الأشراف السنوسيين^(١) من الأدارسة ونشأت في برقة ونزحت إلى الديار المصرية.

ما قاله بعض المؤرخين

قال أحمد لطفي السيد: هذه القبيلة من قبائل الشرقية من الديار المصرية ذكرت في حصر العربان عام ١٨٨٣م.

(١) قيل أن مؤسس هذه القبيلة هو محمد علي السنوسي الكبير من الأدارسة، والسنوسيون من قبيلة خطاب في مدينة متغانم الجزائرية واستقروا في ليبيا كما هو معروف.

المسامير

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين في ليبيا منها عائلات في مصر .

ما قاله المؤرخون حول هذه القبيلة

قال التليسي في معجم سكان ليبيا: ينقسم المسامير إلى فرعين سلالة سيدي نوح وسلالة سيدي مسمار وأم الاثنين واحدة حيث نلتقي هنا بنفس الأسطورة المكررة للحاج المغربي الشريف المتوجه إلى الأراضي المقدسة مع زوجته التي يقعد بها الحمل عن الاستمرار في الرحيل .

وهذه القصة مكررة في البراعصة والبراغثة وعائلة نجم والجرارة وغيرها .

وتقول قصة المسامير أن سيدي محمد يودع زوجته ويسافر للحج ويتركها في رعاية سيدي مسمار ثم يموت سيدي محمد في طريق العودة فيتزوج بها سيدي مسمار الذي أنجب نوحا ويضم إليه أبناءها الآخرين من زوجها الأول، فهما إذن فرعان متميزان أبناء نوح ومسامير الرزق نسبة إلى رزقة التي يبدو أنها كانت زوجة لسيدي عبد الجواد وهو أشهر أبناء سيدي مسمار، وإن كانت الروايات المحلية لا تكاد تتفق على ذلك .

ولا تشير الروايات المحلية إلى العصر الذي عاش فيه أجداد المسامير، كما لا تشير إلى أنهم قد شكلوا في أي عهد قبيلة خاصة بهم فهم موزعون اليوم كما كانوا أيضا قديماً في جميع أجزاء برقة، وكذلك ضمن القبائل المصرية، وهم منضمون إليها بطريقة فريدة من نوعها، فعلى الرغم من شهرتهم بالشرف والولاية إلا أن ذلك كله لم يمكنهم من شرف الدخول كجزء عضوي ضمن أية عائلة من العائلات كما حدث لكثير من الفروع التي تتشابه معهم في الأصول .

وقال عن مسامير الرزق: هم الفرع الثاني من قبيلة المسامير المرابطة، ومن عائلاتهما: عبد القادر وحسن الحمري وأبو جنوب وعبد الجواد^(١) والحلاثم والنجاجة والكيلى .

(١) من عبد الجواد بيوت الحاج علي، سعد، عبد الرحيم .

وقال عن مسامير نوح: أحد فرعي قبيلة المسامير المrapطة، وعائلاتها: حورية، ومنها بيوت عبد المالك وحسين وعبد الحفيظ والحاج عبد الله والحاج عثمان وعبد الرحيم والحاج بخاطرة والحاج عطية والذريوي ودغباري، وعائلة السماعيل وبيوتها علي وقرسان وأبو طاوس وأبو لطيفة، وعائلة صارة وبيوتها نجم وعبد الرحيم وأبو قرين وقبول، وعائلة خضراء وبيوتها أبو جنوب ورقبوة وأبو غنية، وعائلة زهراء وبيوتها عبد الكريم والأعيرج وعبد الرحيم، وعائلة فلان وبيوتها نوح والشويقي، وعائلة الفحاسي ومنهم بيت براية.

الجرارة

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين وأصلها من الأشراف حسب بعد الروايات من كبار القبيلة.

ومن هذه القبيلة قسم في مصر.

ما قاله المؤرخون عن الجرارة في مصر

قال الحبوني عن الجرارة: هم في الواقع من الأشراف ودخلوا في قبيلة الحوّة (من لبيد من بني سليم) وإنما انتسبوا للحوّة لأن أحد أجدادهم وهو السيد عبد الله الحاج مرّ على مقعي كبير قبيلة الحوّة يريد الحج معه وبرفقته زوجته التي تركها عند مقعي وسافر إلى بلاد الحجاز وتوفي -رحمه الله تعالى- بجدة في الأراضي الحجازية، ثم تزوج المرأة (زوجة عبد الله الحاج) مقعي الحوتي وضم أولاده إليه، وعقب من المرأة شريفاً وروية، وقد عثرنا على ورقة مع السيد عريقيب المأمون فيها نسب هذه القبيلة وأنه يتصل بالقطب الرباني سلطان الصالحين سيدي عبد القادر الجيلاني -رضي الله عنه-، والواقع أن حالة هذه القبيلة من جهة تمسكهم بدينهم تؤكد ذلك وبيوتهم الآن عبد السميع وحسين وعبد الرحيم، ومن مشاهير رجالهم الذين تزار أضرحتهم من البدو هم: سيدي عمر بريدع على خط الحدود الغربية عند النقطة المسماة بهذا الاسم المعروف تقريبا عند جميع رجال مصلحة الحدود، وسيدي حمزة تجاه مطروح، وابنه سيدي عكوش بجهة أوجرين مركز السلوم، وسيدي يونس أبو حراقة بمركز سيدي براني، وسيدي دخيل ومنهم الآن السادة طاهر أبو عبد السيد -رحمه الله- ومهدي ويونس أبو عبد السميع وصالح وعبد القادر بطون وعبد القادر كريم، ومحمد أحمد -رحمه الله-، وطاهر والسيد عريقيب بن السيد المأمون مثال الصلاح وحسن الخلق وكان والده -رحمه الله تعالى- من الرجال المشهورين ببرقة والديار المصرية تضرب به الأمثال التي كانت تحكي عنه لغاية الآن ومن مشاهيرهم اليوم الحاج رشيد وابنه زايد.

وقال التليسي في معجم سكان ليبيا: الجرارة إحدى فروع قبيلة الحوّة من أتباع الطريقة المدنية عدا عائلة حمزة، ويتبعون منطقة طبرق وينقسمون إلى فرعين عبد السميع وبلحسن.

وقال اللواء صلاح التايب: الجرارة تقول رواية أنهم من الأشراف من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب. ومن فخذهم: أبو حليلة، والعريفي، وحمزة، وعبد الرحيم، والغزي، وحسين، وعبد السميع، وأبو بهرة، والرقعي، وحزيف، والرميمح، والفصلي، ورحاب الله وأبو دحيوة. ويعتبر أفراد هذه القبيلة من ذوي البركة وهم أهل إقدام ومحل تقدير من قبائل العرب، ويتردد على زيارة مقابرهم المنتشرة في الساحل الشمالي في سيدي براني والسلوم بعض البدو من سكان المنطقة أشهرهم السعدية الأفراد، وشيخ قبيلة الجرارة هو كريم عبد ربه وفيهم مشايخ آخرون مثل الشيخ عبد الرحيم محمد حسين، والشيخ إسرافيل جويذة دخيل، والشيخ مفتاح عمر الحلّام، والشيخ محمد الشرع أبو جلية، والشيخ قدورة أبو حليلة، والشيخ حامد عبد القادر، والشيخ علي أبو مريم.

المنفة

أصل القبيلة:

ينسب المنفة إلى الأدارسة الأشراف في الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى، وقد تكونت من مؤسسها مناف في البطنان ببلاد برقة.

وتعد هذه القبيلة من قبائل المرابطين في ليبيا، وانتقل قسم قليل منها إلى الديار المصرية.

ما قاله بعض المؤرخين عن المنفة

قال خليفة محمد التليسي في معجم سكان ليبيا: قبيلة المنفة نسبة إلى جدها مناف الوافد من الساقية الحمراء على ما تقره الروايات المتواترة، وتنقسم القبيلة المذكورة إلى فرعين هما مسيكة، والعلوم، وهما منسوبان إلى الأمهات.

ومن هذه القبيلة المجاهد الكبير عمر المختار، منازلهم العادية منطقة الدفنة الشرقية الواقعة إلى الجنوب من زاوية جنزور، كما يوجد لهذه القبيلة فروع بمصر تقيم إقامة دائمة.

وقال اللواء صلاح التايب عن المنفة:

قبيلة عربية تحسب من المرابطين أصلها من الأشراف، بلادها غرب الجبل الأخضر بإقليم برقة شرق ليبيا وأغلبهم في ليبيا ومنهم بعض العائلات في مصر، وجد هذه القبيلة يسمى مناف، وهي القبيلة التي ينتمي لها شيخ المجاهدين للاستعمار الإيطالي في القرن العشرين الميلادي عمر المختار^(١) والذي قاتل ببسالة من عام ١٩١١م حتى ١٩٣٠م ثم شق بطريقة وحشية من المستعمرين أمام الشعب الليبي في بلدة سلوق في أحد معسكرات التجميع.

ويؤكد الباحثون في ليبيا ومصر أن مناف أنجب عام وعام تزوج من ثلاثة نساء: اهيد، وأمسيكة، وفاطمة، والثالثة من سمالوس، وقد أنجب عويان ودبوس وعبد الله وخالد ومرابط وغريب، ثم تفرعت من هؤلاء فخوذ كبيرة هي: بريدان،

(١) المجاهد عمر المختار بن فرحات من عائلة غيث من فرع بريدان من قبيلة المنفة العربية واسم والدته السيدة عائشة بنت محارب، والمنفة ديارهم في البطنان في برقة شرق ليبيا

وسباق، وأبو دوس، وأبو نقيرة، والأفحاتات، وعلوش، وأهديمة، وأبو حلقوم، ومؤمن، وهود، والمقوري، وسليمان، والمسموط، والزفر، ولصم، والحاج سليمان، ورفرات، وكحاش، وجحيش، وعزيز، وأبو خديجة، والكبش، وعربات، ودواهك، ومريوط، ورجب، والجزار، والمسبوتي، والريتوي. ومن رجالات هذه القبيلة نذكر فايز علوش ويونس سعد الله وحسن أبو رقيق وقاسم أبو العمى وآدم النcran.

وفي عام ١٩٣٠م ساد حزن عميق لفقدان الشهيد عمر المختار في أوساط جميع القبائل العربية وفي أنحاء الوطن العربي شعوباً وحكومات، وقد أقام حمد باشا الباسل-رحمه الله (من قبيلة الفوايد في الفيوم) له حفل تأبين وثناء، وقال شاعر القطرين خليل مطران عنه:

أَبَيْتَ وَالسَيْفَ يعلو الرأس تسليماً وجودتَ بالروح جود الحراق خيماً
عله يا عمر المختار حكمته في أن تلاقي ما لاقيت مظلوماً
أن يقتلوك فما أن عجلوا أجلاً قد كان مذ كنت مقدوراً ومحتوماً
هل يملك الحي لو دانت له اسم ولامر ربك تأخيراً وتقديماً

وقال أحمد شوقي أمير الشعراء يرثي عمر المختار:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحكم نصبوا مناراً من دم يوحى إلى جيل الغد البغضاء
يا ضر لو جعلوا العداوة في غد بين الشعوب مودة وإخاء
جرح يصبح على المدى وضحية تلتمس الحرية الحمراء

وقال عبد السلام الحبوني في أنساب قبائل العرب عن المنفة:

من أهم قبائل المرابطين وأكثرهم عدداً وجددهم الأعلى يُسمّى (مناف) وهو الذي سُميت باسمه القبيلة، وقد انقسمت إلى قسمين عظيمين: مسيكة، وعلوم. ومن مسيكة تفرعت عشرة بيوت كبار هي بريدان والمقوري والمصموت وعلوش وهود والقحاشات وسباق والدبابسة وأبو خديجة والجحيشات.

ومن العلوم تفرعت إلى بيوت كبار أيضاً مثل الرتيوات والخابب والعرايات ورجب والجزار والعراف. ومن قبيلة المنفة بعض العائلات بالقطر المصري والباقون منهم يقيمون بالبطنان في برقة بليبيا، وقد اشتهر في هذه القبيلة رجال كانوا مضرب الأمثال مثل الأمين أبو سيف، ورجب أبو سبحة، والأشهب والد الشيخ مفتاح الأشهب، وعائلة حويش منهم الفقيه رجب - رحمه الله - وإخوته، ومنهم الشيخ يسر ومصباح أبو أعقاب عوض، وعباس عثمان أبو خديجة، ومحمد رجب أبو بسمه، والعمدة منصور أبو علي الأمين، وأبو عجيبة سليمان، وعبد الله مجاور، والشيخ مسعود محمد، وأبو قرام، وعزياتي مفتاح، وسالم محمد المختار، ومحمد أبو خطاب، والعمدة الصافي.

وفي ص ٢٥٤ قال الحبوني: أرسل إليّ الأخ العزيز الشيخ رشيد سلامة المسمون من قبيلة المنفة التالي:

ذكر أن منافا الكبير ومنه مناف الصغير هو الذي تنسب له قبيلة المنفة، ومناف الصغير خلف علم، وعلم تزوج من ثلاث نساء وهن مسيكة وفاطمة والثالثة لا يعرف اسمها من قبيلة سمالوس وله منهن سبعة أولاد أربعة من مسيكة واثان من فاطمة وواحد من السمالوسية.

أولاد مسيكة هم: الفقيه واعويان ودبوس وعبد الله.

وأولاد فاطمة هم: خالد ومرابط.

وابن السمالوسية هو: غريب.

وتشعب من أولاد علم بن مناف السبعة أبناء فاطمة وكونوا بطن العلوم واشتهروا باسم أبيهم، وكذلك أولاد امسيكة اشتهروا باسم أمهم، وأما غريب فأعقب عائلات خديجة والغزراف.

أما الفقيه فأعقب عائلات الفقيه وينتمون إلى بريدان.

وأما عويان فأعقب عائلة اسباق.

وأبو دبوس أعقب عائلات أبو نغيرة والأقحاشات وعلوش وأهديم، وأبو هديمة أعقب أبو حلقوم ومؤمن، وأبو حلقوم منه عائلة هود، ومؤمن منه عائلات المقوري وسليمان والمسموط والزفر ولصم.

وعن محمد المجوري يقولون إن أصله من عائلة الشواعر العبيدات والزعم أن أمه امرأة تُسمى مباركة من عائلة أشويشه الدبابسة تزوج بها أحد الرجال يُدعى عبد الصمد من عائلة أبو شريعة العبيدات وتركها وهي حامل ووضعت من محمد المذكور، وتزوج بها مؤمن من ابن أبو هديعة وخلف منها سليمان المصموت والزفر ولصم.

وعاش محمد مع إخوته في عهد أبيهم وأمههم ولقبوهم بالمقوري (تنطق بالجيم المجوري) وعندما كبر محمد ظهر له اسم وبانت منه بواعث مشوخة، وعند وفاة مؤمن أوصى أبناءه كأنه أحد منهم وتبع هذه الوصية سليمان المصموت.

وخلف سليمان المصموت عائلة المصموت، وخلف الزفر ولكن لا يوجد منها إلا ثلاثة أشخاص فقط. أما أولاد لصم فممنهم عائلة أبو رييدة وهم يرجعون إلى إبريدان.

وعلوم أعقب محمد المقوري ومنه عائلة المقوري ودخيل .
ومن أبناء فاطمة (خالد) ومنه عائلات الخايب ورجب والعريان .
وامرابط منه عائلات الرتيوات والجزار ، واشتهر أبناؤه بالصلاح والتقوى
ولهم مكانة عند العرب .

وينقسم بطن بريدان إلى قسمين فرحات والحاج سليمان، فمن أولاد فرحات الشهيد المشهور والعالم الإسلامي المجاهد السيد عمر مختار، ومنه أبو فراج المبروك من الرجال المشهورين في العهد الغابر، ومن خلفه الحاج سليمان لأميم أبو سيف ومصباح أبو عقاب، ومن خلفه المقوري رجب أبو سبحة وهو من الرجال المشهورين، وعمودية هذه القبيلة هي للعمدة منفور بن علي بن لأميم أبو سيف، وهذا العمدة من أهل المكارم والفصاحة وإكرام الضيف عن أبيه عن جده وهو لأميم أبو سيف، الذي بلغ اسمه وأخذ شهرة كبيرة في البطان مركز كمبوت، ويقولون إنه في سنة من سنين الجذب رحل إلى وطن قبيلة البراعصة بمواشي، فأرسل لهم عمر أبو عينة الشاعر المشهور يوصيه بهم خيراً بقصيدة طويلة يقول في أولها:

سلافي على لجواز كسابة الثنا
إللي إحاموا دون جار أجار
حرم صقر من البطنان ما عمر اجلا
مشهور في برقه أو الاقطار
ايحما من بنات القود ملغوار
ايفرج على المكروب عامات الكدا

وفي ص ٢٤٧ ذكر نبذة عن المجاهد الكبير شهيد الإسلام والعروبة عمر المختار سليل قبيلة المنفة، حيث قال: وَمَنْ من المسلمين والعرب لا يعرف هذه الشخصية العظيمة التي كانت رمزاً على الجهاد والوطنية والتضحية وإنكار الذات والعفة والمروءة واحتقار الماديات، وأخيراً جاد بنفسه في سبيل الله تعالى والوطن الليبي.

فهو عمر بن المختار من بطن بريدان من قبيلة المنفة، ولد في البطنان قرب مدينة طبرق سنة ١٢٧٧هـ من أبوين عربيين وكفله أبوه وعنى بتربيته فنشأ في بيت عز وكرم بعيداً عن أخلاق المدن ونقائصها، تحوطه شهامة العرب وحرية البادية، وحوله من مظاهر الفروسية ودواعي الاعتزاز بالنفس ما بعث في تلك النفس الكبيرة حب التضحية والألفة من الخضوع إلى من لم يجعل له دينه سلطاناً عليه.

وإذ كان السيد عمر صبياً كان السيد محمد المهدي السنوسي -رحمه الله- تعالى صاحب الجاه العريض والسلطان النافع في برقة، وما كاد السيد عمر يبلغ السن التي تؤهله لحفظ القرآن حتى بعث به والده المختار إلى واحة الجغبوب ليقرأ القرآن وما تيسر من العلوم الدينية، فكان هذا دأب قبائل برقة في إرسال أولادهم للجغبوب إلى أن جاءت الحرب الطرابلسية وكان من حسن حظ السيد عمر أن كانت له المنزلة المشرفة عند السيد المهدي، فما كاد يتم حفظ القرآن ودراسة بعض العلوم حتى شاع ذكره، وتناولته الألسن بالثناء، واحترمه رؤساء القبائل في ليبيا، ويعد أن حفظ القرآن وأتم دراسته ولأه السيد محمد المهدي شيخاً على زاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج، فقام بتعليم أولاد المسلمين وإكرام من يأوي إلى تلك الزاوية من الفقراء وعابري السبيل وفض المنازعات بين قبائل العرب والسير في مصالحهم.

لقد أثبتت الأيام هذا الاختبار من السيد المهدي السنوسي أموراً اقتضت سفره إلى السودان فكان أول من وقع عليه اختياره لمرافقته في هذا السفر الطويل الشاق (السيد عمر المختار)، وفي أواخر عام ١٣١٢هـ وكان المختار محل ثقته ومعتقد آماله حتى كان يقول: «لو كان عندنا عشرة رجال مثل عمر المختار لاكتفينا بهم»، وولاه السيد المهدي في السودان شيخاً لزاوية (كلك) واستمر في السودان نائباً عن السيد المهدي وقائماً ببيت الدعاية الإسلامية إلى أن رجع إلى برقة سنة ١٢٢١هـ وتولى شيخاً لزاوية القصور للمرة الثانية، واستمر يدير شئونها إلى سنة ١٢٢٩هـ.

ولما احتل الإيطاليون بني غازي كان أول من لبي نداء الوطن وباشر الجهاد بالسيف والمدفع ليل ونهار نحو العشرين سنة إلى أن أُسر ومات شهيد الوطن والواجب يوم ٤ جمادى الأولى عام ١٣٥٠هـ، وعملت له حفلات تأبين في مصر والشام، وأهمها حفلة سعادة حمد إسماعيل باشا الباسل، وقد خطب فيها سمو البرنس عمر باشا، وسعادة الباسل باشا، ورثاه أحمد بيك شوقي، و خليل بيك مطران، وقد حزن عليه رؤساء العروبة جميعا ونددت بأعمال الإيطاليين الوحشية في ليبيا واحتجت على قتل السيد عمر المختار -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- والخير في ابنه محمد صالح الخيار.

زوية

أصل القبيلة:

يرى بعض الباحثين أن هذه القبيلة من جدّهم حسن اللبيب ويُلقَّبُون بالحساونة وأنهم من سلالة بني سُلَيْم خاصة من فرع رغب والذي يتّسمي له المقارحة .

ولربما خلط البعض بين الزاوية وزوية وقد حسبوا الثانية من الأشراف مثل الأولى ظنا منهم أن كليهما واحد وهذا خطأ .

ومن هذه القبيلة عائلات في مصر في الصحراء الغربية وغيرها من بعض المحافظات المصرية .

ما قاله المؤرخون عن زوية

قال صلاح التايب: من قبائل المرابطين وجدّهم حسن اللبيب ويُلقَّبُون بالحساونة، ونزحت هذه القبيلة من تونس من بلدة يقال لها زوية فنسبوا لها وفيها بطون السديدي واجلولات والشواغر ومفتاح، وهناك عائلات قليلة من زوية في مصر خاصة في الصحراء الغربية .

وقال التليسي في معجم سكان ليبيا: قبيلة تنتشر في مناطق الواحات الداخلية وخاصة الكفرة وجخرة، وتوجد وحدات منها في فزان وسيوة والوادي والقطيفة وإجدايا وتنقسم القبيلة إلى ثلاثة فروع رئيسية هي سديدي والجلولات والشواقر .

وقال الحبوني في أنساب العرب في ص ٢٠٥ عن زوية: ينحدر أصلها من فخوذ بني سُلَيْم ويُدعى جد هذا الفخذ بحسن اللبيب، ولما انتشر الإسلام واتسع مكان هذا الفخذ بموطن يقال له وادي الأجيال بأرض الشاطئ بولاية فزان (ليبيا) وعرفوا في هذا الموطن بالحساونة ولا زالت فرقة من هذا الفخذ بالموطن المذكور يقال لها الحساونة إلى الآن .

وأما الفرق الأخرى المعروفة بـ(ازوية) نسبة إلى بلدة يقال لها زوية بالفزان وهي البلدة النازحة منها هذه الفرق إلى واحات الكفرة ومن ثم إلى برقة البيضاء،

وفي زمن السيد المهدي السنوسي والد ملك ليبيا وبناء على أمره إلى قبيلة روية لمحاربة الفرنسيين في السودان، وذلك بسبب تعديهم على زاوية السنوسية في كاتم بالسودان ظلماً وعدواناً، وقد استشهد من جراء تلك المعارك عدد كبير من قبيلة روية لا يقل عن ثلاثمائة شهيد، وهذا الإخلاص وفقهم إلى أشياء كثيرة، ومعظم أبناء هذه القبيلة درسوا وتعلموا في الجغبوب والكفرة وتخرج منهم علماء ومشايخ للزوايا السنوسية.

وأفراد هذه القبيلة يتصفون بالشجاعة والمروءة والكرم الذي هو عادة كل عربي حر، ولاشك أن هذه العادة تتصف بها جميع القبائل الليبية وهم مخلصون جميعهم لبلادهم، وكان سبب سكنهم في واحات الكفرة الفتنة التي حصلت بينهم وبين السلطات التركية، وقد نشأ عنها حرب بينهم سنة ١٣٠٧ هـ السبب الذي أدى إلى صداقة متينة بينهم وبين سلاطين السودان، وقد أخذ الآخرون يبعثون لهم الهدايا من مئآت الجمال، ومن حسن حظهم أيضاً أن رحل السيد المهدي السنوسي من الجغبوب إلى محل إقامتهم بالكفرة، وبقدومه سلموا زمام أمرهم إليه قلباً وقالبا فكان لهم أبا شفوفاً ونوراً يهتدون به وقد منحهم لقب الأنصار.

وقد عين من أعيانهم عشرة لحل جميع القضايا، ومن بين هؤلاء الأعضاء صالح العابدية وأبو بكر بوفويتين. وعندما جاء الإيطاليون إلى ليبيا وبعد احتلالهم واحات جالو تجمع أفراد قبيلة روية بواحاتهم الكفرة وبدأوا في مهاجمة الإيطاليين في جالو واشخرة حتى أن بعض المعارك المشهورة بالكوز شمال قرية إشخرة، وقد استشهد منهم عدد لا يقل عن أربعمائة شهيد، وتعتبر تلك المعركة من معارك برقة المشهورة التي تكبد فيها الإيطاليون عدداً من رجالهم يزيد على ألف قتيل، ثم استمروا بغزواتهم المتكررة على الإيطاليين في برقة التي احتلها الإيطاليون؛ وفي آخر الأمر قد أخذوا خبراً بأن الإيطاليين قد عزموا على غزو بلادهم الكفرة فتجمعوا هناك وأعدوا عدتهم لمقابلة المعتدين.

وعندما زحف جيش الغدر والطغيان في قوة هائلة إلى الكفرة تصدوا له للدفاع عن بلادهم، والمعروف أن الكفرة صحراء مقفرة يصعب فيها على المحارب الاحتماء بشيء وقت الحرب، فإن كل هذه الصعوبات لم تمنعهم من أداء واجبهم المقدس، فقد واجهوا القوات الغاشمة الإيطالية بكل شجاعة وثبات، وقد استشهد منهم أناس كثيرون ومن بينهم زعماء مثل صالح العابدية وسليمان بومطاري وغيرهم من الأبطال.

وبعد حرب مستميتة بين الطرفين تمكن الطليان المستعمرون من احتلال الكُفرة فاضطر أفراد القبيلة بعد ذلك أن يهاجروا متفرقين بين السودان وبين مصر، لأن الإيطاليين قد عاثوا في البلدة فساداً وأباحوا لأنفسهم ما لا يرضاه ضمير الإنسان حيث كان القائد الإيطالي حينذاك قد خوّل لجنوده الأشرار أن يعيشوا بالواحة فساداً حتى أن أفراد القبيلة قد تكبدوا أثناء الهجرة عددا لا يقل عن ثلاثمائة ألف من الذين استشهدوا في الطريق ما بين السودان والكُفرة ومصر، وكان معظمهم من النساء والأطفال وقد تمّنوا الموت حتى لا يروا الإيطاليين يعيشون في بلادهم. وبعد أن تجمع شملهم بمصر والسودان فقد أوتهم هناك السلطات المصرية والشعب المصري وبدأوا يعملون في الحقول وغيرها حتى دقت ساعة الخلاص والانتقام من الإيطاليين التي ينتظرونها بفارغ الصبر.

وعندما أعلن الملك السنوسي في عام ١٩٤٠م تشكيل الجيش السنوسي تحت قيادته الحكيمة، لبوا جميعاً نداءه المقدس والتفوا حوله وساهموا مساهمة فعالة بالاشتراك في تخليص بلادهم من جراثيم الاستعمار، وكان التوفيق حليفهم والفضل في ذلك يعود إلى حكمة قائدهم المخضرم.

وهذه القبيلة العريقة وصفها الشاعر المجيد والعالم الفاضل صهر العائلة السنوسية يوسف مقرب حدوث -رحمه الله-، من أشرف البيوت في قبيلة البراعصة المشهورة ذلك بمناسبة مجيء السيد المهدي السنوسي إلى الكُفرة وسكنائه فيها فقال رحمه الله تعالى:

زوية أهل الفخر إن جثت حيّهم	ترى العز في نادي زوية بادي
وأهل فتى أمضى من السيف عزمه	وإن كان للضيفان بالبشر بادي
إذا ما دعوا يوماً إلى شن غارة	رأيت المنايا الحمر تعلقو كالمداي
فكم من حريم قد أباحوا وأجحفوا	بمال غنى لا يخافون عادي

الشواعر

أصل القبيلة:

من عرب الأندلس وقدم جدهم محمد بن منصور إلى درنة في ليبيا قبيل عام ٧٩٢هـ (القرن الثامن الهجري)، ومعظم هذه القبيلة في ليبيا وقسم منها في مصر.

ما قاله المؤرخون عن الشواعر

قال عبد السلام الحبوني في أنساب العرب: حسب ما هو مسجل من حجة أرض قديمة باسم محمد ولد منصور الشاعرى الأندلسي بتاريخ ٧٩٢ هجرية، والحجة المذكورة من الأرض المشهودة التي تُسمى برأس الهلال، يقول فيها صاحبها محمد ولد منصور المذكور تحد من الغرب بأخسي قبيل (وهو جد قبيلة القبائل)، ومن الشرق تحد برأس كرسة، وهذه الأرض موجودة فيها هذه القبائل الثلاث: قبيلة الشواعر وقبيلة القبائل وقبيلة التراكي، وهذه المواقع مشهورة بالجبل الأخضر غرب مدينة درنة ممتدة مع الساحل من الغرب تحد بمرسى سوسة إلى بلدة درنة.

ومحمد ولد منصور المذكور قدم إلى الجبل الأخضر برفقة أخيه حمد، قيل قدموا من الأندلس بعدما احتلها الأسبان وأرادوا تنصيرهم أو الخروج من البلاد، ومعلوم أن العرب قد أقاموا حضارة ومدنية وعلم في هذه البلاد قرابة ثمانية قرون. وقد خلف محمد الشاعرى سبعة أولاد وهم:

- حمد وأولاده اليوم قليلون بمدينة درنة.
- لموش وله أربعة أولاد هم: أبو مهابة وموسى وعيسى ومطرق.
- عبد الملك وله ولدان: شفشف وأحاجز.
- أعسير وله ثلاثة أولاد هم: ميلاد وأبو شعلول وجريدس.
- عثمان وأولاده العبالس وهم عشيرة جسيمة ولها عُمودية مشهورة.
- زايد وله خمسة أولاد هم: مجهر والزنك وعيسى وميلاد والزحاف.
- اشليوه وهو جد عشيرة الشلاوية وهي مشهورة ولها عُمودية.

وقبل استعفاؤه من المدرسة على الفور إكراماً لوالده الشهيد، وبعد رجوع محمد سليمان من إسطنبول اجتمع بالسيد أحمد الشريف السنوسي في دور «مساعد» فوق جبل السلوم، وحصلت بعد ذلك معارك شديدة بين المصريين والإنجليز واشترك مع مصر في هذا الجهاد قبيلة أولاد علي المشهورة، وعند انتهاء هذه الحرب توجه إلى أهله وعُيِّن عمدة على قبيلة الشواعر بدلا من والده - رحمه الله-، ولا يزال عمدة على الشواعر إلى الآن في درنة وهو الذي أرسل هذا التاريخ عن القبيلة.

وأما مطرف ولد لموش خلف ثلاث عائلات هي الوداس واطويريس واقتيشا وكلها تسكن بأرض دفنة بإقليم برقة، والشيخ المشهور فيهم هو هاشم أبو كريم الوداسي.

وأما عمر ولد محمد بن منصور الشاعر ي فقد خلف عائلات مشحام والشويعري وسعيد والشيخ المقدم عليهم هو بلل أبو الكاسح.

وعبد المالك خلف عائلتين هما شفشف وحجز وأكثرهم في القطر المصري يقيمون بجهة المكس وشيخهم عبد المجيد الشاعر ي.

وأعسر خلف عائلات ميلاد وأشغللي وأجريدس والشيخ المقدم عليهم هو سليمان أبو عوض.

وأما رايد فمنه عائلات الأجر والزنك وعيسى وميلاد والزحاف وشيخهم من عائلة الأجر، وفي الماضي كان شيخهم يعقوب ولد أبو لطيفة والشيخ المقدم عليهم اليوم ليس يعقوب.

وأما عثمان فمنه عشيرة الغالبي وهي كبيرة ولها عمدة والموقع الذي تقطن فيه أرض دفنة، وقد ظهر منهم رجل عظيم الشأن وله شهرة بين الناس وهو الحاج رسلان الغالبي - رحمه الله-، وعمدتهم اليوم الشيخ مختار أبو رسلان الغالبي مثل من أمثلة الرجولة الحق والكرم وحسن الخلق.

وأما شليوة ولد محمد بن منصور الشاعر ي الأندلسي فمنه عشيرة الشلاوية وهي كبيرة ولها عمدة ومشايخ، وفي الماضي كان العمدة عليهم المرضي ولد سليمان وله شهرة بين الناس، وعمدتهم اليوم العلاواني أبو أحمد أبو لحافة.

(انتهى ما قاله الحبوني).

وقال خليفة التليسي في معجم سكان ليبيا ص ٢١٦ :

الشواعر واللامامشة والشلوية: ترد أصولهم حسب الروايات المتوارثة في سلالة واحدة إلى قبيلة لواتة^(١) دون أن نعطي قيمة حرفية لشجرة الأنساب.

وفي ص ٤١٤ : ذكر الشاعر في مشجر له قد تزوج من امرأتين الأولى منها الشلوي جد الشلوية، والثانية عقب منها زيد وعمر وحسين وموسى ولموش وعبد الملك.

أما عبد الملك فعقب إبراهيم ومنه الغوالب وعائلة حجز.

وأما لموش فله زوجتان الأولى الطريفية ومنها حمد وداس وطروس، والأخير عقب حميد الذي عقب ناصر ومنه عائلة قطيشة وفروعها علي وعبد الرحمن.

وأما زوجة لموش الثانية فأعقب منها عبد القادر، والموالف ومنه اللمامشة، وبومهاب، والقضائي (انتهى).

وقال اللواء صلاح التايب عن الشواعر في كتاب القبائل المصرية:

وهي من قبائل المرابطين وجددهم محمد منصور الشاعر، وكان له ثمانية بنين هم: عمد ولموش وعمر وعبد الملك وأعسير وعثمان وزايد وأشليوة، وقد تفرع منهم عدد من الفخوذ منها: أبو مهابة، وموسى، وعيسى، ومطرق، والشويعري، ومشمام، وسعيد، وأبو شملول، وجريدس، وشنشف، والعبالس، ومجعة، والزنك، وميلاد، والزحاف، ومنهم أيضاً فرع كبير هو الشلوية ومنهم الطواوسة وهبب وغالب، ومن رجالاتهم صالح هبب ورجب ويونس حميدة، ومساكن هذه القبيلة في سيدي بشر والمكس في محافظة الإسكندرية.

(١) وقبيلة لواتة من قبائل البربر وهم سكان إقليم برقة قبل الفتح العربي.

أولاد الشيخ

أصل القبيلة:

من ذرية سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري من الأشراف الأدارسة في ليبيا ومنهم قسم نزح لمصر.

ما قاله بعض المؤرخين في أولاد الشيخ

قال اللواء صلاح التايب: أولاد الشيخ من قبائل المرابطين وأكثرهم في ليبيا، ومنهم بعض العائلات في مصر يقيمون بالإسكندرية. ومنهم الاقتصادي المعروف جبران سليم.

وقال عبد السلام الحبوني: سميت هذه القبيلة بهذا الاسم لأنها من ذرية سيدي عبد السلام الأسمر وهو أشهر الأولياء في ليبيا وصاحب المقام المعروف في زليطن بليبيا.

وتنقسم إلى أربعة بطون: الأول عمر وله فروع متعددة وجميعها قاطنة بمنطقة إجدابيا وقليل منهم بمنطقة سلوق، والثاني الحلاج وله فروع متعددة جميعها قاطنة بمنطقة إجدابيا، والثالثة فضة وبعضها مقيم بمنطقة إجدابيا وأكثرها في برقة الحمراء، والرابعة أبو شناف وجميعها قاطنة بمنطقة المرج وبرقة.

وقال التليسي في معجم سكان ليبيا: أولاد الشيخ عشيرة بزليطن وهم ينحدرون من سيدي عبد السلام الفيتوري الذي ينحدر من المجدة من المريقات من الفواتير، ويتصل هذا الفرع بصلة القرابة بالإضافة إلى الفواتير وفروع قبيلة أولاد الشيخ بالقبائل الآتي ذكرها والتي تنحدر من أبناء سيد عبد السلام وهي: قبائل الشحوم وأولاد بعيو والصوالح بمصراتة، وأولاد أبو عزة وأولاد الشارف والروايح في ساحل الأحامد، وأولاد سيدي عبد العاطي في الجفارة.

وثمة مجموعة كبيرة من أولاد الشيخ في برقة منضمة إلى قبيلة العواقر.

وتتكون عشيرة أولاد الشيخ من الفروع التالية: ولاد عمر، ولاد عبد الله، ولاد سليم، ولاد الحجاج القواسم، ولاد عبد الوهاب، ولاد عبد المؤمن، ولاد عبد السميع، ولاد خدام الشيخ.

وفي ص ٧١ قال: أولاد الشيخ قبيلة والبيوت المختلفة التي يتكون منها أولاد الشيخ المقيمون ببرقة تنحدر كلها من سلالة سيدي عبد الله المصري، وهو أحد أبناء الولي الشهير سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري.

وأضاف: من أولاد الشيخ في منطقة سرت وعائلاتها أولاد سيدي معزب، وأولاد سيدي خليل، وأولاد سيدي صميذة، ولهم أصل مشترك مع أولاد أبي راوي بمصراتة وزليطن وساحل الأحمد وورفلة وهم جميعاً من سلالة سيدي عبد الله المصري دفين مصراتة وهو ابن سيدي عبد السلام جد أولاد الشيخ.

القبائل

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين وتنسب إلى الولي الصالح عكاشة بن محمد الأزدي من القحطانية كما يرى بعض الباحثين في علم الأنساب. وقيل أن جدهم المؤسس هو قبيل وبه تسمت القبيلة وهو من ذرية عكاشة المذكور.

ما قاله المؤرخون في قبيلة القبائل

قال صلاح الثايب: من المرابطين تنسب إلى عكاشة بن محمد الأزدي وعائلاتها في مصر خاصة في أبي المطامير بمحافظة البحيرة وأشهر هذه العائلات الشهييات واللواحة والققداد والزغبات وماهر وموسى.

وقال الحبوني: ينتهي نسب قبيلة القبائل إلى عكاشة بن محمد الأزدي ومنها فروع في أبي المطامير في محافظة البحيرة، ومنها قسم في برقة بليبيا. وفي موضع آخر قال الحبوني: قبيلة القبائل من القبائل الكبيرة ولها مشايخ وعمدة، ويذكر أن أقبل قدم مع أخيه الحاج محمد من أرض الأندلس^(١) (أي مؤسسين القبيلة) وعمدتهم اليوم نصيب أبو عمر، وفيهم بركة عدد كبير، وكبيرهم اليوم الشيخ محمود أبو هدمة رئيس مجلس الشيوخ لحكومة ليبيا.

وأضاف الحبوني أن قبيلة القبائل تنقسم إلى أربعة عشائر هي: الأولى: اللواحة ومنها أفخاذ متعددة وجميعها في برقة ومنطقة إجدابيا.

الثانية: الققداد.

الثالثة: الزغبات وهم بركة أيضاً.

الرابعة: ماهر وبعضها بمرکز أبو حمص وأكثرها بالجليل الأخضر.

وقال التليسي في معجم سكان ليبيا: القبائل تتألف من عناصر مختلفة من قدامى السكان المحليين وتتكون من الفروع التالية: الققداد، واللواحي، وأبو ضية، والزغيات.

(١) في ص ٢١٧ من أنساب العرب ذكر الحبوني أنه مسجل في حجة أرض قديمة باسم الحاج محمد ولد منصور الشاعر الأندلسي بتاريخ ٧٩٢هـ والحجة المذكورة من الأرض المشهورة التي تسمى (راس الهلال) يقول فيها صاحبها الحاج محمد ولد منصور المذكور تحد من الغرب بأخي قبيل وهو جد القبائل ومن الشرق تحد برأس كرسة وهذه الأرض موجودة فيها هذه القبائل الثلاث قبيلة الشواعر وقبيلة التراكي وقبيلة القبائل، وهذه المواقع مشهورة بالجليل الأخضر غرب مدينة درنة ممتدة مع الساحل من الغرب تحد بمرسى سوسة إلى بلدة درنة.

الشهيات

أصل القبيلة:

من قبائل المرابطين المعروفة في إقليم برقة يرى البعض من المؤرخين أن لها صلة بقبيلة السنينات، وثمة رأي لبعض الباحثين ينسب هذه القبيلة إلى الصحابي الجليل عكاشة بن محصن من بني أسد العدنانية.

فروع هذه القبيلة وديارها في مصر وليبيا

يسكن أفراد هذه القبيلة في إقليم برقة، ومنهم قسم كبير في الأيبار قرب بنغازي (الجليل الأخضر) في البلاد الليبية.

ونزح قسم من القبيلة إلى الصحراء الغربية المصرية.

ومن أفضاخ هذه القبيلة: ضيف الله وربوح وجار الله وحييب ومنصور وعبد المولي ومرعي والنايض وأبو نعام. ومن هذه القبيلة الشيخ محمد عطية، والشيخ عبد الله محمد، والطرافي عبد العال النعاس، والشيخ حسين محمد وحيدة، ومنهم في البرلس والعامرية ووادي النطرون مجاورين لقبيلة الجواييص وكان بينهما منازعات.

قال عبد السلام الحبوني:

أولاد مرعي من قبيلة الشهيات بها عائلات كبيرة مثل: جار الله - وحييب، ضيف الله - وربوح.

وإقامة هذه العائلات بجهة برقة (ليبيا) ويبلغون الألف نفس، وقد اشتهر بيت جار الله برجال لهم تاريخ يذكر خصوصاً في الحرب الإيطالية، واستشهد منهم كثيرون.

وفي هذه القبيلة الشيخ محمد عطية، وحمد أبو سعيدة، وفي بيت ربوح الشيخ الوافي عبد العالي النعاس، وقد عرفت من العمدة المذكور أن مرعي الذي يتنسبون إليه هو ابن جابر بن زين بن عروة السنيني فهم يرجعون إلى قبيلة السننا من أبناء غمومة أولاد علي من العقاقرة.

ولهم في هذا نظم بالشعر الدارج وقولهم في المغاني: «عراوة مانا شهيات يا عمر».

التراكي

أصل القبيلة:

من أصل تركي وقطنوا مدينة درنة وكونَ جدهم قبيلة عرفت باسم التراكي .
ومنهم عائلات قليلة في مصر .

ما قاله المؤرخون عن التراكي

قال عبد السلام الحبوني في أنساب العرب ص ٢١٨ :

جد التراكي على موجب حجة أرض قديمة موجودة في درنة كان رجلا غريبا وأصله تركي قدم في عام ٧٩٢هـ تقريبا إلى غرب مدينة درنة (بالجبل الأخضر) في ليبيا، ومكث مجاوراً للحاج محمد بن منصور الشاعرى الأندلسي جد الشواعر، فزوجه ابنته وكتبه مثل ولده، ولما ولدت البنت المذكورة ولدا أهداه جده من الأب موقعا يُسمى رأس كرسه مع ساحلها وهذه الأرض اليوم موجودة فيها قبيلة التراكي .

وفي ص ٢٢١ قال الحبوني :

وأما أصل التراكي فهو رجل تركي الأصل قدم على الحاج محمد ولد منصور الشاعرى الأندلسي (في نواحي درنة) ولما رآه غريبا بين العرب كتبه ابنا له وأعطاه ابنته، وهو جد قبيلة التراكي وهي بالوقت الحاضر قبيلة جسيمة لها عمدة ومشايخ، والمقدم عليها هو الشيخ صالح ولد علي أبو نايف، وإقامتهم بجهة مركز القبة في الجبل الأخضر .

وفي ص ٢٣٠ قال الحبوني :

قيل أصل التراكي من الأتراك وبيوتهم: عيسى، وحميدة، والحاج .

فزارقة

نسب القبيلة إلى مؤسسهم فزاره «جد جاهلي»:

وهو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

بعض ما قاله المؤرخون عن فزارة في مصر وليبيا والسودان

قال الدكتور عبد المجيد عابدين^(١): بأرض مصر فزاره قيس وهم بنو فزاره بن
ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وسمي فزاره واسمه عمرو، لأن سعد بن
ذبيان أخاه فزر ظهره فكانت به فزرة فسمي (فزاره).

وفي فزارة هذه عشائر كبنى شمع وظالم ومرة ومازن وشكم وسعد ولوزان وغير ذلك.

وبأرض مصر جماعة من فزارة بالصعيد وجماعة بضواحي القاهرة في
قليوب وما حولها، وبهم عرفت البلدة المسماة بخراب فزارة.

ويقول الدكتور عابدين معلقاً في حاشية ص ٤٨:

بنوفزارة من بطونهم بنو عدي وهو أبو بدر المتسبب إليه بنو بدر بأعمال القليوبية من الديار المصرية وإلى جوارهم بنومازن. ويقول القلقشندي، بنو بدر هؤلاء قبيلته التي يُعزى لها وفيها يتسبب ولهم القليوبية في الديار المصرية ويجاورهم فيها بنوعمهم من بني مازن بن فزارة ولكل منهما بلاد تخصه، ولا زالت حتى عهد القلقشندي (في بداية القرن التاسع الهجري) بينهما العداوة والشحناء، ولبنى بدر منهم الرياسة والقوة والغلبة.

وقال القلقشندي: أهل بلدتنا قلقشندة من القليوية فرقتان: فرقة بني بدر، وفرقة بني مازن.

وفي حاشية أخرى قال الدكتور عابدين:

في مصر قري باسم فزاره منها فزاره التابعة لمديرية جرجا وهي بمركز طهطا،

(١) انظر البيان والإعراب للمقرئ محمد بن عبد الله بن عابد.

وفي مخطوط نهاية الأرب (مخطوط ق ١/١٧٤) ذكر القلقشندي بني نفاية^(١) بطن من فزارة وقال منهم أعيان وقيمون بأطراف الشرقية من الديار المصرية (انتهى).

وقال ماك ما يكل في تاريخ السودان أن فزارة في مصر قد أخذ بعضهم طريقه إلى السودان وهم إن كانوا غير معروفين إلا أنهم كانوا قبل ظهور المهدي في السودان، وكانت وظيفتهم نقل المتاجر ما بين كردفان ودارفور، ويظهر من النسب السودانية أن كثيراً من عرب السودان الذين يدعون نسبهم للعباس بن عبد المطلب الهاشمي هم في الحقيقة كلهم من أرومة فزارية من غطفان أو قبائل أخرى من قيس عيلان. (انتهى).

ما قاله خليفة محمد التليسي عن بطون فزارة في ليبيا بالوقت الحاضر^(٢).

(أ) الجماعات إحدى قبائل ودان وفروعها: متصر، ومبارك.

ويؤيد بعض أعيان المنطقة أن هؤلاء من فزارة وهي قبيلة جاءت مع بني سليم بعد بني هلال.

وأضاف أن هؤلاء الجماعات في سوكنة وفروعها جماعة ومبروك ونصر الله وتفرعوا من جماعات ودان.

قلت: والجماعات كما تقدم جاء عنهم نص صريح للقلقشندي أنهم من بطون فزارة.

(ب) الكوافي: من قبائل مصراتة وفروعها المساورة ومنهم الزعابي وأولاد ابن محسن وابن تايب وابن راشد وشلوف، والكوافي ومنهم ابن دخان والأحف والماني وابن إسماعيل والوحيدات وعلي والمتصر والذئب والجرشاء، وسيدي عبد العاطي والفوارين وأولاد قريصة والطويرات وشنيشع والرئيس والخرارزة.

وقال: يحتمل أن يكون هؤلاء من المساورة من فزارة إحدى بطون غطفان، وأضاف أن من فزارة وحدات قوية في زليطن وبرقة.

قلت: وسنوضح عن فروع فزارة في برقة في المجلد الثالث وهم حلفاء لبني

(١) وفي نهاية الأرب (بنو نفر) وهو الصحيح، لأن المفريزي ذكر نفاية في الشرقية من الحم.

انظر ص ٤٣٢ تحقيق إبراهيم الأبياري- دار الكتاب اللبناني.

(٢) انظر معجم سكان ليبيا ط ١٩٩١م- طبع في طرابلس الغرب- الجماهيرية العربية الليبية.

سَلِيم، وكذلك من هذه الفروع من نرح للعراق والأردن وفلسطين، وسنوضح أيضاً عنها في المجلد الثالث (انظر عنهم).

فزاره في الفيوم وبني سويف بالبحر الميداني

وعن فزارة بالديار المصرية فتوجد فروع كبيرة من هذه القبيلة بكفر فزارة مركز سنورس ومنهم الشيخ العارف بالله المتصوف محمود الفزاري^(١) نائب الطريقة القادرية الجيلانية بالوجه القبلي، والعمدة أنور حجازي عمدة كفر فزارة، وابنه المهندس محمد أنور حجازي، والعمدة أنور سيد حجازي - رحمه الله -، والشيخ محمود عبد المجيد حميدة، والأستاذ رمضان أحمد عبد المقصود، والشيخ ربيع أحمد مسعود، وصابر محبوب عبد التواب.

ومن فروع فزارة أذكر التالي في الفيوم وبني سويف.

- موسى: منهم بيت أولاد وهب ويُلقَّبون بالسلطنة، وبيت حجازي ويُلقَّبون بالحصاوية، وبيت أبو شوك.

- وهيد: وهم ذرية يحيى الفزاري الملقَّب بالصغير ومنه بيوت عديدة أهمها خليفة وحمد وعمير واللمعي، وقيمون بالنزلة مركز أشواي بالفيوم، وكذلك في ريف بني سويف وانفصط ومنهرو بسمسطا وأبو صير المراغة حيث تقيم عائلة اللمعي.

- الظالم: وهم يقطنون ريف سنورس بمحافظة الفيوم.

كما أذكر من أبرز رجالات فزارة بمرکز سمسطا بمحافظة بني سويف:
المستشار كمال اللمعي وهو المستشار القانوني لمحافظة بني سويف.

أما فزارة في قمن العروس مركز الواسطي بمحافظة بني سويف فمن أهم فروعهم: خلّاف، والدوح، وصقر، والزعيط، وعويد، وعامر. ومن هذه الفروع بيوت في كوم راضي وإفوة بمركز الواسطي أيضاً.

ونذكر من رجالات فزارة بقم العروس: الشيخ عبد العزيز علي خلاف
عضو مجلس الشعب السابق، والمستشار علي عبد العزيز علي خلاف بالقضاء،

(١) هو الدكتور محمود عبد التواب عبد العزيز خميس مجاهد خليفة حصوة موسى الفزاري، وهو الآن يقيم بكفر فزارة مركز سنورس بمحافظة الفيوم.

والعقيد مجدي عبد العزيز علي خلائف بالشرطة، والرائد عصام عبد العزيز علي خلائف بالشرطة، ورائد مهندس خلائف عبد العزيز بالقوات المسلحة، ومن رجالات إفوة مركز الواسطى أذكر العمدة حسن عبد اللطيف عمدة إفوة، والاستاذ محمد سعيد عبد اللطيف المحامي، والمهندس عماد سعيد عبد اللطيف خالد.

وأذكر أيضا الشيخ محمود سيد عطوة شيخ قبيلة فزارة بقمم العروس، وفتحي سيد عطوة وكيل القبيلة، وحسين محمد صقر عمدة القبيلة، والمذكورين في قمن العروس في بمركز الواسطى بمحافظة بني سويف.

عبس

نسب القبيلة:

هو عبس^(١) بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان.

ما قاله المؤرخون عن عبس في مصر

ذكر أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٤م في كتاب قبائل العرب أن عبس من قبائل الشرقية^(٢) من الديار المصرية، وتوجد باسم عبس في نواحي بلبس قرية تُسمى «عرب عبس».

عبس في مصر بالبحث الميداني

أولاً- بالوجه البحري :

في القليوبية يوجد «ثلث عبس» مجاورين عربان العيايدة من القحطانية بمركز الخانكة، وكذلك «عرب عبس» ناحية زاوية النجار تبع بلقص بمركز قليوب، وكلتا المحلتين بها عائلات من عبس.

ففي «ثلث عبس» أهم العائلات هي: أبو درين وفيهم بيوت ولاد سالم وأولاد محيسن، وأبو عوض وهم من سلالة مراد وسليم أجدادهم كما يذكرون، وفيهم بيوت ولاد شبت وأبو خليل، وأبو خريبة، وعياد أبو عطوة وهؤلاء تفرعوا من أبي درين وقيل أنهم موالى لهم، وأولاد أبو عودة ومنهم بيت أولاد جاد.

وأذكر كبير عبس وشيخهم في القليوبية الشيخ عبد الفتاح سيد سالم درين. ومن أهم عائلات عبس في جوار قرية زاوية النجار هي: أولاد نصار وأولاد جريبان وأولاد سنبل ولهم صلات بثلث عبس في عرب العيايدة، وقد تفرعوا جميعاً من عبس في الشرقية.

وفي الشرقية يوجد عرب عبس في مركز بلبس، ونجوع لعبس في قرى الأخيو وميت أبو العز والمناجاة الكبرى والصغرى وقهبونة والحمادين والقصاصين

(١) انظر تفصيلات أخرى عن عبس في قبيلة بني رشيد (عبس) المجلد الرابع بالقسم الثاني من الموسوعة.

(٢) وفي القرنين بالشرقية ضريح الشيخ قاسم العبيسي وهو مدفون بمسجد صغير من عدة قرون.

وصفيط الرفاعين وشيط الهوا وتل راء . . وبعض هذه القرى تابعة لمركز الحسينية والبعض الآخر لمركز كفر صقر .

وفي قصاصين الأزهار بمركز الحسينية فروع كبيرة من عبس ولهم قرية باسم «عبس» الشرقية تبع قصاصين الأزهار، ومن فروعهم أولاد أبو دغيم وأولاد سعود وأولاد عسكر وأولاد صيام. وكبيرهم الشيخ سالم أبو دغيم.

وفي قرية أبو معفن تبع المناجاة الكبرى بمركز الحسينية بها عائلات عبس وهم أولاد عبد العال أبو سليمان العبسي، ومساكنهم على بحر البقر قرب المناجاة.

وفي الدقهلية توجد فروع من عبس في قرية المحمودية التابعة لميت فارس مركز دكرنس، وهم أولاد أبو خريسة ومعهم بيوتات من أولاد أبو عوض من القليوبية .

وكذلك من «أبو عوض» هؤلاء بيوتات أخرى في قرية الجنيينة بمركز الزرقاء محافظة دماط.

وعبس متشرون في قرى بحيرة طناح وكفر الصلاحات وكفر علام وميت طريف والبعجيلات والنزل والمعصرة ويلا وتيدة، وكل هذه القرى بمراكز دكرنس وطلخا وبلقاس بمحافظة الدقهلية، وبعضها في فارسكور بدمياط أو كفر الشيخ.

ثانياً - بالوجه القبلى:

في مركز كوم أمبو محافظة أسوان يقطن في قرية «الضما» قسم كبير من عيسن وكبيرهم الشيخ إبراهيم العمدة، ومنهم الشاذلي جمعة، وعبد الراضي عبد الرحيم، ومحمد عطايطو، ويطلق على هؤلاء أولاد أبو عواد.

وفي الأقصر بمحافظة قنا أذكر من رجالات عبس، عبد الرحمن الشاطر وأخيه إبراهيم وفي أرمنت غرب، وحاجر السيغية، وقفت بمحافظة قنا وأسوان عائلات من عبس، وكذلك في جرجا وأخميم والبلينا بمحافظة سوهاج توجد فروع وعائلات من عبس وهم متحضرون في المدن والقرى.

أما البدو من عبس فمنهم في منطقة هو بصحراء مصر الغربية، ويعمل هؤلاء بالرعي، وكذلك يوجد قسم آخر في صحراء البحر الأحمر من عبس يمارسون الرعي للإبل والأغنام ويصلون حتى قرب السويس على رأس الخليج.

العايد

نسب القبيلة:

من قبائل جذام القحطانية، وتعد من أقدم القبائل العربية في الشرقية بالديار المصرية.

ما قاله المؤرخون عن عرب العايد

قال القلقشندي في نهاية الأرب: عائد بطن من جذام من القحطانية ذكرهم الحمداني ولم يرفع في نسبهم.

قال ابن خلدون في العبر: ومساكن العايد فيما بين بلبس من الديار المصرية إلى عقبة إيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين، وهم شعب من بني النافرة من بني نفاعة من جذام^(١).

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: وعليهم درك الحاج إلى العقبة.

وذكر ابن إياس في بدائع الزهور ووقائع الدهور في عام ٩٢٦هـ فقال:

اضطربت أحوال الشرقية وثار عربانها، فعزل نائب مصر شيخ عربان العائد، وعين أخاه نجماً للمشيخة وطلب إخماد الفتنة.

وقال نعوم شقير: كان عرب العايد يلتزمون تقديم الإبل للمحمل المصري (محمل الحجاج) فلما تحضروا في الشرقية التزمها سائر عرب الشرقية والقلبوية بالتناوب.

قلت: وكانت حراسة المحمل الشريف من مصر إلى العقبة للعايد، وهناك خط يُدعى العايد في محافظة الشرقية، وهم فريقان؛ فريق نسبُه في إبراهيم العايدي وفريق من حسن أباطة، وللعائد كفور باسمهم في الشرقية وتحضر معظمهم في القرى.

(١) وأضاف أن جذام من مرة بن أدد بن زيد بن كهلا بن قحطان.

لمحة عن الأباطية أشهر فروع العايد في الشرقية

والأباطية عددهم كبير ولهم شهرة كبيرة في الشرقية، ويقول الرواة أن جدة الأباطية تركية الأصل تُسمى أباطة وتزوجت بأحد قبيلة العايد فتسمى أولاده (الأباطية) ونُسبوا لأهمهم التركية.

وكبير الأباطية في أوائل القرن العشرين كان إسماعيل باشا أباطة، ومن الأباطية عزيز أباطة باشا، وفكري أباطة -رحمهما الله- ومنهم العمدة حسن أباطة، وماهر أباطة وزير الكهرباء الأسبق، ونصر الدين أباطة عمدة شرويدة، واللواء عاطف أباطة، والدكتور حاتم أباطة، والمستشار على مختار أباطة، والممثل المشهور رشدي أباطة. والحقيقة أن الأسرة الأباطية تضم عدداً كبيراً من الرجال والشخصيات الهامة والتي لعبت دوراً بارزاً في حياة مصر السياسية والفكرية والاجتماعية.

ونورد بعض النصوص التي تناولت الأباطية:

- ذكر ج بير أن حسن عبد الرحمن أباطة استولى على مساحات كبيرة من أراضي الحطيطة والمعاقة من الضرائب.

- وذكر ج بير أيضاً: أن اثنين من الأباطية هما بغدادي توفي ١٨٥٨م، وحسين بيك عبد الرحمن توفي في ١٨٦٥م قد ساهما في إنشاء القرى الجديدة.

- وفي وثيقة عثمانية معية عربي، أوامر كريمة أمر ٣٦٣٠ - ١٢٥٠هـ - ٣٤- ١٨٣٥م:

قد منح السيد أباطة عهدة قسم ههيا بمديرية الشرقية، وتذكر المصادر ج. بير ص ٢٦ أن السيد أباطة مُنح عشرين قرية كعهدة بمعرفة محمد علي باشا وابنه إبراهيم.

- ذكر محمد رمزي في المعجم الجغرافي للبلاد المصرية القسم الثاني ج ١ ص ٩٣، ص ١٠٣:

أنه يرجع الفضل إلى العائلة الأباطية في تأسيس كفر أباطة بالشرقية، وأضاف أن قرية الزنكلون خاصة لعرب العائد، ومنذ ذلك الحين وخلال القرن التاسع عشر نجد أن الكثيرين من كبار مشايخ عائلة العايد قد شيدوا قرى جديدة واستقروا بها مع أسرهم وتوابعهم، فالشيخ إبراهيم العائدي الذي توفي في عام ١٨٣٦م قد شيد كفر إبراهيم العائدي.

وكان بغدادى أباطة شقيق حسن وحسين عبد الرحمن أباطة من كبار حائزي الأرض بالمنطقة.

- وقال علي مبارك أيضا: عندما أُلّف محمد علي باشا «المجلس العالي» اختار حسن أباطة وبغدادى أباطة عضوين فيه، وقد استمر هذا المجلس ثلاث عشرة سنة من ١٨٢٤م إلى ١٨٣٧م. كما قد عيّن السيد أباطة ناظرا لقسم العائد بمديرية الشرقية.

- وقال رءوف عباس: وقد أصبح السيد أباطة بن حسن أباطة رجلاً عظيماً الشأن؛ تقلّد بعض المناصب الكبرى وتعهّد بنحو عشرين قرية من قرى الشرقية في عهد محمد علي وابنه إبراهيم، وكان في حيازته نحو خمس عشرة قرية، وقد تراوحت حيازة بقية عائلة أباطة ما بين خمسمائة وألفي فدان.

- وقال ج بير: شغل السيد فيما بعد منصب مديرية البحيرة في عهد سعيد وكان في حيازته وقت وفاته في عام ١٢٩٢هـ (١٨٧٥ - ١٨٧٦م) ستة آلاف فدان.

أما الابن الثاني لحسن أباطة ويُدعى سليمان أباطة فكان في حيازته حوالي ألفي فدان في الشرقية حيث شيدّ مضخات للري ومحالٍ للقطن.

- وذكر محمد رمزي في المعجم الجغرافي للبلاد المصرية ج ١ ص ١٣٧ قسم ثاني؛ من الأباطية الذين ساهموا في إنشاء المدارس محمد بيك عثمان أباطة، فقد أنشأ مدرسة في بلده بالربعماية.

- وقال فرج سليمان فؤاد في الكثر الثمين لعظماء المصريين: أنفق محمد بيك عثمان أباطة على مدرسة في الربعماية مبالغ طائلة وافتتحها باحتفال ضخم حضره جمع غفير من رجال العلم والأدب.

- وقال علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية: أنشأ السيد أباطة مدرسة لتعليم أولاده بشرويدة فكانت النواة الأولى للمعرفة في القرية في ذلك الحين، كما أنشأ مسجداً في نفس القرية.

- ذكرت جريدة الأهرام ١٣١٢هـ يناير ١٨٨٤م: ساهم سليمان أباطة بماله في بناء المحكمة الجزئية في ناحية منيا القمح.

كنز

أصل القبيلة:

من بني حنيفة من بكر بن وائل وفروع أخرى اختلطت بهم من ربيعة من نزار بن معد بن عدنان.

ما ذكره بعض المؤرخين عن كنز في مصر

قال الدكتور عبد المجيد عابدين^(١): قال اليعقوبي: وقد حدث في أواخر عصر المتوكل العباسي ٢٣٢ - ٢٤٧هـ أن هاجرت إلى مصر جموع كثيرة من ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان، وكانوا يتزلون اليمامة بأرض نجد، فلما هاجروا إلى مصر استقر فريق حول بلبيس في الحوف الشرقي، أما الغالبية منهم فقد واصلوا رحلتهم جنوباً إلى صعيد مصر الأعلى ومعهم أسرهم، وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية.

ويروي المسعودي في سنة ٣٣٢هـ قصتهم فيقول: وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، فاشتدت شوكتهم، وتزوجوا من البجة، فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار.

وكان لربيعة فضل في منع البجة من الإغارة على الصعيد الأعلى وكفهم عن ذلك، وأدت مصاهرتهم إلى البجة واستيلاؤهم على معدن الذهب بالعلاقي إلى اتساع نفوذهم وكثرة أموالهم، فصارت لهم مرافق ببلاد البجة، واختطوا قرية تعرف بالنمامس وحفروا بها آباراً^(٢).

وفي موضع آخر ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين تحت عنوان (حلف ربيعة) قائلاً:

ذكرنا فيما سبق أن ربيعة قد توطدت مكانتها في الصعيد الأعلى وفي أرض المعدن بنوع خاص، وتحالفوا مع البجة (الحداربة) فقويت البجة بهم، كما قويت

(١) تحقيق كتاب البيان والإعراب للمقرئ ص ١٠٦.

(٢) كما ورد نص البيان والإعراب للمقرئ.

ربيعة بالبجة على من ناوأها من اليمن ومُضَر. وكان صاحب المعدن في زمن المسعودي المؤرخ -٣٣٢هـ هو أبو مروان بشر بن إسحاق، قال: (وهو من ربيعة، يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن، وثلاثين ألف حرّاب على النجب من البجة بالحجف البجاوية، وهم الحدارية، وهم المسلمون من بين سائر البجة وقتلذ، وباقي البجة حينذاك كفار يعبدون صنماً لهم) (١).

يقول عابدين: ونفهم من هذا أن ربيعة كان لهم خصوم من مُضَر واليمن، كما كان لهم حلفاء من هؤلاء وأولئك أيضاً، وكان من حلفائهم - غير مُضَر واليمن - طائفة من الحدارية وهم حضارمة أصلاً، والحضارمة يلحقون بنسب حمير ابن سبأ، ولا يبعد أن يكون الحدارية عناصر شتى من أعقاب سبأ، ونزحوا إلى بلاد البجة قبل مجيء ربيعة بزمان طويل يربو على ثلاثة قرون، وعندما صار لربيعة نفوذ في بلاد البجة كان الحدارية قد توطنوها وصاروا من أهلها فعدوا طائفة من البجة.

وفي عصر الفاطميين تمكنت ربيعة وأحلافها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن بالعلاقي، وكانت أسوان مقراً لها، وامتد سلطانها جنوباً في أرض مريس، وكان رعيمهم حيثلذ هو الذي أشار إليه المسعودي ووصفه بصاحب المعدن، أعني أبا مروان بشر بن إسحاق، وقد أقر الفاطميون هذه الإمارة الناشئة، واستعان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بزعيم ربيعة في ذلك الحين في القبض على الثائر الأموي الأندلسي (أبي ركوّة) وكان قد لجأ إلى الصعيد وهم بالفرار إلى بلاد النوبة، وسر الحاكم بأمر الله، وكان رعيم ربيعة يُلقب «كتر الدولة» وتوارث أبناؤه هذا اللقب، ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكتر الدولة (٢)، ويبدو أن الأيوبيين حين قدموا مصر وتعقبوا الفاطميين للقضاء عليهم، كانوا يتوجسون خيفة من إمارة كتر الدولة ظناً منهم أنها تشيع للفاطميين، فهاجم الأيوبيون بني الكتر وهزموهم، وانسحب أكثرهم من أسوان إلى الجنوب، واتخذوا بلاد مريس مركزاً لنشاطهم، ثم عاودوا الهجوم على أسوان مرات عديدة حتى استولوا عليها بعد سنة ٧٩٠هـ (وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب إلى أن كانت المحن منذ

(١) نص مروج الذهب للمسعودي ٢/١٨.

(٢) نص البيان والإعراب للمقرئزي.

سنة ٨٠٦هـ وخرب إقليم الصعيد، فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ولم يبق للسلطان في مدينة أسوان وال^(١).

والجدير بالذكر أن من بني الكثر هؤلاء النواة الأولى التي تألف منها جماعة الكنوز الذين يعيشون في بلاد النوبة في السودان وادي النيل إلى الآن.

وقال أحمد لطفي السيد عن كثر:

أصلهم معروف من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، هاجرت في القرن الثالث الهجري إلى مصر قادمة من الجزيرة العربية، وبالتحديد في زمن خلافة المتوكل العباسي، وقد تفرقوا في جهات أسوان وشمالى بلاد النوبة، وفي عام ٢٥٦هـ - ٨٦٩م رافقت جُهينة إلى البجة شرقاً، وكانت البجة تشن الغارة على القرى الشرقية حتى خربت، فقامت ربيعة تصدهم حتى كفوهم، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب في العلاقي فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة واختطوا قرية النمامس وحفروا فيها الآبار، ثم استقرت ربيعة ببلاد النوبة يغريهم الذهب ويدفعهم إليها ظلم جباية الضرائب في وادي النيل، وكان رئيس ربيعة في ذلك الحين هو إسحاق بن بشر، وقد حارب بنو بشر هؤلاء سكان عيذاب من بني يونس وهم مثلهم من ربيعة ملكوها حين قدومهم من اليمامة فأجلوهم عنها إلى الحجاز، ثم كانت منازعات بين البشريين من ربيعة قتل فيها شيخهم إسحاق من بشر وانتخب بدله أبو زيد^(٢) ابن عمه وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يوسف وكان مقره بليس، فلما انتخب شيخاً لربيعة اتخذ مركزه المختار في أسوان ثم انضم إليهم الكثير من البجة وهاجر القليل منهم إلى الجنوب وأفسحوا المجال لقبائل عربية أخرى أخذت مكانهم في نفس الصحراء، وفي عام ٣٣٣هـ - ٩٤٤م يقول السعودي في مروج الذهب: إن بشر بن مروان أمير ربيعة كان تحت إمرته ثلاثة آلاف من ربيعة ومضر وثلاثون ألفاً من البجة وهم الحدارية الذين كانوا على الشواطئ الغربية للبحر الأحمر، وقد اعتنقوا الإسلام وتصاهروا مع العرب.

وقد ظلت ربيعة في أسوان ولم تتجه شرقاً حتى بسطت نفوذها على سكان هذه المنطقة وكونوا هناك شبه أرستقراطية حربية، وفي عام ٤١٢هـ - ١٠٢٠م ظفر

(١) نص البيان والإعراب للمقرئ.

(٢) أبو زيد أنشأ ساقية شعبان في أسوان.

شيخهم أبو المكارم هبة الله ويعرف بالأهوج المطاع خليفة أبي زيد بأبي ركوة الأموي الخارج على الحاكم بأمر الله الفاطمي فمنحه الحاكم لقب كثر الدولة وأضحت ربيعة بعد ذلك تُسمى نفسها في مصر بني كثر.

وقال ابن خلدون: كان أمير العرب بنواحي أسوان يُلقَّب بكثر الدولة ومن سكنوا حولها يعرفون بأولاد كثر، وقد نعتهم بذلك المسعودي وابن سليم العالم الأسواني الذي اعتمد عليه المقرئ في أخباره على بلاد النوبة والبجة وكلاهما كان يعيش في القرن العاشر الميلادي، وسموهم أولاد كثر فقط لا كثر الدولة وذلك اللقب الذي منحه إياهم الخليفة الحاكم، وفي عام ٧٤٠هـ-١٢٨٧م كانت ربيعة في حملة السلطان قلاوون على بلاد النوبة، وكانت لهم السيادة المطلقة من قوص إلى أسوان على جانبي نهر النيل، وقد تصاهروا مع النوبة فيما بعد وأصبحوا شبه مستقلين على الحدود بعد أن ثاروا ثورتهم الشهيرة عام ٥٧١هـ-١١٧٥م بقيادة كثر الدولة ودعوا للأمير داود بن العاضد الفاطمي فحاربهم صلاح الدين وقتل كثر الدولة عند قرية الطوذ قرب قوص بعد حروب شديدة^(١).

وظلوا منذ القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلادي متحدین مع فرع قيس عيلان الذي تنتمي إليه هلال وسليم، وكانت مهمتهم جميعاً حمل المتاجر إلى الوادي غرب البحر الأحمر.

وقد وقعت بعد ذلك حروب كثيرة بينهم وبين الحكومة المركزية في القاهرة، ففي عام ٧٦٨هـ-١٣٦٦م أرسل أمير أسوان منهم رأساً للقاهرة، ثم كانت حرب بينهم وبين الحكومة المصرية عام ٧٨٠هـ-١٣٧٨م وبالرغم من هزيمتهم أحياناً فقد ظلوا قوة كبرى في أسوان وما والاها من الجنوب حتى جاءت عام ٨١٥هـ-١٤١٢م فسقطت أسوان في أيدي الهوارة الذين خربوها وأزاحوا حمايتها من بني كثر إلى السودان، وقد عادوا بعد ذلك في الجزء الممتد ما بين أسوان ووادي حلفا حتى سقطت مصر في أيدي الأتراك العثمانيين عام ٩٢٢هـ-١٥١٧م وكانت الحروب بينهم وبين الهوارة سجّالاً بعد ذلك بكثير، ومنهم في القرن العشرين الميلادي فريق يسكن ما بين أسوان وكركسكور، وكثر مفرد كنوز وهو غير كثر وكثرة ذلك الاسم الهيروغليفي القديم لجزيرة عند الشلال الأول (طا كثر) أي أرض القومس الاسم القديم لمصر.

(١) عن ماك ماكيل ج ص ١٥٠ في تاريخ قبائل العرب في السودان.

وقال علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية عن وادي حلفا ما بين مصر والسودان أي ما بين أسوان جنوب مصر حتى حلفا على حدود السودان ٣٥٠ كيلو متراً وأرضه الزراعية قطع متفرقة بين الصخور على الجانبين، ويرى المسافر بينها يمنة ويسرة قرى صغيرة أغلبها مركب من خمسة أو ستة بيوت، بيوت يظلها قليل من النخل في الأودية يطلق اسم الوادي على القرية، فالكنوز ما بين أسوان وقرية وادي السباع وأهل النوبة مركزهم فوق وادي حلفا إلى الدر، والعرب بين الاثنين في مسافة ٤٧ كيلو متراً فقط، ويطلق على أرض الكنوز وادي الكنوز ولسانهم يقال له الكنزي وهو يقرب من اللسان البربري ويقال لأرض العرب وادي العرب.

قلت: والكنوز بعد بناء السد العالي هاجروا شمالاً إلى أسوان والصعيد ومنهم في الوجه البحري عائلات كثيرة، ويشغل كثير منهم في تجارة الإبل في سوق دراو بأسوان بالوقت الحاضر. وعن ربيعة المتأخرين فقد نزل فخوذ منها إلى مصر أشهرها الجعافرة من عترة، ومنهم في سفاجة بالبحر الأحمر، وقد انضم بعض الفخوذ من ربيعة إلى قبائل قوية في الصعيد وحُسبوا من هذه القبائل، وهناك عرب الشعارة من العمارات في القليوبية وهم عترة ومالوا إلى الفلاحة والزراعة ونسوا أنسابهم، وكذلك قبيلة الطميلات وتقدم ذكرهم في المجلد الأول من الموسوعة.

الحبائية

أصل القبيلة:

من جذام القحانية، ويقال للحبائية مع فروع أخرى في القليوبية والجيزة والغربية : نصف سعد.

ما قاله المؤرخون عن الحبائية

قال الدكتور عابدين^(١): استطاع علي بيك الكبير في القرن الثامن عشر أن يقبض على زمام الحكم في مصر، وله مع عرب الحبائية والهنادي في الوجه البحري، والهواره في الوجه القبلي معارك عنيفة دامية ذكرها الجبرتي في تاريخه. يقول بيير: ^(٢) الحبائية سكنوا الوجه البحري في القرن الثامن عشر، ثم ذابوا في خضم الفلاحين حتى لم يعد ذكرهم يرد على ألسنة الكتاب في أواخر القرن التاسع عشر.

وذكر أميديه جويير في وصف مصر «الحبائية»:

قال: عدد فرسان الحبائية نحو ٦٠٠ فارس، وعدد فرسان نصف سعد نحو ٣٠٠ فارس، وأضاف أن نصف سعد هؤلاء كانوا في حالة حرب مستمرة مع الفرنسيين.

وما قاله الجبرتي في تواريخه عن نصف سعد:

في عام ١١٢٥هـ طلب قائد الحملة من السلطان أن يأمر سالم بن حبيب شيخ العرب بجمع عربان سعد وبلي لمهاجمة الضعفا في نواحي الفيوم فلم يلب الطلب.

في عام ١١٣٥هـ نزل سالم بن حبيب شيخ العرب إلى بركة الحاج^(٣) وسلب خيل البريد وكل من صادفه بطريقه، وكان معه عرب الجزيرة والمغاربة،

(١) في تحقيق البيان والإعراب للمقرزي.

(٢) دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر - ترجمة عبد الخالق لاشين - القاهرة ١٩٧٦م.

(٣) بركة الحاج تقع في شمالي شرق القاهرة وهي باسمها حتى الوقت الحاضر.

وسبب ذلك أن أحد أمراء الجند قيطاس بيك زحف عليه وقاتله وقتل بعض أولاده فقام بحركة على سبيل المقاتلة والانتقام. وفي السنة نفسها صدر مرسوم لجميع العرب بالتعمير في أوطانهم عدا سالم بن حبيب وإخوته ومن يلوذ به وسيرت عليه تجريدة جديدة فصار بجماعته إلى جهة غزة فعادت التجريدة بدون طائل.

وفي عام ١١٨٢هـ سیر علي بيك الذي صارت له السيطرة على مصر تجريدة على سويلم بن حبيب شيخ العرب وعرب الجزيرة، فهرب سويلم بمن معه إلى البحيرة والتجأ إلى عرب الهنادي فانكف الطلب عنه.

- في عام ١١٨٣هـ مات الشيخ سويلم بن حبيب رئيس الحباية وشيخ قبيلة نصف سعد، وعقد المؤرخ (الجبرتي) نبذة أو ترجمة فيها وصف سويلم فقال:

جناب الكبير والمقدام الشهير من سارت بذكره الركبان وطار صيته بكل مكان الفارس الضرغام النجيب شيخ العرب سويلم بن حبيب من أكابر عظماء مشايخ العرب بالقلوبية ومسكنهم دجوة في القليوبية على شاطئ النيل (فرع رشيد)، وهو كبير نصف سعد مثل والده حبيب، واشتهر سويلم بالفروسية وعظم أمره وطار صيته وكثرت جنوده وفرسانه ورجاله وخيوله وأطاعه جميع المقادام وكبار القبائل ونفذت كلمته وعظمت صولته عليهم وامتثلوا أمره ونهيه، وصارت له خفارة البرين الشرقي والغربي من ابتداء بولاق القاهرة إلى رشيد دمياط، وكان هو وفرسه مقوماً بألف خيال!، وقد برز أبوه في القرن الثاني عشر الهجري واتفق له ولابنيه سالم وسويلم وقائع أمور عديدة واشتبكوا في مصاولات وحروب مع الأمير إسماعيل من كبار أمراء الجند امتدت مدة طويلة إلى أن مات خصمهم، فاصطلحوا مع ابنه وعادوا إلى قلوب وعمرؤا مساكنهم ودواوينهم وأتتهم القبائل العربية ومشايخ البلاد ومقادهم للسلام ومعهم الهدايا والتقادام واستقروا، وصار لهم الدور العظيمة والبساتين والسواقي والمعاصر والجوامع، واستقام حال سالم خاصة واشتهر ذكره وعظم صيته واستولى على خفارة البرين ونفذت كلمته بالبلاد البحرية إلى البوغازين (ثغري رشيد ودمياط على الأرجح)، وصارت المراكب والرؤساء تحت حكمه وضرب عليها الضرائب والعوائد، وأنشأ الدوائر الواسعة والبستان الكبير على شاطئ النيل، وكان عظيماً جداً وعليه سوق وغرس به أصناف النخيل والأشجار وأحضر له البستانية من الشام ورشيد. وقد اندمج في النزاع الذي وقع بين الأمير ابن ذي الفقار ومحمد بيك الشركسي إلى جانب الأول وغنم غنائم عظيمة ومات عام ١١٥٠هـ، فترأس المشيخة على نصف سعد أخوه سويلم، فصار

(١) قرية أو بلدة في غرب محافظة القليوبية على النيل (فرع رشيد) ولا زالت باسمها دجوة إلى الآن

الأوس والخزرج

أصل القبيلة:

وهم الأنصار الذين نصرُوا النبي ﷺ في المدينة المنورة، وهم ينسبون إلى حارثة بن ثعلبة البهلول ابن عمرو مُزيقياء ابن عامر ماء السماء ابن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة العنقاء ابن مازن بن الأزرد القحطانية.

ما قاله المؤرخون عن الأوس والخزرج في مصر

قال الدكتور عبد المجيد عابدين: وبالصعيد طائفة من الأنصار^(١) -رضي الله تعالى عنهم-، والأنصار قبيل عظيم من الأزرد، وقيل لهم الأنصار من أجل أنهم نصرُوا رسول الله ﷺ وهم الأوس والخزرج أبناء حارثة، وهو العنقا بن عمرو، وهو مُزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة وهو الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزرد؛ وهكذا تقول الأنصار. وقال ابن الكلبي وغيره: عمرو مزيقيا بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزرد.

ومنهم بأرض مصر بنو محمد وبنو عكرمة^(٢) وديارهم بحري منفلووط.

فأما بنو محمد فمن ولد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار أبي الوليد الأنصاري -رضي الله عنه-.

وبنو عكرمة ينسبون إلى سيد الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشلهي أبو عمرو -رضي الله عنه-.

وقال صلاح التايب في القبائل المصرية عن الخزرج^(٣):

منهم في مصر منذ الفتح الإسلامي ومنهم بالوقت الحاضر جزء كبير من

(١) الأنصار من أعمال إخميم وقد اندثرت الآن، وقد أضيف زمامها إلى ناحية جرجا ويدل على موقعها حوض الأنصار بأراضي ناحية جرجا.

(٢) بنو عكرمة: وفي مديرية أسيوط بقسم أبنوب الحمام في شرق النيل بلدة بني محمد بينها وبين أسيوط نحو ثلاث ساعات تشمل ٣ قرى متلاصقة، وكان عدد أهلها أيام علي مبارك أكثر من عشرة آلاف نفس.

(٣) الخزرج من الأزرد بن القوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن قحطان. وذكر عبد المجيد عابدين أنه يقال بني حرام في مصر من الخزرج والله أعلم.

محافظة الغربية وكفر الشيخ والمنوفية، ونذكر منهم عائلة الفقي في كمشيش والدجومون وكفر الزيات، وكان منهم صلاح الفقي، ومحمد باشا الفقي، والدكتور محمد الفقي من أشهر أطباء مصر وأحمد الفقي عضو مجلس الشعب، والسيد طه الفقي من رجال الأعمال بالإسكندرية، والدكتور زغلول طه حسين الفقي.

قلت: وتوجد فروع كبيرة باسم البقرية في الشرقية وهم ينسبون إلى الأنصار أيضا.

أولاد زهير

نسب القبيلة:

من جذام القحطانية

ما قاله المؤرخون عن أولاد زهير

قال القلقشندي: بنو زهير بطن من جذام من القحطانية، وذكرهم الحمداني أنهم فخذ من الضبييين رهط مالك بن الضبيب من المحدثين.

قال الحمداني: وأكثرهم في الشام ومصر ومنهم طائفة بالدقهلية والمرتاحية امتزجوا ببني زيد، يعني زيد بن حرام بن جذام.

قال: وهم في مجرى الخوف إلى ما يلي أمتحوم الرمان، ومنهم بنو عرين (انتهى).

وقال المقرئزي: أفخاذ بني الضبيب هي عمرو بن مالك بن الضبيب وعشيرة وزهير وخليفة وحسين من عرب الدقهلية، وبني خليفة وبني حصين قد انضافوا إلى بني عبيد بالخلف ولهم موضع من حقوق هريط بالأحرار، أما بنو عبيد فهم بطن من زهير من جذام بالدقهلية والمرتاحية (انتهى).

قال د. عابدين: قرية بني عبيد تتبع اليوم مركز دكرنس بالدقهلية وكانت تُسمى ديسة بني عبيد، وفي مركز السنبلوين بالدقهلية قرية طماي الزهايرة^(١) نسبة إلى بني زهير، وبجوارها قرية أخرى تُسمى قنيرة أو بيضة الزهايرة.

وذكر أحمد لطفي السيد أن أولاد زهير من قبائل الشرقية وعُدُّوا في حصر العربان ١٨٨٣ م.

قلت: وهذه القبيلة من القبائل المتحضرة وقد نسيت البداوة وفقدت عصبيتها القبليّة بالوقت الحاضر.

(١) طماي الزهايرة: القرية التي تنتمي إليها كوكب الشرق وسيدة الغناء العربي السيدة أم كلثوم -رحمها الله.

البشارية

أصل القبيلة وفروعها وما قيل عنها:

ويطلق عليهم البشاريون في جنوب مصر، وأكثرهم في السودان، وهم مثل العبادة يدعون النسب للزبير بن العوام القرشي، ويقولون: إن جدهم كاهل جد الكواهلة الذين يقطنون في كردفان بالسودان، ويقال إن كاهل أعقب ثلاثة عشر ولداً وأحدهم يسمى بشار جد البشاريين، وهم يعتبرون بلدان أسوان ودراو جنوب مصر أسواقهم للبيع والشراء، وهم ثلاث فرق، واحدة على البحر الأحمر من القصير شمالاً حتى سواكن في السودان جنوباً، والثانية على نهر عطبرة بالسودان، والثالثة في جزيرة عتباي، وفي كل فرقة بدينات أي عشائر، أما بطون البشارية التي تقطن في القطر المصري: الحمدوراب، والشنديراب وهم يتشرون على الساحل وفي الوديان من البحر الأحمر إلى بلدة العلاقي غرباً، ومن أجدادهم كوكا أحد الأولياء الذي كان يقضي بعض أوقات الصيف عند جبل علبة والشتاء عند فم وادي العلاقي، وتدور حوله روايات عديدة لم تتمكن من تحقيقها.

والحمدوراب البشارية يستوطنون في أجمل منطقة للمراعي عند جبل علبة وعلى السهل الساحلي من بئر الشلاتين إلى حدود السودان عند الخط ٢٢ تقريباً، والعائلة الحاكمة في البشارية تدعى (بطر أناب) نسبة إلى العمدة بطران على توفيف.

أما كوكا جد البشارية المزعوم يسكن جبل علبة^(١) ويعتبر هذا الجبل منطقة مقدسة وتجارية بالنسبة لقبائل البشارية ولا يزالون يعتقدون أن وليهم المدعو كوكا لوانكو الذين يدعون أنه انقلب إلى حجر صوان وأنه موجود في إحدى مغارات الجبل، وأن ريحاً موسمية شديدة الحرارة تهب من هناك، ولكن كثيرين من المستكشفين والبُحَّاث والرحَّال ومنهم مستر مري ويكيفونند تسلقوا الجبل وبحثوا عنه فلم يعثروا عليه، وكما يعتقدون أن كوكا المذكور كان يعيش تحت أقدامهم العلية، وله تجارة تمتد إلى وادي العلاقي شرق النيل وهم يعدون به إلى أكثر من ثمانية قرون، ومن نسل كوكا أو نسل أخته ظهر الجد الذي تسلسلت منه قبائلهم الحالية ويسمونه إنكو.

(١) جبل علبة: يقع في الحدود بين مصر والسودان على ساحل البحر الأحمر، إلى الشرق منه بلدة حلايب الساحلية المصرية.

وذكر الدكتور محمد عوض عن الكواهلة^(١) الذين تفرع منهم البشارية قائلاً:

من قبائل أرض المعدن خرج الكواهلة، وأغلب الظن أن نواتهم الأولى كانت من بقايا أحلاف ربيعة الذين هاجروا إلى أرض المعدن في وادي العلاقي بنسائهم وذرياتهم في آلاف كثيرة.

والقرائن الدالة على أن الكواهلة كانوا من قبائل أهل أرض المعدن لا تحتمل الشك، فهم أهم قبيلة في السودان اتصلت بالبجة اتصالاً وثيقاً من ناحيتي الجوار والنسب وتعلمت لسانهم، واندمج قسم كبير منهم في قبائل البجة حتى أصبحت كل مجموعة بجاوية تتنسب إلى بني كاهل. ثم ترك بقية الكواهلة أوطانهم في أرض البجة واتجهوا إلى وسط السودان وغربيه، ومن المؤكد أن الكواهلة أو معظمهم قد دخلوا السودان من الشرق، ووصلوا إليه من الجزيرة العربية مباشرة، وبدأوا حياتهم فيه باحتلال الإقليم الساحلي أو جزء عظيم منه من سواكن إلى عيذاب حيث اختلطوا بالبجة وتعلموا لسانهم وصاهروهم، وربما كان لهم الأثر الأكبر في نشر الإسلام والثقافة العربية فيهم، ولا سيما إذا رجحنا أن الكواهلة هم بقايا ربيعة الذين هاجروا إلى مصر، وكان منهم من سكن الحوف الشرقي بالوجه البحري، ومنهم من سكن أرض المعدن في صعيد مصر وبلاد البجة، فإذا صح هذا فإن أجداد الكواهلة سكنوا أرض المعدن منذ القرن التاسع الميلادي واختلطوا بالحداربة وغيرهم من أعقاب سبأ ومُضر.

وفي زمن الرحالة ابن بطوطة المغربي ١٣٤٠ - ١٣٣٠م كان البجة قد أقاموا على جزيرة سواكن السلطان الشريف زيد بن أبي غني وهم أخواله، وكانت عساكره من البجة وأولاد كاهل وجهينة.

ومن أرض المعدن وبلاد البجة شرقاً اتجه الكواهلة في زمن متأخر نسبياً إلى جهات عطبرة وخور القاش وسنار حيث تمثلوا بأكبر قسم منهم، وواصلت فروع منهم الهجرة، فبلغت النيل الأبيض ثم كردفان وبيوضة وغيرها، وهناك جماعة صغيرة منهم تعيش في الجزء الشمالي من جبال النوبا أي في أقصى جنوب من كردفان؛ وكان الدافع إلى ذلك تأسيس مملكة تقلى الإسلامية التي هيأت فرصة جديدة لهجرة القبائل العربية.

(١) انظر شمال السودان وقبائله - د. عوض.

العلاونة

من قبائل المرابطين في الصحراء الغربية المصرية ويرجح نسبها لبني سُليم.
قال الجبوني يسوتهم خطم وسعيد والصايم والحاج عثمان وزاغود ويوسف
وشحات والحاج علي لحيمر وكريز وسارة. ومنهم في منطقة السلوم ومطروح.
قلت: لعلّ هذه القبيلة لها صلة بالعلاونة من فروع لييد من سُليم من
العدنانية والتي ذكرها القلقشندي في نهاية الأرب والسويدي في سبائك الذهب.
وأرجح أنها من بقايا العلاونة المذكورة من لييد.

الحريش

من قبائل العرب القديمة، وتنسب إلى عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصة بن معاوية بن بكر بن هوزان من العدنانية.
ومن هذه القبيلة في الفيوم وشمال الصعيد في مصر، ومنهم قسم آخر في
فاس بالمغرب الأقصى، وقد تحضر معظمها في المدن والقرى المصرية.

خفاجة

من قبائل عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصة بن معاوية بن بكر
ابن هوزان من العدنانية.
ذكرهم المقرئزي في البيان والإعراب ما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى
(السلوم)، وذكرهم القلقشندي نقلاً عن الحمداني في نهاية الأرب وقال: منهم طائفة
في البحيرة من ديار مصر.
وكان لقبيلة خفاجة هؤلاء إمارة في غرب العراق في عهد الخلافة العباسية.
وهذه القبيلة تعد من أكبر قبائل العراق بالوقت الحاضر، ومنهم بالأهواز في
إيران فروع عديدة، وكذلك منهم قسم في حلب ودير الزور والبوكمال في سوريا
بالشام.

وأما في مصر فقد ذكر أماكنهم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه الخفاجيون في التاريخ في مسهلة وبهورين مركز السنطة وطنطا بمحافظة الغربية، وفي تلبلانة ومنية بداوي مركز المنصورة وكفر بهيدة مركز ميت غمر والمنزلة وشرين بمحافظة الدقهلية، وفي دمليج مركز منوف وطاليا مركز أشمون وشنوان من قرى سبك الأحد وكفر ربيع بمحافظة المنوفية، وفي مرصفا وشين القناطر ومنية شين وبهتيم وطحانوب وكفر العرب بينها بمحافظة القليوبية، وفي بليس والغفارية والعارين تبع الغابة بمحافظة الشرقية، وفي القارة مركز أبو طشت وأبو عموري مركز نجع حمادي بمحافظة قنا، وفي العوكلية مركز جرجا بمحافظة سوهاج، وفي سنورس بمحافظة الفيوم، وفي مزغونة وبني سويف بمحافظة بني سويف، وفي كفر سعد ودمياط وشرين والعبادية مركز فارسكور بمحافظة دمياط، وفي الإسكندرية، وشراخيت محافظة البحيرة.

كما ذكر من خفاجة في متبول ونبروة وبشالوش في الوجه البحري . ومن
أعلام قبيلة خفاجة ذكر أحمد خفاجي عميد القبيلة في الدقهلية وتولى مشيخة
تلبانة مركز المنصورة وكان عضوا في المؤتمر القومي عن دائرة تلبانة الانتخابية ونال
أمانة الدائرة في الانتخابات في أوائل السبعينيات ، ومنهم نافع الخفاجي من علماء
الدقهلية وله مؤلفات عديدة ، والدكتور عبد الحكيم سالم خفاجي في كفر شين
بالقليوبية ، والدكتور أنور خفاجي عميد كلية الهندسة بجامعة القاهرة سابقا ،
والمستشار شمس الدين خفاجي وهما من فرع الفيوم ، والأستاذ يوسف خفاجي
المحامي بالإسكندرية ، والدكتور سعد خفاجي بكلية صيدلة الإسكندرية ، والشيخ
أمين خفاجي بالأزهر الشريف من مركز أبو طشت بقنا ، وحسن الخفاجي وهو
الذي قام ببناء المسجد التلبناني المعروف بمسجد الخفاجيين ، والمستشار محمود عصر
خفاجي - رحمه الله - ، وابنه الدكتور محمد محمود خفاجي بالإسكندرية ،
والدكتور المستشار أحمد رفعت خفاجي ، والمستشار الطاهري خفاجي ، وحسانين
سعيد خفاجي من أعيان المنصورة ، ورياض خفاجي مفتش بالتعليم ، ومحمد
حسنين خفاجي موظف بوزارة المالية ، وفاروق محمد عصر خفاجي ضابط
بالجيش ، ورجائي عبد اللطيف سليمان خفاجي مأمور جمرك وغيرهم الكثير
يصعب حصرهم لكثرتهم في أنحاء مصر .

وذكر من العلماء المشهورين في مصر من قبيلة خفاجة في القرن الحادي عشر الهجري الشيخ الشهاب الخفاجي من شنوان إحدى قرى سبك الأحد محافظة المنوفية، وكان لهذا العالم الجليل مؤلفات عديدة في التاريخ والأدب والشعر، وكان والده محمد بن عمر الخفاجي ٩٢٧ - ١٠١٩ هـ من العلماء والأدباء أيضا

أيضا من خفاجة الإمام الكبير الشيخ علي حسين خفاجي والذي عاصر محمد علي باشا واشترك في الشئون السياسية العامة في عهده وكان قد خالف الباشا وعاش فترة بالمدينة المنورة، ومنهم علي بيك خفاجي كان من الشخصيات الكبيرة في دمياط وله نشاط سياسي في عصر الخديوي إسماعيل وكان عضوا في مجلس شورى النواب، والعالم الكبير حسن خفاجي من علماء الأزهر وكان مقره في دمياط، وعبد السلام بيك خفاجي كان في مجلس النواب في عهد الخديوي توفيق وغيرهم العديد من الشخصيات الكبيرة في المجتمع المصري.

رزاح

قبيلة مستقرة في أسبوط ولهم نفع كبير باسمهم هنالك .

ذكرهم القلقشندي والفيروز أبادي والأصفهاني من عُدرة بني كلب من قُضاة وهم بنو رزاح بن ربيعة بن حزام بن ضنة بن عبد بن كثير بن عُدرة بن زيد، وكانت قراهم نطاع في البحرين .

حسن طوبار

أصل القبيلة:

يرجع نسب القبيلة إلى جذام القحطانية، وهي من القبائل المصرية القديمة .

ما قاله الباحثون عن هذه القبيلة :

قال أحمد لطفي السيد أن قبيلة حسن طوبار من القبائل المتحضرة في الدقهلية وخاصة في نواحي المنصورة .

وذكر أندريوس أن هذه القبيلة مستقرة في مديرية المنصورة، كما أنها احتكرت حق الصيد في بحيرة المنزلة!؟. وكانوا يستطيعون الوصول إلى ترعة بحر موسى عن طريق الصالحية التي تتفرع منها، ومن هناك يبلغون البحيرة للاتصال بسكان المنزلة والمطرية، ويتحكمون بذلك في كل البحيرة والبلاد الواقعة على شطآنها.

بنو وائل

أصل القبيلة :

يرجع نسبها إلى جُذام القحطانية وهي من القبائل المصرية القديمة.

ما قاله المؤرخون عن هذه القبيلة:

ذكرها الفرنسي أميديه جويير عام ١٧٩٨م من قبائل مصر في ضواحي المنيا .
وذكر ابن إياس في بدائع الزهور أن هذه القبيلة في الشرقية من الديار المصرية وقال
عنها التالي :

- في عام ٨٠٣ هـ جهز السلطان المملوكي حملة لصد تيمور لنك وقد انضم لها شيخ بني وائل معه ١٥٠٠ فارس.

- وفي عام ٨٧٦ هـ اشتدت حركة العربان في الشرقية حتى تعطلت الأسفار من كثرة العدوان والنهب والقتل.

- وفي عام ٨٧٦ هـ أيضا هاجم بنو وائل وبنو حرام من عربان الشرقية القاهرة ونهبوها.

- وفي عام ٩٠٣ هـ حدث فتنة بين بني حرام وبني وائل .

إنكارة

قبيلة بربرية من بطون مادغيس ومنهم فروع في ليبيا ومصر .
 ذكرت في حصر العربان في مصر عامي ١٨٨٣ و ١٨٩٧ م .
 ذكرهم التليسي في ليبيا وذكر نسبهم للبربر^(١) ومن فروعهم العناتمة
 والدرابكة وأولاد أحمد والبراكسة .
 ومنهم في أبو حمص بالبحيرة والغربية ومنهم قسم في أسوط .

معن

قبيلة عربية ذكرها أبو علي الهجري في الجزيرة العربية في آخر القرن الثالث
 وأول الرابع بعد الهجرة في كتاب التعليقات والنوادر ونسبهم إلى درماء من طيئ
 القحطانية ، وهذه القبيلة لها وجود في الوجه البحري بمصر وخاصة في الشرقية
 والقليوبية .

محروس

هذه القبيلة عربية لم أصل إلى نسبها وقد ذكرت في حصر العربان عام
 ١٨٩٧ م في نجع حمادي وقنا بصعيد مصر .

بنو جري

هذه القبيلة عربية من جذام القحطانية ولها بلدة كبيرة باسمها في مركز «أبو
 حماد» بمحافظة الشرقية .

وذكرهم الهمداني في صفة جزيرة العرب ، وكانت منازلهم القديمة في
 العريش ومنهم بنو الثعل ، وقال أن لهم جزائر بني جري في وادي النيل بأرض
 مصر .

(١) قلت : وهم دخلوا في ترهونة القادمة لمصر .

الشريعات

من قبائل المرابطين وتنتشر هذه القبيلة في الصحراء الغربية المصرية وتتكون من فخذ كثيرة منها: أبو شنشافة، وأبو هارون، وبرعاص، وإبراهيم، وجزخيرة، وعطية، ومشعرية، وأعزيز، وعمدة هذه القبيلة سالم قاسم أبو هارون وشيخها مفتاح حسين.

الشرارة

من قبائل المرابطين في الصحراء الغربية ويسكنون مع قبيلة أولاد علي، ومنها عائلات زروق والحجازي وهشوم وأبو صدره.

المحاضرة

من قبائل المرابطين ومن فخذها في مصر: الشواشنة، ومشرعى، وأبو السنية، وسكران، وحسين. وأغلبهم في الصحراء الغربية.

الزها

من قبائل المرابطين يتشرون مع أولاد علي في الصحراء الغربية ومن
فخوذهم: بشرى، وأبو لطيفة، ومرعيط، وجبر الله، وعيسى، ومنصور،
وشحات، وهليل، وأبو هديعة، وزوير، وأدم.

الحبوس

من قبائل المرابطين في الصحراء الغربية ومن عائلاتهم: فرج، والنسباس،
وسالم، وآدم، ومن شيوخهم عبد الله حميدة، وكريم مهدي، وخفير اللاضي.

الجبهات

من قبائل المرابطين وتنتشر في الصحراء الغربية مع أولاد علي، ومن أشهر فخذهم: طوبر، وسكران، والغريال، ورحيل، وسنيس، والمنبطش، وحنحوت، ودومة، وعوب، وصالح، وجاب الله، والصلعة، وسليمان، وشريف، وهارون، وإدريس، ومسعود، وشعيب. وشيخ القبيلة محمد صابر معروف

القريظات

من قبائل المرابطين المشهورين بالتقوى والصالح وحب السلام ولين العريكة، ومن فخذهم: كيشار، وبريوه، وأبو الهيشة، وشدة، وبالعبد، وزويد، وعقليب، وفرج، والعصاد، وأغلبهم في الصحراء الغربية.

السراجنة

من قبائل المرابطين في مصر وأشهر فخوذهم: أبو فلويضة، والمكحل، واليصوص، وعبد اللطيف، والحريكية، وأبو حريزة، وأبو بعيدة، أبو شليف، وقراقع. ومن رجالات هذه القبيلة عبد الحكيم عبد الكافي عيسى عضو مجلس الشعب، والعمدة عبد الهادي كعبار، والشيخ قاضي حنين، والشيخ ياسين عبد الحميد.

الكلام حين

ذكرهم أحمد لطفي السيد من القبائل العربية في مصر في قنا ولهم نجوع خاصة بهم في قنا وفي جرجا بسوهاج، وذكر بعض الرواة أن أصل الكلاحين في قُضاة والأخص بلي، ومن رجالاتهم صلاح سيف النصر الكلحي مدير عام بوزارة الثقافة، وسيف النصر الكلحي عمدة، وحافظ بيك الكلحي عضو مجلس النواب، ومحمد فرغل العمدة وعثمان محمد عثمان مدير مركز الإعلام بنجع حمادي، وعبد الفتاح الصغير مدير نيابة، والشيخ سليمان العمدة.

(١) انظر عن هذه القبيلة في المجلد الثالث وهي من قبائل المرابطين المعروفة في ليبيا.

(١) اللزد

ذكرهم أحمد لطفي السيد ونعوم شقير في البحيرة والغربية من حلفاء أولاد علي من السعادي من بني سلّيم، وذكر أيضاً فرع من اللزد يسمى البايح.

(٢) السعانة

ذكرهم أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٥م من قبائل العرب في بني سويف وفي أسبوط منضمين للجهمة إحدى قبائل المرابطين هناك.

كما ذكرهم أميديه جوبير الفرنسي في وصف مصر وقال عنهم السعدني وأنهم في ولاية بني سويف في قري دنديل والبرج والدوالطة ودلاص والسيسي وبني عدي وأبو صوير ومنسط وقمن العروس وكوم أدريجة وبها الميمون، وأضاف أنه في عام ١٧٩٨م كان عدد فرسانهم ١٠٢ وعدد إبلهم ٨٧ وعدد خرافهم ٤٠٠.

قلت: ومن السعانة فرقة تسكن جزيرة النجدي بقلوب وغيرها من بعض النواحي في القاهرة والقليلية، وأذكر نزلة السعانة في بني سويف بحاجر بني سليمان.

(٣) بنو حرام

في مصر قبيلتان تحملان هذا الاسم إحداهما من فزارة والأخرى من جذام فالأولى مساكنها في الصعيد والثانية في الشرقية.

-
- (١) اللزد الراجح أنهم بقايا الأزد القدامي النازلين لمصر منذ الفتح الإسلامي.
 (٢) من السعانة فرقة مع قبيلة الجبارات وهم سعادنة أبي جريان وسعادنة النويري، وقد ذكر عارف أنهم يقولون إن جدهم يسمى سعدا، صحابي من مكة، وقال لعلهم من سعادنة من عرب الحجاز، ويذكر الرواة أن السعادنة قبيلة قديمة كانت تجاور بني عتبة في شمال الحجاز مع الكعابنة.
 (٣) يوجد نفع بني حرام في أسبوط بصعيد مصر ويؤكد بعض الباحثين أن بني حرام في الصعيد (أطفيح وأسبوط) من حرام بن سعد بن عدي بن بني فزارة من العدنانية.

ما ذكره المؤرخون عن كليهما :

- ذكرهم أميديه الفرنسي عام ١٧٩٨م بني حرام (فزاره) من قبائل مصر في ضواحي الأطفاحية (أطفيح) وعدد فرسانهم نحو ٤٠٠ فارس .

ما قاله ابن-إياس في بدائع الزهور :

- وفي عام ٨٧٥هـ قبض السلطان على بعض أعيان الشرقية وبعض بني سعد حرام (جُذام القحطانية) لكثرة شغبهم، فلما بلغ العربان الخبر أعلنوا العصيان وأخذوا يفسدون في الأرض، وأرسل السلطان قوة لقمع العصيان فعادت بدون طائل .

- وفي عام ٩٠٣هـ كان الأمير أقبردي بالشرقية فهاجمه عربان بني حرام ورجموه وسبوه وكادوا يقتلونه ولم يخلص من أيديهم إلا بمشقة كبيرة .

- وفي عام ٩٢٧هـ عاد عربان الشرقية إلى شق عصا الطاعة ونهب الضياع، وقد تحالفت سبع طوائف من العربان على العصيان منهم بنو عطية وبنو عطا وبنو حرام، وقد أزعجت هذه الحركة ملك الأمراء .
وقال الجبرتي :

- في عام ١١٣٥هـ سار أمير الحج وكاشف القليوبية ومعه عرب الصوالة وبني حرام لمحاربة سالم بن حبيب .

- وفي عام ١٢٢١هـ اعتزم محمد علي الخروج إلى الألفي وعبر إلى بر إمبابية بالجيزة وأرسل إلى بعض العربان للقدوم إليه للسير معه فجاءه عدد كبير من عرب الحويطات وبني حرام فقابلهم وضرب لقدمهم المدافع .

الحزاية

ذكرهم القلقشندي والمقريزي باسم بنو عزيز ونسبهم إلى هلال بن عامر، ومسكنهم بصعيد مصر .

وذكرهم أيضا المغيري من بني هلال ومنهم قسم مع قبائل مُطَيَّر في نجد ومنهم قسم في فلسطين وسيناء محاورين لمزينة في جنوب سيناء .

وذكرهم أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٥م من قبائل قنا، ولهم نجوع باسمهم في «أبو تيج» بأسبوط ولهم نجع أبو عمودي في نجع حمادي بقنا

نصف حرام

ذكرهم أميديه الفرنسي عام ١٧٩٨م من قبائل مصر وقال: يسكنون قرب بحيرة صغيرة تُسمى بركة الحاج في ضواحي القاهرة.

قلت: لم أجد اسم هذه القبيلة في بركة الحاج^(١).

وهذه القبيلة جزء من بني حرام الجذامية في الشرقية.

الرشايكة

أصلهم من بني رشيد من عبس من غطفان العدنانية في نجد والحجاز، وكانوا يقيمون ما بين رأس بناس وبئر عديب وبعضهم سار جنوباً إلى سواكن وكسلا بالسودان.

وذكرهم أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٥م من قبائل الصعيد المصري، ومنهم في جرجا بسوهاج وفي نجع حمادي بقنا لهم نجع باسمهم أيضاً، ومنهم في الوادي الجديد وحلايب وشلاتين (انظر التفصيل عنهم في المجلد الرابع من الموسوعة).

العوازم

أصلهم من العوازم من بني كلاب من عامر بن صعصعة من هوازن في نجد، ونزلوا في مصر منذ ثلاثة قرون، وذكرهم أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٥م من قبائل جرجا بسوهاج وفي قنا قسم منهم أيضاً (انظر التفصيل عنهم في المجلد الخامس من الموسوعة).

(١) بركة الحاج المشهورة في رحلات الحج وذكرها الجزيري والدرعي المغربي، تبعد عن مكن مؤلف الموسوعة شرقاً بحوالي ٥ كيلو مترات.

ثُمَامَة

ذكرها أحمد لطفي السيد من قبائل البحيرة في عام ١٩٣٥م، وهي من قبائل طيئ وهم بطن من جديلة وهو: ثُمَامَة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ من القحطانية.

الدييسات

ذكرهم لطفي السيد من قبائل الغربية في مصر عام ١٩٣٥م.

قيس^(١)

ذكرهم لطفي السيد من قبائل الشرقية في مصر وعددهم قليل.

القبين

ذكرهم لطفي السيد من قبائل الشرقية في مصر.

بنو عدي^(٢)

ذكرهم لطفي السيد من قبائل الشرقية في مصر.

قلت: ومنهم نجوع وقرى كبيرة في بلاد الصعيد تحمل اسمهم خاصة في بني سويف والمنيا وأسيوط.

(١) لعل هذه القبيلة من قبيلة قيس في الضفة الغربية بفلسطين.

(٢) بنو عدي يُرجح أنهم من قريش وقد تقدم ذكر قريش في المجلد الأول.

كما لا يُستبعد أن تكون بعض بني عدي هؤلاء من عدي فزارة أو عدي جُشم من هوازن. وعدي جُشم ذكرهم ابن خلدون في قبائل هلال في بلاد المغرب وبعضهم حتى الآن بنفس الاسم في صحراء الجزائر.

(١) العتبيين

ذكرهم لطفي السيد من قبائل الشرقية في مصر.
قلت: وذكروا في حصر العربان عام ١٨٩٧م من قبائل الشرقية.

بنو منقر

من قبائل الصعيد في قنا والأقصر وسوهاج ونسبهم في بني تميم بن مُر العدنانية، وهم بنو مُنْقَر بن عبيد بن مقاعس وهم بنو الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن خندف بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان.

وكان من فروعهم في الجزيرة العربية حزن، وجندل، وصخر، وجرول، ومن المناقرة عائلات متحضرة في نجد بالملكة العربية السعودية حتى الآن باسمهم جوار العناقرة إخوتهم من تميم. وكانت لهم وقعة مع بني عبد القيس من ربيعة العدنانية في نواحي البحرين فاستعانوا ببني محاشع من تميم حتى استنقذوهم أثناء ذهابهم لشراء التمر والبضاعة، وقد جنى قيس بن عاصم صدقة بني منقر للنبي ﷺ فلما بلغه انتقال النبي ﷺ قسمها في قومه.

الطرشاي

ذكرهم لطفي السيد من قبائل أسيوط عام ١٩٣٥م.

الطرفا

ذكرهم أحمد لطفي السيد من قبائل أسيوط أيضاً في عام ١٩٣٥م.

(١) الراجح أن هذه القبيلة من مازن بن منصور العدنانية.

الأطاولة

ذكرهم أحمد لطفي السيد بأنهم من قبائل أسبوط المستقرة.

قلت: وهم الآن في بلدة تُسمى باسمهم هناك بمركز أنوب وهي مجاورة لبلدة بني مرّ، ولعلّ الأطاولة هؤلاء لهم صلة بالأطاولة في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية، وهي بلدة جنوب الطائف (وتقع شمال الباحة وشرق دوس) ومسمّاة باسم هذه القبيلة القحطانية في المملكة العربية السعودية.

الكليبات

ذكرهم لطفي السيد من قبائل أسبوط.

قلت: ولعلّ هؤلاء من بني كليب من عامر بن صعصعة من هوازن في الصعيد المصري.

كلاب

ومن بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العدنانية قوم في الفيوم نذكر منهم بني صالح في قرية مجنون من كلاب وتُسمى الآن بنو صالح، والأضابطة في نزلة الأضابطة في مركز أبشواي بالفيوم. وذكر في تاريخ الفيوم للنابلسي أن أعراب كلاب المتوطنين في قرى الفيوم منهم فخوذ بني جواب، والأضابطة، وبني غصين، وبني مجنون، وبني عامر، وبني ربيعة، وبني حاتم، وبني قريظ، وبني شاكر، وبني جعفر.

قلت: وبعض هذه الفخوذ لها قرى باسمها في الفيوم وقد مالت للفلاحة والزراعة.

الصبيحة

ذكرهم لطفي السيد من قبائل جرجا بسوهاج بصعيد مصر.

الشنابلة

ذكرهم لطفي السيد من قبائل أسيوط من صعيد مصر، ولهم نجع عرب الشنابلة شرق منفلوط. ولعلمهم من فزارة، أو من شنابلة الكواهلة.

الصبجات

ذكرهم لطفي السيد من قبائل الفيوم.

المسارجة

ذكرهم أميديه جوبير في قبائل بني سويف في قرى زاوية الوالي وأبو شربان والسويك، وكان عدد فرسانهم عام ١٧٩٨م، حوالي ٢٨٠.

المحارث

ذكرهم أميديه جوبير الفرنسي أيضاً في وصف مصر أنهم من القبائل الكثيرة في بني سويف والمنيا في قرى طورفة وشوشة والعزبة وجوادة واقوف وكوم والي ومرزوق وبرمشة وصغانية وكوم العسل والشيخ مسعود، وقال: إن عدد فرسانهم ١٠٧٥، وعدد خرافهم ٦٤٩٠، وجمالهم ٦٢٥ وفروعهم: أولاد حينة والحمور والحزاي وأولاد جيار وزعونة والحمايدة والمرج والأسمار والدهامسة والحمود والتيناظ.

الكولي

ذكرهم أميديه أيضاً من قبائل بني سويف في قرى منها وفي إهناسيا المدينة والزراي ومنشية الحاج وميانة وننا والدويك ومزورة وصفط رامشين وسمسطا، وقال: فيهم فروع الفرايات وكسادوه ويانين والمحليف وكممسي والعلم والسنانجة وأبويه، وأضاف أن عدد فرسانهم ٥٣٧ وجمالهم ٨٥٠ وخرافهم ٢٧٠٠.

مطيرك (الطرايكة)

ذكرهم أميديه في وادي الميمون على مسيرة يومين إلى الغرب من الإسكندرية، وهم من قبيلة إنذار البربرية وتقدم ذكرها، ولهم نجع في ملوي بأسوط.

ملایین

ذكرهم أميديه الفرنسي عام ١٧٩٨م في وادي الميمون أيضاً وقال: إن
فرسانهم كانوا حيثئذ حوالي ٥٠٠ فارس.

الجويلي

أصل القبيلة:

من المرابطين ويرجع نسبهم إلى بني سُليم العدنانية^(١) ونزحوا من برقة إلى البحيرة في مصر.

ما قاله المؤرخون عن الجويلي بمصر

ذكر الجبرتي نصوصاً عديدة ذكرت اشتراك هذه القبيلة في الأحداث في عهد العثمانيين.

وذكرها بعض المؤرخين العرب والأجانب وأن مساكنها مديرية البحيرة، وكانت تضم أكثر من ٤٠٠ فارس في عهد محمد علي باشا.

(١) قلت. غالباً هذه القبيلة من فروع لبيد بني سليم العدنانية، وقد ذكر مؤسسها محمد الجويلي عام ٨٩هـ وكان شيخ مشايخ البحيرة وله جولات حربية مع الممالك في مصر

غزالة^(١)

ذكرهم أميديه عام ١٧٩٨م وقال: مساكنهم البحيرة وعدد فرسانهم نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ فارس.

وذكر عربان غزالة ابن إياس في بدائع الزهور وقال:

- في عام ٨٧٩هـ هجم عربان غزالة على ضواحي الجيزة ونهبوا خيول الممالك وأطلقوا من في السجون ورجعوا من حيث أتوا.

- وفي عام ٩٠٤هـ تمرد عربان غزالة في البحيرة بزعامه الجويلي ومرعي وأعلنوا الامتناع عن دفع الخراج، وقد سيرت عليهم حملة فكسروها ونهبوها، واستمرت حركتهم طويلاً ولم تهدأ إلا بخروج السلطان المملوكي نفسه على رأس حملة قوية.

- وفي عام ٩٢٣هـ حين زحف السلطان سليم العثماني نحو مصر حضر إلى الأبواب جماعات من عربان غزالة ومحارب وهوارة تلبية لدعوة السلطان طومان باي.

- وفي عام ٩٢٣هـ في أثناء المصاولات أو الاشتباكات بين السلطان المملوكي طومان باي وبين السلطان سليم العثماني فر طومان باي إلى الغربية ونزل عند الشيخ حسين بن مرعي من غزالة وشكر ابن أخيه من مشايخ البحيرة، وكان بينهم صداقة قديمة غير أنه لم يكد يستقر حتى أحاط به العربان من كل جانب وأرسلوا للسلطان العثماني خبراً فأرسل من قبض عليه ثم شنقه على باب زويلة في القاهرة.

- وفي عام ٩٢٣هـ أيضاً قبض العثمانيون على حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة بعد قليل من بدء الحكم العثماني لمصر وهذا راجع لصداقته لطومان باي، ولما سجن قام ببرد الحديد الذي في يده وهرب من سور السجن بعد أن تدلى منه، ولم يكد خبر هروبه يشيع حتى دب الذعر في الناس فأغلقت حوانيتهم وهرعوا إلى بيوتهم، ولم يكد هو يصل إلى عربيه من غزالة حتى تحركوا معه، وقد تحالف

(١) من المؤكد أن غزالة لها صلة بقبيلة الجويلي التي تقدم ذكرها من لبيد من سليم. والظاهر أن جزءاً من غزالة باسم الجويلي الذي انفصم عنها كما يبدو من النصوص التاريخية ثم تكونت قبيلة باسمه، مثل ما حدث للحبابة في نصف سعد من جذام.

معهم عرب الشرقية من جُذَام وبني عطية (المعَازة) وبني عطا (مُطَيْر)، وقد أعلنوا التمرد والعصيان، فسير خير بك نائب مصر العثماني حملة للتنكيل بهم فلم تفعل شيئاً، وجاء إليه شيخ عربان غزالة وأخبره أن القبائل أتت للجيزة وأنها لا تحصى، واستمرت الحركة قوية أزعجت السلطات العثمانية ولم تهدأ إلا لأبيه فوافق على ذلك، وحيثُ جاء حسين إليه فاستقبله استقبالاً حافلاً وخلع عليه، ثم بعد هدوء حركته غدر به وشنقه.

قلت: فالغدر والخيانة في طباعهم وشهد عليهم التاريخ في مصر وسائر بلادنا العربية التي عانت من هؤلاء قرابة أربعة قرون رغم أن دينهم هو الإسلام. وعرب غزالة في الشرقية في نواحي فاقوس، وفي السنبلوين بالدقهلية؛ إلى جانب بقاياهم في البحيرة، ومنهم بمطروح، ومن فروعهم: أبو عبدون، وحنوت، والخيس، ومنهم عائلات في الجيزة.

ابن بغداد

ذكر أميديه عرب ابن بغداد وقال: مقرهم في ولاية المنوفية بوسط الدلتا وفرسانهم ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ فارس عام ١٧٩٨م.

خبيري

ذكرهم أميديه وقال: عرب خبيري بجوار الأهرام وضواحي الجيزة وفي المناطق القاحلة خلف الأهرامات.

قلت: ولعل خبيري هؤلاء هم من فرع خبيري في الضعفا.

الزيدية

ذكرهم أميديه جويبر وقال: إن أصولهم من نسل الماليك الذين طردهم السلطان العثماني من مصر علم ١٥١٧م إلى الصحراء الغربية، وهم في مكان يُسمى أوسيم في ولاية الجيزة وعدد فرسانهم ٣٠٠ فارس.

كما ذكرت نفس هذه القبيلة في جنوب أسوان، ويعمل أكثرهم في تجارة الجمال بين كسلا ووادي النيل.

الترافج

ذكرهم أميديه من عربان المنيا عام ١٧٩٨م.

السجارات

ذكرهم أميديه من قبائل بني سويف.

المجاز

ذكرهم أميديه من قبائل بني سويف.

البيطار

ذكرهم أميديه وقال: إنهم من قبائل العرب في ضواحي مصر العتيقة وفرسانهم ٣٠٠ ومنهم جزء في الجيزة قرب الأهرام.

البساطين

ذكرهم أميديه وقال: إنهم بعد ثلاثة فراسخ من القاهرة وعدد فرسانهم قليل.

القطاب

ذكرهم أميديه وقال: مساكنهم عام ١٧٩٨م كانت في ضواحي القاهرة إلى مسيرة يوم من شرق الجنوب وعدد فرسانهم ٦٠٠ فارس.
قلت: ويرجح أن هذه القبيلة من قطّاب إحدى بطون ليبد من بني سلّيم حسب ما ذكرها السويدي في سبائك الذهب.

النفاجات

ذكرهم أميديه من عرب الصحراء شرق القاهرة.

المقارين

ولهم نجع في قوص بقنا ومنهم بالفيوم.

الكرنك

ذكرهم أحمد لطفي السيد عام ١٩٣٥ م من قبائل قنا، ولهم نجوع في البلينا بسوهاج، وإدفو بأسوان.

القدايح

وذكروا من قبائل أسيوط في حصر العربان عام ١٨٩٧ م في «أبو تيج».

بخواج

ولهم نجوع باسمهم في الصعيد الأعلى.

بنو خيار

وهم من قبائل الصعيد.

كتامة^(١)

وهم من قبائل البربر ومنهم في الصعيد ووجه بحري وخاصة في الغربية والبحيرة، وتوجد الكتامة بالمنوفية، وقرية كتامة مركز بسيون غربية ومنها الزعيم مصطفى كامل - رحمه الله.

(١) انظر عن كتامة في المجلد الثالث في فصل قبائل المغرب من البربر

- سنابس - بنو سند - زنارة (بربرا) - بنو منحور - بنو موسى - الجمائدة - العياشة -
 أولاد خلف - أولاد حمام - المياسرة - الرحامنة - الزعاترة - بنو يوسف - المرازيق -
 الفهميين - بنو مجدول - الحسانيين - العتامنة - بنو صالح - بنو خليفة - بنو
 عفاق - بنو قاسم - بنو أحمد - بنو حلة - بنو خليل - بنو عوض - بنو علي - بنو
 هاني - بنو حسن الشروق - بنو عبيد - بنو سعيد - بنو محمد شعراوي - أولاد
 جويد - بنو منين - بنو وركاؤ - بنو حماد - بنو سلطان - بنو سامط - بنو
 الحكم - بنو سمرج - بنو غني - بنو خالد - بنو عمار - بنو والمس - بنو خليفة -
 أوقلته - شيبة - المداح - أولاد بدر - أولاد سراج - بنو طالب - بنو عليج -
 الشهاية - بنو محمد المراونة - بنو محمد العقب - بنو مر - أولاد إلياس - بنو
 فيز - أولاد رايق - بنو غالب - بنو عمراؤ - بنو يحيى - الحساوية - أولاد مرجان -
 بنو روح - خزام - بنو شقير - بنو مجد (كلب) - بنو إدريس - بنو شعراؤ - بنو
 قرة - الرويجات - الجلاوية - الحراكنة - الديابات - الريانة - الطوايل - العوامية -
 النكيرات - أولاد طوق - بنو جميل - أولاد مازؤ - أولاد حمزة - المحاسنة -
 أولاد بهيج - بنو عيش - خلاف بنو هلال - أولاد إسماعيل - أولاد عزاز - أولاد
 غريب - أولاد مامن - أولاد نصير المحاميد - بنو وشاح - بهاليل الجزيرة -
 الجبيرات - الطليجات - بنو حرب - مزانة (بربرا) - المراشدة - البواريك - الزقاقنة -
 العمائدة - المشاودة - الهماص - بنو زار - الحامدة - المزالوة - الوقدة - الحسنة -
 الحرافشة - الحسامدة - الدبابية - العضايمة - المحاميد - المساوية - العويجات -
 البراهمة - الترامسة - الجبلاو - الحجيرات - الطوايع - أولاد عمرو - الخرانقة -
 العقب - النوافلة - العياشة - الهواجل - الحسانات - الرزيقات - بنو برزة -
 الحمراؤ - المحارزة - المصالحة - أولاد نجم التمة والقبلية - رفاعة - الأعقاب -
 الشدايد - بنو جميلة - بنو طلحة - بنو هارون - بنو عوف - النجاعمة -

بنو سُلَيْم

نسب القبيلة:

مؤسس القبيلة قبل الإسلام بعدة قرون هو: سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَد بن عدنان، ويُدعى أحدهم سُلَيْم.

وهذه القبيلة العظيمة انتقل معظم بطونها إلى مصر وبلاد المغرب، وبمرور القرون والأزمان تحولت البطون والأفخاذ إلى قبائل.

ديار القبيلة في الوقت الحاضر بالمملكة العربية السعودية

تقطن عشائر سُلَيْم في المنطقة الواقعة ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وهما فرعان (حَبَش وفتية) ومنازلهم في وادي ساية^(١) وستارة وما حولهما من المواضع، وديار سُلَيْم الآن شمالي مكة المكرمة على مسافة ١٤٠ كم، ويحدهم من الشمال قبيلتا عَتِيبة ومُطَيْر، ومن الجنوب - قبائل حرب وعَتِيبة، ومن الشرق - عَتِيبة ومُطَيْر، ومن الغرب - حرب، وأكبر بلدانهم الكامل وأعظم أوديتهم وادي ساية وستارة، وسنُفَصِّلُ عنهما في فصل خاص.

التفصيل عن ديار بني سُلَيْم في مصنفات المؤرخين:

قال ابن خلدون في العبر: كانت منازل سُلَيْم في عالية نجد بالقرب من خيبر، ومن منازلهم حرّة بني سُلَيْم، وحرّة النار، ووادي القرى، وتيماء.

قال الهمداني في صفة جزيرة العرب: ديار سُلَيْم من وادي القرى إلى شرق المدينة إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرّة، وديارهم لا يخالطهم إلا صرم من الأنصار سيّارة، وقد يحالون طينا (طِيء) القحطانية.

ومن بلادهم: الحجر بالقرب من قلهي، وذي رولان، والحجوم، والسوارقية على ثلاثة أميال من عين النازية، والرحضية^(٢).

(١) ساية: واد من ودبان سُلَيْم القديمة وهو يحس الاسم منذ الجاهلية، وعشائر سُلَيْم من فرعي فتية وحش في الحجاز يغلب عليها طابع الدوا.

(٢) الرحضية: في نواحي المدينة المنورة وكانت قرية للأنصار الأزدي القحطانية (الأوس والخزرج) ويشاركون فيها بني سُلَيْم العدنانية وبها أبار وعليها ريع كثير وتخل وحذاءها قرية يقال لها الحجر.

قال ابن خلدون في تاريخ العبر: إن سُلَيْمًا استولوا على برقة (ليبيا) وهو إقليم متسع الأطراف قد خربوا مدنه ولم يتركوا به ولاية ولا إمرة إلا لمشايخهم، وكانت الإمرة في سُلَيْم لبني عزاز ثم آلت إلى عريف بن عمرو، وكان عبداً صالحاً، ثم خلفه ابنه عمرو، وهذا حتى نهاية القرن الثامن الهجري. ونقل القلقشندي ذلك عن العبر ودونته في نهاية الأرب.

من بطون سُلَيْم القديمة منذ الجاهلية أي قبل الإسلام كما وردت في كتب المؤرخين:

بنو ذكوان، بنو رفاعه بن الحارث، بنو سمال، بنو مطرود، بنو الشريد، بنو قنفذ، بنو عصية، بنو ظفر، بنو بهز، بنو امرئ القيس بن بُهثة، بنو عوف بن بُهثة، بنو ثعلبة بن بُهثة، بنو زغب بن مالك بن بُهثة، بنو ذباب^(١) بن مالك، بنو سليمان بن ذباب، بنو رعل^(٢) بن مالك، بنو يعهوب^(٣) بن بُهثة، بنو شيان^(٤)، بنو عوف بن بهز^(٥)، بنو عوف بن فالج^(٦)، بنو مالك بن محارب، بنو عبس^(٧) ابن رفاعه بن الحارث، بنو ذباب بن ربيعة، بنو عميرة بن خُفّاف، بنو رواس، بنو جرّة.

(١) ذباب معناه: ذباب السيف، وقد أقر الرواة من سُلَيْم في السمودية ومصر وتونس وليبيا والجزائر أنه (ذباب) وليس ذياب. وذكره ابن خلدون ذياب في مواضع من تاريخ العبر، وذياب في مواضع أخرى من نفس الكتاب مما خلق الالتباس لدينا وقد ذكرناه في الطبعة الأولى ذياب - خطأ.

(٢) رعل: هو رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سُلَيْم.

(٣) يعهوب: الصحيح أميب بطن من سُلَيْم يقيم في برقة وله فروع تمتد حتى الإسكندرية شرقاً وأشهر فروعه بنو أحمد وشماخ ومحارب.

(٤) بنو شيان: بطن من سُلَيْم كانوا سدة العزى وحجائها (أيام الجاهلية والشرك) وحالفوا بني هاشم (قرش) رهط النبي ﷺ ودخلوا في هوازن، وهم الآن بطن في قسلة عندة الهندية في السعودية.

(٥) عوف بن بهز بن امرئ القيس بن بُهثة بن سُلَيْم.

(٦) عوف بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيْم كانوا في الضعفاء بالبحيرة وحتى برقة غرباً.

(٧) عبس بن رفاعه: بطن منه العباس بن مرداس زعيم بني سُلَيْم قبيل الإسلام وأيام الدعوة الإسلامية وشهدوا يوم جيلة مع بني عامر (هوازن).

لمحة عن تاريخ سُلَيْم في الجاهلية وصدر الإسلام

ذُكر أن أول نزول لبعض جماعات من سُلَيْمٍ إلى الديار المصرية^(١) كان في عام ١٠٩هـ، ونزلت فرقة منهم في حمص بسورية في نفس السنة.

وفي لسان العرب: ذكر من تاريخهم في الجاهلية أن النعمان بن المنذر ملك العرب في الحيرة بعث جيشاً إلى بني سُلَيْم لشيء كان وجد عليهم من أجله، فمر على غَطَفَانَ (قيس عَيْلان) فاستجاشهم على بني سُلَيْم، فهزمت سُلَيْم جيش النعمان ومن معه من غَطَفَانَ.

وفي العمدة لابن رشيق: في يوم تثلث غزت فيه بني سُلَيْم مع العباس بن مرداس فارس سُلَيْم وزعيمهم وشاعرهم غزت على بني مراد من مَذْحِج القحطانية فجمع لهم المعدي كرب فارس مَذْحِج وبلاد اليمن، فالتقوا بتثلث فصبر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى.

قلت: وهناك وقائع كثيرة وصلوات عديدة بين عباس بن مرداس والمعدي كرب غير تثليث.

وفي الأغاني للسياسي: أن بني نصر بن معاوية (هوازن) قد أغارت على ناحية من أرض بني سليم، فبلغ ذلك العباس بن مرداس فخرج إليهم في جمع من قومه فقابلهم حتى أكثر فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سليم وأسروا ثلاثين رجلاً من بني نصر.

وفي مجمع الأمثال: أن هناك يومًا يسمى ذات الردم كان لبني مازن على سُلَيْم، ومَازِن أخِي سُلَيْم مثل هَوَارٍ فجميعهم من ولد منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عِيلَانَ بن مَضَرَ.

وفي معجم ما استعجم: هناك يوم يسمى الجُرف كان بين هُذيل بن مِدرْكة وبين سُلَيْم بن منصور، وكان بسبب قتل بنى سهم بن معاوية (هُذيل) لعمر بن

(١) عن الجماعات التي نزلت في مصر بعضهم مارس التجارة والآخرين قد نزلوا إلى وادي العلاقي وأسوان لممارسة التنقيب على الذهب وهي من خبرتهم في الحجاز، حيث كانوا في ديارهم يمارسون ذلك لوجود بعض المعادن في منازلهم من بينها الذهب، وذهب بعض الأسر إلى برقة حيث زرعوا نواة لبني سليم هناك حتى جاءت جحافلهم فيما بعد في عام ٤٤٢هـ أيام الفاطميين وقد اقتحموا بلاد المغرب في إثر الهلالية (هوازن).

- وبعث أهل الشام بأبي الأعور السُّلمي.

- وبعث أهل مصر بمَعْن بن يزيد بن الأَخْنَس السُّلَمي.

وفي جمهرة الأمثال للعسكري (طبعة الهند) قال:

اشتركت بنو سُلَيْمٍ في الحروب التي استعرت نيرانها بين الزبيرية والروانية
وَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْفِتَنِ.

ولما استبدد الموالي من العجم على دولة بني العباس بعد ضعفها في آخر عهدها اعتز بنو سُليْم بالقفر من أرض نجد، ثم اعتدوا على الحجاج وتطاولوا على الناس بالشَّر^(١)، وكانوا إذا وردوا سوقًا من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاءوا، ثم تداعى بهم الأمر أن أوقعوا بميناء الجار وبناس من باهلة وبني كِنانة العدنانية فأجلوهم وقتلوا بعضهم وذلك عام ٢٣٠ هجرية، فوجه الخليفة العباسي من بغداد (وهو الواثق بالله) قائده بغا الكبير فقتل وأسر عددًا منهم في ديارهم بنجد والحجاز، ثم لما كانت فتنة القرامطة في بلاد الإحساء (شرق المملكة العربية السعودية) صار بنو سُليْم حلفاء لأبي الطاهر وبنه من أمراء البحرين وقتنذ مع بني

(١) قال ابن خلدون في العبر: كان بنو سُليمان لعهد الخلافة العباسية شموكة بغني وكانوا يغيرون على المدينة وتخرج الكتائب من بغداد إليهم وتوقع بهم وهم متبذون بالقفر. (أي المناطق المعزولة وغير المأهولة من صحراء نجد).

وذكر هزاع الشمّري في كتابه مشاهير كرام العرب الصادر في المملكة العربية السعودية حادثة بين خليفة عباسي وبين بني سُليم كما هو العادة بين دولة بني العباس مع سُليم قال الأستاذ هزاع عيد:

كان في زمان الخليفة العباسي المتوكل جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد قطعت بنو سُليم الطريق على التجار فسلبواهم أموالهم فعلم المتوكل فجهاز جيشًا لتأديب بني سُليم وحاصر الجيش بمساکر الخليفة من بغداد ديار بني سُليم وضيق الخناق عليهم، فتقدمت إحدى جارات بني سُليم للمتوكل وأنشأت تقول للخليفة العباسي:

سمو الليث مال به الغريف(*)

أمير المؤمنين سـمـا إلنا

وإن نُقِتل فقاتلنا شريف

فإن نسلم فعفوا الله نرجو

فأمر المتوكل العباسي للجارية السُّلمية بعشرة آلاف درهم لها وحدها، وقال لها: مُري على قومك من سُلُمتهم وقولي لهم لا تردوا المال المسلوب من التجار إليهم فأني أعوضهم عنه، وأمر بالجيش فوراً بالانسحاب من ديار سُلُمتهم وعوض التجار المسلوبين، وكان المتوكل العباسي القرشي من كرام العرب كما ذكر الأستاذ هزاع الشمري في مصنفه.

(٦٠) - قلت: الليث: الأسد، والغريف: موضع في ديار سُئيم يسمى غريف الجلالة تسكنه عشاثر من (حَبَش) تسمى الجلالة فسمى بهم، وهم حتى اليوم فيه وهم من بطون سُئيم التي بقيت في ديار سُئيم قرابة التي عام، وهم أحق بكل تقدير لأنهم أحبوا بلادهم التي نبعوا فيها رغم قسوة العيش بها، ولكن هنياً لهم بقريرهم للحرمين الشريفين في المملكة العربية السعودية والتي من الله عليها بالخير والتعمة بعد توحيدها في هذا القرن على يد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود.

عُقَيْل بن كعب (هَوَازِن) ثم لما انقرض أمر بني الطاهر غلب بنو سُليْم على بلاد البحرين بدعوة الشيعة لما أن القرامطة حلفاءهم على هذه الدعوة، ولكن لم يستمر الحال فقد غلب بنو الأصفر (تَغْلِب) على البحرين بدعوة العباسية أيام بنو بويه في فارس، ثم تحالف بنو الأصفر مع بني عُقَيْل وطرَدوا بطون سُليْم من البحرين.

وقد لحق أغلب سُليْم في أواخر القرن الرابع الهجري إلى صعيد مصر وأجازهم المستنصر بالله الفاطمي على يد وزيره الأزوري إلى حرب قبائل البربر من صنهاجة وزناتة الذين شقوا عصا الطاعة على الفاطميين واستقلوا بتونس والجزائر ورفعوا راية العباسيين هناك، وسوف نُفَصِّل عن ذلك في موضعه.

ذكر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب نقلاً عن الهمداني في الإكليل:

إن قبيلة حرب من خولان القحطانية قد حاربت سُليْم العدنانية وأجلتها عن كثير من ديارها في الحجاز ونجد^(١)، وذكر أن قدوم حرب إلى الحجاز من بلاد اليمن كان عام ١٣١هـ، وقد حالفت بعض القبائل «حرب» أو دخلوا فيها مثل مَزِينة. قلت: وبعض عشائر من سُليْم أيضاً ولربما هَوَازِن أو غَطَفَان وقد أضاعوا نسبهم الأول مع مرور الزمن وحسبوا من حرب.

وشارك عرب سُليْم في الفتوح الإسلامية في العراق والشام والمغرب العربي وغيرها من بلاد فارس وبلاد الروم، وكانت لهم الإمرة على بادية الحجاز في عهد الأمويين، وانتقلت إلى بني كلاب من هوازن في عهد الصحاح بن جندبة الكلابي، ثم عادت إلى سُليْم في أول عهد دولة بني العباس، وكان لبني سُليْم وبنو كلاب العامريين من هوازن دور فعال في حماية ثغور الدولة العباسية في الشام وغزواتهم المستمرة على البيزنطيين (بلاد تركيا) حتى فتحتها العرب.

وذكر ابن خلدون في العبر: أن من سُليْم في الجاهلية صخر ومعاوية وهما فارسان فاتكان، وكان أبوهما عمرو بن الشريد عظيم مُضَر، وكان عمرو ينادي في الأسواق ببلاد الحجاز ويقول: أنا أبو عظيمي أو خيري مُضَر العدنانية فمن يراجعني؟ فلم يراجعه أو ينكره أحد، وكانت أخت صخر ومعاوية الشاعرة الشهيرة في الجاهلية وصدر الإسلام (الخنساء) وقد اشتهرت في جزيرة العرب بالشعر في رثاء أخويها صخرًا ومعاوية.

(١) قلت: والمؤكد تاريخياً أن ذلك كان بعد نهاية القرن الرابع الهجري وانتقال الكثرة الكثيرة من بني سُليْم إلى مصر.

نُبذة عن الخنساء السُّلمية الشاعرة الشهيرة

كانت الخنساء من نساء العرب الخالدات في التاريخ، وديوان شعرها من أجمل دواوين الشعر، والخنساء لقب لها واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد^(١) السلمي سيد قومه وعظيم أهله، وأخواها صخرًا ومعاوية كانا من أجراً وأشجع شباب العرب وأكثرهم إقدامًا وفروسية، واشتهرت الخنساء وعلا صيتها كشاعرة من فحول الشعراء، وقد تفوقت على كثير من جهاذة الشعر، وكان يعرفها القاصي والداني وأكثر شعرها رثاء لأخيها صخرًا، وضربت الخنساء في مجال الشعر والرثاء والتصدي بأكثر من سهم، وقال فيها جرير ذات مرة: والله إني لأشعر الشعراء لولا هذه الخبيثة! يقصد الخنساء، أما بشر بن برد فقد قال: لم تقل امرأة قط شعرًا إلا تبين الضعف في شعرها، فسأله وهل الخنساء كذلك؟ فإذا به يقول: الخنساء فوق الرجال!!، وقال المبرد: إن أعظم النساء في الشعر هما ليلى الأخيلية^(٢) والخنساء السلمية.

وهاجرت الخنساء إلى المدينة المنورة وبايعت النبي ﷺ وأعلنت إسلامها وكان الرسول يستمع إلى شعرها ويطرب له وقد تعود ﷺ أن يقول لها: «هيه يا خنّاس» أي أحسنت وأبدعت بفصاحتك هاتي ما عندك، وقيل أن الخنساء ظلت تقول الشعر والرثاء في أخيها صخرًا وتبكي عليه فقدم عليها الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في موسم من مواسم الحج ونهاها عن العويل والبكاء الذي يأباه الدين الإسلامي والشريعة السمحاء.

وخرجت الحنساء في كثير من الغزوات مع العرب المسلمين وصحبت الجيوش الظافرة في مسيرها، وسميت «بأم الشهداء» لما أنها حرّضت أولادها الأربعة على الخروج مرة واحدة للجهاد وإعزاز دين الله الحق، وقد نالوا الشهادة جميعاً في معارك القادسية مع الفُرس والتي انتصر فيها العرب نصراً حاسماً وأصبح أمامهم الباب مفتوحاً لتحرير العراق من نير الفُرس المجوس، ثم فتح فارس

(١) ذكرهم ابن خلدون الشريد بن ثعلبة عَصِيَّة، وفي الجمهرة ذكرهم: (عمرو) بن يقظة بن عَصِيَّة، بنو الشريد بن يقظة بن عَصِيَّة بن خفاف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن بَهْثَة بن سَلَيْم كانت لهم حتى القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب صَوْلَة وشَوْكَة (العبر لابن خلدون - نهاية الأرب للقلقشندي).

(٢) لیلی الأخيلية من عقیل بنی عامر بن صعصعة من هوازن بن منصور.

وإعلاء دين الله في هذه البلاد، وقد قالت الخنساء كلمات خالدة قبل الزحف الأعظم لفتح العراق وفارس:

(يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران]، فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فأعدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت ناراً على أرواقها، فتمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة).

وتقدم جند الله في القادسية وتكسر الصف الفارسي أمامهم بعد الصف وظلوا في تقدمهم يتصايحون ويتدافعون نحو الموت؛ لأنهم كانوا يؤمنون بالله وأن الجنة الوارفة الظلال إنما هي تحت ظلال السيوف، وتمت هزيمة جيوش كسرى المجوسي ومن معه من الفرس عبدة النار، وأعز الله الإسلام واستطاعت موقعة القادسية موقعة الشرف والفخار والكرامة أن تُغيّر وجه التاريخ ويلمع نجم العرب وينطفئ نجم الفرس إلى الأبد، ومزق الله دولة كسرى كما مزق كتاب رسول الله ﷺ، وحمل النعاة إلى الأم العجوز (الخنساء) أنباء استشهاد بنينا الأربعة مرة واحدة فتملكتها هزة المفاجأة، ورفعت رأسها بعد ذلك إلى السماء في إيمان بالغ، تسأل الله تعالى أن يُعجل بها لتلحق بالأحبة في جواره الكريم وتظفر بما ظفروا به من النعيم المقيم وقالت: «الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً في ميدان الشرف وتحت راية الجهاد في سبيل الله، وأعز شرفي في هذا بأن أتم نعمة النصر الأكبر على المسلمين». وماتت الخنساء بعد أن امتد بها العمر لتشهد الخلفاء الراشدين وتقر عينها برؤية أمجاد المسلمين وهم يتقدمون في بلاد فارس وبلاد الروم، وهو الشيء الذي لا يتصوره عقل من هذا المجد السريع لقبائل العرب والذين قد نالوا عزة ورفعة بفضل الإسلام والحمد لله رب العالمين، وكان موت الخنساء في البادية في وسط قومها من بني سليم وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان، وانتهت بذلك صفحة حياة نضرة مشرقة بدأت في آخر عهد الجاهلية وانتهت في أزهى عصور الفتح الإسلامي.

وقالت أيضاً في صخر:

أبكي أبا عمرو بعين غزيرة قليل إذا تغفى العيون رقودها
وصخرًا ومن ذا مثل صخر إذا بدا بساحته الأبطال قبا يقودها
كما قالت في أخيها معاوية لما قتله بنو مرة من (عَطْفَان) ^(١) ترثيه:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه
بداهية يصفى الكلاب حسيها وتخرج من سر النجى علانيه
وكان لزار الحرب عند شبوبها إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه
وقواد خيل نحو أخرى كأنها سُعال وعُقبان عليها زبانيه
بلينا وما تبلى تُعار وما ترى على حدث الأيام إلا كما هيّه
فاقسمت لا ينفك دمي وعولتي عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقيل للخنساء: صفي لنا أخويك صخرًا ومعاوية، فقالت: كان صخر والله جنة الزمان الأغبر وذعاف الخميس الأحمر، وكان معاوية القاتل الفاعل، قيل لها: فأيهما أسمى وأفخر؟ قالت: أما صخر فحر الشتاء، وأما معاوية فبرد الهواء، قيل لها فأيهما أوجع وأفجع؟ قالت: أما صخر فجمر الكبد وأما معاوية فسقام الجسد، وأنشأت تقول:

أسدان محمرا المخالب نجده بحران في الزمن الغضوب الأثمر
قمران في النادي ربيعًا محتد في المجد فرعًا سؤدد متخير

قال عبد الرحمن بن خلدون في تاريخ العبر:

كان من سليم: «بنو عبس بن رفاعه» (بطن) ومنهم الفارس الشهير والشاعر الجهيد (العباس بن مرداس) وسوف نفصل عنه وعن أشعاره. وقال منهم بنو ثعلبة

(١) قاتل معاوية السلمي هو هاشم بن حرملة بن مرة بن عوف من ذُبيان (عَطْفَان)، وأغار عليه صخر السلمي فقتل أخا لهاشم ناركًا بأخيه معاوية، ثم لقي هاشم بعدها قيس بن الأسوار الجشمي (هَوَازَن) فكمن له وقذفه بمعلقة وهي نصل عريض ففلق جمجمته فمات، فقالت الخنساء لما علمت بمقتل هاشم قاتل أخيها معاوية: فدا للفارس الجشمي نفسه وأفديه بمن لي من حميم
قلت: وهنا قتل الجشمي للعطفاني بدافع التعصب لما أن جشم من هَوَازَن بن منصور مثل سليم، أي عَطْفَان بعيدة عنهم في قيس عيلان، وهَوَازَن وسليم أقرب لبعضهما في النسب فهما من رجل واحد.

ابن بُهْثَة (بطن) من سُلَيْمٍ ومنه عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور السُّلَمي والي إفريقية، وجده أبو الأعور من قواد معاوية بن أبي سفيان الأموي وكان اسمه أبو الأعور (عمرو) بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن سُلَيْمٍ، ومنهم الورد بن خالد بن حذيفة ويقال «الرود» وهو ابن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة، وكان على بني سُلَيْمٍ مع النبي ﷺ يوم فتح مكة المكرمة، ومنهم عمرو بن منقذ بن عامر بن خالد كان صديقاً لرسول الله ﷺ في الجاهلية وأسلم بعد أبي بكر وبلال، فكان يقول: (كنت إذا ذاك ربع الإسلام).

ومنهم الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عُصَيَّة الذي منه الخنساء الشاعرة وأخوها صخر ومعاوية، وكان من بني الشريد هؤلاء في عصر ابن خلدون في بلاد المغرب ولهم شوكة وصولة (في أواخر القرن الثامن الهجري).

- ومن بني سُلَيْم «بنو بهز بن امرئ القيس بن بُهْثَة» ومنهم الحجاج بن علاط ابن خالد بن نورية بن حِتر بن هلال بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز الصحابي المشهور، وابنه نصر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من المدينة بسبب المرأة (زوجة المغيرة بن شعبة) التي قالت عنه شعراً أقذعت فيه متمنية إياه (وتُسمى فُرَيْعة) قالت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج!
وقد قال ذات مرة عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفي^(١):
يا ابن المتمنية!!

- ومن بني سُلَيْم «بني زُغْب» وكانوا بين الحرمين ثم انتقل منهم إلى المغرب (تونس وطرابلس الغرب) فسكنوا إفريقية في جوار بني ذباب بن مالك أخوتهم، ثم في جوار بني كَعْب من علاَّق بن عوف بن بُهْثَة بن سُلَيْم، ومنازل ذباب بن

(١) «فُرَيْعَة» كانت أم الحجاج بن يوسف ثم بعد موت أبيه صارت تحت المُغِيرَة بن شُعْبَة (أي نزعها).

مالك بين قابس (تونس) وبرقة (ليبيا) مجاورون مواطن هيب بن بُهْثَة، وبجهة المدينة المنورة خلق منهم كانوا يؤذون الحاج ويقطعون الطريق في عهد ابن خلدون (آخر القرن الثامن الهجري).

- ومن بني سُلَيْم «بني سليمان» في جهة فزان وودان (جنوب ليبيا).

ورؤساء ذباب لعهد ابن خلدون (الثامن الهجري) هم الجوارى ولهم ما بين طرابلس الغرب وقابس بتونس ومنهم فخذ (رحاب بن محمود).

ومن سُلَيْم «هيب بن بُهْثَة» ومسكنهم ما بين السدرة من برقة (ليبيا) غرباً إلى العدو الكبيرة ثم العقبة من حدود الإسكندرية (مصر) شرقاً، ومنهم عما يلي المغرب بنو أحمد ولهم إجدايا وجهاتها على شط البحر في إقليم برقة (ليبيا)، وهم عدد ولهم العز في يَغْهَب لكونهم حازوا المخصب من بلاد برقة مثل المرج وطميثا ودرنه، وفي المشرق عن بني أحمد إلى العقبة الكبرى «مُحارب» والرياسة فيهم لبني عزاز. وقد استولوا على إقليم متسع طويل خربوا مدنه ولم يبق فيه ولاية ولا إمرة إلا لمشايخهم وتحت أيديهم خلق كثير من البربر واليهود زُرَّاعاً وتُجَّاراً، ومعهم تحت إمرتهم بعض بطون رواحة وفزارة من غَطَفَان (قيس عَيْلان).

ومن سُلَيْم «عوف بن بُهْثَة» وهم ما بين قابس وبلد العناب (ساحل الجزائر) وهما جذمان كبيران مَرْدَاس، وعَلَّاق، ومرداس رئاستهم في بني جامع حتى عهد ابن خلدون في القرن الثامن الهجري.

وأما رئيس عَلَّاق عند دخولهم لبلاد المغرب قادمين من الحجاز مروراً بمصر هو رافع بن حماد، ومن أعقابه بنو كعب رؤساء جل سُلَيْم عدة قرون في بلاد المغرب.

قلت: ومن كَعْب (أولاد أبي الليل) المشهورون، ومنهم قبائل السعادي، وسوف نُفَصِّل عنهم في فصل خاص.

قصة ابن الدغنة السلمي قاتل دُرَيْد بن الصَّمَّة

قال ابن إسحاق:

في غزوة حُنين سنة ثمان بعد الهجرة وبعد الفتح لمكة المكرمة لما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح عليه من مكة جَمَعَهَا مالك بن عوف النَّصْرِي فاجتمع إليه من هَوازِن جُشَم كلها، وسعد، وناس من هلال بن عامر، وثَقِيف، وغاب عن هَوازِن كعب ومنهم عُقيل، وقُشَيْر، وجعدة، وكذلك كل بني كِلَاب لم يحضر منهم أحد مع هَوازِن.

وكان في جُشَم دُرَيْد بن الصَّمَّة^(١) شيخ ليس فيه شيء إلا التيمُّنُ برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخًا مُجربًا، وفي ثقيف سيدان لهم هما قارب بن الأسود ابن مسعود بن مَعْتَب (الأحلاف)، والثاني: ذو الحِمَار سبيع بن الحارث (مالك) ومعه أحمر بن الحارث أخيه، والقيادة العامة لمالك بن عوف النصري من (نصر بن

(١) دُرَيْد بن الصَّمَّة: فارس هَوازِن الشهير في الجاهلية وفي شبابه كان قبل غزوة حُنين مغامرًا جريئًا، ومهاجمًا مرهوب الجانب، ومحاربًا لا يشق له غبار وهو سيد بني جُشَم من هَوازِن، وعرفته الطائف وثقيف كلها وشهدت بطولاته البطاح والربا، وشهدت بحبه للنجدة وبفضائله الركبان، وكان كبير القلب خصب الخيال وشاعرا، وقد رأى الخنساء في شبابه وكان هو رجلاً كبيراً فقال لها:

حيو تُماضِر وأربعوا صحي	وقفوا فإن وقوفكم حسي
ما إن رأيت ولا سمعت به	كالיום طالي أتيق جرب
مُتبدلاً تبدو محاسنه	يضع الهناء مواضع النقب
أخناس قد هام الفؤاد بكم	وأصابه من من الحب
ثم توجه إلى أبيها عمرو بن الشريد وخطبها منه فرفضته الخنساء لكبر سنه وقالت:	

أتخطبني هُبَلت على دريد	وتطرد سيداً من آل بدر
معاذ الله ينكحني حبركي	يقال أبوه من جُشَم بن بكر
ولو أمسيت في جُشَم هدياً	لقد أمسيت في دنس وفقر!
وقالت لأبيها: أي أبت أتراني تاركة بني عمي من سُلَيم مثل عوالي الرماح وتزوج شيخاً ؟ فرد عليها دريد قائلاً بعد إعلان رفضه لها:	

وقاك الله يا ابنة آل عمرو	من الفتيان أمثالي ونفسي
وقالت أنه شيخ كبير	وهل خبرتها أي ابن أمسي!

وتزوجت بعدها الخنساء ابن عم لها يسمى رواحة بن عبد العزى فمات عنها، وتزوجها مرداس والد عباس بن مرداس رعيم سُلَيم.

قيل أن دريدا مات عن عمر يناهز مائة وثلاثين عاماً، وقيل مائة وعشرون وهو دريد بن الصَّمَّة بن الحارث بن معاوية بن بكر بن عُلَقَمَة بن خَزاعة بن غُزَيَّة بن (جُشَم) بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور ابن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عِيلان بن مُضَر بن نِزار بن معد بن عدنان.

فلما وصل المسلمون وادي حنين في عماية الصبح وكانت هوازن قد سبقت إلى الوادي وكننت فيه أي في شعبه ومضايقه، فلما رأوا المسلمين شدوا عليهم شدة رجل واحد، فانشمر^(١) الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، فلم يبق من المسلمين مع رسول الله ﷺ إلا نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته فيهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما، والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد، وكان المسلمون يومئذ اثني عشر ألفاً!!

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥] أي انتابكم الغرور، وصار الرسول ﷺ ينادي ويقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب»، وأمر النبي ﷺ عمه العباس بالنداء على المسلمين ودعوة الأنصار وكانوا صبراً عند الحرب، فقالوا: لبيك لبيك، فنظر الرسول ﷺ إلى تجمع المسلمين حوله ومجتلداهم مع هوازن فقال: الآن حمي الوطيس. وانقلبت بعون الله الهزيمة إلى نصر سريع على هوازن وثقيف وهربت معظم ثقيف (الأحلاف)، أما (مالك) الفرع الثاني فقتل منه سبعين رجلاً وهذا غير العشرات في هوازن^(٢) من القتلى والجرحى، إلى جانب أربعة آلاف من الأسرى.

مقتل دُرَيْد بن الصَّمَّة:

لما انهزم المشركون من هوازن وثقيف وحينئذ أتو الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة سوى بنو غيره (ثقيف)، وتبعته خيل رسول الله ﷺ من سلك نخلة^(٣) ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه، وقال ابن هشام (ابن لذعه)، أدرك دُرَيْد بن الصَّمَّة الجُشَمي ثم الهَوَازِني فأخذ بخِطام

(١) انشمر الناس: أي تسهقروا، وقيل أن خالد بن الوليد قد أصيب بجراح ولم يواصل القتال مع المسلمين في حنين.

(٢) أسر عدد كبير من هوازن وأحرز المسلمون مئات الإبل والأغنام والخيول وكثير من السلاح.

(٣) اسم الموضع الذي لحق فيه دُرَيْد هو «جُدْعان»

وقالت عمرة أيضاً:

قالوا قتلنا دُرَيْدًا قلت قد صدقوا
لولا الذي قهر الأقوام كلهم
إذن لصحبهم غيا ^(١) وظاهرة ^(٢)

فظل دمعي على السربال ينحدر
رأت سُلَيْم وكعب كيف تأتمر
حيث استقرت نواهم جحفل ذفر ^(٣)

قلت: وفي الآيات الأخيرة تعني عمرة أنهم أي قومها هَوَّارَن لا يقدرُون على الأخذ بالثَّار من سُلَيْمَ لأن النبي ﷺ قهر الأَقْوام والقَبائل جميعاً، فلن يقف أحد أمامه، وأنه لولا ذلك لكانت هوازن تُغِير كل يوم أو كل بعض أيام على سُلَيْمَ وتشفي الغليل بدم فارس الهيجاء دُرَيْدُ بن الصَّمَّة الجُشَمي، ومن جُشَم مع إخوانهم الهلالية وهم الآن بالملكة المغربية والجزائر، وباقيهم الآن يشكلون قسماً أكبر من قبيلة عَتِيبة في السعودية.

قال العلامة ابن حزم الأندلسي^(٤) عن سليم:

ولد لسُلَيْمٍ بُهْثَة. فولد بُهْثَة بن سُلَيْمٍ: الحارث، وثعلبة، وامروء القيس، وعوف (كان كاهنا)، ومعاوية.

فمن بطون امرئ القيس بن بهثة: بنو عَصِيَّة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة، وبنو عُميرة بن خفاف منهم الفجاءة وهو بجير بن إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن سَلَمَة بن عميرة بن خفاف المرتد أحرقة أبو بكر - رضي الله عنه - بالنار، ومن بني عَصِيَّة بن خفاف: الحنساء الشاعرة، وأخوها صخر ومعاوية ابنا عمرو بن الحارث بن الشريد واسمه عمرو بن يقظة بن عَصِيَّة، ومالك ذو التاج، وكرز، وعمرو، وهند، وبنو خالد بن صخر بن الشريد وكلهم فرسان، وتوجت بنو سُلَيْم مالكا المذكور، وقتل مالكا وكرزا عبد الله بن جذل الطعان الكِنَاني، وأبو العاج كثير بن عبد الله بن فروة بن الحارث بن حنتم بن عبد بن حبيب بن مالك ابن عوف بن يقظة بن عَصِيَّة ولي البصرة بالعراق، والشاعر أبو شجرة عمرو

(١) غيا: ترد الإبل الماء يوما بعد يوم.

(٢) ظاهرة: تردد الماء كل يوم.

(٣) ذفر: ذو رائحة كريهة من صدا الحديد.

(٤) الجماهرة صفحة ٢٦١ دار المعارف (القاهرة).

ابن عبد العزى بن عبد الله بن رواحة بن مليل بن عصىة أمه الخنساء الشاعرة،
ونبيشة بن حبيب بن رثاب بن رواحة بن مليل قاتل ربيعة بن مكرم الكنانى، ومن
بني مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم: الضحّاك بن سفيان بن
الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب بن مالك بن خفاف له صحبة، وهو غير
الضحّاك بن سفيان الكلّابي (الذي قاد سليم يوم حنين)، ويزيد بن الأخنس بن
حبيب بن جزء بن زغب بن مالك بن خفاف وابنه معن بن يزيد له أيضاً صحبة
وكان له مكان عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وشهد صفين مع معاوية بن
أبي سفيان والمرج مع الضحّاك بن قيس، ومن بني عوف بن امرئ القيس بن بهثة
ابن سليم ثم من يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس: مجاشع، ومجالد ابنا
مسعود بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس
ابن بهثة بن سليم، ومجاشع افتتح كرمان ولهما صحبة، وعبد الله بن خازم بن
أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سمال بن عوف بن امرئ
القيس صاحب خراسان، وعمه عروة بن أسماء بن الصلت من أجلة الصحابة قُتل
يوم بئر معونة (من قومة سليم)، وموسى، ومحمد، ونوح، وخازم، وإسحاق
وهم بنو عبد الله بن خازم كانت لهم بخراسان آثار ولهم بالبصرة بقية، منهم
النضر بن إسحاق بن عبد الله كانت له بالبصرة رئاسة، وموسى بن عمرو بن
موسى بن عبد الله بن خازم قتل مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن
علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وقيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن
حبيب بن حارثة بن هلال بن سمال القائم بدعوة ابن الزبير بالبصرة، والربيع بن
ربيع بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف
ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم قاتل دريد بن الصّمة يوم أوطاس، وبنو رعل بن
مالك بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم إحدى البطون التي دعا
عليها النبي ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة منهم أنس بن عباس بن عامر بن جبير بن
رعل كان سيّداً، ويزيد بن أسيد ابن زافر بن أبي أسماء أبى السيد ابن منقذ بن
مالك بن عوف بن امرئ القيس من قواد بني العباس في بغداد.

ومن بني بهز بن امرئ القيس: الحجاج بن علاط بن خالد بن ثوير بن جسر بن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز بن امرئ القيس من خيار الصحابة رضي الله عنهم، وكان له المعدن الذي كان ببلاد بني سُلَيْم وهو معدن ذهب، نزل حمص (سوريا)، وابنه نصر بن حجاج الذي نفاه عمر - رضي الله عنه - عن المدينة لقول المرأة فيه:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

والمرأة هي فُرَيْعة أم الحجاج بن يوسف الثقفي الشهير بسفك الدماء وهو من ولاية بني أُمَيَّة، وكانت فُرَيْعة زوجة للمغيرة بن شعبة الثقفي؛ ولذلك كتب عبد الملك بن مروان الأموي للحجاج في بعض كتبه: «يا ابن المتمرنة»!

ومن بني الحارث بن بُهْثة بن سُلَيْم: بنو ذكوان بن رفاعه بن الحارث بن حُجَي بن الحارث بن بهثة بن سُلَيْم وهو بطن قد دعا عليه النبي ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة، منهم العباس بن مرداس بن أبي عامر وقيل أبي غالب بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعه بن الحارث بن بُهْثة بن سُلَيْم له صحبة، وكان أبوه مرداس بن أبي عامر تزوج الخنساء الشاعرة فولدت له هيرة، وجزءا، ومعاوية ولعباس من الولد: كنانة، وجلْهُمة، وسعيد، وعبيد الله، وغيرهم ومن ولده: عبد الملك، وهارون ابنا حبيب بن سليمان بن هارون بن جلْهُمة بن العباس ومنهم أبي بن العباس بن مرداس روى عنه أبو عبيدة، وبكار بن أحمد بن بكار بن عبد الله بن سعيد بن العباس بن مرداس محدث وعابد مات بمصر، وعُتْبة بن فُرْقُد وهو يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعه بن ربيعة بن رفاعه بن الحارث ابن بُهْثة وابنه عمرو بن عُتْبة من نُسَّاك الكوفة، وكان من جِلَّة أصحاب ابن مسعود^(١) - رضي الله عنه - ومن بني عمه: منصور بن المعتمر بن عبد الله بن

(١) يقصد ابن حزم الأندلسي عبد الله بن مسعود الهذلي من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر العدنانية، وهو من صحابة النبي ﷺ ومن رواة الأحاديث النبوية الشريفة، وهو قاتل أبي جهل في معركة بدر وقد وقف على صدره وهو يحتضر فقال له: لقد وقفت أو لقد ارتقيت موقفاً صعباً يا رويي الغنم، وقد سارع ابن مسعود واحتز رأسه وقدمها للنبي ﷺ وهو تحت عريشه عند ماء بدر فقال له أذن بأذن والراس زيادة، ويقصد النبي هنا أن أبا جهل كان قد قطع أذن ابن مسعود وهو يقرأ القرآن كعادته عند الكعبة وقد ردها له النبي ﷺ بريقه، وكان يتميز بحلاوة الصوت وقال عنه الرسول ﷺ: من أراد أن يستمع للقرآن غصاً فليسمعه من ابن أم عبد، يعني عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه، ومن قوم ابن مسعود وذريته حتى الآن حول مكة المكرمة وهم ضمن قبيلة هذيل العريقة.

أطوف في الأباطح كل يوم مخافة أن يشرُدني حكيم

وعمه جده: عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم وعبد شمس والمطلب بن عبد مناف القرشي، (هاشم جد النبي ﷺ)، و(عبد شمس جد الأمويين)، ومنهم أبو الأعور السلمي وهو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأوقص بن مرة بن هلال من قواد معاوية، وعبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور ولي إفريقية، وعمير بن الحباب بن جعدة بن إلياس بن حذافة بن محارب بن هلال بن فالج ومن ولده: زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب، والجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محارب بن هلال البطلان الفاتكان، لحق الجحاف بأرض الروم بعد قتله من قتل من بني تغلب يوم البشر ثم استأنس ورجع وتنسك نسكا تاما صحيحا إلى أن مات، والصحابي الجليل الفاضل صفوان بن المعطل بن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن هلال وفيه قال أهل الإفك ما قالوا. ومن بني مالك بن بهثة بن سليم: الورد بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة كان على بني سليم ميمنة النبي ﷺ يوم فتح مكة، وعمرو بن عبسة بن منقذ بن خالد بن حذيفة كان صديق رسول الله ﷺ في الجاهلية وأسلم قديما إثر إسلام أبي بكر وبلال - رضي الله عنهما - وقال: كنت يومئذ رُبَّع الإسلام.

من شهد من سُليْم غزوة بدر الكبرى

قال ابن هشام اليماني شهد من سُلَيْم في غزوة بدر وهما حلفاء للخزرج:

- ۱ - عَتْرَة من ذَكْوَان - بني سُلَيْم .
 ۲ - عُبَّة بن بَهْز - بني سُلَيْم .

في الأعلام للزركلي هناك مدلاج بن عمرو السُّلَمي شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ.

صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِي

من الصحابة الأجلاء ومات شهيداً وهو صاحب حديث الإفك وقالوا فيه ظلماً ما قالوا، وأنزل الله قرآنه ليعلم براءة ابن المَعْطَل وطهارته وكذب المنافقين، وقد قال حسان بن ثابت شاعر الأنصار شعراً يُعَرِّضُ بابن المَعْطَلُ وبمن أسلم من مُضَرَّ (العدنانية) فقال:

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ^(١) قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفَرِيْعَةِ أَمْسَى بِيْضَةً^(٢) الْبُلْدِ
قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بَرَثْنِ^(٣) الْأَسَدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطُلُ^(٤) وَيَرْمِي الْعَبْرَ^(٥) بِالزَّبْدِ
أَمَّا قَرِيْشٌ فَلِنِي لَنْ أَسْأَلَهُمْ حَتَّى يَنْسَبُوا مِنَ الْغِيَاثِ لِلرَّشْدِ
فَلَمَّا أَتَوْا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَدَعَا حَسَّانَ وَصَفْوَانَ فَقَالَ صَفْوَانُ:
يَا رَسُوْلَ اللهِ أَذَانِي وَهَجَانِي فَاحْتَمَلْنِي الْغَضَبَ فَضْرَبْتَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ:
أَحْسَنُ يَا حَسَّانَ، أَنْشَوْتِ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، ثُمَّ كَرَّرَ قَائِلًا:
أَحْسَنُ يَا حَسَّانَ فِي الَّذِي أَصَابَكَ، قَالَ حَسَّانُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ
ﷺ عَوْضًا عَنْ دَمِهِ بِرِجَاءٍ وَهُوَ قَصْرُ بَنِي حَدِيْلَةَ بِالْمَدِيْنَةِ، وَأَعْطَاهُ جَارِيَةً أَوْ أَمَةً
قُبْطِيَّةً (مَبْصَرِيَّةً) تُسَمَّى سَيْرِيْنَ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ، وَكَانَ حَسَّانُ
مِنْ جِهَابِذَةِ الشُّعْرَاءِ فِي زَمَانِهِ وَشَاعَرَ الْمُسْلِمِيْنَ الْأَوَّلِ فِي الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

(١) الجلايب يقصد المهاجرين من قریش وغيرهم من مضر.

(٢) بيضة البلد: أى لا يونانيه أحد.

(٣) برثن: كف اليد مع الأصابع.

(٤) فيغطئ: يتحرك ويجول.

(٥) العبر: جانب البحر.

الحجاج بن علاط السُّلَمي ومكره بقريش

قال ابن إسحاق: لما فُتحت خيبر وأنزل الله هزيمته على من بها من اليهود كَلَّمَ النبي ﷺ الصحابي «الحجاج بن علاط البهزي ثم السُّلَمي» فقال: يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتني (زوجته) أم شيبه بنت أبي طلحة القرشية وكانت عنده وله منها ولد اسمه معرض بن الحجاج، وقال: لي مال متفرق في تجار أهل مكة فأذن لي يا نبي الله، ثم قال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول. قال النبي ﷺ: قل.

قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بشية البيضاء رجلاً من قريش يتسمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه سار إلى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار ويسألون الركبان فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط، قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع^(١) قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز. قال: قلت: بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا^(٢) بجنبني ناقتي يقول بعضهم: إيه يا حجاج، قال: قلت: هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأُسر محمد أسراً، وقالوا (أي اليهود): لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا: قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيُقتل بين أظهركم، قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل^(٣) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك. قال ابن هشام: من فيء محمد.

قال ابن إسحاق: قال الحجاج: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحث أو أسرع جمع سمعت به، ثم جئت صاحبتي فقلت لها: مالي وقد كان لي عندها مال

(١) قلت: قول المشركين من قريش حينئذ للحجاج السُّلمي: القاطع سار إلى خيبر لما أنهم يسمون النبي ﷺ الأيتير - لا ولد له، وقد أنصفه الله وعوضه بنهر الكوثر في الجنة وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ (١) فصل لربك وأنحر ﴿٢﴾ إن شئتَكَ هو الأيتير ﴿٣﴾ [الكوثر] صدق الله العظيم.

(۲) التبطوا: ساروا ملازمین ناقتی۔

(٣) الفل: المنهزم وما وراءه من غنيمة.

موضوع لعلي الحق بخير فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار. قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال: يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال نعم. قال: فقلت له: فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرفت عني حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغت من جمع مالي كله في مكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت له: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى الطلب ثلاثاً (ثلاثة أيام)، ثم قل ما شئت، قال العباس لي: نعم أفعل. قلت له: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم (يعني صفية بنت حبي بن أخطب) من اليهود في خير وانتل أي استخرج ما فيها وصارت له ولأصحابه. فقال: ما تقول يا حجاج؟ قلت: أي والله فاكتم عني ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه. فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب. فلما مرت الثلاثة أيام فجرها العباس في قريش فقالوا له: من جاءك بالخبر، قال لهم: الذي جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه. قالوا: يالعباد الله انفلت منا، أما والله لو علمنا لكان لنا معه شأن.

بنو سُلَيْم وفتح مكة المكرمة

في كتاب معارك الإسلام الفاصلة^(١) ذكر الأستاذ محمد أحمد باشميل نبذة هامة عن بني سُلَيْم، حيث قال عن سلاح الفرسان في الجيش النبوي في فتح مكة:

أما سلاح الفرسان في الجيش النبوي الزاحف على مكة، فقد دلت إحصاءات المؤرخين على أنه بلغ (بعد أن اكتمل الجيش عشيرة آلاف مقاتل) ألفين وثمانين فارساً تقريباً. ونسبة هؤلاء الفرسان بين القبائل على النحو التالي:

(١) انظر الكتاب الثامن - ط دار الفكر.

- أ - بنو سُلَيْم: ألف فارس (١٠٠٠).
 ب - الأنصار: خمسمائة فارس (٥٠٠).
 ج - المهاجرون: ثلاثمائة فارس (٣٠٠).
 د - مُزَيْنَة: مائة فارس (١٠٠).
 هـ - جُهَيْنَة: خمسون فارس (٥٠).
 و - عشائر أخرى: مائة فارس (١٠٠) تقريباً.
 ز - أسلم: ثلاثون فارساً (٣٠)^(١).

سلاح الثقليات في الجيش:

أما سلاح الثقليات من الجمال، فلا شك أنه كثير.

بنو سُلَيْم أقوى قوة قَبَلِيَّة تنضم إلى الجيش النبوي في فتح مكة

ولعل أقوى وأعظم قوة انضمت إلى القوات النبوية المتحركة في الطريق إلى مكة؛ هي قبيلة بني سُلَيْم بقيادة سيدها وشاعرها وحكيمها عباس بن مرداس، فقد جاء عباس بن مرداس من جبال ووديان بني سُلَيْم يقود ألف مقاتل كلهم على متون الخيل ليس بينهم راجل واحد.

وكان النبي ﷺ عندما قرَّ عزمه على غزو المشركين في مكة - بعث وهو بالمدينة، الحجاج بن علاط السُّلمي، وعرباض بن سارية إلى قبائل بني سُلَيْم يستنفرهم لكي ينضموا إلى الجيش النبوي دون أن يعلماهم الوجهة التي يريد، تمشياً مع خطة الكتمان التي انتهجها الرسول ﷺ منذ قرَّ عزمه على غزو قريش.

النبي يستعرض الجيش في قُدَيْد^(٢):

وقد جاء بنو سُلَيْم كاملي العتاد والعدة، فبالإضافة إلى كونهم جميعاً من

(١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠١، ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٠، وإمتاع الأسماع ص ٣٦٤.

(٢) وادي قُدَيْد من أودية قبيلة خزاعة.

الفرسان كانوا كلهم غائصين في الحديد مشرعة رماحهم . فأقبلوا على المعسكر النبوي، وهم ألف على صهوات الخيل تسرع بهم وكأنهم - برماحهم المشرعة - غابة متحركة . فكان منظرهم منظرًا رائعًا، يهز المشاعر .

وزاد من روعة منظر فرسان بني سُلَيْم أن قاموا (وعدهم كما قلنا ألف فارس) باستعراض وقف الرسول القائد ﷺ وهيئة أركان حربه يشهدونه مما كان له أطيّب الأثر في نفس الرسول ﷺ وقادة جيشه . فقد صف بنو سُلَيْم خيلهم صفوفًا أمام الرسول الأعظم ﷺ .

أسف عيينة بن حصن لعدم اشتراك غَطَفَان في الغزوة (الفتح الأعظم):

وقد هزَّ منظر فرسان بني سُلَيْم مشاعر سيد غَطَفَان عُيَيْنَة بن حصن الفَزَارِي . الذي كانت تتبعه في نجد عشرة آلاف رمح . فعندما رأى عيينة فرسان بني سُلَيْم يقومون باستعراضهم عضَّ على أنامله . فلما سأله أبو بكر الصديق: علامَ تندم؟ قال: على قومي أن لا يكونوا نفروا مع محمد . وكان سيد غَطَفَان عندما التحق بالنبي ﷺ لم يكن معه أحد تحت قيادته من قومه غَطَفَان؛ ما عدا ثلاثمائة من أشجع الذين كان يقودهم معقل بن سنان، ونُعَيْم بن مسعود . أما فزارة وذبيان الذين هم قبيلة عيينة بن حصن فلم يكن منهم أحد في الجيش النبوي الزاحف .

الشجار بين سيدي سُلَيْم وغَطَفَان:

وقد أعجب سيد غَطَفَان عيينة بن حصن بالهيئة التي أقبل عليها فرسان بني سُلَيْم، حيث كان ضمن هيئة أركان حرب النبي ﷺ في قُديد يشهد الاستعراض العسكري الذي قام به خيالة بني سُلَيْم في سهل قُديد . ثم حدثت بعد ذلك مشادة وملاحاة بين عباس بن مرداس قائد فرسان سُلَيْم وعُيَيْنَة بن حصن . وكان الاثنان أعرايين لم تفارقهما خشونة الأعراب .

فقد حدثَّ عكرمة بن فروخ عن معاوية بن جاهمة بن عباس بن مرداس

قال الواقدي: لما نزل رسول الله ﷺ قديد لقيته سُلَيْمٌ؛ وذلك أنهم نفروا من بلادهم، فلقوه على الخيول جميعاً، مع كل رجل رمحه وسلاحه، وقدم معهم الرسولان اللذان كان أرسلهما رسول الله ﷺ إليهم.

فذكر أنهم أسرعوا إلى رسول الله ﷺ، وحشدوا. ويقال: أنهم ألف، فقالت سُلَيْمٌ: يا رسول الله إنك تقصينا وتستغشنا^(١) ونحن أخوالك - أم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان من بني سُلَيْم - فقدّمنا يارسول الله حتى تنظر كيف بلاؤنا، فإننا صبرٌ عند اللقاء، فرسان على متون الخيل. فقال رسول الله ﷺ: سيروا فجعلهم مقدّمته، وكان خالد بن الوليد على مقدمة النبي ﷺ حين لقيته بنو سُلَيْم بقديد حتى نزلوا مرَّ الظهران وبنو سُلَيْم معه^(٢).

تعبئة الجيش وتوزيع الرايات والألوية:

وحسب سياق المؤرخين والمرجح من أقوالهم، أن عشائر بني سُلَيْم كانوا آخر قوة تنضم إلى الجيش النبوي المتحرك نحو مكة.

وبالآلف فارس من بني سُلَيْم وبقية العشائر التي انخرطت في سلك الجيش النبوي أثناء تحركه في الطريق، اكتمل عدد القوات الإسلامية الزاحفة على مكة عشرة آلاف مقاتل بين فارس وراجل.

قديد معسكر تجمع الجيش كله:

وكانت منطقة قديد، من ديار بني المصطلق من خُزاعة، وحيث دارت المعركة التاريخية التي فيها خضد النبي ﷺ شوكة بني المصطلق عندما كانوا مشركين عام فنة المنافقين الذين جاءوا بالإفك^(٣). ففي السهل من هذه المنطقة التي تقع بين رابغ وجدة كان التجمع الرئيسي والحشد النهائي للجيش النبوي، الذي بلغ مقاتلوه من

(١) كانت بنو سُلَيْم ممن أعان قريشاً على المسلمين، إذ اشترك منهم إلى جانب قريش في معركة أحد حوالي سبعمائة مقاتل.

(٢) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨١٣.

(٣) انظر تفاصيل غزوة بني المصطلق وقصة الإفك في كتاب غزوة الأحزاب لأحمد محمد باشميل.

مختلف القبائل عشرة آلاف رجل. وتدل الإحصاءات التفصيلية على أن هذا الجيش العرمرم أكثر جنوده من قبائل الحجاز، كما يدل على ذلك الجدول الآتي المبين لعدد القوات القبلية المشتركة في هذا الجيش.

هذه هي كل القوات التي رحفت على قریش في مكة عشرة آلاف مقاتل بين فارس وراجل، ولا شك أن هناك من الفرسان من مختلف القبائل التي لم يحدد المؤرخون عددهم بما لا يقل عن خمسمائة فارس، يصبح عدد الفرسان على متون الخيل من بين العشرة آلاف ٢٤٨٠ (الفان وأربعمائة وثمانون).

بيان تفصيلي لعدد القوات وأسماء القبائل في الجيش النبوي

عدد القتالين	اسم القبيلة	موطنها	عدد الفرسان بينها	مكان الانخراط
٤٠٠٠	الأنصار (أوس وخزرج)	المدينة، الحجاز	٥٠٠	المدينة
٧٠٠	المهاجرون (قريش)	المدينة، الحجاز	٣٠٠	المدينة
١٠٠٠	مُزَيْنَة	وادي القرى ونواحيه، الحجاز	١٠٠	المدينة
٨٠٠	جُهَيْنَة	الحجاز	٥٠	المدينة
٤٠٠	أسلم	الحجاز	٣٠	المدينة
١٠٠٠	بنو سُلَيْم	الحجاز	١٠٠٠	قُدَيْد
٥٠٠	خَزَاعَة	الحجاز	لم يعرف عددهم	قُدَيْد
٣٠٠	غِفَار	الحجاز	لم يعرف عددهم	الطريق
٣٠٠	أشجع	نجد	لم يعرف عددهم	الطريق
٢٥٠	بنو ليث	الحجاز	لم يعرف عددهم	الطريق
٢٠٠	ضمرة وبنو سعد	الحجاز	لم يعرف عددهم	الطريق
١٠	بنو تميم	نجد	لم يعرف عددهم	الطريق
٥٤٠	قبائل مختلفة	مختلف الأقاليم	لم يعرف عددهم	الطريق
١٠٠٠٠			١٩٨٠	

كُتَّابُ سُليْمٍ وأَسْمَاءُ ضَبَاطِهَا:

كذلك قبيلة بني سُليْم التي محاربوها في الجيش النبوي ألف مقاتل كلهم من الفرسان قسمهم الرسول القائد ﷺ إلى ثلاث كتائب، وأعطى راية كل كتيبة إلى ضابط من أبناء بني سُليْم كما يلي:

اسم القبيلة	كتيبة	عدد	اسم ضابطها
بنو سُليْم	»	١	عباس بن مرداس
بنو سُليْم	»	١	خفاف بن ندبة
بنو سُليْم	»	١	الحجاج بن علاط

خالد بن الوليد قائد مقدمة الجيش النبوي:

وعند التحرك بالجيش من قُديد (مكان التجمع والحشد النهائي)، أسند الرسول ﷺ إلى الفارس والمحارب القُرشي المشهور خالد بن الوليد قيادة مُقدِّمة الجيش، وكلهم من الفرسان؛ غالبيتهم من بني سُليْم الذين كلهم من الفرسان وعددهم ألف فارس. وكان بنو سُليْم على راياتهم كل ضابط منهم قائد لكتيبته حسب التعيين النبوي في قُديد، وخالد إنما عينه الرسول ﷺ قائداً عاماً للمقدمة ككل.

فرسان خالد أول من بدأ العرض العسكري:

وكان أول من افتتح العرض العسكري أمام أبي سفيان هو القائد خالد بن الوليد، قدَّمه الرسول ﷺ في ألف من بني سُليْم وكلهم من الفرسان يحمل ألويتهم ثلاثة منهم: عباس بن مرداس السُّلمي، وخُفاف بن ندبة، والحجاج بن

أشعار عباس بن مرداس السلمي

(أ) قال في فتح مكة المكرمة:

مناً بمكة يوم فتح محمد	ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه	وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به أقدامهم	ضنك كأن الهام فيه الحتم ^(١)
جرت سنانبكها بنجد قبلها	حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله	حكم فسيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عريته	متطلع ثغر المكارم خضرم

(ب) شعره في غزوة بني سليم مع خالد بن الوليد لجذيمة من كنانة:

«وكنانة العدنانية منها قريش تفرغت» ..

قالت امرأة من بني جذيمة يقال لها سلمى:

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا	للاقت سليم يوم ذلك ناطحا
لما صعبهم بسر وأصحاب جحدم	ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا
فكان ترى يوم الغميصاء من فتى	أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا
رد ابن مرداس عليها:	

دعي عنك تقوال الضلال كفى بنا	لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحا
فخالد أولى بالتعذر منكم	غداة علا نهجاً من الأمر واضحا
معاناً بأمر الله يزجى إليكم	سوانح لا تكبوا له وبوارحا
نعوا مالكا بالسهل لما هبطته	عوايس في كابي الغبار كوالحا
فإن تك أكلناك سلمى فمالك	تركتم عليه نائحات ونائحا

(١) الضنك: الضيق. الهام: الرأس. الحتم: الحنظل.

(ج) شعره في غزوة حنين مع النبي ﷺ (لهوآزن) قال:

داء اليماني فإن لم يغدروا خانوا	وفي هَوَازِن قوم غير أن بهم
ولو نهكتاهم بالطعن قد لانوا	فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم
مني رسالة نصح فيه تبيان	أبلغ هَوَازِن أعلامها وأسفلها
جيشًا له في قضاء الأرض أركان	أنني أظن رسول الله صابحكم
والمسلمون عُبَاد الله غَسَّان	فيهم أخوكم ^(١) سَلِيم غير تارككم
والأجربان ^(٢) بنو عَبَس وذُبَّان	وفي عضادته اليمنى بنو أسد
وفي مقدمة أوس وعثمان ^(٣)	تكاد ترجف منه الأرض رهبة

ومن قصيدة يخاطب فيها قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه من (ثقيف) وذِي الحُمَار وحبسه قومه للموت قال العباس بن مرداس:

وسوف - أخال - يأتيه الخبير	ألا مبلغ غيلان عني
وقولاً غير قولكما يسير	وعروة إنما أهدي جواباً
لرب لا يضل ولا يجور	بأن محمداً عبد رسول
فكان فتى يخابره مخير	وجدناه نبياً مثل موسى
بووج إذا تقسمت الأمور ^(٤)	وبنس الأمر أمر بني قُسي
أمير والدوائر قد تدور	أضاعوا أمرهم ولكل قوم
جنود الله ضاحية تسير ^(٥)	فجئنا أسد غابات إليهم
على حق تكاد له تطير	يوم الجمع جمع بني قُسي

(١) أخوكم: يقصد أن هوازنا أخ سَلِيم فكلاهما من أب واحد هو مَنصُور بن عكرمة.

(٢) الأجربان: شبه عَبَس وذُبَّان من غَطَفَان بأنهما كالأجرب الذي لا يطاق ولا يقرب كناية أنهما لا يطاقا في الحرب. وقال كُليب يشيد بفرسان غَطَفَان وشبههم بالأسود في معركة خزازى الشهيرة بين بني عدنان واليمن:

دَكَفَت إِلَيْهِم بِالصَّفَانِحِ وَالْقَنَا
على كل لَيْثٍ من بني غَطَفَانِ

(٣) أوس وعثمان: هما فرعا قبيلة مزينة العدنانية.

(٤) قسي: اسم ثقيف، ووج: واد بالطائف قبل حُنين.

(٥) ضاحية: ظاهرة لا تخفي.

كما حكت بني معاوية بن بكر
كأن بني معاوية بن بكر
فقلنا أسلموا أنا أخوكم
كأن القوم إذ جاءوا إلينا

برهط بني غزية عنقفير^(١)
إلى الإسلام ضائنة تخور
وقد برئت من الإحن الصدور
من البغضاء بعد السلم عور

- وقال الجحّاف بن حكيم السُّلَمي في غزوة حُنين:

شَهِدَن مَعَ النَّبِيِّ مَسُومَات
وَعَزْوَةٌ خَالِدٌ شَهِدَتْ وَجَرَتْ
نَعْرَضُ لِلطَّعْنَانِ إِذَا التَّقِينَا
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي
وَلَكِنْ يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْنِي
حُتَيْنَا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْكَلَامِ
سَنَابِكُهُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
وَجَوْهًا لَا تَعْرَضُ لِلطَّامِ
إِذَا هَزَّ الْكُمَاةَ وَلَا أَرَامِي
إِلَى الْعُلُوتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

- وقال عباس بن مرداس السلمى فى يوم حنين:

إني والسوابح يوم جمع
لقد أحبيت ما لقيت ثقيف
هزمنّا الجمع جمع بني قُسي
وصِرْمَا من هِلَال غادرتهم
ولو لاقين جمع بني كِلاب
ركضنا الخيل فيهم بين بس
بذي لب رسول الله فيهم

(١) عنقفير: الداهية وبنى غزية من جُشم بن بكر بن هوازن وهم رهط دُرَيْد بن الصَّمَّة.

(٢) البرك: الصدر ويريد بحكمة بركها: شدة وطأة الحرب.

(٣) الصَّرمُ: الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحي، وكان بنو هلال بن عامر من هوازن حينها مازالوا عشيرة قليلة العدد وقد شاركوا مع قومهم في حنين.

(٤) بس والأورال: مكانان تنحط تخرج أنفاسها عالية.

لما أكثر عباس بن مرداس السُّلَمي على هَوَازِن قال عطية بن عفيف النصري، وهو من «بني نصر بن معاوية» بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة ابن قيس عيلان بن مُضَر. قال:

أفاخرة رِفاعَة في حُنين وعباس ابن راضعة اللجباب
فإنك والفِجار كذات مرط لربتها وترفل في الاهاب

ورفاعَة: البطن الذي منه عباس بن مرداس وهو «رِفاعَة بن الحارث بن بُهثة ابن سُلَيم» بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مُضَر.
راضعة اللجباب: العنز التي لبنها قليل.

وهَوَازِن قوم لا ينكر لهم قوة عزم وبأس وجبروت في الجاهلية وكذلك ثَقِيف، ولكن أين هم من قوة الله عليهم وبأس العرب جميعاً والنبي ﷺ خصمهم وهو المبشِّر بالحق والدين القويم، ورغم استسلام قريش في مكة فقد عاندت وكابرت هَوَازِن وثَقِيف!

وكما نرى أبو ثواب زيد بن صُحار أحد بني سعد بن بكر بن هَوَازِن يقول بكل كبرياء وصلف متمسكاً بنعوته القبَلية رغم أن الحق ليس معه:

ألا هل أتاكَ أن غلبت قُريش هَوَازِن والخطوب لها شروط
وكنا يا قُريش إذا غَضبنا كأن أنوفنا فيها سعوط
فأصبحنا تسوقنا قُريش سياق العير يحدوها النبط!

وهذا آخر من هَوَازِن ولكنه هنا يعترف بالحق بعد إسلام مالك بن عوف النصري ومعه هَوَازِن بعد غزوة حُنين حيث قال:

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا ومالك فوق الرايات تختفق
ومالك ومالك ما فوقه أحد يوم حُنين عليه التاج يأتلق
حتى لا قوا الناس حين البأس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والدُرُق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبي وحتى جنة الغسق

ثمت نزل جبريل ينصرهم من السماء فمهزوم ومُعْتَق^(١)
 منّا ولو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيفنا العُنُق
 وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة بل منها سرحة العَلَق^(٢)
 شعر عباس بن مرداس (بني سُلَيْم العدنانية) في حنين:

«عن ابن إسحاق في سيرة النبي ﷺ:

قال عباس بن مرداس السُّلَمي:

يا خاتم النُّبَاءِ إنك مرسل
 إن الإله بنى عليك محبة
 ثم الذين وفوا بما عاهدتم
 رجلاً به ذرب^(٤) السلاح كأنه
 يغشى ذوي النسب^(٥) القريب وإنما
 أنبيك أني قد رأيت مكره
 طوراً يعانق باليدين وتارة
 يغشى به هام الكمأة ولو ترى
 وبنو سُلَيْم معنوق^(٧) أمامه
 بالحق كل هدى السبيل هداكا
 في خلقه ومحمدا سماكا
 جند بعثت عليهم الضحَّاكا^(٣)
 لما تكفنه العدو يراكا
 يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا
 تحت العجاجة يدمغ الإشرাকা
 يفري الجماجم صارماً بتَّاكا^(٦)
 منه الذي عاينت كان شفاكا
 ضرباً وطعنًا في العدو دراكا^(٨)

(١) معتق: الأسير.

(٢) العلق: الدم.

(٣) الضحَّاكا: يقصد الضحَّاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وكان قائد بني سُلَيْم يوم حنين وكانوا ألفاً وقتلوا، ولم يحضر من رهنه «بني كلاب» أحد يذكر مع هوازن يوم حنين.

(٤) الذرب: الحدة.

(٥) ذوي النسب القريب: يقصد أن الضحَّاك يحارب قومه من هوازن لأنهم يعاندون ويكابرون على الحق ويتمسكون بالشرك والضلال، وهذا لم يمنح الصحابي الضحَّاك - رضي الله عنه - أن يرفع سيفه في وجه هوازن قبيلته التي فيها يعزى وإليها يتسب.

(٦) بتَّاكا: قاطع.

(٧) معنوق: مسرعون.

(٨) دراكا: متتابع.

أُسْدُ العَرِينِ^(١) أُرْدُنْ ثُمَّ عَرَاكَ^(٢)
إِلَّا لَطَاعَةَ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَ
مَعْرُوفَةَ وَلِيِّنَا مَوْلَاكَ

مِنْهَا مُعْطَلَةٌ تُقَادُ وَظَلَّلَ^(٣)
فِيهَا نَوَافِدُ مِنْ جِرَاحِ تَنْبَعِ
أَزْمِ^(٤) الْحُرُوبِ فَسَرَّ بِهَا لَا يُفْزَعُ
سَبَبًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ
وَأَبُو الْغِيُوثِ وَوَأَسْعُ وَالْمُقَنِّعِ
تَسْعُ الْمِثْنِ فَتَمَّ أَلْفُ أَقْرَعِ^(٥)
سِتًّا وَأَجْلَبُ مِنْ خِفَافِ^(٦) أَرْبَعِ
عَقْدَ النَّبِيِّ لَنَا لَوَاءُ يَلْمَعُ
مَجْدَ الْحَيَاةِ وَسُودَدًا لَا يُنْزَعُ
بِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ^(٧)
بِالْحَقِّ مَنَا حَاسِرٍ وَمُقَنَّعٍ
دَاوُدَ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتُبَّعَ^(٨)

يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ
مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةٍ
هَذِي مَشَاعِرُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَيْضًا:
أَمَا تَرَى يَا أُمَ فَرُوءَ خَيْلِنَا
أَوْ هِيَ مَقَارِعَةُ الْأَعَادِي دِمَهَا
فَلَرَبِّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقَعْنَا
لَا وَفْدَ كَالْوَفْدِ الْأَوَّلَى عَقَدُوا لَنَا
وَقَدْ أَبُو قَطْنِ حَزَابَةٍ مِنْهُمْ
وَالْقَائِدُ الْمَائَةِ الَّتِي وَفَى بِهَا
جَمَعَتِ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مَخَاشِنِ
فَهَنَّاكَ إِذْ نَصَرَ النَّبِيَّ بِالْفَنَّا
فَزَنَا بِرَايَتِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدَهُ
وَعِدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحَهُ
كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِدَاعِي رَبِّنَا
وَفِي كُلِّ^(٩) سَابِغَةٍ تَخِيرُ سِرْدَهَا^(١٠)

(١) العرين: موضع الأسد.

(٢) عراكا: المدافعة.

(٣) الظلم: العرج.

(٤) الأزم: الشدة.

(٥) ألف أقرع: ألف بالتمام.

(٦) ويعني في هذا البيت أن سُلَيْمَ جَمَعَتِ فَرَسَانِ مِنْ عَوْفِ سِتْمَانَةٍ وَمِنْ خِفَافِ أَرْبَعِمِائَةٍ.

(٧) يتهزّع: يضرب.

(٨) السابغة: الدروع الكاملة.

(٩) السرد: النسج.

(١٠) تُبَّعَ: ملك من ملوك اليمن.

ويوم حُنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحَّاك لا يستفزنا
أمام رسول الله يخفق فوقنا
عشية ضحَّاك بن سفيان معتص^(٢)
نذود أحنانا عن أخينا ولو نرى
ولكن دين الله دين محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا

وقال عباس بن مرداس أيضاً في يوم حُنين:

تقطع باقي وصل أم مؤمل
وقد حلفت بالله لاتقطع القوي^(٧)
خفافية^(٨) بطن العقيق^(٩) مصيفها
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
وسوف ينبها الخبير بأننا
وأنا مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سلِّم أعزة

(١) خذروف السحابة: طرفها.

(٢) معتص: ضارب.

(٣) كانع: مقرب.

(٤) يقصد في هذا البيت أن سلِّم وهوازن أبناء رجل واحد، ولولا شركهم بالله لاتبعناهم وكنا دونهم من أي ضيم يلحقهم ولكن نحن نذود عن أخوتنا في الإسلام والإيمان فهم أقرب لنا وأولى من قرابة الدم والأصل. ونذود: أي ندفع.

(٥) النية: من النوى وهو البعد.

(٦) خلفا يجوز أن يكون مفعولا من أجله أي فعلت ذلك من أجل الخلف، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال، لأن استبدالها به خلف منها لما وعدته به ويقوي البيت الذي بعده.

(٧) القوي: قوي العهد، وهذا هو الخلف المتقدم ذكره.

(٨) خفافية: نسبة إلى بني خفاف من سلِّم.

(٩) العقيق: واد بالحجاز.

(١٠) وحرّة والعرف: موضعان في ديار سلِّم.

مصاعب^(١) زافت^(٢) في طروقتها^(٣) كلفا^(٤)
أُسوداً تلاقت في مراصدها غصفا^(٥)
وردنا على الحي الذي معه ضعفا
عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
إذا هي جالت في مراودها عزفا^(٨)
لأمر رسول الله عدلاً^(٩) ولا صرفاً^(١٠)
لنا رجمة^(١٢) لا التذامر^(١٣) والنقفا
ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
وأرملة تدعو على بعلها لهفا
ولله ما يبدو جميعاً وما يخفى

مثل الحمامة أغضى فوقها الشفر^(١٥)
فالماء يغمرها طوراً وينحدر

خُفاف وذُكوان وعوف تخالهم
كأن النسيج الشهب^(٥) والبيض ملبس
بنا عز دين الله غير تنحل^(٧)
بمكة إذا جئنا كأن لواءنا
على شخص الأبصار تحسب بينها
غداة وطئنا المشركين ولم نجد
بمعترك^(١١) لا يسمع القوم وسطه
بيض تطير الهام يمن مستقدرها
فكائن تركنا من قتيل ملحب^(١٤)
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي
وقال العباس بن مرداس أيضاً:

ما بال عينك فيها عائر سهر
عين تأوبها من شجوها أرق

(١) مصاعب: فحول.

(٢) زافت: تحركت.

(٣) الطروق: التي يطرقها الفحول.

(٤) كلف: سود.

(٥) الشهب: التي يخالط بياضها حمرة.

(٦) غصف: مسترخية الأذان.

(٧) غير تنحل: غير كذب.

(٨) العزف: الصوت والحركة.

(٩) العدل: الفدية.

(١٠) الصرف: التوبة.

(١١) المعترك: موضع الحرب.

(١٢) رجمة: الصوت.

(١٣) التذامر: الحض على القتال.

(١٤) ملحب: مقطع اللحم.

(١٥) العائر: كل ما أعل العين، الحمامة: تين الذرة خاصة.

وقال ابن مرَدَّاس السُّلَمي أيضاً:

نصرنا رسول الله من غضب له
حملنا له في عامل الرمح راية
ونحن خَضْبُناها دَمًا فهو لونُها
وكنا على الإسلام ميمنة له
وكنا له دون الجنود بطانه
دعانا فسمانا الشُّعَارَ مُقَدِّمًا
جزى الله خيرًا من نبي محمدًا

وقال ابن مرَدَّاس أيضاً:

مَنْ مَبْلَغُ الْأَقْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبِينُوا
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا
فَإِنْ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا
وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذِلُونَهُ
فَإِنْ تَكْ قَدْ أَمَرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
بِجُنْدِ هَذَا اللَّهُ أَبَتِ أَمِيرُهُ
حَلَفَتْ يَمِينًا بِرِهِ لِمُحَمَّدٍ

(١) الحواسر: الذين لا دروع عليهم.

(٢) شاجره: خالطه بالرمح.

(٣) الشعار: وهي الثياب التي تلي الجسد كناية عن قرب الحاشية، أي أن النبي ﷺ سُمي بني سُلَيْم «الشُّعَار» أي المقربين له.

(٤) تماروا: شكوا، فينا، الغاب: الرماح.

(٥) الآتي: السيل، العرمرم: الكثير.

(٦) يقصد من خالف سُلَيْم واعتزى لهم أو يقال تَقَيَّسَ الرجل أي اعتزى لقبس.

في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكُم عند ذلك وأسأل لكم، وبعد الصلاة فعلوا ما أمرهم النبي، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: وأما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، أما الأقرع بن حابس التيمي وكان غليظ القلب فقال: أما أنا وبنو تميم فلا!، ومثله قال عيينة بن حصن وكان يسميه النبي ﷺ الأحمق المطاع في قومه من غطفان لأنه تتبعه عشرة آلاف قناة أي فارس إذا صرخ للحرب!، وقال عيينة: أما أنا وبنو فزارة فلا.

وأحبّ عباس بن مرداس أن يُقلّدهم فقال: أما أنا وبنو سليم فلا!! ولكن رد بنو سليم كان سريعاً ومخالفاً لزعيمهم، فقالوا: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس لهم: وهتتموني أي خذلتُموني!.

عطاء النبي لعباس من إبل هَوَازِن

أعطى رسول الله ﷺ المولفة قلوبهم وكانوا أشرفاً من أشرف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم فأعطى عيينة بن حصن الفزاري، وأبا سفيان ومعاوية ابنه، وحكيم بن حزام وغيرهم من قريش لكل منهم مائة بعير، وقد أعطى لعباس بن مرداس بعض الإبل قيل دون الخمسين، فسخطها فقال شعراً يعاتب النبي ﷺ:

كانت نهاباً تلافيتُها	بكري على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا	إذا هَجَعَ الناس لم أجمع
فأصبح نهبي ونهب العبيد ^(١)	بين عيينة والأقرع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدراء	فلم أعطَ شيئاً ولم أمنع
إلا أفائل ^(٢) أعطيْتُها	عديداً قوائمها الأربع
وما كان حصنٌ ولا حابس	يفوقان مرداس في المجمع ^(٣)
وما كنتُ دون امرئٍ منهما	ومن تخفّض اليوم لا يُرفع ^(٤)

(١) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.

(٢) أفائل: أصاغر الإبل ومفردها أفيل.

(٣) المجمع: أي في الفروسية، في اجتماع الفرسان في حومة الوغى.

(٤) لا يُرفع: ويقصد من يأخذ إبلاً أقل من الآخرين يقل قدره بين الفرسان وقادة القبائل، وهذا

طبعاً من وجهة نظره، ولكن النبي لا يقصد ﷺ إنقاص قدر أي صحابي بل من أعطاهم ليسوا بدرجة من لم=

فلما وصل للنبي شعره ﷺ قال: اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضي فكان معنى كلام النبي ﷺ هو إرضاء نفسه، فلما قدم العباس على النبي بعدها قال له ﷺ: أنت القاتل: «فأصبح نَهْيِي ونَهْب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنه: بين عيينة والأقرع، فقال النبي: هما واحد، فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

= يعطهم بدليل انه ﷺ لم يعط الانصار بغيراً واحداً رغم كرامتهم وحب النبي لهم وكذلك لم يعط كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعلي.

التفصيل عن سُلَيْم في المملكة العربية السعودية

أولا - قِيلَتَا فُتَيْةٌ^(١) وَحَبَشٌ^(٢):

تقطن عشائر فتية وحَبَش في بعض ديار سُلَيْم القديمة والتاريخية ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وذلك في وادي ساية وستارة وما حولهما من القرى والمواقع.

[أ] فتية

وهو فُتَيْة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سُلَيْم. ذكرهم أبو علي الهجري في التعليقات والنوادر في أول القرن الرابع الهجري، وكذا ذكرهم الرشاطي.

تنقسم إلى عدة فروع هي: رييعة - حُلَيْل - راشد - بركة:

ومعظم هذه الفروع من فتية تسكن في نواحي جبل شمنصير ووادي كلية وستارة وضواحيهما وما بهما من القرى.

(١) رييعة فيه عشائر: بنو سري، وبنو نوال. وأغلب هذه العشائر تسكن في جبل شمنصير ووادي وُبَح وما حولهما من المواقع.

ومن عشيرة بنو سري فخوذ: الشنونة^(٣)، والمداهين، والعطاطيف، والنقرين، والحسنان، والعبدة، والنمران، والغراوي.

(١) فُتَيْة: أكبر من قبيلة حَبَش من حيث العدد في الوقت الحاضر.

(٢) حَبَش: ذكرت في عدة مخطوطات من بينها الطبري في تاريخه باسم حَبَشِي ج ١١ ص ١٣ وقال:

إنهم بطن من سُلَيْم بن منصور من العدنانية كان لهم ذكراً في حوادث عام ٢٣٠ هجرية في المدينة المنورة.

(٣) ومن أفخاذ الشنونة بني لافي وبني لويقي وبني عويقل «العواقلة» وشيوخهم سعيد بن مسفر،

ومنهم الشيخ عمرو بن عوض السلمي الذي يعمل قاضياً في المهدي وهو إلى جانب القضاء يعمل إماماً للجامع الكبير، وهو من رجالات سُلَيْم البارزين بالمملكة ويتمتع بالأخلاق الحميدة والحكمة والتواضع والوقار.

ومن عشيرة بني نوال فخذ: الأذينات، والمطاردة، والصُدْر، والزَجَمَة .
ومعظم ربيعة من فتية في وادي الحجرة وقراه، ووادي شوان وقراه وبالتحديد من
ابن جفين إلى أعلى مسايله من الحرّة، ووادي السبعان والقرية وقراه، إلى جانب
أودية العياب والقصور وضرعاء والفوقاء وإهالا وويح ونسيت وما بها من قرى .
وبنو نوال من أعرق عشائر سُلَيْم .

(٢) حُلَيْل فيه عشائر: المَوْسَة، والوعاري، وبنو عطاء، وذوي جبريل
(جبرين)، والنغيران . ومساكنهم في وادي ستارة ومسرين بقرب خُلَيْص .
(٣) راشد فيه عشائر: البَقْلَة - دُمِيح .

وأغلب البَقْلَة في وادي ستارة ونواحيه وما به من القرى وفي وادي ذره ومن
البَقْلَة ^(١) فخذ: ذوي مستور، والمحاميد ^(٢)، وذوي بنية، وذوي بنات، والجوامع،
وذوي علي، والقزاعين، وذوي هين، والكلبة، وذوي عليان، وذوي راشد .
ومن دميح فخذ: الدمالكة، والثوابت، والوبران، والمثائلة، والوداين،
والسّوالم . ودُمِيح يسكنون في وادي المرواني وحرّة بني سُلَيْم، وعن فخذة
الدمالكة منهم في الحرّة وفي وادي ذرة، وفخذة السّوالم (بني سالم) وهي من أكبر
فخذ دُمِيح وفيه فرق عديدة منهما الديس والقواسمة والذواودة والعصوة (العصاة)
والذبيبات، ويسكنون في وادي ستارة وثمره، وذكر لي بعض الرواة من سُلَيْم أن
الذبيبات هؤلاء يسكنون في وادي إهالا أو يوهالا .

(٤) بَرْكَة فيهم عشائر: الجباريت وفيهم فخذ: مهدي في ملحّة بوادي
ستارة، وذوي حُضَيْص في ستارة أيضاً، وهناك عشائر من بَرْكَة مثل الحضرة ^(٣)،

(١) من شيوخ البَقْلَة الذين قابلتهم بوادي ستارة عام ١٤١٣هـ الشيخ وخيضر المحمادي (فخذة
المحاميد)، وقد ساعدني في البحث الميداني عن عشائر سُلَيْم نائبه صقر بن وخيضر الذي وجدت منه تعاوناً
كبيراً، وهو عضو بارز من القبيلة ومن ثقافة الرواة وعلى قدر كبير من الوعي والأخلاق الحميدة .

(٢) المحاميد هجرتهم قرى مشرف بوادي ذرة وبعضهم بوادي ستارة .

(٣) الحضرة : أهم مراكزهم المخمّرة في وادي ستارة .

والرزم، والمساريج، وأغلب عشائر بركة في أعالي وادي ستارة، والجباريت على الأخص يسمون الفقها في وادي القعور وشوان.

وذكر البلادي في معجم قبائل الحجاز أن الجباريت أو الفقها يدعون نسبهم إلى عَقِيل بن أَبِي طالب وانضموا إلى بني سُلَيْم.

[ب] حَبَش

وحبش هو ابن الحارث بن بهثة بن سليم.

تنقسم حبش^(١) إلى عدة فروع أو بطون وهي المحاميد (بنو محمد) - ووديعة والجلالة - وقريش، وأغلب عشائر هذه البطون في وادي ساية وما حوله من المواضع وما به من القرى.

(١) المحاميد (بنو محمد) وفيهم عشائر: المرنه، والهمعان^(٢)، والملطان، والقوعة، والتراجمة، والعجفان، والحجرة، والمغايشة. ومساكن هذه العشائر في وادي ساية وما حوله وجزء من وادي شوان.

وبنو محمد أعرق بطون حبش من سلّيم.

(٢) ودبيعة وفيهم عشائر: ذوي عيد (العيادة)، والبسة، والعلوان، والضباعين، والمضيفرات ويقال لهذه العشائر مريح وعلى الأخص عشيرة ذوي عيد. ومساكن ودبيعة في وادي ساية ووادي الحنو.

(٣) الجلالة وفيهم عشائر: النجاجة، والشكرية، والمقاعية، والسرحة، وذوي حمود، والرزاقنة، والصوابر، والزوانية. ومساكنهم في وادي ساية في غريف الجلالة.

(١) أملى فروع وعشائر حبش القاضي/ عبد الوالي بن نامي السلمي من حبش والقاطن في مكة المكرمة والذي يعمل في محكمة مكة المستعجلة، وتفضل مشكوراً بإفادتنا في البحث الميداني وصدق عليه شيوخ قبيلة حبش من سليم في المملكة العربية السعودية وأقروا بدقتها وصحتها، والشيخ عبد الوالي من رجالات سليم البارزين، ووجدت منه إماماً تاماً عن تاريخ سليم في المملكة وهو على جانب كبير من الثقافة العالية والذكاء ومن ثقات الرواة ويتحلى بصفات كريمة وطلعة بهية.

(٢) الهمعان من أكبر عشائر بني محمد ومن أفضاها القوايد والجمائلة والجرافين وأك عفانة والبواريد والمراعية. ومن قراهم العقلا وحضى واللصب والمجرمة وفحاوي والنظيم وواجهة الحرّة الشرقية.

(٤) قريش^(١) وفيهم العشائر التالية: الفهيدات، والعكالية، وذو عواض ومسكنهم بوادي ساية في قريتي المهاج والشعبة.

وهناك فروع أخرى من سُلَيْم ضمن حَبَش وفتية في وادي ساية وستارة مثل:

(١) مَيْمُون: ومسكنهم في ساية وما حوله وذكر لي البعض أن البقلة^(٢) يتمون إلى ميمون وهو جدهم الأول وتفرعوا من فردان بن ميمون وهو من مَطِير (من عبد الله بن غَطَفَان) وجلا جدهم قديماً في سُلَيْم.

(١) قريش: ذكر الباحث الشهير: حمد الجاسر أن قريش في قبائل سُلَيْم وثقيف وعتيبة وزهران هم من بقايا قريش قوم النبي ﷺ في مكة المكرمة وقد حسبوا ضمن هذه القبائل بعدما اختلطوا بهم وهذا قد ورد في معجم القبائل السعودية نقلاً عن مجلة العرب ٤١٩/٢، ٦٧/٦٤/٩، ٦٧/١٤.

وقد ذكر لي بالبحث الميداني صحة هذا الرأي عن قريش في سُلَيْم في المملكة رغم معارضة أحد شيوخ حبش القاطنين في مدينة جدة وقال: أن قريش هؤلاء فرع من حَبَش «سُلَيْم» وجدهم يسمى قريش! وهو الشيخ عوض الله بن أحمد القايدي من القوايد من الهمعان من بني محمد من حَبَش.

(٣) ذكرت رواية في مجلة العرب السعودية قالها ماجد بن طاهر المطيري:

نُزِعَ جَدُّ الْبَقْلَةِ من بطن مَيْمُون من غرابة إلى قبيلة بني سُلَيْم فقد كان الجد الأعلى لفرع البقلة يدعى (فردان) وكان له عَمٌّ كَثِير المال من الماشية، فاحتاج إلى مساعدة هذا العم في بعض ما تحتاج إليه العاقلة، وتردد إليه في طلب ذلك، وفي كل مرة كان العم لا يجب طلبه مما أثار غضبه بشدة منعه حتى قتله، فثارت ثائرة أبي فردان لقتل أخيه، وعزم على أن يثار من ابنه فهرب خوفاً من والده بعد أن أخذ على غرة من الماشية وأهله وولده وبعض الماشية وقصد ديار بني سُلَيْم، وحين بلغها بيته رجل فأتاك من بني عُصَيَّة من بني سُلَيْم وهو على حمار فقتل اثنين من أبنائه وفي الصباح وجد فردان ابنه مقتولين فاقتفى أثر الحمار حتى أدخله على قوم من بني سُلَيْم فقصد رئيسهم وكان من دميح، وأخبره الخبر، فرحب به (الدُميحي) ودفع له دية ابنه بعد معرفته بقاتلها وأدخله حلف بني سُلَيْم.

وحدث أن تجهز بنو سُلَيْم للغارة على بعض أعدائهم ومعهم فردان الميموني، فقال: انني رجل غريب بينكم واخاف أن أقتل معكم إذ ليس كل بني سُلَيْم يعرفني فتشاور السُلَيْميون واتفقوا على اتخاذ كلمة (راشد) علامة يعرف بها بعضهم بعضاً فإذا رأى أحدهم من يتكره دعاء بذلك الاسم، فإن أجاب، وإلا قتله.

ثم عرف هذا الفرع من بني سُلَيْم باسم بني راشد، وأصبح فردان من بني راشد إلى هذا العهد وتفرع من أبناء فردان أفخاذ فيما بعد منهم: ذوي مستور، وذوي بنات، وذوي بنية، وذوي علي، وذوي عليان، والجوامع، والمحاميد، وتعتبر رئاسة فرع البقلة في ذوي حضيض بن زائد، وطفيشان وخليفة بن شعوف الجوامع، وبنات العير من ذوي بنات وصقر بن وخيضر من المحاميد، واشتهر منهم شعراء مثل: جبر ابن مصحي، وعوض الله بن حميد وسعيد العلياني وراشد البرعوصي، وغيرهم.

(ب) العفارية: ومسكنهم في ساية، وذكر أنهم من بني محمد من حبش.

(ج) الحرايات: ومسكنهم في وادي ساية أيضاً، وذكر لي أنهم من الأشراف وسكنوا مع عشائر سلّيم قديماً وصاهروهم، وأغلب الحرايات في قرى الغريف.

(د) الشيوخ: ومسكنهم في قرى الغريف والرميضة والكامل، وذكر لي أن الشيوخ أصلهم من بقايا الأنصار القدامى في المدينة المنورة وقد سكنوا ديار سُلَيْم وصاهروا عشائرهم.

لحة عن ديار سُكَيْم الحالية في المملكة العربية السعودية

عما هو جدير بالذكر أن ديار سُليْم التاريخية كانت كبيرة ومترامية الأطراف في نجد والحجاز وقد تغلبت قبائل كثيرة^(١) على أغلب ديار بني سُليْم بن منصور بعد هجرتها الشهيرة في أواخر القرن الرابع الهجري إلى الديار المصرية، ومن أشهر ديار سُليْم في الوقت الحاضر في المملكة.

وادي ساية: وهو واد شهير من وديان سُلَيْم القديمة ومازال باسمه منذ الجاهلية أي قبل الإسلام ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهو أقرب إلى مكة وطوله حوالي سبعين كيلو متراً تقريباً، ويبدأ من قرية الكامل وتعتبر عاصمة وادي ساية كله وهي أكبر قرى سُلَيْم في الوقت الحاضر، وينتهي ساية في ذره وحرّة بني سُلَيْم، وتقع في أعالي ساية من الشمال الشرقي ديار قبيلة مُطير من بني عبد الله من غَطَفَان، وأما حول وادي ساية من جميع الجهات الأخرى فتقع مساكن وديار عشائر سُلَيْم وجلهم من عشائر قبيلة حَبَش، وفي وادي ساية من القرى الكبيرة الكامل وهي في ملتقى وادي ساية مع وادي وبع، وهناك قرى أخرى مثل مهايع، والمضحاة، والمثناة، وملح، والغريفين وهما غريف الجلاة وغريف التراجمة، والحديد، والفارح، والوقبة، وحمضي، واللصب، والعقلة، والشعبة، والحُدُد.

(١) وأهمها مطير الغطفانية وعتيبة الهوازنية وحرب الخولانية القحطانية، وقد سيطرت هذه القبائل على جزء كبير من حرة بني سليم المعروفة في التاريخ بعظمتها واتساعها وكثرة وديانها، وهي تُعرف الآن حرة رُهاط.

وساية كله تقريباً لعشائر حبش من سلّيم، عدا قرية الكامل فهي مملوكة لبني نوال من ربيعة وهم المطاردة والصدر والأذينات، ومعهم عشيرة الضباعين من وديعة حبش.

وزراعات ساية أشهرها النخيل وأنواعه اللبان والمتلين، إلى جانب زراعة الليمون وبعض الموالح والخضر وتُسقى بعيون في وادي ساية كل من قرى ملح، والحُدُد، ومهايع والباقي على الآبار الارتوازية، وتوجد لساية إمارة مركزية في قريتي ملح والكمال، ومركز إمارة في الغريف بوسط ساية، ومركز الحرّة في أواخر وادي ساية أو أعاليه، والمسافة بين إمارة الكامل في أسفل الوادي وبين مركز الحرّة في أعالي الوادي نحو سبعين كيلو متراً، وساية تعتبر الزراعة فيه مزدهرة عن وادي ستارة، أما خصوبة التربة فتكاد تكون متقاربة وقد تزداد اتساعاً في ستارة.

وادي ستارة: وهو واد يقع في المملكة ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ويمتد بطول خمسة وسبعين كيلو متراً وفيه قرى زراعية مأهولة، وتسكن بها عشائر من فتيه «سُلَيْم» ويقيم بعض البوادي من فتيه على أطراف الوادي وضواحيه، ومن كبرى قراه الظبية والتي هي عاصمة ستارة كله ويتلك القرية دوائر حكومية مركزية، وهناك قرى أخرى مثل مخمرة، والغروف، والمسام، وجليلة، والسُلَيْم، والأيار، والمعالى، والمديد، والدوارة وهي بوادي مرخ المتفرع من وادي ستارة الأكبر منه.

وتُزرع في وادي ستارة النخيل وبعض الليمون والموالح والخضراوات ويُسقى بعض هذه البساتين على عيون جارية أو آبار إرتوازية.

وقد ذكر لي أن تعداد عشائر فتيّة وحَبَش من سُلَيْم في الوقت الحاضر يناهز أربعين ألفاً.

ومن سُلَيم في السعودية رجالات في القضاء في محاكم مكة وخليص ومهد الذهب وبعض الاساتذة من رجال العلم أشهرهم الدكتور محمد علي السُلَيمي بجامعة البترول والمعادن، والدكتور ضاوي السُلَيمي بقسم التاريخ في جامعة الملك عبد العزيز آل سعود في جدة.

وأذكر أسماء بعض شيوخ بني سُليْم في المملكة العربية السعودية^(١):

الشيخ حسين بن هندي بن مخضور^(٢): شيخ عشائر بني نوال.

الشيخ قريان بن هندي: فخذ الوعاري من حليل.

الشيخ ثابت بن خيستان: فخذ ذوي جبرين من حُلَيْل.

الشيخ ضبيان بن سعيد: فخذ ذوي عطاء من حليل.

الشيخ ظافر بن محمد: فخذ النغيران من حليل.

الشيخ مشيلح بن هلال: فخذ الموسة من حليل.

الشيخ ردة الله بن جبرين السريعي: فخذ السرحة من الجلالة.

الشيخ شعيفان بن شامي: من عشيرة الخضرة من بركة.

الشيخ لافي بن ملفي: فخذ الدمالكة من دميح.

الشيخ ماضي بن رحم: فخذ الوبران من دميح.

الشيخ حبيب الله بن عبد المنعم: فخذ الثوابت من دميح.

الشيخ خويتم بن مهلهل: فخذ المثالية من دميح.

الشيخ عتيق بن داخل الوديان: فخذ الودايين من دميح.

الشيخ أحمد بن عبيد: عشيرة الجباريت.

لشيخ عبد الكريم حفيظ: عشيرة الجباريت.

لشيخ أخضر بن دخيل الله (ونائبه ابنه صقر): فخذ المحاميد من البقعة.

لشيخ زيدان بن عواضة: فخذ ذوى مستور من البقلة.

لشيخ مرفوع بن خليفة: فخذ الجوامع من البقرة.

لشيخ حامد بن معيوض (ونائبه أخوه أحمد): فخذ ذوى سنة من القلة.

لشيخ عبد العال بن نعيمان: فخذ ذوى راشد من القلة.

لشيخ عبد العزيز بن دخيل الله: فخذ ذوى علم من البقعة.

لشيخ نامی بن جبرء : فخذ ذوی علان من القلة .

لشيخ عبيد الله بن رمضان: فخذ القزاعين من القِلة.

لشيخ مبارك بن بريك: فخذ ههنا من القلة.

(١) أملاها لي بعض البقَّة في قرية السُّليم عام ١٩٩٣م، ونعتذر لعدم ذكر بعض الشيوخ الآخرين، وذكر هؤلاء لمجرد العلم بالشئ لا أكثر.

(٢) الشيخ حسين بن هندي بن مخضوم من فخذ المطاردة من بني نوال من ربيعة هو شخصية بارزة في قبيلة فتيحة من سليم، ورئيس بلدة الكامل، ومن أبرز الشعراء، ولديه شهادات موثقة من الحكومة السعودية تؤكد ذلك، ويقيم في جدة بالوقت الحاضر.

ما ذكره عايش بن شريف السُّلَمي عن بني سُلَيْم في المملكة العربية السعودية^(١):

بنو سُلَيْم في منازلهم بين المسجدين (الحرمين المكي والنبوي)

قال: قبل أن أدخل إلى هذا البحث المختصر أحب أن أنبه على بعض

الأمور:

١ - إن هذه الورقات مختصرة من بحث مطوّل - سيخرج بإذن الله - عن بني سُلَيْم ويتناول تاريخهم وديارهم والرد على بعض الذين كتبوا عنهم بغير علم.

٢ - هناك تداخل بين عشائر بني سُلَيْم أشرت إلى معظمها في هذا البحث.

٣ - حاولت تأصيل الأفخاذ الحديثة بالقديمة، فوجدت معظمها له اسم قديم وبالأسم نفسه كـ (بني عامر) و(حبش) و(فتيان)^(٢) وقل أن تجد قبيلة غيرها تحمل الأسماء القديمة.

٤ - هناك فخذ وأسر خرجت من بني سُلَيْم ودخلت في قبائل أخرى لم أتعرض لذلك إلا ماله صلة بعشيرة وردت في البحث، كـ (الأحامدة) و(المراشدة).

٥ - هناك أخطاء وقع فيه الكتّاب والباحثون الذين كتبوا عن بني سُلَيْم لم أتحدث عنها.

٦ - لم أتعرض لما في بلاد بني سُلَيْم من الآثار والأماكن التاريخية وما أكثرها، ولا عن أوديتهم وجبالهم وحدود أرضهم كذلك في هذا البحث إلا ماله مناسبة، والشئ بالشئ يذكر.

٧ - لم أتعرض للورن الصرفي للنسبة وإنما ذكرت النسبة الموجودة للفخذ أو البطن وما ينطق الآن.

(١) عن مجلة العرب السعودية ج ٥، ص ٣٠ ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٤١٥هـ - نيسان، آيار (أبريل، مايو) سنة ١٩٩٥م عن دار اليمامة للبحث والترجمة - الرياض، والبحث المنشور لعايش بن شريف السُّلَمي في الرياض.

(٢) قلت: الصحيح فُتَيْة لأن فُتَيَّان من ممالك بن ثعلبة بن بهثة، والمشهور في رواية سُلَيْم ونطقهم أنه فُتَيْة وليس فتیان، وفُتَيْة ينسب إلى الحارث بن بهثة خلاف الآخر فهو من ثعلبة بن بهثة.

أولاً: بنو سُلَيْمٍ في بلادهم الأصلية - بين مكة المكرمة والمدينة المنورة - لم يبق من بني سُلَيْمٍ في بلادهم الأصلية إلاّ بطنان هما: (حَبَش) و(فَتِيان) أما حَبَش فنسبة إلى حَبَش بن رفاعه بن حارثة بن بهثة بن سُلَيْم بن منصور وفتيان نسبة إلى فتیان بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سُلَيْم^(١) وإليكم التفصيل.

الفخذ الأول: الأحامدة: والنسبة إليهم أحمدي - وقد انتقلت من وادي ساية - في حدود القرن العاشر الهجري - في قصة طويلة لا يتسع المقام لذكرها - إلى (الفقرة) قرب المدينة وحالفوا بني سالم من حرب^(٢).

وقد كتب عنهم الأستاذ حمد الجاسر ولكنه لم يشر إلى نسبتهم إلى سُلَيْم، وكذلك الأستاذ عاتق البلادي، مع استفادة نسبتهم إلى سُلَيْم عند حرب وبنو سُلَيْم.

بل إن عندهم شجرة كما أخبرني أكثر من واحد منهم فيها نسبتهم إلى العباس بن مرداس السُّلَمي، والله أعلم بذلك، ولا يزال بينهم وبين بني سُلَيْم صلة إلى وقت قريب.. وقد تحدث عن فروعهم الأستاذ عاتق البلادي في كتابه «نسب حرب» فليراجع هناك.

الفخذ الثاني: الجلّاة: وسكنّاهم في وادي ساية، ويتفرعون إلى العشائر

١ - آل حمود: والنسبة إليهم حمودي، ولهم من القرى الفارح والوَقْبة وضواحيها وعشرة، وكبيرهم مشاري بن صهيب الحمودي.

(١) قلت: كما تقدم فالضحيح فنية بن عبد بن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم.

(٢) انظر «مرآة جزيرة العرب» ج ٢ ص ٢٨٠ للمؤرخ التركي أيوب صبري باشا، ومع عدم معرفته لانساب العرب غير أنه يذكر الخبر، وما ذكر ذلك إلا لشهرته عند قبائل الحجاز وأنهم من سُلَيْم وهذا لا يزال كذلك.

٢- آل رزق: والعامّة يسمونهم (الرَزَقِي)، وقد سكن معظمهم جدة منذ زمن مبكر.

٣- آل زَيْن: والنسبة إليهم زيني، ويقيمون في مكة المكرمة وبعضهم في ساية، وهم أقلّ الجلالة عدداً.

٤- السَّرْحَة: والنسبة إليهم سُرَيْحِي، ولهم من القرى الفارع والوقبة، وكبيرهم أبو عطية بن جبرين السريحي.

٥- الشُّكْرِيّة: والنسبة إليهم شُكْرِي، ولهم من القرى الحُدَيْد وعشرة.

٦- آل صابر: والنسبة إليهم صابري، وكانت لهم إمارة في وادي ساية من قبل الدولة العثمانية، وكان آخرهم حامد الصابري ثار عليه قومه من حَبَش وبقية سُليم فقتلوه وقتلوا معظم أسرته، فهرب منهم اثنان أحدهما سكن في خُلَيْص والآخر سكن في ينبع النخل، أما الذي سكن في خُلَيْص فرجع إلى قريتهم في ساية ولايزالون إلى اليوم، وأما الذي خرج إلى ينبع فبقي هناك وانتقل بعضهم إلى الوجه من ديرة بَلْي ولايزالون هناك كما حدثني بذلك كبيرهم العميد لطفي الصابري.

٧- آل مقعي: العامّة يسمونهم المقاعية والنسبة إليهم مقعي، ولهم من القرى الحُدَيْد وعشرة وبعضهم يسكن في سفوح حرّة رُهاط الغريبة، وكبيرهم جابر بن رجاء المقعي.

٨- بنو النجار: والنسبة إليهم نجاري، ولهم من القرى الغريفيين والحُدَيْد، ونزح بعضهم وسكن حَجْر ودخلوا حلفاً مع الزبلان من حرب، وكبيرهم محمد ابن عمرو النجاري.

٩- آل هَبْتَل: والنسبة إليهم هَبْتَلِي، وهم من أقلّ الجلالة عدداً، ويقيمون في وادي ساية.

الفخذ الثالث: من حبش آل محمد: ويسمونهم بني محمد، ومحمد أخ لحامد شقيق جد الأحامدة، وبنو محمد أكثر حبش عدداً.

ويتفرعون إلى العشائر التالية:

ج - آل جمیل، وکیرھم خلف بن متعب الجمیلی.

د۔ آل عفان۔ ہ۔ آل عواض۔

و - آل مَرِيع، ولهم من القرى العقلا ومهايع^(١) وحُضَيّ، والمجرمة وسفوح
حرّة بني سُلَيْم الغربية وقرى الحرّة، وكبير الهمعان عوض الله بن أحمد القايدي،
ويعد من أعيان بني سُلَيْم اليوم ويقيم في جدة بالوقت الحاضر.

الفخذ الرابع: من حبش وديعة: والنسبة إليهم وديعي، وهم أقل حبش عدداً ويتفرعون إلى العشائر التالية:

١ - البُسْنَةُ: والنسبة إليهم بُسَيْسِي ولهم من القرى مهاجع ووادي المرواني، وخليص وإهالا، وكبيرهم عوض الوديعي.

٢- آل ضُبَيْعَان: والنسبة إليهم ضُبُعَانِي ويقيمون في بلدة الكامل وملح
والرُمَيْضَة ومهايع، وكبيرهم صالح الضبيعي.

٣ - آل ظفر: وهم نسبة إلى ظفر بن حارثة بن بُهثة بن سُلَيم^(٢) كما يزعمون، ويقيمون في مَلَح والكامل، وهم أقل ودیعة عددًا.

٤ - آل عيّد: والنسبة إليهم عيدي وهم أكثر وديعة عددًا ولهم من القرى
المرمضة ومهايع والحنو بين ستارة وساية، ومسر، وعالية خلص، وما حولها من
حرّة خليص، وكبيرهم شُلّيان العيدي.

٥ - قريش: ولهم من القرى مهاج والرميضة، وذكر الأستاذ عاتق البلادي أنهم من قريش مكة وأظنه اعتمد على مجرد التسمية فقط، ولا مانع أن العرب تُسمي قريشاً على اسم القبيلة المشهورة لرفعها ولشهرتها، وهم لا يعرفون أنهم ينتسبون إلى قريش مكة ولو سألتهم لقالوا: لا صلة لنا بهم، وكبيرهم أبو فيصل الصاملي القرشي.

البطن الثاني: فتيان ولتخفيفها صارت العامة تسميها (فتيه)، قال الشاعر الروقي من قبيلة عُتَيْبَة من الشعر الشعبي شعر الرد:

(١) مهابع من أشهر قرى سُلَيْم وفيها آثار تاريخية، وحيث أن الآثار في بلاد بني سُلَيْم مهملة ولم يتعرض لها أحد من المختصين في هذا الشأن!، وتشتهر بلاد بني سُلَيْم بجودة الثمر، وكان فيها عيون إلى وقت قريب تبعد عن الكامل ٢٠ كيلو متراً تقريباً.

(٢) «جمهرة النسب» ص ٢٠٤.

٥ - آل ودَّان: والنسبة إليهم ودناني والعامّة يسمونهم أذني، ولهم من القرى الكامل وإهالا والوسيق وعالية خُلِص قرب مَدْرَكة من جهة الشمال، وكبيرهم عوض الله الأذيني.

الفخذ الثالث من فتية: بنو عامر: والنسبة إليهم عامري وهم أكثر فتية وبني سُلَيْم عدداً. وبنو عامر نسبة إلى عامر بن رفاعة بن حارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم^(١) وهناك تداخل مع بقية أفخاذ سُلَيْم، والتي خرجت من الجزيرة العربية وبقي لهم باقية، وموطن بني عامر الأصلي ذرة وستارة وحرّة بني سُلَيْم، ويتفرعون إلى العشائر التالية:

أولاً: حُلَيْل: والنسبة إليهم حليلي، ويرجع نسبهم إلى حليل بن عَصِيَّة بن خُفَّاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم^(٢) ويتفرعون إلى الفروع التالية:

١ - آل جبرين: والنسبة إليهم جبريني، ولهم من القرى مَرَح ووادي مسر وقُدَيْد والبريكة والراضة، وكبيرهم ثابت الجبريني.

٢ - آل رُبُوق: والنسبة إليهم رُبُوقي، ويسكنون الفارعية وفي الطيبة.

٣ - آل عطاء: والنسبة إليهم عطاوي، ولهم من القرى جُلَيْلَة وتَضْمَرِي وخُلِص، وكبيرهم ضبيان العطاوي.

٤ - آل لُبَيْن: والنسبة إليهم لبيني، وقريتهم السويلة وهم أقل حُلَيْل عدداً.

٥ - آل موسى: والنسبة إليهم مويّسي، ولهم من القرى مخمرة والبريكة ووادي لينة والفارح والطيبة، وحرّة قُدَيْد وحرّة خُلِص.

٦ - آل وعَران: والنسبة إليهم وعيري، ولهم من القرى المُسمّاة والفارح وقد اشتراه منهم في أول القرن الماضي فرج الذُهَيْبي، ووادي تَضْمَرِي والهَضْبَة. وكبيرهم الأستاذ عابد بن علي بن عبود والمأمون، وكان قاضيًا لبني سُلَيْم، ومصلحاً اجتماعياً بين قبائل الحجاز، وله قصص تدل على ذكاء لا يتسع المقام لذكره، وقد توفي رحمه الله.

(١) «جمهرة النسب» ص ٥٤٠.

(٢) «جمهرة النسب» ص ٤٠٥.

٥ - آل عليان: والنسبة إليهم عُلياني، وقريتهم الحفنة والحزيم في ذرة، وكانت فيهم مشيخة البقلة وفي آل متعب، وكبارهم الآن الشيخ الدكتور علي بن نفع العلياني، ونامي بن جزّي العلياني.

٦ - آل قزَعان: والنسبة إليهم قُزيعي، وقريتهم الغُريب في ذرة، وكبيرهم عُبيد بن رُضيان.

٧ - الكلبة: والنسبة إليهم كلبّي، وقد دخلوا مع ذوي بُنية، وقراهم المعالي والجوف، وكبيرهم أبو محمد الكلبّي.

٨ - المحاميد: والنسبة إليهم محمادي، ولهم من القرى مشرق في ذرة وقراً الحرة الغربية، وكبيرهم أخضر بن دخيل الله المحمادي وابنه صقر.

٩ - ذوي مستور: والنسبة إليهم مستوري ولهم من القرى سواس وعالية وادي طلحة في ذرة والمُريّسيع المكان المشهور^(١) وأبو شهاب والاحيمرين وسفوح حرة بني سُليم الغربية، وكان كبير ذوي مستور عُويزة بن حُضَيْض المستوري، وكان شيخاً لكافة البقلة ثم بعده جبر المستوري كذلك، وكبير ذوي مستور الآن زيدان بن عُويزة وابنه سعيد.

١٠ - آل هون: والعامّة يسمونهم ذوي هَيّن، ولهم من القرى الدوارة والجوف والسُليم والجوّ، وكبيرهم مبارك بن بُريك الراشدي. والبقلة من فروع بني سُليم القديمة وكانت تسمى (بجيلة)^(٢) وحتى الآن وبنو سُليم ينطقونها بذلك، ويقال أنه دخل معهم رجل من ميمون من بني عبد الله بن غطفان من مُطير وظن بعض المتعصبين أنهم من ميمون، وهذا غير صحيح وقد كتب الأخ ماجد المُطيري مقالاً في مجلة «العرب» ذكر أن البقلة من ميمون، وحينما سألنا نسابه بني سُليم عن ذلك لم يعرفوه، ولم يجزم به البقلة أنفسهم، وكذلك مشايخ ميمون لا يعرفون ذلك وقالوا غير صحيح وهذا خبر شاع في الأيام المتأخرة الماضية لا حقيقة له، أما صاحب المقال فله أوهام كثيرة في مقالاته في مجلة «العرب» لعلنا نفرّد مقالاً بهذا الشأن ونذكر الحقائق فيه بإذن الله.

(١) المريسيع: هو المكان الذي وقعت فيه غزوة بني المصطلق من خُزاعة ولا يزال عامراً ويبعد عن طريق الهجرة ٢١ كيلومتر تقريباً من مخرج وادي ستارة عن يسار المتجه لمكة.

(٢) قلت: الصحيح بَجَلَة ذكرهم أبو علي الهجري في التعليقات والنوادر، وقال: هم بَجَلَة بن ثعلبة ابن بُهثة بن سُليم.

حرب، وقد ذكر البلادي أن دميحًا قبائل متحالفة وما أدري من أخبره بذلك فهذا لا يُعرف عند سُلَيْمٍ ولا عند دميح أنفسهم غفر الله لنا وله.

خامسًا: السوالم: والنسبة إليهم سالمي، ولهم من القرى الكامل وعالية خُلَيْص ووادي المرواني، وكبيرهم عوض الله السالمي.

سادسًا: المزاريع: النسبة إليهم مزروعِي، ولهم من القرى ستارة وقسم منهم كبير سكن خُلَيْص، وحصل بينهم وبين زُييد مصاهرة وقد عدهم بعض النسابين من حرب وهذا ليس صحيحًا.

سابعًا: عَصِيَّة: وهؤلاء نسبة إلى عَصِيَّة بن خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة ابن سُلَيْم^(١) وعَصِيَّة من أشهر بطون سُلَيْم قديمًا وقد نزح معظمهم، وبقي لهم باقية دخلوا في بني عامر، وقيمون في وادي كُلية وستارة والمجاز.

انتهى بنو عامر، ومع شهرة هذه الفخذ وأصالته وكثرته لم يشر إليه كل من العلامة حمد الجاسر ولا عاتق البلادي في كتاباتهم عن الأنساب وإنما ذكروا عشائر فيها وأهملوا عشائر، وعلى كل حال كما قال الأول:

وقل لمن يدَّعي بالعلم معرفة حفظت شيئًا وغابت عني أشياء
وبهذا ينتهي الملخص المختصر عن بني سُلَيْم في مواطنهم الأصلية
بين المسجدين. (انتهى سرد عايش بن شريف السُلَيمي).

لمحة عن بني سُلَيْم في بلاد الخليج والقصيم

قال حمد الحقييل في كثر الأنساب نقلاً عن العقد الفريد لابن عبده ربه

التالي:

من سُلَيْم آل ضحك في السعودية والكويت وقطر والبحرين والعراق.

وفي آل ضحك أفخاذ مثل آل عبدي، وآل ضحك بن حمود بن عبيدي (العبدائي) وهم فرعان: آل عبدي وآل طعان ومنهم أبي هليل وآل جابر بن طعمة وآل عجيل والرهوني وآل لفته وآل عقرب وآل ناصر وآل سويد بن حمزة، ومنهم آل شاهر وآل عاشور وهم آل حسين بن عاشور وآل رشافي والهندي وآل منهج وآل دبوس وآل فايد وآل ناهض وآل جريد.

ومن سُلَيْم بنو نجم وبنو عبيد وبنو حوا وبنو عسكر، وهم غير عسكر عنزة وعسكر الظفير.

ومن سُلَيْم أيضاً آل الصخاوي.

وهناك الكثير من أفخاذ متحضرة في القصيم من بلاد نجد ودول الخليج تنتمي إلى بني سُلَيْم ولم يتمكن من حصرها بالبحث الميداني، وكذلك توجد فروع في بلاد العراق من سُلَيْم.

قبيلة آل بن علي (العتوب) من بني سليم

من أشهر قبائل بني سليم العدنانية في البحرين وقطر والكويت بالوقت الحاضر.

نسب القبيلة:

ذكر أبو علي هارون بن زكريا الهجري من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين في كتاب التعليقات والنوادر^(١) نصاً صريحاً يؤكد نسب بني عتبة إلى خُفاف من بني سليم بن منصور العدنانية، حيث قال: أنشدني - يعني أبا المضاء سيّار بن صخر الناصري أحد بني عتبة من خُفاف للأدوع^(٢) بن مخارق العُتبي (انتهى).

وخُفاف هو ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكانت خُفاف من أقوى قبائل سليم في صدر الإسلام، وقد ذكرهم ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك في حوادث بغا الكبير قائد العباسيين عام ٢٣٢هـ الذي حارب بني سليم في جيش كبير من الأتراك والمغاربة والعرب. وقال الطبري: أن بغا لم يتمكن من خُفاف وقتلته وقد هربت في الجبال التي في حرة سليم وما حولها.

وآل بن علي هم بني عتبة، ويقال لهم أيضاً العتوب، وقد انتقلوا من حرة بني سليم إلى بلاد الخليج في القرن العاشر الهجري وسيأتي التفصيل عن ذلك نقلاً عن مؤرخ القبيلة وعالمها الشيخ راشد بن فاضل آل بن علي العُتبي.

(١) انظر قسم الأنساب ص ١٨١٥ - تحقيق الشيخ حمد الجاسر.

(٢) الأدوع قريب من درع، وهو اسم في آل بن علي من عتبة من خُفاف بني سليم.

البحرين علي يد محمد بن أحمد آل خليفة اتخذ هذا الأمير من آل بن علي العتوب جنوداً له في البحرين وقطر كما سيأتي بيانه .

وذكر ابن عُبَّار أيضاً في كتاب أصدق الدلائل في أنساب بني وائل أن آل خليفة من عترة من فرع جميلة من الهدَّار وحالفوا العتوب، ولم يسلسل نسبهم إلى جد اسمه عُتْبَة، وزعم أن ذلك اسم حلف دخل فيه أيضاً آل صباح والجلahme وآل بن علي وذكر أن الجميع من وائل من عترة .

قلت: وهنا خطأ إذ ذكر آل بن علي ضمن حلف العتوب وفي الحقيقة أنهم هم بني عُتْبَة الأصل .

ولدى آل بن علي وثائق عديدة^(١) وهي عبارة عن عقود ملكية بعضها منذ ثلاثمائة عام وبعضها قبل مائتين وخمسين عاماً في البحرين أيام حكم العجم (إيران) وقد ذكرت أسماء فروع آل بن علي باسم فلان العُتْبِي، والجلahme باسمهم فقط دون أن يُقرن العُتْبِي بأسمائهم .

كما ذكر ابن عُبَّار أن حلف العتوب بين آل صباح وآل خليفة والجلahme وآل ابن علي تم في الزبارة في ساحل قطر من بلاد الخليج العربي .

ويقرر بعض الرواة أن الحلف بين هذه الأسر وبين العتوب قد تم في الكويت، وأن خليفة بن محمد جد آل خليفة^(٢)، وصباح بن جابر جد آل صباح، وعذبي الجلهمي جد الجلahme هم الذين عقدوا حلفهم منذ ثلاثة قرون ونصف قرن في نواحي الكويت أو ما كان يُسمى الكوت .

وقد وقع التباس حين تناول بعض النسابين نسب حكام البحرين والكويت

(١) وقد وصلني العديد من هذه الوثائق للاطلاع عليها وقمت بتصوير بعضها لحفظها في مكتبي

الخاصة .

(٢) هو جد أحمد بن محمد بن خليفة فاتح البحرين عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م مع جيش مكون معظمه

من آل بن علي (بني عُتْبَة أو العتوب) وهم أحوال هذا الأمير الملقَّب بالفاتح وخاله الشيخ عمرو بن سنان آل مبارك البنعلي العتبي .

إلى بني وائل أو عنزة فظن البعض من المؤرخين أن بني عُتْبة يتمون جميعاً إلى بني وائل؛ لأن البعض قد حلا له أن يذكر نسب هؤلاء الحكام من صميم عُتْبة ويذكر نسب عُتْبة إلى جميلة من عنزة أو بني وائل، وهذا خطأ فادح؛ لأن هذه الأسر الحاكمة هي بالفعل مؤكدة النسب روحاً ودماً إلى بني وائل ومنبعها في الهدار من أرض نجد ولكنها قدمت لبلاد الخليج بعد بني عُتْبة ولا تنتمي لها عرقياً بل الانتماء عن طريق الحلف فقط.

أما بعض المؤرخين الذين نسبوا آل بن علي (العتوب) إلى بني تميم العدنانية خطأ فهذا راجع لأن بعض أفخاذ آل بن علي من بني عُتْبة السُّلَيمِين سكنوا فريضة في قطر، وكانت هذه الأفخاذ تُلقَّب (معاصيد) بسبب تعاضدها وتعاونها، وفي رواية أخرى تقول بسبب وسم على إبلهم كان يُعرف بهذا الاسم.

وهذا الشيء قد خلق الالتباس عند بعض النسابين ووهم بعضهم أن هؤلاء من معاصيد بني تميم في بلاد قطر والذين هم من معضاد بن مشرف التميمي والذين منهم حكام قطر حالياً.

وأما ما ذكره عثمان بن سند في (سبائك العسجد) من أن قبيلة بني عُتْبة ليست من أصل واحد ولا يجمعها نسب واحد وأنها أشتات تجمعت تحت هذا الاسم.

فأقول: الصحيح أن عُتْبة معروفة النسب لبني سُلَيمٍ ومعها أحلاف من أسر معروفة من وائل دخلت تحت مُسمى هذه القبيلة وقد استقلت فيما بعد هذه الأسر العريقة باسمها بعد أن اعتلت حكم البحرين والكويت كما هو معروف.

وكما تقدم أن اسم العُتْبي لم يذكر في الوثائق والملوكيات من أراضي ونخيل في البحرين وقطر إلا لآل بن علي وهم بني عُتْبة، فكان أحدهم يقال له فلان العُتْبي، وفيما بعد أصبح ينفرد أحدهم باسم «البنعلي» فقط.

ورواة البنعلي يحفظون أنسابهم إلى بني سُلَيمٍ، ويذكرون أنهم من أحفاد الخنساء، وهذا التواتر صحيحاً؛ لأن الخنساء ترجع إلى خُفاف وسنورد تحليلاً يؤكد نسب بني عُتْبة إلى نفس فرع الخنساء الشاعرة السُّلَمية المشهورة في الجاهلية وصدر الإسلام. وقد ذكرت مجلة الوثيقة البحرينية (العدد الثالث) السنة الثانية، رمضان

١٤٠٣هـ/ يوليو ١٩٨٣م^(١) مقالة بقلم الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة (رئيس تحرير المجلة) ذكر فيها قائلاً: «وإذا كان المهاجرون الأوائل هم الشيخ خليفة جد آل خليفة، والشيخ صباح جد آل صباح، والشيخ عذبي جد الجلاهمة وكذلك آل بن علي، وأجداد العشائر العُتبية التي هاجرت معهم» انتهى.

نقف هنا عند هذه الفقرة لنستنبط منها بعض الحقائق: فقول الشيخ عبد الله ابن خالد هنا أن الشيخ خليفة والشيخ صباح والشيخ عذبي هم مؤسسين لعائلات آل خليفة وآل صباح والجلاهمة (فيما بعد) فهم حسب سرده كانوا أشخاصاً على قيد الحياة قبل استقرار أسرهم في البحرين والكويت وقطر.

أما البنعلي فقد قال عنهم: (آل بن علي) واقتران كلمة آل مع البنعلي تؤكد أنهم كانوا حال حياة المذكورين عشيرة كبيرة، وهم بلا ريب أصل العتوب^(٢) أو بني عتبة كما يؤكد مؤرخهم وتدعمها وثائقهم.

ويُطلق على قبيلة آل بن علي نسبة إلى جدهم علي العُتبي من بني عتبة من خُفاف من سُليم وهي القسييلة العدنانية صريحة النسب، ويُطلق على قبيلة آل بن علي اسمان آخران هما العتوب أو بني عتبة وبني سُليم، وعلى واحدٍهم عُتبي إذا ما نُسب إلى بني عتبة؛ وسُلُمي إذا ما نُسب إلى بني سُليم.

وآل بن علي يتمسكون بالعُلم السليمي كما يسمونه في البحرين وقطر، والصحيح لغوياً أن يقال: «السُلُمي» وهو ذو اللون الأحمر مع الأبيض وهو يميز بأربعة خطوط حمراء متبادلة مع ثلاثة خطوط بيضاء، وكانوا يرفعونه على سفنهم أثناء الحروب وفي مواسم صيد اللؤلؤ وفي المناسبات كالزواج والأعياد.

وقال العباس بن مرداس في علم سُليم:

وكان لنا عقدُ اللواء وشاهرة

ونحن خضبناهُ دماً فهو لونهُ

(١) المجلة صادرة عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين.

(٢) ويذكر بعض الرواة أن المعادة في البحرين وقطر هم أيضاً من أصل العتوب (بني عتبة) من بني سُليم العدنانية.

وهذا الشيء قد أكدته مؤرخ آل بن علي من عتبة الشيخ راشد بن فاضل بأن عشيرته من فرع الخنساء من أرومة بني سليم.

نبذة عن مؤرخ قبيلة آل بن علي من بني عتبة (العتوب)

هو الشيخ راشد بن فاضل بن سيف بن فاضل بن محمد بن مقبل بن جمعة ابن سيف بن سلطان آل بن علي العتيبي، أحد ربانة الغوص على اللؤلؤ المشهورين في الخليج. ولد راشد بن فاضل في البحرين في مدينة الحد في سنة ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٧٤م وتربى فيها، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب في الكتاب.

نشأ راشد بن فاضل في أسرة كان ركوب البحر من اختصاصها، فوالده فاضل كما كان أجداده من قبل سيف وفاضل من كبار رواد البحر وعظماء ربانته، وكذلك كان أقرباؤهم وأبناء عمومتهم. والربان راشد بن فاضل هو أحد أقدر ربانة البحر في الخليج خلال أوائل القرن العشرين، وقد توفي الشيخ راشد بن فاضل - رحمه الله - عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، وذلك في جزيرة دارين بالمملكة العربية السعودية في يوم الثلاثاء ١٨ محرم ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٥٩م.

لم يكن راشد بن فاضل رباناً فذاً وعالماً بشئون الإبحار في الخليج فحسب، بل كان أيضاً أديباً وشاعراً ومؤرخاً قادراً؛ فقد نظم الشعر الفصيح والنبطي وأبدى براعة في النظم، فنظم شعراً مهماً (حروفه لا تحتوي على نقاط) وله أبيات من الشعر إذا قرأت كلماتها من اليمين إلى الشمال كانت مديحاً، وإذا قرأتها من الشمال إلى اليمين كانت هجاء. وله منظومة شعرية طويلة تصف المجاري المذكورة في كتاب (مجاري الهداية)، وكان من ورعه وتقواه أنه قليل الكلام كثير لذكر الله سبحانه وتعالى.

وضع الربان راشد بن فاضل آل بن علي كتاباً أسماه (مجاري الهداية)^(١)

(١) مجاري الهداية - للربان راشد بن فاضل آل بن علي - تحقيق ومراجعة د. جاسم الحسن

وعرفه بين العامة بـ «النائلة»، ويعد هذا الكتاب دليلا بحريا للإبحار بالسفن الشراعية بين الموانئ والجزر الواقعة على الخليج العربي. وله مخطوط لم يطبع اسمه (مجموع الفضائل في تاريخ ونسب القبائل). وقد أعقب ثلاثة بنين هم: سلطان ومحمد وفاضل وأربع بنات. وكان سلطان أكبر أولاده أدبيا وشاعرا، كما كان متفقهها في أمور دينه، وتوفي - رحمه الله - مخلفا ابنا واحدا وهو محمد. وكان محمد الابن الأوسط أخبرهم في علوم البحار وقد أجاد نظم الشعر، وكان فاضل الابن الأصغر الذي قضى أقل فترة من بينهم مع والده في البحر وذلك لصغر سنه، وتوفي - رحمه الله - مخلفا ابنان وهما راشد وسلطان وأربع بنات.

ملخص ما ذكره الشيخ راشد بن فاضل في مخطوطة عن آل بن علي (العنوب)

يقول المؤرخ راشد بن فاضل أنه يوجد عنده صك ملكية نخل (بستان) في منطقة ستره^(١) يعود تاريخه إلى سنة ١١١١ هـ الموافق ١٦٩٩ م باسم جد آل سلامة، أي قبل فتح البحرين بأربع وثمانين سنة، وقد وقف على أكثر من خمسين وثيقة وفي كل وثيقة قد اشترى فلان بن فلان العُتبي؛ فالعُتبية قديمة لديهم نسبة إلى جدهم الصحابي الجليل عتبة بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عَصية بن خُفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سُلَيْم بن منصور.

وقد كانت عزوتهم في الحروب «آلاد سالم» أي أولاد سالم. ومن قصيدة لدعيج بن خليفة بن سند آل بن علي يقول فيها:

حَنَا هَلِ الْوَقَعَاتُ لِلْسَيْفِ مَرْوِيْن
 آلَادِ سَتَالِمِ لَا بَتِي بِكُلِّ مَيْدَانِ^(٢)

سَلِيْمِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ
 آلِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ سَلِيْمِ الْعَرَبِيِّينَ

(١) سترة: منطقة معروفة في البحرين.

(٢) للسيف مروين: كناية عن كثرة تلمّخ السيف بالدم؛ دلالة على كثرة الوقائع والحروب.

وقال راشد بن فاضل عن هجرة آل بن علي العتوب:

أولا كانوا في حرّة بني سلّيم قرب مدينة الرسول ﷺ، ثم ارتحلوا إلى نجد، وفي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) هاجر من نجد لأسباب مجهولة بطنان من قبيلة آل بن علي وهما بنو سالم وبنو شظيب متوجهين إلى شرق الجزيرة العربية (واحة يبرين في إقليم الأحساء) ومنها إلى الظفرة^(١)، ثم ارتحلوا إلى حدود عُمان وهم آنذاك بدو أهل عمود، وكانوا حوالي أربعمئة أسرة، وطلبوا منهم أهل عُمان أن لا يجتمعوا في مكان واحد حتى لا يكونوا قوة تهدد القبائل في تلك المنطقة، فنزل في الباطنة ١٠٠ أسرة، وفي الظفرة ١٠٠ أسرة، وفي قطر ١٠٠ أسرة، وفي يبرين ١٠٠ أسرة. وكلُّ تخلّق بأخلاق من جاوره واستحضره^(٢).

وبعد مرور فترة من الزمن أتقن آل بن علي فنون البحر وأصبحت لديهم قوة بحرية كبيرة، فكثر تنقلاتهم البحرية ودأب آل بن علي ممن سكنوا قطر على امتلاك الأراضي والنخيل في البحرين لكثرة تنقلاتهم بين هذين البلدين، ويوجد لدى آل بن علي صك لملكية نخل مؤرخ بعام ١١١١هـ الموافق ١٦٩٩م يؤكد تواجد العتوب - وهم آل بن علي - في البحرين قبل هذا التاريخ حيث استوطنوا وتملكوا الأراضي فيها قبل قدوم أسر من عنزة إليها.

وقد ذكر والي البصرة في الوثيقة المؤرخة بتاريخ ٢ رجب ١١١٣هـ الموافق ١٧٠١م الموجودة في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في إسطنبول، حيث ذكر أن لقبيلة العتوب والخليفات ١٥٠ سفينة وعلى كل سفينة مدفعا أو ثلاثة مدافع، وعلى كل سفينة ثلاثون أو أربعون رجلا محارباً يحمل بندقية^(٣).

(١) الظفرة تقع في دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً على الحدود المتاخمة للمملكة العربية السعودية.

(٢) مخطوط الشيخ راشد بن فاضل آل بن علي - ص ١٦.

(٣) رحلة عبر الجزيرة العربية، تأليف: ج. فورستر سادلير، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

وقد ارتحلت قبيلة العتوب (آل بن علي) من قطر والبحرين إلى البصرة لفترة قصيرة ثم إلى الكويت، وبعد فترة من الزمن عادوا إلى قطر ثانية واستوطنوا مرة أخرى في فريجة والزبارة وذلك في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وت خلف عنهم في الكويت جماعة من آل درباس (محمد بن عمرو وذريته) وفرع من آل خنفر (بن دين).

وعند هجرتهم من الكويت قال شاعر المرتحلين من آل بن علي:

هب الشمال واللي به الخير قد شال

واللي بقى نال الردى والمذلة

فردّ عليه شاعر ممن بقي من آل بن علي في الكويت وقال:

هب الشمال وطير التبن والنجال

ولا بقي إلا مصحح الحب كله^(١)

ويذكر الشيخ راشد بن فاضل بن سيف آل بن علي - رحمه الله، أن آل بن علي العتوب في هجرتهم الثانية من الكويت إلى قطر حوالي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (في عهد حاكم الكويت الأول الشيخ صباح بن جابر الذي تولى الحكم في عام ١٧٥٣م حتى ١٧٦٣م) حاولوا النزول في البحرين فقام ابن طاهر من آل بومهيير وهم حكام البحرين آنذاك بمنعهم من المرور بسفنهم بين جزيرة المحرق والمنامة وطلبوا منهم المرور من شرقي جزيرة المحرق فأبى آل بن علي ومروا بين المنامة والمحرق، وفي ذلك يقول شاعرهم إرشيد بن عمّار آل جديع آل بن علي العتيبي:

(١) مخطوط الشيخ راشد بن فاضل آل بن علي ص ١٥، ١٦.

يقول ارشيد بن عمار ومن بنا حسن القوافي من بيوت القصايد
يا مبلغ منا صباح بن جابر فتي الجود جزل ما يمد الزهايد
ركبنا بمال مع رجال وسفن تهادي بنا شروى المهار العوايد
يجدونها ربعي من آلاد سالم^(١) مصاريعها ما بين روس الوسايد
خانوا دواسرنا علينا وحالفوا وصف ظفير جا من أقصى البعايد
وجينا على كثر العمارة ندورهم بصم قلوب تدعى العظام بدايد
وحنا يا ابن طاهر مثل عظم تولجته يدك في الحلقوم لوماه وايد
وقد توجه العتوب إلى ساحل قطر الشمالي ثم انقسموا إلى قسمين، قسم
سكن فريجة ويطلق عليهم معاضيد أو معاضيد سلّيم^(٢)، حيث إنهم كانوا
متعاضدين، وفي رواية أخرى فإنهم سُموا معاضيد نسبة إلى وسم كانوا يضعونه
على إبلهم. والقسم الآخر سكن الزبارة وقد سُموا سلّيم باسم القبيلة الأم.

ومن سكن فريجة منهم: (آل سلامة - آل مقبل - آل خنفر - آل جديع - آل
ستان - آل حمد - الشبيكات).

أما من سكن الزبارة فهم: (آل بن طريف - آل لحدان - آل غنام - وفرعان
من آل جديع هما: آل حديد والتراجمة - ومن آل شظيب: آل درباس وآل
بوطامي)^(٣).

وصار من عادة قبيلة آل بن علي أن تكون المشيخة في رجلين: واحد من
المعاضيد والآخر من سليم.

يروى الشيخ راشد بن فاضل آل بن علي - رحمه الله، أن قبيلة آل بن علي

(١) آلاد سالم: أي أولاد سالم، وهم عزوة آل بن علي في الوقائع والحروب.

(٢) وهم خلاف المعاضيد من بني تميم ومنهم آل ثاني حكام دولة قطر.

(٣) مخطوط الشيخ راشد بن فاضل آل بن علي ص ١٥، ١٦، ٢٠.

قد ارتحلوا إلى جزيرة قيس بن عميرة مرتين أثناء حروبهم مع بعض القبائل، وإلى أبو ظبي مرة، واستوطنوا في الحويلة من قطر، والبدع (الدوحة حاليا) مرة، ومرتين في الزبارة وفريجة على الساحل الشمالي الغربي من شبه جزيرة قطر. وسابق نزلوا الكويت^(١). وحيث إن قبيلة آل بن علي سكنت جزيرة قيس بن عميرة مرتين فقد كانت تردد في أغاني المرادة وهي الرقصة الشعبية البحرينية بعض الأبيات التالية:

يا قيس ما مروا عليك أربعه
مروا عليّ البنعلي فزاعه
مروا عليّ وعمروني ساعه
يا ساعة قشرة يا هي ساعه

وترجع كثرة هجرات القبيلة بين المناطق إلى كثرة الحروب والمصادمات. يقول الشيخ راشد بن فاضل: (حيث تقلب الزمان بهم وكثرت الحرايب ولا قرّ لهم قرار في وطن عشرة أعوام إلا في هذه السنين - أي في منتصف القرن العشرين).

والحرف الشائعة بين قبيلة آل بن علي هي صيد اللؤلؤ والاتجار به، والتجارة والملاحة البحرية، فمنهم ملاّحون يجوبون جميع أنحاء الخليج العربي والهند والسند وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا.

لمحات أخرى من تاريخ آل بن علي العنوب

وقعة الزبارة الأولى^(٢):

في عام ١٧٨٢م حدث شجار بين نفر من أهل الزبارة والبحارنة في جزيرة ستره، وقتل شخص من البحارنة فاستغاثوا بحاكم البحرين آنذاك الشيخ نصر آل مذكور، فجهز لهم سفنا مشحونة بجيش عظيم قوامه ٤٠٠٠ مقاتل، وتولى بنفسه

(١) رسالة من الشيخ راشد بن فاضل إلى الشيخ أحمد بن حجر مؤرخة بتاريخ ٢٩ صفر ١٣٥٦هـ.

(٢) تاريخ العنوب - منى غزال ص ٥٨ - ٦٠.

آل بن علي الذي أهده مع هذه الأبيات من الشعر إلى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في زيارته التي قام بها إلى جزيرة دارين^(١) قائلاً:

إن المآثر تنبي ذكر صاحبها بما هو عليها من الأفعال مذكور
لما أتى نصر المذكور في ملا يقود جيشاً من الأعجام مغرور
إلى الزبارة والعرب الذين بها من العتوب تولّى وهو مكسور
وكان هروب الشيخ نصر آل مذكور إلى بو شهر في بر العجم (إيران) قد
أدى إلى سوء الأحوال في البحرين وضعف حاميتها؛ مما سهل لأحمد بن محمد
ابن خليفة ومعه العتوب فتح البحرين وذلك في شهر صفر ١١٩٧ هـ - ١٧٨٣ م.
ويفاخر العتوب بانتصارهم، وفي هذا تردد النسوة في أغاني المرادة هذه الأبيات:

لا انكسر مكسور

لا صاح صايحهم ولا انكسر مكسور

انكسر بيرق نصّور

والنصر من الله وانكسر بيرق نصّور

بعد هزيمة نصر آل مذكور وسقوط رايته وسيفه، صغّر العتوب اسمه تحقيراً
له وسموه (نصّور) وأطلقوا على تلك الموقعة (وقعة نصّور).

ابن طريف آل بن علي العُتبي

هو شيخ المشايخ عيسى بن حمد بن طريف بن محمد آل بن علي العُتبي،
زعيم قبيلة آل بن علي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وهو من
أبرز الشخصيات السياسية والحربية على الإطلاق في الخليج العربي آنذاك.
وهو خال الشيخ علي بن خليفة آل خليفة حاكم البحرين الخامس.

ولد في الزبارة - على الساحل الشمالي من شبه جزيرة قطر - وانتقل مع جماعته العتوب إلى البحرين بعد فتحهم لها؛ حيث اتخذ جزيرة المحرق سكنا له ولقبيلته، فقد كانت المحرق حاضرة البحرين وعاصمتها التجارية.

امتاز ابن طريف بالشجاعة وشدة البأس والثبات في المعارك، وتشهد له بذلك الوقائع والحروب التي خاضها في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي^(١).

والجدير بالذكر أن الشيخ عيسى بن طريف هو الذي فتح ممبسة في شرق أفريقيا مع قبيلته آل بن علي مساعدة منه لحاكم مسقط وزنجبار الإمام سعيد بن سلطان آل بوسعيد توثيقا لعلاقتهم معه، بعد أن طلب منهم ذلك وهم في جزيرة قيس بن عميرة فتجهزوا في ١٨ سفينة من الحجم الكبير مزودة بالمدافع^(٢).

انطلق آل بن علي متجهين نحو ممبسة قبل أن يتحرك أسطول الإمام سعيد ابن سلطان، وعندما أبحر أسطول السلطان وهو في عرض بحر العرب ولم ير سفن آل بن علي، قال: (هيه!، تاهوا العتوب!!). دون أن يعلم أن العتوب قد عرفوا فنون وطرق الإبحار منذ أن سكنوا هذه المنطقة، فما أن وصل السلطان سعيد إلى ممبسة إلا والعلم السليمي يرفرف فوقها، ففرح السلطان وابتهج بهذا الإنجاز الكبير.

مقتل الشيخ عيسى بن طريف:

قُتل الشيخ عيسى بن طريف آل بن علي في وقعة أم سوية سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م في بر قطر، حيث إن سبب الحرب هو أن الشيخ عيسى بن حمد بن

(١) (نبذة عن عيسى بن طريف) إعداد: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل بن علي.

(٢) الوثيقة - العدد ٣١، السنة ١٦ - شعبان ١٤١٧هـ/ يناير ١٩٩٧م، وانظر التحفة الذهبية للشرافي

أم سوية تشهد بموت شيخ المشاهير

والموت للرجال الشدايد حق ما هو بتقصير

بعد مقتل الشيخ عيسى بن طريف تولّى المشيخة الشيخ سلطان بن سلامة بن سيف آل بن علي وقاد قبيلته في هجرتهم إلى جزيرة قيس بن عمية سنة ١٢٦٥هـ، وفي العام التالي توفي الشيخ سلطان في جزيرة قيس وصارت مشيخة

۱۹۹۷ م.

(٢) الوثيقة - العدد ٧، السنة الرابعة - شوال ١٤٠٥هـ / يوليو ١٩٨٥م.

(٣) من قصيدة لعيسى بن هتمى بن أحمد آل بن علي .

القبيلة إلى ابنه الشيخ علي بن سلطان بن سلامة الذي عُرف بتقواه وورعه وشجاعته وكرمه حتى وفاته - رحمه الله - سنة ١٢٧٨هـ مخلقًا ابنا واحدا وهو محمد^(١)، والشيخ علي بن سلطان هو الذي قاد آل بن علي إلى الدمام بعد طلب واستنجد آل عبد الله لهم بسبب الحصار الواقع عليهم من آل سلمان.

وبعد وصول آل بن علي إلى الدمام حدثت (وقعة الخالي) وقُتل أناس كثيرون حتى فك آل بن علي الحصار. وقُتل في هذه المعركة شيخ الجلاهمة بشر بن رحمة بن جابر الجلاهمة ومربط الهاجري وآخرون وذلك سنة ١٢٦٧هـ. وبعدها نزل آل بن علي الدمام وسط ترحيب ومباركة الأمير فيصل بن تركي آل سعود^(٢). وبعد وفاة الشيخ علي بن سلطان صارت المشيخة إلى الشيخ علي بن عيسى بن طريف.

الشيخ علي بن عيسى بن طريف:

ولد في البحرين عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م، وسكن جزيرة المحرق وله زوجتين من قبيلة آل بن علي إحداهما بنت علي بن راشد، والأخرى بنت إبراهيم ابن حسن بن لحدان وخلف أربعة أولاد وهم محمد وأحمد وخليفة وحمد وثلاث بنات. وهو من شيوخ آل بن علي ووالده عيسى بن طريف هو خال الشيخ علي ابن خليفة آل خليفة والد الشيخ عيسى حاكم البحرين الأسبق. والشيخ علي بن عيسى بن طريف ذو جاه وثروة، كريم النفس، وصاحب سكينة ووقار، وهو من شعراء قبيلة آل بن علي^(٣). وبعد وفاة الشيخ علي بن عيسى بن طريف آلت المشيخة إلى الشيخ سلطان بن محمد بن علي بن سلطان بن سلامة الذي توفي سنة ١٣١٣هـ.

(١) الوثيقة - العدد ٣١، السنة ١٦ - شعبان ١٤١٧هـ/ يناير ١٩٩٧م ص ٢٢.

(٢) مخطوط للمؤرخ راشد بن فاضل آل بن علي ص ٢١ - ص ٢٦ ورسالة من الأمير فيصل بن تركي آل سعود إلى الشيخ علي بن سلطان بن سلامة مؤرخة في ٢٧ ذي القعدة ١٢٧١هـ.

(٣) الوثيقة - العدد ٢٤، السنة ١٤ - رجب ١٤١٤هـ / يناير ١٩٩٤م.

بطون وعشائر وأفخاذ آل بن علي (العتوب)

في بلاد الخليج العربي

تنقسم هذه القبيلة السُّلمية العريقة إلى بطنين هما آل سالم، وآل شطيب.

أما عن البطن الأول آل سالم ففيه أفخاذ: آل لحدان، وآل غنَّام، وآل سلامة، وآل مقبل، وآل خنفر، وآل سنان، وآل جديع، وآل حمد، وآل شبيكات.

وأما البطن الثاني آل شطيب ففيه العشائر التالية: آل درباس، وآل بوطامي.

وتفريع عشائر البطن الأول كالتالي:

عشيرة آل لحدان ومنها أفخاذ آل صباح، وآل إبراهيم، وآل ارحمه، وهم في البحرين والسعودية والكويت، وآل ارحمه فقد انقرضوا.

وعشيرة آل غنَّام ومنها أفخاذ آل سالم بن حمد، وآل عسيل، وآل جابر، وهم في البحرين، وآل جابر انقرضوا.

وعشيرة آل سلامة فقد انقرضت عام ١٩٠٥م.

وعشيرة آل مقبل ومنها أفخاذ آل فاضل، وآل هتمي، وآل أحمد، وآل سيف، وهم في السعودية وقطر والبحرين.

وعشيرة آل خنفر ومنها أفخاذ آل راشد، وآل معجل، وآل سلامة، وآل عبدالرحمن، وآل جرَّام، وآل عبد الله، وآل دين، وآل خنفر بن أحمد، وهم في البحرين والسعودية والكويت وقطر.

وعشيرة آل سنان ومنها أفخاذ آل مبارك، وآل عمرو، وهم في البحرين وقطر والكويت وعن آل عمرو فقد انقرضوا.

وعشيرة آل جديع ومنها أفخاذ آل سند، وآل مالك، وآل حديد، وهم في البحرين والسعودية والكويت.

وعشيرة آل حمد ومنها أفخاذ آل ناصر، وآل عبد الرحمن، وآل صقر، وآل حسين بن أحمد، وآل سلطان بن حمد، وآل سلطان بن أحمد، وآل جابر، وآل سلامة، وهم في السعودية والبحرين وقطر، أما آل جابر وآل سلامة فقد انقرضوا. وتفرع أفخاذ البطن التالي كالتالي:

عشيرة آل درباس ومنها أفخاذ آل محمد، وآل عمرو، وهم في البحرين والكويت والسعودية وقطر.

عشيرة آل بوطامي ومنها أفخاذ آل حجر وآل مصبح، وهم في قطر والإمارات العربية، وعن آل بن علي وسائر بني عتبة من سليم، فهناك أفخاذ كثيرة لم نتوصل إلى أسمائها وفصائلها وهي في عُمان والإمارات وإذا جاءت لنا بيانات عنها سوف نستدرکها في طبعات أخرى إن شاء الله تعالى.

مصاهرات آل بن علي مع حكام البحرين والكويت وقطر

أولا آل خليفة حكام البحرين:

- ١- الشيخ محمد بن خليفة (الكبير) تزوج من آل سنان من آل بن علي أخت عمرو بن سنان ومحمد بن سنان، وأنجب الشيخ أحمد الفاتح وهو حاكم البحرين الأول، والشيخ مقرن.
- ٢- الشيخ عبد الله بن أحمد (الفاتح) حاكم البحرين الثالث تزوج من آل لحدان مع آل بن علي، وأنجب محمد حاكم البحرين السادس، وأحمد وعلي.
- ٣- الشيخ خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح ابن حاكم البحرين الثاني تزوج أخت الشيخ عيسى بن حمد بن طريف آل بن علي، وأنجب علي بن خليفة حاكم البحرين الخامس.
- ٤- الشيخ عيسى بن علي بن خليفة حاكم البحرين السابع تزوج من السيدة الفاضلة مريم بنت حمد آل غنام آل بن علي أخت الشيخ سالم بن حمد آل بن علي، وأنجب الأديب الشاعر الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة.

ثانياً آل صباح حكام الكويت:

- الشيخ سالم المبارك آل صباح حاكم الكويت التاسع تزوج من السيدة الفاضلة منيرة بنت محمد آل دبوس من آل غنام من آل بن علي وأنجب الشيخ صباح سالم الصباح حاكم الكويت الثاني عشر.

ثالثاً آل ثانی حکام قطر:

- السيد الفاضل خليفة بن راشد بن عيسى بن غانم آل خنفر من آل بن علي تزوج الشبيخة روضة بنت محمد آل ثاني أخت الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني حاكم قطر السابق وأنجب دعيج وسعود. (انتهى السرد عن آل بن علي).

تنويه عن نسب قبيلة زعب

بعد طبعة عام ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ في المجلد الأول بموسوعة القبائل العربية أرسل لي العديد من القراء والباحثين نصوصاً موثقة وعديدة عن قبيلة زعب لم أطلع عليها سابقاً، وبعد فحصها وتمحيصها تبين لي فيما بعد بأن أبناء قبيلة زعب المنتشرون في الجزيرة العربية بالمملكة العربية السعودية وقطر والكويت والبحرين وغيرها من دول الخليج العربي وفي بلاد الشام في سوريا والأردن ولبنان وفلسطين، وفي العراق وتركيا وغيرها لا يرجع نسبهم إلى بني سلّيم من العدنانية، وإنما يعودون في نسبهم لقريش من الأشراف الحسينيين من ذرية الشريف علي نور الدين الزعبي حفيد السيد عبد القادر الجيلاني الحسيني أباً والحسيني أمّاً والحنبلي مذهباً الهاشمي القرشي - رضي الله عنه - حسبما ما هو ثابت في العديد من المصادر والمراجع وموثق في المشجرات الخاصة بالأشراف الحسينيين من ذرية الحسين ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما، وحيث دُوّن في نقابات الأشراف في طرابلس لبنان وغيرها من مئات السنين من عهد دولتي المماليك والأتراك العثمانيين.

وقد أتضح أن النصوص التي ذكرت زعب إلى بني سلّيم معظمها نصوص حديثة وبعض النصوص القديمة القليلة والتي اعتمد معظم المؤرخين بعضهم إلى بعض، أي النقل للمتأخر على المتقدم، حيث إن منيع الخطأ كان واحد أو اثنين من هؤلاء المؤرخين القدامى، أما معظم النصوص الموجودة في بطون الكتب والمخطوطات لمشاهير علماء النسب مثل ابن حزم الأندلسي وأبي العباس القلقشندي وعبدالرحمن بن خلدون وابن سعد في الطبقات والسمعاني والدارقطني إمام الحديث ومحل الثقة، إذ قوله قطع قول كل خطيب، وقد ذكروا جميعاً أن البطن المعروف من سلّيم هو زعب - بكسر الزاي وسكون الغين المعجمة وفي آخرها باء موحدة - وهنا فمن الحق التمسك بنصوص علماء النسب المشهورين

وكيف لا يَتَمَسَّكَ بالعديد من النصوص وبعض القبائل العربية نراها تتمسك ولو بنص واحد عن نسبها ولا تحيد عنه حتى ولو كان لعالم غير مشهور أو مؤرخ مغمور، وقد تأكد أن زغب - بالغين المعجمة - من سُلَيْمِ المُسَطَّرَةِ في كتب الأنساب المشهورة قد انتابها التصحيف في بعض المخطوطات التي طبعت في العصور الأخيرة، وقد حُذِفَت النقطة من الغين بقصد أو بغير قصد لتتحول الغين إلى عين مهملة وتنطق زغب بدلا من زغب ليحدث الالتباس على معظم المؤلفين الحديثين في الأنساب في العصور الأخيرة.

فالأمثلة كثيرة وعديدة في الخطأ لكثير من مخطوطات المؤرخين القدامى سواء في ذكر الأنفخاد أم البطون أم القبائل العدنانية أو القحطانية، ولا تخلو مخطوطة عن الأنساب لهؤلاء النسابين والمؤرخين من الخطأ وتحويل الحاء إلى جيم أو خاء، وتحويل العين إلى غين أو العكس، أو الباء إلى تاء أو ثاء والعكس، أو الصاد إلى ضاد والطاء إلى ظاء أو العكس. وهكذا في جميع الحروف الأبجدية من السين والشين والفاء والقاف والذال والذال والراء والزاي والعكس... إلخ (وهذا ما يسمى بالتصحيف).

وقد ثبت أن قبيلة رعب (بالعين المهملة) قبيلة هاشمية تفرعت غصونها من الأشراف الحسينيين خلاف قبيلة رغب (بالغين المعجمة) السُّلَمِيَّة القيسية التي ظهرت في العصر الجاهلي.

وعن زعب الهاشمية فمؤسسها هو الشريف علي نور الدين الزعبي، وهو أول من لُقِّب بالزعبي، وإنما لُقِّب بذلك؛ لأنه كان ممتلئاً بالعلم والمعرفة وكان شيخاً عالماً تقياً ورعاً ديناً صالحاً، (والزعبي، في اللغة: من زعب، زعب الماء امتلاً وتدافع). وعلي نور الدين الزعبي هو حفيد السيد القطب شيخ الإسلام وإمام الحنابلة الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني - رضي الله عنه - التي

ملأت شهرته الآفاق في العالم الإسلامي وفي الوطن العربي من المحيط إلى الخليج حتى الوقت الحاضر رغم وفاته إلى رحمة الله تعالى من عدة قرون.

وقد تكونت قبيلة زعب من مؤسسها وجدها الأعلى الشريف علي نور الدين الزعبي من بداية القرن السادس الهجري في الحجاز بعد خروجه من العراق برفقة جده الشيخ عبد القادر الجيلاني.

وقد كان بنو زعب بجوار إخوتهم من الحسينين بالحجاز في موطنهم الأصلي مكة وما حولها في عهد مبكر في أواخر القرن السادس الهجري تقريباً، ثم بعد مرور عدة قرون ظهروا كقبيلة ذات بأس وقوة، فامتدت ديارهم من الحجاز إلى الربع الخالي، ثم حدث اختلاف مع حاكم مكة من أبناء عمومتهم وقد نشب بينهم القتال بسبب حماية زعب لجارها (الحربي) من قبيلة حرب، حيث كان الشريف حاكم مكة في الزمن الماضي قد حمى حدوده فنزلت زعب على الحدود وجاء رجال حاكم مكة لتبعدهم عن الحما فأرأوا مع زعب إبلا غريبة في ضخامتها وأشكالها ورأوا حليتها يتساقط على العشب فأخبروا حاكم مكة بذلك فبعثهم يطلبها، فذكرت زعب أنها ملك لجارهم (ابن صبيخي الحربي) من قبيلة حرب فأرسل حاكم مكة إلى الأمير ابن سحوب يقول أريد الإبل ويعطي ابن صبيخي عن الناقة ناقتين فرفض ابن صبيخي ثم أعطاه عن الناقة أربع فامتنع وأحضر ابن سحوب جاره ابن صبيخي يلح عليه بأن يبيعها على حاكم مكة طالما أن حاكم مكة راغب ومُلِّح في طلبها فأجابه ابن صبيخي قائلاً: لا تجود بها نفسي لأحد إلا رغماً عني فقالت آل زعب لا ترغب وأنت جارنا وفينا رجل حي، ثم أرسلت زعب لحاكم مكة تقول أن صاحبها أبي عليها ولو أنها لزعب لأرسلوها ولكنها لجارهم وجارهم دونه رجال زعب. وبعد مفاوضات كثيرة رأى الأمير ناصر بن سحوب أن يذهب لحاكم مكة للتفاوض معه وإقناعه فأشار عليه قومه بأن حاكم مكة سيحبسه فأصر على الذهاب رغم ذلك فلم يستطع ابن سحوب إقناع حاكم مكة فحبسه وقال

للقوم الذين جاءوا معه اذهبوا ولا ترجعوا إلا بعد عام وإن رجعتم قبله قتلت
صاحبكم وكان مكرما في حبسه عند حاكم مكة وبعد مضي عام حضروا، قال
حاكم مكة أريد الإبل وإلا قتلت ابن سحوب، قالوا: لو قتلته وزعب كلها معه لن
تأتي الإبل. فقال: أريد بدلها تسعين فرسا صفراء بدلا من الإبل التسعين. وبقي
ناصر ابن سحوب عند حاكم مكة ثم حضرت الخيل وعليها رجالها مدججين
بالسلاح ثم سلموها له ومعها تكملتها حصان مهوس، واسم الحصان شعيطان
وصفوه لسرعته فهو يلحق ولا تلحقه الخيول وكان أغلى على مهوس من روحه.
وكان هدف حاكم مكة عندما طلب من زعب بإحضار الخيل بدلا من إبل جارهم
هو تصعب وتعجز على قبيلة زعب، ورغم ذلك فقد تفاجا حاكم مكة عندما
رأى قبيلة زعب قد أحضرت له الخيل بناءً على طلبه، وذلك عوضا عن إبل
جارهم الحربي إلا أن حاكم مكة رد الخيل ورفض أن يستلمها من زعب وقال
للأمير ابن سحوب: إنني لست بحاجة إلى هذه الخيول، وإنه لا بد من مجيء
الإبل، وقد أصر حاكم مكة على ذلك، ولكن قبيلة زعب رفضت وغضبت على
تسليم إبل جارهم، فغضب الأمير ناصر بن سحوب غضبا شديداً وتأكد بأنه لا
يوجد حل مع حاكم مكة، ورد عليه ابن سحوب قائلاً: سترجع الخيل ولكن
اسمح لها بالألا يكون لها عميل - أي يأخذون ويسبون كل من كان في طريقهم وهم
راجعون - قال حاكم مكة لها ما أمامها إلا بني حسين «أسرة حاكم مكة» ثم خرج
ابن سحوب من عند حاكم مكة وقد ارتفعت جوخته إلى مجذ الساق دليلاً على
غضبه وكانت جوخته قبل ذلك تصل إلى الكعبين، ولاحظت ابنة حاكم مكة ذلك
فسألت أباهما عما جرى فأخبرها - قالت: سوف يكون أول ما يؤخذ هم بنو
عمك، قال: لماذا. قالت: لأنني رأيت ابن سحوب خرج وجوخته قصيرة بعدما
كانت تحت الكعبين. وما هي إلا فترة حتى جاء من يخبرهم بأن زعب سلبوا بني
حسين. فأرسل حاكم مكة عدة فرق رجعت مهزومة ولم يحارب في هذه الفرق

حذاء الخيول مرمية ورأى مكان قدور كبيرة فوصف لأمه ما رأى وهي بين النساء
فجرت دموعها من عينيها فرأتها النساء فأخبرن أبا زوجها وكان حكيماً، وأما
زوجها مسعر فقد كان غازياً فعمد إلى حيلة وملا كيساً من البر وقال لها: اطحنه
لنا الليلة، إننا نريد أن نغزو، وكان قصده أن تهيج الرحى ما بها، ثم اختبأ قريب
منها فظلت طول الليل تطحن وتغني قصيدة طويلة منها هذه الأبيات وهي:

تَهَيَّضْتُ يَا (سَبَّاحُ) لَدَارِ ذَكَرْتُهَا
سَبَّاحُ أَمَكْ تَبْكِي بِعَيْنِ خَفِيَّةٍ
لَكِنْ وَقُودَ انْتَارَ بِأَفْصَى ضَمِيرِي
لَكِنْ حَجَرَ الْعَيْنِ فِيهَا مَلِيلُهُ
دَمْعِي نِشَادِي قَرِيبَةٍ شَوْشَلِيَّةٍ
رَغْبِيَّةٍ يَا عَمَّ مَآنِي هَمِيَّةٍ
أَنَا مِنْ رَعْبٍ وَرَعْبٍ إِذَا أَوَّجَهُوْا
طَرِيحَهُمْ لَا طَاحُ، شَوِي، تَرَايَعُوا
أَهْلُ سِرِّيَّةٍ لَا أَقْفَتَ لَكُنْهَا مُهَجَّرَهُ
لَحَقُّوْا عَلَى مِثْلِ الْقَطَا يَوْمَ وَرَدَ
إِنْ صَاحَ صَانِيعَ السَّيِّبِ فَرَعُوا لَهُ
خَيْلٌ تَغْذَى لَلْبَلَا وَالْمَعَارِكِ
لَا تَلْقَحُونَ الْخَيْلَ يَا رَعْبُ يَا أَهْلِي
إِذَا جَنَّ سَمَاحَ الْخَدْمَا يَلْحَقُنْ بِكُمْ
جَيْنَا الشَّرِيفِ بُدِيرَتِهِ وَالتَّقَانَا
طَلَبَ عَلَيْنَا الْخَوْرَ هَجْمَةً قَصِيرَنَا
يَا مَا عَطَيْنَا دُونَهَا مِنْ سَبِيَّةٍ

وَلَا عَادَ مِنْهَا الْأُمُورُ حَيُّوْهَا
دُمُوعَهَا تَخْفِي مَذَارِي خَدُودَهَا
هَاضَ الْغَرَامَ وَيَبِّحَ اللَّهُ سُدُودَهَا
وَلَكِنَّ يَنْهَشُ مَوْقَهَا مِنْ بَرُودَهَا
بَعِيدَ مَعَشَاهَا زُجُوجَ قَعُودَهَا
وَلَأَنِّي مِنَ اللَّيْلِ هَافِيَاتٍ جَدُودَهَا
عَلَى الْخَيْلِ عَجَلَاتٍ سَرِيعَ رَدُودَهَا
تَقُولُ فَهُودٍ مُخْطِيبَاتٍ صَيُّودَهَا
وَإِنْ أَقْبَلْتَ كَنَّ الْجَوَارِي وَرُودَهَا
مَتَغَانِمَ عَيْنِ قِرَاحٍ يَرُودَهَا
وَعَزِيٍّ لِعِمْرِ ثُبُرَتْ بِهِ بِلُودَهَا
تَهَرَّبُ صَنَادِيدُ الْعَدَا فِي طُرُودَهَا
تَرَى لِقَاحَ الْخَيْلِ يَرُدِّي جَهُودَهَا
وَإِنْ جَنَ مِنَ السِّنْدِ الزُّرُومُ يَكُودَهَا
كُلَّ الْقَبَائِلِ جَامِعِينَ جَتُودَهَا
مُصَمِّلٍ يَنْغِي حَنَازِبَ سُودَهَا
تَسْعِينَ صَفْرَا حَسْبَهَا وَمَعْدُودَهَا

تَمَامِهِنَّ (شَعِيطَان) خِيَالَةَ (مَهُوسٍ)
يَقْطَعُ قَبِيلَةَ ضَفِّهَا مَا يَذْرِي
قَصِيرَنَا فِي رَأْسِ عَيْطَا طَوِيلَةَ
عَيُّوا عَلَيْهَا لِأَبْتِي وَاحْتَمَوْهَا
حَرَبْنَا وَتَوَّ الْبِنْتَ نَشُوْ بِهَا أُمُّهَا
عَلَى الْحَنَائِيَا نَقْضَنَّ الْجَدَائِلَ
وَجِيهَهُنَّ كَمَزْنَةِ عَقْرِيَّةٍ
تَسْعِينَ لَيْلَةً وَالْقَرَّائِنَ مُعَقَّلَةً
شَفَحَ الْبِكَارَ اللَّيَّ زَهْنَ الْجَنَائِبِ
وَحِيلَ تَنَاحِي خَيْلٍ، وَتَضْرِبُ بِالْقَنَا
بَنَاتٍ عَمِّي كُلَّهُنَّ شَقْنَ الْخَبَا
كُلُّ نَهَارِ الْهُوسِ تَنَخَّ رَجَالُهَا
لِبَاسَةً لِلدَّرْعِ وَالطَّاسِ بِاللُّقَا
مَنْ صُنْعَ دَاوُدَ عَلَيْهِمْ مِشَالِحُ
يَمَّا طَعَنُوا فِي حَرْبَةِ عَوْلَقِيَّةِ
الَّتِي ابْتَمَوْا فِي يَوْمِ تَسْعِينَ مَهْرَةً
وَتَسْعِينَ مَعَ تَسْعِينَ، وَالْفَيْنَ فَارِسَ
تَسْعِينَ بَنِي عَمِّي وَابْنِي وَاخَوْتِي
قَبِيلَةَ كَمْ أَذْهَبَتْ مِنْ قَبِيلَةِ
(زَعْبٍ) أَهْلَ الْمَدْحِ وَالْمَدِّ وَالشَّنَا
إِنْ اجْتَبُوا لِلصَّيْدِ مِنْهُمْ تَحَوَّزَ
وَلِنْ ائْتَمَلُوا تَهَجَّ مِنْهُمْ قَبَائِلُ

أَصَائِلِ صَنَعَ النَّصَارَى قِيُودَهَا
تَشْبَهُ جَمَالِ عَضِّهَا فِي بَدْوِهَا
يَحْجِي ذَرَاها مِنْ عَوَاصِيفِ نُودَهَا
بِمَصْقَلَاتٍ مُرَهَفَاتٍ خَدُودَهَا
لَيْنٍ اسْتَمَّتْ وَاسْتَوَى زَيْنَ عُوْدَهَا
سَمَرَ الذُّوَابِ كَأَسْيَاتِ نُهُودَهَا
هَلَّتْ مَطَرُهَا يَوْمَ حَتَّتْ رَعُوْدَهَا
حُمَ الذَّرَا مُعَقَّلَاتٍ عَضُودَهَا
قَامَتْ تِضَالَعٍ مِنْ مَثَانِي عَضُودَهَا
مِثْلَ التَّهَامِي يَوْمَ احْلَى جَرُودَهَا
بِيضِ الثَّرَائِبِ ضَافِيَاتٍ جَعُودَهَا
سَتَرَ الْعَذَارَى بِالْمَلَقَا اسُودَهَا
عَلَى سُرُوجِ الْحَيْلِ عَجَلٍ وَرُودَهَا
تَجِيْبُهُ رَجَالٍ مِنْ غَنَائِمٍ فَهُودَهَا
شِلْفٌ تَلْظَأُ يَشْرَبُ الدَّمَ عُوْدَهَا
مَا مِنْهُنَّ اللَّيِّ مَاتِلَاوِي عَمُودَهَا
تَحْتَ صَلِيبِ الْحَدِّ تُطْوِي لِحُودَهَا
وَتَسْعِينَ عَنَانَ وَاللَّوَاخِي شُهُودَهَا
إِذَا عُدَّتِ الْجُودَاتُ يَنْعَدُ جُودَهَا
مِنْ الرُّبْعِ الْخَالِي إِلَى الْحِجَازِ خَدُودَهَا
الرُّبْدُ وَالْوَضِيحِي وَالْجَوَازِي عُنُودَهَا
دَارٍ يَجُونُهَا ضِدَّهُمْ مَا يَرُودَهَا

لا معنا منهم لا حجا ولا دراء إلا شخض العين قبا نقودها
 قليبنا غزيرة الجم عيلم ما ينشدون صدورها من وزودها
 طولها ثمان مع ثمان مع اربع قبلي (واسط) في ملاوي نفودها
 وهي قليب بحد الحاذ من الغضا ما دارها الزراع يبذر امدودها
 ألفين بيت نازلين جباها والفين بيت بالمضامي ترودها
 تخالفوا في يوم تسعين لحيه على شان وقف الاجني في نفودها
 دار لنا ما هي دار لغيرنا تحدها الرملة لموارد غدودها

قلت: هنا ملاحظة هامة، إذ إن قبول الزعبيون في الحجاز التحدي مع حاكم مكة نابع من أنهم في مكانة وشرف نسب تعادل حاكم مكة، فهم من نفس أرومتهم حسنيون من آل البيت، إذ لا تجرؤ قبيلة من العرب من سلّم أو غيرها وتقوم بتحدي حاكم مكة، حيث إن قبائل العرب جميعا في هذا الوقت كانت تحمل له الطاعة والاحترام لشرف نسبه.

ولو أن زعب ليست من الأشراف الهاشميين ما سؤلت لهم أنفسهم الوقوف في وجه حاكم مكة الشريف الهاشمي المطاع من الوري، فقد اعتبروا أن من العار عليهم وهم من أهل البيت وقدوة للبشر أن يتركوا جارهم الحربي فريسة لحاكم مكة حتى ولو كان من نفس أرومتهم، وإن أي قبيلة خلاف زعب الهاشمية ما كانت لتقبل الفناء والشتات في سبيل (حماية نياق جارهم) مع حاكم البلاد والعباد وقتئذ، ولكن زعب في موقفها هذا تستند على نسب عتيد من آل البيت الهاشمي، وترى لذلك أنها أهلا لمقارعة الشريف في مكة ورد ظلمه مهما كانت النتيجة ولم تهادن أو تلن لها قناة كما عُرِف أو كما عرفنا في ملحمة زعب التي خلدها بنت ابن غافل الزعبية في قصيدتها المشهورة كما تقدم ذكرها، تلك القصيدة التي حفظها أهل الجزيرة والشام حاضرة وبادية، وقد ذكرت تلك الحروب الضارية بين

زعب وبين قوات حاكم مكة والتي كانت من نتائج هذه الحروب هو فناء الكثير من فرسان زعب، ومن ثم انتقال هذه القبيلة من الحجاز موطن أجدادها إلى أماكن متفرقة من الجزيرة العربية، ثم انتشار فروع من زعب في نجد وشرق جزيرة العرب، في المملكة العربية السعودية، حيث إن تمركزهم في المنطقة الشرقية السعودية، في ديار قبيلة زعب الحسي وفيها مركز الإمارة، وامليحة، وأبرقي، وقصوان، وهي من أعمال الدمام، كما توجد فروع من قبيلة زعب في الدمام، والخفجي، والنعيرية، والخبر، والظهران، ورأس تنورة، وإبقيق، والإحساء، وحرص، كما يوجد فروع أخرى من أبناء هذه القبيلة في الرياض، والخرج، والطائف وغيرها من مدن وقرى المملكة العربية السعودية المتراصة الأطراف، ثم في دول الخليج العربي مثل الكويت وقطر والبحرين وغيرها، كما نزح كثير من أبناء قبيلة زعب إلى بلاد الشام في سوريا والأردن ولبنان وفلسطين، وكذلك إلى العراق وتركيا وغيرها.

وهم منتشرون في عدة مناطق من بلاد الشام، ففي سوريا بحوران، ودرعا وحمص، وتدمر، وفي عدة قرى منها قرية عندان بحلب، وقرية المسيفرة، والطيبة، وقرى دير البُخت، والرحبة من أطراف بلاد الشام وغيرها، وفي الأردن بالرمثا، وإربد، والسلط، وجبل عجلون، وجرش، ومادبا، وفي عدة قرى منها: الشجرة والذنيبة، وخرجا، وحرما، ونحلة، والكورة، وكفر الماء، وجُفين وعلاًن، وأم العمد وغيرها، وفي لبنان بطرابلس الشام، وعكار، وفي عدة قرى منها العتيقة، ومشيلحة، وعندقت، وحيزون، وفي فلسطين بالناصرة وقراها، في يافا، وحيفا، وطوباس، وغيرها، وفي العراق في عانة وحديثة وغيرها من المدن والقرى العراقية، وفي تركيا وغيرها.

أما عن الزعوب (الزعبية) المتواجدون في بلاد الشام (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) منذ أن نزحوا من الجزيرة العربية إلى هذه البلدان فقد تكاثروا وانتشرت

فروعهم في هذه البلاد العربية، ولم يعتر نسبهم في أرومة الأشراف أي التباس وقد سُجِّلَ نسبهم في نقابات الأشراف من عهود قديمة في طرابلس الشام وغيرها (من عهد دولتي المماليك والأتراك العثمانيين).

وقد تبوأ أبناء قبيلة زغب في الشام مكانة مرموقة وبرز دورهم عند سلاطين العثمانيين على مدى عدة قرون (إبان الحكم العثماني)، وقد مُنِحوا الامتيازات من المعافاة من الضرائب والرسوم إلى الإعفاء من التجنيد في الجيش العثماني بجانب التمتع بحصص كبيرة من الأوقاف (العقارات والأراضي الزراعية الخصبة) خلاف الإنعامات السلطانية من إسطنبول على العديد من شيوخهم.

كما برز رجالات من زغب (الزغبة) في بلدان الشام وخاصة سوريا والأردن ولبنان وذلك في عهد الأتراك يصعب حصرهم، وقد تولى بعضهم رئاسة نقابة السادة الأشراف في طرابلس الشام وهي المركز الرئيسي لهم.

وتطبيقاً لقاعدة أن الناس مأمونون على أنسابهم فمن الظلم الفادح أن نسير وراء نصوص قليلة متناقضة أكثرها غلب عليه التصحيف مع وجود نصوص أخرى ضدها هي الأكثر والأوثق كما تقدم ذكره.

وعن زغب (بكسر الزاي وسكون الغين المعجمة وفي آخرها باء موحدة) فهي بطن مشهور من العهد الجاهلي من بني سُلَيْم ارتحلوا إلى مصر ثم إلى شمالي إفريقيا (بلاد المغرب) مع من ارتحل من بطون سُلَيْم في القرن الخامس الهجري، وقد ذكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون والمقريري أن زغب بن مالك بن سُلَيْم كانوا بين الحرمين فصاروا إلى إفريقيا في جوار إخوانهم بني ذباب بن مالك، ثم صاروا في جوار بني هيب من سُلَيْم في برقة.

كما ذكرت قبيلة زغب في الجزيرة العربية في بعض المخطوطات لمؤرخي نجد، وهم البقية من هذه القبيلة السُّلمية في بلادها الأصلية.

أما عن زعب الهاشمية (بالعين المهملة) في الجزيرة العربية، فهي قبيلة متماسكة حافظت على اسمها وهي أقل عدداً؛ لأنها تكونت في عهد الإسلام، أي بدأ تكوينها في القرن السادس الهجري، خلاف قبيلة زغب (بالغين المعجمة) من سُلُيم التي تكونت منذ الجاهلية وقبل الإسلام بعدة قرون، وبالطبع تكون سلالتها أكبر وأغزر، وهو ما قد تبين لنا من سياق نصوص ابن خلدون الذي رأى هذه القبائل وعانيتها.

و خلاصة القول أنه بعد التمهيص والتحقيق للعديد من النصوص الواردة في كتب النسب الموثقة لكبار النسابين والمؤرخين وبعد الاطلاع على العديد من المشجرات والوثائق التاريخية الكافية عن قبيلة زعب (بالعين المهملة) فقد ثبت أن هذه القبيلة العريقة المتواجدة في المملكة العربية السعودية في الجزيرة العربية وبلاد الخليج العربي وبلاد الشام والعراق وتركيا وغيرها هي من السادة الأشراف روحا ودما، ومن ذرية الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني من سلالة الإمام السبط الحسن ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - من بني هاشم من قریش من العدنانية .

وعما يجدر به أن نوضح أن الجـد الأعلى لقبيلة زعب هو الشريف علي نور الدين الزعبي ومنه اشتقت الاسم، ولا توجد قبيلة متشابهة معها في الاسم قديماً أو حديثاً في الوطن العربي، وسلسلة نسب الشريف علي نور الدين الزعبي، هو: الشريف علي نور الدين الزعبي وهو أول من لقب بالزعبي والجد الجامع للأشراف قبيلة زعب، وجاءت هذه التسمية نسبة له ومنه انحدرت هذه القبيلة وتكاثرت وانتشرت في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق وتركيا وغيرها (وذريته يعرفون بزعب، الزعبيّة، آل الزعبي، الزعوب، الزعبيّين) ابن عبد العزيز ابن شيخ الإسلام وإمام الحنابلة الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى الثاني ابن

عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون ابن عبد الله المحض ويقال له الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن السيدة فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ونسب زعب المذكور ثابت ومشهور، وفي نقابات الأشراف مسطور وإلى قيام الساعة غير منكور.

ولما سبق بعد أن زال الالتباس عن قبيلة زعب الحسينية الهاشمية القرشية في الجزيرة العربية وبلاد الشام، قررنا بقناعة تامة حذف السرد عن تاريخها ضمن قبائل سلّيم وسوف نذكرها من ضمن قبائل الأشراف الحسينيين - إن شاء الله تعالى - في مجلد آخر بالموسوعة سيخصص لهذا الغرض، والله من وراء القصد.

وقد أوضحنا عن قبيلة زعب، وقمنا بإزالة الالتباس عن نسبها في كتابنا عن شيخ الإسلام إمام الحنابلة وتاج الأولياء الشيخ العلامة عبد القادر الجيلاني الحسني الهاشمي القرشي - رضي الله عنه^(١).

(١) الناشر دار الفكر العربي - الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، المركز الرئيسي: القاهرة ٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - إلى جانب مركزي الكويت والجزائر في دار الكتاب الحديث.

ما ذكره الكاتب والأديب السعودي عبد القدوس الأنصاري - رحمه الله

في كتاب «بنو سُلَيْم» (١)

ديار بني سُلَيْم الأصلية

قال عبد القدوس الأنصاري:

إذا أردنا أن نحدد الأماكن التي استوطنتها بنو سُلَيْم - عبر التاريخ - قديماً وحديثاً، فإن لنا أن نقول:

أولاً - إن الموطن الأول لهم كان بأعالي الحجاز بينه وبين نجد، شرقي مدينة جدة الشمالي، وشرقي المدينة المنورة الجنوبي. وكانت بعض القبائل العربية مثل هوازن - إخوة سُلَيْم -، ولحيان من هُذَيْل تجاورها. وكان استقرار سُلَيْم في هذا المكان في فترة الجاهلية الأخيرة القريبة من صدر الإسلام، وقد استمر مقامهم به حتى العصر الحاضر، مع تقلُّص في بعض المواقع، ولاتزال أسماء الكثير من أماكن هذه الرقعة في جبالها وأوديتها وقراها على ما كانت عليه قبل الإسلام.

ثانياً - في زمن - لا نستطيع تحديده الآن - انتقلت جالية أو أسرٌ من بني سُلَيْم إلى الحيرة، في الشرق الشمالي من بلاد العرب، بأرض العراق، فقد ذكر اليعقوبي أن الحيرة هي من منازل آل بَقِيلَة وغيرهم، وأن علياً أهل الحيرة نصارى، منهم من قبائل العرب من (بني تميم) و(سُلَيْم) و(طَيْئ) وغيرهم (١).

ثالثاً - وفي فترة لا نستطيع تحديدها الآن حدث «تمدد» في منازل سُلَيْم الأصلية، فتركوا شمالاً عنها وادي القري وخيبر وما حولها من حرار وجبال وأودية وقرى، منها منطقة مدائن صالح.

عبد القدوس الأنصاري - ر. د.

بجدة - ١٤١٠ هـ

(١) كتاب بنو سُلَيْم طبع في بيروت - لبنان عام ١٩٧١ م - ١٣٩١ هـ - عدد صفحاته ٥٣٤ وبه صور بعض الآثار والوثائق والديار الأصلية لبني سُلَيْم في السعودية، وحصلنا على صورة منه في المكتبة المركزية من جامعة الملك عبد العزيز آل سعود بجدة - بالمملكة العربية السعودية. ٧٢٨٩ قمت بحججه معتبته. ٥٢٥ هـ - ساندكاه في رجبته

وكون أصل موطن سُلَيْم شمال المدينة المنورة هو افتراض مني، سببه ما ذكرته آنفاً، وهو أمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة الأثرية، والتنقيب في منطقة مدائن صالح شمال المدينة المنورة ومنطقة ديار سُلَيْم جنوب شرقي المدينة المنورة.

رابعاً - ازداد انتشارهم، فانفصل من انفصل منهم عن سكنى «الوطن الأم» دفعة واحدة.. وذلك حينما تدفَّقوا مع المجاهدين من العرب في سبيل الله، في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه، وكانت وجهة هؤلاء المجاهدين فتوح شمال إفريقية ثم الأندلس، وقد استقر منهم جماعات هنالك بعد الفتوح وبعد استقرار الإسلام في شمال إفريقية وفي الأندلس^(٢) مع إخوانهم الذين استوطنوا تلك الديار النائية.

خامساً - وحينما تم تأسيس مدينتي البصرة والكوفة قبل ذلك في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رأينا جالية من بني سُلَيْم تستقر هنالك.. وربما كان في أوائل من استقروا بالبلدتين الإسلاميتين الحديثتين المذكورتين من كان من بني سُلَيْم مع المجاهدين في تلك الجهة، وقد استوطن فريق من بني سُلَيْم المدينة ومكة أيضاً. وربما كانت لهم أسرٌ سابقة فيهما.. كما نرى أنه ربما يكون بعضهم دخل ديار نجد واتخذها مقراً له إذ ذاك.

سادساً - ثم ارتأت سياسة الدولة الأموية - في عهد هشام بن عبد الملك - أن تُرحَّل أسراً كاملة من بني سُلَيْم من ديارهم الأصلية إلى القطر المصري، لحفظ التوازن هناك بين شطري الشعب العربي: بني قحطان، وبني عدنان، فقد لاحظ

(١) المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، ص ٢٢٧، الجزء الرابع، طبع دار العلم للملايين في بيروت - لبنان.

(٢) في كتاب «أخبار مجموعة» أنه لما نهض عبيد الله بن علي الكلابي العامري (من هوارن)، ودعا في الجند إلى نصر العميل تقاعس ابن شهاب وابن الدجن العُقيلي واصفقت بنو عامر كلها على الخروج إليه: كلاب ونمير وسعد وجميع قبائل هوارن وسليم بن منصور... فخرجت قيس كلها من الجنديين، والجندنان متجاوزان بالأندلس - ص ٦٥، ٦٦. طبع مطبعة مجريط سنة ١٨٦٧م.

له أمير القطر المصري رجحان الجانب القحطاني على العدناني في استيطان مصر . وقد نفذت هذه الخطة السياسية فعلاً بدقة متناهية، فقدّمت لهم الدولة الأموية كل أسباب الاستقرار في مصر، ووفرت لِنزّاحهم إليها نفس الجو والبيئة والأعمال والحياة التي كانوا يعيشون فيها بموطنهم الأصلي، وبذلك ضمنت لهم الاستقرار في مصر، وربما كان وراء إجلاء هشام لبني سُليم من بلادهم هدف سياسي آخر ولعله منع تكتلهم في ديارهم لئلا يقوموا بعمل ليس من مصلحة الدولة .

سابعاً - وحينما استفحل أمر القرامطة الملحدين واحتلوا بعض المدن والأقطار الإسلامية، حاملين معهم مبادئهم الهدّامة، انضم إليهم بنو سُليم - سياسياً وحربياً، لا عقائدياً - وذلك بغية اكتساب المغنم السياسية والحربية، وقد نص المؤرخون على أن السُّلميين لم يعتنقوا مبادئ القرامطة إبان وجودهم معهم .

ثامناً - وعندما تم إجلاء القرامطة عن ديار الشام - عنوة - انكفئوا إلى البحرين، فانضمت إليهم سُليم ثانية، وحينما تسرب الوهن إلى القرامطة في البحرين احتل بنو سُليم البحرين كحكام، وأقاموا بها شبه حكم سُلمي، ردحاً من الزمن، وربما لاتزال بقايا منهم هنالك اندمجت في بقية السكان .

تاسعاً - أما في القطر المصري الذي اتخذوا - ناحية بلييس - منه موطناً في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، فقد عرّفنا التاريخ بأنهم قاموا باستثمار الأراضي الخصبة التي مُنحوها، وقاموا بتربية الخيل والإبل، وقاموا بالزراعة فيها، وأسهموا في الاقتصاد المصري بمجهوداتهم . . فلما لاح لهم النجاح وضمنوا الاستقرار، استدعوا بعض بني عمومته من ديارهم الأصلية في هذه البلاد، وأوضحوا لهم ما ينعمون به من خير وافر، فوفدت إليهم أُسرٌ من بني عمومته، وشاركوهم فيما يضطربون فيه من عملٍ واستصلاح وتنمية موارد خاصة بهم، واستقروا معهم في مستقرهم بمصر .

عاشرًا - وفي سنة ٤٤٠هـ - ١٠٤٨م دفعت (السياسة العبيدية - الفاطمية -) الحاقدة على عامل العبيدين بإفريقية: المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم، ومال

إلى العباسيين في بغداد - دفعت تلك السياسة المحبوكَة بني سُلَيْم وأبناء عمومتهم بني هِلَال من هوازن إلى الهجرة الجماعية إلى شمال إفريقيا من مصر بقضهم وقضيضهم، ففقدوا - حرفياً - مخططات هذه السياسة، وطبقوا برامجها بكل دقة وتصميم.. والعربي صريح في ولائه وعدائه.. وقد نال شمال إفريقيا منهم عنت بالغ فترة من الزمن، ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نشر راية اللغة العربية في بلاد المغرب وإرساء قواعدها بين جماهير من البربر المسلمين.

حادي عشر- وفي أوائل العصر الحديث رأينا جَوَالِي سَلْمِيَّة تزح عائدة من شمال إفريقيا إلى مصر، التي سبق لها أن نزحت منها إلى شمال أفريقيا في أواسط القرن الخامس الهجري، وقد استقرت - ثانية - هذه الجوالي في مصر واعتبرت من أهلها الأعراب، ولا يزالون مقيمين فيها حتى اليوم.

تلك «خلاصة» وافية لمواطن بني سُلَيْم، ما كان أصلياً وما كان فرعياً، في أقطار المعمورة وستأتي التفصيلات.

ومن كل ما ذكر آنفا ندرك مدى نشاط هذه القبيلة التي وصفت منذ عهد الجاهلية بأنها قبيلة عظيمة من قبائل العرب العدنانية، فقد كانوا في الجاهلية والإسلام حركة قوية وذوي نشاط حربي واقتصادي وإداري مرموق.

في الجاهلية كانت العرب تُقدِّرهم وتُقدِّر شجاعتهم ومواهبهم، وتفيد من ثرائهم وثناء بلادهم، فتتاجر معهم وتشاركهم في استثمار مزارعهم وتجاراتهم ولذلك لا غرو أن نرى أفراداً منهم ذوي مكانة بمكة وبغير مكة؛ ولذلك لا بدع أن نرى بعض رجالات العرب يُصْهرون إليهم، ويسهمون معهم فيما يسهمون فيه من استثمار معادنهم الذهبية الثرية والإتجار بنتاجها الثمين، وديارهم الأصلية في وسط بلاد العرب، ولكنها مع ذلك حصينة حصانة طبيعية، مما مكن لهم وأثل لهم المجد، ووقاهم إلى حد ما من استباحة حماهم، وكانت لهم خيول وافرة، والخيول خير مطايا الحرب في ذلك العهد وإلى عهد غير بعيد.

وفي الإسلام كانوا حركة دائبة، ونشاطاً حريباً وإدارياً متقدماً وذكاءً ولماحية، وقدرة على تحمل أعباء الحكم الذي يضطلعون به نتيجة تولية رعمائهم ورجالاتهم الحكم من قبل الخلافة في شرق وفي غرب، وقد بدأت تحركاتهم الجماعية في الإسلام، بأن قَدِمَ ألف منهم شاكى السلاح، جاءوا دفعة واحدة مسلمين إلى المصطفى ﷺ عقب فتح خيبر، بعد ما اقتنعوا بصدق الإسلام وبمزاياه الروحية والنفسية والمادية والدينية والدنيوية، وكانوا إذ ذاك مستعدين لخوض غمار المعارك لنصرة دينهم الحق الذين دخلوا فيه زرافات عن إيمان واقتناع، وكان طليعة أعمالهم البطولية أن شاركوا بحماسة في فتح مكة، وكانت لهم رأيتهم الحمراء وقوادهم الأبطال، وكان لدخولهم الجماعي في دين الإسلام، واقتحامهم ساحة الوغى تحت رايته الوضاعة - رنة فرح وغبطة لدى إخوانهم المسلمين، ودوي هائل في أنحاء شبه جزيرة العرب لدى المشركين، فقد كانوا معروفين بشدة البأس والمراس، وقوة الشكيمة وبالبطولة والإقدام. وحينما دعا داعي الفتوح الإسلامية إلى خارج الجزيرة كان السُّلَمِيُّونَ من أوائل من لبَّى النداء، فأسهموا في فتح مصر وشمال إفريقيا والأندلس، كما سرى نشاطهم الحربي إلى حروب الردة قبل ذلك في خلافة أبي بكر الصديق، فأرأناهم فريقين: فريقاً مرتداً يحارب المسلمين بعنف وضراوة، وفريقاً يحارب مرتديهم بعنف وضراوة، وأخيراً، اتحد شملهم المتفرق تحت راية الإسلام. وفي حروب شرق الجزيرة بفارس كان السُّلَمِيُّونَ مع المجاهدين، وفي الفتوح بشمال العراق كانوا هناك أيضاً مع المجاهدين. ويذكر المؤرخون أن «نصر ابن حجاج» السُّلَمِيُّ الفتى الجميل الذي نفاه عمر بن الخطاب إلى البصرة حيث تقيم جالية سُلَمِيَّة من بني عمومته، حنَّ إلى الجهاد فدخل في زمرة المجاهدين إلى الأراضي التي تقع بشمال العراق، وامتشق الحسام، فغسل ما قد يكون قد علق به من أوضار الشباب، وحينما أَسِيبَ - اختلط - الأمر على العرب المسلمين، واختلفوا أشد اختلاف وأمره فيمن هو أولى بمنصب الخلافة: أعبدُ الله بن الزبير بن العوام في مكة - رضي الله عنهما، أو مرشحوا بني أمية من الأمويين في دمشق؟ رأينا بني سُلَيمَ العدنانيين ينحرفون عن حلفائهم الأمويين، ويرشحون للخلافة عبد الله

موطنهم الأول يقطعون الطريق على الحجيج! وقد رأينا القلقشندي يعتمد على ابن خلدون فيقع في الغلط الذي وقع فيه من اعتمده.

وجدير بالذكر أيضاً أن نقرر بصفة إجمالية هنا أن بني سُليم الجنوبيين المقيمين بـجبال السراة بمنطقة عسير والذين ربما انتشر بعضهم إلى اليمن، ليسوا من بني سُليم الشماليين في قبيل ولادير، من قبائل زهران فأولئك أزد يون قحطانيون، وهؤلاء قيسيون عدنانيون. وكل ما في الأمر أن جامعة العروبة والإسلام تجمع الجانبين معاً.

تحديد ديار سُليم الأصلية:

يبدو لي أن تحديد ديار بني سُليم الأولى يقتضي سعة نظر، فحدود بلادهم هذه مرّة مطاطة، تتسع وتضيق حسب الظروف والأحوال الاجتماعية السائدة لديهم ولدى من يجاورهم ويصاليهم من العرب المماثلين.

ومن أوائل من قدّموا لنا تحديداً واضحاً لديارهم، الحسن الهمداني.. قال: (فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة، إلى حد الجبلين، إلى ما ينتهي إلى الحرّة: حرّة بني سُليم - لا يخالطهم إلا صرّم - جماعات - من الأنصار سيّارة، وقد يحالون طيناً)^(١).

وعند الهمداني أن «السوارقية» و«صفينة» داخلتان في ديار بني سُليم^(٢).. وقد تغير ذلك فيما بعد في العصور المتأخرة فقد حدثنا محمد بن بليهد - وهو مؤرخ ورحالة سعودي معاصر - بأن «السوارقية» و«صفينة» تغلبت عليها بنو عبد الله بن غطفان، كما تغلبت على جميع الحارر بهما^(٣).

وقدّمت لنا «دائرة المعارف الإسلامية» تعريفاً لديارهم فضفاضاً حينما قالت: «وتقوم منازل سُليم على طول حدود نجد والحجاز، ويتاخمها من الشمال أرض المدينة، ومن الجنوب أرض مكة، وكان جيرانها من الشرق قبيلتي غطفان، وهوازن ابن منصور، وهما من بني عمومتهما من قيس عيلان.

(١) صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ١٣١، طبعة مصر. (٢) المصدر السابق، ص ١٧١.

(٣) تعليقات محمد بن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب، للهمداني. وقد حددت لنا البعثة الأمريكية الزراعية في تقريرها المطبوع بمصر صفينة وعرفتها لنا إذ قالت (ص ١٤٠): «صفينة: هي قرية صغيرة واقعة تقريباً على بعد ٤٥ كيلو متراً من المهد وعلى بعد كيلو مترين ونصف إلى جنوب مركز المضخة رقم ٣».

وأضافت إلى ذلك وصف ديارهم بالرخاء الوافر حتى نهاية العهد الأموي، فقد كانت مركز تعددين وتلال (وتلّالاً) حافلة بالغابات، وواحات استغلت استغلالاً حكيمًا رشيدًا.

وجعلت «الرَبْذَة» من هذه الواحات، وكذلك «فَرَّان» و«معدن البرم» وصفينة وسوارقية (السوارقية) وغيرها، وقالت: إن واحة سوارقية (السوارقية) تمتد مرحلة عدة أيام؟، وهي عامرة بأشجار الموز والرمان والأعناب، ناهيك بأحراج النخيل. وتحدثت عن خصائص بلاد سُلَيْم فقالت: إنها كانت تملك المصادر المعدنية، وتشرف على الطريق الموصل إلى المدينة، وينفذ منها من يريد بلوغ نجد والخليج الفارسي (الخليج العربي).

وأضافت أن كثيرًا من الأسر المكية تحالفت مع سُلَيْم، واشتركت معها في استغلال ثروات البلاد الزراعية والمعدنية، وأهم ثرواتها المعدنية هي - هو - الذهب والفضة، وقد استؤنف النشاط في ناحية البتّعين بسُلَيْم في خلافة أبي بكر، واستمر استغلال مناجمها في عهد الأمويين، وكانت موردا له قيمته من موارد الدولة.

ووصفت بني سُلَيْم بأنهم كانوا يملكون جيادًا كثيرة، ويُعدُّ ذلك آية من آيات النعيم الأخرى في الصحراء^(١).

وجاء في كتاب عَرَّام السُّلَمي ما يؤيد رأي دائرة المعارف الإسلامية من ناحية امتلاكهم لكثير من الجياد وغير ذلك قال: (ولهم خيل وإبل وشاء كثير) .. وأضاف قوله: (وهم بادية إلا من ولد بها، فلإنهم ثابتون بها، والآخرين بادون حوالها، ويميرون طريق الحجاز ونجد في طريقي الحاج)^(٢).

ومتنازل بني سُلَيْم في رأي الدكتور جواد علي: «تقع في مواطن حِرار، ذات مياه ومعادن، عرفت بمعدن سُلَيْم، وكانوا يجاورون عشائر غَطَفَان، وهَوَازَن، وهُدَيْل، وخَثْعَم، وثَقِيف، وقد صارت سُلَيْم من القبائل الغنية بسبب خيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة تهيمن على طرق التجارة. وقال: إن صلاتها

(١) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية بمصر، ص ١٤٤، المجلد الثاني عشر، طبعة مصر.

(٢) ص ٦٦، أسماء جبال تهامة وسكانها، لعَرَّام بن الأصم السُّلَمي، ص ٦٥، ٦٦.

ومن ناحية الغرب: الخُوار.

ومن ناحية الجنوب: رُهاط.

ومن ناحية الشمال: جبالُ الحقو، بشمال وادي تمرة الواقع شمال وادي

ستارة.

وأضاف حسين بن هندي السُّلمي أيضاً: إن أرضهم الآن لا تقل طولاً: عن ثلاثمائة كيلو متراً تقريباً من الجنوب إلى الشمال، وعرضاً: لا تقل عن مائتي كيلو متر، من الشرق إلى الغرب تقريباً.

أما عبيدُ بن محمد السُّلمي، فإنه يقول:

يحد بلادنا غرباً: وادي حُلَيْفَة.

وشرقاً: رأس القُرَى على جبل شمنصير.

وجنوباً: وادي رُهاط.

وشمالاً: وادي ستارة، وذرة.

والتعريفان غير متباعدين، وقد أيد لي ذلك مبارك بن عبد التواب السُّلمي.

وكان الشريف شرف عبد المحسن البركاتي المكي حدد بلاد بني سُلَيْم بقوله:

«تلي جنوباً منازل قبيلة بني عبد الله المشهورة بمُطَيْر». وكان قد حدد منازل مُطَيْر بأنها: «تقع في الشرق شمالاً، وتمتد إلى نجد»^(١).

وبلاد بني سُلَيْم قسمان: قسم طبيعي، وقسم صناعي.

والقسم الطبيعي منها يشمل الحَرَار، والجبال، والمانابع، والمعادن، والأودية.

والقسم الصناعي يشمل: القُرَى، والحصون، والحدائق، والحقول، والعيون،

والآبار، والعمارات، والآثار.

وفيما يلي بيانٌ واستعراض للقسَم الطبيعي من تلك الديار، بالقدر الذي

توصلنا إليه:

(١) الرحلة اليمانية، لشرف عبد المحسن البركاتي، ص ١٣، طبعة بيروت.

شمنصير يقول عرّام بن الأصبع السُّلَمي: (هو جبل ملّلم، مستدير، مجموع بعضه إلى بعض، لم يعلّه قط أحد، ولا أدري ما على ذروته، بأعلاه القروء. ويقال: أن أكثر نباته النبع والشوحط، والمياه حواليه يتابع، عليها النخيل والحماط). ويضيف قوله: ويطيف بشمنصير من القرى: قرية كبيرة يقال لها: «رُهاط» بضم الراء، وهي بوادٍ يقال له: غُرّان - بضم الغين المعجمة، وأنشد:

فإن غُرّانا بطن وادٍ أحبه لساكنه عهد عليّ وثيق

وبغريه قرية يقال لها الحديدية ليست بالكبيرة^(١).

وقد أخبرنا حسين بن هندي السُّلَمي، وعبيد بن محمد السُّلَمي بأن الناس الآن يرتقون ذروة جبل شمنصير، وقد رقاها أحدهما أو كلاهما كما علاه مبارك بن عبد التواب السُّلَمي فليس الأمر فيه على ما قال عرّام بالنسبة لهذا إلزاما. . وأقول إذن: لربما كان عرّام سمع هذا القول المبالغ فيه من بعض بني سُلَيْم في عصره، فنقله من غير أن يتحرى الواقع من غير الذي حدثه بهذا القول، وهذا للتوفيق بين قوله والواقع؛ لأنه إذا كان المعاصرون يرتقونه فإن الأولين بإمكانهم أن يرتقوه.

هذا، وقد مر بنا أن قرية (رُهاط) تحد ديار بني سُلَيْم الآن جنوباً، فيما اتفق عليه السُّلَميان المعاصران؛ حسين بن هندي، وعبيد بن محمد.

وتسكن بجبل شمنصير الآن، ربيعةٌ من سُلَيْم.

وجبال (أبلى) من جبال سُلَيْم، وهي قرية من صَمّة - بالتخفيف، وليس لها ماء، وإنما هي مفازة بين قرن وصمة^(٢).

وكذلك (عقر) هو جبل ضخّم من جبالهم، يشرف على معادن الماوان، قبل الريزة بأميال لمن كان مُصعداً، وهو جبل في ديار بني كلاب من عامر بن صعصعة من هوازن.

و(صَمّة) جبال في ديار بني سُلَيْم، ليس لها ماء، وإنما هي مفازة أيضاً^(٣).

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها، لعرّام بن الأصبع السُّلَمي، ص ٢٧ و ٢٨، طبع القاهرة.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي، ص ٥٥٠، المجلد الثاني.

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي، ص ٥٥٠، المجلد الثاني.

و(ذو الموقعة) جبل بحذاء (أبلى) من شرقيها، وهو جبل معدن بني سليم، يكون فيه الأروى كثير. وربما كانت كلمة (اللازورد) الواردة في معجم البلدان لياقوت الحموي - مُحَرَّفَةً عن كلمة (الأروى). وقد نقل الأستاذ رشدي ملحس - رحمه الله - في كتيبه: (بحث المعادن) ما ورد في معجم البلدان وذلك الصفحة ٤٢ من الكتيب المذكور، باعتبار أن (ذا الموقعة) من جبال المعادن.

و(جبل ملحان) لسليم أيضاً وتنسب إليه معركة وقعت بينهم وبين غطفان.
و(جبل ميطان) لسليم أيضاً، وتشاركها فيه مُزَيِّنَةٌ، ويقع جبل ميطان حذاء شوران.

و(الستار): جبل بالعالية في ديار سليم.
و(قنة الحجر) جبل غير شامخ، وهو بحذاء قرية الحجر الخاصة ببني سليم.
و(شعر) بالفتح ممنوعاً: جبل لبني سليم أو بني كلاب من هوازن.
ثالثاً - المياه:

والمياه تشمل العيون، والنبوع، والآبار، والقلوت^(١).
فمن عيونهم: (عيون الحجر). والحجر: اسم مشترك؛ كثرت التسمية به في بلاد العرب، والحجر هنا قرية أو أرض بها مياه وعيون لبني سليم.
ومن عيونهم: (عين النازية) وهي عين كانت بالصَّغِيَّة التي هي أرض واسعة، وهي بين بني خُفَّاف من سليم وبين الأنصار، فتضاربوا فسدوها، وهي عين عذبة الماء وكثيرته، وقد قُتِلَ ناس بسبب ذلك، وطلبها سلطان البلد مراراً بالثمن الكثير فأبوا ذلك.

ومن الغدران - (غدير الحواق)، وهو غدير في أصل جبل (الحراس)، الذي هو جبل أسود ليس به نبات حسن، والحواق هذا يمسك الماء من السماء كثيراً، وهو لبني سليم.

(١) القلت - بفتح القف وسكون الهمزة بعدها تاء مفتوحة -: هو النقرة في الجبل، ويعني به هنا الماء الذي في النقر جمع نقرة، فهو من المجاز المرسل: من باب تسمية الحال - بتشديد اللام - باسم محله. . مثل «واسال القرية التي كنا فيها».

ومن مياههم: (صمة) - وهي ماء دون جبال صمة، في إقبالها.
و(ماء الهدار) هو ماء حسي في جبل مغار، وهو يفور بماء كثير، ويقع في
سبخ، بحذائه حاميتان سوداوان.

و(الرَّفْدَةُ) ماء ملحة في جوف إحدى الحرتين السوداوين اللتين بحذاء السبخ
الذي يقع فيه حسي الهدار بوادي عريظان، وعليها نخيلات وآجام - جمع أجْم
بضمين - بمعنى الحصن يستظل فيهن المار، وهي - أي الآجام - شبيهة بالقصور،
وحولها حموض وهي لبني سُلَيْم، وتقع على طريق زبيدة، يدعوه بنو سُلَيْم:
امفا أو مغار زبيدة.

و(أَلِيَّة): ماء من مياه بني سُلَيْم، وقال البكري في معجمه: إنه موضع،
قال الشاعر:

كانهم ما بين أَلِيَّةَ عَدُوَّةً وناصفة الغراء هديَّ محلل^(١)

و(مُبْهَل): ماء لبني سُلَيْم، ومبْهَل الأجرد: واد لعبد الله بن غَطَفَان^(٢) فلعل
مُبهلاً الذي هو ماء لبني سُلَيْم خاص بهم دون بقية الوادي الذي هو لعبد الله بن
غَطَفَان.

و(التويمَة) ماء لبني سُلَيْم أيضاً^(٣).

و(سبي): ماء لبني سُلَيْم كذلك^(٤).

و(المُرِير): من مياه بني سُلَيْم، قال الشاعر:

هو «المُرِير» فاشربه أو ذري إن المرير قطعة من أخضر^(٥)

و(النَّقِيشَة): ماء لبني الشريد وبنو الشريد من سُلَيْم، قال الشاعر:

خليلي قومًا في العلالِيّ فانظرا أباخيم من وادي النقيشة حاضره؟^(٦)

(١) كتاب الامكنة والمياه والجبال، لمحمود بن عمر الزمخشري، ص ١٣ و ١٥، طبع مطبعة السعدون ببغداد.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٤١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٦) نفس المصدر، ص ٢١٩.

و(أُفَيْعِيَّةُ): منهل ماء يقع فوق (فران)، بينه وبين مكة، ويطؤه الطريق.

و(قَلْهِي) ماء أو موضع به ماء بينهم وبين مُزَيْنَةَ، قال الشاعر:

نحن بنو ذو التاج والقرم اللهم المانعين قلْهِي وهي طُمُوسَم

ومن آبارهم: (بئر معونة)^(١) و(ذو ساعدة) و(جماجم) أو (حماحم) و(الوسباء)، والوسباء قنان متصل بعضها ببعض والماء ماء لهم فيها، و(الشقيقة) أو (الشفيقة)، وهي بئر في أسفل ذي الموقعة الذي هو جبل معدن بني سُليْم من شرقه، و(آبار الهدبية) وهي ثلاث آبار ليس عليهن مزارع ولا نخل ولا شجر، و(آبار سوارق) - وتقع في وادي سوارق، وآبار (الصعية) وهي آبار ينزع عليها، وهي ماء عذب في أرض عذبة، و(ذات الغار): بئر عذبة كثيرة الماء تسقي بوادي سُليْم. قال عَزِيزَةُ بن قَطَّاب السُّلَمي:

لقد رعتُموني يوم ذي الغار روعة بأخبار سوء، دونهن مشيبي

نعيتُم فتى قيس بن عيلان غدوة وفارسها تنعونه لحبيب

وتقع (بئر معونة) في أرض سُليْم، وأرض بني كلاب من عامر بن صعصعة (هوازن) بناحية المعدن - معدن بني سُليْم، ويقول الزمخشري: إنها تقع بين أراضي بني عامر بن صعصعة وحرّة بني سُليْم^(٢).

و(آبار كُلِّيَّة) - هي آبار على ظهر الطريق، وبهن يسمى وادي كلية^(٣).

و(المسَلْحُ) منهل لبني سُليْم.

و(غَمْرَة) منهل فوق المسَلْح لبني سُليْم أيضاً، وَغَمْرَة تقع بوادي يقال له العقيق^(٤).

وأما (المعادن) فمنها: (معدن بُحْرَان)، وبحران: موضع بناحية الفرع، وكان هذا المعدن ملكاً للحجاج بن علاط البهزي السُّلَمي الصحابي، وهو معدن ذهب.

(١) عند هذه البئر نشبت المعركة بين أصحاب بئر معونة من صحابة رسول الله ﷺ، وبين من أسهم فيها من رعل وعُصية وذكوان من بني سُليْم.

(٢) كتاب الامكنة والمياه والجبال، للزمخشري، ص ١٦٨.

(٣) أسماء جبال تهامة وسكانها، لعراَم السُّلَمي، ص ٣٢.

(٤) بلاد العرب، للحسن بن عبد الله الاصفهاني، طبع بيروت، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ص ٤٠٤ و ٤٠٥.

هذه الأودية تنبت الأراك والمرخ - وهو شجر المقل - والنخل، وليس هناك جبال^(١).

ووادي كُليّة: سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ - ١٩٧١م عامر وهو وادٍ بالقرب من خُلَيْص به نحو سبع عيون، ومعنى ذلك أنه عمر بعد خراب. وقد جاء في «صبح الأعشى» للقلقشندي أن هذا الوادي كان بيد سُلَيْم وقد خرب من مدة قريبة بعد ٧٨٠هـ^(٢) ولعل من أسباب عمرانته في الوقت الحاضر انقطاع غارات الأعراب على بعضهم، واستتباب الأمن، فانصرفت البادية وتمكن أهل الريف منهم، من الانصراف إلى قضاء مصالحهم، واصلاح مزارعهم وقراهم، بدلاً من التناحر وتبادل الغزو، ولسنا ندري متى بدأ عمرانته الحالي.

ومن أوديتهم: (وادي ساية) المعروف في كتب الأدب باسم: (وادي أَمَج) على وزن (أَمَد)، ويطلق عليه بنو سُلَيْم اليوم اسم وادي وَبَح على وزن (عَلِم) ولم نجد اسم (وَبَح) هذا فيما لدينا من المراجع.

وصف ياقوت الحموي وادي ساية فقال: «ساية اسم وادٍ من حدود الحجاز، وهو وادٍ بين حاميتين، وهما حرّتان سوداوان، بهما قرى كثيرة مسماة، وطرق من نواح كثيرة».

وربما كانت تسمية السُلَيميين له بوادي وَبَح، من باب المجاز المرسل أي تسمية المحل باسم الحال فيه، وذلك أن بطنًا منهم بهذا الاسم يقيم الآن في هذا الوادي، وتوجد قرية من قرى جبل آزة تسمى لديهم (ويعان).

ومن أوديتهم (وادي لَحَف) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة - وهو وادي كل من جبلة والسّارة، واسم هذا الوادي: «لحف» على وزن (رحف) قديم ذكره عَرَّام السُّلَيمي، وقال عنه: «وبه عيون»^(٣).

(واادي رخيّم)، وبه قرىتان هما: (القعر) و(الشّرع)، وبأسفله قرية يقال لها

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها، لعَرَّام السُّلَيمي، ص ٣٢.

(٢) ص ٢٦٠ الجزء الرابع، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة.

(٣) المصدر السابق، ص ٥.

(ضرعاء) بها قصور ومنبر وحصو، تشارك فيها هذيلٌ، وعامر بن صعصعة من هوازن، وبني الحارث بن بهثة السلميين^(١).

و(وادي غُران) على وزن (غُرَاب)، وتقع قرية رُهاط في هذا الوادي حيث قال الشاعر:

فَلَمَّا غُرَانًا بَطْنُ وَادٍ أَحَبَّهُ لَسَاكِنُهُ عَهْدُ عَلِيٍّ وَثِيقُ

و(وادي تَضْمُرِي) يعتبر من أهم فروع وادي ستارة.

و(وادي النقيع) من منازل بني سُليم.

وقد حمى رسول الله ﷺ النقيع لحيل المسلمين وركابهم، وكان النقيع شديد الخصب ريّان، ويتبدى من بُرَام.

و(وادي روذ) أو (ذو روذ) - من أودية بني سُليم^(٢).

و(وادي ذات رفر) من أوديتهم أيضًا.

و(وادي الغرنق) من أوديتهم كذلك، وقال ياقوت إنه: موضع بالحجاز.

و(اللولى) من أوديتهم.

ويقابل (وادي الستارة) في ديار بني سُليم، وادي ساية، وعلى كل منهما قرى ومزارع، واسم وادي الستارة: (لَحْفٌ) على وزن (عَرَفٌ)، ومر بنا أن وادي ساية يطلق عليه الآن اسم وادي (وبح)، وبوادي لحف عيون، وفيه قرية جَبَلَة الأثرية التي وصفتها المراجع بأنها من أقدم القرى.

وينقسم وادي الستارة اليوم إلى نصفين: نصف أعلى لبني سُليم، ونصف أسفل لحرب، الأعلى هو الذي بالجهة الشرقية، والأسفل هو الذي بالجهة الغربية.

ومن أوديتهم: وادي (حَقْلٍ) على وزن (عَقْلٍ) وهو من منازلهم، وهو واد كثير العشب، قال العباس بن مرداس السلمي:

(١) المصدر السابق، ص ٢٥ و٢٦.

(٢) كتاب الأمكنة والمياه والجبال، للزمخشري، ص ٨٩.

وما روضة من روض حقل تمتعت عراراً وطبائفاً ونخلًا توائما^(١)
و«حقل» اسم مشترك يُطلق على أماكن في بلاد العرب، فهو من هذه
الناحية مثل (الحجر).

ونلاحظ أن العباس بن مرداس جمع في أبياته التالية بين وادي حقل بديار
سُلَيْم، ووادي حقل باليمن، وقال العباس هذه الأبيات في رثاء أخيه الذي قتلته
خولان في نواحي صعدة بأرض اليمن:

فمن مبلِّغ عوف بن عمرو، رسالة ويعلى بن سعد من ثؤور يرأسه
بأنني سأرمي «الحقل» يوماً بغارة لها منكب حاف تُدوي رلازله
أقام بدور الغور في شرّ منزل وخلىً بياض «الحقل» تُزهى خمائله

فعلى ما أفادنا به ياقوت: إن (الحقل) الأول في الأبيات المتقدمة هو (حقل
صعدة) باليمن، الذي قُتل فيه أخو العباس بن مرداس السُلَيمي وقد تهدد أهله
قاتلي أخيه بغارة شعواء لا تبقي ولا تذر.. فهل نفذ وعيده؟ والحقل الثاني في
الأبيات هو: (حقل بني سُلَيم) ذو الخمائل النضرة، الذي غادره أخوه القتيل
وذهب لسوء حظه إلى حقل اليمن حيث لاقى حتفه.

وفي حقل اليمن يقول الشاعر ابن الدمينه الخثعمي:

وأشتاق للبرق اليماني إذا غدا وأزداد شوقاً أن تهب جنوبُ
وبالحقل من صنعاء كان مطافها كذوباً، وأهوال المقام كذوبُ

ويقول الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد: «حقل» يُطلق على قرية بها نخيل
ومياه وبساتين، وهو بقرب أيلة خليج العقبة، تحت نفوذ المملكة العربية السعودية،
بينه وبين أيلة مسافة قليلة، وكانت حقل ساحلاً لتيماء قديماً، كما أثبتته الكلبي.

(١) يقول الدكتور أوغشت هفير شارح كتاب (النبات والشجر) للأصمعي، عند ذكره (الطباقي) ضمن
نبات جبال السراة، يقول: لم نجد للطباقي ذكراً في كتب اللغة، وها هو ذا العباس بن مرداس يذكره في شعره
ضمن أعشاب وادي حقل، وقد ذكره «القاموس المحيط» فقال: (وطباقي) كزناز: شجر مثابته جبال مكة واقع
للسموم شرباً، وضماً من الجرب والحكة والحميات العتيقة والمنص والبرقان وسدد الكيد، شديد الإسخان
(مادة طبق).. فهل لهذا الشجر علاقة ما بالتنبك الذي اعتاد بعض الناس شربه عن طريق احتراقه؟ نأمل من
كلية العلوم بجامعة الرياض وغيرها أن تبحث هذا الموضوع في معاملها العلمية وتنتشر نتيجة تحرياتها في ذلك.

وكان لعزة صاحبة كُثير، بستان في هذه القرية، وأشار كُثير إلى ذلك بقوله من قصيدة:

سقى دمتين لم نجد لهما اهلا بحقل لكم ياعز قد راننا حقلا

وكان بهذه القرية علماء وفقهاء، منهم: (ابن أعين الحقلی) مولی نافع - رحمه الله، كما حققه ياقوت الحموي - رحمه الله^(١).

فهل (حق) الوادي الذي كان من منازل سُلَيْمٍ، وهو بقرب هذا الساحل؟ أو هو واد يصب في الساحل، أو هو غيرهما؟ أسئلة تحتاج الإجابة عليها إلى مزيد من التحقق العميق، على أن التاريخ قد ذكر لنا أن قيس بن خُزاعي السُّلَمي قد تأمر لقيصر على فلسطين.

و(ذو رُولَان) واد عال لبني سُلَيْم، فيه قرى كثيرة تنبت النخيل، ويقال أيضاً: (ذو وِرْلَان) بكسر الواو المتقدمة على الراء، على ما ورد في كتاب (معجم ما استعجم) للبكري، والوِرْلَانُ: جمع وَرَكٍ بالتحريك، وهو دابة على خلقة الضَّبِّ إلا أنه أعظم منه^(٢).

و(وادي مَرخ) هذا الوادي السُّلَمي قد استُصلِح أخيراً وحفرت به الآبار، وركبت عليها المضخات الرافعة للمياه من الأعماق، ويرى محمد بن صامل العلَيَّاني السُّلَمي - وهو معاصر - أنه ربما كان وادي مرخ هذا هو الذي عناه الخطيئة في قصيدته «الرائية» التي قدم بها أعذاره لعمر بن الخطاب حيال ما اقترفه من هجو بعض كرام الناس، ليعفو عنه، وليطلق سراحه من السجن، يقول الخطيئة العبسي يخاطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرخ زُغِب الحواصل لأماء ولا شجر

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعَرٍ مُّظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ يَا اللَّهُ يَا عَمْرُ

وقد ظهر لي بعد التأمل والمراجعة أن - ذا مرخ - الذي يقصده الخطيئة في آياته السالف ذكرها من الراجح أن يكون غير (وادي مرخ) أحد أودية بني سليم، فما أكثر «اشتراك» أمكنة العرب في الأسماء وذلك للأسباب التالية:

(١) مدائن صالح، للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد، ص ٧٣، طبع دار الطباعة الحديثة بمصر سنة

١٣٩٠ - ١٩٧٠ م.

(٢) أسماء جبال نهامة وسكانها، لعروم السُّلَمي، وتعليقات محققه عبد السلام محمد هارون، ص ٥٨.

أولاً - إن حديث ياقوت في التعريف بـ «مرخ» لا يخلو من اضطراب وعدم تركيز، فقد جزم في مستهل كلامه بأنه «ذو مرخ» بتشريك الراء، وبأنه واد بين فذك والوابشية، خَصِرَ نَصِرُ كثير الشجر، ثم عاد عن هذا الرأي وشكك فيه، حيث قال بعد ذلك: «وقال الحفصي في كتابه: الخارجة قرية لبني يربوع باليمامة، وفيها يمر (ذو مرخ) وفيها يقول الخطيئة - وذكر البيت المتقدم: (ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ)، وأخيراً نرى ياقوتاً يعرض عن كلا الرأيين وينبه على خطأ روايتهما أصلاً فيقول: (والرواية المشهورة: (بذي أمر) وذو أمر، فيما يظن ياقوت هو واد قرب فذك، وهو نفسه ذو مرخ.

ثانياً - إن وادي مرخ بديار بني سُلَيْم لم تكن قبله (ذو)، على أنه من الجائز أنها حذفت لكثرة الاستعمال.

ثالثاً - إن ياقوتاً أورد في «معجم البلدان» أن (ذا مرخ) هو واد باليمن، واستشهد عليه بقول الشاعر:

من كان أمسى بذي مرخ وساكنه قرير عين، لقد أصبحتُ مشتاقاً
أرى بعينيَّ نحو الشرق كل ضحى دأب المقيد منّي النفس إطلاقاً

ويبدو أن هذا اسم واد آخر، فهو من ناحية الاشتراك في الاسم شبيه باسم (حقل)، وقال كثير في (ذي المرخ) الآخر:

بعزة هاج الشوق فالدمع سافح مغانٍ ورسمٌ قد تقادم ما صح
بذي المرخ من ودانٍ غير رسمها ضروب النوى ثم اعتقتها البوارح

(ودان) بلدة قرب الأبواء سكنها الصعب بن جثامة الوداني.

وذو المرخ هذا قال عنه ياقوت: (قالوا في شرحه: ذو المرخ، من الحوراء، وهو في ساحل البحر قرب ينبع، والحوراء خارجة عن ديار بني سُلَيْم، فهي في ساحل البحر قرب ينبع.

رابعاً - وما يجعلنا نميل إلى أن «مرخاً» ليس في ديار بني سُلَيْم، أن البكري في «معجم ما استعجم» يقول في مادة (مرخ): ذو المرخ - بفتح أوله وإسكان

ثانيه، بعده خاء معجمة - موضع كثير شجر المرخ ينسب إليه، وهو مذكور محدد في رسم (حورة) فانظره هناك، ويقول في مادة (حورة): هذا الموضع فيه قُتل هاشم بن حرملة المُرِّي من غطفان، ومعاوية بن عمرو السُّلَمي، «ولية» موضع هناك فيه قبر معاوية بن عمرو السُّلَمي، ثم يقول: «ثم غزا صخر السُّلَمي (أخو معاوية والخنساء) بني مُرة، وهو يوم (حورة الثاني) فأصاب منهم، وقتل دريدَ بن حرملة، وقد قال نصيب في حورة والمرخ:

عفا منقل من أهله فنقيب فسر ح اللوى من ساهر فمريب

فدو المرخ أقوى فالبراق كأنها بحورة لم يحلل بهن عريب

خامساً - يقول الحفصي: إن مرخاً لبني يربوع من تميم باليمامة، وفيها يمر ذو مرخ - أي الوادي - وفيها يقول الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ (البيت)

سادساً - جاء في شرح ديوان الخطيئة لابن السكيت والسكري والسجستاني، (تحقيق نعمان طه) تعقيماً على ما نقله ياقوت عن الحفصي: (ولعله أصاب، فإن أولاد الخطيئة كانوا حين أتى به، في ديار غطفان، وفزارة)^(١)، ومن هذا النص يستبين لنا أن «ذا مرخ» الذي عناه الخطيئة، يقع في ديار غطفان وفزارة، لا في ديار بني سليم، لأنه نصّ على أنهم يقيمون بذئ مرخ ساعة تقديمه قصيدته لعمر، وذو مرخ هذا في ديار غطفان وفزارة، وذلك على ما نص عليه شراح ديوانه المذكورون.

ويقع وادي ساية الذي هو وادي أمج قديماً، ووادي وبح حديثاً - بين حرار سود، ويشق قرية الكامل نصفين على ما شاهدناه في رحلتنا إلى ديار بني سُليم، ويذهب إلى خُلَيْص غرباً، فيروي خُلَيْصاً، ثم يصب في البحر الأحمر - بحر القلزم، ومن هذا ندرك أن مدينة جُدة تفيد من مياه سيول وادي ساية في شرب سكانها، وأن وادي خُلَيْص امتداد لوادي ساية.

ويأتي وادي ساية من شرق (رأس القَرَى) بفتح القاف والراء بعدها ألف مقصورة - فالكامل وطوله نحو (٣٠٠) كيلو متر على ما قيل لنا.

(١) شرح ديوان الخطيئة لابن السكيت والسكري والسجستاني، ص ٢٠٨، طبع مصر.

الإمارة ودوائر الحكومة السعودية؛ بل ولست أدري ولا يدري من سألتهم منهم متى أنشئت هذه القرية؛ ولا من الذي أنشأها على وجه التحقيق المركز؟، قال لي ضيف الله بن هندي السُّلَمي: ربما تكون هذه القرية هي (خيف ذي القبر) الذي يقول فيه عرّام بن الأصمغ السُّلَمي: (وأسفل من ذلك - أي أسفل من خيف سلام أحد أغنياء الأنصار - خيف ذي القبر وليس به منبر، (ربما يقصد جامعاً ذا منبر تُصلّى فيه الجمعة) وإن كان أهلاً وبه نخل كثير وموز وسكانه بنو مسروح وسعد وكنانة وتجارُ أَلْفَاق، وماؤه فُقرٌ وعيون تخرج من ضفتي الوادي كليهما، وبقبر أحمد بن الرضا سُميَ خيف ذي القبر، وهو مشهور به^(١).

وبصرف النظر عن صحة وجود قبر أحمد بن الرضا به أو عدمها، وبصرف النظر عن كون اسمه (محمداً) أو (أحمد) فإن هذا الاسم قد زال من الوجود ولم يعد معروفاً به هذا المكان أو غيره، وربما لو أجريت أحافير أثرية شاملة لجميع المنطقة لبرزت أسرار وحقائق مذهلة، على أنه من باب الاستنتاج غير المؤكد أقول: ربما كان اسم (الكامل) اسماً لشخص معروف لدى الأوائل، نسبت القرية إليه فقليل عنها: (قرية الكامل) ويتوالي السنين، وبسبب الأمية المنتشرة هناك والفتن الدائرة والاضطرابات والقلال التي كانت تتوالى أعاصيرها على هذه المنطقة عبر القرون نسي السكان الاسم المنسوبة إليه القرية، وبقي الاسم عالقاً بالأسنة وحدها حتى اليوم، وربما لو درست «الوثائق» الموجودة لدى بني سُلَيْم دراسة وافية لظهر ما يفتح الطريق المسدود أمام البحث العلمي الذي به يُتوصل إلى معرفة سر هذا الاسم وتاريخه، وربما لو اطلعنا على مراجع أخرى ربما كتبها بعض رجال بني سُلَيْم في عهود انفتاحهم على العلم، لظهر لنا ما هو خفي عنا من أشياء كثيرة، منها سر تسمية القرية هذه بقرية الكامل، وموقع خيف ذي القبر لأنه حقيقة ثابتة إذ تحدث عنه بكل صراحة، عرّام بن الأصمغ السُّلَمي في كتابه، فهو إذن خيف معروف مسكون في زمنه، مُسمًى بهذا الاسم المجهولة لدينا حقيقته اليوم. ونذكر بالمناسبة أن (أشرس بن عبد الله السُّلَمي) قد ولي نيسابور سنة ١٠٩هـ، وتوفي

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه،

سنة ١١٢هـ - ٧٣٠م^(١) كان يُلقَّب بالكامل، وعصره ليس بعيداً جداً عن عصر عرّام السُّلَمي، فإن عرّاماً توفي سنة ٢٧٥هـ - ٨٨٨م، فليس بين وفاتيهما سوى نحو قرن ونصف القرن، ولست أدري: هل لأشرس الكامل علاقة باسم (قرية الكامل) وبينائها أم لا؟

وقرية الكامل كما شاهدتها في ربيع الثاني سنة ١٣٩٠هـ - الموافق ليوينية ١٩٧٠م، هي ذات خيف كبير مجاور لها من النخيل الباسقة الريّانة الغارقة في مياه النبع المجاور لها، وإضافة إلى ذلك نقول: إن أرض قرية الكامل قريبة المياه، وفيها آبار جوفية ليست بعيدة عن سطح الأرض، وهي غزيرة عذبة المياه، وقيل لنا إنها لا تخلو من بعوض «الأنوفيل» ناقل حمى البرداء: (الملاريا) إلى السكان، وقد ارتوتنا من ماء العين ومن ماء البئر، فلم نُصب بأذى والله الحمد مدة مكثنا بقرية الكامل الذي كان يوماً إلا نحو خمس ساعات، وماء النبع بقرية الكامل متدفق إلى بركته الحجرية بقوة ودوي.

وتقوم قرية الكامل على سفح جُبيل (المُجمَر) وهو جبل ليس شامخاً، قائم هنالك، نحاسي اللون، أجرد، صلد الحجارة، حجارتها من نوع حجارة الحرار. وتوجد المستنقعات الكبيرة الرتيبة في داخل حدائق النخيل، حتى في الصيف الحار الذي قدمنا فيه إلى هذه القرية^(٢).

ويسكن قرية «الكامل» من بني سُلَيْم في الوقت الحاضر، وما قبله إلى أمد لا نعلمه - بنو نوال - السُّلَميون وهي مقر أمير منطقة الكامل المنصوب من قبل الحكومة العربية السعودية، ومركز الشرطة، ومركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها مركز للبريد واللاسلكي، ومدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين، ومستوصف، ومحكمة شرعية.

(١) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، ص ٧٧، الجزء الأول، طبع مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م بالقاهرة.

(٢) للإحاطة بوصف مشاهداتنا في قرية الكامل عليك أن تراجع عدد مجلة المنهل الخاص الصادر في شعبان سنة ١٣٩٠هـ، الموافق أكتوبر سنة ١٩٧٠م، تحت عنوان: «رحلة بني سُلَيْم».

الطريق المسفلت، وهذا المقهى بقرية الكامل سقفه من الخشب وهو مزدوج سقف خشبي فوق سقف خشبي، وبين السقفين فتحة واسعة أوجدها صاحب المقهى، ليتسرب منها السموم اللافح في فصل القيظ الكاوي، فيدخل من أي جهة شاء إليها ليخرج منها من الجهة المقابلة، بحيث يُسمع دويه وزفيره وشهيقه المزعج وحده، وتذهب حرارته معه من داخل الفتحة إلى خارج المقهى، وهكذا يبقى المقهى في حالة متوسطة من الحرور بحيث لا يؤدي كثيراً حرور الفصل الملتهب من يكون بداخل المقهى حتى في ساعات هيجان السموم المتقد وإلهابه لجو القرية بأجمعه، وقد نصبت عمداً من أنابيب الحديد للمقهى لتحمل سقفه بقوة واحتمال، أما فرش المقهى فهي من حصير سعف النخيل المنسوج محلياً، وهو ناعم أملس ولطيف وأبيض ناصع البياض.

ومقهى «منم» السُّلَمي تتمثل فيه بعض مظاهر التطور الحديث، فهو يُضاء ليلاً بالكهرباء المنبثقة من ماكينة خاصة جلبها. لهذا الغرض، وفيه ثلاثة يوقد عليها بالغاز، وهو على نُشُرٍ من الأرض ملتصق بالجبل الذي يسنده شمالاً منه، وفي هذا المقهى موقف للسيارات الكبيرة القادمة من جدة ومن مكة إلى ديار سُليم، والذهابة من ديارهم إلى مكة وجدة، وهذه السيارات تنقل أمتعتهم والمنتجات الزراعية وما أشبه بالأجرة.

وشباب قرية الكامل يمارسون لعبة كرة القدم في الأصائل، بالبرّاح الذي يقع بين منطقة المنشآت الحكومية الحديثة وشاطئ وادي ساية.

وقد بدأ التعليم ينشط في سُليم، ففي مدارس بلادهم وفي غيرها من مدارس الحكومة في المملكة كثيرون من أبنائهم متعلمين ومعلمين، حتى إن بعض كبارهم شغفوا بالتعليم فدخلوا المدارس الليلية لمحو الأمية عن الكبار.

ومن قرى بني سُليم الباقية منذ القدم على حالها واسمها قرية (مهّايح) على وزن (مَجَاميع)، ويصف لنا (مؤرخ بني سُليم) عرّام بن الأصيغ السُّلَمي هذه القرية القديمة بقوله: «وهي قرية كبيرة غناء، بها ناس كثير، وبها منبر - أي جامع تُصَلَّى فيه الجمعة - ووال يتناه من قبل صاحب المدينة، وفيها نخل ومزارع، وموز ورمّان

وعنب، وأصلها لولد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وفيها من أفناء الناس - ألوانهم - وتجار من كل بلد^(١).

ويدلنا على عدم «وحدة» الإدارة الحكومية في منطقة بني سلّيم في العهد العباسي أو بعضه الذي كان يعيش فيه عرّام السُّلَمي، ما سجل لنا عنه من أن لعسّان القريبة من قرية خيف ذي القبر صوب الجنوب والياً خاصاً، وأن خيف ذي النعم بأسفل خيف ذي القبر، كان تابعاً لوالي عسّان، وأن قرية مهايع القريبة جدا منهما، كانت تابعة لصاحب المدينة^(٢).

ولأهمية قرية مهايع نرى البَشَارِيَّ (محمد بن أحمد المقدسي) يُعنى بوصفها فيقول: (مهايع نظير جيلة على أودية ساية)^(٣)، والبشاري (٣٢٦ - ٣٨٠هـ) رحالة عربي دقيق الوصف والملاحظات، وقد طاف بالبلاد الإسلامية وألّف عن رحلاته إليها كتابه المعروف: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وعاش بعد عرّام بواحد وخمسين عاماً.

وتقع قرية مهايع بأسفل وادي ساية، في الشمال من قرية الكامل، وبمقربة منها.

ومن قرى بني سلّيم في وادي ساية: (قرية الفارع) بأعلى وادي ساية، يقول عنها محمد بن صامل العكّياني السُّلَمي: (روى لنا ياقوت الحموي أن الفارع قرية في أعلى وادي ساية، وما زالت تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، وبها مدرسة ابتدائية) وينقل لنا محمد بن صامل قول ياقوت: (إن فيها - أي في الفارع - تجاراً من كل بلد) ويُعلّق عليه بقوله: (ولا يزال فيها كثير من الحضارمة يمتنون التجارة، وغيرهم من عشائر حرب الذين امتزجوا مع سكان هذه المنطقة).

ونُعلّق على تعليقه من ناحية المراجع، بأن عرّاماً السُّلَمي كان قد سبق ياقوتاً إلى التعريف بقرية الفارع، حيث قال عنها: (فاعلاها - أعلى قرى وادي ساية -

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها، لعرّام السُّلَمي، ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥ و ٣٧.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٨٠، ط بريل بليدن، ١٩٠٦م.

قرية يقال لها الفارح بها نخيل كثير، وسكانها من كل أفناء (ألوان) الناس، ومياهاها عيون تجري تحت الأرض، فُقِرُّ كلها^(١).

وهناك قرى أخرى في وادي ساية: (شوان، والسبعان، والمضحاة، والمثناة، وخيف الجنة، وخيف السرحان، وخيف الزاجعة، وخيف الزاجر، وخيف العقلة، وخيف العرقة، وخيف اللصب)، وبهذه القرى بساتين النخيل والمزارع التي تثمر الفواكه من موز ورمّان وعنب، وكلها تسقى من الآبار^(٢).

ومن قراهم في وادي ستارة: (قرية جبلة) على وزن (عربة)، وجبلّة من الأسماء المشتركة ببلاد العرب، وفي جبلّة السُّلَمِيّة يقول عرّام الأصبغ السُّلَمِيّ: (ويطيف بذرة، قرية من القرى التي يقال لها جبلّة في غريبه، ويزعمون أن جبلّة أول قرية اتُّخذت بتهامة، وبجبلّة حصون منكورة مبنية بالصخر لا يرومها أحد)^(٣)، وقال عن ذرة: ذرة هي: جبال كثيرة ضعاضع ليست بشوامخ، في ذراها المزارع والقرى، وهي لبني الحارث بن بُهثة بن سُلَيْم، وزروعها أعذاء، ويسمون الأعذاء: العثريّ، وهو الذي لا يُسقى، وفيها مدر وأكثرها عمود، ولهم عيون (ماء) في صخور لا يمكنهم أن يُجروها إلى حيث يتفغنون^(٤).

ويصف (جبلة) المواطن السُّلَمِيّ المعاصر محمد بن صامل العليّاني بقوله: (إنها تقوم على شعب منخفض ضيق يبعد عن قرية السُّلَيْم بحوالي ستة كيلو مترات وتقوم به الأطم والحصون المتهدم بعضها فوق بعض، واكتشفت بها آبار عادية مطوية بالحجارة، ومياهاها صالحة للشرب وهي نقية مائة بالمائة، والماء قريب من سطح الأرض، وفي موضع من شعبها يوجد الماء ظاهراً على سطح الأرض، ولم يعهد أن غار في أيام القحط الشديدة، إذ تنضبُ العيون وتغور المياه في الآبار العميقة ويبقى هو على حاله)، ويقول: (وبحصون جبلّة ومقبرتها الكبيرة التي تقدر بعشرات الآلاف من الأمطار آثار كثيرة منها الكتابية، وما عُثِر عليه منها حتى الآن كله إسلامي، إذ تبدأ ببسم الله، والحمد لله، وشهد الله وهو خير الشاهدين،

(١) كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ٣٤.

(٢) تحقيق أمكنة في الحجارة وتهامة للمؤلف، ص ٦، طبع مطابع الأصفهاني بجدة.

(٣) أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ٤٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (مادة ذرة).

(٤) أسماء جبال تهامة، ص ٢٣.

بكثير، وبها القصر الأثري العظيم المبنى بالحجارة، والبالغ ارتفاعه نحو أربعة أمتار، وهو مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع منه سبعين متراً، وبداخله ثلاثون حُجرة تتوسطها أرض فسيحة فيها بئر مطوية للشرب، ثم مَبْنَى يطوف على الغُرف وبه فتحات لفوهات البنادق، وليس له إلا مخرج واحد ذو ثلاثة أبواب، واحد بعد الآخر، وهو في ربوة القرية ونُزلتها، وبالقرب منه آثار حصون قديمة عليها كثير من الكتابات الأثرية المنقوشة على الصخور، ويقابله في قرية الشعبة على طرف الحرة حصنٌ عظيم البناء، صغير الحجم ليس به غُرف متعددة ولا ماء، وهو متهدم بقي منه الجانب المواجه له، وبالقرية أكثر من عشر مقابر بعضها مندرس مما يدل على كثرة سكانها قديماً^(١).

ولست أدري (قرية السُّلَيْم) هذه هي التي قال عنها عَرَامُ السُّكْمِي: (ثم خيف السلام - بتشديد اللام وتخفيفها - والخيف ما كان مجنباً عن طريق الماء يمينا وشمالاً متسعاً، وفيه منبر، وناس كثير من خُزاعة، ومياهاها فَقْرٌ أيضاً، وباديتها قليلة، وهي جُسَمٌ وخُزَاعَةٌ وهُدَيْلٌ، وسَلَامٌ هذا رجل من أغنياء هذا البلد من الأنصار^(٢)) وقد علق محقق كتاب عَرَام: الأستاذ عبد السلام محمد هارون على ما ذكر بقوله: ويقال - سلام - بتخفيف اللام في قول، ذكره ياقوت في رسم (لُؤَيَّة). ومبراجعتنا لمادة (لوية) في معجم البلدان لياقوت وجدناه يقول: (لُؤَيَّة): تصغير (لِيَّة) من لوى يلوي: موضع بالغور من قرب مكة دون بستان ابن عامر في طريق حج الكوفة كان قَفْرًا - مقفراً - فلما حج الرشيد استحسن فضاءه فبنى عنده قصراً، وغرس نخلاً في خيف الخيل، وسماه «خيف السلام» وفيها يقول بعض الأعراب:

ولا بفناء البستان ناراً ولا سُكناً
أرادوا وبالأمن لُويّة أو طعنا
وقد عُميت أخبار أوجههم عنا
ولكن سلامُ الله يتبعهم منّا
وواكدي! قد فُتّت كبدِي «تُكُنّا»

خَلِيلِيَّ مَالِي لَا أَرَى بِلُؤْيَةٍ
تَحْمِلُ جِيرَانِي وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُمْ
أَسْأَلُ عَنْهُمْ كُلَّ رَكْبٍ لَقِيْتَهُ
فَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ أُمُّوا تَبِعْتَهُمْ
وَيَا حَسْرَتِي فِي إِثْرِ «تُكْنَأ» وَلَوْ عَتَى

(١) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥ و ٣٦.

وقد لاحظت أن هناك «تبايناً» بين كلام عرّام وكلام ياقوت في أصل «خيف السلام»، فعرّام يقول: إنه منسوب إلى «سلام» رجل من الأنصار، وياقوت يقول: إنه اسم وضعه على الخيف بانيه وباني قصره: هارون الرشيد وسماه خيف السلام.

وكل واحد من قرية جبلة والسُّلَيْم وشعب القرية تقع في وادي ستارة، وكلها قريبة من خط الأسفلت السريع بين مكة والمدينة المنورة. وفي قرية السُّلَيْم أقيمت أولُ مدرسة في ديار بني سُلَيْم، وبها قصر للإمارة، ومستوصف صحيّ.

ومن قرى بني سُلَيْم في وادي ستارة: قرية البرهميّة، وقرية المخمرة، وقرية المُسمّاة، وقرية المديد، وقرية المعالي، وقرية الأبيار، وقرية الديسية ذات البساتين الجميلة وحقول المزارع والخضروات.

وبوادي ستارة ثلاث مدارس ابتدائية: نهارية وليلية.

ويقدر سكان وادي ستارة بنحو عشرين ألف نسمة، ويعملون في الزراعة والرعيّ.

وكان أمير عامة بني سُلَيْم في أوائل العهد السعودي الحاضر: عبد الله بن يابس، وكانت إقامته بمكة المكرمة ومنها يدير شئون الإمارة، ولعله لبعد مقامه عن مكان إمارته لم يتمكن من إصلاح شؤونهم أو إدارتها على النحو المرضي، ثم أُتْبِعَتْ منطقتهم لإمارة مدرّكة ردحاً من الزمن، إلى عام ١٣٧٥هـ حيث أنشئت لهم إمارة مستقلة بداخل منطقتهم.

وتُعرف الآن ديار بني سُلَيْم رسمياً بإمارة منطقة الكامل، نسبة إلى أكبر قرى وادي ساية؛ أقرب أوديتهم ومنازلهم إلى مدينتي جدّة ومكة.

ومن قراهم: قرية الحجر، ذكرها القاموس المحيط في مادة (حجر).

تقسيم حديث لديار بني سُلَيْم:

أولاً: منطقة وادي ساية، أقرب المناطق إلى مكة وجُدّة، وفيها أكثر من أربعين قرية، وكثير من العيون والآبار التي تسقي حدائق النخيل؛ وتقدر نخيلها

بنحو ١١٥ ألف نخلة، ويُقدَّر سكان وادي ساية بنحو ٣٠ ألف نسمة يشتغلون بالزراعة والتجارة، وتمور وادي ساية من أحسن التمور وهي بيضاء اللون يابسة. وتزرع في وادي ساية كافة الخضروات، وبه من الفواكه: المور والليمون، وبوادي ساية ثلاثة فروع مملوءة بالقرى والمزارع وهي: وادي شوآن، ووادي الشبعان، ووادي وِبح، وعاصمة منطقة بني سُليم كلها الآن (قرية الكامل) كما قدمناه.

ثانياً - منطقة وادي ستارة: وادي ستارة وادٍ طويل، ينبع من أواسط حرة بني سُليم، ولكل جزء منه اسم يعرف به، ويعرف أسفل الوادي (بُقْدِيدٌ على وزن عُمِير)، وفي ستارة أكثر من عشرين قرية، أسفلها قرية (الفَلَيْتَة) وأعلىها قرية (البرَهْمِيَّة)، وأهمها الآن (قرية السُّليم)، وهي مركز قرى وادي ستارة، وهناك قرى أخرى هي: قرية المخمَّرة، وقرية الفُروف، وقرية المُسمَّاة، وقرية المعالي، وقرية الشعبة، وتقابل من الشمال قرية السُّنيم، وقرية الديسية بقرب قرية الشعبة، وقرية الأبيار، وقرية المديد.

وفي قرية السُّليم وحدها ما ينيف على عشرة آلاف نخلة، وقد تقاصرت عينها عن إرواء الأراضي البيضاء الواسعة هناك، فأصبحت هذه الأراضي الخصبة بوراً. وبقرية السُّليم آثار مر ذكرها، ومن أهمها القصر الأثري المبني بالحجارة، وقد كنت قبل أن أطلع على ما أورده ياقوت الحموي عن بناء الرشيد في حجه قصراً بأرض بني سُليم سماه (خيف السلام) كنت قدَّرت وسجَّلت في مسوِّدة هذا الكتاب أن القصر الذي وصفه محمد بن صامل بقرية السُّليم قد يكون قصراً بُني في عهد العباسيين، ثم أُدخلت عليه تحسينات فيما بعد، ومنها هذه الفتحات لفوهات البنادق التي قدَّرت أنها - بدون ريب - مما وضع بعد عهد العباسيين في الزمن الذي استعملت فيه البنادق في الحروب، وذلك عهد جاء بعد انقضاء عهد العباسيين بعدة قرون.

ثالثاً - منطقة ذَرَّة: سبق أن عرَّفنا (ذَرَّة) حسب ما أفادنا به عرَّام، وفي ذرة من الشجر: العفار، والقرظ، والطلح، والسدر، والنشم، والتَّالِب. وتعمل القسي والسهام قديماً من شجر النشم وهو خيطان لا ورق له، (ومعنى «الخوط» لغة: الغصن الناعم)، والإثرار له ورق الصعتر وشوك كشوك الرمان، ويقدح ناره إذا كان يابساً فيقتدح سريعاً، والعفار وورده أبيض طيب الرائحة كأنه السوسن.

رابعاً - (منطقة شمال المدينة المنورة) منها برمة، قال معجم البلدان أنها من بلاد بني سُلَيْم وحددها ابن حبيب بأنها (عرض من أعراض المدينة قرب بلاكت بين خيبر ووادي القرى).

هذا، ومما تحسن الإشارة إليه - تاريخيا واجتماعيا - أن الأمن والاطمئنان كانا مفقودين في ديار بني سُلَيْم قبل العهد السعودي الحاضر، فقد كان الاغتيال والقتال معتادين فيها لأسباب موجبة وغير موجبة، كما أن مرض حمى البرداء - الملاريا - منتشر فيها بكثرة، لكثرة المستنقعات المتكونة من كثرة مياه المنطقة وعدم تصريفها أو تعقيمها صحيا، كما أن الطرق إلى بلادهم وبداخلها كانت في متهى الوعورة لأنها بين حرار وجبال، وكانت الأمية سائدة في ربوعهم فلا مدارس ولا متعلمين ولا معلمين. وقد عُنيت الحكومة السعودية بإصلاح أحوالهم، فأزالت عوامل الفتن والشغب فيما بينهم وبين بعضهم، وفيما بينهم وبين جيرانهم، وعُنيت بالأسباب الصحية فأنشأت لهم مستوصفات صحية، وعبّدت الطريق الرئيسي إلى بلادهم بالمداحل «الدركترات» حتى قرية الكامل، وفتحت لهم المدارس ليتعلم فيها أبناؤهم وكبار السن منهم، وأوجدت لديهم مقر شرطة لاستتباب الأمن، وكونت لهم إمارة خاصة بهم وفي منطقتهم، فساد الهدوء وانصرف الناس إلى ما يصلح شؤونهم ومعاشهم، وأنشأت لديهم هيئة الأمر بالمعروف تنهدهم وترشدهم إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم.

وقد أعطانا شاعر بني سُلَيْم المعاصر: (محمد الجبرتي) صورة شعرية ناطقة لعدوان البعوض الناشئ والمتنامي من البرك والمستنقعات التي تُخلفها الأمطار والسيول والعيون - عليه، وذلك في قوله من الشعر العامي الملحون المعروف بـ «الحميني» والنبطي:

البارحَ الناموسُ سرى عليه	جانني بقوائمه وقومَ لظيئه
سهران حتى الصُّبح توحى يديه	وأصبحتُ من فعل النواميس سهران

و(الناموس) هنا بمعنى (البعوض)، ومن لازمه البعوض طيلة ليلته فلا غرو أن لا ينام وأن يقلق للساعات ولذعاته، ثم لا يأمن أن تزوره بعد ذلك حمى

البرداء والعياذ بالله، فعسى أن تزول هذه الأسباب المؤذية فيرتاح سكان ديار سُليّم من لذعات البعوض، بتصريف مياه المستنقعات لديهم وتعقيمها والفتك بها بمبيدات الحشرات والمطهرات بصفة مستديمة.

آثار في ديار بني سُليّم

ديار بني سُليّم الأصلية، من أقدم الديار المعروفة في جزيرة العرب منذ الجاهلية القريبة من الإسلام حتى اليوم، وقد وصفت هذه الديار بالخصب في التربة وبالأثار العمرانية، ففي جبلة ذكرُوا أنه كانت حصون منكرة، وفي قرية السُّليّم، وفي غيرها كذلك.

وقد كنتُ كتبتُ في كتاب: «بين التاريخ والآثار» عن بعض الآثار التي عُثر عليها في ديارهم وهي عبارة عن صخور منقورة بخط عربي إسلامي قديم، وأحد هذه الصخور - وهو أهمها - أمرٌ من الخليفة العباسي المقتدر إلى وزيره علي بن عيسى بن داود، وهو حجر بيت الله الحرام، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٠٤ للهجرة، وبمطابقتي لما في هذا الأثر مع ما ورد في التاريخ وجدتُ التاريخ المكتوب على الأوراق مطابقاً لما ورد في الحجر المنقور بالأزميل، وقد قرأت هذا الحجر وشرحت هدفه، ونشرت كل ذلك في كتاب: (بين التاريخ والآثار) من الصفحة ٥١ إلى الصفحة ٥٩، ولا بأس من إعادة نشر حله هنا مرة أخرى:

«أمر عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، إلى الوزير أبا الحسن علي بن عيسى أدام الله عزه، بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله، لما رجا من جزيل ثواب الله، وجرى على يد القاضي محمد بن مرتضى أعزه الله، وثق له ذلك أحمد بن عبد العزيز البقي، ومصعب بن جعفر سنة أربع وثلاثمائة للهجرة».

وقد كنت قد ذكرت في الكتاب المشار إليه آنفاً أن هذا الحجر وجد بمنطقة بني سُليّم، وأخيراً اطلعت على صورة لهذا الحجر نفسه في كتاب تويتشل الموسوم بـ «المملكة العربية السعودية» ترجمة الأستاذ شكيب الأموي، وهي مماثلة للصورة

التي كنت أخذتها له تماماً، وقد أيد تويتشل ما ذهبتُ إليه من أن الحجر قد وجد بمنطقة بني سلّيم فقال ما نصه: (وجدت هذه اللوحة الحجرية - وجد هذا اللوح الحجري - بما عليها - عليه - من نقوش كوفية في نفايات منجم «مهد الذهب» القديم). كما أيد بطريق إجمالي موجز الحلّ الذي حللت به النقوش، فقال عنها: (وكانت عبارة عن أمر تنفيذي لبناء طريق رئيسي للحجاج للتنقل بين بغداد ومكة^(١)).

كذلك هناك أثر آخر جاء به إلى جدة الأخ (مبارك عبد التواب السلّمي) من مقبرة جبلة الكبيرة التي يقول عنها عرّام السلّمي: (ويزعمون أن جبلة أول قرية اتخذت في تهامة، وبجبلة حصون منكورة مبنية بالصخر لا يرومها أحد)^(٢).

وهناك آثار نقدية ومعدنية وأوان ومجاري مياه تحتاج إلى مزيد من التحقيق، ولا بد أن باطن أرض المنطقة مليء بالآثار المتخلفة عن السكان والحفر عنها يكشف أسرارها، وربما كشف أسراراً أخرى ذات أهمية كبيرة للحضارة الإسلامية لا تخطر لنا الآن على بال.

(١) المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، تأليف ل. س. تويتشل، ومساهمة إدوارد ج. جورج، ترجمة الأستاذ شكيب الأموي، ص ٩٦ و ٩٧، طبع دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه بالقاهرة سنة ١٩٥٥ م.

(٢) كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، لعرّام السلّمي، ص ٢٥.

بنو سُلَيْمٍ أصولاً وفصولاً وهجرات وتنقلات

يقول محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري في كتابه: (لسان العرب) ما نصه: «والنسبة إلى بني سُلَيْمٍ وإلى سَلَامَةَ: سَلَامِيٌّ» - راجع مطبوعتي بولاق بمصر سنة ١٣٠٣هـ، ودار صادر في بيروت (١).

ومعنى ما ذكر أن النسب إلى صيغتي «سُلَيْمٍ» و«سَلَامَةَ» هما شيء واحد: (سَلَامِيٌّ) لا «سَلْمِيٌّ»، و«سَلَامِيٌّ» كما يتبادر إلى الذهن ويتفق مع سير القواعد والوضع اللغوي المعروف نسبة إلى «سَلَامَةَ» لا إلى «سُلَيْمٍ».

ويبدو لي أن ربما كان هناك «بَتْرٌ» في مطبوعتي لسان العرب المشار إليهما، وآية ذلك هي النص الذي أنقله لك من «تهذيب اللغة» للأزهري، قال: «وينسب إلى بني سَلْمَةَ: سَلْمِيٌّ، وإلى سُلَيْمٍ: سَلْمِيٌّ، وإلى سَلَامَةَ سَلَامِيٌّ» (٢).

ومحل البتر المرجح وقوعه في مطبوعتي «لسان العرب» هو بعد قوله: «والنسبة إلى بني سُلَيْمٍ»، وإذا صح هذا التقدير المدعوم بما ورد في «تهذيب اللغة» يكون الناسخ أو الطابع الأول الذي نقل عن النسخة الخطية قد حذف كلمة «سَلْمِيٌّ» عقب جملة: «والنسبة إلى بني سُلَيْمٍ». . . كما حذف بعدها: والنسب إلى سَلَامَةَ. . . وبهذين الحذفين تداخلت نسبتا «سُلَيْمٍ» و«سَلَامَةَ» فصارتا: «سَلَامِيٌّ» حسب النص المطبوع، وكان من المناسب أن تتميز صيغتا النسب إلى «سُلَيْمٍ» وإلى «سَلَامَةَ» فيفرد «السُلَيْمِ» صيغة النسب التي هي: (سَلْمِيٌّ) ويفرد لسَلَامَةَ صيغة النسب الأخرى التي هي: «سَلَامِيٌّ»، ومع وضوح هذا الأمر ووجود ما يدعمه في موسوعة «تهذيب اللغة» للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) فإنني لست بجازم بوقوع الغلط النسخي أو المطبعي المذكورين آنفاً، وأرى أن يقوم بتحقيق أوسع لهذه المسألة - العلماء اللغويون لإثبات بما يميّط اللثام عن الموضوع من كل نواحيه.

(١) لسان العرب «مادة سلم» في مطبوعتي بولاق الأميرية بمصر، سنة ١٣٠٣هـ، ودار صادر

بيروت.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠هـ)، الجزء الثاني عشر، ص ٤٥٣، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة بمصر..

وقبيلة سلّيم بن منصور، تنتمي إلى قيس عيلان بن مضر، وقد ظهرت على صفحات التاريخ العربي كقبيلة ذات كيان مرموق ومكانة مقدرة في نحو منتصف القرن السادس الميلادي^(١).

ويعطينا «ابن خزم» في كتابه: (جمهرة أنساب العرب) تعريفاً لنسب بني سليم، وتراجع موجزة لكبار رجالاتهم في الجاهلية وصدر الإسلام، مع سلاسل أنساب بطونهم وعماراتهم، وأحداثهم الكبيرة وزعمائهم وصحابتهم وشعرائهم وأبطالهم وقادتهم^(٢).

هذا، وقد ذكر الدكتور جواد علي، بني سليم في كتابه: «تاريخ العرب قبل الإسلام» ونسبهم كما نسبهم ابن حزم الأندلسي في «جمهرته» وقال: (كان لهم صنم يقال له «ضماذ» كان عند مرداس والد عباس بن مرداس، فلما توفي مرداس وضعه العباس في بيت يتعبد له، فلما ظهر الإسلام أسلم وأحرق ذلك الصنم) (٣).

وقد نزل بالأندلس، كثير من قبائل قيس عيلان من مُضَر من العدنانية، ومن هؤلاء من يتنسب إلى سُلَيْم بن منصور، كعبد الملك بن حبيب السُلَيمي، وكالقاضي أبي حفص بن عمر السُلَيمي قاضي قرطبة (٤).

كما نزل بإفريقية من بني سلّيم: بنو الشريد، وكانت لهم صولة وشوكة. وبنو رِغْب بن مالك بن بُهْثة كانوا بين الحرمين، فصاروا إلى إفريقية في جوار إخوانهم بني ذُبَاب بن مالك، ثم صاروا في جوار بني هيب.

ومنازل بني ذباب من بني سُلَيْم^(٥) في أفريقية بين قابس وبرقة، وهم ببرقة بجوار بني هيب، ومنهم بنو سليمان بن ذباب في جهة فزان وودّان.

(١) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية بمصر)، ج ١٢، ص ١٤٤، نقلا عن مصادرها العربية والإفرنجية المدونة في هامش هذا البحث.

(۲) انظر عنها في فصل قول ابن حزم عن سُلَيْم بن منصور وسبق ذكره.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام، م٤، ص٣٢٣ - ٣٢٤.

(٤) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ص ٢٧٢، المجلد

الأول، طبع مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٦٥-١٩٤٨م.

(٥) في معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة، ص ٤٠٨، طبعة دمشق -: (ذباب بن مالك: بطن

من بني سُلَيْم بن منصور كانت منازلهم ما بين قابس وبرقة).

ورؤساء بني ذباب في عصر المقرزي - القرنين: الثامن والتاسع الهجريين - كانوا ما بين طرابلس وقابس وييتهم - رياستهم - بنو صابر، والمحامد بنواحي قابس وييتهم في بني رحاب بن محمود.

وبنو عوف بن بُهثة السُّكْمِيُّونَ منازلهم ما بين قابس وبلد العناب، وهم: مرداس، وعلاق.

وبنو هيب بن بُهثة، إخوة عوف بن بُهثة، منازلهم في إفريقية، ما بين السدرة من برقة إلى حدود الإسكندرية، وبنو أحمد منهم بإجدابية ولهم عدد ويرجعون إلى شماخ، ولها العز في هيب.

ومن هيب: شماخ ومحارب ورياستهما في عزاز. ولهيب في سلّيم عزة، لاستيلائها على إقليم طويل، خرّبت مُدُنُه، وصارت ولايته لأشياخهم، وتحت أيديهم خلق كثير من البربر واليهود، وفيهم طائفة الأبطال الأنجاد، والإمارة فيهم في أولاد عزاز بن مقدم، وكان مزيد بن عزاز جليل القدر معظمًا في الدولة.

وبنو زید، وحمدان، وزیدان - کلہم کرام اماجد.

وبنو مُعَزَّ، وعمير ومنهم عُلَويُّ بن إبراهيم بن عزاز، وسلطان بن زيان بن عزاز، وعمر بن مشعل بن عزاز، وجماعة بن مليح المنصوري، أصحاب غازي بن نجم، وعليان بن عريف، ويليوش - وكان قد هرب من السلطان الملك الظاهر بيبرس، فلحقه الجيش وأخذوه أسيراً، فاعتقله مدة ثم أفرج عنه، وهو والد زيد ابن يليوش.

وعربان البحيرة في الأيام الناصرية (محمد بن قلاوون) فيهم فايد بن مقدم،
وخالد بن سليمان، وكانا أميرين سيدين ذَوِي كَرٍ وأمن (وأمر) وشجاعة^(١).

أما بنو سُلَيْمٍ في مصر، فقد مر بنا أنهم استوطنوا - في زمن هشام بن عبد الملك الأموي بيليس وتكاثروا بها.

ويروي لنا الدكتور عبد المجيد عابدين أن بني سُليم بعد ما أقاموا في بلاد المغرب إثر نزوحهم الجماعي إليه، أخذوا بعد بضعة قرون يعودون إلى مصر في موجات متتالية حيث قال :

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، للمقريزي، ص ٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١، طبع القاهرة.

«وتُعدُّ هجرتهم في القرن الثامن عشر الميلادي الموافق للقرن الثاني عشر الهجري من أكبر الهجرات العربية التي وُغدت إلى مصر من طريق الغرب، فملأوا الصحراء الغربية، وبعض جهات من دي النيل، وإلى الآن يتسبب جميع العرب الساكنين على الساحل غربي الإسكندرية، إلى بني سُليم هؤلاء».

ثم فصل لنا بطونهم بمصر فقال: «والمعظم فروع بني سليم تنتمي إلى السعادي، وهم من أولاد أبي الليل، من سُلَم بن منصور، من القبائل العربية القيسية، ويتفرع السعادي إلى بطون أهمها:

(أ) البراغيث (أبناء برغوث) ومنهم الفوائد، (ومنهم أسرة لموم) والرماح (ومنهم أسرة الباسل) والجبارنة (ومنهم الجوازي أولاد أبي جازية)، وقد انتشرت هذه البطون من غرب الإسكندرية إلى مديريات الفيوم والمنيا وبني سويف.

(ب) العقاقرة (أبناء عَقَّار) ومنهم الحرابي، وأولاد علي، والهنادي، وبنو عون، والجبالية، وقد انتشروا في أرض الدلتا شرقًا وغربًا، وبعض مناطق الصحراء الغربية، وكان بين الهنادي وأولاد علي معارك في البحيرة.

وفي زمن الاحتلال البريطاني حيل بين عرب مصر في البادية وبين مناطق المناجم، ومنعوا من الوصول إلى مناطق النفط في الصحراء، وأخيراً قُتحت الصحراء للمشروعات المعدنية والزراعة^(١).

هذا، وقد عدّ لنا أبو العباس أحمد الفزارى القلقشندي أفضاء بني سليم المقيمين في عهده ببرقة، فقال: (أخبرني مخبرون من غيرها بعدة أحياء منهم وهي: أولاد حرام، وأولاد سلام، والبركات، والبصرة، والبلايس، والجواشنة، والحدادة، والحوثة، والدروع، والرفيعات، والزرارير، والسوالم، والسبوت، والشرابعة، والصريرات، والعواكلة، والعلاونة، والموالك، والنبلة، والندوة، والنوافلة، والرعاقة، والبواجنة، والقبايص، وقطّاب، والقصاص^(٢)).

(١) تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين، على كتاب (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب)، ص ١٦٧ - ١٧٢، طبع مصر.

(٢) (فلاند الجمان في التعريف بقبائل الزمان) للقلقشندي، ص ١٢٦، طبع القاهرة.

أما عرب سُليم في بلاد الجزائر: فكانت عوف من سُليم تجاور رياحاً (من هلال) على حدود عمالة قسنطينة وتبلغ ناجعتها نواحي بونة (عنابة)، ولها بطنان: مَرْدَاس، وعَلَّاق. ومن عَلَّاق: حِصْن ويحي، ومن حِصْن: حكيم وبنو علي، ومن يحيى: الكعوب (بنو كعب)، ومن الكعوب: أولاد مهلهل، وأولاد أبي الليل، ومن أولاد أبي الليل: الأعشاش، واشتهر من شيوخ حكيم: أبو زيد بن عمر بن يعقوب، وابنه خليفة، ومحمد بن مسكين، وخليفة ابن أخيه، وكان منهم أول القرن التاسع الهجري الشيخ الم رابط أحمد بن صعنونة بن عبد الله بن مسكين^(١).

ويُفهم من فحوى أبيات لأشجع السُّلمي أن جالية سُلمية كانت تقيم ببغداد في أيامه وكان ركنها ومرجعها هو أحمد بن يزيد السُّلمي الذي توفي في جرجان. وبعد فإن من ذكرناهم فيما سلف، هم أحياء قبيلة بني سُليم في الجاهلية والإسلام، حتى القرن الرابع عشر الهجري الذي نعيش الآن في عقده الأخير وجميعهم ممن نرحوا عن ديارهم الأصلية بين الحرمين مكة والمدينة. وفيما يأتي نثبت أسماء أحيائهم المقيمين اليوم ومن قبل اليوم فيها صُعداً، إلى وقتٍ لا نعلمه الآن بالدقة.

وهناك ظاهرة اجتماعية لا بد لي من الإشارة إليها هنا، وقد تكشفت لي أثناء دراستي لسلاسل أنساب بني سُليم وغيرهم من القبائل العربية، وتلك الظاهرة هي أنه بطول الزمن وتتابع القرون وتعاقب الأجيال كثيراً ما يحدث «تَغْيِيرٌ» في أسماء الأفعاذ والأحياء والبطون القبلية، فينتسب كل جيل أو أجيال متقاربة في الزمن

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحاضر، الشيخ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المجلد الثاني، طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، ص ٢٧٠ و ٢٧١.

إلى الجدد أو العم الذي هو أقرب إلى المتتبعين إليه ممن سبقوه من الأجداد أو الأعمام، وذلك حسب المعارف عليه، وحسب الظروف والمناسبات.. وتستمر النسبة إلى هذا الجد أو العم أو غيره إلى ما شاء الله، حتى يأتي من الأسباب والظروف ما يُحِلُّ محله شخصاً آخر، فيُعزَى إليه الفخذ أو البطن أو الحي.. وهكذا دواليك، فمتتبع أنساب العرب أو الأعراب بأدق تعبير يجب عليه أن يضع في ذاكرته هذه الظاهرة وأن يلاحظها فيما يُدَوِّنُهُ من أنسابهم، حيث يجد «تغيراً» ملحوظاً واضحاً في أسمائهم الشاملة لهم، بين كل فينة وأخرى، على أن اسم القبيلة الأصلي التي ينتمي إليها الجميع يبقى معروفاً لديهم ويتسبون إليه جميعاً، وبه تعرف مجموعاتهم المختلفة في الأسماء الفرعية.

وهناك ظاهرة اجتماعية أخرى لا بد لنا أيضاً من ذكرها، وهي أن كثيراً من سلاسل أنساب العرب، خاصة في القرون التي تلت القرن الهجري الخامس - في تقديرنا الخاص - كثيراً ما يعترها السهو والبتر والنقصان، لأسباب عديدة، منها صعوبة محافظة الأجيال على تدوين أسماء الأباء بدقة كاملة، وفي سمط متسلسل كامل الحلقات طيلة القرون المتوالية، وتحت وطأة تقلبات الظروف والهجرات والأزمات العنيفة، والاضطرابات الداخلية والخارجية التي تهب أعاصرها بين كل حين وآخر، وهَبَّ أن بعضهم تمكن مع ذلك كله من تدوين سلسلة نسبه كاملة وبدقة، فإن الاضطرابات والحروب والمعارك قد تحتاج المستندات وتفقدتها، فيضيع بذلك كل الجهد الذي بُذِلَ في المحافظة على عمود النسب، وهذه الظاهرة قد حدثت لرائد علم الاجتماع: (ابن خلدون) فسجَّلَ على نسبه هذا النقص الذي لاحظته فيه حيث قال عن نسبه: (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون - لا أذكر من نسبي إلى ابن خلدون غير هؤلاء العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر،

وأنه سقط مثلهم عددًا، لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة) كما سيأتي بيانه^(١).

واعتقد أن هذه الظاهرة قد شملت أيضًا نسب عبد الرحمن الأنصاري، مؤلف كتاب «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب»، فهو من أهل القرن الهجري الثاني عشر، وقد سلسل نسبه حتى وصل به إلى أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله ﷺ، وقد عد آباءه إليه واحدًا وعشرين أبًا فقط^(٢)، وحيث إن الزمن الذي بين عبد الرحمن وأنس بن مالك هو أحد عشر قرنًا، فعلى قاعدة (أبي علم الاجتماع) عبد الرحمن بن خلدون - التي طبقها على سلسلة نسبه: يُحسب لكل مائة عام ثلاثة آباء، وهذا أقل ما يحتمل، وعلى هذا الترتيب يكون بينهما ثلاثة وثلاثون أبًا، لا واحد وعشرون أبًا فحسب كما ذكر.

وأسماء أحياء بني سُليم وبطونهم المقيمين اليوم في بلادهم الأصلية بين الحرمين الشريفين قد كنت تلقيتها من حسين بن هندي السُّلمي، رئيس «قرية الكامل» أم قرى بني سُليم الآن، ومقر الإمارة في منطقتهم، والتي هي أقرب قراهم وديارهم إلى مكة وجدة اليوم.

كتب لي حسين بن هندي السُّلمي، أسماء أحياء هؤلاء السُّلميين وبطونهم المعاصرين في ورقة وقعها بيده باسمه، ثم تلوتها عليه زيادة في التوثق والتأكد، فأقرها، وهذه هي أسماء أحيائهم وبطونهم بموجب ما حوته تلك الوثيقة:

(١) التعريف بابن خلدون، لابن خلدون ص ١، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.
(٢) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ص ٢٧، طبعة الشركة التونسية لفنون الرسم في يونيو ١٩٧٠م، ص ٧، تحقيق الأستاذ محمد العروسي المطوي بتونس.

أولاً - بنو نوال^(١): يتفرعون إلى أربع عشائر: هي المطاردة، والصُدْر، والأذَنَات، والزَّحمة.

ثانيًا - بنو سَري: يتفرعون إلى سبع عشائر: العَبْدَة، والنَّقْرين،
والعطايف، والمدَاهين، والشُّنونة، والحسَنان، والنُّمران.

ويسكن هؤلاء في «القرية» و«شوان» و«السبعان» و«العياب» و«الحجرة».

وتجمع ربيعةُ بني نوال، وبني سري، والفقها الذي سيرد ذكرهم فيما بعد.

ثالثًا - البِقْلَة: ويتفرعون إلى عشائر هي: ذوو بنات، وذوو مستور، والجمامع، وذوو علي.

ومنازلهم: ذرة، وقرى وادي ساية، ويختلطون مع غيرهم من بطون سليم،
ويجتمعون في بني راشد.

رابعاً - حُلَيْل: وتتفرع إلى عشائر هي: بني عَطَا، وذوي (وذوو) جبرين،
والموسى، والوعارى.

ومنازلهم بقرى وادي ستارة وتوابعها، وهم مختلطون مع غيرهم من بطون
سليم.

خامساً - السَّوَالِم: وتتفرع إلى: العَصَوِي، والذَّيْبَات، والدَّيْسِي، والقُوسِي.

ومنازلهم في المرواني وضواحيه، ويشترون في بعض قرى ساية وستارة.

سادساً - بنو بركة: ويتفرعون إلى: الفقهاء، والجباريت، والخضر، والرزم،
والمساريح.

وتجمعهم بنو بركة: أما الفقها فكما قدمنا من ربيعة وتنضم مع بني نوال وبني سري.

وجميع الأحياء المذكورة آنفًا هم من بني نوال، إلى بني بُركة، والفقهاء،
وتجمعهم (فُتية).

ومساكن ربيعة بجبل شمنصير.

(١) في تاريخ ابن خلدون: نوال بطن من حكيم من علاّق بن عوف بن بُهثة من سُلَيم في تونس.

سابعًا - بنو محمد: يتفرعون إلى: الهمعان، والتراجمة، والحجرة، والعُجفان، والقوَّعة، والمِرنة.

هؤلاء (أي بنو محمد) مساكنهم بقرى وادي ساية.

ثامنًا - الجلالة: يتفرعون إلى: السرحة، والشُّكرية، والنجاجرة، وذوي حمود، والمقاعية، والزراكنة، والصوابر، والزَّوانية.

ومساكنهم: قرى وادي ساية، وهم مختلطون مع غيرهم من بني سُليم.

تاسعًا - ودِيعَةُ: تتفرع إلى: ذوي عيد، والبِيسَة، والعِلوان، والمُضيفرات.

ومساكنهم: الحنو، ومهايع، والخُدُّ، ويشتركون مع بعض بني سُليم في وادي ساية.

عاشرًا - قُريش: تتفرع إلى: الفَهَّايَة، وذوي عَوَّاض، والعكالية.

مساكنهم: مهايع، والشُّعبة.

حادي عشر - الضبَّاعين، ليس لهم فروع.

ومساكنهم: قرية مَلَح.

وهؤلاء من بني محمد إلى الضبَّاعين، تجمعهم حَبَش.

حلقات مفقودة

هذا، وبإيرادنا لأصول قبيلة بني سُليم وفروعها في الجاهلية الأخيرة وفي صدر الإسلام، وبإضافة فروعهم إليهم في القرن الهجري الحاضر - الرابع عشر - الموافق للقرن العشرين الميلادي تبقى أمامنا حلقات مفقودة في التسلسل النَّسبيُّ الرابط لهؤلاء بأصولهم القديمة، ثم منابع ارتباط بني سُليم المقيمين هنا في المملكة عبر القرون الحالية بأبناء عموماتهم النازحين إلى أقطار العالم العربي في هجراتهم إلى ديار الشام، فالبحرين (الإحساء)، فمصر، فبلاد المغرب، فمصر أخيراً في القرن الميلادي الثامن عشر - الثاني عشر الهجري، ولربما أَمَاط لنا اللثام عن ذلك جلّه البحث العلمي المطرد المتتابع، فالحقيقة بنت البحث كما يقولون.

ملاح بني سُلَيْم

أغلبُ ملاح (الأعرابي العربي) تتمثل في أنه: رشيق القوام قليل اللحم ووجهه معروق قليل اللحم كسائر جسمه، وله ذقن بارز وأنف دقيق وعينان براقتان وفم ظاهر، ورشاقة جسمه تجعله نشيطاً خفيف الحركة (١).

ووجه الأعرابي في المناطق الحارة من بلاد العرب أسمر - وأكثرُ مناطق بلاد العرب حار.

وتقع بلاد بني سُلَيْم في المنطقة الحارة، لأنها من تهامة، وهي ذات وهاد وأنجاد وجبال وحرار.

والصفات والسمات المتقدم بيانها تنطبق - من وجه عام - على من تسنّت لي رؤيتهم من بني سُلَيْم.. في ديارهم بأعالي الحجاز، وفي غيرها من هذه البلاد.

ولا يعني ما سبق لي تقريره أنه لا يوجد فيهم أفراد بيض الوجوه، أو ذوو لون قمحيٍّ يميل إلى السمرة أو إلى البياض.. ومن أمثلة أصحاب هذا اللون خاصة: «حسين بن حيا السُّلمي» أحد كبار قرية مهايع السُّلمية في ديار بني سُلَيْم.

وكذلك يوجد بين سكان الجبال الباردة الطقس بأنحاء المملكة أفراد ذوو لون قمحي وأبيض، لأسباب عامة أو خاصة، ويوجد عكس ذلك في المناطق الحارة.

وقلنا «إن اللون الغالب - قديماً وحديثاً - على العرب هو السمرة» بالنظر إلى ما سبق بيانه من أن أغلب مناطق بلاد العرب حار، وبالنظر لما أورده الدكتور جواد علي، نقلاً عن علماء اللغة العربية الذين بحثوا خصائص العرب، ووصفوا حيواتهم ومجتمعاتهم من خلال بحوثهم اللغوية، يقول الدكتور جواد علي: (ويذكر علماء اللغة أن العرب تصف ألوانها بالسواد، وتصف ألوان العجم بالحمرة^(٢))، وقد افتخر الشعراء بذلك في الجاهلية وفي الإسلام، من ذلك يقول الفضل بن عباس بن عتبة اللهبي:

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، بعض تصرف، ص ٣٠٥، المجلد

الرابع، طبع دار العلم للملايين ببيروت.

(٢) بالنسبة أذكر أنه دار نقاش بيني وبين عالم مصري في هذا الموضوع، قلت له: إن معنى =

وأنا «الأخضر»^(١) من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب
يقول: أنا خالص، لأن ألوان العرب، السُمرة، ومن ذلك قول مسكين
الدارمي من تميم:

أنا مسكين لمن يعرفني لوني «السُمرة» ألوان العرب
قال الجاحظ: (والعرب تفخر بسواد اللون، وقد فخرت «خضر محارب»
بأنها سود، والسود عند العرب: الخضر، ثم ذكرت أمثلة افتخار بعض القبائل
والأشخاص بكونهم «خضراً»، ثم قال: وخضر غسان بنو جفنة الملوك؟ قال
الغساني:

إن الخضارمة الخضر الذين ودوا أهل البريص ثمانى منهم الحكم
وقد ذكر حسان أو غيره، الخضر من بني عكيم، حين قال:
ولست من «بني»^(٢) هاشم في بيت مكة ولا بني جُمح الخضر الجلاعيد
قالوا: وكان ولد عبد المطلب العشرة دُكاً ضخماً، نظر إليهم عامر بن الطفيل
الكلابي العامري من هوازن، يطوفون كأنهم جمال جُونُ فقال: بهؤلاء تمتنع
السدانة!، وكان عبد الله بن عباس أدلم ضخماً، وآل أبي طالب أشرف الخلق،
وهم سود وأدم ودلم، والدلم: الرجل الشديد السواد^(٣).
ويقول المبرد: (وقول العرب: ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر، يريد
العربي والعجمي)^(٤).

ووصف الطبري في تاريخه، محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية)
بأنه (كان آدم شديد الأدمة أدلم جسيماً عظيماً وكان يُلقَّب بالقاري من أدمته)^(٥).

= الحديث النبوي: «بعثت إلى الأحمر والأسود» أو كما قال الرسول ﷺ هو أنه يعني أن رسالته تشمل العرب
والعجم، والعجم يوصفون عند العرب بالحمرة وهي البياض، والعرب بالسود، وهذا هو الغالب الأعم، ولا
ينفي ذلك وجود عرب بيض الألوان أو قمحيوها.

(١) الأخضر لغة: بمعنى الأسمر أو الأسود.

(٢) يبدو لي أن الصواب هو حذف كلمة (بني) ليصح الوزن.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ص ٣١٠ و ٣١١. وجاء في
القاموس المحيط: أن الدلاء: لقب بني ضبة لسوادهم (مادة دلم).

(٤) الكامل للمبرد، ص ٦١، الجزء الثاني. (٥) تاريخ الطبري، ص ١٩٢، الجزء السادس.

وكما قلنا آنفاً فإنه يوجد أشخاص بيض الوجوه من العرب، أو ذوو لون دون البياض، ومن أولئك وهؤلاء سكان جبال السراوات بجنوب المملكة العربية السعودية، والمعروف أنه كلما ارتفع موطن السكان ازداد لونهم صفاءً وبياضاً، وكلما انخفض موطنهم ازدادت سمرة، وقد أشار إلى ذلك الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) قال: «وقد عُرِفَ بعض القبائل العربية ببياض بشرتها، واشتهرت نساؤها ببياض البشرة، وقد ورد في الحديث: أنه لما خرج النبي ﷺ من مكة قال له رجل: «إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم، فعليك ببني مدلج من كنانة»، ويقال للمرأة التي يغلب على لونها البياض: «الحمراء»، وجاء في الحديث النبوي: (بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ) أي إلى العجم والعرب كافة.

ويقول جواد علي: إن أجسام سكان السواحل من العرب أقصر من أجسام أبناء الجبال والنجاد، وإن أهل التهام والسواحل الجنوبية لجزيرة العرب أقصرُ قامة من أهل نجد اليمن، أو أهل نجد^(١).

وبنو سُلَيْمٍ هم تهاميون كما قدمنا، وهم بين جبال وحرار في تهامة .
وديارهم الأصلية تقع بين مجموعة متلاصقة من الجبال والحرار، وأوديتهم عميقة
تعلوها الحرار والجبال وتضايقها، وأغلب قاماتهم تميل إلى الاعتدال . . . ولكأنَّ
البيئة الجبلية رفعت قاماتهم عن ضآلة القصر، ولكأنَّ البيئة التهامية جعلت أغلبهم
غير فارغ الطول، ولا يمنع ذلك أن يكون فيهم القصير الدحداح، أو الطويل الفارع
الطول، ومن أمثلة طولهم المعاصرين: حسين بن حيا - أو يحيى - أحد كبار قرية
مهايع؛ وهو أبيض اللون أو أحمر اللون على حد التعبير اللغوي الفصيح الذي
سبق ذكره، وحسين بن حيا - أو يحيى - نحيل الجسم وذو عينين لحلاوين براقتين،
كأغلب من شاهدناهم من رجال بني سُلَيْم المعاصرين، وأغلب من رأيناه من
السُّلَمِيِّين يميل إلى الاعتدال، وهو الذي يوصف لُغَوِيَا بأنه «رُبْعَةٌ»، و«مربوع»
صيغة لاتزال سائدة في هذا المعنى لدى عامة الحجازيين، وقد نُعِتَ رسول الله ﷺ
بأنه «رُبْعَةٌ» .

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ص ٣٠٤، الجزء الرابع.

أسماء بني سُلَيْم عبر التاريخ

قبيلة بني سُلَيْم من القبائل العدنانية التي نالت شهرة واسعة في الجاهلية والإسلام، وقد كانت مواطنها الأصلية تحميها من شن الغارات عليها، فهي «حصن حصين» دون اقتحامها، وبني سُلَيْم كانوا في الجاهلية وصدر الإسلام ذوي ثروة طائلة بما في بلادهم من «المعادن» وبما فيها من الماء الوفير والخصب، وكل هذا أكسبها كياناً مرموقاً وجاهاً ومكانة، وقد أكسبتهم طبيعة أرضهم الجبلية خشونة وشجاعة وصلابة، وأكسبتهم أرضهم الخصبة رقة وطموحاً وتجارة وزراعة ناجحة رابحة.

وقد هيا لي تتبعُ تاريخهم ودراسته الألامَ بأنهم كانوا يؤثرون تسمية أبنائهم بأسماء - أغلبها معينٌ، فيكثر دوران هذه الأسماء بينهم، وبعضها موغل في القدم يرتفع إلى زمن ثمود، وربما كان لمجاورة بني سُلَيْم للثموديين بقرب مدائن صالح أثر في هذا، ولربما كانت التجارة التي يديرونها فيما بينهم وبين ثمود أثر في ذلك أيضاً، ولربما أفاد السُّلَميون من براعة الثموديين الزراعية والتجارية والصناعية، ومن الأسماء الثمودية (حُبَاب) بضم الحاء، ومعناه في اللغة: الحية، وهذا الاسم كان موجوداً في ثمود، كالحُبَاب بن عمرو الثمودي^(١) الذي رثى قومه بقصيدة عقب هلاكهم بالصيحة، ومن ذلك يبدو أنه لم يكن من بين من أهلكوا بالصيحة، ومعنى ذلك أنه كان من المؤمنين الذين أنجاهم الله من عذابه بسبب إيمانهم برسالة صالح عليه السلام.

وليس مستبعداً أن يسمي الثموديون بعض أبنائهم بالحُبَاب - أي الحية - فالحيات مؤذية وسامة وتفتك بمن يتعرض لها، وهي متوافرة في بلادهم الغزيرة المياه الكثيرة المغاور والكهوف والأودية، وطبيعة أرض بني سُلَيْم من هذه الناحية مماثلة لطبيعة أرض ثمود. وكان السُّلَميون ومازال بعضهم حتى اليوم يقيمون في منطقة مدائن صالح فلا بدع إذن أن يشيع اسم (الحباب) لديهم، فالجوار ذو أثر ما على المتجاورين.

(١) مدائن صالح، للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد، ص ٩٢، طبع دار الطباعة الحديثة بمصر، وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد، ص ٣٠٨، أن الحباب (بضم الحاء): ضرب من الحيات، وقد أورد اسمي تميم وعمير ابني الحباب، وقال أن عميراً كان من فرسان الناس في أيام عبد الملك وأيام فتنة الشام، وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه.

واسم الحباب ظل شائعاً لدى بني سُلَيْم عبر الأجيال وفي مختلف الأمكنة، ويُطلق على من سكنوا منهم الأندلس وإفريقية وسورية وغيرها، وفي قرية «الكامل» بديار بني سُلَيْم واحد منهم اسمه (حامد بن حُباب) ويشغل وظيفة رئيس هيئة الأمر بالمعروف هنالك، ومقامه بقرية (مهايع).

ومن الأسماء الشائعة لدى بني سُلَيْم اسم: (العباس) واسم (مرداس)، فهذا عباس بن أنس بن عباس بن مرداس، وهذا العباس جد محمد نقاش الفضة وهو محدث مُترجم، وهذا عباس بن الوليد بن صبح المحدث أيضاً، وعباس بن رعل كان أحد القادة السُّلميين في حرب الفجار.

والعباس: مبالغة في (عابس)، ومعنى (عابس): الطالِح المكروه لقاؤه، وقد سمت العرب عباساً وعابساً^(١).

أما (مرداس) فمن سُمِّيَ به: مرداس والد العباس بن مرداس، ومرداس والد عُتبة، ومرداس بن علاّق وغيرهم، ومعنى (مرداس) لغة: ما يُدْكُ به من مدكٍّ صلب عريض، ولعل هذا المعنى هو الذي جعل هذا الاسم يشيع بين السُّلميين لما فيه من معنى الصلابة والدِّكِّ والدَّقِّ، وفي «الاشتقاق» لابن دريد أن (مرداساً) من الرّدى: ضربك الحجر بحجر مثله^(٢).

ومن الأسماء الشائعة لدى بني سُلَيْم: (قَيْسٌ)، ومن سُمِّيَ به في الجاهلية عند سُلَيْم: (قيس بن خُزاعي) الذي أمره قيصر الروم على فلسطين، وقيس بن شبّية التاجر بمكة في أواخر الجاهلية، وقيس بن نسيبة الصحابي.

وكان اسم قيس شائعاً لدى العرب قبل الإسلام وبعده.

و(القَيْسُ) في اللغة: التبخر والشدة. وهما من الصفات المحمودة لدى عرب الجاهلية، وفي «الاشتقاق» لابن دريد أن (قيساً) مصدر قاس يقيس قيساً^(٣).

(١) الاشتقاق، لابن دريد، ص ٤٥.

(٢) الاشتقاق، لابن دريد، ص ٢١٩، طبع مطبعة السنة المحمدية.

(٣) الاشتقاق، ص ٢٦٥؛ وجاء في بحث من «مجلة كلية الآداب السنوية بجامعة الرياض» المجلد

الأول لسنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، وعنوان البحث هو: (وادي الآب) - بتخفيف اللام - جاء فيه أن اسم قيس يمكن أن نعتبره علماً على شخص من الثموديين. وأقول عطفًا على ذلك أنه يشبه في تسمية الثموديين به اسم (حباب) الذي استعمله الثموديين أيضاً ولا يزال موجوداً لدى بني سُلَيْم حتى العصر الحاضر. هذا وإن =

ومن الأسماء الشائعة لدى بني سُلَيْم: اسم (حكيم) وهو من (الحكمة)، والعرب في جاهليتهم كانوا يتعشقون الحكمة، ويقدرّون من يتصف بها في أعماله وأقواله، و(الحكمة) من الصفات الرئاسية الحميدة لديهم، ولعل هذا المغزى هو الذي حُبب إليهم التسمية باسم (حكيم)، ومن سمي باسم (حكيم) منهم: حكيم والد الجَحَاف، وحكيم جد محمد بن أحمد المحدث، وحكيم بن أمية، وحكيم ابن حصن بن علاّق وغيرهم.

ومن أسمائهم الشائعة أيضًا: يزيد، وهو فعل مضارع مشتق من (الزيادة) ولعل المقصود منه أن المولود الذي يسمى به يزيد الأسرة مكانًا ونماءً وكفاية، ومن سمي باسم يزيد من بني سُلَيْم: يزيد بن الأخنس الصحابي، ويزيد بن أسيد، ويزيد بن هارون (مولاهم) الذي كان من العلماء.

ومن الأسماء ذات الذبوع لديهم مالك، ومالك مشتق من المَلِك - بكسر الميم - وهو قال حسن للمُسمَّى به أن يكون ذا مَلِك، ومن سُمِّي به منهم: مالك والد معاوية الشاعر الجاهلي، ومالك ذو التاج، ومالك بن عمير، ومالك بن أمية ابن عمرو الصحابي، ومالك بن الحارث التابعي المحدث الثقة.

ومن الأسماء الشائعة عندهم: معاوية، ومعاوية صيغة من معانيها: الكلبة وجرو الثعلب، وقال بن دريد في (الاشتقاق): واشتقاق معاوية من قولهم تعاوى القوم إذا تداعوا إلى حرب وغيرها، واستعوى بنو فلان بني فلان: إذا استنصروهم، واستعوى الرجل إذا بات في القفر، واستعوى الكلاب ليُسْمَعَ نَبَاحها، فَيُعْلَمُ أنه قريب من ماء أو حلة^(١). واسم معاوية على أية حال متفق مع فلسفة العرب في جاهليتهم حيال وضع أسماء أبنائهم، فهو اسم خشن يدل على التهاوش والتعارك والمناوشة، ومعاوية اسم قديم لدى العرب ومن سُمِّي به من سُلَيْم: معاوية بن مالك الشاعر الجاهلي، ومعاوية بن عمرو أخو الخنساء الشاعرة المخزومة، ومعاوية بن قُرّة.

=البحث المذكور، قد اشترك فيه الدكتوران منصور الحازمي وعبد الرحمن الانصاري، تولى كل منهما جانب اختصاصه فيه ونشر مستقلاً أيضاً عن المجلة.

(١) الاشتقاق، ص ٧٥.

ومن أسمائهم: (سفيان) وأصله من (السَّفْي)، ومن معاني السفي: كل شجر له شوك وواحدته: (سَفَاة)، ويقول ابن دريد: إنه (مشتق من «السافي» وهو ما سفته الريح من تراب وغيره)^(١).

واسم سفيان على هذا التفسير يطابق فلسفة العرب التقليدية في جاهليتهم إزاء وضع أسماء أبنائهم، فهو تفاؤل بأنه سيسفي الريح على جثث أعدائه بأن يريدهم، أو أنه سيصير شجراً شائكاً بالنسبة لهم، ومن سُمي منهم باسم (سفيان): والد الضحَّاك الصحابي، فهو الضحَّاك بن سفيان السُّلَمي.

ومن أسمائهم: «عمرو»، والعمرُ: بفتح العين وسكون الميم: الشجر الطوال، والحياة. والأشجار الطوال فال حسن في التسمية باسمها - بأن تطول قامة المسمى بالاسم، (وإنَّ أعزاء الرجال طوالها)، وفال حسن أيضاً بطول العمر، لأن العمر من معانيه: الحياة. ومن سُمي باسم «عمرو» منهم: عمرو بن عبسة الصحابي الجليل ذو السابقة في الإسلام، إذ لقد كان رابع المسلمين، وعمرو بن الشريد، وعمرو بن عبد العزَّى (أبو شجرة السُّلَمي)، وأحمد بن عمرو (أخو أشجع السُّلَمي) وكان شاعراً مثل أخيه. ويدخل تحت ضُبْنِ اسم عمرو: عُمَرُ، وعمارٌ، وعُمَيْرٌ، وعامرٌ، وعمران.. فاشتقاقها كلها من (العمر).

ومن أسمائهم الذائعة: (مَعْن)، والمَعْنُ: الطويل والقصير، والقليل والكثير، وهذا التناقض والتضاد في معاني (المَعْن) جعل لها مكانة خاصة في مفاهيم العرب، فمعن: طويل النجاد، ومعن ماء فياض كثير زلال ومنه (المعين) للماء، ومَعْنُ: قصير بالنسبة لذويه وقليل بالنسبة لهم أيضاً ولكنه طويل وكثير بالنسبة لأعدائهم، وقد راق للعرب التسمية باسم (معن) لما تحتويه الصيغة من معانٍ طيبة من أهمها: الماء الفياض، والماء عماد الحياة، وإذن سيكون من سُمي بمعن عماداً للحياة في القبيلة جواداً فياضاً بالمكانم، ومن سُمي من بني سُلَيْم بمعن: مَعْنُ بن أبي عاصية، ومعن بن يزيد الصحابي وغيرهما.

ومن الأسماء الشائعة لديهم: (الضحَّاك)، ومن معاني (الضحَّاك): كثير الضحك، ولربما كان من الأسباب المغرية على التسمية بهذا الاسم ذبوع شأن الضحَّاك الذي يزعمون (أنه ملك الأرض، وكانت أمه جنية) وإعجابهم بشأنه، فيتفاءلون لأبنائهم المُسمَّينَ باسمه أن يحكموا ويسود نفوذهم بشكل من الأشكال، ويقدر من الأقدار. وعن سُمِّيَ منهم باسم (الضحَّاك): الضحَّاك بن عبد الله، والضحَّاك بن سفيان الصحابي.

ومن الأسماء الشائعة لديهم اسم (حبيب)، وإنك لتجد في هذا الكتاب عدة رجال من بني سُلَيْم سُموا بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام.

و(حبيب) مشتق من (الحُبَّ) بضم الحاء، ويتفاءل بالتسمية به بأن يكون المسمى به (حبييًّا) إلى الناس، وقد وجد الدكتور منصور الحازمي في النقوش المنقورة في جبال (الْأَب) بفتح الهمزة واللام. وتخفيفها وبعدها ألف فباء تحية موحدة - وَجَدَ في رحلته إلى موطن قبيلته بين المدينة ورايح، نقشًا منحوتًا هناك بالخط الثمودي، كما فسرهُ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري المتخصص في علم الآثار وقد قرأه هذا، فإذا هو (حبيية) وقال عنه: إنه علم على شخص، وهو اسم شائع بين السُّلَميين، تذكيرًا وتأييًّا، فقد وجد الاسم على صيغة التذكير: (حبيب) لدى السبئيين والنَّبْطيين والعبرانيين والتدمريين والصفويين والشموديين، وقد استعمل هذا الاسم بكثرة بعد الإسلام، وعزا هذا القول إلى (جمهرة الأنساب) لابن حزم^(١).

هذا، ويحسن أن يعزب عن البال، أن جميع الأسماء المتقدمة ليست خاصة بقبيلة بني سُلَيْم، بل يشاركهم فيها العرب، وإنما ذكرتها في معرض أسمائهم لشيوعها لديهم في الجاهلية وبعد الإسلام.

(١) البحث من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض، المجلد الأول لعام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، والبحث مطبوع طبعًا مستقلًا تحت عنوان: (وادي الأب)، ص ١١٦، طبع مطابع الجزيرة بالرياض.

سَلِيمٌ وديارهم في الشعر العربي

حفلت قصائد الشعر العربي بذكر سَلِيمٍ وذكر ديارهم، سواء أكان ذلك في الجاهلية أم في الإسلام، ومن روائع الشعر العربي الذي ذُكِرُوا فيه أو ذُكِرَتْ ديارهم فيه تلك القصيدة الهمزية التي أوردتها لنا الحسن الهمداني عن أبي الحسن الخزاعي، وقد حَدَّثَ - على روايته - قحط شديد عامٌ شاملٌ أصاب بلاد العرب قاطبة، شرقها وغربها وجنوبها وشمالها، فَجَارَ العرب بدعاء الله تعالى وقدموا شعراء ثلاثة لهم ليقوموا بهذا الدعاء شعراً طلباً للاستسقاء، وهم الخزاعة العامري النجدي الذي نظم قصيدته الهمزية التي صارت أنموذجاً يحتذى في وزنه وقافيته ومعانيه بالنسبة لشاعري الحجاز وتهامة الذين هما: العجلاني وأبو الحياش الحجري، وإذا صحت نسب القصائد الثلاث لهم فتكون من الشعر «الجغرافي» النادر لبلاد العرب في جاهليتهم، ومحل الشاهد في قصيدة الخزاعة العامري الهوازني هو قوله متفائلاً أو مذكراً بنعم الله:

رَوَيْتُ حَرَّتًا سَلِيمٌ وَسَالَتْ شُعَبُ الْمَعْدِنِ فَاَلْأَحْفَاءُ

وحيثما اشتهرت قصيدة الخزاعة وتناقلتها السنة الرواة في كل مكان من بلاد العرب قام أهل تهامة فطلبوا من شاعرهم (أبي الحياش الحجري) أن ينظم على غرارها في طلب السقي من الله عز وجل، ففعل، وقد استعرض الحجري التهامي في قصيدته الهمزية أزمة الأمطار في جزيرة العرب تماماً كما فعل الخزاعة، ولكن في ديار تهامة، وقد طَلَبَ رحمة الله وسقيه لهم على غرار الخزاعة أيضاً، وقد استهل قصيدته الهمزية أيضاً بقوله:

رَبِّ مَاخَابَ مَنْ دَعَاكَ وَلَا يُحْجَى بٌ يَا ذَا الْجَلَالِ عَنْكَ الدَّعَاءُ

ووصف الأزمة الشاملة المتمثلة في توقف الأمطار عامة عن النزول على بلاد العرب بقوله:

إِنَّ هَآنَا لِأَرْمَةِ عَمَتِ النَّاسِ وَمُسْتَنَّهُمْ لَهَا بِأَسَاءُ

وعلى نمط الخزاعة في استجلاب رحمة الله ودفع غضبه وسخطه عنهم قال في حرارة:

فَلَكُمْ ثُمَّ كَمْ سَقَيْتَ لَنَا الْأَرْضَ ضَ غِيُثًا أَتَتْ بِهَا الْأَنْوَاءُ

وحينما شاع أمر القصيدتين وذاع في أطراف الجزيرة تقدم أهل الحجاز أيضاً إلى شاعرهم: (العجلاني) فطلبوا منه أن ينظم قصيدة استسقية لهم يدعو الله فيها لبلادهم بإنزال الغيث المغيث عليها، فقال على غرار زميليه السابقين:

رَبِّ إِيَّاكَ نَحْنُ نَدْعُو وَنَرْجُو وَلَنَا أَنْتَ ذَا الْجَلالِ، الرَّجاءُ
فَاسْتَجِبْ رَبَّنَا فَإِنَّكَ لَا يُخْ حَبُّ لِّلْمَسائِلينِ عَنْكَ الدَّعاءُ
أَسْقِنَا الْغَيْثَ كَيْ يُفَارِقَنَا الْمَحْ لُّ لَهُ وَالسُّنْيَهَةُ اللَّأواءُ!

ويستعرض العجلاني الشاعر في قصيدته أمكنة الحجار المصابة بالظما الكارب والتي كانت منحت غيثاً غدقاً شاملاً مكاناً مكاناً حتى يقول:

طَبَّقَ الضَّاحِياتِ مِنْ أَمَجِّ الرِّيِّ وَأَحْيَتْ قُدَيْدُهَا الْفِيحاءُ
فَالْكُلَيَّاتِ فَالستارة فَالجحفة فَالْقَدَسِ عِلَّ فَالْأَبْواءُ

وأمجُّ هو وادي ساية، وواديا ساية والستارة هما من أودية العرب المشهورة في ديار بني سُلَيْمٍ قديماً وحديثاً.

والقصائد الثلاث طوال واضحة المعاني سلسلة المباني، وهن من بحر الخفيف وقافيتهن الهمزة، وأسلوبهن من السهل الممتنع، ولولا أن ثمة ما هو مماثل لهن في السلاسة والسهولة من الشعر العربي الثابت - ألا وهو معلقة الحارث بن حنظلة الشكري - لجزمنا جزماً باتاً بأنهن من الشعر المنحول، يقول الحارث في معلقته:

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوادِثِ وَالْأَنْبَا عِ خَطْبٌ نُعْنِي بِهِ وَنُسَاءُ
أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْبِ بَ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخِلَاءُ
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِي رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
مِنْ مَنَادٍ وَمِنْ مَجِيبٍ وَمِنْ تَصْهَالٍ خَيْلٍ خِلالِ ذَاكَ رُغَاءُ

ولسنا نجزم بأن القصائد الثلاث لم يدخلها شيء من الشعر الإسلامي، ولكن إقرار الهمداني بها، وتدوينه لها ولناظمها وتركيبه لراويها (أبي الحسن الخزاعي)

إلى أن يقول:

فاحتواها فتى يُهينُ لها الما لَ ونادمت «صالحَ بنِ عِلاطٍ»
وحينما تجهمُ جَوهُ النفسى حيالهم وعلاه ضباب التآلم منهم لأمر ما عكس الآية
فهجاهم بقوله:

لقد غضبتُ جهلاً (سُلَيْمٌ) سفاهةً وطاشت بأحلامٍ كثيرٍ عشورها
إلى آخر الأبيات التي تدل هي ونقائضها الصادرة منه - على أن الشاعر يسير
وراء انفعالاته وعواطفه، فتقوده إلى حيث تشاء، فشعره رياض غناء إذا كان
راضياً، أو صحاري جرداء ملتهبة إذا كان ساخطاً، والله في خلقه شتون.

أيام بني سُلَيْمٍ في الجاهلية والإسلام

كل من كان ذا نباهة وشأن من قبائل العرب في جاهليتهم، لابد أن يكون
مستعداً لخوض غمار الحروب التي تُشنُّ من بعض العرب على بعض، ولو كانوا
ذوي قرى أو جوار، وذلك إما لمطمع في نهب يُنهب، أو لأخذ ثار، أو لإثبات
مكانة يُراد لها أن تُهان في نظر الثائر أو المغير.

تلك كانت طبيعة أوضاع العرب إبان الجاهلية.

ومن ثمَّ لابد أيضاً من قصائد تُنظم وأبيات تُقال، إما لوصف ما حدث، أو
للتنفيس، أو للتحميس أو التفخيم أو التقليل، وقد تتلى القصائد في المجمع
ويتناقلها الرواة، وتسير بها الركبان شرقاً ومغرباً.

ولابد من أيام نصر، ولابد من أيام هزائم، والأمر كما وصف أحدهم:

فيوم علينا ويوم لنا فيوم نساء ويوم نُسرَّ

وينو سُلَيْمٌ في مركز القوة من عرب الجاهلية، ولديهم ثراء واسع، ومجد
باذخ، وكثرة في النفوس كاثرة، فلا بد أن يلاقوا من الغارات الهجومية والدفاعية
ما يلاقيه أضرابهم من عرب الجاهلية، وهكذا كانت لهم «أيام» نقلها الرواة إلى
المؤرخين، ودونها هؤلاء عنهم.

ومن أيامهم:

يوم تثليث

كانت سُلَيْم غزت مع زعيمها العباس بن مرداس، مُرادًا من مَذْحِج القحطانية، فجمع لهم عمرو بن معد كرب، فالتقى الجمعان بتثليث، فصبر الفريقان، ثم وقفت رحا الحرب بينهما، على قاعدة: لا نصر ولا انكسار، وفي ذلك اليوم صنع العباس بن مرداس قصيدته السينية إحدى القصائد «المنصّفات»^(١) ومطلعها:

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر منها رحرحان فراكسا

يوم بني نصر

أغار بنو نصر بن معاوية من هوازن، على ناحية من أرض بني سُلَيْم، فنهض لمقاومتهم العباس بن مرداس في جمع من قومه، وقابلهم فأكثر فيهم القتل، وكان النَّصْر في هذا اليوم حليقًا لبني سُلَيْم.

حرب الفجار

بعث النعمان بن المنذر لطيمة له، إلى سوق عكاظ للتجارة، وأجارها له الرَّحَالُ عروة بن عتبة بن جابر بن كلاب من عامر بن صعصعة من هوازن، فزَلَوْا على ماء يقال له «أوارة»، فوثب البراض بن قيس أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة - وكان خليعًا - على عروة، فقتله وهرب إلى خيبر فاستخفى بها، ولقى بِشْرَ ابن أبي خازم الأسدي الشاعر، فأخبره الخبر، وأمره أن يُعلم بذلك عبد الله بن جُدعان، وهشام بن المغيرة، وحرب بن أمية من قريش، ونوفل بن معاوية الديلي، وبلعاء بن قيس من كنانة، فوافى «بشر» عكاظًا فأخبرهم، فخرجوا موائِلين منكشفين إلى الحرم، وبلغ هوازن ومن آزرها من قبائل قيس عيلان وخاصة بني سُلَيْم الخبير آخر ذلك اليوم، فخرجوا في آثارهم فأدركوهم قد دخلوا الحرم، وتواعدوا مثل هذه الليالي من العام القابل، ومكثت قريش ومن معها من القبائل

(١) العمدة، لابن رشيقي، ص ٢١٧، الجزء الثاني، طبع مصر. وسنأتي بشيء من هذه القصيدة في فصل: «شعراء من بني سُلَيْم». وتثليث: موضع ببلاد بني عُقِيل من عامر بن صعصعة، ولبني تميم منازل بها كما يبدو من سياق كلام البكري في (معجم ما استعجم)، كما أن لبني عبد الله بن غطفان بتثليث منازل، وهي على يمين من جرش في شرقيها إلى الجنوب وعلى ثلاث مراحل من نجران إلى ناحية الشمال، وتدل قصة الواقعة التي حدثت فيها على أنها لبني زبيد.

ودخل القوم في معركة حامية الوطيس، وانهزمت قيس هزيمة ساحقة ومعهم بنو سُلَيْم، وقيل - كالعادة - في هذا اليوم شعر يصف المعركة، ومنه قول ضرار بن الخطاب:

والم تسل الناس عن شأننا	ولم يثبت الأمر كالأخبار
غداة عكاظ إذا استكملت	هوازن في كفها الحاضر
وجاءت «سُلَيْم» تهز القنا	على كل سلهبة ضامر
وجئنا إليهم على المضمرات	بأرعن ذي لب زاجر
فلما التقينا أذقناهم	طعانا بسمر القنا العائر
ففرت «سُلَيْم» ولم يصبروا	وطارت شعاعاً «بنو عامر»
وفرت «ثقيف» إلى لاتها	بمنقلب الخائب الخاسر
وقاتلت «العنُس» شطر النها	ر ثم تولّت مع الصادر ^(١)

يوما حوزة: الأول والثاني

وهو لسُلَيْم على غَطَفَان، وباعثه أنه كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد من سُلَيْم، وهاشم بن حرملة أحد بني مُرَّة من غطفان كلام في عكاظ، فقال معاوية: لوددتُ والله أنني قد تربّت الرطبة، وهي جُملة معاوية، وكانت الدهر تنطف ماءً ودهناً، وإن لم تدهن - فلما كان بعدُ، تهيأ معاوية ليغزو هاشماً، فنهاه أخوه صَخْرُ، فقال: كأني بك إن غزوتهم علق بجمتك حَسَكُ العرفط: (شجر من العضاة) فأبى معاوية وغزاهم يوم حوزة، فرآه هاشم قبل أن يراه معاوية، وكان هاشم ناقهاً من مرض أصابه، فقال لأخيه دريد بن حرملة: إن هذا إن رأيته لم آمن أن يشدّ عليّ، وأنا حديث عهد بشيكة، فاستطردّ له دوني حتى نجعله بيني وبينك، ففعل، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم، فاختلفا طعتين، فأردى معاوية هاشماً عن فرسه «السماء». وأنفذ هاشم سنانة من عانة معاوية، وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشماً، فضرب معاوية بالسيف فقتله، وشدّ خفاف بن عمير على

(١) أيام العرب في الجاهلية، لمحمد أحمد جاد المولى وزميله، ص ٣٣٤ - ٣٣٦، طبع مصر.

مالك بن حارث (حمار الفزاري)، وعادت فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها، وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خُفاف، ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية، فقالوا: أنعم صباحًا، فقال: حُيِّتم بذلك، ما صنع معاوية؟ قالوا: قُتل، قال: فما هذه الفرس؟ قالوا: قتلنا صاحبها، قال: إذن أدركتم ثأركم، هذه فرس هاشم بن حرملة.

هذا، وفي (معجم ما استعجم) للبكري أن (حوزة) هي (حوزة) بالراء المهملة سواء في ذلك يوم حوزة الأول أم الثاني التالي: (مادة حوزة) وقيل أنها (الجوزة) أيضاً).

ولمقتل معاوية أزمع صخر أخوه أن ينتقم، وأن يثار لأخيه القتل من قاتليه، فأغار عليهم في يوم حوزة الثاني، وتمكن من قتل دُرَيْد بن حرملة أخي هاشم بن حرملة رئيس بني مُرَّة، ثم قام رجلٌ من بني جُشَم من هوازن هو عمرو بن قيس الجُشمي، بقتل هاشم بن حرملة، فاستراحت بذلك بنو سُليَم، وسُرَّت الخنساء بمقتل المُزَيِّ، ولها شعر كثير في ديوانها ترثي به أخويها: معاوية وصخرًا، ولها أبيات ميميةٌ قدرت فيها بسالة الفارس الجُشمي قاتل هاشم بن حرملة^(١).

هذا، وقد علل كتاب «أيام العرب في الجاهلية» غزو معاوية السلمي لبني مرة بأنه عشق امرأة أحدهم وهو هاشم بن حرملة - فامتنعت وأخبرت زوجها بذلك، وقال: إن اسم هذه المرأة هو «أسماء» المريّة.

وكان لقاؤه لها في سوق عكاظ، في موسم من مواسم العرب، وقد أضافت إلى امتناعها منه أن قالت له: (أما علمتَ أنني عند سيد العرب: هاشم بن حرملة؟) فأحفظه ذلك، فقال: (أما والله لأقارعهنَّ عنك!) قالت: (شأنك وشأنه) ورجعت إلى هاشم فحدثته بما قال معاوية، وما قالت له، فقال هاشم: (فلعمري لا نريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده)، ثم التقيا، فقال معاوية: (لوددت والله أنني قد سمعت بظعائن يندُبُنَّك)، فرد عليه هاشم بما أحفظه، فلما انصرم

(١) قلت: وقتل الجُشمي من هوازن للمُري الغطفاني بدافع التعصب منه لقربة هوازن لسلُيم، فهما من رجل واحد هو منصور بن عكرمة، وغطفان بعيدة عنهما في قيس عيلان، فهما أقرب لبعضهما دون قبائل قيس الأخرى.

الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ، خرج معاوية غازياً في فرسان قومه من بني سُلَيْم، يريد هاشم بن حرملة في قومه من بني مُرَّة وفزارة - ومرة وفزارة في ذبيان من بني غَطَفَان - فنهاه أخوه صخر، وقال له: كأنني بك إن غزوتهم علق بك حَسَكُ العرفط، فأبى معاوية أن يتراجع، وسار بقومه إلى حوزة، وقد قيلت في ذلك أشعار أهمها وأشهرها قصائد الخنساء في رثاء أخيها القتيل على ما سبقت إليه الإشارة^(١).

(حوزة) على ما في معجم البلدان لياقوت كأنه مصدر حاز يحوز حوزة واحدة: واد بالحجاز كانت عنده هذه الوقعة، وقد مر بنا أن البكري جعلها (حوزة) بالراء.

يوم ذات الأثل

بعد يوم حوزة الثاني غزا صخر بن عمرو بن الشريد السُّلَمي، بني أسد بن خُزَيْمة من مُضَر، واكتسح إبلهم، فأتى الصريخ بني أسد، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل - في بلاد تيم الله بن ثعلبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرًا في جنبه، وفات القوم بالغنيمة، وجرى «دم» صخر من الطعنة، فمرض قريباً من الحول، حتى ملَّه أهله، فلما طال عليه البلاء، وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة، قالوا له: لو قَطَعْتَهَا لرجونا أن تَبْرَأَ، فقال: شأنكم، ففقطعوها فمات، فرثته أخته الخنساء رثاءً حاراً صادراً من أعماق قلبها، كما رثت من قبله أخاها معاوية الذي قُتل قبله في حرب كان هو مُشعل نارها.

يوم عَدْنِيَّة

وهو يوم ملحان، وكان قبل يوم ذات الأثل، فيما قاله أبو عبيدة؛ وذلك أن صخرًا غزا بقومه وترك الحي خلوًا، فأغارت عليهم غَطَفَان، فثارت إليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم، فقتل من غطفان نفر وانهزم الباقيون، فقال في ذلك صخر:

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه، الجزء الخامس، ص ١٦٣ و ١٦٤، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، وكتاب أيام العرب في الجاهلية، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٢٨٣ - ٢٩٢، الطبعة الثانية بمصر.

شُدِّيَ عَلَيَّ الْعَصَبَ أَمْ سِيَارَ فَقَدْ رُزِيَتْ فَارِسًا كَالدِينَارِ
يَطْعَنُ بِالرَّمْحِ أَمَامَ الْأَدْبَارِ

فَقَالَتْ أُمُّهُ:

إِنَّا بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ مَرُورَ أَخْبَارٍ لَنَا كَذَلِكَ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرِّزْءُ إِلَّا ذَلِكَ

وَشَدَّتْ عَلَيْهِ عَصَابَةً، فَاسْتَقَاقَهَا مَاءً، فَقَالَتْ: إِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ مُتًّا!، فَكَّرَ رَاجِعًا يَشْتَدُّ عَلَى الْقَوْمِ، وَيَنْزِفُهُ الدَّمُ حَتَّى أَتُخَنَ، فَقَالَ لِلظُّعْنِ: أَوْضِعْ رُكَابَكُنَّ - أَيِ احْتِشِنِ رُكَابَكُنَّ عَلَى السَّيْرِ السَّرِيعِ - حَتَّى يَنْتَهِيْنَ إِلَى أَدْنَى الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيِّ، فَإِنِّي لَمَّا بِي سَوْفَ أَقْفُ دُونَكَ لَهُمْ عَلَى الْعَقْبَةِ، فَأَعْتَمِدُ عَلَى رَمْحِي، فَلَا يَقْدُمُونَ عَلَيَّ لِمَكَانِي، فَفَعَلْنَ ذَلِكَ... وَهَكَذَا حَمَى رِبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ الْأَطْعَانَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ غَيْرُهُ فِيمَا قَالَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ، وَإِنَّهُ يَوْمُئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُؤَابَةٌ، وَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى رَمْحِهِ - كَمَا قَالَ - وَهُوَ واقِفٌ لَهُنَّ عَلَى مَتْنِ فَرَسِهِ، حَتَّى بَلَغْنَ مَأْمَنَهُنَّ، وَمَا يَقْدُمُ الْقَوْمُ عَلَيْهِ.

وَرَأَى نَبِيْشَةُ بْنُ جَبِيْبٍ وَهُوَ عَلَى وَضْعِهِ ذَلِكَ فَلَاحَظَ أَنَّهُ مَائِلُ الْعُنُقِ، فَأَبْدَى مُلَاحَظَتَهُ هَذِهِ الذِّكْرِيَّةَ، وَعَظَفَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: (وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ)، وَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ كَانَ مَعَهُ أَنْ يَرْمِيَ فَرَسَهُ، فَرَمَاهَا، فَقَمَصَتْ - رَفَعَتْ يَدَيْهَا، وَطَرَحَتْهُمَا مَعًا - فَمَالَ عَنْهَا مَيِّتًا.

ثُمَّ لَحِقَ بَنُو سُلَيْمٍ، الْحَارِثُ بْنُ مَكْدَمٍ الْكِنَانِيُّ فَقَتَلُوهُ، وَالْقَوَا عَلَى أَخِيهِ رِبِيعَةَ أَحْجَارًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ (قَرِيشٍ)، فَفَنَرَتْ نَاقَتَهُ مِنْ تَلَكِ الْأَحْجَارِ الَّتِي أَهْيَلَتْ عَلَى رِبِيعَةَ، فَقَالَ يَرِثِيهِ وَيَعْذُرُ أَنْ لَا يَكُونَ عَقْرَ نَاقَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ، وَحَضَّ عَلَى قَتْلَتِهِ، وَغَيَّرَ مِنْ فَرَسِهِ وَأَسْلَمَهُ مِنْ قَوْمِهِ:

مَرَّتْ^(١) قَلُوصِيَّ مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيْتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ
لَا تَنْفَرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ سَبَاءُ خَمْرٍ مَسْعَرٌ لِحُرُوبٍ
لَوْلَا السُّفَارُ، وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعَرَقُوبِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ. وَيَبْدُو لِي أَنَّ الصَّحَّةَ هِيَ «نَفَرَتْ» بِدَلِيلِ سِيَاقِ الْكَلَامِ.

تجنبْتُ هنداَ رغبةً عن قتاله
فأنفذته بالرمح حين طعنته
وأثني لكرزٍ في الغبار بطعنة
قتلنا سُلَيْمًا غثَّها وسمينها
فإن تك نسواني بكَينَ فقد بكت
كما قد بكت أم لكرز ومالك
إلى مالك أعشرو إلى ضوء مالك
معانقة ليست بطعنة باتك
علت جلدَهُ منها بأحمر عاتك
فصبراً سُلَيْمًا قد صبرنا لذلك
كما قد بكت أم لكرز ومالك

كما قال قصيدة أخرى يفخر فيها بما افتخر به في هذه القصيدة (١).

يوم الفيفاء

بعد يوم برزة الذي كان لبني كنانة على بني سُلَيْم حَرَمَ بنو سُلَيْم النساء والدهن على أنفسهم، حتى يدركوا ثأرهم من خصومهم القَبِيلِيَّين: (بني كنانة) فأغار عمرو بن خالد بن صخر على بني فراس، فقتل منهم نفراً، منهم عاصي بن المعلّى، ونضلة، والمُعَارِك، وعمرو بن مالك، وحصن، وشریح، وسي سَيِّاً فيهم ابنة مكدم، فقال عباس بن مرداس في ذلك يرد على عبد الله بن جذلٍ شعره الذي قاله يوم برزة:

ألا أبلغنُ عني ابن جذلٍ ورَهْطُهُ
غداة فجعناكم بحصن وبابنه
ثمانية منهم ثأرناهمو به
نذيقكم - والموتُ بيني سُرادقاً
تلوح بأيدينا كما لاح بارق
فكيف طلبناكم بكرزٍ ومالك
وبابن المعلّى: عاصم والمُعَارِك
جميعاً وما كانوا بَوَاءً (٢) بمالك
عليكم - شَبَّأ حدُّ السُّيوف البَوَاتِكِ
تَلَألاً في داجٍ من الليل حالِكِ

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد:

(١) أيام العرب في الجاهلية: تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٣١٩ - ٣٢٠. وبرزة التي حدثت بها المعركة هي شعبة تدفع على بثر الروثة العذبة في درج المضيق من يليل بين ينبع النخل والمدينة.
(٢) بواء: بمعنى: كفء، وذلك أن مالكا كان متوجهاً في بني سُلَيْم.

بنی أم البنین الم یرعکم
وانتم من ذوائب اهل نجد
تهکم عامر بأبی برأ
لیخفره، وما خطأ کعمد

فلما بلغ قول حسان مسامع أبي براء حمل على عامر بن الطفيل فطعنه،
فأخطأ مقتله ووقع عن فرسه. وقد تأثر الرسول ﷺ، من هذه الحادثة تأثراً عميقاً،
وكان متخوفاً مما حدث^(١)، وكان يوم بثر معونة في صفر سنة أربع للهجرة.

يوم مرج راهط

عندما مات يزيد بن معاوية حدثت بيعتان بالخلافة، وكانت إحدى البيعتين
بالشام لمعاوية بن يزيد، والأخرى كانت بمكة والحجاز لعبد الله بن الزبير - رضي
الله عنه.

اختار أهل الشام للخلافة معاوية بن يزيد. ولكنه رفضها واستقال منها عندما
رأى المسلمين مختلفين أشد اختلاف، ولم ير في نفسه القدرة على إعادة الوحدة
لهم بعد أن تصدعت، وبذلك أصبحت الشام بدون خلافة.

واختار أهل مكة والحجاز عبد الله بن الزبير، وحينما علم الحُصين بن نمير
قائد حملة يزيد بن معاوية على ابن الزبير في مكة - بموت يزيد حاول أن يجتذب
إليه عبد الله بن الزبير فيوليه الخلافة في الشام، على أن يؤمن الناس ويهدر الدماء
التي كانت بين ابن الزبير وابن نمير، فأبى عبد الله بن الزبير ذلك بإصرار وإعلان،
وقام - في العراق - عبيد الله بن زياد بحملة دعائية له، فبايعه أهل البصرة ظاهراً
ثم بايعوا ابن الزبير، ولما شعر بضعفه بينهم هرب إلى الشام، وهكذا دخل أهل
البصرة وأهل الكوفة في بيعة ابن الزبير مع أهل مكة والحجاز.

وكان الضحَّاك بن قيس أميراً في الشام، والنعمان بن بشير أميراً لحمص،
وزفر بن الحارث أميراً لقنسرين، وكان هوى هؤلاء جميعاً مع عبد الله بن الزبير،
وكان حسان بن مالك الكلبي أميراً لفلسطين وهواه مع بني أمية، وسبب ذلك أن
بني كلب كانوا أحوال يزيد بن معاوية، لأن أمه (ميسون الكلبية) وكانت بطون
كلب بن وبرة القُضاعية اليمانية قد انتشرت في أراضي واسعة، شملت دومة

(١) أيام العرب في الإسلام، لمحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ص ٥٥، ط دار إحياء
الكتب العربية بمصر، وسيرة ابن هشام وغيرهما.

الجنـدل وبادية السماوة، والأقسام الشرقية من بلاد الشام، ولما أخرجَ العرب المسلمون الرومَ من الشام قامت هذه البطون بدورٍ بارز في السياسة، إذ أيدت الامويين^(١)، وقد تدرج الخلاف بين الفريقين من الكلام إلى الخطابة إلى المضاربات إلى القتال والمناجزة حيث كان كل فريق من الفريقين المتنازعين يريد أن يكسب المعركة السياسية بكل الوسائل الممكنة. وحدث ذات يوم بعد ما استحكمت حلقات الخلاف أن قام «ثور بن معن السلمي» فأشار على الضحَّاك بن قيس الفهري بأن يُظهر ما كانوا يخفونه من بيعة عبد الله بن الزبير بالخلافة ولم يكن هذا الرأي مُوفَّقًا ولا حازمًا، فإن الأمر لم ينضج بعدُ، على ما كان يهدف إليه الضحَّاك، ويفتُلُّ له في الذروة والغارب، وفي الوقت نفسه اجتمع حسان وبنو أمية بالجابية وتشاوروا في الخليفة، واتفقت كلمتهم على تولية مروان بن الحكم، فبايعوه بالخلافة. هذا ومع ما كان لدى الضحَّاك من جلد ومن عزم فإنه لم يملك أعصابه هذه المرة، فاستجاب - كما يبدو لنا - إلى مشورة ثور بن معن السلمي المرتجلة، فكانت (معركة مرج راهط) بين الجانبين الثمرة المباشرة لهذه الاستجابة بعد مبايعة مروان بالخلافة - وقد انتصرت بنو كلب فيها على القيسية نصرًا حاسمًا، وكانت هذه المعركة التي وقعت سنة ٦٤هـ أو ٦٥هـ ذات عقابيل ونتائج وخيمة على العرب والمسلمين فيما بعدُ، بما فرقت من وحدة العرب المسلمين وبما أوهنت من قواهم المعنوية والمادية في ذلك الجيل وفي الأجيال اللاحقة^(٢).

وفي رواية (الاستيعاب) لابن عبد البر في ترجمة الضحَّاك بن قيس الفهري هذا تفصيل للواقعة وأسبابها بشكل آخر، وقد حدد وقت الواقعة بأنه نصف ذي الحجة من عام ٦٤هـ. (انظر مادة الضحَّاك بن قيس القرشي الفهري في الاستيعاب ص ٧٤٤ و ٧٤٥ القسم الثاني).

يوم البشر

كان هذا اليوم من أيام بني سُليم، بعد معركة مرج راهط، وقد انتقمت فيه بنو سُليم القيسية من خصومهم السياسيين والحريين - بني تغلب - وروافد هذه

(١) أيام العرب في الإسلام، ص ٤٢٢ - ٤٢٤، والمُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

(٢) أيام العرب في الإسلام، ص ٤٢٢ - ٤٢٦.

الحرب الضروس منبثقة من معركة (مرج راهط) فمنها جذورها ومصادر اندفاعها. وقد ذكر المؤرخون أنه بعد مقتل عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - بسنة ٧٢هـ هدأت الفتنة بين القبائل القيسية والتغلبية، واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وتكافأت قيس وتغلب عن المغازي فيما بينهما، ولكنه تكافأ على دَخَل، ولكل شيء سبب، فقد حدث - لسوء حظ بني تغلب - أن أنشد الشاعر التغلبي «الأخطل» عبدَ الملك بن مروان - وكان لديه ساعتذ وجوه قيس وصناديدها، ومن بينهم الجَحَافُ بن حكيم السُّلَمي - أحياناً من قصيدة له كان مدح بها بعض بني أمية، وقد تعرض فيها لبني سُلَيم تعرضاً مُزِرياً بهم، فانزعج لهذا الصنيع السُّلَميون الحاضرون وعلى رأسهم الجَحَاف، وبدأ الغضب يتطاير من عينيه، ثم مضى إلى قومه واحتال عليهم - حتى أطاعوه - لحرب بني تغلب، فأقبل على بني تغلب مع قومه وبنو تغلب لا يعلمون، وكانوا مجتمعين في (البِشْر) فقتل السُّلَميون منهم فيه خمسمائة رجل، وتجاوزوا قتل الرجال إلى قتل النساء والأطفال، وهكذا كانت معركة البشر أو يوم البشر معركة أخذ فيها بنو سُلَيم ثأرهم من بني تغلب بالكيل الوافي الطافح، لقد ثأروا منهم حيال قتلهم لأحد رجالاتهم: عمير بن الحباب السُّلَمي، وهكذا أطفأ الجَحَاف جمره غضبه في دماء بني تغلب، ورد رداً فعلياً بليغاً وعميقاً على تحدي الأخطل له أمام الخليفة.

وقد تَغَلَّبَ النمر الذي كان يصول ويزمجر بين جوانح الأخطل بعد هذه الواقعة الحاسمة على ما فصلناه في ترجمة (الجحَّاف بن حكيم السُّلَمي) في الفصل الخاص بتراجم «الأمراء والمحسنيين والقادة والولاة للسُّلَميين» من هذا الكتاب.

وعلى عادة العرب عقب غزواتهم نرى الشعر يدخل ميدان المعركة، مجسماً ومقدِّراً وواصفاً انتصار بني سُلَيْم على تغلب، وواضعاً انكسار شوكة بني تغلب وانهزام شوكتهم أمام التيار الجارف الهابط عليهم من خصومهم السُّلَميين.

يوم الحرية

وقعت هذه المعركة المنسوبة إلى «الحرّة» بين بني حرب من خولان القحطانية من صعدة باليمن وبني سلّيم، في عصر الهمداني أو قريب منه، وربما في

القرن الهجري الثالث^(١)، وقد قُتل في ذلك اليوم سبعون رجلاً من بني سُليم، قتلهم بنو حرب. كما قُتل من حرب جماعة من رجالهم منهم أربعة من بني محمود من ولد عمرو بن زياد من سعد بن سعد بن خولان، وهؤلاء الأربعة المقتولون في تلك المعركة على يد السُّلميين هم الإخوة: محمد وأحمد والحسن وحسين^(٢).

يوم الرغامة

وقد بقي أثر هذه المعركة التي قُتل فيها أربعة من أبناء أحد رؤساء حرب: محمود المذكور آنفاً عالِقاً في نفسه، فأزعم الانتقام من سُليم، ومن ثمَّ جمع لهم جموعاً من قومه وسار إليهم، فَصَبَّحَهُمْ يوم الرغامة فقتل منهم مائة رجل. ويقول الحسن الهمداني روايةً عن أبي جعفر المجالي: (وكانت عليهم أي بني سُليم يومئذ عمامٌ خَزِرُ زُرْقٍ، فلم يلبس سُلميٌ بعدها عمامة زرقاء^(٣)).

وما أورده الحسن الهمداني هنا من أن بني سُليم كانوا يومئذ بعمائم خَزِرِ زُرْقٍ، يضع أماناً شيئاً من نوع «زِيٍّ» بني سُليم في القرن الهجري الثالث، ونستطيع أن نقول انطلاقاً من هذه العبارة: إن بني سُليم كانوا في ذلك الزمن يَعْتَمُونَ بالعمائم المتنوعة، فقد لبسوا - للحرب - عمامٌ خَزِرُ زُرْقًا، إبرازاً لشجاعتهم وتمييزاً لهم عن غيرهم.. والعمائم تيجان العرب.

يوم شرف الأثاية

وهذا يوم من أيام بني سُليم ذكره الهمداني في كتاب «الإكليل» بمناسبة ذِكْرِهِ ليومي الحرَّة والرغامة، اللذين غزت فيهما حرب بني سُليم «وفي يوم شرف

(١) يقول الطيب: من الأكيد أن وقعت بني سُليم مع قبيلة حرب القحطانية كانت بعد عام ٣٠٠ هـ إذا شغلت معظم سُليم بتأييد القرامطة في البحرين والشام وغيرها، مما أضعف قوة وهيبة سُليم في الحجاز أمام قبيلة حرب والتي انتشرت ببداية الحجاز وقتئذٍ، وقد حققت بعض الانتصارات والنفوذ في تلك المناطق الحجازية مما حدا ببعض البطون السُّلمية أن تحالف حرب وتدخل فيها فيما بعد هجرة معظم سُليم إلى مصر مع هلال من هوازن في أواخر القرن الرابع الهجري.

(٢) الإكليل للهمداني، ص ٢٩٨ - ٣٠٦، الجزء الأول، ط مصر. ولم يستبين لنا ما هذه الحرَّة ؟ ولعلها حرَّة بني سُليم وحرباً غزتهم في عقر دارهم، فسمي اليوم يوم الحرَّة.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٦ و ٣٠٧. ونعتقد أن الرغامة أيضاً مكان في ديار بني سُليم غزاهم فيه وفاجأهم بنو حرب، وبنو حرب مجاورون يومئذ لبني سُليم، ولايزالون إلى اليوم كذلك.

الأثاية كان الغازي لهم (ابن ملاحظ) وقد لقَّبه الهمداني: بـ (سلطان مكة) مع أنه أحد أمرائها من قبل بعض خلفاء بني العباس - ولعل إمرتهُ لمكة كانت في أواخر القرن الثالث^(١) وقد انتصروا على جيشه وقتلوا أصحابه وأسروه، فأقام عندهم وقتاً، ثم مَنَّا عليه وخلوا سبيله^(٢) و«الشرف» - لُغَةً - من معانيه: المكان العالي، فلعل موضع المعركة كان شرقاً عالياً في أثاية و«أثاية» بفتح الهمزة - عرفها لنا ياقوت في معجم البلدان بأنها: «موضع طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً»^(٣).

و(أثاية) وردت في (معجم ما استعجم) للبكري مضمومة الهمزة، ونَصَّ على ذلك بالتعريف الحرفي، وقد عرفها لنا البكري بقوله (في مادة الروثة): (وهي بئر دون العَرَجَ بيلين عليها مسجدٌ للنبي ﷺ، وبالأثاية أبيات وشجر أراك، وهناك ينتهي حد الحجاز، وهناك وجد رسول الله ﷺ الطَّبِيَّ الحاقف - أي النائم المنحني في نومه - في ظلٍ، وفيه سهم، فقيل: إن رسول الله أمر رجلاً أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزه)^(٤):

وهكذا اتضح لنا مكان المعركة، فإنها وقعت بقرب العَرَجَ الذي نزل فيه بنو حرب لأول مرة في هجرتهم الجماعية من صعدة باليمن إلى الشمال.

هذا، وقد أفادنا الهمداني بامتداد منازل حرب بين مكة والمدينة بعد هجرتهم الجماعية من اليمن، فقد ذكر له محمود - وهو أحد رؤسائهم أنهم نزلوا بقُدُس من الحجاز، وبها عَنَزَةٌ ومُزَيْنَةٌ وبنو الحارث وبنو مالك من سُلَيْم، وقد ناصبتهم عَنَزَةٌ الحرب، فأجلوا عَنَزَةً من قُدُس إلى الأعراض من خيبر بعد معركة ضارية، ثم ناصبتهم مُزَيْنَةُ الحرب، وكانت أهل ثروة زهاء خمسة آلاف، فقتلوا من مُزَيْنَةٍ مقتلة عظيمة وأجلوا إلى الساحل من الجار - البُرَيْكَةِ والصَفراء، وأرض جُشَم من هوازن أخوة سُلَيْم فهم بها إلى اليوم - أي إلى يوم كتب الهمداني كتابه الإكليل، لا يدخلون الفُرْعَ إلا بجوار وذمام من بني حرب وبقية سُلَيْم، فناصبتهم بنو الحارث

(١) راجع كتاب «جداول أمراء مكة وحكامها»، للشريف مساعد بن منصور، ص ١٦، طبع مكة.

(٢) الإكليل، للهمداني، ص ٣٠٧، الجزء الأول.

(٣) معجم البلدان، ص ١١٦ و ١١٧.

(٤) معجم ما استعجم، ص ٦٨٦، الجزء الثاني؛ وص ١٠٦، الجزء الأول.

وبنو مالك من سُلَيْم وهم زهاء أربعة آلاف، وهم أهل الحَرَّتَيْنِ والبقيع^(١)،
فحاربوهم دهرًا فأجلوهم عن الحَرَّتَيْنِ والبقيع، وقتلوا منهم عددًا كثيرًا، وصارت
بنو الحارث وبنو مالك «السُّكْمِيون» لا يدخل منهما، الحَرَّتَيْنِ والبقيع داخل إلا
بذمام من بني حرب، وقد يُبْقِي عليهم محمود (رئيس من رؤساء حرب) لأن أمه
جُشْمِيَّةٌ من هوازن بن منصور إخوة سُلَيْم بن منصور.

هذا، وقد أفادنا الهمداني بملابسات تَعْلَبُ حَرَبٌ بعدئذ على طريق المدينة إلى مكة، فقال: (فلما غلبت بنو حرب على تلك البلاد، وقَهَرَتْ، تعلقت قريش بأصهارهم وأسند إليهم كلٌّ، وألقى أزمة أمره في أيديهم، وغلبوا على طريق المدينة إلى مكة فلم يسرها أحد منهم إلا بخفارتهم، وكان المقتدر العباسي يبعث إليهم طول حياته بالمال في خفارة الطريق، وإلى اليوم وهم على ذلك)^(٢) ويذكر لنا الإصطخري صاحب كتاب المسالك والممالك: أن طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب استولت - في عصره - على ضياع أولاد جعفر بن أبي طالب الهاشميين بؤدان القرية من الجَحْفَةِ^(٣).

وقد أظنَّ رحَّالة الحج المصري محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري من أهل القرن الهجري العاشر في ذكر أحوال أدراك (مدارك الأعراب) في طريق الحاج وقال عن عترة: (إن حدودهم من طرف الحنك من الجهة القبلية إلى المدينة الشريفة إلى آبار علي - ذي الحليفة - إلى جبل مفرح - المفرحات - وذكر أحوال مدارك غيرهم وأفادنا بأن (بدرًا) كانت مدينة بها عيون ومزارع، وبأن (الجار) فرضة المدينة فیرد الحاج ماءها^(٤).

(١) كتاب الإكليل، للهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي ص ٣٠٤ و ٣٠٥ وقد عرف المحقق البقيع بأنه (المسمى بقبع الغرقد، وهو مقبرة أهل المدينة، معروف مشهور إلخ). والذي يبدو لي من مقتضى الحال أن المقصد بالبقيع هنا غير بقبع الغرقد بطبيعة الحال، وربما كان البقيع المراد هنا هو الذي قال عنه معجم البلدان لياقوت الحموي: (وقال الزبير: أعلى أودية العقيق، البقيع. وأنشد لأبي قطيفة بيتين من شعره)، ص ٧٠٣ و ٧٠٤، ط إيران الجزء الأول.. وما يدل على صحة هذا التأويل أيضاً قول الهمداني (ص ٣٠٥، الجزء الأول) «فناصبتهم بنو الحارث وبنو مالك بن سليم وهم زهاء أربعة آلاف، وهم أهل الحرثين والبقيع»، وبديهي أنه لا يقصد أن المذكورين أهل الحرثين وبقيع الغرقد، فتعين أن يكون المراد بالبقيع غير بقبع الغرقد.

(٢) الإكليل، الجزء الأول، ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

(٣) ص ٢٥، طبعة مصر.

(٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ص ٤٥١، و ص ٥٢٨، ط المطبعة

كما أظن إبراهيم باشا رفعت في وصف ما لاقاه وهو أمير الحج المصري سنة ١٣٢٦هـ - من أهوال إخلال قبائل حرب بالأمن بين المدينة ومكة أثناء عودة المحمل المصري من المدينة إلى ينبع، وقد اضطروهم القتال الذي نشب بينهم وبين بعض قبائل حرب بعد آبار درويش إلى العودة الإجبارية إلى المدينة بعد ما خسروا بعض القتلى من الجند وبعد أن نفقت بعض ركائبهم، نتيجة تبادل إطلاق النيران الحامية بينهم وبين أولئك الأعراب^(١).

كما أنه ذكر في بيان خاص مفصل مكافآت أعراب حرب في طريق المدينة - مكة، أو مرتباتهم التي كانت تؤدي من مصر، لتأمين سلامة المحمل أثناء عبوره لديارهم إلى مكة^(٢)، ولم ألحظ بين هؤلاء اسماً لبني سليم.

ونحمد الله تعالى ومن حق قبائل حرب أن تحمده معنا، فقد انتشلتهم الحكومة السعودية من هذه الأضرار وأزالت معالم إخلالهم بالأمن، وعوضتهم اعمالاً وتعليماً لأبنائهم ووظائف في الدولة وصناعات يقومون بها، فتدر عليهم رزقاً حلالاً وافراً، يرفع من مستواهم الاجتماعي والصحي والاقتصادي، ويجعل منهم أعضاء نافعين في جسم الأمة.

يَمْتَنِعُونَ ثُمَّ يَقْتَنِعُونَ

حينما ظهر الإسلام في جزيرة العرب كانت قريش في مكة تكيد له جهراً ورسراً، وتقف منه موقف العداء السافر، وحاولت أن يمتد هذا الموقف من الإسلام إلى سائر قبائل العرب في شبه جزيرة العرب، وكان من الميسور لهم أن يقوموا بالدعاوة السلبية ضده؛ لأنَّ سِدانة الكعبة ومشاعر الحج كانت بأيديهم، فهم ذوو مكانة دينية مرموقة لدى عرب الجاهلية، يضاف إلى ذلك مكانتها التجارية والاجتماعية.

وكانت بنو سليم من أحلاف بني أمية وقريش في جاهليتهم، وكان بعضهم شركاء لبعض في تجاراتهم، وقد تصاهر بعضهم مع بعض، فلا غرو إذا سَرَت

(١) مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت، ص ٢١١ وما بعدها، الجزء الثاني، طبع مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٨ - ٣٤٤، الجزء الثاني.

إليهم من قريش عدوى المناهضة الأولى للإسلام، ولا بدع إذا تألبوا على عداوته والنكاية بأهله، وقد رأينا بعض عرب الجاهلية في بئر معونة يفتكون بالبعثة النبوية الإسلامية المرشدة فتكاً ذريعاً، نتيجة الحقد العميق الذي يحملونه في صدورهم لمعتنقي الدين الجديد.

تقول (دائرة المعارف الإسلامية) البريطانية الأصل، في ترجمتها العربية بمصر: (إن السُّلَميين وأهل مكة من قريش تجمعهم مصالح مشتركة، ولذلك عادوا النبي ﷺ أول الأمر، فلما تبين لهم أن انتصار الإسلام أمر لا شك فيه أخذ هؤلاء البدو الذين يقيسون الأمور بميزان الواقع يفاخرون بإسلامهم) ^(١). ومع أننا نلمح في قولها هذا لوثاً من الدس على إسلام بنو سُليم فيما يتعلق بربط إسلامهم بقياسهم للأمور بواقع الميزان المصلحي ومفاخرتهم - بمقتضى هذه المصلحة المادية - بدخولهم الإسلام، فمما لا ريب فيه أن انتصار الإسلام قبيل دخولهم الإسلام كان ظاهرة تلوح في كل أفقٍ من آفاق جزيرة العرب، ولكن دخول بني سُليم في الإسلام - على ما هو الواقع - لم يكن نتيجة مصلحة مادية لاحت لهم، فرجحوها على ما هو أدنى منها، وإنما كان عن اقتناع وإيمان وتصديق ضمائرهم بأن الإسلام هو دين صدق وحق وسيمحو كل ما يعارضه في طريقه إلى كل ناحية، يدلنا على ذلك أمور وإرهاصات، فإن من رجالاتهم من دخلوا في دين الإسلام أول ظهوره بمكة، حتى قال عن نفسه هذا البعض بحق: إنه «رُبُّعُ الإسلام»، لأنه كان رابع ثلاثة دخلوا فيه أول وجوده بمكة، قبل أن تبدو فيه أية مصالح مادية، وقد تابع البعض من سُليم غير هذا أيضاً النبي ﷺ، وظلوا في بلادهم يكتمون إيمانهم، وكان مع ذلك - كما يبدو لنا - يحاولون أن يدخلوا معهم في حظيرة الدين الجديد كل من يأمن بوائقه من قومه، وما كان ليخفى مطلقاً على المشركين بطبيعة الحال حال المسلمين إذا تعايشوا مع المشركين، ولا بد أن من قوم هؤلاء المسلمين من كانوا شاعرين باعتناقهم لدين الإسلام ومفارقتهم للأوثان عارفين بذلك، ويتهامون به في مجالسهم الخاصة وربما العامة، وكانت دعوة مُسلميهم السرية قد بدأت تظهر عندما لاحت بوارق انتصار الإسلام، فصاروا يدعون قومهم أو من يرجون منهم قرب الاستجابة لدعوتهم جهراً، وهكذا كانت نفوس بني سُليم مهياة للإسلام

مستعدة لدخوله، بدون النظر إلى مطامع أو مصالح قبيل فتح مكة، بدليل اشتراك ألف فارس منهم مع النبي، فلما فتحت مكة أقبلوا جماعات بخيلهم ورجلهم إلى الرسول ﷺ فأمنوا به، مصدقين من قلوبهم برسالته الإلهية، موحدين لربهم، مرتفعين عن أضرار الشرك وأغلاله التي كانت تحيط بهم فتحط من مستواهم الروحي؛ ولذلك سرعان ما رأيناهم يجردون سيوفهم، ويبيعون نفوسهم رخيصة في الغزوات والمعارك الإسلامية التي تلت فتح مكة والتي خاضوها بكل بسالة وإقدام لرفع راية الدين الخنيف.

موقف بني سُلَيْم في ردة العرب

حينما ارتدَّ بعض العرب في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه -، كان موقف بني سُلَيْم حيال الإسلام، وحيال الردة متفاوتًا ومختلفًا، فبعضهم ثبت على الإسلام، وبعضهم سار في تيار الردة. وقد ضرب أبو بكر الصديق مرتديهم بالدين ثبتوا منهم على الإسلام، فكان قائدًا راشدًا بالغ الحكمة، فلا يقل الحديد إلا الحديد.

وكان أبو بكر قد وليَّ خالد بن الوليد مهمة إعادة المرتدين من العرب إلى حظيرة الإسلام، فقام بهذه المهمة العظيمة خير قيام.

جاء خالد «جو قراقر» وأتى «النقرة» ووجد جمعًا من بني سُلَيْم، يرأسهم أبو شجرة بن عبد العزى السُّلَمي الذي أمه الخنساء الصحابية الشاعرة المشهورة، فقاتلوا خالدًا، واستشهد رجلين من المسلمين، ثم فضَّ الله جمع المرتدين وركب المسلمون أكتافهم.

وقدم في أيام الردة - الفجاءة السُّلَمي إلى المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية الأولى، فقال لأبي بكر - رضي الله عنه: احملني وقوّني أقاتل المرتدين، فحمله أبو بكر وأعطاه سلاحًا، فخرج من المدينة يعترض الناس، فيقتل المسلمين ويقتل المرتدين معًا، وجمع جمعًا!. فكتب أبو بكر إلى «طُريف بن حازمة السُّلَمي» أخي معن بن حازمة السُّلَمي، وكان هو وأخوه ممن ثبت من سُلَيْم على الإسلام، وأمره أبو بكر بقتال الفجاءة، فنفذ ما أمره به الخليفة، وأسر الفجاءة؛ فلما جاء الفجاءة

إلى أبي بكر عاقبه بأن أمر بإحراقه في ناحية المصلّى^(١) - مسجد الغمامة بالمدينة - جزاء ما سبق أن اقترفه من إحراق المسلمين.

وفى هذا المعنى يقول أبو جعفر الطبري:

(كانت سُلَيْم بن منصور قد انتفض بعضهم فرجعوا كفاراً، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم، يقال له: معن بن حاجر (ة) أحد بني حارث، فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة الأسدي وأصحابه كتب (أبو بكر) ^(٢) إلى معن بن حاجر (ة) أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سُلَيْم مع خالد، فساروا، واستخلف معن بن حاجر (ة) على عمله أخاه طريفه بن حاجر (ة)، وقد كان فيمن لحق من بني سُلَيْم بأهل الردة - أبو شجرة بن عبد العزى، وهو ابن الخنساء كما قدمنا آنفاً، فقال:

فلو سألتُ عنا غداة مُزامرٍ
لِقَاءَ بني فهر وكان لقَاؤهم
صبرْتُ لهم نفسي وعَرَّجْتُ مُهرتي^(٣)
إذا هي صَدَّتْ عن كمي أُریده

كما كنتُ عنها سائلاً لو نأيتها
غداة الجِواءِ حاجةً فَقَضَيْتُهَا
على الطَّعْنِ حتى صار وَرْدًا كَمَيْتُهَا
عَدَكْتُ إِلَيْهِ صَدْرَهَا فَهَدَيْتُهَا

وقال حين ارتد عن الإسلام:

صحا القلبُ عَنْ مِيْ هَوَاهُ وَأَقْصَرَا
وَأَصْبَحَ أَذْنَى رَائِدِ الْجَهْلِ وَالصَّبِيِّ

وطاوع فيها العاذلين فأبصرا
كما ودَّها عَنَّا كَذَلِكَ تَغْيِيرَا

إلى آخر الآيات التي أوردناها في ترجمته كشاعر من شعراء سُلَيْم، وذلك في الفصل الخاص بشعرائهم.

وقال الطبري بعد ذلك: (ثم إنَّ أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس، حتى قدم المدينة في زمن عمر بن الخطاب، (وهنا أورد الطبري قصة دخوله على عمر مستجدياً، وقد ذكرنا هذه القصة في ترجمة أبي شجرة كشاعر من شعراء سُلَيم)^(٤).

(١) فتوح البلدان، للبلاذري، ص ١١٧، الجزء الاول؛ وتاريخ الطبري، ص ٤٩٢ و ٤٩٣ المجلد الثاني، طبع مطبعة الاستقامة بمصر.

(٢) من عندنا ردنا كلمة: (أبو بكر) لاقتضاء سياق الكلام لذلك.

(٣) امتطاء أبي شجرة مهرته واعتزازه بها في الحرب، هو أثر من آثار وجود الخيل لدى بني سليم بكثرة كما أشار إليه المؤرخون.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ص ٤٩٣ و ٤٩٤، للمجلد الثاني.

أحد عشر دوراً لبني سُلَيْم في الأحداث العربية والإسلامية

ليس من ريب في أن لبني سُلَيْم دوراً ما في كثير من الأحداث العربية والإسلامية منذ بزغ فجر الإسلام، ومنذ كانوا مقيمين في ديارهم الأصلية بين الحرمين، ثم منذ فارقوها - أو فارقها أكثرهم، في الفتوحات الإسلامية إلى شرق وغرب، وإلى شمال وجنوب.

وهذا الدور الذي استمروا في القيام به على مسرح الأحداث الإسلامية والعربية طيلة قرون متتالية يؤكد أنهم قبيلة ذات حيوية.

وفي هذا الفصل نستعرض أهم تلك الأحداث عبر شريط الزمن الدوار:

في أول قائمة أدوار بني سُلَيْم في الإسلام قيامهم على البعثة النبوية، أو كما يقول أصحاب السيرة: قيامهم على السرية التي بعثها النبي ﷺ وعلى رأسها المنذر ابن عمرو إلى بئر معونة: موضع ببلاد هُذَيْل بين مكة وعسفان في صفر على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد، وكان مُلاعبُ الأَسَنَةِ الكلابي العامري قدم على رسول الله فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وطلب من الرسول أن يبعث رجلاً من أصحابه إلى أهل نجد يدعونهم ومن معهم إلى الإسلام رجاء أن يستجيبوا له. فبعث الرسول تلك السرية التي أكبر ما قيل عن عددها: إنه كان سبعين رجلاً، وأقل ما قيل عنه: إنهم كانوا ثلاثين وكان فيهم بعض من أسلموا من سُلَيْم، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا أحدهم بكتاب إلى عامر بن الطفيل، فعدا على رسول رسول الله وقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر من هوازن فأبوا أن يخفروا ذمة طالب قدوم البعثة: أبي براء ملاعب الأَسَنَةِ، فاستصرخ قبائل رِعْل وذكوان وعُصَيَّة من سُلَيْم فأجابوه إلى ذلك، وأحاطوا بالبعثة في رحالها، وجالدهم البعثة الإرشادية المؤمنة حتى قُتلت كلها ما عدا واحداً، وقد وَجَدَ النبي ﷺ على أصحاب بئر معونة وجداً عميقاً^(١).

وثاني الأدوار التي قامت بها بنو سُلَيْم استجابتها لدعوة زعماء مكة في غزوة الأحزاب، مع من استجاب لهم من العرب المؤازرين للشرك على الإسلام ولقريش

(١) مختصر سيرة ابن هشام، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٢٢٧ و ٢٢٨، طبع الدار العربية للطباعة والنشر في بيروت.

ينفض إلى رئيس القبائل القيسية الضحّاك بن قيس الفهري الأمير في الشام، ويقول له - وهو في طريقه إلى الجابية ليبيع الناس من يرتضونه للخلافة من الأمويين بعدما اتفق مع بني أمية على هذه الخطة - رأينا ثور بن معن السلمي وهو يقول إذ ذاك للضحّاك: «دعوتنا إلى ابن الزبير فبايعناك على ذلك، وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد، فقال له الضحّاك: فما الرأي؟ قال معن: الرأي أن تُظهر ما كنا نكتم، وتدعو إلى ابن الزبير^(١)، ويبدو أن الضحّاك - مع ثقب رايه ودعائه وحذره - قد تفاعل مع رأي معن، فكان ذلك الإسفين الكبير الذي دقته يد الخلافات القبليّة العامرة في صرح الوحدة الإسلامية بين ناشري لوائه على المعمورة: العرب المسلمین، وقد استمر - فعلاً - تأثير معركة (مرج راهط) التي وقعت بين الفريقين المتخاصمين من العرب على (مرشحي الخلافة) فسقطت ضحايا منهم بلغت عشرات الألوف على ما يرويه لنا المؤرخون، وكان الأحرى بهم أن يصرفوا هذه القوة الضاربة التي دمرتها أيديهم بسبب خلافاتهم القبليّة - في الفتوح الإسلامية، بضرب أعداء الإسلام المحيطين بهم يومئذ في كل مكان، ويذكر لنا ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) أن رجالاً من قيس عيلان لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا (مادة الضحّاك).

وكانت مساهمة بني سلّيم الفعّالة في المعركة السياسية والحربية الدائرة بين عبد الله بن الزبير وأنصاره من جهة، وبين بني أمية وأنصارهم من جهة أخرى، هي الدور الرابع الذي قامت به بنو سلّيم على مسرح الأحداث الإسلامية.

ومن بعد الدور السابق يأتي الدور الخامس، وكان هذا الدور اقتصادياً سياسياً مزدوجاً سببه المباشر أو غير المباشر ما لاحظته هشام بن عبد الملك ولاحظه من قبله عبد العزيز بن مروان من أن القحطانيين في القطر المصري كانوا أغلبية العرب في مصر وأن القيسية أي العدنانية في مصر كانوا قلة، مما أفقد عرب مصر التوازن بين العنصرين الرئيسيين اللذين يتألف منهما الشعب العربي^(٢). وهكذا

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ص ١٤٧، المجلد الرابع، طبع دار صادر - دار بيروت في

بيروت.

(٢) تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين، على كتاب البيان والإعراب، ص ١٠٠. ويقول القرظي: أن نزول سلّيم بمصر كان سنة ١٠٩هـ، وكان أمير مصر يومئذ، الوليد بن رفاعة الفهمي من قيس عيلان، ولم يكن قبل ذلك التاريخ بأرض مصر أحد من قيس إلا من كان من فهم وعدوان. وقد كتب عبيد الله بن الحجاب الذي ولاه هشام مصر كتاباً ضمنه هذا المعنى، وأشار عليه بأن ينقل إلى مصر من قيس أبياتاً فاذن=

أما الدور السادس من أدوار بني سُليْم في الإسلام فيتمثل في القصة التي رواها أحدهم: عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن عصىة بن خفاف - وقد شهد القصة - قال: جاءت محمداً (النفس الزكية) بنو سُليْم على رؤسائها فقال متكلمهم جابر بن أنس الرياحي: يا أمير المؤمنين نحن أخوالك وجيرانك، وفينا السلاح والكراع، والله لقد جاء الإسلام والخيْل في بني سُليْم أكثر منها بالحجاز، لقد بقي فينا منها ما إن بقي مثله عند عربي تسكن إليه البادية، فلا تُخندق الخندق، فإن رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به، فإنك إن خندقته لم يحسن القتال رجاله، ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة، وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها، وإن الذين يُخندق عليهم يحول الخندق دونهم. فقال أحد بني شجاع: خندق رسول الله فاقصد برأيه أو تريد أنت أن تدع رأي رسول الله ﷺ، لرأيك قال: إنه والله يا ابن شجاع ما شيء أثقلَ عليك وعلى أصحابك من لقائهم، ولا شيء أحب إليّ وإلى أصحابي من مناجزتهم. فقال محمد: (النفس الزكية): إنما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله ﷺ فلا يردني عنه أحد، فلست بتاركة، ولما يتقن محمد (النفس الزكية) أن محمد بن عيسى قائد حملة أبي جعفر المنصور لقتال محمد (النفس الزكية) بالمدينة قد أقبل، حفر الخندق: خندق النبي ﷺ الذي كان حفره للأحزاب، ولما أزمع حفره ركب إليه وعليه قباء أبيض ومنطقة وركب الناس معه فلما أتى الموضع نزل فيه فبدأ هو فحفر بيده، فأخرج لبنة من خندق النبي ﷺ فكبر وكبر الناس معه، وقالوا: أبشر بالنصر، هذا خندق جدك رسول الله ﷺ (١).

أما الدور السابع من أدوار تحركات بني سُليْم التي كانت وبالأعلى عليهم، فقد كان في أوائل القرن الهجري الثالث وبالذقة في سنة ٢٣٠هـ، وهذا التحرك كان في عقر دارهم الأصلية بين الحجاز ونجد، فقد كانوا تطاولوا على الناس حول المدينة بالشمر، وكانوا إذا أرادوا سوقاً من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاءوا، ثم ترقى بهم الأمر إلى أن أوقعوا بميناء الجار (ميناء المدينة المنورة) - بناس من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم، وكان ذلك منهم في جمادي الآخرة سنة ٢٣٠هـ وكان رأسهم - في هذا التحرك - عَزِيزَةُ بن قطَّاب السُّلَمي، وكان عاملُ

المدينة - أميرها - يومئذ محمد بن صالح بن العباس الهاشمي، فوجه إليهم حماد ابن جرير الطبري، وكان الواثق بالله الخليفة العباسي في بغداد قد علم بسبب هؤلاء الأعراب حول المدينة، فوجه حماداً هذا في قوة مسلحة للمدينة لئلا يتطرقها الأعراب، وكان معه ٢٠٠ فارس من الشاكزية^(١)، فتوجه حماد إلى بني سليم في جماعة من الجند ومن المتطوعين للخروج معه من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة، وسار إليهم فلقيته طلائعهم، وكانت بنو سليم كاهة للقتال، فأمر حماد بقتالهم، وحمل عليهم بالروية: موضع على ثلاث مراحل بين مكة والمدينة - وكان بنو سليم وأمدادهم من البادية (٦٥٠) رجلاً، وكان قوادهم: أشهب بن دؤنكل بن يحيى بن حمير العوفي من علاق بنو عوف بن بهثة بن سليم، وعمه سلمة بن يحيى، وعزيرة بن قطاب اللبدي من بني لبيد من سليم، وكانت خيلهم (١٥٠) فرساً، وجاءت إلى بني سليم أمداد أخرى بلغت (٥٠٠) رجل سليمي، وافوهم في موضع يسمى «أعلى الروية» بينه وبين موضع القتال - الذي هو «الروية» - أربعة أميال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت سودان المدينة بالناس، وثبت حماد بن جرير الطبري وصحبه وقريش والأنصار، وقُتل حماد قائد الجيش العباسي، وعامة أصحابه ومن ثبت معه من قريش والأنصار، وحازت سليم الكراع والسلاح والثياب، وغلظ أمرهم فاستباحوا القرى والمناهل فيما بين المدينة ومكة، حتى امتنع سلوك ذلك الطريق على الناس، ولم يكتف بنو سليم بعدوانهم على الطريق العام، بل تطرقوا من يليهم من قبائل العرب، وبلغ الأمر الواثق بالله فاهتم به، فوجه إليهم «بغا الكبير» أبا موسى التركي في الشاكزية والأتراك والمغاربة، وقدم بغا المدينة في شعبان من السنة المذكورة، وشخص إلى حرّة بني سليم لأيام بقين من شعبان، ليخضد شوكة بني سليم وكان على مقدمته طردوش التركي، فلقيهم ببعض مياه الحرّة، وكانت الوقعة الفاصلة بينه وبينهم بشق الحرّة من وراء السوارقية التي هي قرية من قراهم والتي كانوا يأوون إليها - والسوارقية حصون - وكان أغلب من لقيه بغا منهم، بنو عوف، وفيهم عزيرة بن قطاب والأشهب اللذان هما رأسا القواد يومئذ، وقُتل بغا منهم نحواً من (٥٠) رجلاً وأسّر مثلهم، فانهزمت بقيتهم وانكشفوا، ثم أمنهم بغا على حكم أمير المؤمنين الواثق، وأقام بالسوارقية فاتوه واجتمعوا لديه، وهربت خفاف من بني

(١) الشاكبة: الأجراء والمستخدمون، معرب «جاكر» الفارسية، القاموس المحيط مادة شكر.

سُلَيْمٌ إِلَّا أَقْلَهَا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ بِالطَّرِيقِ، وَقَدْ احْتَبَسَ بَغَا عِنْدَهُ زُهَاءُ
أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَهُمْ الَّذِينَ وَصَفُوا بِالشَّرِّ وَالْفُسَادِ، وَخَلَّى سَبِيلَ سَائِرِهِمْ،
وَسَارَ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْأَسْرَى صُوبَ الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٢٣٠ هـ، فَحَبَسَهُمْ بِهَا
فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِبِزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ، ثُمَّ حَجَّ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَتَجَوَّلَ فِي بَعْضِ دِيَارِ
الْأَعْرَابِ الَّذِينَ اعْتَادُوا الْعَبَثَ فِي الْبِلَادِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَحَبَسَ مِنْ أَخْذِهِ
مِنْ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ مِنْ هَوَارِثٍ فِي دَارِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ أَيْضًا مَعَ السُّلَمِيِّينَ،
وَسَارَ بَغَا إِلَى بَنِي مُرَّةَ وَفَزَارَةَ مِنْ غُطْفَانَ بِحَرَّةٍ فَدَكَ وَفِي حَبْسِ الْمَدِينَةِ نَحْوَ مِنْ
(١٣٠٠) رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَهَلَالٍ، فَتَنْقَبُوا دَارَ الْحَبْسِ فَعَرَفَ النَّاسُ فِي الْمَدِينَةِ
بِصَنِيْعِهِمْ وَتَجَمَّعُوا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ عَامِلُ الْمَدِينَةِ - أَمِيرُهَا - يَوْمُئِذٍ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ الْهَاشِمِيِّ، وَحَاصِرُوهُمْ حَوْلَ الدَّارِ حَتَّى أَصْبَحُوا، وَكَانَ وَثُوبُ
السُّلَمِيِّينَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَائِدَ السُّلَمِيَّ عَزِيزَةَ بْنَ قَطَّابٍ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي
أَتَشَاءُ يَوْمَ السَّبْتِ، وَاعْتَقَبَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَتَالَهُمْ وَقَاتَلَتْهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ
أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَقَتْلُوهُمْ جَمِيعًا، وَكَانَ عَزِيزَةُ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

لَا بُدَّ مِنْ رَحْمٍ وَإِنْ ضَاقَ الْبَابُ إِنِّي أَنَا عَزِيزَةُ بْنُ قَطَّابٍ
لِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنَ الْعَابِ هَذَا وَرَبِّيَّ عَمَلٌ لِلْبَوَابِ

وَيَقَالُ: إِنَّ بَوَابَ الْحَبْسِ أَخَذَ مِنْهُمْ رَشْوَةً لِإِطْلَاقِ سَرَاخِهِمْ، وَهَذَا مَا يُشِيرُ
إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ رَجَزِ عَزِيزَةَ، وَقَدْ فَكَّ عَزِيزَةُ قَيْدَهُ فَرَمَى بِهِ رَجُلًا فَخَرَّ
صَرِيْعًا، وَكَانَ عَزِيزَةُ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَصْحَابُهُ صَارَ إِلَى بَثْرٍ فَدَخَلَهَا فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَتَلَهُ، وَصَفَّ بَغَا قَتْلَى بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى بَابِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بَعْضُهَا
فَوْقَ بَعْضٍ!

وَكَانَ مُؤَذِّنُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَدْ أَذَّنَ لَيْلَةَ حِرَاسَتِهِمْ لِبَنِي سُلَيْمٍ بَلِيلًا، تَرْهِيْبًا لَهُمْ
بِطُلُوعِ الْفَجْرِ وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا، فَجَعَلَ بَنُو سُلَيْمٍ يَضْحَكُونَ وَيَقُولُونَ: «يَا شَرَّ بَلِيلٍ
السَّوِيْقُ! تَعْلَمُونَا بِاللَّيْلِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ:

مَتَى كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمِيرًا يَصِلُ لِيَصْقِلَ نَائِيَهُ صَرِيْفُ
يَجُورُ وَلَا يَرْدَفُ الْجَوْرَ عَنْهُ وَيَسْطُو مَا لَوْقَعَتْهُ ضَعِيفُ
وَقَدْ كُنَّا نَرُدُّ الْجَوْرَ عَنَّا إِذَا انْتَضَبَتْ بِأَيْدِينَا السُّيُوفُ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَا إِلَيْنَا
فَإِنْ يَمْنُنْ فَعَفَوَ اللَّهُ نَرْجُو
سُمُوَ اللَّيْثِ سَارٍ مِنَ الْغَرِيفِ
وَإِنْ يَقْتُلْ فَقَاتَلْنَا شَرِيفِ^(١)

والدور الثامن من أدوار تحركات بني سُليْم، هو دور اضطراب أمرهم وهبوط مكانتهم الاجتماعية حينما اتصلوا بالقرامطة وآزروهم، وساروا معهم في احتلالهم لديار الشام، كان هذا الدور من أسباب متاعبهم في الداخل والخارج، إذ أغضب عليهم حاكم مصر، وربما أغضب غيره من الحكام آنذاك، وزاد الطينة بلةً، انتقلَهم مع القرامطة في عودتهم الإجبارية إلى البحرين، بعدما أجلّوا عنوةً عن بلاد الشام بحد الحسام^(٢). وكان بنو سُليْم ذوي عدد كبير، ربما كان يفوق عدد بني هلال^(٣)، وقد اجتمع عليهم بنو عُقيل بن كعب من بني عامر من هوازن، وبنو تغلب، فأخرجوهم من البحرين بأخرة، وإذا أخذنا بالرأي القائل: إن العبيديين بمصر قد رأوا استغلال طاقة عربان بني سُليْم، وبني هلال (هوازن) الحربية الكبيرة في مشروعاتهم السياسية والحربية، فأوعزوا إليهم بالتزوح من البحرين إلى مصر، بعد انتهاء أمر القرامطة، وقبل إخراج بني عُقيل، وبني تغلب لمن تبقى منهم في البحرين - فإننا نرى في ذلك ثغرة فتحتها العبيديون وإسفيناً دقوه لإضعاف شوكتهم وشوكة خصمهم السياسي «المعز بن باديس» في أفريقية الشمالية معاً. وهكذا صَادَ العبيديون - بضربتهم هذه البارعة المزدوجة - عصفورين بحجر واحد، وأثبتوا براعتهم السياسية وحنكتهم ودهاءهم، ولله در المتنبي حين يقول:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحل الثاني
ونلمح الدور التاسع من أدوار تطورات حياة بني سُلَيْم في ديارهم الأولى،
إذ يبدو أنهم بعد حملة التأديب البغدادية الكبرى راجعوا أنفسهم، وأقلعوا فترة من
الزمن عن أعمال السلب والنهب وقطع طريق الحاج المار بديارهم، ولعل ذلك كان
بضغط شديد أو بتوجيه حكيم من دار الخلافة، فازدهرت بلادهم بعض الشيء
وعمرت وأصلحت، واتسعت جوانب الحياة في مدنهم وأمَّها الناس للتجارة

(١) تاريخ الطبري، ص ٣٢٢ - ٣٣٥، الجزء السابع، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

(٢) القبائل العربية في إقليم عصر الولاة، للدكتور عبد المجيد عابدين، ص ١٢٦، طبعة القاهرة،

سنة ١٩٦١ م.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

والاستثمار من كل صوب، وربما ضُربت بها السكة الذهبية وغيرها لوجود المعادن لديهم، وقد ظهر لنا أثر هذا العمران الطارئ من قراءتنا للحجر الأثري الذي جلبه من بلادهم مباركُ بن عبد التواب السُّلَمي حيث ورد فيه ما يومئ إلى بعض ذلك، وقد كان هذا الحجر على ما يبدو - منصوباً في طريق الحاج في داخل ديار بني سُلَيْم^(١).

ويأتي الدور العاشر لهم ممثلاً في نقلهم بصورة جماعية من الديار المصرية إلى الديار المغاربية هم وبني عمومته بني هلال^(٢)، وهي قصة مسرحية محبوبة أجاد حبك فصولها وإخراجها الوزير الداهية (محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري) الفلسطيني وزير المستنصر العبيدي، المتوفي سنة (٤٥٠هـ - ١٠٤٨م) قتيلاً، وخلاصة هذه القصة أن (المعز بن باديس) والي إفريقية البربري، من قبل الدولة العبيدية مال بكُلَّيته إلى أهل السنة، وإلى الدولة العباسية، وخلع شعارات الفاطميين فأحفظَ ذلك عليه المستنصر العبيدي بمصر، فشاور وزيره (اليازوري) في الأمر، فأشار عليه بأن يأذن لبني سُلَيْم وبني هلال المقيمين بمصر بالسفر إلى إفريقية، وأن يكرمهم ويغدق عليهم الأموال ليقوّضوا دولة المعز بن باديس في إفريقية^(٣)، وذلك بأن يوعز إليهم بأنه قد ولّاهم شئون إفريقية ووكلمهم عليها وكالة مطلقة، ويتصرفون فيها تصرف المُلَّاك في أملاكهم^(٤)، وقد تفاهم الرجلان على

(١) للاطلاع على التحقيق الذي قام به المؤلف حول ذلك الحجر بعد قراءته له، ينبغي مراجعة كتاب: «بين التاريخ والآثار» لعبد القدوس الأنصاري.

(٢) فهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور، ويلقبون مع بني سُلَيْم في منصور بن عكرمة - والد سُلَيْم وهوازن.

(٣) جاءت في ديوان ابن جيوس (٣٩٤ - ٤٧٣)، الجزء الثاني بالصفحة ٤٩٠ إشارة شعرية واضحة إلى هذه المَكيدة السياسية البارعة التي قضت على دولة المعز بن باديس في إفريقية، وذلك في قوله يخاطب اليازوري في قصيدة مدحه بها ابن جيوس:

ففات زعيمهم ما أمل	أنخت بصنهاجة النابيات
ب ومن ثلل قد محاها الثلل	فمن عصب عصبتها الحرو
تحديثه صار يدعى مذل	وكان يسمى معزاً فمذل

(والثلل) الأولى - بضم الثاء - بمعنى الجماعات. و(الثلل) الثانية - بفتح الثاء - بمعنى الهلاك.

(٤) في تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لأحمد بن أبي الضياف التونسي، ذكر اليازوري في ترحيل بني سُلَيْم وبني هلال لمعاركة المعز بن باديس باسم المستنصر. وفي كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، أن الوزير اليازوري قال للهلاليين والسلميين: (قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الأبق، فلا تفتقروا بعدها). ص ١٤٨، طبع الدار البيضاء بالمغرب الأقصى.

ذلك وعلى كَيْفِيَّةٍ تنفيذ هذه الخطة البارة، وعهد المستنصر العبيدي إلى «اليازوري» بأمر تنفيذها بحكمة وإصرار. وهكذا انطلق بنو سُلَيْمٍ ومن معهم من الأعراب صوب إفريقية، يَقْتُلُونَ ويقاتلون حتى وصلوا إلى «المعز بن باديس» فحاول استمالتهم بأن أصهر إليهم فزوج بعض بناته لبعضهم، ولكن هذه الحيلة لم تنطل عليهم، فاستمروا في تنفيذ المخطط الذي رُسم لهم حرفياً، وخاصة أن فيه ما يتفق ورغباتهم في السيطرة والحكم، وكان أن شددوا القبضة على المعز وأرهبوه من أمره عُسْرًا، ثم أجلوه آخر الأمر عن القَيْرَوَان سنة ٤٤٩هـ ودخلوها متصرين، وتم ذلك لهم على ما خططه اليازوري وقدره، ثم استولوا في مدة وجيزة على ضواحي إفريقية، ونالوا أمصارها وأخذوا الإتاوة من أهلها.

ويعلل الدكتور حسن إبراهيم حسن ما عمله المستنصر مع المعز بن باديس من نكاية، بأنه انتقام مقصود من بني زيري الذين خرجوا عليه برغم ما أسداه آباؤه لهم من مكارم، فأطلق عليهم قبائل الرياحية والزغبية من بني هلال وبني عوف من سلّيم، وقد أوقعوا بالمعز بن باديس في موقعة حيدران سنة ٤٤٣هـ، ومعنى ذلك أن رحف العرب استغرق أربع سنوات (٤٤٠ - ٤٤٣هـ) ودخلوا القيروان وخربوها وأتوا على تراثها الزاهر، وضعف مُلكُ بني زيري بعد ذلك حتى لم يعد يجاوز أسوار مدينة المهدية، وقد سرَّ المستنصر لهزيمة الزيريين، إذ استطاع أن ينتقم لنفسه منهم، وعبر عن سروره في الرسالة التي بعث بها إلى علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن^(١).

ويذكر قول ابن خلدون أن بني سُلَيْم استولوا على برقة، كما يذكر أن منهم بالصعيد والفيوم والبحيرة خلقًا كثيرًا، وكان ذلك على ما يظهر في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

وفي هذا الدور العاشر الذي تعاضم فيه شأن بني سلّيم كان لهم "وزن سياسي مرموق" في إفريقية، فيذكر التاريخ أن الأمير أبا يحيى زكريا بن الأمير أبي العباس أحمد بن اللحياني الحفصي، بعث بعد انصرافه من الحج عام ٧١١هـ - محمد المزدوري - بين يديه - مع أشياخ من الكعوب من علاّق بن عوف بن بُهّة

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، ص ٢٣٩، المجلد الرابع، نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م.

من بني سُليم، فتم له الأمر وخطب له يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ٧١١هـ على منابر تونس خطبة لم يُذكر فيها سلطان معين، ثم وصل تونس وبويع له بالمحمدية البيعة التامة في ثاني رجب ٧١١هـ^(١)، فلولا مكانة الوفد السُّلمي الذي بعثه قبله ليبرم له الأمر ويحل له المشاكل ما تم له الأمر.

وفي هذا الدور العاشر نرى السُّلميين يأخذون مكانهم تحت الشمس في إفريقية، فقد كانت لهم استطالة على الدول هنالك، واعتزاز بمركزهم القوي، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم بالولايات والإقطاعات ونحو ذلك، وقد نشب خلاف بينهم وبين السلطان أبي الحسن المريني، فوفد إليه من رجالهم: خالد بن حمزة أمير بني كعب من سُليم، وأخوه أحمد، وخليفة بن عبد الله من بني مسكين، وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس، فأكرم وفادتهم، ثم رفع إليه عبد الواحد اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين أن بني سُليم بعثوا إليه مع بعض حاشيته، يطلبون منه الخروج معه لينصبوه للأمر في إفريقية، وأنه خشي علي نفسه بادرة السلطان فتبرأ إليه من ذلك، فغضب السلطان وسجن الوفد السُّلمي الذي كان موضع إكرامه قبل هذا الحدث، ثم إن بني سُليم تأمروا وتعاهدوا على قتال السلطان، فتوافت أحياءهم من بني كعب وبني حكيم من علاق بتوزر، من بلاد الجريد في وسط البلاد التونسية، وتبايعوا على الموت، وولّوا الأمر رجلاً من بني عبد المؤمن اسمه أحمد بن عثمان بن أبي دبوس، وأقاموا له رسم السلطان، وهاجمهم السلطان في عام ٧٤٨هـ، وبعد مصاولات بينهم انهزم السلطان أمامهم هزيمة شنعاء وبادر إلى القيروان، وكانت الهزيمة يوم الإثنين سابع المحرم ٧٤٩هـ وحاصروه ثم جنحوا لمسالته والمفاوضة معه، فأطلق سراح المسجونين السُّلميين الذين كانوا في سجنه، ثم هادنوه وأطاعوه آخر الأمر، ثم عقد الصهر مع أحدهم وهو عمر بن حمزة السُّلمي وهو من الكعوب من علاق ابن عوف، فزوج ابنة عمر، بابنه أبي الفضل^(٢).

(١) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، لابن منقذ القسنطيني، تقديم وتحقيق الشيخين: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي من الجامعة التونسية، ص ١٥٩، ط تونس.

(٢) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، ص ١٥٨ - ١٦٢، الجزء الثالث،

ونصل إلى الدور الحادي عشر من أدوار انطلاقات بني سُليم، وكانوا في هذه المرة بليسيا، فيذكر لنا الأمير شكيب أرسلان: أن أكثر عرب برقة والجبل الأخضر، من بني سُليم بن منصور، وهم الذين ابتلاهم الله بالطليان في هذا العصر، ولم يزلوا يجاهدون عن دينهم ووطنهم منذ عشرين سنة^(١).

قلت: وإكمالاً لهذا الفصل أذكر بعض النصوص في كتاب دولة الإسلام لشمس الدين الذهبي المتوفي عام ٧٤٨هـ: (٢)

- في سنة ٧١ هـ قُتل بخراسان متوليها عبد الله بن خازم السُّلمي أحد الأمراء الأبطال، وله فتوحات.

- وفي سنة ٩٦ هـ مات عُتبة بن عبد السُّلمي، وهو صحابي نزل حمص بالشام.

- وفي سنة ١١٢ هـ غزا أشرس السُّلمي فرغانة، فأحاطت به الترك (الروم) وأخذ الخزر أردبيل بالسيف، فجهز هشام بن عبد الملك جيشاً التقوا الخزر فهزموهم واستقلدوا سبيّاً كثيراً ولطف الله.

- وفي سنة ١٣٦ هـ مات حُصين بن عبد الرحمن السُّلمي الحافظ وله ثلاث وتسعون سنة، يروي عن الصحابة والكوفيين.

- وفي سنة ١٧٧ هـ مات الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السُّلمي الترمذي مصنف الجامع في رجب بترمذ، وهي مدينة كبيرة على نهر جيحون من جانبه الشرقي.

- وفي سنة ٢٨٠ هـ مات حافظ بغداد أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السُّلمي الترمذي.

- وفي سنة ٣٥٥ هـ أخذت العرب البادية من بني سُليم ركب مصر والشام وهلك الناس في البرية.

(١) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، للأمير شكيب أرسلان، ص ٢٧٤، طبع مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠هـ. وجاء في الارتسامات اللطاف أيضاً أن (مشايخ) الأحامدة الذين هم مشايخ حرب في الحجاز يقال أنهم من بني سُليم، وأن جدهم العباس بن مرداس السلمي (ص ٢٧٤).

(٢) انظر ج ١، ٢ من الكتاب - طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

قصص من ماضي بني سُلَيْم

هذه قصص واقعية أخذناها من مصادر التاريخ العربي، بعضها كان في الجاهلية وبعضها كان في الإسلام، ومن طبيعة القصص - وخاصة الواقعية منها - الشفوف والكشف عن طبائع أبطالها، وإبراز خصائصهم وأهدافهم في الحياة.

وقد اخترنا من بين مجموعة قصص بني سُلَيْم المتسمة بطابع الواقعية، هذه القصص السبع التي حدث أولها في أواخر عهد بني سُلَيْم بالجاهلية، وحدث آخرها في ضحى الإسلام وربما في أوائل القرن الهجري الرابع.

القصة الأولى

تنافس في الجاهلية العباس بن مرداس وخُفَّاف بن عمير السُّلَمِيَّان، وكانا من رجالات بني سُلَيْم المعدودين فيهم، ثم تهاجيا بالشعر، ثم تقاتلا، وجرأ قبيلة بني سُلَيْم إلى «حرب أهلية ضروس»، ثم دخل بعض رؤساء بني سُلَيْم من ذوي الرأي والحكمة فيما شجر بين الجانبين، بغية التوصل إلى فض النزاع الدامي وكف إراقة الدماء المهدورة في القبيلة، وإعادة المياه إلى مجاريها بين المتنافسين البطلين الشاعرين، وقد أدرك الندم العباس بن مرداس على ما فرط منه، فأظهر أسفه وأماط اللثام عن أمنيته أن لم يكن شيء مما حدث، ولكن خصمه خُفَّافاً كان على العكس من ذلك، كان نقيضه تماماً في رأيه المستبصر المتراجع، وكان «خُفَّاف» عكس اسمه تماماً في هذه القضية، كان «ثقيلاً» بمعنى الكلمة على منافسه وخصمه (عباس)، في الوقت الذي كان (عباس) عكس اسمه أيضاً في هذا الشأن، حيث كان (بَسَماً) يود أن تندمل الجروح فلا تُنكَأ، وأن يُسَوَّى الخلاف فلا يُثار، وأن تحل «البسمات» محل «العبسات»، و«السلام والوثام» محل «الخصام والحسام»، وقد تمادى «خُفَّاف» في ثقل عداوته لعباس، وردَّ على «عباس» ردّاً شعرياً قاسياً أليماً، وربما كان سبب ذلك (مركب النقص) الذي تحرك في نفسه بسبب لونه وخوولته. وجاء الإسلام فدخل الرجلان في حماء، فتركا كل ما كانا فيه، وصارا من جنده وأبطاله وبذلك انحسم الداء وأسدل الستار على شحنائهما، بعد أن لم تُجدِ الوساطات القوية في جمع شملهما والتأليف بين قلوبهما، والإسلام هو طريق الإصلاح الشامل لذات النفوس وذات البين.

القصة الثانية

حينما شق على معاوية بن أبي سفيان، سقوط مقدم فمه، وكان عنده يزيد ابن معن السُّلَمي قال له يزيد مُسْلِيًّا له: «والله ما بلغ أحد سنك إلا كره بعضه بعضاً، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك»، فطابت نفس معاوية بهذه الحكمة العفوية تخرج من فم هذا السُّلَمي الصديق الجريء المنطيق.

القصة الثالثة

هاجت الفتنة شعواء سنة ١٧٥هـ في دمشق عاصمة الخلافة الأموية، فيما بين المُضَرَّة واليمانية، وكان سببها أن اليمانية قتلوا قيسياً، فلم تُتجدهم سُلَيْم، وإنما أنجدتهم قُضَاعَةُ اليمانية، لقد اعتصمت سُلَيْم هذه المرة بالحكمة وعدم الانحياز، وتجنبت الوقوع في كوارث هي في غنى عن خوض غمارها، وكان أن امتدت هذه الفتنة حتى سنة ١٨٠هـ وقد استطالت وغلظت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، فندب جعفر بن يحيى البرمكي إلى الشام لإطفاء هذا اللهب المستشري ففعل، وعاد إلى بغداد^(١).

القصة الرابعة

قصد الشاعر ثابتُ الرقي أحد بني أسد مع يزيد بن أسيد السُّلَمي، في ديات وجبت على ربيعة وقومه، فلم يعد منه بطائل، ومن ثم رحل إلى سميهِ: «يزيد ابن حاتم المهلبى» وهو بالقيروان بإفريقية، فأعطاه عشر ديات ووصله وأحسن إليه إحساناً عظيماً، فأنشأ قصيدته التي مطلعها:

ألا طرقتنا باللوى أم عاصم وقد زارنا فيها خيال مجاشم

وفيها يقول - مفضلاً يزيد بن حاتم المهلبى، على سميهِ: يزيد بن أسيد السُّلَمي:

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مشنويةٍ	يمين امرئ آلى وليس بآثم
لشتان ما بين اليزيدين في الندى:	يزيد سُلَيْم والأغرَّ ابن حاتم
فَهَمُّ الفتى الأزدي إتلافُ ماله	وَهَمُّ الفتى القيسي جمعُ الدراهم
فلا يحسب التمتامُ أني هجوته	ولكنني فضَّلْتُ أهل المكارم ^(٢)

(١) تاريخ ابن خلدون، ص ٤٦٤ - ٤٦٧، المجلد الثالث، طبع بيروت.

(٢) تاريخ إفريقية والمغرب، لابن الرقيق، ص ١٥٢ - ١٥٣، طبع تونس.

وسارت قصيدة ثابت الرقي، في شتى الآفاق، وتداولتها الألسنة، حتى صارت كالمثل السيار على الأفواه قديماً وحديثاً.

وقد اتفق أن نخاساً، عرّض جارتين على الأمير أحمد بن يزيد السلمي - ابن الذي قيلت فيه الأبيات المارة -، فقال أحمد بن يزيد السلمي للنخاس: أيهما أحسن: هذه، أو هذه؟ فما كان من النخاس إلا أن أجابه - لسوء حظه - بقوله: بينهما - أعز الله الأمير - ما قال الشاعر:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى: يزيد سليم والأغر ابن حاتم

فقال الأمير أحمد بن يزيد السلمي: «خذوا بيد ابن الفاعلة»، لقد اغتم بما سمع، واغتم أكثر بسيرورة الشعر في مختلف الأوساط حتى تمثل به هذا «النخاس» أمامه ولم يكن يدري فيمن قيل ولا فيما قيل، ولا درى أن الأمير أحمد ابن يزيد هو ابن الذي قيل في هجائه ذلك الشعر.

وبلغ هذا الشعر أبا الشمقمق، فقال بمدح يزيد بن مزيد الشيباني من بكر بن وائل:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى: إذا عُدَّ في الناس المكارم والمجدُ
يزيدُ بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلان والأرد^(١)

ومن الجدير بالذكر في هذه القصة أن ولاية يزيد بن حاتم لإفريقية كانت من قبل أبي جعفر المنصور العباسي، في أواسط القرن الثاني الهجري، وكانت وفاته بسنة ١٧٠ هـ في خلافة هارون الرشيد.

وحكاية رمي الشاعر ثابت الرقي، يزيد بن أسيد السلمي بالشح البالغ ربما تعتبر في نظر الواقع من منسوجات خيال الشعراء، المنبثقة من عواطفهم وانفعالاتهم وتأثراتهم، فهم إذا رضوا أطنبوا في المدح وبالغوا فيه كما فعل ثابت مع مدوحه يزيد بن حاتم، وإذا غضبوا أو لم تُستجب مطالبهم أعلنوا سخطهم وبالغوا في هجائهم، وحاولوا أن يكسو شعرهم في ذلك ما يجعله سيّاراً بين مختلف الأوساط، زيادة في النكاية بمن حرمهم من عطائه ومبالغة في تقدير من أكرمهم بإعطائهم.

وَتَرْتُمُ ابْنَ عَمِّ الْأَمِيرِ - أمير بني كعب السُّلَمِيِّينَ، ببيت أبي الطيب المتنبي، وإن أخطأ فهم مراده كل الخطأ ففيه دليل ضمني على بقاء صلة هؤلاء الأعراب المنعزلين بالفصاحة، وتعلقهم بالشعر العربي وحفظهم لدُّرِّه ووَغُرِّه، وربما يعود عدم فهمه للمقصود من كلمة (الرَّبُّ) في بيت المتنبي، إلى الجهل الذي كان يسودهم حينئذٍ، لانعزالهم في مضاربهم النائية في برية قفراء بساحل البحر الأبيض المتوسط، ولربما لم يكن لديهم معلمون مُثَقَّفُونَ يدلونهم على مقاصد الشعراء الذين يحفظون الكثير من أشعارهم، والمسألة موكولة إلى الفهم السليقي، وللسليقة حدود إذا تجاوزتها ارتطمت بصخور الغلط والزلل والالتواء عن النهج القويم، وانهمأَكُهُمْ في لعبة الشطرنج يدلنا على وجود (فراغ) في أوقاتهم، كما يدلنا على تفضيلهم لهذه اللعبة التي تمثل ميادين الحروب والمعارك التي يهفون إليها منذ نزلوا أو أنزلوا في أفريقية.

هذا، وقد أفادنا ابن خلدون بأن السُّلَمِيِّينَ الذين نزل عليهم القاضي أبو بكر ابن العربي هم من بني كعب من علاَّق بن غوف بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور. وكانوا عند إجازتهم إلى إفريقية - على أثر الهلالين - مازالوا مقيمين ببرقة، وقد أكرمه شيخهم كما ذكر ابن العربي في رحلته^(١).

القصة السادسة

حينما ضاقت الأمور بإبراهيم بن عبد الله الحسني، واشتد الطلب عليه من العباسيين دخل البصرة في عام ١٤٥ هـ، وهي سنة مقتله بعد ظهور أخيه محمد في المدينة، وقد استقبله يحيى بن زياد بن حيان النبطي وأنزله بداره في بني ليث، فدعا الناس إلى بيعه أخيه محمد بالخلافة، وقد حوله الدعاة له في البصرة إلى وسطها، فنزل دار أبي مروان مولى بني سُلَيْم في مقبرة بني يشكر ليكون على مقربة من الناس، وولاه سفيان بن معاوية أمير البصرة على أمره، وكتب إليه أخوه محمد يأمره بالظهور.

وهكذا جعل أبو مروان السُّلَمِيُّ بالولاء من داره بالبصرة ملجأ سياسيا لهذا الزعيم الهاشمي الذي لم يقدر له إصابة مرماء، المتمثل في تولية أخيه (محمد)

(١) تاريخ ابن خلدون، ص ١٤٤، الجزء السادس، طبع دار الكتاب اللبناني في بيروت.

الخلافة، لأن الظروف لم تكن مواتية، ولأن الخليفة العباسي كان يقطاً وحازماً، ولم يكن غافلاً عن الأحداث ولا نائماً.

القصة السابعة

ظهر القُرْظُ في نواحي البحرين وعُمان، سار إليها من الكوفة سنة ٢٧٩هـ في أيام المعتضد العباسي، وانتسب القُرْظُ في دعوى كاذبة إلى بني إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق، وكان من أصحاب القرظ: الحسن الجمالي وزكرونة القاشاني، وقاموا بعده بالدعوة إلى عبد الله المهدي، وتغلبوا على البصرة والكوفة ثم انقطعوا عنهما إلى البحرين وعُمان، وقامت لهم هناك دولة تغلب عليها - في المائة الرابعة للهجرة - بنو سُليم، وبنو عُقيل من هوازن، الذين كانوا مستوطنين في البحرين (الإحساء) بكثرة يومئذ^(١).

العلامة عبد الرحمن بن خلدون وبنو سُلَيْم وبنو هلال

— في بلاد المغرب —

عبد الرحمن بن خلدون، أحد مفاخر الحضارة العربية الإسلامية، وهو مستنبط «علم الاجتماع» وأبو بجدته، وقد ضمنَ مقدمته الفذة لتاريخه الكبير، هذا العلم نتيجة دراساته وتجاريه، ولكنه مع ذلك بشر من هذا البشر، له عواطفه ورغباته، ويضطرب فكره وضميره فيما يضطرب فيه سائر البشر، من حب وبغض وتقدير وتكدير، ويخطئ ويصيب، ومن هذه الناحية البشرية العامة يصح أن يوجه إليه ما يوجه إلى كل البشر - ما عدا الأنبياء - من النقد والتسخطة وتزييف الرأي وتحليل العاطفة، ومن هذه الناحية نوجه إليه ما سيأتي في هذا الفصل من النقد البناء حيال مواقفه في تاريخه الكبير المسمى: (العبر) وفي مقدمته الفذة حيال العرب وحضارتهم. وقديماً قال شاعرنا العربي الحكيم يُسجِّل لنا مواطن الضعف التي لا بد أن تكون كامنة في تلافيف سجاياء البشر، حتى ولو كانوا عباقرة أو أعلاماً أو عظاماً.

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايه

(١) تاريخ ابن خلدون، ص ٥٩٦، المجلد الثالث، طبع بيروت.

يقول علماء النفس من العرب: العرق دسّاس، أفترى «ابن خلدون» الذي ينتمي إلى «حضر موت من عرب اليمن - اليمانية» وإلى وائل بن حجر من أقبال العرب، القحطاني الأرومة»^(١) أفترى هذا العرق قد أثر في العقل الباطن لابن خلدون، فأوجد في نفسه (عقدة) سلبية عميقة الجذور على عرب بني سلّيم وبني هلال، الذين هم من أرومة قيسية وعدنانية. . فقد ظلت رحي الحروب الداخلية دائرة أمداً مديداً من الزمن بين التزارية والقحطانية في الإسلام، وكان منها بادئ ذي بدء حرب كلامية عارمة، أدت إلى قيام حرب أو حروب حسامية ضارية.

ولربما كانت هذه النظرية التحليلية لآراء ابن خلدون في بني سلّيم وبني هلال خاصة وفي العرب عامة هي مصدر تلك الآراء المضطربة لهذا الرجل العظيم في عقله وحنكته السياسية وفي علمه وفكره، ولم يسبق لي أن رأيت من طرق هذا الجانب بهذه الصراحة، ولا بهذا الوضوح.

وآراء ابن خلدون في عرب المغرب خاصة وفي العرب عامة هي آراء سلبية أو مضطربة، بقوله فيها فيما يتعلق بعرب بني سلّيم وعرب بني هلال بالمغرب: إنهم ما كانوا إلا مصدر عبث وفساد لحضارة المغرب الممثلة في ملوكه من البربر، ويتجاوز هذه النظرية الخاصة كعالم اجتماعي يقيس العام على الخاص فيصدر حكمه بأن العرب بدون استثناء إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، وقد عقد فصلاً مستقلاً لدعم هذه النظرية في مقدمته الرائعة، ولكن - والحق يقال - إن الصواب جانبه في تقرير هذه القاعدة، كما ستراه واضحاً مبرهنًا عليه في غضون هذا الفصل ومنقوضاً من كلامه وآرائه بذاته.

وربما كان ابن خلدون كما يترآى لنا، موفقاً في بعض ما أصدره من قرارات ونظريات مبنية على تجاربه الخاصة في أفريقية الشمالية فقط، لأنه خبير بأحوالها الاجتماعية، دارس لشؤونها الإدارية والفكرية والاقتصادية والدينية والسياسية، وهو في تجاربه مع بني سلّيم وبني هلال يرى أنهم لا يتصاعون لسياسة دول أفريقية الشمالية، وقد رأهم يلتزمون المقام في خيامهم، وكل حاجتهم إلى الحجارة هو نصب أثافي القدور عليها، ولذلك لا غرو أن يقوموا بتقويض المباني القائمة

(١) التعريف بابن خلدون، لابن خلدون، ص ١ و ٢، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

وتخريبها، كما أن كل حاجتهم للخشب منحصرة في إقامة الأعمدة لخيامهم منه وتشذيب الأوتاد لها، ولذلك تراهم يخربون سقوف الدور؛ لأن طبيعتهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران.

ومن طبائعهم - كما يرى ابن خلدون ويقرر - نهب ما في أيدي الناس، فكلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه، فلماذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران.

وحينما استوت له هذه التجربة في أبعادها وكما يراها هو، (عمم) هذه النظرية - كباحث اجتماعي مؤسس لقواعد علم الاجتماع عممها على العرب جميعاً بدون استثناء، لقد خاط من الجزئيات قباً شاملاً للكليات.

وقد نسي ابن خلدون أو تناسى، أن بني سليم وبني هلال، هم قوم طارئون على بلاد المغرب، طرأوا فيها في وقت كان سوس الفساد ينخر دولهم، وعصا التفرقة والتحاسد والتباغض والتنافس تبدد شمل مجتمعاتهم ودولهم، وقد دخلوا أرض المغرب لمهمة سياسية معينة فرضتها عليهم السلطة ونقلتهم إلى المغرب من مصر لأجلها خاصة، وهي دق الإسفينات بين تلك الدول، وطارئون مثلهم كثار ذوو عُدَّة وأنفة ما كانوا ليرضوا بالدُّون، وما كانوا ليقبلوا إلا أن يكونوا رؤساء لا مرؤوسين، ومطاعين لا مطيعين، وسادة لا مسودين. ودول المغرب من جانبها ما كانت تقبل بسيادة الطُّرَّاء، فهي تقاومهم بكل ما يملكون، من ألوان المقاومة ولا تدع لهم منفذاً أو مسترباً لإقامة كيان أو لراحة من متاعب، لقد غرسوا كل ما أمكنهم من الشوك في طريقهم، وقاموا هم من جانبهم باكتساح كل من يتعرض لهم أو من يشتُمون منه رائحة التعرض، ثم هم مأمورون لانتهاج خطة معينة لتغيير معالم وأوضاع دول أفريقية الشمالية المتناحرة ليصفو الجو أو ليزيد تلبده، فإذا صفا الجو أو زاد تلبده بعد قيامهم بمهمتهم الأساسية كان الربح في كلتا الحالتين لدولة العبيدين أولاً ولهم ثانياً، وهم قوم صارمون وعارمون، وقد أدرك المعز سجايهم وخصائصهم وشدة مراسمهم، وتصميمهم على تنفيذ خطط من بعثهم من المشرق إلى المغرب، فحاول مهادنتهم وتقدم لمصاهرتهم، ولابد أن هذا كان له بعض الأثر في أنفسهم، لولا عوامل أخرى خفية نفترض وجودها كما يفترض رجل العصر

الحاضر وجود الحيوان الجرثومي وهو لا يراه بالعين المجردة، لأن العلم أثبتته ولأنه يُرى بالمجاهر المكبرة في المختبرات العلمية، فلولاً تلك الأمور الخفية - على ما نرى - لبردت حديدتهم إزاء المعز بن باديس والي إفريقيا الشمالية ومن وراءه ومن جاء بعده، ولكن هذه الأمور الخفية ضاعفت من حماستهم وقوت من عزائمهم، ودفعت بهم دفعاً إلى خوض المعارك في كل اتجاه، حتى إذا استتب الأمر على النحو الذي فصله المؤرخون رأينا من بني سُلَيْم وبني هلال - بعد تلك الأعاصير المذهلة - جماعات من الزُرَّاع والصُنَّاع والعلماء ساهموا مع إخوانهم المواطنين المغاربة في الحياة وفي المرافق الخاصة والعامة، ولا يمنع هذا من وجود فئات منهم ظلوا على ما كان عليه أسلافهم من النهب والسلب والاعتداء، فكل عام خاص.

وعجيب أن يستدل ابن خلدون على عدم صلاح الأمة العربية للعمران بظلم الحجاج بن يوسف الثقفي؛ فالحجاج بن يوسف - كما وصفه التاريخ العربي وكما وضعه العرب المعاصرون له ومن جاءوا بعدهم - هو ذو طبيعة متعطشة للدماء ومغرمة بالعسف، عنده مركب نقص كبير، هو (ظالم) والظلم كما هو معلوم مقوِّض للعمران ومرهق للإنسان، فقياس الكليات بالشواذ، ووضع الشواذ معايير للكليات فيهما متزكُّ رأي ابن خلدون، ونقطة اختلال موازين قاعدته، فأين الحجاج مثلاً من عمر بن الخطاب منشيئ مدينتي البصرة والكوفة؟ وأين هو من أبي جعفر المنصور منشيئ مدينة بغداد التي لاتزال قائمة إلى اليوم؟ وأين هو من عبد الرحمن الناصر منشيئ مدينة الزهراء في الأندلس؟ وأين هو من غيره من حكام العرب وملوكهم العادلين بناة المدائن ومؤثلي الحضارة؟ والحجاج على ما فيه من شذوذ مقوِّض ومجحف فقد أسهم في تأثيل العمران بينائه مدينة واسط في العراق، وهذا نفسه ينقض رأي ابن خلدون حتى في الحجاج نفسه، ولا نرتاب في أن «العقد النفسية» المركبة المتفاعلة لدى ابن خلدون هي التي جعلته يركب هذا المركب فتخرج به راحلته عن الجادة ويسلك بُنيات الطريق، يقول: «وانظر ما ملكوه - يعني العرب - وتغلبوا عليه من الأوطان، من لادن الخليفة كيف تقوِّض عُمرانه وأقفر ساكنه، وبُدِّلت الأرض فيه غير الأرض، فاليمن قوارهم خراب، إلا قليلاً من الأمصار، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع، والشام لهذا العهد كذلك، وإفريقية والمغرب - وهذا هما أساس نظريته

السلبية تجاه بني سُلَيْم وبني هلال والعرب جميعاً، وأساس العقدة لديه - لما جار إليها بنو هلال بنو سُلَيْم منذ أول العقد الخامس من المائة الخامسة بعد الهجرة، وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين، قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلها، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي - البحر الأبيض المتوسط - كله عُمَرَاءً، تشهد بذلك آثار العُمران فيه من المعالم، وتماثيل البناء، وشواهد القرى والمدن^(١).

ووقائع التاريخ والعمران العربي تهدم هذه النظرية، وإن شئت فأقرأ ما حواه مثلاً كتاب «حضارة العرب» لغوستاف لوبون، وغيره من الكتب المعتبرة التي تصف لنا العمران العربي في هذه الأرض كنخبة الدهر في عجائب البر والبحر، وكمعجم البلدان لياقوت الحموي، وغيرها وغيرها. . وأخيراً كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» للمستشرق الألمانية زيفريد هونكه.

ومع وَضْعَنَا في حسابنا ما حدث للمغرب من قلاقل واضطرابات وتدهور منذ القرن الخامس الهجري، فإنه يجب أن نضع في حسابنا أيضاً - للإنصاف والعدل - أنه ليس كل ما اعترى المغرب العربي من ذلك، من صنع أيدي عرب بني سُلَيْم وبني هلال، وليس كل ما اعترى بلاد المشرق أيضاً من صنع ظُلَمٍ حكام العرب ولا من عبث أعرابهم، ولا من انتقاض بعضهم على بعض، يجب - في هذا الموقف - أن نضع في حسابنا أيضاً - تلك الغارات الخارجية المتواترة كالفيضانات أو كالسيول الجارفة على المشرق من التتر والإفرنج، كما أن للإفرنج يداً في خراب ديار المغرب بغزواتهم البحرية الاستعمارية له، فبغداد حاضرة العالم المتمدنين في عهد عظمتها الباهرة قد دمرتها معاول التتر قبل عصر ابن خلدون، وأغرقوا تراثها العلمي العظيم في نهر دجلة، وهم قد أغاروا كذلك على الشام ومصر وعاثوا في الأرض فساداً، وجاء بعدهم الصليبيون الحاقدون على حضارة الإسلام فزادوا الدمار والخراب دماراً وخراباً، وابن خلدون العالم الاجتماعي الواسع النظر لا تخفى عليه هذه الحقائق فكان من الملائم لقواعد العلم الاجتماعي الذي عكف على استنباطه أن يضع كل هذا في ميزان حسابه قبل أن يصدر حكمه الصارم على العرب بأنهم أمة غير قابلة ولا مستعدة للعمران.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٥، طبع بيروت، ١٩٦١م.

ويعين ابن خلدون في ركوب بُنيات الطريق فنراه يعقد فصلاً خاصاً في مقدمته في: «أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملوك»، ويُعلّل هذه النظرية التي قدم بها هذا الفصل بأن ذلك لأنهم أكثر بداوة من سائر الأمم^(١) ويزيد الطينة بلة حيث نراه يستشهد على صحة نظريته هذه بقول رستم قائد جيوش الفُرس إذ رأى المسلمين يجتمعون للصلاة: (أكل عمر كبدي، يُعلّم الكلاب الآداب)^(٢)، ورستم عدو مبين للإسلام، موتور أكل الحقد قلبه على المسلمين والإسلام - لو يعلم رستم - خيرٌ شامل له وللعالم أجمعه، وكلمته المذكورة هي «نفثة مصدور»، فما كان ينبغي لمن كان في مثل علم ابن خلدون وحصافته الاجتماعية والفكرية ومركزه الديني أن يتخذها مستنداً له في تقرير قاعدة اجتماعية حيوية تشمل العرب والمسلمين. ونعود إلى قوله السالف ذكره: إن السبب الذي جعل العرب أبعد الناس عن سياسة الملوك هو تغلغلهم في البداوة، فنرى أنها كلمة خرجت من فكر ابن خلدون عفويّاً وبدون تمحيص ولا تأمل ولا استقراء لحالة العرب الذين يتحدث عنهم ويتقدمهم اجتماعياً وحضارياً، وليت شعري أية أمة متحضرة لم تمر قبل تحضرها على دور البداوة؟ هؤلاء الأوروبيون المتحضرون اليوم مرت بهم فترات بداوة غارقة إلى أذنيها في وحل البداوة وبأكثر من العرب، وقد وصف أواخرها أو أواسطها لنا المؤرخون من العرب والمسلمين الذين شاهدوا ديارهم واختلطوا بهم في ديارهم إبان الفتوحات الإسلامية، ومن يقرأ مثلاً (رحلة ابن فضلان) رئيس البعثة العلمية التي أرسلها المقتدر العباسي إلى بلاد الروس - روسيا - قبل ألف عام، يرّ العجائب المدهشة والمذهلة في غرق الروس في حمأة البداوة والهمجية والجهل والتخريف المطبق بأكثر بكثير من بداوة العرب.

والعرب في جاهليتهم، قبل إسلامهم لم يكونوا كلهم بادية، كان منهم دول كبرى منظمة تنظيمًا حضارياً راقياً بلغ ذروة الحضارة الإنسانية في الجنوب والشمال وفي الشرق والغرب من ديارهم، والذين نشروا أعلام الإسلام منهم في المعمورة كانوا أولوا الأمر فيهم وزعمائهم وقادتهم وغالبية جيوشهم من أهل المدينتين

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٦٨.

ومن عَجَبٍ أن نرى ابن خلدون بعدما اندفع بجرة قلم في تيه سلب العرب كل مقوماتهم من الحضارة والعمران - إلى آخر الشوط، يعود رأساً على عقب، فيقرر عكس ما سبق أن قرره تماماً. . إذ يقول ما نصه عن حضارة العرب أنفسهم: (وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليقة ما كان لأجيالهم - أجيال العرب - من المُلْك، ودُولُ عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة - شاهدة بذلك، ثم دولة مُضَر في الإسلام: بني أمية وبني العباس). وهكذا تورط ابن خلدون في نفي باتٍ جازم لأمر معين وفي إثبات له بذاته إثباتاً جازماً قاطعاً.

إني لتعروني الدهشة من تناقض آراء «مؤسس علم الاجتماع»، إنه في نظريته هذه الخاصة «متهافت» كل التهافت، فقد قضى أولاً بحرمان العرب كل العرب من مقومات المُلْك والحضارة، ورماهم بكل شنعاء في تخريب العمران الذي يجدونه قبلهم، وفي تقويض دعائمه حتى تعود الأرض المعمورة من قبلهم خراباً يباباً موحشاً ومقفراً، ثم هو نفسه يعود كلية عن هذه النظرية - بدون أن يشير إليها - فيقضي ثانية بتقيض قضائه الأول تماماً، ويقرر أنه ما كان لأحد من البشر ما كان لأجيال العرب من المُلْك كدُول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة قبل الإسلام، وكمُضَر بشقيها: الأموي والعباسي في الإسلام. فهذا نقض تام شامل لما سبق أن قرره.

والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته، ولولا علمه بأن العرب أهلٌ لحمل هذه الرسالة المقدسة الشاملة للبشر كافة ما حَمَلَهَا الرسول العربي الكريم، وما تحمل أعباء نشرها العربُ إلى أمم الأرض كافة، أما القتل والتخريب فهما أمران ملازمان وشاملان لكل البشر في كل العصور، وناهيك بما حدث للروم وروما واليونان وأثينا، وما بناه العرب من مدن لا يزال باقيا الكثير منه مزدهراً بالعمران، موصول الحبل بسالف الزمان، برغم توالي النكبات عليهم وعليه، وخُذ القاهرة وبغداد والبصرة والطائف وصنعاء وعدن، وجُدَّة ومكة والمدينة، وغيرها مثلاً وشاهداً مُشَاهداً، وليس الخبر كالعيان، وما خططوه ورتبوه من تراتيب سياسة المُلْك والعمران، وما شيده من مدارس وجامعات كالأزهر وجامعة الزيتونة وجامعة القرويين - في كل ذلك دليل ناهضٌ على أن نظرية ابن خلدون السلبية حيالهم في هذه الشئون لا ترتقي إلى مستوى نظرياته الاجتماعية الأخرى بحال من

فلاتزال بنو سُلَيْم تستوطن بلادهم الأصلية في هذه المملكة بين الحرمين الشريفين، ولهم فيها قراهم القديمة والحديثة ومزارعهم ومياهم، وابن خلدون نفسه ناقض نفسه حيال هذه النظرية، فقد ذكر في (العبر) في مكان آخر أن (بجهة المدينة من بني ذباب السُّلَميين خلقًا منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق)^(١). وابن خلدون أفادنا من حيث يشعر أو لا يشعر بأن بني سُلَيْم المقيمين في عهده هنا هم من بني ذباب، وربما كان الموجودون منهم الآن من بني ذباب أو من غيرهم من بني سُلَيْم بن منصور.

ويتحدث لنا ابن خلدون عن «بني ذباب» بن مالك السُّلَميين، ويذكر لنا منازلهم، بإفريقية في القرنين السابع والثامن الهجريين، وهي تقع بين قابس وبرقة، ويجاورون موطن «هيب»، ولم يكتف بذلك بل تجاوزه إلى القول بما يناقض قوله السابق بأنهم انقراضوا من مواطنهم الأصلية في هذه البلاد فقال كما قدمنا آنفاً: «وبجهة المدينة خلقٌ منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق» وتنكيره لكلمة: «خلقٌ» يدل دلالة لغوية واضحة على أنهم في هذه البلاد كثيرون في زمنه، وإذن فبنو سُلَيْم في عهد ابن خلدون هم «خلقان عظيمان»: خلق عظيم منهم بأفريقية، ومثلهم في الكثرة من ظلوا مقيمين في ديارهم بين الحجاز ونجد، وقطع بنو سُلَيْم للطريق على الحجيج يرتقي إلى عهد آل قتادة الأشراف من حكام مكة، ما بين عامي (٥٩٧ - ٨١٩ هـ)، وأول خيط هذا التاريخ (٥٩٧ هـ) بينه وبين عهد ترحيل بني سُلَيْم المقيمين بمصر إلى بلاد المغرب الذي كان بسنة ٤٤٠ هـ بينهما (١٥٦) سنة.

وابن خلدون خير بمواقع بني سُلَيْم في بلاد المغرب، فها نحن أولاء نراه يتبع منازلهم... فبنو سُلَيْم منهم مواطنهم كانت فزان وودان وكلاهما من أرض ليبيا، وقد أعطانا أسماء رؤسائهم في عهده فقال: رؤساء بني ذباب لهذا العهد في الجوارى ما بين طرابلس وقابس وبيتهم بنو صابر، والمحاميد^(٢) بنواحي طرابلس وبيتهم في بني رحاب بن محمود. ومن بني سُلَيْم بنو عوف بن بهثة ما بين قابس

(١) المصدر السابق، ص ٦٣٨، نفس الجزء والطبعة.

(٢) لا يزال المحاميد السُّلَميون في ليبيا بطرابلس الغرب حتى الآن على ما حدثني به الأستاذ خليفة شعبان. ولربط حلقات التاريخ ببعضها ينبغي أن نذكر هنا بالمناسبة ما أورده الأميرشكيب أرسلان من أن بني سُلَيْم هم الذين قاوموا في ليبيا الاستعمار الإيطالي أعنف مقاومة، فلعل الذين قاوموا الاستعمار الإيطالي منهم هم المحاميد السُّلَميون.

وبلد العنّاب من أفريقية، وهم جذميين: مرداس وعلاق، فأما مرداس فرئاستهم في بني جامع لهذا العهد، وأما علاق فكان رئيسهم الأول في دخولهم أفريقية رافع بن حماد، ومن أعقابهم: بنو كعب^(١) رؤساء سُلَيْم في عهد ابن خلدون بأفريقية.

والمستوطنون بأجدادية وجهاتها من سُلَيْم - على ما أفادنا به ابن خلدون - هم بنو هيب بن بُهْثَة إخوة بني عوف بن بهْثَة، وهم ما بين السدرة من برقة إلى العدو الكبيرة ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية، فأول ما يلي المغرب منهم بنو أحمد لهم أجدادية وجهاتها، وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ؛ وقبائل شماخ لها عدد وأسماء متميزة، ولها العز في هيب لكونها جازت المُخَصَّب من بلاد برقة، مثل المبرج وطميثا ودرنا.

ويعزو ابنُ خلدون وَهْنَ المغربِ إلى أمورِ منها وفي مقدمتها: سلوكُ أعرابِ بني سُلَيْمٍ وبني هلالٍ في تلكِ البلاد، فهو متأثرٌ منهم من هذه الناحية، يحاول جاهداً أن يغرس في أذهان قُرَّائه رأيه هذا حيالهم بأنهم أصلُ كلِّ ما حدث للمغرب من رزايا وانتكاسات.

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى «العقد العرقي والنفسية» التي ربما كانت تتحكم في توجيه آرائه حيال بني سُلَيْم وبني هلال، فلا حاجة لتكرارها هنا، وقد نسي أو تناسى ابن خلدون في خضم حوادث اضطراب أمور المغرب أنه هو وأضرابه من كبار ساسته هم صانعو هذه القلاقل، وكان بنو سُلَيْم وبنو هلال أدوات يحركها هو وأضرابه من دهاقنة السياسة المغربية كما يشاؤون، تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال، مما جعل بني سُلَيْم وبني هلال آخر الأمر يفتنون إلى أنهم أصبحوا مجرد «لُعب ودُمى» بيد زعماء السياسة المحترفين المتناحرين المتغلبين ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون، فنفضوا أيديهم منهم آخر الأمر، واتخذوا لهم سياسة شبه مستقلة، لا نقول: إنها حكيمة، فالإنسان ابن بيئته، وقد

(١) ومن الكموب قسيمان أولاد أبو الليل، وأولاد أبو طالب وقد تحاربا وقتل معظم الآخرين، واستقل برياسة الأعراب من سليم في تونس أولاد أبي الليل حتى أوقعت بهم الدولة الحفصية في أواخر القرن الثامن الهجري فهاجروا إلى ليبيا ومنهم قبائل السعادي، وهاجر حلفاؤهم من حكيم من علاق إلى صحراء الجزائر.

أحفظ ابن خلدون تملصهم من انتهاج سياسته والاندفاع وراءه فيما يندفع فيه من تحزبات وتقلبات ناجمة عن عواطفه وميوله الخاصة، فكتب عنهم ما كتب.

وقد كشف لنا الشيخ مبارك الهلالي المليي الجزائري - رحمه الله - في كتابه: (تاريخ الجزائر في القديم والحاضر) السر الذي جعل ابن خلدون يحمل على عرب بني سليم وبني هلال في أقطار المغرب فيقول: (وكانت بطانة الحفصيين يستعملون نفوذهم مع رياح وغيرها في مصالحهم الخاصة وحسب أهوائهم، فربما دَعَوْا القبيلة اليوم إلى طاعة ملك ودَعَوْهَا غداً إلى حربه، وهذا عبد الرحمن بن خلدون كان مع الحفصيين، فدعا رياحاً - ورياح من بني هلال - لطاعتهم، ثم فارقه، فدعاها لأبي حَمُو الثاني سنة ٧٦٩ هـ، ثم حملها على حربه ومخالفة عدوه عبد العزيز ابن أبي الحسن سنة ٧٧٢ هـ، ومع هذا التلاعب الذي لم يسلم منه فيلسوفنا نراه يؤنب العرب أن جرؤوا على الدولة^(١).

وهكذا أمارط لنا اللشام مؤرخ الجزائر في القرن العشرين، عن السر الكامن وراء تحامل ابن خلدون على عرب بني سليم وبني هلال في بلاد المغرب، وإذا ظهر السبب بطل العجب... وربما نستطيع أن نضيف إلى هذا السر الخفي سرّاً أخفى منه وأعمق وأقدم ساكتاً بين ضلوع ابن خلدون، كثرات يحمله عقله (الباطن) عن أسلافه القحطانيين، فقد شاهد بعينه صعود نجم بني سليم وبني هلال العدنانيين في الوقت الذي كان فيه نجم القحطانيين آفلاً من المغرب، ولا بد أن هذا العامل الأخفى أثره من ديبب النمل قد جرح أيضاً كبرياء ابن خلدون، وعمل عمله مع العامل السياسي الذي ذكرناه آنفاً.

إزاحة شبهة علمية

جاء في «مقدمة الكتاب» ما نصه: (وقد بحث فيما لديّ من المراجع، لعلّي أعثر على كتاب، ألف قديماً أو حديثاً في تاريخ هذه القبيلة فلم أعثر على ذلك، اللهم إلا ما ورد من أن أبا لقاسم بن بشر الأمدي المتوفي سنة ٣٧٠ هـ ألف دواوين قبائل العرب، ومنها دويان شعراء بني سليم، وقد فقد هذا الديوان).

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحاضر، لمبارك المليي الجزائري، ص ٢٧٢، الجزء الثاني، طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة بالجزائر.

في جوهرها مجموعات شعرية، تضم بين دفتيها قصائد كاملة مقطوعات صغيرة، وأبياتاً متفرقة لشعراء تلك القبيلة أو لبعض شعرائها، وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء، وربما ضمت جميع شعر شاعر منهم وديوانه كاملاً، وتضيف إلى ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه أو ببعض أفراد قبيلته، وما يوضح مناسبات القصائد ويفسر بعض أبياتها ويبين ما فيها من حوادث تاريخية، فيجىء كتاب القبيلة بذلك سجلاً لحوادثها ووقائعها، وديواناً لمفاخرها ومناقبها، ومعرضاً لشعر شعرائها» [ص ٥٥٤ و ٥٥٥ من الكتاب المذكور].

وأخيراً، يقول ناصر الدين الأسد عن دواوين القبائل هذه أو شعرها أو كتبها: (إن الأمدي لا ينسب شيئاً من هذه الدواوين إلى جامع أو صانع من الرواة العلماء، بل أرسلها هكذا غفلاً، إلا ديوانين منها: الأول: أشعار بني تغلب، والثاني: أشعار الرباب - ص ٥٥٤ و ٥٥٥ -).

ثم تعرض لمحل الشاهد، وهو قضية وجود شيء من هذه الدواوين أو الأشعار أو الكتب، وبقائها حتى اليوم من عدمه، فقال: (فإذا كان ذلك كذلك فما أشد حسرة الباحث في دواوين القبائل وروايتها إذا علم أن صروف الدهر لم تبق لنا إلا على ديوان واحد فقط من هذه الدواوين الكثيرة التي زحرت بأسمائهم المصادر العربية، وهي ليست إلا جزءاً مما قاله شعراء القبائل - هذا الديوان الوحيد الذي بقي لنا هو ديوان هذيل - ص ٥٤٨ -).

وبهذا يتضح جلياً أنه لم يؤلف كتاب مستقل بمعنى الكتاب المعروف لدينا علمياً عن تاريخ بني سليم، فيما أورده الدكتور ناصر الدين الأسد، وإنما الذي أُلّف هو ديوان يحوي أشعارهم ويتضمن بعض أخبارهم وقصصهم وأسباب نظم هذه القصائد، وحتى هذا اللون من «الجمع» عصفت به صروف الدهر فلم تبق لنا على ما يقوله الدكتور ناصر الدين الأسد، اللهم إلا ديواناً واحداً هو ديوان هذيل لا ديوان سليم، على أنه لو لم يفقد ديوان شعر سليم هذا فيما فقد من أمثاله لكان في ذلك كسب لنا ولتاريخهم بالإمام بأغلب شعرهم وشعرائهم، فمن دراسة ذلك دراسة واعية وعميقة وشاملة ومقارنة يمكننا أن نخرج بفوائد جمة عن تاريخهم القديم، فعسى أن يعثر عليه أو على بعضه في بعض رفوف المكتبات الخاصة أو العامة، ثم عسى أن يُنشر - إذا عُثر عليه - نشرًا علمياً محققاً موثقاً.

الأنسابُ العربيةُ في العصور الإسلامية

يلاحظ المتتبع لمراجع التاريخ الإسلامي والعربي عبر القرون الإسلامية، وأخيراً - اختفاء أسماء الأعلام من بني سليم - إلا ما قل ونذر - ولعل هذه الظاهرة ذات علاقة بما يلي تبيانهُ:

أولاً - انصراف أغلب أبناء هذه القبيلة عن أسباب البروز، وأعني بهؤلاء من يقطنون ديارهم الأصلية خاصة، وذلك منذ أرسل إليهم الواثق جيشاً عرمرماً من بغداد لتأديبهم، وللحيلولة بينهم وبين العدوان على الجيران، وربما على حجاج بيت الله الحرام وعابري السبيل أيضاً، ولذلك لم نَرْ منهم أعلاماً تاريخيين كما كان عليه حالهم من قبل ذلك، خاصة وقد نفضت الحكومات المتعاقبة أيديها من مهمة تعليمهم وتثقيفهم وإصلاح شئونهم، وهكذا ظلوا متجمدين أو مُجمّدين إلى عهد انبعاثهم في العهد السعودي الزاهر الذي ضمن تكافؤ الفرص لكل المواطنين بدون تمييز.

وثانيًا - ما لاحظته المقرّي التلمساني بالقرن الهجري الحادي عشر، ومن قبله ابن سعيد، قال المقرّي: (وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس، قال ابن سعيد: ويعرفون هنالك إلى الآن بالقريشيين، وإنما عَمَوْا - أي أَخَفَوْا - نسبهم إلى أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم، وذكروا أفعالهم في الحسين - رضى الله عنه^(١)).

وهكذا كان ابن سعيد من أوائل من قرعوا باب «أثر السياسة في اختفاء الأنساب»، وقد وضع لنا الأستاذ ناجي معروف النقط على الحروف حيال هذه الظاهرة - حينما قال في مقدمة كتابه النفيس:

(وقد توصلنا في هذا البحث إلى أن كثيراً من هؤلاء المنسوين أو المضافين إلى مُدُن أعجمية إنما كانوا من أصل عربي خالص، وسنبرهن في هذه الرسالة على هذه الحقائق العلمية التي لا ريب فيها، وعلى مدى تغلغل العرب في البلاد الإسلامية واستقرارهم في مدنها، هم وذريتهم وتسايرهم مع أهلها، وتوطنهم فيها أجيالاً طويلة حتى اليوم)^(٢)، وقال أيضاً: (ينسب عدد لا يحصى من العلماء

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ص ٢٧١، المجلد الأول طبع مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م.

(٢) علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية، للأستاذ ناجي معروف، ص ٣، طبع مطبعة الحكومة ببغداد.

العرب إلى مختلف المدن الأعجمية، فقرأ مثلاً: الأصفهاني، والنيسابوري، والفيروز آبادي، والرازي، والطبرستاني، إلخ. ويظن الكثيرون من الناس أنما هم من الفُرس أو الأتراك أو الهنود أو المغول أو غيرهم من الأُمم التي دخلت في الإسلام، ويعتقدون أنهم أعاجم وليسوا عرباً، باعتبار أن العرب لا ينتسبون إلى المدن أو القرى أو المحال أو الأماكن المختلفة الأخرى، ولم يُسمع أن أحداً من العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وعهد الأمويين انتمى أو انتسب إلى مكة أو المدينة أو الطائف أو صنعاء أو عدن.. إلخ، وإنما كانوا ينتسبون إلى قبائلهم وعشائرهم، وإلى أفخاذها وبطونها، فتسمع على الدوام: القرشي، والمخزومي، والزُهري، والسهمي، والتميمي، والباهلي، والأسدي. وأما الأعاجم فينتسبون إلى المدن والقرى والأماكن، ولا يَعْتَرُونَ كالعرب بانتسابهم إلى الآباء أو الأمهات، أو القبائل وبطونها وأفخاذها^(١).

ثم أوضح المؤلف أن هذه الظاهرة بدأت تبرز في العالم العربي والإسلامي عندما أصبحت بغداد مدينة أُمِّيَّة كبيرة تضم أناساً من كل الأجناس والقوميات ومن مختلف الملل والنحل، فصار عندها وفي ذلك الظرف، العرب الصُّرَحَاءُ يتمون مثل الأعاجم إلى المدن والقرى والمَحَال والأماكن المختلفة، وبخاصة أولئك العرب الذين عاشوا بين ظهرائي المسلمين من غير العرب، وهكذا صار المنتسبون إلى المدن من عرب وغير عرب، كثيرين جداً، فكان من المستسين إلى بغداد مثلاً كثرة من كل جنس وفن، كما يقول السمعاني - في كتابه في الأنساب - ص ٢٦٩ ج ٢^(٢).

وزاد المؤلف هذا الموضوع وضوحاً وتعريفاً حينما قال:

(وإذا علمنا أن عدد أصحاب الرسول ﷺ الذين انتشروا في هذه البلاد إبان الفتوح الإسلامية وَحَمَلُوا إِلَيْهَا مشاعل العلم، كان عددهم اثني عشر ألف صحابي^(٣) أدركنا عِظَمَ التأثير العربي على هذه البلاد وتعريب الثقافة فيها، هذا

(١) المصدر السابق، ص ٥ و ٦.

(٢) عن العواصم من القواصم، ص ٢٤٣ (علماء ينسبون إلى أرومة أعجمية وهم من أرومة عربية)

للاستاذ معروف ناجي، ص ٧.

(١) المصدر السابق، ص ٢٨.

الذين بنوا الطائفية في العراق، وحاربوا مناوئهم كان لهم أثر كبير في إخفاء الأنساب العربية سواء أكانت عباسية أم بكرية أم عمرية أم أموية إلخ، وفي انتحال أنساب علوية لينالوا الخطوة عندهم، وقُلْ عكس ذلك في زمن السلاجقة).

ثم ذكر أن هذه الظاهرة اشتدت جدا في زمن الصفويين، حتى إن الناس عمدوا إلى تغيير أسماء المشاهد والأضرحة، مخافة نبشها أو العبث بالأموات، إذا كانوا يتسبون إلى العباسيين أو الأمويين^(١) إلخ).

وهكذا شرح لنا المؤلف أبعاد هذه الظاهرة التي لا بد أنها عملت على طمس كثير من معالم أنساب العرب الذين وقعوا تحت طائلتها، ليتمكنوا من أن يعيشوا في إطارها بأمان واطمئنان بين الشعوب التي تحيط بهم والتي يسكنونها، ولا بد أن حالتهم المعيشية لو سلكوا غير هذا السن ستكون صعبة ومرتبكة ومضطربة، خاصة مثل بني سُلَيْم الذين شرقوا وغربوا، وأسهموا في حوادث ومعارك مَصِيرِيَّةٍ وغير مَصِيرِيَّةٍ أثمرت لهم عداوات وحزازات وضغائن في الأمم التي أقاموا بين ظهرانيها بعد انتهاء صولتهم وقوتهم.

ولعل السببين المذكورين في أوائل هذا الفصل كانا قد تضافرا على اختفاء أسماء كثير من رجالات سُلَيْم في الأجيال التي سبقت جيلنا الحاضر. ومعلوم أن رئيس الأسرة إذا عمد إلى إخفاء حقيقة نسبه لأسباب ملجئة، فإن الجيل الثالث من نسله على أقل تقدير ينسى أصله.

وقد تتبعْتُ - بقدر استطاعتي وجهدي - الأسفار التي أُلْفِتْ في القرن العاشر - مثلاً - وما بعده، فما وجدت تراجم لرجالات سُلَيْم في علم أو أدب أو إدارة، اللهم إلا قلة ضئيلة... وهذا مع ملاحظتنا للسهُو الذي وقع فيه الشيخ عبد الرازق البيطار حينما ترجم لمنصور بن عمار السُّلَمي الذي كان يعيش في عصر الليث بن سعد الفهمي وهو القرن الهجري الثاني، وكان صديقاً لليث ونزله في مصر، في ظرف من ظروف الزمن، فقد اعتبره الشيخ عبد الرازق البيطار من أهل القرن الثالث عشر الهجري، وترجم له على هذا الأساس ترجمة حافلة، بالصفحة

١٥٦٢ من كتابه القيم: (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر). ولست أدري من أين استقى ترجمته كما وردت في ذلك الكتاب!!؟

على أنني وجدتُ في كتاب محمد خليل المرادي، ترجمتين لشخصين وصفهما المرادي بأنهما (سُلَيْميّان)! (هكذا)، وهما دمشقيان، ولكني - والحق يقال - لم أتأكد ما إذا كانا من بني سُلَيْم بن منصور، أم من غير هذه القبيلة؛ لأن المؤلف لم يتعرض لشيء من التفاصيل عن ذلك.

والشخصان هما:

١ - الشيخ أسعد المجلد بن عبد الرحمن بن محيي الدين بن سليمان الشهير بالمجلّد، لكون والده في مبدأ الأمر مشغولاً بتجليد الكتب - الحنفي السليمي (الدمشقي) إلخ^(١).

٢ - علي السليمي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالحي
الشهير بالسليمي (٢).

ومع أنني أعرف أن بني سُلَيْم بن منصور قد بقيت منهم أَسْرٌ في الشام، وبدمشق بالذات بعد إجلائهم عن الشام، ولعل تلك الأَسْرَ من نسل من جاءوا إليها مع غزاة القرامطة في احتلالهم للشام، وذلك مثل سلطان العلماء (العزُّ بن عبد السلام) - فإنني لم أستطع الجزم مطلقًا بحقيقة نسبة هذين الشخصين الدمشقيين اللذين نَعَتَهُما «المرادي» بأنهما «سليميان»، على أنه مما بدا لي أثناء بحث حالتها على ضوء ما ورد في ترجمتيهما في الكتاب الآنف ذكره، أن الثاني منهما ربما يكون (سَلِيمِيًّا) بفتح السين المهملة، وإذا صح هذا التأويل فيكون قد ابتعد عن محيط نسب (بني سُلَيْم)، لأن اسم جدهم (سُلَيْم) بضم السين، وهو أي (علي السلمي) حفيد (سَلِيم) بفتح السين - فنسب إليه وقد أورد المؤلف أنه (صُلِّيَ عليه بجمع حافل في السليمية)، وبقي الأول منهما مُحَاطًا بدائرة الشك في

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لحمد خليل المرادي، ص ٢٢٩، المجلد الأول، طبع المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، سنة ١٣٠١ هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٩، المجلد الثاني.

حقيقة انتمائه لسُلَيْم، إذ ليس هناك قرينة صالحة للاستناد عليها تفتح النوافذ المغلقة حيال حقيقة هذا الانتماء، أهو لبني سُلَيْم - بضم السين - أو هو لَجَدٍّ له اسمه (سليم) بضم السين أيضاً أو بفتحها، والجزم بشيء ما حيال نسب هذا الرجل رهن بالوقوف على ترجمة له واضحة وصريحة فيما لايزال غامضاً من نسبه. وفي «صبح الأعشى» للقلقشندي ذكر للعربان بالدرب المصري إلى مكة، وعدَّ منهم بني سُلَيْم فقال: «ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى الثَّيَّةِ المعروف بعقبة السوق لسُلَيْم»^(١).

كما وردت إشارة عابرة عن إسهام بني سُلَيْم - بصفة شاملة لهم ومن غير تَخْصِيص أحد أو ذكر اسمه - في حراسة (الدرك) الذي تبتدئ حدوده من بستان القاضي إلى الحدة والمضيق آخر وادي العميان، وأول وادي مر الظهران، على ما ذكره عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري أحد علماء القرن العاشر الهجري، وصاحب كتاب (درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة).

وحراسة (الأدراك) أو (المدارك) كما أدركناه في أول العهد السعودي الحاضر، ووظيفة عمومية للبادية يشترك في مسئوليتها والقيام بها جميع أفراد من جعلتها الدولة في أعناقهم، مقابل مكافآت أو رواتب محدودة أو معلوم مقرر لهم.

وقد سمي لنا الجزيري أسماء أشخاص من أهل تلك المدارك من غير بني سُلَيْم: مهادف بن مالك بن رومي وجماعته - وبعد ذلك قال: «وكان الدرك قديماً مقسماً بين جماعات بمعاليم معلومة، منهم البُشْريون، والعصيفيون، وبنو سُلَيْم، ثم صار الدرك والمعلوم العائد له بيد زبيد اليمن، وهم في طاعة السيد الشريف أمير مكة المشرفة الآن - القرن الهجري العاشر -^(٢) فهذا ذكر عام لبني سُلَيْم في

(١) صبح الأعشى للقلقشندي، ص ٢٨٥، الجزء الرابع.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ص ٥٤٥ و ٥٥٥، ط المطبعة السلفية بمصر. والدرك - بفتح الراء وسكونها معناه لغة: التبعة وأقصى قعر الشيء، وجمعه أدراك.

يعني الوثائق الشرعية الصادرة من محاكم شرعية رسمية منصوبة من قبل الدولة لفض المنازعات وإثبات الأملاك أو نفيها وما إلى ذلك من الحقوق.

وأخيراً، وبعد بحث عميق وجدتُ هذه «الوثيقة» وهي تحدد الجزء الخاص من الأرض ببني علّا من بني سلّيم، وكان «تجديدها الرابع» في عام ١٣٧٧ هـ، أما صدورهما لأول مرة فقد كان في سنة ١٩٥ هـ وهذا التاريخ يوافق بالضبط السنة التي أعلن فيها الأمين محمد بن هارون الرشيد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وخلع المأمون لأخيه الأمين من الخلافة^(١).

والوثيقة في حد ذاتها كتبت بلهجة عامية محضة، ولكن ما أشير إليه فيها من تجديدات لها وما ورد فيها من أن أصلها مكتوب بسنة ١٩٥ هـ واعتمادها من قبل بني سلّيم يدلنا على أن لها أصلاً فصيحاً.

وكان التجديد الأول للوثيقة السلمية المذكورة، في سنة ٣١٠ هـ وكان ذلك في خلافة المقتدر بالله العباسي، وفي عام اشتد فيه بلاء القرامطة بقيادة أبي طاهر على العراق^(٢).

أما التجديد الثاني للوثيقة فقد كان بسنة ١٢٥٨ هـ، ويتفق هذا العام مع السنة الثالثة لسلطنة عبد المجيد (الأول) ابن محمود العثماني^(٣).

وكان التجديد الثالث للوثيقة في عام ١٣١٠ هـ، ويوافق ذلك عهد سلطنة عبد الحميد (الثاني) ابن عبد المجيد العثماني^(٤).

وكان تجديدها الرابع في سنة ١٣٧٧ هـ، ويوافق ذلك عهد الدولة العربية السعودية في الوقت الحاضر.

وقد ظهر لي بعد تأمل «نص» الوثيقة أنها غير «النص الحرفي» لها في عام ١٩٥ هـ وفي عام ٣١٥ هـ، وإنما نقلت بالمعنى وبلهجة بني سلّيم العربية العامية إما

(١) تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ص ٢، المجلد السابع، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة، سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ص ١٦٩ وما بعدها، المجلد الثامن، طبع دار صادر -

دار بيروت.

(٣) الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور، الترجمة العربية بمصر، ص ٢٤٠، الجزء الثاني.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٠.

فصيحة لم تتغير عن أصولها الفصحى، كما نرى في بعضها تحريفًا عن تلك الأصول، هذه الملاحظة هي التي جعلتنا نقرر أن «المعنى» فقط هو المنقول، ونُقل وجدد بلهجة القوم حينما انحرفت عن خط الفصاحة العربية السليقة التي كانت سمة وطابعًا ملازمًا ملازمة الظل لأسلافهم في سنة ١٩٥ هـ وفي سنة ٣١٥ هـ.

وهنا سنُفصل ما أجمَلناه آنفًا عن حقيقة هذه الوثيقة حسب ما تراءى لنا فنقول:

إننا إذا رجعنا إلى متن الوثيقة السُّلمية، لنناقش ما إذا كانت ذات أصل قديم يرجع إلى سنة ١٩٥ هـ أم لا؟ فلإننا سنجد ما قد يبرر لنا التسليم بوجود هذا الأصل العربي السليم في أساسها، وذلك يتمثل - أولاً - في ذكر تاريخ كتابتها الأول في تجديدِها الرابع، وتاريخ كتابتها الأول كان بسنة ١٩٥ هـ وفي ذكر تجديدِها الثاني والثالث فلو لم يكن قد سبق لها أصل وتجديدات ثلاثة قبل التجديد الرابع الأخير، لما دُكر هذا التجديد معطوفًا على التجديدات الثلاث التي سبقتها في قرون بعضها متقارب وبعضها متباعد. وثانيًا - إن ارتضاء قبيلة سُلَيْم لما في هذه الوثيقة يدلنا على أنها ذو أرومة قديمة. وثالثًا - ذكر في الوثيقة بعض أسماء الأماكن القديمة لبعض ديار بني سُلَيْم كما هي، ويلوح لي أن هذا التحريف العامي الملحون الموغل في لهجة البادية العامية، والذي يشمل عبارات الوثيقة تقريبًا حدث في التجديد الثالث لها أي بسنة ١٢٥٥ هـ، لأن القوم يومئذ كانوا في تأخر فكري وعلمي مطبق، إذ لم تكن لهم أية عناية بالتعليم في عهد الدولة العثمانية، بل ربما كانت الدولة لا تعرف إلا القليل من أحوال ديارهم ومجتمعهم القبلي. وكان الأشراف حكام الحجاز كذلك لم يوجهوا إليهم العناية المرومة، ونلمح في بعض أبيات لبعض شعرائهم في مطلع هذا القرن الهجري أنها شكاوى من عدم فتح أبواب المراجعة لهم في شئونهم ومطالبهم من قبل الشريف عون باشا، ونحن نجد ذلك في قصيدة لـ مطلق بن عَضَيْب المطرودي النوالي (العلاوي) السُّلمي الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري وكانت قبل وفاته قبل نحو ثمانين عامًا أثناء حكم الشريف عون الرفيق (١٢٥٦ - ١٣٢٣ هـ) (١٨٤١ - ١٩٠٥ م)، قال مطلق يخاطب الشريف عون الرفيق:

لعبد الرحمن الأنصاري من أهل القرن الثاني عشر الهجري، سماه مؤلفه باسم (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) ولكن هذا الاسم الطويل أهمل لدى عوام المدينة وبعض خواصها فصار اسمه المعروف لديهم في أكثر الأحيان هو (القُرْمِيَّة) باعتبار أنه يتحدث عن أرومات الناس في المدينة وأحوالهم وأنسابهم، ووجود هذه الصيغة في «التجديدات الثلاثة للوثيقة» التي تبدأ من سنة ١٢٥٨هـ يدلنا على صحة ما ذهبنا إليه من أن «النص» الذي بين أيدينا منها الآن هو «منقول من التجديد الأول بالمعنى لا بالألفاظ، ولا بد أن الأصل الأول بـ ١٩٥هـ و ٣١٠هـ قد فقد أو هو شبه مفقود.

وثانياً، إن الوثيقة تعطينا تحديداً مقبولاً لدى الجانب السُّلَمي الخاص به: «بني عَلَا» ولدى من يُصالونهم فيه من قبيلة حرب واعتمادها من قبلهم يدلنا على علمهم واعترافهم بأنها قديمة وعليها المعول، ومفهومنا هذا الذي يقول بأنها معتمدة لديهم، هو بحسب منظوقها الذي بين أيدينا ليس غير.

وثالثاً - تذكر الوثيقة أن الأراضي المحدودة بموجيها هي تخص «بني عَلَا»، وبنو عَلَا من سُلَيْم، وقد ذكرهم الشاعر السُّلَمي مطلق بن عُضَيْب في قصيدته المنشورة في الفصل الذي عقدها لشعراء الشعر النبطي من بني سُلَيْم في أواخر هذا الكتاب، ويفيدنا حسين بن هندي السُّلَمي بأنهم قدماء وأن نسلهم لا يزال موجوداً حتى اليوم.

ورابعاً - ورد في الوثيقة اسم «الشُّعْبَة»، وقد سبق لنا في فصل (ديار بني سُلَيْم الأصلية) أن (الشُّعْبَة): (موضع قرية قديمة مندرسة لم يبق إلا آثارها وبعض الأطلُم البسيطة والمتهدمة جوانبها وأطرافها، وآثارها كثيرة منها كتابات قديمة قد تكون عادية، ومنها صُور لوحوش وحيوانات كانت في هذه المنطقة).

وخامساً - ورد اسم (الزُّبَيْري) في الوثيقة، وربما كان هؤلاء السُّلَميون ينتسبون إلى جد لهم اسمه الزُّبَيْر، وصحة النسب الجماعي إلى الزبير (زُبَيْريون).

كما ورد فيها اسم «الرَّبَعي» نسبة إلى ربيعة، ويسعون بالرَبَعي: الربيعين، والرَبَعي في نسبة المفرد إلى ربيعة صحيحة مثل بجيلة وبَجَلِي، وحنيفة وحنفي.

وإذا ذكر (الحديد) في الوثيقة فمعناه (المحدود).

و(أبو دزب) يقصد به: الطريق.

و(يَنْقُضُ) من الانقضا ض يقصد بها معنى: «يدخل» أو يفيض أو يميل أو

ينحدر.

و(أَجِيعُ) الوارد في الوثيقة هو اسم وادٍ صغير بعينه لبني سُلَيْم.

وورد فيها عبارة مكررة هي: (يقطعه قطع الحبل)، والمراد بها يقطعه عرضاً.

وصيغة (يَعْطِي) بمعنى (يمشي).

و(القِرْوَالُ) على وزن (الغريال): حزم مرتفع بعينه.

وجاءت في الوثيقة: (حقه اجميع) بمعنى التابعة لأجميع.

وجاءت فيها صيغة (الهظبة) المعروفة بالظاء المشالة، وهو لحنٌ عامي أعرابي

من باب قلب بعض الحروف القريبة في المخرج إلى بعض.

وتستعمل الوثيقة صيغة (الذي) في موضع (التي).

و(الْمَهْدُ) بفتح الميم والهاء وتشديد الدال المهملة: غير المهْد بسكون الهاء.

فالْمَهْدُ المفتوح الهاء يعني به: (مفيض السيل) لأن السيل يَهْدُ ما يعترضه، في

مفيضه.

وفيه كلمة (ضَبَع)، وهو وادٍ لسُلَيْم بعينه.

و(يَظْهَرُ) في الوثيقة بمعنى (يطلع).

و(السَّلْعُ) اسم أو وصف الطريق الجبلي المرتفع.

و(الغُلَيْثِيَّةُ) اسم موضع لعل فيه نبات الغُلَيْثي السَّامٌ فنسبت إليه.

و(ضَبِيعَة) اسم وادٍ بعينه، وقد مر بنا اسم وادي (ضَبَع).

و(درب كبيدة) درب معروف بعينه يقع في فلاة كبيدة السُّلَمِيَّة.

و(خُرْمَة يَهْر): ريع يهر، ويهر وادٍ ينزل من جبل شمنصير.

و(مقراة مَلَح) بمعنى: وادي مَلَح.

و(الجفجف): حرّة سلمية بعينها.

و(لَبَنَةً) واد لسُّلَيْم بعينه.

و(الحجيلة) واد صغير بعينه.

(وزرية القنّاص) بمعنى: حَجَرٌ مجموع من حجارة الوادي بحراً سوداء.

و(رأس المعزة): رأس وادي المعزة، وهو وادٍ بعينه.

و(البَعْصُوصُ): وادٍ بعينه.

و(قَفُوْ مَحْوِيَّةٌ): ظهر حزم معروف بهذا الاسم لبني سُلَيْم.

و(مجمر الخنفسه): جبل أسود يخالف لونه لونَ ما يجاوره من جبال وهو

جبل بعينه، والحنفصة التي ينسب إليها: مَوْرِد ماء للنعم معروف بعينه.

و(نَبَطُ الشامي): وادٍ معروف بعينه.

و(يَنْقُضُ لَيْنٌ يَلَايِمُ): يهبط حتى يوافق، (لين) - بإمالة اللام -: تحريف

كلمتي : (إلى أن).

و(ثَرِيرٌ): واد صغير معروف.

و(العمار): واد صغير معروف.

و(الشَّدَخُ): قرية الشدخ هي لمُعَدٍّ من حرب.

و(يقطع على صدر شُعب النمر): يقطع رأس وادي شعب النمر الصغير

المعروف بعينه.

و(ضہا): واد صغیر معروف لبني سلیم.

(يظهر على ضَمِّها الآخر): يفهم منه أن ضمها اسم مشترك يطلق على

وادیں .

(درب المخوآع): طريق معروف لديهم.

و (أُمُّ عِظَامٍ): واد معروف.

وَأَوْفَى مَا يَذْكُرُ مِنَ التَّحْدِيدِ وَيَمِينُ): أَيِ إِنْ مَا ذَكَرَ مِنَ التَّحْدِيدِ وَمَا يَقَعُ

على يمين المحدث كل ذلك للعلاوين من سليم.

و(اللُّصْبُ أبو حليفاء): اللُّصْبُ: مضيق الوادي، وأبو حليفاء وادٍ لُسَيْمٍ
سلكناه في طريقنا إلى ديارهم.

و(إلى أن يَجِيه الدَّرَب) أي إلى أن يدخل المحدود في الطريق السلوك (الذي
يَقْطَع مَهْدَ الْقُفَيْلَةِ)، المَهْدُ المصب، والقفيلة واد صغير سُلْمِي.

(ويظهر مع الرِّيع أبو زربان الذي يظهر على صدر مَصِيَّان): أي يطلع
المحدود أو الحد من القفيلة المذكورة آنفاً ويمشي مع الرِّيع - طريق بالجليل - الذي هو
أبو زربان الذي يطلع بِدَوْرِهِ على رأس وادي مصيان.

(ويعطي من عنده ويحتوي المهَادَ الصفر) أي يستمر الحد الفاصل بين أراضي
العلاوين وأراضي حرب من وادي مصيان السابق ذكره ويدخل إلى المهَادَ صُفْر.
والمهاد الصفر اسم لأماكن غليظة من الأرض.

و(عَجَلَةٌ): واد صغير، و(البناية): اسم مشترك لمسيلين صغيرين، و(أُمُّ
السَّمَر): مسيل صغير.

و(يَحْدَرُهَا): ينزل منها مع مسيل وادي السمر.

و(يَلَاقِفُ الدَّرَب) أي يلاقي الطريق.

و(لبا) بمعنى: (إلى)، وهو تحريف عامي ظاهر للحرف: إلى.

و(الحصاة الراكية) صخرة معروفة، تقع بين بلاد سُلَيْم وبلاد حرب في وادي
أبو حليفاء.

و(هي فَيْتَها من العَشِيِّ علاوية سُلْمِيَّة، وفَيْتَها من الصبح عِسْمِيَّة زبيدية)،
هذا تحديد ساذج دقيق على الطبيعة، وتوضيحه: إن فَيْئ - ظِل - الصخرة المذكورة
في الأصائل تمتد على أراضي العُسُوم من زيد من حرب.

و(أبو مِسْكِن): أرض معروفة بعينها.

و(أبو قَرْفَة): اسم أرض هنالك.

و(رَقَبَةُ الْخَوَار). الرقبة بمعنى جهة المشرق عن الخوار، أي مصادر الخوار،
والخوار قرية معروفة.

و(الحديد العسمي): بمعنى: والحدود أراضى العُصُوم من حرب.

وَيُعْطِي الشَّرِيعَةَ وَيَنْقُضُ عَلَى قَتْلِ الْمَلَاقِي مِنْ بُرْمَ)، المعنى: إن الحد ينزل على ظهر المسيل الصغير - الشريعة - ومنه يذهب إلى ظهر ملتقى الشُعَاب من وادي برم الكبير.

و(منها ويمين علاوية ويسند ويظهر على قفو اليحاميم، يحاميم المظهر) يعني أن ما كان على يمين الأراضي المحدودة السابقة، كله علاوي، ويرتفع حد هذه الأراضي على سطح اليحاميم يحاميم المظهر، وهي جبال سود معروفة، والمظهر أراض سلمية معروفة.

و(مسیر): واد معروف.

(وَيَقْبَلُهُ مُسَنِّدٌ مَعَ الدَّرْبِ حَقَّ الْأَشْنِ): سَنَدٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى، بِمَعْنَى طَلَعَ الْجَبَلَ، وَهِيَ هُنَا تَعْنِي مَجْرَدَ الطَّلُوعِ إِلَى تَلٍّ أَوْ جَبَلٍ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْحُدُودَ تَرْتَفِعُ مَعَ دَرْبِ الْأَشْنِ، وَالْأَشْنِ مِنْ دِيَارِ سُلَيْمٍ.

و(النُّورَة) اسم واد معروف.

و(الحديد من الشام العَصَوِيّ) أي حد الأراضي العلاوية شمالاً أراضي فخذ العَصَوِي السُّلَمَى، أي العَصَوِيّين السُّلَمِيّين.

و(يقطع الحِنْوَ قطع الجبل). الحِنْوَ: وادٍ معروف.

و(العيبة): واد لهم صغير بعينه.

و(يَقْبَلُ تَغِي): تَغِي واد لهم صغير.

و(الْخَلَصَةُ والرَّيْعُ): الخَلَصَةُ جبل بعينه، والرَّيْعُ: الدَّرب بين الجبال.

و(يَحْدَرُهَا تَغْيِي الْآخِرَ لِيَنْ يَنْقُضَ عَلَى نَهْوَى). لين: تحريف لكلمتي: (إلى)

و(أن)، ونهوى: واد صغير بعينه.

و(وادي ساية) أحد أودية بني سُلَيْم الكبار المعروفة، وقد ذكرناه في فصل (ديار بني سُلَيْم الأصلية).

و(وَزَانَ مَهْدُ الشَّعْبَةِ): أي عند ملاقاتها لمفيض الشعب.

وبعد فما سقناه لك آنفًا هو حلول لرموز هذه الوثيقة أو أَلْغارها، لك أن تسميها رموزًا، ولك أن تسميها أَلْغَارًا، فهي أَلْغاز بالنسبة لهجة حاضرة المملكة العربية السعودية الحاضرة، وهي رموز بالنسبة للغة العربية الفصحى، وتلك هي لهجة بعض باديتنا اليوم، هي لهجة خاصة بهم يعرفها بعضهم عن بعض وكلهم عن كل تقريبًا، حالما يحتجب الكثير من عباراتها عن أفهام حاضرتنا المعاصرة.

(توضيح الوثيقة باللغة الفصحى)

وعلى ضوء تلك الحلول التي تلقفناها عن حسين بن هندي السُّلمي مشافهة وبعد مراجعات معه للتثبت والتأكد من صحة الصيغ والنطق الجاري عليه لهجتهم السُّلمية أو بالأحرى الأعرابية، تمكنتُ من إعطاء القارئ الصورة التوضيحية الكاملة التالية للوثيقة بنقل معانيها وأهدافها إلى اللغة العربية الفصحى:

(هذا بيان حدود أراضي بني عَلا، يحد أراضيهم - شمالاً - قرية الشعبة ومرتفع الهرامة وتحدها الأراضي المرتفعة العائدة للزُّبيرين السُّلميين، وحدود أراضيهم تستمرُّ حتى حزم القِرْوَال الذي هو طريق مسلوك، ومن ثمَّ تهبط حدودها على وادي أَجِيمَع الذي يقطعه الحد من العَرَض ويستمر الحد إلى ما بين مرتفعي وادي أَجِيمَع، ويهبط على ما بين هضبتي وديعة، والهضبة التي تحتها، ويرتفع الحد مع وادي مَلَح، ويهبط إلى حرَّة الظاهرة ويُقبل على مرتفع وادي ضُبَيْع، ويرتفع إلى وادي ضُبَيْع، ومن ثمَّ يخرج مع طريق جبل السُّلَع ويهبط على وادي الفُلَيْتة، ويذهب إلى طريق فلاة كبيدة، ويستمر إلى ريع وادي يَهْر، الذي يهبط من جبل شمنصير الكبير المعروف في ديار بني سُلَيْم، ويذهب الحد إلى الأرض المرتفعة في وادي مَلَح، ويرتفع الحد على وادي لبنة حتى مرتفع الحجيرين، ومن ثمَّ يتجه إلى درب الشويحطة، داخلاً فيه، ويطلع على حرَّة الجفجف، ويطلع على ظهر كومة الحجارة المجموعة من الوادي المعروف بظهر زريبة القنَّاص.

وحُدود ديار بني عَلا - شرقاً - هي ديار آل ربيعة، ويطلع حد ديارهم على رأس وادي المَعْرَة، ويذهب مع طريق البعصوص، وعلى مرتفع ضُبَيْع، ويسير على

ظهر الحزم^(١) المعروف باسم «مَحْوِيَّة»، ويتزل الحد أمام معجم الخنفسة: (جبل أسود بعينه يخالف لونه الجبال المجاورة له).

وحدود أراضي بني عَلاَ السُّلَمِيِّينَ - جنوبًا - هي: أراضي قبيلة مُعَبَّدَ من حرب. وتذهب حدودهم من هذه الناحية إلى أسفل وادي نَبَطِ الشامي، وتهبط حتى ثلاثم وتلاقي مسيل وادي ثُرَيْرِ الصغير، ووادي العمار الصغير على ظهر قرية الشدخ العائدة لقبيلة مُعَبَّدَ الحربية، ويقطع الحدُّ رأس الوادي الصغير المعروف بِشُعْبِ النَّمَرِ، ومن ثم ينقض على وادي ضَهَاً ^(٢). وحدود أراضي بني عَلاَ من هذه الناحية تطلع على ضها الآخر، مع درب المخواع، وتطلع على حرة الظاهرة حيث تهبط على وادي أم عظام، وكل ما مر من الحدود شرقًا وما على يمينها هو علاوي، وينزل حد أراضي العلاوين من وادي أم عظام إلى مضيق وادي أبو حُلَيْفاء المعروف بِاللُّصْبِ ^(٣). ومن ثم يمشي الحد حتى يدخل الدرب الذي يقطع وادي القفيلة، ويسير الحد من وادي القُفَيْلَةِ مع الريع المعروف بأبو زربان الذي يطلع على رأس الوادي الصغير المعروف باسم (مَصْيَان)، ومن وادي مصيان يذهب الحد ويحتوي المهاد ^(٤) الصفر، ويذهب قاطعًا وادي عَجَلَةَ، إلى أن يدخل مسيل (البناية) ومسيل أم السمر بأسفل مسيل بناية، وينزل عن بناية قاطعًا ما يمر به حتى يلاقي الطريق، ويمشي معه إلى الصخرة المعروفة باسم الحصاة الراكبة الموصوف ظلها فيما سبق.

(١) الحزم والحزن (بفتح الحاء وسكون الزاي): الغليظ المرتفع من الأرض.

(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان اسم ضها، وضبطها بضم الضاد، وقال عنها أنها موضع في شعر هذيل.

(٣) اللصب لغة: الشعب الصغير في الجبل أو مضيق الوادي، جمعه لصاب ولصوب. وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي: (الصبين: بكسر أوله، وهو في الأصل المضيق في الجبل، وهو موضع بعينه. قال تميم بن مقبل:

أناهن لبان بيض نعمة
حواها بذى اللصين فوق جنان
وهذا البيت في ديوان ابن مقبل، ص ٣٤٣، طبع دمشق. وابن مقبل أحد شعراء قيس، فهو ابن عم
لبنى سليم.

(٤) المهاد هنا جمع مهد، وفي اللغة الفصحى: الهدود: الأرض السهلة والعقبة الشاقة والحدود.

وحدود أراضي بني عَلاَ - غرباً - أراضي قبيلة الزبيدي، أي زبيد من حرب، وتطلع الحدود على أرض (أبو مَسْكِن)، وتنزل على مسيل البناية الآخر الواقع في أرض «أبو قَرْفَة» بأعلى قرية الخوار من جهة المشرق، والحدود العائدة للعسوم.

ويقطع الحد ذلك الوادي قطع الحبل - أي عرضاً - ويرتفع الحد مع الطريق، وينزل على أعلى ملتقيات المساليل المتفرعة من وادي بُرم الكبير^(١).

وكل الأراضي عَلاَوية من تلك الحدود وما على يمينها، وترتفع الحدود وتطلع على ظهر الجبال السود المعروفة باسم «يحاميم المظهر»، وتذهب الحدود إلى وادي مسر، مرتفعة مع درب الاشن، وتطلع الحدود على وادي النورة.

وتُحد أراضي بني عَلاَ - شمالاً - بأراضي قبيلة العَصَوِيِّين السُّلَمِيِّين، وتقطع حدودها وادي الحَنُو قطع الحبل، أي عرضاً، ويطلع الحد على وادي العُصْبَةِ الصغير، ومنه يتجه الحد إلى وادي تَغْيَ الآخر، حتى يهبط على وادي نَهَوَى الصغير، وينزل منه على وادي ساية في موازاة التقاء الشعبة بوادي ساية.

وعلى هذا تم تحرير حدود أراضي بني عَلاَ، وقام بتحديد هذه الحدود على ما دُون في هذه الوثيقة حمودُ بن عذيب، وهو يقرُّ بأن المحادين لبني عَلاَ في أراضيهم حضروا هذا التحديد وأقروه، وشهد على ذلك شهودهم عايض بن ديسة الديسي (السُّلَمِي) وحضر لحضوره وشهادته وشهد معه بما ذكر آنفاً، الأصمُّ أحد الصَّمان من بني ضُيب وذوي حسين، وهؤلاء الشهود شهدوا على العدد، وعلى الإقرارات من الجيران المحادين لبني عَلاَ بحدودهم المذكورة في هذه الوثيقة. وكتب هذه الحجة وشهد عليها الصنعاني، والله خير الشاهدين سنة ١٩٥ هـ، وجدد كتابتها من أصلها السابق: الشريف الثَّقَبِي من الثقبه بدون زيادة ولا نقص سنة ٣١٠ هـ، وجددها بعده بَقِيان الشيخ بدون زيادة ولا نقص سنة ١٢٥٨ هـ، وكان تجديدها على يد مبارك بن عبد الغني الشيخ بدون زيادة ولا نقص سنة ١٣١٠ هـ، وجددها أخيراً وللمرة الرابعة حامدُ بن حباب الحجيري بدون زيادة ولا نقص سنة ١٣٧٧ هـ (انتهى).

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي ذكر لواء لبني سُلَيْم يقع في شمال المدينة اسمه (برمة)، ويدعي أنه غير وادي برم الوارد في الوثيقة.

ملاحظات على الوثيقة

هذا، وما يلاحظ على نص الوثيقة أن كاتبها الأول سنة ١٩٥ هـ وسمّاها «حجة» ثم سميت (قُرْمِيَّة) في التجديدات المتوالية من عام ٣١٠ هـ حتى عام ١٣٧٧ هـ، كما يلاحظ تكرار حدود بني علّا شمالاً مرتين والأماكن مختلفة، وقد كُتبت الوثيقة في تجديدها الرابع على ورق الحجج الشرعية الأصفر السميك، ومُجدِّدُها للمرة الرابعة هو (حامد بن حُباب) السُّلَمي أحد سكان منطقة الكامل ورئيس هيئة الأمر بالمعروف فيها ولايزال على قيد الحياة حين كتابة هذا الفصل عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

أعراف وعادات بني سُلَيْم في المملكة العربية السعودية

لا يخلو تدوين العادات والتقاليد من فائدة للتاريخ؛ ذلك «لأن في العادات والتقاليد دلالة على نوع الأخلاق، ونوع العقلية للشعوب»^(١).

والعادات والتقاليد الواردة في هذا الفصل هي في واقعها سُلْمِيَّةٌ، ولا يزال بنو سُلَيْمٍ يمارسونها في ديارهم بهذه البلاد، أما بنو سُلَيْمٍ المنتشرون في مصر وبلاد المغرب، فلا بد أن عاداتهم سارت على نمط عادات الذين يسكنونهم وتقاليدهم، لأن الإنسان مدني بالطبع.

وأكثر العادات التي أوردناها هنا، متوارث عن أسلاف بني سُلَيْم المعاصرين، وربما يكون بعضها الآن في طريق الزوال، بسبب طُرُوقِ المدنية والتعليم والتطور أبواب ديارهم. فإثباتها من هذه الناحية ذو أهمية خاصة بالنسبة لحلقات تاريخ هذه البلاد؛ لأن ذلك يحفظ هذا التراث للأجيال القادمة يوم لا يجدونه ماثلاً في المجتمع السُّلَمي الذي تطور بعد صدور هذا الكتاب.

وهذه طائفة من عادات بني سلّيم المعاصرين بهذه المملكة كتبها لنا حسين بن
هندي السُّلَمي رئيس قرية الكامل: المركز الحكومي لديارهم.

عاداتهم فی الزواج

حينما يهيم أحد بني سليم بأن يتزوج، يأخذ والده أو أخاه الكبير مع كبار جماعته ويقصد بهم أهل المخطوبة، وبعد أن يرتشفوا كثوس القهوة العربية ويتداولوا القصص المناسبة - يتقدم كبير المجلس إلى وليّ المخطوبة قائلاً له: فلان

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، لأحمد أمين، طبعة مصر.

ابن فلان يطلب مقاربتك ومراحمك ويريد بتك أو أختك فلانة، فيردُّ عليه وليُّ المرأة بقوله: (الله يحييكم)، ويشرح له حقيقة الحال فيما إذا كانت مخطوبته هذه قد خُطبت قبله، أو لا يريد أن تتزوج المرأة من هذا الخاطب، ويقدم له المعاذير الملائمة في ذلك، وينهض الجالسون بكلمة الخير بين الطرفين. أما إذا تم الزواج المنشود فإن الخاطب يدفع المهر، ويملك عليها وليها له، وتقام بعد ذلك حفلة الزفاف، ويقام فرح كبير وتذبح ذبائح عديدة يذبحها جماعة العريس، يجتمعون ما بين خمسة وستة ويذبح هؤلاء ذبيحة، ومثلهم غيرهم، وهكذا دواليك، وهؤلاء يطهون الذبائح. أما أهل العروس فمهمتهم أن يوزعوا الذبائح ويقدموها للضيوف المدعويين وغيرهم بالتساوي، كل مجموعة على ذبيحة. وكل مجموعة من هؤلاء تقدم قصيدة يترنمون بها مع بعض، ويردُّ أهل العروس على القصيدة بسرعة، ويستمر لعبهم هذا حتى الصباح، والقصائد التي تنشد في هذه المناسبات هي من الشعر النبطيُّ الملحون.

عاداتهم في الولادة

من دأبهم في الولادة أن تقوم «أمُّ النَّفساء» أو أختها الكبيرة مع مجموعة من النساء بتوليدها وبإطعامها والعناية بمولودها، ويظللن على ذلك حتى تستطيع أن تقوم بشئون وليدها، وفي اليوم السابع يذبح الوالد عقيقة واحدة إذا كان المولود أنثى، وعقيقتين إذا كان المولود ذكرًا.

عاداتهم في الأسفار

إذا عزم أحد بني سُلَيْم على السفر، استصحب معه رفيقًا، وإذا لم يجد المطلوب سافر وحده إلى حيث يريد، ويستحسنون أن يبدأ المسافر بالسفر في يوم الخميس صباحًا، ويتفاعل ذوو المسافر له بالفعال الحسن، ويكثرون السؤال عنه من القادمين حتى يعود سالمًا، وإذا كان المسافرون جماعة، سواء أكان سفرهم على إبل أم على سيارات، أم يكونون مشاة على أقدامهم - يأخذون معهم أواني الطبخ والأكل والقهوة بقدر اللزوم، وكل واحد من هؤلاء المسافرين يكون اهتمامه مُنصبًا على تحقيق التعاون فيما فيه فائدة ومصلحة للجميع، مدة غيابهم عن ديارهم حتى يرجعوا إليها وإلى أهليهم.

ويتوجهون إلى مصلى العيد زرافات ووحداناً، وبعد أن يؤدوا صلاة العيد في المصلى يصافح بعضهم بعضاً، ويهنئ بعضهم بعضاً بحلول العيد السعيد، ومن كان منهم بينه وبين آخر مشاجرة فإنه يصافحه ويصالحه في ذلك اليوم الميمون، فيتصافيان وتزول أسباب الخلاف والشقاق بينهما، وبعد الصلاة يجتمعون في صعيد مرتفع، ويتريضون برمي الأهداف بطلقات بنادقهم، ويفتخرون بإجادة الرماية وإصابة الأهداف، ثم يعود كل واحد منهم إلى بيته، هذا إذا كانوا حاضرة.

أما البادية السُّلميون فإنهم قبل العيد يجتمع منهم جمع غفير في كل بيت من بيوت الشَّعْر، ومدة العيد من ثلاثة أيام إلى أربعة، وفي كل يوم تذبح الذبائح ويُطعم منها الذين ذبحوها، الآخرين الذين لم يذبحوا. . وهكذا حتى تنتهي أيام العيد ومن ثم يتفرقون في المراعي.

وهكذا شأنهم في عيد الأضحى إلا من ناحية الرماية.

عاداتهم في شهر رمضان

يبتهج بنو سُلَيْم بمقدم شهر رمضان المبارك، ويطلقون الطلقات المتواصلة من بنادقهم إعلاناً لفرحتهم الغامرة به، ويخبر بعضهم بعضاً بقدمه، وتمضي ليالي شهر رمضان عندهم كلها في غبطة وانسراح، ويكثر فيه من الصلاة والصدقة، وأهل البادية في هذا الشأن مثل أهل القرى.

أعراف أخرى

يكرمون الضيف ويحسنون جواره، ولن جاورهم أو استجار بهم الحماية. وبإباديتهم كثيرو الترحال وراء الأمطار، وإلى منابت العشب، أما حاضرتهم فيتعاطون زراعة النخيل والليمون والفواكه والحبوب بأنواعها في بلادهم، كما يتعاطون التجارة، وليس في بلادهم في الوقت الحاضر خيل يُربونها، أو خيل يركبونها، كما كان عليه الحال لديهم في سالف الأزمان، إبان الجاهلية القريبة من الإسلام، وفي صدر الإسلام.

أَمْثَالُ عَامِيَةِ لَبْنِي سَلِيمٍ

أثرتُ صيغة «العامية» في وصف أمثال بني سُلَيْم المعاصرين - على صيغة «الشَّعْبِيَّة» لأنني رأيتها أدق في إعطاء الوصف المروم.

وقد حدد أحمد بن محمد النيسبوري المعروف بالميداني المتوفي سنة ٥١٨ هـ في كتابه - المثل - في أشكال وتعريفات رواها عن العلماء، فنقل عن المبرد أن المثل مأخوذ من المثال، وأنه: «قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول»، والأصل فيه التشبيه. فقولهم مَثَلٌ بين يديه إذا انتصب معناه: أشبه الصورة المنتصبة. وفلان أمثل من فلان، أي أشبه بما له من الفضل، والمثال: القصاص، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول، فحقيقة المثل: ما جعل كالعلم، للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب، «علم لكل ما لا يصح من المواعيد».

ويفسر ابن السكيت المثل بأنه: «لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه، معنى ذلك اللفظ... شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره».

ولا يخرج رأي ابن السكيت عن رأي المبرد السالف ذكره.

وعرّف لنا إبراهيم النظام المثل بما يُعرّف في علم المنطق بالتعريف بالخاصية، فقال: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية» فهو نهاية البلاغة.

وقال ابن المقفع: «إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وأتق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث». وقد كانت الأمثال العربية الدارجة على ألسنة الشعب العربي فصيحة في عهد فصاحة العرب، فلما غشيتهم العامية وركبتهم العجمة، هبط مستوى الأمثال إلى مستوى كلامهم الدارج، فخرجت عن إطار الفصاحة أيضاً، وأمثال بني سُلَيم وأمثال كل قبيلة عربية، وكل قطر عربي منذ ذلك العهد إلى يوم الناس هذا سائرة على هذا المنوال، فهي مثل لهجاتهم وهي نابعة منها، وهي محشوة بالأغلاط النحوية، ولا تتقيد بالسُّنن العربية الفصيحة.

وما يأتي من أمثال بني سُلَيْم المعاصرين دليل واضح على صحة هذه النظرية.

هذا، وجدير بعلماء العرب والمسلمين أن يقوموا بدراسات واسعة في أبعاد الأمثال العربية العامة المختلفة من ناحية علاقتها بالأمثال العربية الفُصْحى، ومن ناحية علاقتها بمجتمعات الأقطار والمدن والأرياف والبادية التي تُضرب فيها قديماً وحديثاً.

إن الأمثال العربية العامة بحر واسع متلاطم وموضوع واسع الأطراف، وهي في تبدل وتغير ومحو وإثبات، وربما اندثر بعضها وانمحي من الوجود، وحل محلها أمثال أخرى أو لا يحل، وكل ذلك مرتبط بالبواعث والفواعل الاجتماعية وغيرها.

يقول أحمد أمين في «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»: (وإني أعتقد أن في العادات والتقاليد دلالة على نوع الأخلاق، ونوع العقلية للشعوب، وأن في التعابير الشعبية من أنواع لبلاغة ما لا يقل شأنًا عن بلاغة اللغة الفُصْحى، وأن هناك من أمثلة المصريين وتعبيراتهم وزجلهم ما يُعجب بامرئ القيس وزهير ص (د).

ويصح أن يُقال في أمثال شبه جزيرة العرب وسائر بلاد العرب ما يقوله أحمد أمين عن أمثال مصر، وبنو سُلَيْم في الصميم من سكان شبه جزيرة العرب. ويقول عبد الرحمن التكريتي في «الأمثال البغدادية المقارنة مع أمثال أحد عشر قطراً عربياً»: (أمثال كل أمة خلاصة تجاربها، ومستودع خبراتها، ومنار حكمتها، ومنار ذكرياتها، ومرجع عاداتها، وسجل وقائعها - وترجمان أحوالها - إلى أن يقول: فهي مرآة الأمة، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح) وقد أوضح أن عناية العرب بالأمثال قديماً ضئيلة، ولكنهم استدرجوا ذلك النقص حديثاً بعد أن أدركوا أهميتها، فعنوا بجمعها وشرحها والبحث عن أصولها، واقتصر بعض المؤلفين على أقطارهم دون تجاوز حدودها ومازالت بعض الأقطار العربية لم يظهر من أمثالها شيء حتى يومنا هذا).

- * يُرِيدُ يَدَاوِيهَا وَأَعْمَاهَا.
- * عَدُوُّكَ صَاحِبُ صُنْعَتِكَ.
- * أَحْفَظْ عَنْ جَارِكَ وَلَا تَتَّهِمَهُ.
- * قَرِيبُكَ مِنْ نَصِيكِكَ.
- * يَا خَالَ أَبُوي حُكَّ أَظْهَرِي.
- * كَيْفَ حَالُكَ يَوْمَ أَمْسَيْتَ، قَالَ: مِثْلِي يَوْمَ أَصْبَحْتُ.
- * حَيْمَرُ عَيْنِكَ وَأَرْخُ إِيدِكَ.
- * مَا جَاءَ بِهِ سَوْدُ اللَّيَالِي غَدَتْ بِهِ.
- * احْفَظْ مَالَكَ يَصْلَحْ حَالُكَ.
- * أَبْعِدْهَا عَنِّي وَاطْلُبْ ثَمَرَهَا مِنِّي (هذا المثل عن النخلة).
- * سَوَّقَ الرِّجَالَ بِسَوَائِقِهَا وَتَسَلَّمَ مِنْ بَوَائِقِهَا (معنى هذا المثل: اعط الناس بقدر ما يعطونك).
- * صَبَّ الْقَوْمَ عَلَى الْقَوْمِ وَتَسَلَّمَ مِنْ عَوَاقِبِهِمْ. (يعني هذا المثل: اترك العدو يتصارع مع عدوه لتسلم منهما).
- * رَجُلٌ الدَّيْكَ تَجِيبُ الدَّيْكَ (يعني المثل: أن رجل الديك تسحبه إذا سحبت).

بنو سُلَيْمٍ آخَرُونَ

فَقَبِيلَةُ سُلَيْمٍ الَّتِي هِيَ بَغَامَدُ، هِيَ قَحْطَانِيَّةٌ، وَلَا تُنْتُ إِلَى قَبِيلَةِ سُلَيْمٍ الْعَدْنَانِيَّةِ بِصَلَةِ نَسَبٍ. قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي فَصْلِ: «وَهَؤُلَاءِ سُلَيْمٌ بْنُ فَهْمٍ بْنُ غَنَمٍ بْنُ دَوْسٍ» مَا نَصَهُ: (وَلَدٌ^(١) سُلَيْمٌ بْنُ فَهْمٍ: ثَعْلَبَةٌ وَتَبِيعَ، فَمِنْ وَلَدِ ثَعْلَبَةٍ: أَبُو هَرِيرَةَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ اخْتِلَافًا عَظِيمًا، وَثَبَتَ الْكَلْبِيُّ عَلَى أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنُ عَبْدِ ذِي الشَّرَرِ ابْنِ طَرِيفٍ بْنُ عَبَادٍ بْنُ أَبِي صَعْبٍ بْنُ هَنِيَّةٍ بْنُ سَعْدٍ بْنُ ثَعْلَبَةٍ بْنُ سُلَيْمٍ بْنُ فَهْمٍ - صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَفَادَنَا ابْنُ حَزْمٍ بِأَسْمَاءِ أَبْنَاءِ أَبِي هَرِيرَةَ

(١) (ولد هنا) مضموم الدال: فهو اسم بمعنى (الابن) لا فعل ماض وهذا أسلوب ابن حزم في كتابه (جمهرة أنساب العرب) وقد استعمله أيضًا في أنساب سُلَيْمٍ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ.

قومه إلى الإسلام، فأجابه في نفر من قومه بمكة، منهم مخنف وعبد الله، وزهير وبنو سليم وعبد شمس بن عفيف بن زهير. . هؤلاء بمكة^(١).

فأنت ترى أن ابن سعد قد نص على أن هؤلاء السلميين هم من غامد، ومن الأزد.

والواقع أن اسم «سليم» أو «بني سليم» هو من أسماء العربية المشتركة بين عدة قبائل عربية مختلفة الأنساب، فسليم بن منصور - بضم سين سليم - هم من بني معد بن عدنان لأنهم من قيس عيلان، وبنو سليم بطن من جذام القحطانيين^(٢)، وبنو سليم بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية، وهم بنو سليم ابن قطرة بن غنم بن دوس بن عدنان - بشاء مثناة - بن عبد الله بن زهران بن كعب... إلخ).

وقد ذكر القلقشندي بني سليم الذين هم بطن من جذام أيضاً كما ذكر بني سليم الذين هم بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية، إضافة إلى ذكره لبني سليم الذين هم من قيس عيلان، وهم الأشهر والأكثر عدداً^(٣).

ويبدو لي أن «المقريزي» قصر بحثه على بني سليم بن منصور الذين أخرجوا من ديارهم مرتين، مرة إلى مصر، ومرة بعدها من مصر إلى بلاد المغرب، ولم يتعرض للسلميين الآخرين^(٤).

وقد مر بنا في فصل: (بنو سليم أصلاً وفصلاً، وهجرات وتنقلات) تفصيل واف لفروع بني سليم بن منصور الذين هاجروا - عوداً على بدء - من المغرب إلى مصر في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي، ومر بنا أنهم قد انتشروا من غرب الإسكندرية إلى مديريات الفيوم والمنيا وبني سويف، كما انتشرت بطون منها في أرض الدلتا شرقاً وغرباً، وفي بعض مناطق الصحراء الغربية كما مر بنا أيضاً - في ذلك الفصل، أسماء أفخاذ بني سليم المقيمين ببرقة في زمن القلقشندي (القرن التاسع الهجري).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٢٨٠، المجلد الأول، طبع بيروت.

(٢) في (لسان العرب) لابن منظور أن «سليماً أيضاً قبيلة في جذام من اليمن» (مادة سلم).

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٧٣ و ٢٧٤، طبع مطبعة النجاح ببغداد.

(٤) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، للمقريزي، طبع القاهرة.

ولست أدري اسليم السودان، من قيس عيلان أم من الأزدي؟ وجاء في كتاب «تاريخ السودان» لنعوم شقير: أن سليمًا من أشهر قبائل السودان على النيلين: الأبيض والأزرق، والجزيرة بينهما جنوبي قبيلة كنانة، وفي موضع آخر ذكر أن سليم السودان تنسب إلى جهينة^(١).

فإذا ثبت هذا فمعناه أنهم من غير قبيلة بني سليم بن منصور التي تنسب إلى قيس عيلان؛ وذلك لأن جهينة قبيلة من قضاة، وقضاة في أصح الأقوال غير عدنانية، وحتى لو كانت جهينة عدنانية فهي ليست بذات صلة نسبية بقبيلة بني سليم بن منصور.

على أن ابن خلدون في كتابه (العبر) يخبرنا أن جهينة انتشرت ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكاثروا هنالك سائر الأمم، وغلبوا على بلاد النوبة ومزقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم، وحاربوا الحبشة فأرهبوهم إلى هذا العهد^(٢)، فهذا نص صريح بوجود جهينة في بلاد السودان بكثرة.

ويقول عبد المجيد عابدين: أنهم دخلوا السودان في موجات متعددة، واتجه معظمهم من طريق وادي النيل إلى الشرق حيث بلاد البجة وساحل البحر الأحمر، واكتظت بهم المنطقة الواسعة التي تأخذ من حلفا الحالية إلى شمال غربي الحبشة، وكان لهم أثر قوي في الضغط على مملكة النوبة المسيحية الشمالية (مملكة المقررة) حتى أزالوها، ثم تدفقوا إلى الغرب ثم إلى الجنوب، فشغلوا بقاعاً مترامية من السودان تمتد من الشرق إلى الغرب^(٣).

وعلى هذا فربما يكون معظم بني سليم الذين استوطنوا السودان من جهينة التي اكتظ بها السودان، كما يقول المؤرخون: جاز أكثرهم إلى السودان من صعيد مصر، وجاز أقلهم في الفترات الأخيرة من الزمن بحراً من ناحية ينبع إلى السودان رأساً.

ويؤكد المقريري أن عرب جهينة التي هي من قبائل اليمن (هي أكثر عرب

(١) تاريخ السودان، لنعوم شقير، ص ٦٢.

(٢) العبر، ص ٥١٦، المجلد الثاني.

(٣) تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين على نهاية الأرب، للقلقشندي، ص ١٤٩ و ١٥٠، طبع

الصعيد) وكانت مساكنهم في رأيه في بلاد قريش فأخرجتها قريش بمساعدة عساكر الفاطميين ونزلوا في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها، ويصحح الدكتور عبد المجيد عابدين في تعليقاته على كتاب المقرئزي منازل جُهيّنة، فيقول - نقلاً عن ابن خلدون - إنها كانت ما بين الينبع - ينبع - ويثرب، في متسع من برية الحجاز، وأنه جاز منهم أمم إلى العدو الغريبة من بحر القلزم وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة إلى آخر ما سلف بيانه^(١).

والهجرة لمن كان في مثل حال قبيلة جُهيّنة القُضاعية وبني سُليم العدنانية، في خفة المحمول واعتياد النجعة أمر سهل ميسور.

ويذكر محمد مرتضى الزبيدي في كتابه: «تاج العروس من جواهر القاموس» أن (بني سَلِيْمَة كَسَفِيْنَة: بطن من الأزد، وهم بنو مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن الأزد. وَكَجُهيْنَة وقد تقدم، والنسبة: سُلَيْمِيّ، قال سيّويه نادر. . قلت - القائل هنا هو محمد مرتضى الزبيدي - وهم إلى الآن في نواحي البحرين اجتمعتُ بجماعة منهم - مادة سلم -، وكرر هذا القول أيضاً مرة أخرى، إلا أنه قال: ومنهم بقية بالبحرين إلى يومنا هذا، وقد اجتمعتُ بجماعة منهم (المادة السابقة)^(٢).

ولا ينفي هذا ما ثبت من المصادر الموثوق بها من أن بني سُليم بن منصور نزحوا مع القرامطة إلى البحرين (بلاد الإحساء) إبان إجلاء هؤلاء من ديار الشام، وربما كان قد بقي منهم بعض بيوت آثروا المقام في البحرين فيما بعد.

صحابة من بني سُليم

من هو الصحابي؟

اختلف في تعريف «الصحابي»، فقال النووي في كتابه: (تقريب النواوي) ما نصه: (المعروف عند المحدثين أنه - أي الصحابي - كل مسلم رأى رسول الله ﷺ، وعن أصحاب الأصول أو بعضهم أنه: كل من طالت مجالسته على طريق

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، للمقرئزي، والتعليق عليه للدكتور عبد المجيد

عابدين، ص ٣٢.

(٢) تاج العروس، مادة سلم.

صنوف التأليف، فهي تتطلب من كاتبها أن يجمع بين قدرة المؤرخ وموهبة الأديب، ليصبح قادراً على تحرّي الحقيقة واستقصاء الشواهد والتزام الحيدة والإنصاف).

ويضيف قوله: (ولا شك أن للعرب نصيباً كبيراً في الحضارة الإنسانية، والتاريخ العربي زاخر بالأمجاد حافل بالأعلام في كل فرع من فروع المعرفة، وفي كل ميدان من ميادين الحياة، وما أحوجنا في هذا الطور من أطوار نهضتنا العربية المتوثبة إلى دراسة هؤلاء الأعلام والترجمة لكل منهم في كتاب يؤلفه كاتب من المتخصصين، يعرض فيه سيرته ويحللها، ويصف عصره ووقائع حياته، ويبرز شخصيته، ويبين آثاره وفضله على التقدم الإنساني^(١)).

وهذا الذي يشيد به السخاوي والعقاد من أهمية فن التراجم هو أمر واقع، وأضيف إلى قولهما: أن فن التراجم والسير هو «العرفق النابض» بالحيوية في التاريخ؛ ذلك أن إبراز مزايا المترجم تدعو القارئ من حيث يدري ولا يدري إلى الإعجاب، والإعجاب يدعو إلى محاولة المحاكاة، ومحاولة المحاكاة تدعو إلى المضي فيها قُدماً، والمضي فيها قُدماً وبعناية يدعو إلى أن يبرر علماء وأعلام مماثلون أو على منهج من أعجب القارئ بسيرته.

وبنو سُلَيْم قد حفل تاريخهم بالأعلام في دينٍ وحرب، وفي أدب وسياسة، وفي إدارة واجتماع، مما سترى نماذج منه في الفصول المتتابعة التالية:

عمرو بن عبسة السُّلَمي

هو عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بُهثة بن سُلَيْم بن منصور^(٢) بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مُضَر. ويكنى عمرو بن عبسة، «أبا نجيح».

قصة دخوله الإسلام

حدث عمرو بن عبسة عن دخوله في دين الإسلام.. فقال:

(١) محمد عبده، لعباس محمود العقاد.

(٢) في كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، طبعة بيروت، بدار صادر: (منظور) بالطاء المشالة وصوابه كما هو معروف: (منصور) بالصاد المهملة.

وفي رواية عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة السُّلَمي، قال: رغبتُ^(١) عن آلهة قومي في الجاهلية وذلك أنها باطل، فلقيت رجلاً من الكتاب من أهل تيماء، فقلت: إني امرؤ ممن يعبد الحجارة، فينزل الحيُّ ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لِقَدْرِهِ، ويجعل أحسنها إلهاً يعبد، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه، ويأخذ غيره إذا نزل منزلاً سواه. فرأيت أنه إله باطل لا ينفع ولا يضر، فدلّني على خير من هذا.

فقال (الرجل التيمائي) لعمرو بن عبسة السُّلَمي: يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها، فإذا رأيت ذلك فاتبعه، فإنه يأتي بأفضل الدين. قال عمرو بن عبسة: فلم تكن لي همة منذ قال لي ذلك إلا مكة، فأتي فأسأل: هل حدث فيها حدّث؟ فيقال: لا. ثم قدّمتُ مرة فسألت: فقالوا: حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها، فرجعت إلى أهلي، فشددت راحلتي برحلها، ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة، فسألت عنه فوجدته مستخفياً، ووجدت قريشاً عليه أشداء^(٢) فتلطفتُ حتى دخلت عليه، فسألته، فقلت: أي شيء أنت؟ قال: نبيٌّ. قلت: ومن أرسلك؟ قال: الله. قلت: وبما أرسلك؟ قال: بعبادة الله وحده لا شريك له، وبحقن الدماء، وبكسر الأوثان، وصلة الرحم، وأمان السبيل. فقلت: نعم ما أرسلت به، وقد آمنت بك وصدقتك، أتأمرني أمكث معك أو أنصرف؟ فقال: ألا ترى كراهة الناس ما جئتُ به؟ فلا تستطيع أن تمكث، كن في أهلك، فإذا سمعتُ بي قد خرجتُ مخرجاً فاتبعني. فمكثتُ في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة، سرتُ إليه فقدمت المدينة، فقلت: يا نبيَّ الله أتعرفني؟ قال: نعم أنت السُّلَمي الذي أتيتني بمكة، فسألتني عن كذا وكذا، فقلت لك كذا وكذا. فاغتنمتُ ذلك المجلس، وعلمتُ أن لا يكون الدهر أفرغَ قلباً لي منه في ذلك المجلس، فقلت: يا نبي الله أي الساعات

(١) معنى: رغبت عن هذا: كرهته؛ وذلك أن صيغة (رغب) ذات معنيين متضادين، والذي يحدد لها معناها من المعنيين المتضادين هو حرف الجر: (في) و(عن). فإذا كان المراد هو (الحب) فتأتي بعدها به (في) فتقول: (رغبت في هذا) أي أحببته. وإذا كان المقصود هو (الكره) فتأتي بعدها به (عن) فتقول: (رغبت عن هذا) أي كرهته.

(٢) في الاستيعاب لابن عبد البر: (إلباً عليه)، ص ١١٩٤، الجزء الثالث.

أسمع؟ ^(١) قال: الثالث الآخر، فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى تطلع الشمس، فإذا رأيتهما طلعت حمراء كأنها الجحفة ^(٢) فأقصر عنها، فإنها تطلع بين قرني شيطان، فيصلي لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رُمح أو رمحين فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى يساوي الرجل ظله، فأقصر عنها فإنها حينئذ تسجد جهنم، فإذا عاد الفئ فصل، فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى تغرب الشمس، فإذا رأيتهما تغرب حمراء كأنها الجحفة فأقصر. ثم ذكر الوضوء فقال: إذا توضأت فغسلت يديك ووجهك، فإذا جلست كان ذلك لك طهوراً، وإن قمت فصليت وذكرتك ربك بما هو أهله، انصرف من صلاتك كهيتك يوم ولدتك أمك من الخطايا ^(٣).

وقد أورد ابن قتيبة قصة إسلام عمرو بن عبسة السُّلَمي بإيجاز، وقال عنه: (فلما قبض النبي ﷺ، سكن «عمرو» الشام بعده (٤)).

هذا، ويلبس القارئ من ثانيا حديث هذا الصحابي السلمي ذي السابقة في الإسلام، حرارة الصدق، وصفاء الضمير، وذكاء الفكر، وطهر الفطرة. وما رواه شهر بن حوشب عنه - فيما أراه - هو تفصيل من عمرو بن عبسة نفسه لقصة إسلامه، ولقدمة إسلامه.

وواضح تجرد هذه القصة الواقعية الجميلة من التصنع والتكلف والتنميق، هي منسجمة تماماً مع واقعها، ومع صاحبها وبطلها، وهي تعبير صادق عن شعور نفسي عميق، وهي تجربة واقعية خاض غمارها عمرو - رضي الله عنه، فنجح باهر النجاح، وقد أدرك بفطرته السليمة أن ما كان عليه هو وقومه العرب من عبادة الأحيار وإشراكها بالله جل وعلا في العبادة هو أمر ناجم عن انطماس نور العقل وإرادة الفكر.

ويحدثنا محمد بن عمر الواقدي عن عمرو بن عبسة فيقول: «لما أسلم عمرو بن عبسة رجع إلى بلاد قومه بني سليم، وكان ينزل بصفة وجادة وهي من أرض بني سليم، فلم يزل مقيماً هناك حتى مضت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك المدينة»^(٥).

(١) بمعنى: أي الساعات يكون الدعاء فيها مستجابًا أكثر من غيرها؟ (٢) الجحفة: الترس.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٢١٧ و ٢١٨، الجزء الرابع.

(٤) المعارف، لابن قتيبة الدينوري، ص ١٢٦، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، ص ٢١٤ - ٢١٩، المجلد الرابع.

هذا، وقد أثنى ابن خلدون على عمرو بن عبسة، وقَدَّر مكانته في الإسلام، ثم قال عنه: (وعمر بن عبسة^(١) بن منقذ بن عامر بن خالد، كان صديقاً لرسول الله ﷺ، في الجاهلية، وأسلم (ثلاث؟) أبو بكر وبلال. فكان يقول: كنت يومئذ ربَّع الإسلام^(٢)).

ويبدو لي أن اسم (عبسة) الوارد في «العبر» في سلسلة نسب عمرو بن عبسة هو تحريف من النساخ أو الطابع. فاسم أبيه هو (عبسة) لا (عبسة)، أما جعل جده الأول (منقذاً) فلعله تحريف لاسم (حذيفة)، وقد ورد اسم (عمرو) الجد الثاني - عند ابن خلدون - هكذا: (عامراً)، ولعله هو أيضاً تحريف لاسم (عمرو).

عروة بن أسماء بن الصلت السُّلَمي

هو عم عبد الله بن خازم أمير خراسان، والفارس الصنديد المعلم الوفي بالعهد إلى آخر نقطة من دمه، وكان عروة هذا من جِلَّة الصحابة، وقُتِل في يوم بئر معونة - رضي الله عنه، بيد قومه من سُلَيْم.

الحجاج بن علاط السُّلَمي

هو الحجاج بن علاط بن خالد بن ثوير - نويرة - بن جسر - حنشر - بن هلال بن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تيم بن بهز بن امرئ القيس بن بُهثة ابن سُلَيْم بن منصور.

يُكْنَى الحجاج بن علاط: أبا كلاب وقيل: أبا محمد، وكان من خيار الصحابة. نزل الحجاج مدينة حمص^(٣) - بسورية - وابنه نصر بن الحجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب سترد ترجمته وقصة نفيه في الفصل المعقود للتابعين من هذا الكتاب.

(١) هكذا ورد اسمه في تاريخ ابن خلدون، طبع بيروت، والصحة ما أوضحناه وهو: (عبسة) كما نص عليه العديد من المراجع.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص ٦٣٦، المجلد الثاني، طبع المطبعة الباسيلية في بيروت.

(٣) جُمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٢٥٠، وتاريخ ابن خلدون، ص ٦٣٨، المجلد الثاني، طبع بيروت؛ والطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٤١٢، المجلد السابع.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ص ٣٢٦، الجزء الأول، طبع مطبعة نهضة مصر. وديار بكر بن وائل في شرق تركيا.

(٢) قصص العرب، ص ٣٦٠ و ٣٦١، الجزء الثاني، طبع مطبعة السعادة بمصر.

بخيل يرى في الجود عاراً وإنما
على المرء عارٌ أن يَضِنَّ ويبخلا
إذا المرء أثرى ثم لم يَرْجُ نفعه
صديقٌ فلاقتَه المنيّةُ أولاً^(١)

مُعرض بن علاط السُّلَمي

صحابي، أخو الحجاج بن علاط السُّلَمي الذي سبقت ترجمته آنفاً، قُتل
مُعرض يوم الجمل ولا يعلم ابن عبد البر له رواية، وقد رثاه أخوه الحجاج بن
علاط بقوله:

ولم أرَ يوماً كان أكثرَ ساعياً بكفٍ شمالَ فارقتها يمينها

وقد نفذ ابن عبد البر قول ابن إسحاق: أنه لما أصيب معرض بن حجاج بن
علاط السُّلَمي يوم الجمل، بكاه أخوه نصر بن الحجاج بن علاط فقال:

لقد فزعتُ نفسي لذكر مُعرض وعيناي جادت بالدموع شئونها

ومحل النقد هو أن (معرضاً) هو عمُّ نصر بن الحجاج بن علاط، وليس
أخاه، فهو معرض بن علاط مباشرة.

وَوَهَمَ الدارقطني حينما قال بقول ابن إسحاق فيه: وهذا «التوهيم» صادر
مني. ويدل عليه سياق كلام ابن عبد البر في توهيمه لابن إسحاق في قوله الآنف
ذكره الذي اعتمده الدارقطني فيما بعد، وكأنا نقله عن ابن إسحاق بدون فحص
ولا تمحيص.

مالك بن عمرو السُّلَمي

شهد مالك بدرأ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وهو من بني حجر
من بني سُلَيْم، حلفاء بني كبير من بني أسد (حلفاء بني عبد شمس)، واستشهد
مالك بن عمرو بيوم اليمامة^(٢).

(١) الحماسة الشجرية، لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي الحسني، ص ٤٩٠ - ٤٩١، القسم
الأول، طبع دمشق.

(٢) الاستيعاب، ص ١٣٥٥، المجلد الثالث، والعقد الثمين، للتقي الفاسي، ص ١١٤، الجزء السابع
وقد نشر هذا الكتاب الثمين، في ثمانية أجزاء محققة تحقيقاً علمياً، على نفقة معالي الشيخ محمد سرور
الصبان، فكان ذلك فضلاً منه على تاريخ مكة المكرمة يذكر فيشكر

وجاء في «الاستيعاب» اسم (مالك بن أمية بن عمرو السُّلَمي) ^(١) وهو غير مالك بن عمرو هذا، ولذلك أفردنا له هذه الترجمة، وأفردنا لسميه المذكور ترجمة أخرى فيما بعد.

مدلاج بن عمرو السُّلَمي

هو أخو مالك وبدر، مات في خلافة معاوية سنة ٥٠هـ، وقد شهد مدلاج مع أخويه: مالك وثقيف وبدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر.

ثَقِيفُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِيِّ

شهد مع أخويه السابقين ذكرهما، بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وقد اختلف في اسم (ثقيف): أهو، (ثقف) أو (ثقاف)، ويبدو لي أن هذا الاختلاف في اسمه ربما كان مَصْدَرُهُ عِلْمَ الرَّسْمِ العربي، فقد اعتاد كُتَّابُ العرب في الجاهلية والإسلام، حذف الألف اللينة من الكتابة تخفُّفًا واتكالا على ذكاء القارئ وفهمه وعلمه، فهم يكتبون مثلاً: إسحاق وإسماعيل هكذا: إسحق وإسمعيل.

قُتِلَ ثَقَفٌ أَوْ ثِقَافٌ أَوْ ثَقِيفٌ بِخَيْرِ سَنَةِ سَبْعٍ لِلْهِجْرَةِ، وَقَاتَلَهُ أُسَيْرُ الْيَهُودِيِّ^(٢).

كثير بن عمرو السلمي

صحابي حليف لبني أسد، ويقال: إنه كان حليف بني عبد شمس، شهد كثير بدرًا، فيما ذكره ابن إسحاق من رواية زياد، وليس في رواية ابن هشام، وذكره ابن السراج عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدي عن أبيه عن زياد عن ابن إسحاق - قال: وشهد بدرًا، من حلفاء بني أسد، كثير بن عمرو وأخوه مالك بن عمرو، وثقف بن عمرو.

وقد ترجمه السقيُّ الفاسيُّ كذلك، ولكنه تعقب ذلك بقوله: (ولم أرَ كثيراً في غير هذه الرواية، ولعله أن يكون ثقف له لقباً، واسمه كثير^(٣)).

(١) الاستيعاب أيضاً، ص ١٣٤٦، الجزء الثالث.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٩٧ و ٩٨، المجلد الثالث.

(٣) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، لتقى الدين الفاسي، ص ٩٣، المجلد السابع، والاستيعاب

في معرفة الأصحاب، ص ٨٠١، المجلد الثالث.

عُتْبَةُ بن غَزْوَانَ السُّلَمِيّ

واسم والد أبيه ياسر، كان عُتْبَةُ من أجلاء الصحابة وفي عداد المهاجرين الأولين، وكان شجاعاً بطلاً، ورامياً حاذقاً، وفارساً مغواراً. قدم المدينة مهاجراً وله من العمر أربعون سنة، وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا بسهامه، وكان رجلاً طوالاً مشرف القامة، وقد فتح الأبله بعد أن هزم جيش الفُرس الذي كان بها، واختط البصرة بأمر عمر بن الخطاب، وأمر محجن بن الأذرع فاخستط مسجدها، ثم ذهب إلى مكة فلما كان بمعدن سلّم - ولعله المعروف اليوم بالمهد، لأنه تل مرتفع - أدركه الموت فتوفي سنة ١٧هـ.

وهكذا كان عُتْبَةُ بن غَزْوَانَ رجل حرب، ورجل سلّم، ورجل اقتصاد وعمران في وقت واحد.

وكما كان عُتْبَةُ بن غَزْوَانَ بطلاً محارباً، ورجل اقتصاد وعمران كما قدمناه كذلك كان خطيباً مفوهاً، وقد رأيناه يلقي هذه الخطبة الرنانة ذات الأهداف الإسلامية القيمة بعد فتحه للأبله. قال: (بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ، أما بعد فإن الدنيا قد تَوَلَّتْ حَذَاءً^(١) مدبرة، وقد آذنت أهلها بصرم^(٢)، وإنما أبقى منها صُبابَة كصُبابَة الإناء يَصْطَبُّهَا^(٣) صاحبها، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة، ففارقوها بأحسن ما يحضركم. ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحَجر الضخم يُلْقَى في النار من شفيرها فيهبوي فيها سبعين خريفاً^(٤)، ولجهنم سبعة أبواب، ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة، ولتاين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام. ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البشام^(٥) حتى قرحت أشداقنا^(٦)، فوجدت أنا وسعد بن مالك؛ تمره

(١) حذاء بمعنى منقوصة.

(٢) الصرم: القطع.

(٣) الصبابَة: بضم الصاد المهملة: بقية الماء أو اللبن، ويصطبها معناه: يفرغها.

(٤) الخريف هنا بمعنى: العام.

(٥) البشام: شجر عطر الرائحة يتخذ من قضبان المسوايك.

(٦) معنى: (قرحت أشداقنا): حدثت فيها قروح.

بالقنا والدروع على الخيل، وكان إسلامه قبل فتح مكة بيسير من الزمن، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وهو شاعر معروف. وكان لقاؤه للرسول ﷺ وهو يسير حين هبط «المشلل» وبنو سليم في آلة الحرب، والحديد ظاهر عليهم، والخيل تنازعهم الأعنة، فصفوا لرسول الله ﷺ وإلى جنبه أبو بكر وعمر، وكانت رايته حمراء^(١) فقال الرسول: يا عيينة هذه بنو سليم قد حضرت بما ترى من العدة والعدد. فقال عيينة: يا رسول الله جاءهم داعيك ولم يأتني. ثم حدث بينه وبين العباس بن مرداس كلام شديد، ورد بعضهما على بعض فأوما إليهما النبي بيده حتى سكتا، وأعطى النبي ﷺ العباس بن مرداس مع من أعطى من المؤلفة قلوبهم وكان ما أعطاه إياه هو أربعين من الإبل، فعاتب النبي ﷺ في شعر قاله منه:

فأصبح نهبي ونهب العبيد ^(٢)	بين عيينة والأقرع
إلا أقاتل أعطيتهما	عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس في المجمع
وقد كنت في الحرب ذا تدرا	فلم أعط شيئا ولم أمتع
وما كنت دون امرئ منهما	ومن تخفص اليوم لا يرفع

فرجع أبو بكر أبياته إلى النبي ﷺ فقال النبي للعباس: أرايت قولك:

أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله: ليس هكذا قال. فقال النبي ﷺ كيف؟ فأنشده أبو بكر كما قال عباس، فقال النبي: (سواء، ما يضرك بدأت بالأقرع أم بعيينة)، فقال أبو بكر: بأبي أنت، ما أنت بشاعر ولا راوية ولا ينبغي لك. فقال رسول الله ﷺ: اقطعوا عني لسانه: (لسان عباس بن مرداس) ففزع منه أناس، وقالوا: أمر بعباس يُمثل به!، فأعطاه مائة من الإبل، وقيل: خمسين من

(١) لعل من المناسب هنا ذكر ألوان بعض الرايات في العهد النبوي، كانت رايته ﷺ سوداء مربعة من صوف أسود وكان لواؤه أبيض مكتوباً عليه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، واسم رايته العقاب، وكانت راية الأنصار التي عقدها لهم الرسول ﷺ صفراء. وفي غزوة فتح مكة وافق على أن يكون لواؤه بني سليم أحمر (راجع كتاب التراتيب الإدارية للسيد عبد الحي الكتاني ص ٣٢١ - ٣٢٣ الجزء الأول: طبع بيروت).

(٢) العبيد (بضم العين المهملة) اسم فرس العباس بن مرداس.

الإبل. وقد عاتبه رسول الله ﷺ فقال له: (أقول في الشعر؟) فاعتذر وقال: (بأي أنت وأمي إني لأجد للشعر ديباً على لساني كديب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بداً من قول الشعر) فتبسم الرسول ﷺ وقال: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين).

هذا، وقد انتقد المرزباني، منع صرف (مرداس) في البيت المتقدم للعباس بن مرداس وهو:

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

بفتح سين (مرداس) مع أنه مصروف لغة، فقال: «وأما ترك صرف ما ينصرف فهو غير جائز، لأنه يخرج الشيء عن أصله. وقد أجازه الأخفش، وأنشد قول العباس بن مرداس السلمي:

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

فترك صرف «مرداس» وهو اسم منصرف، وهذا قبيح لا يجوز ولا يقاس عليه لأنه لحن»^(١).

وكان العباس بن مرداس يغزو مع النبي ﷺ ويرجع إلى بلاد قومه، وكان ينزل - كما ذكرنا في ترجمته في فصل شعراء بني سليم - بوادي البصرة، وكان يأتي البصرة كثيراً ويرجع إلى بلاد قومه^(٢)، وله ابن يقال له جاهمة يروي عن النبي ﷺ أحاديث^(٣) ولم يسكن مكة ولا المدينة ويقال: إنه مات في بادية البصرة، ويقال بل نزل بدمشق وابتنى فيها داراً. ويقول ابن حجر: إن وفاته كانت في خلافة عثمان بن عفان.

هذا، وفي عهد الجاهلية كان العباس يهاجي خفاف بن ندبة السلمي، وتمادى الخلاف بينهما حتى بلغ إلى الاحتراب، وقد كثرت القتلى بينهما، وعندئذ قام الضحّاك بن عبد الله السلمي صاحب أمر بني سليم وقال لهما: (يا هؤلاء إني أرى

(١) الموشح للمرزباني، ص ١٤٤، طبع دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٢٧٣، المجلد الرابع.

(٣) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ص ٦٣٤، الجزء الثاني، طبع دار الثقافة ببيروت. وفي الهامش أن

في مطبوعة لندن: جلهمة، وصوبه الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله، وقال: لا يوجد من يسمى بهذا الاسم في الصحابة ولا الرواة، وإنما هو جاهمة. (انظر الإصابة: ٢٢٨، والاستيعاب: ٢٦٧).

الحليم يُغضى، والسفيه يُطاع، وأرى أقرب القوم إليكما من لقيكما بهواكما، وقد علمتم ما هاج الحرب على العرب حتى تفانت.. فهذه «وائل» في ضرع ناب، و«عبس» و«ذبيان» في لطمة فرس، و«أهل يشرب» في كسعة رجل، و«مراد» و«همدان» في رمية نسر، وأمركما أقبح الأمور بدءاً وأخوفها عاقبة، فحطاً رحل هذه المطية النكداء، وانحرفا عن هذا الرأي الأعوج) فلجأً وأيّاً إلا السفاهة، فخلعتهما بنو سليم، وأتاهما دريد بن الصّمة الجُشمي، ومالك بن عوف النصري، رأس هوازن - أبناء عمومة سليم - فقال دريد: (يا بني سليم إنه أعملني إليكم صدرً وادً، ورأي جامع، وقد قطعتم بحربكم يداً من أيدي هوازن، وصرتم بين صيد بني الحارث وصهب بني زيد، وجمار خثعم، وقد ركبتما شر مطية، وأوضعتما إلى شر غاية، فالآن قبل أن يندم الغالب، ويذل المغلوب..) ثم سكت، فقال مالك بن عوف: (كم حيّ عزيز الجار، مخوف الصباح، أولع بما أولعتم به، فأصبح ذليل الجار، مأمون الصباح، فانتھوا ولكم كف طويلة، وقرن ناطح، قبل أن تلقوا عدوكم بكف جذماء، وقرن أعضب). فندم العباس، وقال: (جزى الله، خُفاً والرحم عني شراً، كنت أخفّ سليم من دمائها ظهراً، وأخمصها من أموالها بطناً، فأصبحت تُقيل الظهر من دمائها، مُنْقَضِ البطن من أموالها، وأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيرها به، من لجاج الحرب، وأيم الله لوددت أنني كنت أصمّ عن جوابه، أخرسَ عن هجائه، ولم أبلغ من قومي ما بلغت)، فلما أمسى تغنى:

ب واني ندمت على ما مضى	الم تر اني كرهتُ الحرو
لتلك التي عارها يتقى	ندامة رآر على نفسه
من الامر لابس ثوبي خزي	وايقنتُ اني لما جئته
فتى للحوادث كنت الفتى	وكانت سليم إذا قدّمت
ب وانكي عداها وأحمي الحمى	وكنتُ أفىء عليها النها
خُفافٌ بأسهمه من رمى	فلم أقد الحرب حتى رمى
فلم أك فيها ضعيف القوى	فألهب حرباً بأصبارها
ويرجع من ودهم ما نأى	فلإن تعطف القوم أحلامها
ولا يبي عن سليمهم من غنى	فلست فقيراً إلى حربهم

وحينما سمع خُفافٌ هذه القصيدة التي أعلن فيها خصمه وابن عمه «التوبة» عن حرب ضروس أهلية، أضرت بالقبيلة وتشتت شملها وهدت من قواها، اعتبر ذلك علامة ضعف من عباس بن مرداس، فأجابه بقوله:

أعباسُ إمّا كَرِهْتَ الحِرو	ب فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفَى
أَلْفَحْتَ حَرْبًا لَهَا دَرَّةٌ	زبونا تُسَعِّرُها بِاللُّظَى
فلما ترقيتَ في غيها	دخضت وزل لك المُرْتَقَى
فأصبحتَ تبكي على زلة	وماذا يرد عليك البكا؟
فإن كُنْتَ أخطأتَ في حربنا	فلسنا مُقِيلِكَ ذاك الخطأ
وإن كُنْتَ تطمع في سلمنا	فزاولِ بُيْرًا ورُكْنِي حِرًّا

وهكذا نرى «خُفافًا» - عَبَّاسًا - حيال خصمه: (عباس) الذي بدا أمامه (بَسَامًا) وقدم له سلامًا - بفتح السين، وقد قابل خفاف سلامه هذا بسلام من قوارص التشنيع والتهكُّم تحمل في طياتها نَذْرَ الإصرار على مواصلة الحرب الأهلية السلمية بدون تردد.

وأخيرًا، أشرقت الأرض بنور ربها، منبثقا من مكة والمدينة فسطع على ظلام الجاهلية في قلبي الرجلين البطلين السلميين المتناحرين؛ واللذين ماداما امتشقا الحسام على بعض، فهذا شيطان الجاهلية بين جوانحهما ثم توارى عنهما إلى غير رجعة حينما دخلا حظيرة الإسلام واستظلا بظلها الوارف ونهلا من معينها الغدق، وهكذا عاد الاستقرار إلى أنفسهما وإلى القبيلة وعاد إليهما الصفاء، فالإسلام نور وضاء للقلوب المظلمة، وروضة غناء للنفوس المكتتبة، يحو همومها وأدرانها، ويحل محلها السعادة والهناء والالفة والاطمئنان، والإسلام يَجِبُ ما قبله.

وقد أطلنا في عرض قصة الخلاف الذي نشبَ بين العباس بن مرداس السُّلَمي، وابن عمه خُفاف بن نُدْبَةَ السُّلَمي، وما قيل من نشر وشعر في هذا الخلاف الذي كانت له أصداؤه لدى العرب، فعلنا كل ذلك لأسباب في مقدمتها الإلمام بطرف من حياة عرب الجاهلية وألوان تفكيرهم، وكيفية معالجتهم لمشاكلهم، وللدلالة على نفسياتهم وما يختلج بين جوانحهم في ساعات السلم وساعات

الحرب، ثم للدلالة على مكانة شاعرهم وفارسهم المُعَلَّم في الجاهلية والإسلام: العباس بن مرداس السُّلَمي، وخاصة قبل دخوله في دين الإسلام، وتشرفه بصحبة الرسول ﷺ.

قيس بن نسيبة السُّلَمي

وَقَدْ قَيسٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ حَدِيثَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا، وَوَعَى كَلَامَ الْمُصْطَفَى، وَدَعَاهُ الرَّسُولُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَقَالَ مُوجِّهًا لَهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ بِاللُّغَةِ وَالْأَسْلُوبِ الْمُقْنَعِينَ، قَالَ لَهُمْ: (قَدْ سَمِعْتُ تَرْجُمَةَ الرُّومِ، وَهَيْئَةَ فَارِسَ، وَأَشْعَارَ الْعَرَبِ، وَكُهَانَةَ الْكَاهِنِ، وَكَلَامَ مَقَاوِلِ حَمِيرٍ - فَمَا يَشْبَهُ كَلَامَ مُحَمَّدٍ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمْ، فَأُطِيعُونِي وَخَذُوا نَصِيحَتَكُمْ مِنْهُ).

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سُلَيْمٍ إلى رسول الله ﷺ فلقوه بِقُدَيْدٍ، وَهُمْ أَلْفَ فَارِسٍ كُلِّهِمْ عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ، وَفِيهِمُ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ، وَأَنْسُ بْنُ عِيَاضَ بْنِ رِغْلٍ، وَرَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ^(١) فَأَسْلَمُوا، وَقَالُوا (لِرَسُولِ اللَّهِ): اجْعَلْنَا فِي مَقْدَمَتِكَ، وَاجْعَلْ لَوَاءَنَا أَحْمَرَ، وَشِعَارُنَا مُقَدَّمٌ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ، فَشَهِدُوا مَعَهُ الْفَتْحَ وَالطَّائِفَ وَحَنِينَ^(٢).

ومن هذا الحديث ندرك مدى طموح بني سُلَيْمٍ، كما ندرك منه عمق إسلامهم في نفس الوقت.

ويحدثنا جواد علي عن قيس بن نسيبة هذا، بأنه كان على علم بلسان الروم، وبهيئمة الفرس وبأشعار العرب، وبأنه كان ذا حظ بثقافة ذلك الزمان، وبأنه رجع إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا^(٣)، ويبدو جليا أن ما أورده الدكتور جواد علي عن علم قيس بلسان الروم إلخ - هو اقتباس منه واستنتاج مما

(١) ونحن نرى هنا «عبد رب» اسمًا اختاره النبي ﷺ لوالد راشد: (عبد العزى)، كما نراه يختار لابنه اسم (راشد) بدلًا من اسمه الجاهلي: (غاوي). وجدير بالذكر أن اسم «عبد رب» شائع حتى الآن في الحجاز ربما في مصر أيضًا.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٣٠٧، المجلد الأول.

(٣) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ص ٢٥٧، الجزء الرابع، طبع

دار العلم للملايين في بيروت.

تحدث به إلى قومه، وهو يدعوهم إلى الدخول في الإسلام من أنه سمع ترجمة الروم وهينة فارس فما يشبه كلام محمد ﷺ كلامهم، وهو استنتاج نُؤيده وإن لم يذكر لنا صاحبه: مِمَّ استنتجه؟

راشد بن عبد ربه السلمي

يُكنى أبا أثيلة، وراشد بن عبد ربه أحد صحابة الرسول ﷺ أعطاه (رُهاطاً) وبها عين يقال لها «عين الرسول».

وكان راشد في الجاهلية سادن صنم بني سليم، وقد رأى ذات يوم ثعلبين يبولان عليه فقال:

أربُّ يُول الثَّعلْبَانِ برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم شدَّ عليه وكسره. قدم على النبي ﷺ فقال له: ما اسمك؟ قال: غاوي ابن ظالم، فقال النبي: بل أنت راشد بن عبد الله، فأسلم وحسن إسلامه، وشهد الفتح مع النبي، وقال الرسول ﷺ: «خير قرى عربية: خيبر، وخير بني سليم: راشد» وعقد له على قومه، وفي رواية أخرى: بل أنت راشد بن عبد ربه^(١).

قَدَر بن عَمَّار السُّلَمي (أو) قُدَد بن عَمَّار

صحابي وصفه النبي ﷺ بأنه: (صادق الإيمان)، وكان قدر أو قُدَد بن عَمَّار قد وفد على الرسول بالمدينة وأسلم، وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل، وأنشد يقول:

شَدَدْتُ يَمِينِي إِذْ أَتَيْتُ مُحَمَّدًا بِخَيْرِ يَدٍ شَدَّتْ بِحُجْزَةِ مِثْزَرٍ
وَذَاكَ امْرُؤٌ قَاسَمْتُهُ نِصْفَ دِينِهِ وَأَعْطَيْتُهُ أَلْفَ امْرِئٍ غَيْرِ اعْسَرٍ

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر، فخرج معه تسعمائة، وخلف في الحي مائة، فأقبل بهم يريد النبي ﷺ فنزل به الموت، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه: إلى العباس بن مرداس - أحد زعمائهم في الجاهلية والإسلام - وأمره على ثلاثمائة، وإلى جبار بن حكيم، وهو الفرار الشريدي وأمره على ثلاثمائة، وإلى الأخنس بن

(١) الاستيعاب؛ لابن عبد البر، ص ٥٠٤، المجلد الثاني، وغيره... وفي الطبقات الكبرى لابن سعد أن الرسول ﷺ سماه: (راشد بن عبد ربه)، ص ٣٠٨، الجزء الأول.

يزيد وأمره على ثلاثمائة، وقال: اتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي... ثم مات. فمضوا حتى قدموا على النبي ﷺ فقال: (أين الرجل الحسن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الإيمان؟) قالوا: يا رسول الله دعاه الله، فأجابه، وأخبروه خبره. فقال: (أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم؟) قالوا: قد خلف مائة بالحي مخافة حرب - كانت - بيننا وبين كنانة. قال: (ابعثوا إليها، فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه). فبعثوا إليه فأتته بالهدية، وهي مائة عليها المنقع بن مالك بن أمية بن عبد العزى بن عجل بن كعب بن الحارث بن بهثة بن سليم، فلما سمعوا وثيد الخيل - صوتهما الشديد - قالوا: يا رسول الله، أتينا. قال: لا، بل لكم لا عليكم، هذه سليم بن منصور قد جاء... فشهدوا مع الرسول ﷺ الفتح وحنينا.

وعن المنقع السلمي، وقصة قدومه إلى النبي على رأس مائة منهم، ووعد له بإكمال الألف منهم - نرى العباس بن مرداس السلمي الشاعر يسجل لنا هذه القصة ملخصة في قوله:

القائد المائة التي وفئ بها تسع المئين فتم ألف أقرع^(١)

الحكم بن الحارث السلمي

صحابي نزل البصرة بعد اختطاطها مدينة في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما، وقد روى عن النبي ﷺ الحديث التالي: (من أخذ شبرا من الأرض جاء به يوم القيامة يحمله في سبع أرضين) وتحدث عن صحبته للنبي في الجهاد، فقال: «غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات آخرهن حنين، وكنت أسير في مقدمة النبي ﷺ إذ خلأت - أي بركت أو جرت ناقته فلم تبرح مكانها - فمر بي رسول الله ﷺ، وأنا أضربها، فقال: (مه) - أي اكفف عن ضربها - وزجرها فقامت»^(٢).

«جد» أبي الأسود السلمي

عده ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة، ولم يذكر لنا اسمه، اكتفى بأن ذكر أنه جد أبي الأسود السلمي، وروى له حفيده: أبو الأسود حديثا عن النبي

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٣٠٧ و ٣٠٩ المجلد الأول.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٦، المجلد السابع، والاستيعاب لابن عبد البر، ص ٣٦١، الجزء الأول.

ﷺ هو قوله: «كنت سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، فأمرنا رسول الله، فجمع كل رجل منا درهماً، فاشترينا أضحيةً بسبعة دراهم، فقلنا: يا رسول الله والله لقد أغلينا بها، فقال النبي ﷺ: (إن أفضل الضحايا أغلاها وأسمنها)، فأمر النبي رجلاً فأخذ بيد، ورجلاً برجل، ورجلاً بقرن، وذبح الرجل السابع، وكبرنا جميعاً».

«جد» محمد بن خالد السلمي

وضعه محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى» فيمن نزل الجزيرة من الصحابة ولم يذكر لنا اسمه، بل اكتفى بأن نعتَه بأنه «جد» محمد بن خالد السلمي الذي روى عن جده المذكور قوله: «سمعت النبي ﷺ يقول: (إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم ينلها بعمله، ابتلاه في جسده وفي أهله وماله، ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل)»^(١).

العباس السلمي

يبدو أن العباس هذا ليس بابن مرداس، وإن اشتركا في الاسم وفي صحبة النبي ﷺ، روى حفيده نائل بن مطرف بن العباس السلمي، أن جده العباس «شخص إلى رسول الله ﷺ، فاستقطعه ركيةً بالدينونة وأقطعها إياه، على أن ليس له منها إلا فضل ابن السبيل»، قال أبو الأزهر: وكان نائل راوي هذا الحديث عن جده العباس السلمي نازلاً بالدينونة، وهي التي أقطعها النبي ﷺ لجده العباس، يبدو أنها حازت إعجابهم فاستوطنوها جيلاً بعد جيل، وكان نائل أمير بني سليم النازلين معه في الدينونة فأخرج لأبي الأزهر - على ما رواه أبو الأزهر عن نفسه - حقةً فيها كراع من آدم أحمر، فكان فيه ما أقطعهُ، أي ما أقطعهُ النبي ﷺ لجده، وإذن فلقد احتفظ نسل العباس بهذه الوثيقة النبوية الشريفة مُستنداً لهم على ما أقطعهُ الرسول ﷺ لجدهم وبقيت الوثيقة لديهم حتى كانت لدى نائل حفيد العباس وأمير بني سليم النازلين معه في الدينونة.

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٤٧٧، المجلد السابع.

أبو خراش السُّلَمي

عده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» من الصحابة الذين نزلوا بمصر، فلعله يكون إذن أول من نزل من السُّلَميين بمصر أو من أوائلهم نزولاً بها على الأقل.

وروى عنه ابن سعد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من هجر أخاه سنة فهو كَسَفِكَ دمه)^(١).

العرباض بن سارية السُّلَمي

نزل بالشام، وقال ابن سعد: يكنى أبا نجيح^(٢).

جاهمة أو جلهمة بن العباس بن مرداس السُّلَمي

ورد اسمه في كتاب «الطبقات الكبرى» هكذا: (جلهمة)^(٣)، كما ورد مثل ذلك في كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، أما في «الاستيعاب» فقد ورد اسمه: (جاهمة)، وروى ابن سعد عنه أحاديث: منها أنه جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أردتُ أن أغزو وقد جئتُك أستشيرك، فقال الرسول: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها فإن الجنة عند رجلها ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى. . . وكمثل هذا القول^(٤).

وفي كتاب (المفصل) لجواد علي، ورد أيضاً باسم (جلهمة)^(٥) وصحح الأستاذ أحمد شاكر اسمه بأنه (جاهمة) بالآلف، وقال إنه ليس في الصحابة صحابي باسم (جلهمة) ولا في الرواة. وقد أشرنا إلى هذا في مكان آخر أيضاً.

يزيد بن الأخنس السُّلَمي

يتصل نسبه بيهثة بن سُلَيم. وهو أبو معن بن يزيد السُّلَمي الذي روى عنه أبو الجويرية أنه قال: بايعتُ النبي ﷺ أنا وأبي وجدي، وخاصمت إليه فأفلجني.

(١) الطبقات الكبرى، ص ٥٠٠، المجلد السابع.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٦، المجلد الرابع، وقد تقدم في ترجمة عمرو بن عبسة السُّلَمي أنه يكنى

أبا نجيح أيضاً.

(٣) ص ٣٣، و ص ٣٤، المجلد السابع.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢ و ٣٣ و ٣٤، المجلد السابع.

(٥) ص ٢٥٨، المجلد الرابع.

عقد له الرسول يوم فتح مكة لواءً من الألوية التي عقدها لرجال سُلَيْم، وسكن الكوفة بعد ذلك، وشهد ابنه «معن» المُكَنَّى به يوم مرج راهط^(١) وقتل فيها. وليزيد ترجمة في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، لا تخرج عما أوردناه آنفاً^(٢).

الضحَّاك بن سفيان السُّلَمي

يتصل نسبه ببهثة بن سُلَيْم أيضاً، أسلم الضحَّاك فيمن أسلم من قومه. وصحب النبي ﷺ وعقد له لواء يوم الفتح^(٣). وهو غير الضحَّاك بن سفيان الكلابي العامري من هوازن الذي كان سيَّاف رسول الله ﷺ، وكانت بنو سُلَيْم في تسعمائة فلما قدموا قال لهم رسول الله: هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكُم ألفاً؟ فوافاهم بالضحَّاك بن سفيان الكلابي وكان رئيسهم، وفيه يقول العباس بن مرداس السُّلَمي:

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى	وصالا لكننا الأقربين نتابع
نبايع بين الأخششين وإنما	يد الله بين الأخششين نبايع
عشية ضحَّاك بن سفيان معتص	بسيف رسول الله والموت واقع

وقد أثنى العباس بن مرداس على قيادة الضحَّاك الكلابي وعلى بطولته، في قصيدته الميمية التي قال فيها يخاطب رسول الله:

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلٌ	بالحق، كل هدى السيل هداكا
إن الاله بنى عليك محبة	في خلقه و«محمداً» سَمَاكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم	جند بَعَثَ عليهم الضحَّاكا
رَجُلًا به ذرب السلاح كأنه	لما تكنفه العدو، يراكا

(١) في الكامل لابن الأثير، ص ١٤٧، المجلد الرابع، أن «ثور بن معن السُّلَمي» أشار على الضحَّاك بإظهار الأمر المكتوم في مبايعة عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه. ولست أدري الآن علاقته بيزيد بن الأخنس هذا أمو حفيده أم غير حفيده.

(٢) ص ١٥٧، المجلد الثاني.

(٣) طبقات ابن سعد، ص ٢٧٤، المجلد الرابع، والاستيعاب لابن عبد البر، ص ٧٤٢ و ٧٤٣، الجزء

خُفَافُ بنِ عمير السُّلَمي

يتصل نسبه أيضاً ببهثة بن سُلَيْم، عقد له الرسول ﷺ لواءً يوم فتح مكة على بني عمومته من سُلَيْم^(١)، وشهد حُنيئًا والطائف وكان - كما أشرنا إليه في غير هذا المكان - يتهاجى مع العباس بن مرداس في أيام الجاهلية حتى بلغ الأمر بهما إلى الاقتتال.

وأمُّ خُفَاف: (نُدْبَةُ) وهي سوداء، وينسب إليها فيقال: خفاف ابن ندبة، وهو من أغربة العرب - أي ذوي اللون الأسود فيهم، شبهت ألوانهم بلون الغراب الأسود - ويقول خفاف في هذا المعنى:

كَلَانَا يُسَوِّدُهُ قَوْمُهُ على ذلك النسب المظلم

يعني السودان، ويكنى أبا خراشة، وله يقول عباس بن مرداس السُّلَمي:

أَبَا خَرَّاشَةَ إِمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَّ لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ

وهو ابن عم الخنساء بنت عمرو بن الشريد الصحابية الشاعرة.

وخفاف هو قاتل مالك بن حمار، سيد بني شَمَخ بن فزارة الغطفاني وفي ذلك يقول:

إِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أَصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّتْ مَالِكَا

أقول له - والرمح يَاطِرُ مَتْنُهُ - تأمل خُفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَ

ولخفاف حديث واحد عن الرسول ﷺ وبقي عباس وخفاف على قيد الحياة

إلى زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه^(٢).

ابن أبي العوجاء السُّلَمي

كان دخولُ ابن أبي العوجاء في الإسلام أقدمَ من دخول عامة قومه فيه، روى ابن سعد في طبقاته الكبرى، قال: بعث رسولُ الله ﷺ ابنَ أبي العوجاء

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص ٢٥٦ و ٢٥٧، الجزء الأول، طبع دار الثقافة ببيروت.

(٢) طبقات ابن سعد الكبرى، ص ٢٧٥، المجلد الرابع - الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ص ٢٥٨

و ٢٥٩، الجزء الأول، طبع بيروت، والاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ ابن عبد البر، ص ٤٥٠ و ٤٥١، الجزء الثاني. وجعل الاستيعاب كنيته (أبا خرشة) بدون ألف بعد الراء.

السُّلَمي في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلاً سرية إلى بني سُلَيْم، فكثُرهم القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قُتل عامة المسلمين، وأصيب صاحبهم ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان^(١).

أبو حصين السُّلَمي

أحد صحابة رسول الله ﷺ الأجواد، قدم أبو الحصين السُّلَمي المدينة بذهب من معدنهم - أي معدن بني سُلَيْم -، فقاضى ديناً كان على رسول الله ﷺ تحمّل به، وفضل ذهب مع أبي الحصين مثل بيضة الحمامة، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت، وجاء الرسول عن يمينه فأعرض عنه، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه، ثم جاءه بين يديه فنكس رسول الله ﷺ، فلما أكثر عليه أخذها من يده فحذفه بها، لو أصابته لعقرته، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: (يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى، وأبدأ بمن تعول)^(٢).

مجاشع بن مسعود السُّلَمي، وأخوه مجالد

كان في مجالد قَزَلٌ - أي عَرَجٌ خفيف - روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» أن مجاشع بن مسعود قال: يا رسول الله هذا مجالد بن مسعود، فبايعه على الهجرة، فقال: (لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعه على الإسلام) وفي رواية أوردها ابن سعد أيضاً أن مجاشعاً قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي لنبايعه على الهجرة، فقال: (إن الهجرة قد مضت). . . فقلنا: علام نُبَايعُكَ؟ فقال: (على الإسلام والجهاد في سبيل الله). قال: فبايعناه^(٣).

نزل مجاشع البصرة مع من نزلها من السُّلَميين، وقُتل يوم الجمل هو وأخوه مجالد، وقبراها بالبصرة معروفان^(٤) وكان ذلك بسنة ٣٦ هـ - ٦٥٦ م.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٢٧٥، المجلد الرابع.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ص ٢٧٧، المجلد الرابع، والاستيعاب، لابن عبد البر، ص ١٦٣٢،

المجلد الرابع، وسماء أبا الحسين.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٣٠، المجلد السابع.

(٤) الاستيعاب، لابن عبد البر، ص ١٤٥٩، المجلد الرابع.

حَبَانُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ

حَبَانُ بْنُ الْحَكَمِ صَحَابِي^(١) وَيُلَقَّبُ بِالْفَرَّارِ، وَهُوَ شَاعِرٌ أَيْضًا.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ

صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ وَرَوَى عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ وَأَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَامَذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: (عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ).

الْوَرْدُ بْنُ خَالِدِ السُّلَمِيِّ

مِنْ آلِ بَهْثَةَ، أَسْلَمَ الْوَرْدُ وَصَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ عَلَى مِيمَتِهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ^(٢). وَرَدَّ اسْمُ «الْوَرْدِ» هَذَا فِي تَارِيخِ ابْنِ خُلْدُونٍ، مَقْلُوبًا هَكَذَا: (الرَّوْدُ) بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ عَلَى الْوَاوِ، وَنَسَبَهُ هَكَذَا: «الرَّوْدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ خَلْفِ بْنِ مَازِنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ» وَأَضَافَ أَنَّهُ «كَانَ عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ يَوْمَ الْفَتْحِ»^(٣) وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ سَعْدٍ هَذَا فِي طَبَقَاتِهِ الْكُبْرَى، وَأَرَى أَنَّ اسْمَهُ هُوَ «الْوَرْدُ» كَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى، لِابْنِ سَعْدٍ وَجُمُوهُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ لِابْنِ حَزْمٍ^(٤).

مَعْنُ بْنُ يَزِيدِ السُّلَمِيِّ

صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُهُ، وَيَكْنَى أَبَا زَيْدٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ وَجَدُهُ، بَدْرًا. وَلَا يُعْرَفُ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ أَبِيهِ وَجَدُهُ، غَيْرُهُ، وَلَا يَعْرِفُ فِي الْبَدْرِيِّينَ وَلَا يَصُحُّ، وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي الْجَوَيْرِيَةِ عَنْهُ، قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَبِي وَجْدِي. وَكَانَ لَهُ مَكَانٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَشَهِدَ صَفِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَحَضَرَ وَقَعَةَ مَرْجٍ رَاهِطٍ مَعَ الضُّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفَهْرِيِّ الْقُرَشِيِّ^(٥) وَقُتِلَ فِيهَا^(٦).

(١) الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، لِلْفَيْرُوزِ أَبَادِي «مَادَةُ حَب». وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أَنَّهُ (حَبَانُ) بِالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ.

(٢) الْإِسْتِيعَابُ، لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، ص ١٥٦٧، الْمَجْلَدُ الرَّابِعُ وَغَيْرِهِ.

(٣) الْعَبْرُ، لِابْنِ خُلْدُونٍ، ص ٦٣٦، الْمَجْلَدُ الثَّانِي، طَبْعُ بَيْرُوتِ.

(٤) جُمُوهُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ، ص ٢٦٤.

(٥) جُمُوهُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ، لِابْنِ حَزْمٍ، ص ٢٦١، وَالْإِسْتِيعَابُ، ص ١٤٤٢، الْجُزْءُ الرَّابِعُ.

(٦) الْأَعْلَامُ، لِلْأَسَازِ خَيْرِ الدِّينِ الزَّرْكَلِيِّ، ص ١٩٣، الْمَجْلَدُ الثَّامِنُ، طَبْعُ مِصْرَ الثَّانِيَّةِ.

هودة بن الحارث بن عجرة السلمي

بينه وبين جدهم: بهثة بن سليم - سبعة آباء، فإذا أخذنا بقاعدة ابن خلدون التي تُقرر لكل ثلاثة أجيال مائة سنة فيكون «سليم» الذي هو الجَد الأعلى لبني سليم الذي يتمون إليه جميعاً، قد عاش في القرن الثالث قبل الإسلام تقريباً إذا كانت سلسلة نسب هودة متكاملة وصحيحة.

أسلم هودة وشهد فتح مكة، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب وقد خاصم ابن عم له في الِراية:

لقد دار هذا الأمرُ في غير أهله فأبصر وليَّ الأمر أين تريد؟^(١)

عبد الرحمن بن خباب السلمي

صحابي، روى له ابن سعد الحديث التالي: قال: شهدتُ النبي ﷺ وهو يَحُثُّ على جيش العسرة فقال عثمان: يا نبيَّ الله عليَّ مائةٌ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابها في سبيل الله. ثم حضَّ، فقال عثمان: ثلاثمائة بعير. قال عبد الرحمن بن خباب السلمي: فأنا رأيتُ النبي ﷺ ينزل من المنبر وهو يقول: (ما على عثمان ما عمل بعد هذا) - مرتين^(٢).

عُتْبة بن عبد السلمي

عَدَّة ابن سعد من صحابة رسول الله ﷺ، ومن الذين نزلوا بالشام. توفي سنة ٩١ أو ٩٢ هـ، وقال محمد بن عمر الواقدي: توفي سنة ٨٧ هـ، وهو ابن أربع وتسعين سنة^(٣).

عُبيد بن خالد السلمي

صحابي روى عن النبي ﷺ: أنه آخى بين رجلين، أحدهما قبل صاحبه^(٤).

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٢٧٦، المجلد الرابع.

(٢) طبقات ابن سعد، ص ٧٨، المجلد السابع.

(٣) طبقات ابن سعد، ص ٤١٣، الجزء السابع، والاستيعاب، ص ٨٣، المجلد الثاني.

(٤) طبقات ابن سعد، ص ٢٤٢، المجلد السادس.

معاوية بن الحكم السُّلَمي

كان ينزل المدينة، ويسكن في بني سُلَيْم^(١)، له عن النبي ﷺ حديث واحد حسن في الكهانة والطيرة والخط وفي تسميت العاطس في الصلاة جاهلاً، وفي عتق الجارية.

ومعاوية بن الحكم معدود في أهل المدينة، روى عنه عطاء بن يسار: وروى كثير بن معاوية بن الحكم عن أبيه: (معاوية بن الحكم السُّلَمي) قال: كنا مع النبي ﷺ فَأَنْزَى عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ أَخِي فَرَسَهُ خَنْدَقًا، فَدَقَّ جِدَارَ الْخَنْدَقِ سَاقَهُ، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَمَسَحَ سَاقَهُ، فَمَا نَزَلَ حَتَّى بَرَأَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

هُوَ الَّذِي الدُّلُو مُشْرَعَةٌ بِحَبْلٍ	فَأَنْزَلَهَا عَلَيَّ فَهُوَ يَهْوِي
سُمُو الصَّقَرِ صَادَفَ يَوْمَ ظِلِّ	فَعَصَّبَ رِجْلَهُ فَسَمَا عَلَيْهَا
مَلِكُ النَّاسِ قَوْلًا غَيْرَ فَعَلِ	فَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَيْهِ
وَكَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَصَحَّ رَجُلٍ ^(٢)	لَعَا لَكَ فَاسْتَمَرَّ بِهَا سَوِيَا

عُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِي

صحابي. نزل بالشام، روى له سعد أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجنة لها ثمانية أبواب، والنار لها سبعة أبواب»^(٣).

عبد الله بن سيدان السُّلَمي

صحابي. نزل بالشام أيضاً، روى ابن سعد أنهم ذكروا أنه رأى النبي ﷺ وروى عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه، أنه صلى خلفه الجمعة، فكانت

(١) يفهم من هذا أن لبني سُلَيْم في صدر الإسلام محلة في المدينة المنورة خاصة بهم ينزلون فيها كما أشرنا إليه في مكان آخر من هذا الكتاب، وما يدلنا على سكنهم بالمدينة في صدر الإسلام أنهم قتلوا عبد الرحمن بن عيسى الجعفري بالغابة (راجع مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٧٢١ ط القاهرة).

(٢) الاستيعاب، ص ١٤١٤ و ١٤١٥، الجزء الثالث.

(٣) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٠، المجلد السابع.

خطبته وصلاته قبل نصف النهار، وقال: وصليت خلف عمر، فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار، قال: وصليت مع عثمان، فكانت خطبته وصلاته قبل الزوال^(١).

صفوان بن المعطل السلمي

نسبه ابن حزم فقال: (صفوان بن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب ابن هلال) ووصفه بأنه «الصاحب الجليل الفاضل»^(٢).

ويكنى صفوان: أبا عمرو، ويقال: إنه أسلم قبل المريسيع، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق والمشاهد كلها بعدها، وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرينين الذين أغاروا على لقاح النبي ﷺ. وكان يكون على ساقفة النبي، ولم يتخلف بعدُ عن غزوة غزاها.

قُتِلَ صفوان في غزوة أرمينية شهيداً، وأميرهم يومئذ عثمان بن أبي العاص، سنة ١٩هـ في خلافة عمر، ولصفوان دار بالبصرة في سكة المريد، وكان خيراً فاضلاً شجاعاً بطلاً، وهو الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا مع عائشة - رضي الله عنهما، فبرأهما الله مما قالوا، وقد اعترض حسَّان بن ثابت بالسيف لما قذف به من الإفك وضربه، وكان حسان قد عرضَ بابن المعطل ومن أسلم من مُضَر في شعر له ذكره ابن إسحاق، وذكر الخبر في ذلك^(٣).

رزين بن أنس السلمي

صحابي، أتى النبي ﷺ فكتب له كتاباً، فقال: يا رسول الله إن لنا بئراً بالمدينة وقد خفنا أن يغلبنا عليها من حوالينا، فكتب له رسول الله كتاباً: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، أما بعد فإن لهم بئراً، إن كان صادقاً، ولهم دارهم إن كان صادقاً)^(٤).

(١) طبقات ابن سعد، ص ٤٣٨، المجلد السابع.

(٢) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٢٦٤.

(٣) الاستيعاب، للحافظ أبي عمر بن عبد البر، ص ٧٢٥، المجلد الثاني.

(٤) الاستيعاب، ص ٥٠٦، الجزء الثاني.

وفي هذا الكتاب النبوي بلاغة الإيجاز في الوثائق الشرعية، مما ينبغي أن يكون قدوة حسنة في كتابة الحجج الشرعية، مع الاحتياط والدقة، فمع إيجاز الوثيقة النبوية المذكورة احتاطت للأمر، فشرطت في تمليك البشر والدار صدق مدعي الملك، ويؤخذ من هذا الحديث أن بعض بني سليم كانوا يقيمون بالمدينة وكانوا ذوي أملك فيها بزمان الجاهلية القريبة من عهد الإسلام، ونعلم من التاريخ أن إقامة جالية سلمية بالمدينة امتد إلى عهد عمر بن الخطاب وإلى ما بعده كما هو موضح في مكانه من هذا الكتاب.

زيد بن كعب البهزي السلمي

صحابي، وهو صاحب الظبي الخائف، أو حمار الوحش العقير بالروحاء، وكان صائده^(١). روى عنه عمير بن سلمة^(٢).

سيابة بن عاصم السلمي

صحابي، روى أن النبي ﷺ قال يوم حُنين: (أنا ابن العواتك)، وقد سئل هشيم راوي الحديث عن سيابة السلمي - عن «العواتك؟» فقال: «أمهات كنَّ له من قيس عيلان». وعلّق أبو عمر بن عبد البر على ذلك بقوله: «ولا يصح ذكر سليم فيه»، وقال: «إن العواتك جمع عاتكة» ثم إن ابن عبد البر عاد فأعرب عن صحة ما اعترض عليه آنفًا، فقال: «قال أبو عمر: في ذلك قولان أحدهما: العواتك ثلاث من بني سليم إحداهن: عاتكة بنت هلال بن فالح، أمُّ عبد مناف والثالثة: عاتكة أم هاشم».

وقد نسب جواد علي، عاتكة هذه فقال: «وأم هاشم وعبد شمس والمطلب: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمية»، وهذا النسب مطابقة تمامًا لما ورد في «تاج العروس» (راجع مادة عتك).

(١) ورد في معجم ما استعجم، للبكري: (الحاقف). وفي الاستيعاب، ص ٥٥٨، ج ٢، ورد هكذا:

(الحاقف) بمعنى النائم.

(٢) الاستيعاب: ص ٥٥٨، الجزء الثاني.

طلحة بن مالك السُّلَمي

صحابيٌ روى عن النبي ﷺ: (إن من اقتراب الساعة هلاك العرب)^(١).

طلحة بن معاوية بن جاهمة - أو جلهمة - السُّلَمي

صحابيٌ روى عنه ابنه محمد بن طلحة^(٢).

طلحة والد عقيل بن طلحة السُّلَمي

له صحبة فيما ذكره ابن شؤدب، روى عنه ابنه عقيل بن طلحة^(٣).

عبد الله بن النضر السُّلَمي

صحابيٌ روى عنه أبو بكر بن محمد بن حزم عن النبي ﷺ حديثاً واحداً وهو: (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار)، ويرى ابن عبد البر أنه مجهول وقال عنه: (وما أعلم في الموطأ رجلاً مجهولاً غير هذا)^(٤).

عبد الرحمن بن مرفع السُّلَمي

صحابيٌ سكن مكة والمدينة، روى عنه أبو اليزيد المزني^(٥).

عُتْبة بن النُدَر، أو ابن السُّلَمي

صحابيٌ كان اسمه (عتلة) فغيّر الرسول ﷺ اسمه، فسماه (عُتْبة)، وهذا التغيير في الاسم يلاحظ أنه قريب اللفظ من الاسم الأصلي: (عتلة)، ومن معاني العتلة لغة: المدرة الكبيرة تنقلع من الأرض.

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يراعي هذا التقارب بين الاسم الأصلي والاسم الجديد الذي اختاره، مثل (زيد الخيل) الذي غيَّره إلى (زيد الخير) وغيره، وربما غير الاسم إلى ضده مثل (غاوي بن ظالم السُّلَمي) الذي غيَّره بضده في شقيه

(١) الاستيعاب، ص ٧٧٠، المجلد الثاني.

(٢) الاستيعاب، ص ٧٧١، المجلد الثاني.

(٣) الاستيعاب، ص ٧٧١، المجلد الثاني.

(٤) الاستيعاب، ص ٩٩٨ و ٩٩٩، المجلد الثاني.

(٥) الاستيعاب، ص ٨٥٢، الجزء الثاني.

وأم عتبة: آمنة بنت عمر (عمرو) بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف^(١)، فهو قرشي من جهة أمه، ولعل هذا وما ذكره التاريخ من أنه كان شريكاً في قومه هو الذي أو هو بعض الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعينه عاملاً له. سكن عتبة الكوفة هو وأبناؤه ومات بها، ويقال لهم الفارقة^(٢). وقد أعطاه رسول الله ﷺ موضع دار بمكة يبينها مما يلي المروة^(٣). قلت: وذكر الزركلي في الأعلام: أن عتبة هو فاتح إقليم أذربيجان شمال غرب إيران.

عروة بن أسماء بن الصلت السلمي

صحابي، وأحد أصحاب بئر معونة - عرض عليه المشركون من قومه في يوم بئر معونة أن يؤمنوه، فأبى وقال: لا أقبل لهم في ذلك أماناً، ولا أرغب بنفسي عن مصارعهم - أي مصارع رفاقه الذين استشهدوا في ذلك اليوم ببئر معونة - ثم تقدم للقتال فقاتل، حتى قُتل شهيداً^(٤).

قبيصة بن وقاص السلمي

صحابي سكن البصرة، له حديث مع النبي ﷺ وهو: «سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة»، فذكر الحديث في جواز الصلاة خلف أئمة الجور ما صلوا إلى القبلة^(٥).

كعب بن مرة السلمي

صحابي، سكن الأردن من الشام، ومات بالشام سنة ٥٩ هـ أو ٥٧ هـ، وله أحاديث مخرجها عن أهل الكوفة^(٦).

(١) الاستيعاب، ص ٢٩-١٠، الجزء الثالث.

(٢) الاستيعاب، ص ٤٤٨، الجزء الثاني، وطبقات ابن سعد، ص ٤١، الجزء السادس.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٢٦٩، الجزء الرابع.

(٤) الاستيعاب، ص ١٠٦٤ و ١٠٦٥. الجزء الثالث.

(٥) الاستيعاب، ص ١٢٧٣، الجزء الثالث.

(٦) الاستيعاب، ص ١٢٢٦، الجزء الثالث.

مالك بن عمير السُّلَمي

صحابي^١ شهد مع النبي ﷺ فتح مكة وحنينًا والطائف، وكان شاعراً، روى عنه يزيد بن واصل السلمى؛ قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني رجل شاعر، فهل علي شيء من الشعر؟ فقال: «لأن يمتلي ما بين لبتك إلى عاتقك قبحاً ودماً - خير من أن يمتلي شعراً»^(١).

مخول بن يزيد السلمي

روى مخول حديثًا عن النبي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: (أقم الصلاة) الحديث (٢).

مخمر السُّلَمي

صحابي، وهو عم معاوية بن حكيم البهزي، سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شؤم، وقد يكون اليمين في الفرس والمرأة والدار» (٣).

ربيعة بن ربيع السلمي

كان يقال له: ابن الدُّغْنَةِ، والدُّغْنَةُ: أمه فغلبت على اسمه، ويقال: إن اسمه رفيع، وأعتقد أن هذا سهو من جواد علي في كتابه (المفصل).

شهد حُنينًا، ثم قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم، وربيعة هو قاتل
 دريد بن الصَّمَّة، بيوم حُنين^(٤) أو بأوطاس على رواية أخرى كما سيجيء في فصل
 «سراة وتجار ورجال أعمال من بني سُليم».

أبو قُرَادٍ السُّلَمِي

له صحبة للنبي ﷺ، روى عنه عبد الرحمن بن الحارث^(٥).

عمرو بن مرداس السلمي

هو أخو العباس بن مرداس، كان عمرو من المؤلفة قلوبهم كأخيه العباس بن مرداس في ذلك.

(١) الاستيعاب، ص ١٣٥٦، الجزء الثالث.

(٢) الاستيعاب، ص ١٤٦٧، الجزء الرابع.

(٣) الاستيعاب، ص ١٤٦٧، الجزء الرابع.

(٤) الاستيعاب، ص ٤٩١، الجزء الثاني.

(٥) الاستيعاب، ص ١٧٣٣، الجزء الرابع.

معن بن حجاز السُّلَمي

عَدَّه الحافظ بن عبد البر في كتابه «الاستيعاب في معرفة الصحاب» من صحابة رسول الله ﷺ وترجم له على ذلك في «باب معن»^(١) فقال: «كان هو وأخوه طُريف بن حجاز - حاضرة - مع خالد بن الوليد مسلمين في الردة وقد نصرهما الله على المرتدين.

طُريف بن حجاز السُّلَمي

ترجم له ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) فقال: طُريف بن حجاز، مذكور فيهم - أي في صحابة رسول الله ﷺ، ثم أورد رواية سيف بن عمر، بأن عمر كتب إليه في قتال الفجاءة السُّلَمي: إياس بن عبد الله المرتد عن الإسلام حتى أسره وأنفذه إلى أبي بكر الصديق فأحرقه^(٢). وقد ذكرنا هذه الرواية بإيضاح أكثر في ترجمته في فصل الأمراء من بني سُلَيْم.

عبد الله بن ربيعة بن فرقد السُّلَمي

قال الكوفي: مختلف في صحبته للنبي ﷺ، وقال شعبة وحده: له صحبة، وله حديث في سنن النسائي، وروى عن ابن مسعود وعبيد بن خالد وعُتْبة بن فرقد السُّلَمي، وعنه: عطاء بن السائب ومالك بن الحارث وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعمرو بن ميمون وعلي بن الأقرم، وابن ابن أخيه: منصور بن المعتمر ابن عتاب بن ربيعة وغيرهم^(٣).

حبيب بن ربيعة السُّلَمي

صحابيٌ. وابنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب من جلة التابعين، ورد حبيب المدائن في حياة حذيفة بن اليمان العبسي، وقال: جمعتُ مع حذيفة بالمدائن، وقال محمد بن إسماعيل البخاري: لحبيب أبي عبد الرحمن صحبة^(٤).

(١) الاستيعاب في معرفة الصحاب، لابن عبد البر، ص ١٤٤، القسم الرابع، طبع مطبعة

نهضة مصر، بمصر.

(٢) ص ٧٧٦ من كتاب الاستيعاب.

(٣) القاموس وتاج العروس، مادة (ربع).

(٤) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ص ٢٠٢، المجلد الأول.

هوذة بن نيشة السلمي من بني عَصِيَّة

سُلمى، ورد في التاريخ أن النبي ﷺ أعطاه ما حوى الجفر كله^(١)، والجفر موضعان أحدهما بجُفاف والآخر بَجَنَفَاءَ، وربما كان الممنوح لهوذة الذي بجنفاء لقربه من ديار سُليم^(٢).

الأجب السلمي

رجل من بني سُلَيْم أعطاه الرسول فالتسا وكُتِبَ كتابه وشهد عليه الأرقم^(٣).

صَحَابِيَّاتٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ

الخنساء: تماضر السلمية

ترجمنا للخنساء - رضي الله عنها، في فصل «شاعرات سُلَّميات»، لما حظي به شعرها من شهرة مستفيضة في رثاء أخويها: معاوية وصخر.

والخنساء - كما هو معلوم - صحابية جلييلة، وهي سلمية أبوها من مشاهير العرب في الجاهلية: عمرو بن الشريد.

أم مالك البهزية السلمية

صحابية، روى عنها طاووس اليماني، نحو حديث مجاهد عن أم بشر الأنصارية، قالت: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أفضل في الفتن؟ قال: «رجل أخذ برأس فرسه قد أخاف العدو وأخافه، ورجل اعتزل في ماله فعبد الله ربه، وأعطى حق ماله» فقال رجل لطاووس: أي العدو؟ قال: الشرك. وروى عنها مكحول، وروى لها الترمذي السُّلَمي، وذكرها مسلم في الصحابيَّات المكيَّات^(٤).

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٢٥٩، الجزء الرابع.

(٢) معجم ما استعجم، للبكري، ص ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٩٨، الجزء الاول.

(٣) المفصل، ص ٢٥٩، الجزء الرابع.

(٤) الاستيعاب، ص ١٩٥٦، الجزء الرابع، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقى الدين الفاسي

المكي، ص ٣٥٣، الجزء الثامن.

أم الكرم السُّلمية

صحابية، روت عن النبي ﷺ في كراهة التحلي بالذهب للنساء، روى عنها الحكم بن حَجَل، وليس إسناده حديثها بالقوي، وقد ثبتت الرُّخصةُ في ذلك للنساء^(١).

تابعيون من بني سُلَيْم

من هو التابعي؟

كما حصل الاختلاف في «تعريف الصحابي»، حدث الاختلاف في «تعريف التابعي»، فأورد النووي قول من قال: إن التابعي «هو من صحب الصحابي»، وثناؤه بقول آخر هو أن التابعي «من لقي الصحابي» ورجح النووي هذا الرأي^(٢).
وكما يقال: (تابعي) يقال أيضاً: (تابع)^(٣).

وقد عقدنا هذا الفصل للتابعين السُّلميين خاصة؛ لأن بني سُلَيْم هم موضوع الكتاب، وقد ترجمنا لجملة صالحة من التابعين السُّلميين، وغني عن البيان أن هذه التراجم ليست من باب الإحصاء، وإنما هي ذِكرٌ لمن تمكنا من معرفته من تابعي بني سُلَيْم، ولا يتنافى هذا مع العثور على أسماء وتراجم لسواهم في المراجع، والغاية من ذكرهم أن يكون في ذلك فتح باب لمن يريد أن يستقصى هذا الموضوع، وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

وجدير بالذكر أننا اتبعنا فضل التابعين السُّلميين، بفصل عن التابعيات السُّلميات اللاتي وجدنا لهن تراجم وأسماء في المصادر التي بين أيدينا.

أبو عبد الرحمن السُّلمي

تابعي، كان «مقرئ الكوفة» واسمه: عبد الله بن حبيب بن ربيعة، ولأبيه صحبة وقد مر في فصل (صحابة من سُلَيْم).

(١) الاستيعاب، ص ١٩٥١، المجلد الرابع.

(٢) تقريب النواوي، ص ٤١٦، طبعة مصر.

(٣) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، السيوطي، ص ٤١٦.

مصر، وقد نشر هذا الكتاب على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان ووزع كميات كبيرة منه على دور العلم والعلماء والفكرين مجاناً.

أنه أقام بمكة المكرمة، لأن كتابه: (العقد الثمين) هو في تاريخ سكان البلد الأمين: مكة المشرفة، وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أنه أقام بنيسابور مدة مديدة من الدهر يقرئ القرآن في المسجد.

عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي

تابعي، والده عتبة بن فرقد سبقت ترجمته في فصل: «صحابه من بني سليم»، روى عمرو بن عتبة عن عبد الله بن مسعود الهذلي، كما روى عنه الهيثم ابن شهاب السلمي، وروى عمرو عن سبيعة الأسلمية كناية، وروى عنه عبد الله ابن ربيعة السلمي، وكان ثقة قليل الحديث، وكان من نُسك الكوفة المجتهدين في العبادة. وقد استشهد بتستر، في خلافة عثمان بن عفان، فصلى عليه علقمة^(١).

ملحان بن ثروان السلمي

تابعي، روى عن حذيفة بن اليمان العبسي - رضي الله عنه^(٢).

مالك بن الحارث السلمي

تابعي ثقة، له أحاديث صالحة، روى عنه الأعمش^(٣).

عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي

اختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ وعن ابن مسعود وابن عباس، وعبيد بن خالد السلمي وغيرهم، وروى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وعطاء بن السائب وغيرهما، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وذكر أنه يروي عن ابن مسعود، وذكره في الصحابة أيضاً^(٤).

(١) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، ص ٢٠٦ و ٢٠٧، المجلد السادس، وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٢٥١؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص ٧٥ و ٧٦، المجلد الثامن.

(٢) الطبقات الكبرى، ص ٢١٧، المجلد السادس.

(٣) الطبقات الكبرى، ص ٢٩٤، المجلد السادس.

(٤) الطبقات الكبرى، وتهذيب التهذيب، ص ٢٠٨ و ٢٠٩، المجلد الخامس.

الهيثم بن شهاب السُّلمي

تابعي، روى عن عبد الله بن مسعود، قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن الفضيل بن غزوان عن الحُصَيْن عن الهيثم بن شهاب، قال: سمعت ابن مسعود يقول: لأن أقعد على رصفتين - حجرتين مَحْمِيَّين - أحب إليَّ من أن أقعد متريماً في الصلاة، وكان قليل الحديث^(١).

محمد بن قدامة السُّلمي

جلده إسماعيل أبو عبد الله البخاري نزيل مرو، روى عن النضر بن شميل، وكان مستمليه وروى عن غيره، روى عنه مسلم وأبو داود في غير السنن وغيرهما، ووثقه ابن حبان^(٢).

نُجدة بن المبارك السُّلمي الكوفي

روى عن رزين بن عَقبة ومالك بن مغول وغيرهما، وروى عنه عبد الله بن خبيق وغيره، وقال الحسن بن الربيع: نُجدة بن المبارك عندنا مثل سفيان الثوري^(٣).

نضر بن عبد الله السُّلمي

الحجازي، روى عن عمرو بن حزم في النهي عن القعود على القبر، وعن عمرو بن مساحق المدني، وروى عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وقال ابن عبد البر: لا أعرف في رواية الموطأ مجهولاً غيره^(٤). وقد مرت بنا - في فصل «صحابه من بني سُلَيْم» - ترجمة عبد الله بن النضر السُّلمي نقلاً عن الاستيعاب وقول ابن عبد البر فيه: (وما أعلم في الموطأ رجلاً مجهولاً غير هذا)، وإذا قارنا بين الاسمين، فإننا نجد (عبد الله بن النضر) في الصحابة وقد روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً هو: (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار)، ونجد (نضر بن عبد الله السُّلمي) في صفوف التابعين، وإذا قارنا بين قول الحافظ ابن عبد البر في كل من: (عبد الله بن النضر السُّلمي) الصحابي

(١) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، ص ١٩٨، المجلد السادس.

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص ٤٠٩، المجلد التاسع.

(٣) تهذيب التهذيب، ص ٤١٩، المجلد العاشر.

(٤) تهذيب التهذيب، ص ٤٣٩ و ٤٤٠، المجلد العاشر.

الذي قال عنه ابن عبد البر: إنه مجهول، ومجهول وحده في رجال (الموطأ) وقوله في (نضر بن عبد الله السُّلَمي التابعي) مثل هذا القول تماماً بإبدال صيغة: (وما أعلم) بصيغة (لا أعرف)، وإذا رجعنا إلى ترجمة (عبد الله بن النضر السُّلَمي) في الاستيعاب لابن عبد البر، نجد أنه يقول عنه: روى عنه أبو بكر بن محمد بن حزم حديثاً واحداً عن النبي ﷺ وهو: (لا يمت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنّة من النار)، وإذا رجعنا في نفس الوقت أيضاً إلى ترجمة: (نضر بن عبد الله السُّلَمي) التابعي في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني نجده يقول عنه: (روي عن عمرو بن حزم في النهي عن العقود، وعن عمرو بن مساحق المدني، وروى عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) ولكن بدون أن يذكر ما رواه عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فهل يرجح أنهما شخصان اثنان أو شخص واحد؟، اضطرب الحافظ ابن عمر في اسميهما، أو في اسميهما؟.. إن وصولنا إلى حقيقة الأمر يحتاج إلى تحقيق أوسع مدى، وإلى «تمحيص» أعمق غوراً، وليس هذا الكتاب موضعهما، فلانما هو استعراض مبسط لرجالات سُلَيْم من الصحابة والتابعين، على أنه يتراءى لي ضباب من قاتم الشك حول حقيقة الاسمين والمُسَمَّين بهما معاً، وربما كُنْتُ أُمِيلُ إلى أنهما اسم واحد لمسمى واحد، لكثرة القرائن التي تشير إلى هذا، والله أعلم.

حيّان بن عطية السُّلَمي

ذكره البخاري في حديث سعد بن عبيدة، ومما قاله أبو علي الغساني في «تقييد المهمل»: (إن ذكر هذا الرجل في رجال البخاري عجيب، فإنه ليست له رواية ولم يعرف من رجاله بشيء، ولا عرفتُ فيه إلى الآن جرحاً ولا تعديلاً)^(١).

كنانة بن عباس بن مرداس السُّلَمي

روى عن أبيه أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة، وروى عنه ابنه عبد الله ابن كَنانة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه في كتاب «الضعفاء»: حديثه منكر جداً، لا أدري التخليط منه أو من ابنه؟ ومن أيهما كان هو ساقط الاحتجاج، وقد

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص ١٧٢ و ١٧٣، المجلد الثاني، طبع حيدر آباد دكن.

أشار العسقلاني إلى تعبط (ابن حبان) في أمر كنانة، وتوثيقه إياه وعدمه، أشار إلى ذلك في ترجمته الآتية لابنه عبد الله بن كنانة السُّلَمي^(١).

عبد الله بن كنانة السلمي

جده عباس بن مرداس، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: السُّلَمي - يعني كنانة والد عبد الله - قال البخاري لم يصح حديثه، وقد مر بنا أنّ ما أبواه العسقلاني حيال تخبط ابن حبان في أمر كنانة: أهو ثقة أم غير ثقة^(٢).

خالد بن يزيد السلمي

أبو هاشم الأزرق الدمشقي، روى عن محمد بن راشد المكحول والمطعم بن مقدم والثوري وليث بن أبي سليم، وغيرهم. وروى عنه ابنه محمود ودحيم^(٣) وصفوان بن صالح وسلمان بن عبد الرحمن وغيرهم، ذكره سميع في الطبقة السادسة، وذكره ابن حبان في الثقات.

سعد بن عبيدة السلمى

من التابعين، روى عنه الأعمش وحُصَيْن، توفي في ولاية عمر بن هبيرة على الكوفة (وربما يفهم من ذلك أنه استوطن الكوفة حتى الممات) وكان ثقة كثير الحديث^(٤).

منصور أبو عتاب بن المعتمر السُّلَمي

تابعي، قال منصور: لقد طلبنا العم وما لنا فيه تلك النية، ثم رزق الله فيه بعد، فسرّ من ذلك قوله، فقال: يقول: رزق الله بعد، البصر. . يقول: كنا أحدنا.

وقد عَمَّشَ من البكاء من خوف الله عز وجل، قال أبو نعيم: سمعت حماد ابن زيد، قال: رأيت منصوراً بمكة، قال أظنه من هذه الخَشْيَةِ قال: وما أظنه

(١، ٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص ٤٤٩، المجلد الثامن، وص ٣٧٠، المجلد الخامس.

(٣) يلاحظ أن اسم (دحيم) لا يزال مستعملاً حتى اليوم في نجد وربما يعنون في الأصل به تصغير اسم (عبد الرحمن) أو (عبد الرحيم) تصغير تحجب وتدليل.

(٤) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، ص ٢٩٨، المجلد السادس.

كان يكذب. توفي منصور بن المعتمر السُّلَمي في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان ثقة مأموناً كثير الحديث رفيعاً عالياً^(١)، وقد يكون استوطن مكة لبيتعد عن الفتن الدائرة في أوائل العهد العباسي، وقد يكون في مكة حاجاً أو معتمراً.

حُصَيْن بن عبد الرحمن السُّلَمي

قال عنه محمد بن سعد: إنه (من أنفسهم)^(٢).

محمد بن إسماعيل السُّلَمي

اسم أبيه راشد، وكانوا ثلاثة إخوة يُروى عنهم، أسنَّهم وأقدمهم موتاً إسماعيل بن راشد، روى عنه حصين، وأخوه محمد بن إسماعيل أيضاً، مات محمد سنة اثنتين وأربعين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور، روى عنه الثَّوْرِي، وأخوه الآخر الذي هو عمر بن راشد، وروى عنه حَفْصُ بن غياث وعبد الله بن نُمَيْرٍ ويحيى القطان والثَّوْرِي^(٣).

سُنين أبو جميلة السُّلَمي

تابعيٌّ من بني سُليم من أنفسهم، له أحاديث، سمع من عمر بن الخطاب. وفي حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سُنين أبي جميلة السليطي - السُّلَمي - وكان منزله بالعمق، وهو جادة الطريق إلى مكة بين معدن بني سُليم وذات عرق، وحدث سفيان بن عيينة عن الزهري أنه سمع سُنيّاً أبا جميلة يقول: وَجَدْتُ منبوءاً على عهد عمر، فَذَكَرَهُ عَرِيفِي لَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فدعاني، فقال لي: هو حُرٌّ وولأوه لك، وعلينا رضاعه^(٤).

محمد بن علي السُّلَمي

قال ابن سعد في (الطبقات الكبرى): وقد روي عنه^(٥).

(١) الطبقات الكبرى، ص ٣٣٧، المجلد السادس.

(٢) الطبقات الكبرى، ص ٣٣٨، المجلد السادس.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٣٤٦، المجلد السادس.

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٦٣، المجلد الخامس.

(٥) الطبقات الكبرى ص ٣٧٠، المجلد السادس.

أبو العجفاء السلمي

سفيان بن حسين السُّلَمي

عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي

سويّد بن عبد العزيز السُّلَمي

(٤) الطبقات الكبرى، ص ٤٤٩، المجلد السابع.

الطيلسان لك؟ قال داود: نعم! قال: سويد: فوالله ما هذا الطيلسان الذي ترى عليّ لي وإنه لعارية، أفلا إلي القضاء بعد هذا؟ فوالله لو ولّوني بيت المال - فإنه شر من القضاء - لَوَلَّيْتَهُ^(١).

نصر بن حجاج السُّلَمي

كان نصر جميلًا فائق الجمال، وكان يقيم بالمدينة، مما يدلنا على أن «جالية» سُلمية كانت تقيم بها ربما قبل عهد الرسول ﷺ، وربما في عهده وفي خلافة أبي بكر ثم في خلافة عمر بن الخطاب، وكانت المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية، ومن دأب الناس أن ينزحوا إلى «العواصم» لما فيها من العلم والعمل ووفير الخدمات، قديمًا وحديثًا.

وقد حدّثوا أن عمر بن الخطاب سمع - وهو يعُسُّ ذات ليلة - امرأة تجهر بأمنيتها الكمينية، فتقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها؟ أو هل من سبيل إلى نصر بن حجاج؟ فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سُليم، فأرسل إليه فأتاه، فإذا هو من أحسن الناس شعرًا وأصبحهم وجهًا، فأمر عمر أن يَطْمَ - يَجُزَّ - شعره، ففعل، فخرجت جبهته فازداد حُسْنًا، فأمره عمر أن يعتمَّ، ففعل، فازداد حُسْنًا، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها، فأمر له بما يصلحه وسيّره إلى البصرة.

وكان بالبصرة جالية من بني سُليم، اتخذوها موطنًا لهم عقب تمصيرها، ولابدُّ أن عمر اختارها «مَنْقَى» لنصر بن حجاج رافة به، إذ لا ذنب له، وإنما هي سياسة درء المفساد وسدَّ باب الفتن، وحماية الأخلاق الإسلامية في بلد الرسول المصطفى ﷺ من أن يتطرق إليها ما يكدر صفوها. ونصر بن حجاج شاعر، ولذلك سنورد له ترجمة في فصل: «شعراء من بني سُليم» تتعلق بشعره وشاعريته، وقد أضفنا إلى ذلك مزيدًا من التفصيل حيال قضية نفيه إلى البصرة، وقصة مصيره بعد ذلك.

رَمَزَ إِلَيْهِنَ بِاسْمِ (الْقُلُوصِ) جَمَعَ قُلُوصٍ، وَرَمَزَ إِلَى وَجُودِهِنَّ مَعَهُ بِقَوْلِهِ: (يُعَقِّلُهُنَّ).. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا أَبْلُغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا	فَدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثَقَّةً، إِزَارِي
قَلَانِصَنَا - هَذَاكَ اللَّهُ - إِنَّا	شُغِلْنَا عَنْكُمْو زَمَنَ الْحَصَارِ
فَمَا قُلُوصٌ وَجِدْنَا مُعَقَّلَاتٍ	قَفَا سَلَمٌ بِمُخْتَلَفِ الْبَحَارِ ^(١)
قَلَانِصٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ	وَأَسْلَمَ أَوْ جُهِينَةَ أَوْ غِفَارٍ
يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدَةٌ - مِنْ سُلَيْمٍ	مَعِيدًا، يَبْتَغِي سَقَطَ الْعَذَارِ

وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ مَعْنَى (الْقُلُوصِ) فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: «الشَّابَّةُ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ الْبَاقِيَةُ عَلَى السَّيْرِ، أَوْ أَوَّلُ مَا يَرْكَبُ مِنْ إِنَائِهَا إِلَى أَنْ تَنْتَهِى ثُمَّ هِيَ نَاقَةٌ» أَدْرَكْنَا عِنْدَئِذٍ دَقَّةَ الْكِنَايَةِ مِنْ هَذَا الشَّاعِرِ الْمَجْهُولِ الَّذِي عَرَفَ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتِفَ، وَعَرَفَ كَيْفَ تَكُونُ إِصَابَةُ السَّهْمِ لِمَرْمَاهُ، وَرُبَّ كِنَايَةٍ أَبْلَغَ مِنْ تَصْرِيحٍ.

إِنَّ الشَّاعِرَ يَرِيدُ أَنْ يَكْشِفَ لِعَمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ حَقِيقَةَ انْحِرَافِ أَخْلَاقِ جَعْدَةِ السُّلَيْمِيِّ - بِحَسَبِ دَعْوَاهُ - وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ عَمَرَ ذُو إِحْسَاسٍ مَرْهَفٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، فَهُوَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ يَهْدَفُ إِلَى سَدِّ الذَّرَائِعِ، وَإِلَى الْإِحْتِيَاطِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُخَلَّةِ بِالْأَدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بِلَدِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَا يَتَسَامَحُ فِيهَا عَلَى أَيِّ حَالٍ.

وَقَدْ ضَرَبَ الشَّاعِرُ - فِعْلًا - عَلَى الْوَتَرِ الْحَسَّاسِ، فَقَالَ عَمَرُ: ادْعُوا لِي جَعْدَةً مِنْ سُلَيْمٍ، فَدَعَا بِهِ لَهُ، فَجَلَدَ مِائَةَ مَعْقُولًا، وَنَهَاهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى امْرَأَةٍ مَغْنِيَةٍ^(٢). وَلَا بَدَّ أَنْ أَخْبَارَ انْحِرَافِ جَعْدَةِ وَاسْتَهْوَاهُ لَفْتِيَّاتِ مَا وَرَاءَ جَبَلِ سَلْعَ كَانَ قَدْ بَلَغَ مَسَامِعَ عَمَرَ، وَكَانَ يَتَنَظَّرُ أَنْ تَسْنَحَ الْفُرْصَةُ الْمُنَاسِبَةُ لِتَأْدِيهِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ جَلَدَهُ مِائَةَ مَعْقُولًا وَعُمَرُ عَادِلٌ وَلَا يَقُومُ بِمِثْلِ هَذَا التَّأْدِيبِ الشَّدِيدِ إِلَّا بِمُقْتَضَى أُدْلَةٍ مُثَبَّتَةٍ، وَهِيَ - طَبَعًا - غَيْرُ شَعْرِ الشَّاعِرِ الْمَجْهُولِ، وَشَعْرِ الشَّاعِرِ الْمَجْهُولِ كَانَ مَجْرَدَ عِلَامَةٍ وَإِنْدَارًا بِأَنَّ الْكَيْلَ قَدْ طَفَحَ، وَبِأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ وَضْعِ حَدٍّ لِهَذَا الْعَبَثِ الْخُلُقِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِهِ جَعْدَةٌ مِنْ وَرَاءِ سِتَارٍ شَفِيفٍ، وَمِنْ وَاضِحِ الْأَدْلَةِ عَلَى إِدْرَاكِ

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّهَا: النَّجَارُ.

(٢) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى، لِمُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، ص ٢٨٦، الْمَجْلَدُ الثَّالِثُ.

عمر لحقيقة سلوك جعدة فيما وراء جبل سلع أنه بعد ما جلده مائة معقولا، نهأه عن الدخول على امرأة مغنية كان عمر لا يخفى عليه حقيقة سلوكها، ولكنه كان يدرأ الحدود بالشبهات، ولا بد أن عمر سماها له عندما نهأه عن دخول منزلها، ولكن الرواة آثروا سترها، فاكتفوا بالإشارة إلى واقعها من دون إثارة فضيحة عليها خالدة بذكر اسمها ولعلها تتوب، والله ستأر يحب الستر وغفَّار للذنوب، وعمرُ ومن كانوا في عصره من الصحابة والتابعين ما كانوا يريدون أن تشيع الفاحشة ولا سوء السمعة بين المسلمين على بعضهم.

ملیح بن عوف السُّلَمي

رُوِيَ عَنْ مَلِيحٍ هَذَا قِصَّةُ ذَلِكَ الْبَابِ (الْخَشْبِيِّ) الَّذِي وَضَعَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ عَلَى دَارِهِ، مَعَ قِصَّةِ ذَلِكَ (الْخُصِّ الْقَصْبِيِّ) الَّذِي خَصَّهُ سَعْدٌ عَلَى قَصْرِهِ فِي الْكُوفَةِ. وَتَقُولُ الْقِصَّةُ: إِنَّهُ بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَضَعُ سَعْدٍ لِلْبَابِ الْخَشْبِيِّ وَالْخُصِّ الْقَصْبِيِّ عَلَى دَارِهِ، فَاهْتَمَّ بِهَذَا الشَّأْنِ الَّذِي رَأَى فِيهِ حَدَثًا غَيْرَ مُنَاسِبٍ، وَمَنْ أَجْلَ ذَلِكَ انْتَدَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَمَعَهُ مَلِيحُ بْنُ عَوْفِ السُّلَمِيِّ دَلِيلَ طَرِيقٍ، وَأَمَرَ عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ بِالتَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَرَفَعَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ، وَكَانَ مَلِيحٌ دَلِيلًا خَيْرًا، وَهَكَذَا خَرَجَ مَدْنُوبُ الْخَلِيفَةِ سِرًّا فِي الْمَهْمَةِ الْإِدَارِيَّةِ الْمُكَلَّفُ بِالتَّحْقِيقِ فِيهَا وَتَقْدِيمِ نَتِيجَةِ تَحْقِيقَاتِهِ عَنْهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ عُمَرَ - بَعْدَ وَصُولِ الْحَقِيقَةِ الْإِيجَابِيَّةِ إِلَيْهِ عَنِ الْبَابِ الْخَشْبِيِّ وَالْخُصِّ الْقَصْبِيِّ أَمَرَ عُمَرَ، مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ بِأَنْ يَحْرِقَ الْبَابَ وَالْخُصَّ مَعًا، فَفَعَلَ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُقِيمَ سَعْدًا لِأَهْلِ الْكُوفَةِ فِي مَسَاجِدِهِمْ، بِسَبَبِ مَا بَلَغَ عُمَرَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُوفَةِ - مِنْ أَنْ سَعْدًا حَابِي فِي بَيْعِ خُمْسٍ بَاعَهُ، فَفَعَلَ، فَأَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ فِي مَسَاجِدِ الْكُوفَةِ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ سَعْدٍ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَهُ بِهَذَا، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يُخْبِرُهُ إِلَّا خَيْرًا^(١)، وَكَانَتْ هِيَ سَعَايَةُ مِنْ بَعْضِ مَنْ تَقْصَهُمْ مِثْلَانَةُ الْخَلْقِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، لَمْ يَرِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَادِلَ إِلَّا أَنْ يَسْتَكْشِفَ حَقِيقَةَ أَمْرِهَا، حَتَّى تَظْهَرَ جَلِيلَةٌ لِلْجُمْهُورِ، فَلَا يَكْثُرُ اللَّغَطُ وَالْإِشَاعَاتُ الْمَقْتَرَاةُ بَيْنَ النَّاسِ سِرًّا وَجَهْرًا عَلَى هَذَا الصَّحَابِيِّ النَّزِيهِ الْجَلِيلِ، فَكَانَ عُمَرَ بِذَلِكَ خَلِيفَةً بَارِعًا

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ص ٦٢، المجلد الخامس.

وعبرياً حكيماً، كما أنه كان مثالاً للعدل إذ أجرى التحقيق الدقيق وأحرق الباب والخص، وأقام سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله ﷺ وسلم للناس حتى تنجلي حقيقة ما زعمه بعضهم من قيامه بالمحابة وهو أمير على الكوفة. وهكذا كان عمر مُنفِذاً دقيقاً لتعاليم الإسلام على الجميع لا فرق لديه بين أمير ومأمور ولا كبير ولا صغير.

تابعيات من بني سليم

أم عيسى

روت أم عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمي، عن عائشة - رضي الله عنها، وروى عنها ابنها عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمي، وذكرها محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى» في باب: «تسمية النساء اللواتي لم يروين عن رسول الله ﷺ»، ويروين عن أزواجه وغيرهن» (١).

وأم عيسى لا ندري مما ذكر، هل هي سُلَمية أصلاً أو سُلَمية في أهل زوجها وفي ابنها فحسب، وقد كانت لها مكانتها في رواية الحديث حتى إن ابنها المذكور روى عنها الحديث. وقد وضعناها في هذا المكان أخذاً بالاحتمال الأول ريثما تظهر حقيقة نسبها.

علماء ومفتون وقضاة من بني سليم

هذا الفصل - بطبيعة الحال - ليس حصراً ولا إحصاءً للعلماء والمفتين والقضاة من بني سليم، وإنما هو عرضٌ لنماذج من هؤلاء جميعاً، تسنى لنا من مطالعنا للمراجع التي بين أيدينا أن نطلع على تراجمهم التي منها الموجز ومنها المسهب، وهذا الفصل من هذه الناحية هو قرين للفصول السابقة في التراجم ومثل لها في هذا الشأن، وقد دوناً فيه تراجم طائفة لا بأس بها من بني سليم، من القرن الهجري الأول إلى الثالث عشر.

ونعني بصيغة العلماء في هذا الفصل ما كانت تعنيه ومازالت تعنيه هذه الصيغة في التاريخ الإسلامي والاصطلاح الإسلامي، أي علماء الدين، ونعني

(١) ص ٤٩١ و ٤٩٢، المجلد الثامن من الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد.

بالمفتين من يتعاطون مهمة الإفتاء من أولئك العلماء للمستفتين، ونعني بالقضاة من يحكمون بين الناس في قضاياهم وخصوماتهم وحقوقهم، ويعيدون الحق إلى أهله وإلى نصابه، على أن تكون أحكامهم بمقتضى الشريعة الإسلامية، فالمفتي والقاضي عالمان إسلاميان يقومان بمهمتين إسلاميتين جليلتين، زيادة على علمهما أو تدريسهما للعلم الإسلامى مثلاً.

وأول من تمكنّا من ترجمته - حسب المصادر الموجودة لدينا - من هؤلاء العلماء السُّلميين الإسلاميين من عاش في القرن الهجري الأول ومات فيه، ألا وهو تميم بن سَكَمَة الكوفي السُّلميّ.

وآخر من تمكننا من ترجمته - حسب مصادرنا - من هؤلاء العلماء السُّلميين
الإسلاميين، من كان عائشاً في أخريات القرن الثالث عشر الهجري ومات فيه،
وهو محمد بن حمدون المردي الفاسي السُّلمي.

وبمقارنة زمني وموطني هذين العالمين السُّلميين، اللذين يفصل بينهما عشرة قرون من الزمن، وكان أولهما يقيم بالكوفة وثانيهما يقيم بفاس، والكوفة تقع في غرب آسيا، وفاس تقع في إفريقية الشمالية القصوى - ندرك مدى حيوية بني سُليم عبر التاريخ الإسلامي المديد.

تميم بن سلمة الكوفي السلمي

روى عن سليمان بن الزبير، وشريح بن الحارث القاضي، وعبد الرحمن بن هلال العبسي. وروى عنه الأعمش، ومنصور، وطلحة بن مصرف، وأبو صخرة جامع بن شداد، وجماعة.

قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال ابن عاصم وغيره: مات سنة ١٠٠هـ، وقاله ابن سعد، قال: وكان ثقة وله أحاديث. وذكره ابن حبان في الثقات، وفرق بينه وبين تميم بن سلمة الخزاعي.

روى عن جابر بن سمرة، وعنه المسيب بن رافع. قال: وهو الذي روى عن عروة بن الزبير^(١).

(۱) تہذیب التہذیب، لابن حجر العسقلانی، ص ۵۱۲ و ۵۱۳ المجلد الأول طبعة حیدر آباد دکن،

منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي

يكنى أبا عتاب، من أعلام رجال الحديث، ولم يكن أحفظ منه للحديث، وكان ثقة، وهو من أهل الكوفة. مات سنة ١٣٢هـ - ٧٥٠م، ونسب جده عبد الله هكذا: عبد الله بن عتاب بن ربيعة (بالتصغير) ابن فرقد وهو يربوع بن حبيب الفقيه^(١).

سويد بن عبد العزيز السلمي

مولا هم الدمشقي، وقيل: حمصي وأصله من واسط بالعراق أو من الكوفة، وكان شريك يحيى بن حمزة في القضاء، قرأ القرآن على يحيى بن الحارث الذماري، والحسين بن عمران العسقلاني. وروى عن حميد الطويل، والأوزاعي، ومالك وجماعة. وقرأ عليه أبو مسهر، وهشام بن عمار، وغيرهما. قال عبد الله ابن أحمد بن حنبل عن أبيه: متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بثقة. قال أبو حاتم: قلتُ لدحيم^(٢): كان سويد عندك ممن يقرأ إذا دفع إليه ما ليس من حديثه. قال: نعم! وقال عثمان الدارمي عن دحيم: ثقة، وكانت له أحاديث يغلط فيها. مات سويد السلمي سنة ١٩٤هـ، وقال دحيم: سمعته يقول: وكُذِّتْ سنة ١٠٨هـ^(٣).

عمر بن عامر السلمي

من القضاة. قال أبو عبيدة: لما عَزَلَ سليمان بن علي، الحجاج بن أرطاة (من قضاء البصرة) أعاد عياد بن منصور على قضائها، ثم عزله في سنة سبع وثلاثين ومائة، وولَّى عُمَرَ بن عامر السلمي، وسوار بن عبد الله (قضاءها) فكانا يجلسان جميعاً. وكان عمر بن عامر يكلم الخصوم، وسوار ساكت^(٤).

(١) الأعلام، للأستاذ خير الدين الزركلي، ص ٢٤٥، الجزء الثامن؛ وجمهرة أنساب العرب،

لابن حزم.

(٢) لا يزال هذا الاسم مستعملاً في أنحاء نجد كما قدمناه. وتدل التسمية به أول القرن الهجري

الثاني، على أنه كان مستعملاً معروفاً قبل ذلك.

(٣) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص ٢٧٦ و ٢٧٧، المجلد الرابع.

(٤) أخبار القضاة، لوكيع، ص ٥٥، الجزء الثاني، طبع الاستقامة بمصر. وما بين الحاصرتين () من

تكملاتنا لدلالة السياق عليه «المؤلف».

وكان جد هشيم - القاسم - وأبو شعبة الحجاج شريكين في بناء قصر الحجاج - بواسط .

سمع هشيم، عمرو بن دينار، والزهرى، ويونس، وعبيدك، وأيوب السختياني، وغيرهم. وروى عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغندر، ووکیع، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو خيثمة، وغيرهم. وهو محدث بغداد، قال يحيى القطان: هو أحفظ من رأيت بعد سفيان وشعبة، وكان عنده عشرون ألف حديث، ومكث يصلي الفجر بوضوء العشاء عشرين سنة قبل موته، وله من الكتب: كتاب السنن في الفقه وكتاب التفسير وكتاب القراءات^(١).

ومولده سنة ١٠٤هـ، ويبدو أن ولادته كانت بواسط، وحينما كبر لم يخضب، بل ظل أبيض شعر الرأس واللحية.

وتوفي ببغداد، في يوم الأربعاء لعشر مضي من شعبان سنة ١٨٣هـ، فله من العمر إذن ٧٩ عامًا.

وكان هشيم سريع الحفظ قوي الذاكرة، يقول عن نفسه: سمعت من الزهري نحوًا من مائة حديث فلم أكتبها: يقصد أنه اكتفى بحفظها الراسخ، وما احتاج إلى أن يكتبها.

وَوَقَّعَهُ أئمة الحديث وأعلامه في عصر الإسلام الذهبي، بالنسبة لعلوم الحديث خاصة. قال عبد الرحمن بن مهدي: كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري.

وَوَقَّعَهُ شعبة وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي وأبو عبد الله ووكيع ويزيد بن هارون وأبو داود سليمان بن الأشعث ويحيى بن سعيد القطان وعلي بن حجر وابن المبارك وابن عمار. وقال عنه ابن عمار: لم يُعَدَّ عليه خطأ. وقال عنه إبراهيم الحربي: كان حُفَّازَ الحديث أربعة، كان هشيم شيخهم وكان يحفظ هذه الأحاديث - يعني المقطوعة - حفظًا عجيبًا، وكان يصف المعنى.

(١) كتاب الفهرست، لابن النديم، ومراة الجنان، لأبي محمد اليافعي البمني المكي، ص ٣٩٣ الجزء الأول، طبع حيدر آباد دكن.

وممن وثَّقَهُ مالك بن أنس. جاءه رجل من العراق وذاكره بحديث فقال مالك: (وهل بالعراق أحد يُحسِنُ أو يُحَدِّثُ إلا ذاك الواسطي؟) ^(١) يعني هُشَيْمًا.

وكفاه توثيقًا في الحديث أن يكون مالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين - من تُلَّابِهِ ومن رُوَاةِ الحديث النبويِّ عنه.

حفص بن عبد الله السُّلَمي

قال ابن عميرة عنه: إنه سرقسطي، روى عن مالك بن أنس، ومات بالأندلس قريبًا من سنة ٢٠٠هـ ^(٢). وكان حفص بليغًا حافظًا، ولازم مالكًا سبعة أعوام، وكان مالك يُدْني منزله، وصام أربعين سنة. وكان الحكم (الأموي) يستقدمه في كل عام من شهر رمضان يوم به ^(٣).

أبو عبد الله محمد السُّلَمي

قيرواني، سكن المهديّة - (بتونس) آخرًا وسمع أبا ذر الهروي، وأبو عمران الفاسي، وسمع منه أبو بكر بن عطية - رحمه الله ^(٤).

عمر بن عبد الله بن رزين السُّلَمي

هو نيسابوري الموطن، محدِّث، رحل وسمع محمد بن إسحاق وطبقته. قال سهل بن عمار: لم يكن بخراسان أنبل منه، توفي سنة ٢٠٣هـ ^(٥).

يزيد بن هارون السُّلَمي

هو مولاهم، ويكنى أبا خالد، توفي بواسط سنة ست ومائتين وله من الكتب: كتاب الفرائض ^(٦).

أسد بن الفرات

له ترجمة وافية في فصل: (أمراء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سُلَيْم) فراجعها إن شئت هناك.

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ص ٨٥ - ٩٢، المجلد الرابع عشر.

(٢) الحلل السندية، للأمير شكيب أرسلان، ص ١٥٧، الجزء الثاني، طبع المطبعة الرحمانية بمصر.

(٣) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لابن الفرضي، ص ١٣٩، الجزء الأول، طبع مصر.

(٤) ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ص ٧٩٨، المجلد الرابع.

(٥) شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي، ص ٧، الجزء الثاني.

(٦) الفهرست، لابن النديم، ص ٣٣٢ و ٣٣٣.

حَسَّانُ بن عبد السلام السُّلَمي

من أهل سَرَقُوسْطَةَ بالأندلس، رحل إلى مالك بن أنس من الأندلس إلى المدينة وسمع منه مع أخيه حفص، ذكره محمد بن حارث الحُشَني في كتابه^(١).

عبد الغافر بن عبد السلام السُّلَمي

من أهل رِيَّة بالأندلس، كان فقيهاً حافظاً زاهداً كثير التلاوة، ذكره إسحق^(٢).

محمد بن يعلي السُّلَمي

قدم بغداد من الكوفة. ويُلقَّب بزنبور. حَدَّثَ عن محمد بن عمر بن علقمة المدني وغيره، وفي بغداد حدث، وروى عنه من أهلها محمد بن عبد الله المنادي. روى عن الربيع بن صبيح عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن، قال: لما كان من بعض همج الناس ما كان - يريد في الفتنة التي قُتِلَ فيها عثمان - رضي الله عنه - جعل رجل يسأل عن أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل لا يسأل أحداً إلا دَلَّهُ على سعد بن مالك، قال فقليل له: إن سعداً رجل إذا أنت رفقت به كنت قَمَناً أن تصيب منه حاجتك، وإن أنت خَرَقْتَ به كنت قَمَناً أن لا تصيب منه شيئاً، فجلس أياماً لا يسأله عن شيء، حتى استأنس به وعرف مجلسه، ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى آخر الآية، قال فقال سعد: هات ما قلت، لا جرم والذي نفس سعد بيده لا تسألني عن شيء أعلمه إلا أنبأتك به، قال: أخبرني عن عثمان؟ قال: كنا إذ نحن جميع مع رسول الله ﷺ كان أحسننا وضوءاً، وأطولنا صلاةً، وأعظمنا نفقة في سبيل الله. فسأله عن شيء من أمر الناس، فقال: أما أنا فلا أحدثك بشيء سمعته من ورادنا، لا أحدثك إلا بما سمعت أذناي ووعاه قلبي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن استطعت أن تكون أنت المقتول، ولا تقتل أحداً من أهل الصلاة فافعل).. قالها ثلاثاً.

(١) جذوة المقتبس في ذكر وفاة الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن قنوح الحميدي، المتوفي سنة ٤٨٨هـ، طبع القاهرة، ص ١٨٣.

(٢) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لأبي الوليد أبي عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي، المتوفي سنة ٤٠٣هـ، ص ٣٣٩، وترتيب المدارك للقاضي عياض، ص ٥٠٩ المجلد الثاني، طبع بيروت.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري في نقده وتجريحه: محمد بن يعلي السُّلَمي الكوفي يُقال له: زبور، يُتكلم فيه وهو ذاهب.

مات محمد بن يعلى السُّلَمي هذا في سنة ٢٠٥هـ^(١).

جمعة بن عبد الله السلمي

جمعة بن عبد الله بن زياد بن شداد السُّلَمي أبو بكر البُلخي، وقيل: إن جمعة لقبه، واسمه يحيى.

روى عن مروان بن معاوية، وأسد بن عمرو البجلي، وعمرو بن هارون
البلخي، وهشيم، وغيرهم.

وروى عنه البخاري، والحسين بن سفيان، ومحمد بن إسحاق بن عثمان
السمرار، والحسن بن الطيب.

قال ابن حبان: في الثقات، مستقيم الحديث، كان يتحلل مذهب الرأي قديماً، ثم انتحل السنن، وجعل يذب عنها.

وقال اللالكائي: يُقال إنه مات سنة ٢٣٣هـ. وقال العسقلاني: جزم به الكلاباذي وابن عساكر، وزاد: لخمس بقين من جمادى الآخرة.

وقال ابن منده: جمعة أخو خاقان، وليس له في الصحيح سوى حديث واحد في فضل الهجرة^(٢).

عبد الملك بن حبيب السلمي

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة - جلهمة - بن عباس بن مرداس السُّلَمي.

ذكر الأمير شكيب أرسلان تراجم من أقاموا بالأندلس من العرب بعد استقرار قدم الإسلام فيها غباً فتحها، وأورد من هؤلاء من أقاموا بها من قيس عيلان العدنانية وذكر منهم من يتنسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ص ٤٤٧ و ٤٤٨، الجزء الثالث.

(۲) تہذیب التہذیب، لابن حجر العسقلانی، ص ۱۱۰، المجلد الثانی، طبع حیدر آباد دکن.

ابن قيس، ومن هؤلاء: عبد الملك بن حبيب السُّلَمي الفقيه صاحب الإمام مالك - رضي الله عنه^(١).

وقد أفرد القاضي عياض لعبد الملك بن حبيب ترجمة مطولة جامعة، تقع في نحو ١٨ صفحة من كتابه «ترتيب المدارك»، وقد خَرَجَتْ من هذه الترجمة بما سأورده فيما يلي:

فهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السُّلَمي ويكنى أبا مروان، وكان أبوه يعرف بالحبيب العصار، لأنه كان يعصر الأدهان ويستخرجها، فوالده إذن من رجال الصناعة، وقال الإمام الفرضي: إنه من مواليهم، وقال ابن الحارث: إنه من أنفسهم، وسلسلة نسبه المتقدم ذكرها آنفاً تدل على أنه من سُلَيْم نسباً لا ولاءً.

وكانت إقامته بالبييرة من الأندلس، انتقل إليها أبوه في فتنة الربض، ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين، بعد وفاة الإمام مالك بن أنس بنحو ثلاثين عاماً.

وفي رحلته إلى المشرق سمع من ابن الماجشون، ومطرف، وإبراهيم بن المنذر، وغيرهم. وانصرف إلى الأندلس سنة عشر ومائتين، وقد جمع علماً عظيماً. ومن هنا نزل بلدة البييرة، ثم سكن قرطبة. وقد انتشر علمه وروايته، فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة، ورتبه في طبقة المفتين بها، فأقام مع يحيى بن يحيى زعيمها، في المشاورة والمناظرة، وبعد وفاة يحيى انفرد عبد الملك بالرياسة مُدَيِّدَةً.

ولعبد الملك السُّلَمي، مكانة من العلم ممتازة. وقد أثنى عليه العلماء الأعلام بها. فقال ابن الفرضي: «كان عبد الملك حافظاً للفقهِ على مالك^(٢)، نبيهاً فيه، غير أنه لم يكن له علم بالحديث، ولا معرفة بصحيحه من سقيمه».

وسُئِل ابن الماجشون: مَنْ أَعْلَمُ الرجلين: القروي التنوخي، أم الأندلسي السُّلَمي؟ فقال: «السُّلَمي مَقْدَمُهُ علينا أعلم من التنوخي مُنْصَرَفُهُ عنا»، ثم قال

(١) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، لشكيب أرسلان، ص ٢٩٣، الجزء الأول، طبع المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م؛ وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٢٦٣.

(٢) سبق لنا آنفاً أنه لم يدرك مالك بن أنس في رحلته إلى المشرق، إذ بين وفاة مالك ورحلته إلى المشرق نحو ثلاثين عاماً.

للسائل: أفهمت؟ وكان يخرج من الجامع وخلفه نحو من ثلاثمائة من طالب حديث وفرائض وفقه وإعراب، وكان يجمع إلى إمامته في الفقه، التنجيج في الأدب والتفنن فيه، وفي ضروب العلم، وكان فقيهاً مفتياً، نحوياً لغوياً، نساباً إخبارياً، عروضياً فائقاً، شاعراً محسنًا، مرسلًا حاذقًا، مؤلفًا متفننًا.

ذكر بعض المشيخة أنه لما دنا من مصر - في رحلته إلى المشرق من الأندلس - أصاب جماعة من العلماء بارزين لتلقي الرفقة على عاداتهم، فكلما أطلّ عليهم رجل له هبة ومنظر رجحوا الظن به، وقضوا بفراستهم عليه، حتى رأوه، وكان ذا منظر جميل، فقال قوم: هذا فقيه، وقال آخرون: شاعر، وقال آخرون: طبيب، وقال آخرون: خطيب، فلما كثر اختلافهم فيه وسألوه عما هو؟ فقال لهم: كلهم قد أصاب، وجميع ما قررتم أحسنه، والخبرة تكشف الحيرة، والامتحان يحلي عن الإنسان، فلما حط رحله ولقي الناس، شاع خبره، فقصد إليه كل ذي علم يسأل عن فنه، وهو يجيبه جواباً مُحققاً، فعجبوا من ثبوت علمه.

مؤلفاته

ولعبد الملك بن حبيب مؤلفات كثيرة، ذكروا أنها «حسان» في الفقه والتاريخ والأدب.

ومن أهم كتبه في الفقه: الكتب المسماة بـ «الواضحة» في السنن والفقه، قالوا إنه لم يؤلف مثلها ومنها «الجوامع»، وكتاب «فضائل الصحابة» و«غريب الحديث» و«سيرة الإمام في الملحددين» وكتاب «تفسير الموطأ» وكتاب «حروب الإسلام» وكتاب «المسجددين» وكتاب «طبقات الفقهاء والتابعين» وكتاب «مصاييح الهدى» وكتاب «إعراب القرآن» وكتاب «الحسبة في الأمراض» وكتاب «الفرائض» وكتاب «السخاء واصطناع المعروف» وكتاب «كراهية الغناء» وكتاب في «النسب» وفي «النجوم» وكتاب «الجامع في الفقه» وكتاب فيه «مناسك النبي ﷺ» وكتاب «الרגائب» وكتاب «الورع في العلم» وكتاب «الورع في المال وغيره» في ستة أجزاء، وكتاب «الرياء» وكتاب «الحكم والعدل والعمل بالجوارح» وغير ذلك، وكتاب «الرهائن» في ثمانية أجزاء، وكتاب «الباه والنساء» ثمانية كتب أي أجزاء، وكتاب «المواعظ» سبعة أجزاء، وكتاب «فضائل عمر بن عبد العزيز» و«فضائل

مالك بن أنس» وكتاب «في أخبار قريش»^(١) وأنسابها»، وقال القاضي عياض: إنه في خمسة عشر جزءاً، وكتاب «السلطان وسيرة الإمام» في ثمانية كتب - أي أجزاء - وكتاب «الأصول والمغازي والحدثان» خمسة وتسعون كتاباً - أي جزءاً - وكتاب «مغازي مقام رسول الله ﷺ» اثنان وعشرون كتاباً - أي جزءاً - وله تواليف في الطب والحديث والفقه وتفسير القرآن ستون كتاباً - أي جزءاً.

مكانته في الدولة الأموية بالأندلس

كان ذا مكانة مرموقة في الدولة الأموية بالأندلس، وكان ذا حظوة لدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وحصلت له حوادث ومشاكل، سلم منها بإخلاصه وعلمه الغزير وتقواه، ومن كان في منزلته لا بد أن تناله قوارض الحساد، فكل ذي نعمة محسود، فكيف من كان ذا نعمتين كبيرتين: نعمة العلم الغزير، والجاه الرفيع.

روى القاضي عياض عن ابن الفرضي: إن ابن حبيب كان يأخذ بالرخصة في السماع، وأنه كان له «جوار يُسمَعُهُ»، وقد انتقد القاضي عياض هذه الحكاية فقال: «الاشبه بطلانُ هذه الحكاية، فإن لابن حبيب كتاباً في كراهة الغناء» وقد سبق أن ذكرناه آنفاً في جريدة أسماء مؤلفاته، ولا ننسى أن ابن الفرضي هذا قال عن عبد الملك بن حبيب: إنه من بني سليم ولواء، لا من بني سليم بنو؟! وقد يشم من حكايته عن سماع ابن حبيب وحكايته أنه موكى - قد يشتم من ذلك وجود غرض معين دفين عند ابن الفرضي على ابن حبيب، وقديماً كان في الناس الحسد، والمعاصرة تذهب المناصرة.

لباسه وسيرته

اعتناء المؤرخين القدامى بذكر لباس عبد الملك بن حبيب، يدلنا على مكانته الدينية والعلمية والاجتماعية، فقد ذكروا أنه كان يلبس إلى جسمه مسح شعر، تواضعاً.

وكان صواماً قواماً، ولم يكن مثيراً، أثر الفقر على الغنى، وحينما نعي إلى سحنون استرجع وقال: مات عالم الأندلس، بل - والله - عالم الدنيا.

(١) تكررت كلمة «أخبارها» هنا في المطبوعة، ولما يبدو أنها من زيادة الطابع أو الناسخ أشرنا إليها هنا مكتفين بذلك.

ويقول صاحب «نفع الطيب»: إن تواليف ابن حبيب بلغت ألفاً، على ما رآه في بعض التواريخ، ومن أشهرها كتاب (الواضحة) في مذهب مالك، كتاب كبير مفيد. وقال عنه: «ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور، وهو مشهور عند علماء المشرق، وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر، وصاحب المواهب وغيرهما» وأورد له أبيات شعر، خاطب بها سلطان الأندلس.

وأورد المقرئ في «المطمح» ترجمة عبد الملك بن حبيب التي أنشأها «الفتح» فيه، جاء فيها قوله: (الفقيه أبو مروان عبد الملك بن حبيب السُّلَمي، أيُّ شرف لأهل الأندلس وأيُّ مَفْخَرٍ، وأيُّ بحر بالعلوم يَزْخُرُ)، إلى أن قال: (وسمع بالأندلس وتفقه، حتى صار أعلم من بها وأفقه، ولقى أنجب مالك، وسلك في مناظرتهم أوعر المسالك، حتى أَجْمَعَ عليه بالاتفاق، ووقع على تفضيله الإصفاق - أي الاجماع - ويقال: إنه لقي مالكاً في آخر عمره. وروى عنه عن سعيد بن المسيب: أن سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا السلام، كان يركب إلى بيت المقدس فيتغذى به، ثم يعود فيتعشى بإصطخر^(١)).

وأوجز «بروكلمان» ترجمته، فقال: (وُلِدَ عبد الملك بن حبيب السُّلَمي في حصن واط (Hut Orvega) القريب من غرناطة، بعد سنة ١٨٠هـ - ٧٩٦م، ولما ذهب إلى الحج تعرف بالمدينة على مذهب مالك بن أنس واعتنقه، فلما رجع إلى وطنه الأندلس، بذل نشاطاً كبيراً في نشر هذا المذهب بالأندلس، واشتهر أيضاً أديباً وشاعراً، وتوفي يوم ٤ من رمضان سنة ٢٣٨هـ - ١٨ من فبراير سنة ٨٥٣م، وقيل: يوم ١٢ من ذي الحجة سنة ٢٣٩هـ - ٥ من أبريل سنة ٨٥٤م، وكانت وفاته بقرطبة، وأول كتاب صنف في تاريخ الأندلس وبقي إلى الآن يُنسَبُ إلى أبي مروان عبد الملك بن حبيب المرادسي السُّلَمي الإليبري القرطبي^(٢)).

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ص ٢١٤ و ٢١٥ طبع مطبعة السعادة بمصر.

(٢) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ص ٨٦، المجلد الثالث، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

نماذج من شعره

تدلنا النماذج التالية من شعره، على شاعرية متمكنة مطعمة بالعلم والدين، واستيعاب أوضاع المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر العلامة عبد الملك بن حبيب السُّلمي.

كتب إلى «الرشاش» الأديب، يستهديه «مدادًا» ووجه إليه بقارورة كبيرة ليملاها «الرشاش» له حبرًا، قال:

احتجت من «حبر» إلى «سقبه»	فامدد لنا منه مُرْسَاكَ
وابعث، وإن قلَّ، به طَيِّبًا	ولا تكن دُونًا فتلحاك
ولا تهولَنَّك قارورتي	فإنها ألقَعُ من ذاك

وله يرفع طلبته إلى الله تعالى أن يهبه «ألفًا من الصُّفر» - ولعلها عملة نقدية ذهبية معروفة إذ ذاك بهذا الاسم أو وصفٌ للدنانير - قال:

صلاح أمري والذي أبتغي	هَيْنَ على الرحمن في قدرته
«ألف من الصُّفر» - وأقلِّل بها	لِعَالِمٍ، أوفى على بغيته
«ررباب» قد يأخذها قفلة	وصنعتي أشرف من صنعته

و«ررباب» هو المغني المعروف الذي رحل من المشرق إلى الاندلس، ولاقى - غناؤه - إقبالاً منقطع النظير هنالك.

وتقدم لنا أن عبد الملك بن حبيب قد رحل إلى المشرق في طلب العلم؛ لأن المشرق كان يومئذ مصدر العلم والدين، وقد اشتاق عبد الملك إلى أهله وهو بالحجاز، فألهمته أشواقه الحرى إليهم هذه القصيدة التي ملئت حنينًا وذكريات إلى المغرب الذي هو موطنه ومسقط رأسه ومرتع شبابه:

أحبُّ بلاد الغرب، والغرب موطني	الأ كل غربيٍّ إليَّ حبيب
فيا جسدًا أضناه شوق كأنه	إذا نُصِيت عنه الشيابُ، قضيب
ويا كبدًا عادت رُفَاتًا، كأنها	يُلدِّغُها بالكاويات طبيب
بليتُ وأبلاني اغترابي ونأيه	وطول مُقامي بالحجاز أجوب

وهولٌ كَرِيهٌ، ليله كنهاره
فما الداء إلا أن تكون بغربة
فياليت شعري هل أَيْتَنَ ليلة
وَحَوْلِي شَيْخَانٌ، وَبَنِي وَأُمُّهَا
وَسَيْرٌ حَثِيثٌ لِلرُّكَّابِ دَوُوبٌ
وحسبك داءٌ، أن يُقال «غريب»!
بأكناف نهر التَّلَج حين يصوب
وَمَعَشَرُ أَهْلِي، والرءوف مجيب

والتأمل في هذه القصيدة تلوح له بين ثناياها روحُ «حب الوطن» الغامرة، كما يلوح له منها أن الشاعر كان قد استأنس في بعض أبياتها ومعانيها بقول بلال ابن رباح حين ألت به الحمى في المدينة، أثناء هجرته إليها:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ؟
و«بعض الأبيات» التي تطل من قريب على هذا البيت لبلال هي قول
عبد الملك:

فيا ليت شعري هل أبيتَ ليلة
وحولي شيخان وبتى وأُمها

بأكثاف نهر الثلج حين يصب؟
ومعشرُ أهلي، والراءف مجيب

كما يلوح للمتأمل في قصيدة عبد الملك أنه قد نسي دفعة واحدة أنه في الأصل من أهل الحجاز، وأن أسلافه من «بنى مرداس» وجده «العباس بن مرداس» كانوا يستوطنون بهذا الحجاز الذي أصبح حفيدهم (عبد الملك) يتبرم من المكث فيه لشوقه العارم إلى وطنه الجديد «الأندلس» الذي تطفح عليه ذكرياته المتلامعة النضرة، فيقول عن نفسه:

بليت وأبلاني اغترابي ونأيه
فما الداء إلا أن تكون بغربة

وطول مقامي بالحجاز أجوب
وحسبك داء أن يقال: غريب

وهكذا نرى ابن حبيب يتمثل فيه تماماً قول ابن الرومي:

وَحَبَّبَ أوطان الرجال إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم

مَارَبُ قضاها الشبابُ هنالكا
عهدو الصبا فيها، فَحَنُّوا لذلكا

ونموذج من نشره

بلغ عبد الملك بن حبيب تحاملُ الفقهاء عليه وحسدُهم له، فشَقَّ عليه ذلك،

فكتب إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي رسالة بليغة بثَّ فيها ما يجيش بخاطره، وما يستدعي آلامه وقلقه، وقد استشهد فيها بأبيات شعرية سوائر تُناسب مقتضى الحال، قال:

(أسبغ الله على الأمير كرامته، وأعلى في الجنة درجته، إنَّ العذريَّ قال - أكرم الله الأمير - أبياتاً أعجب بها العلماء، ما فيها مثل يضرب على الأمير في خاصة نفسي، واليسير من التعرض يكفي غيره من التصريح، قال الشاعر:

لذي اللب قبل اليوم ما تُقرع العصا وما علَّم الإنسان إلا ليعلما وهي:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالقوم أعداء له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبُغْضاً: إنَّه لذميم
يلقى اللبيب مُشْتَمّاً لم يَحْتَرِمَ شيمَ الرجال، عَرِضُهُ مَشْتومُ

وما هذا إلا كما قال زهير:

وأخو التحمي ليس يبرح حاملاً ذنباً عليك عرفت أم لم تعرف

وفاته

توفي ابن حبيب في ذي الحجة سنة ٢٣٨هـ، وقيل سنة ٢٣٩هـ أو ٢٣٧هـ إلا ستة أشهر، وقد بلغ ستاً وخمسين سنة، أو ثلاثاً وخمسين، وقبره بقرطبة بمقبرة أم سلمة في قبلة مسجد الضيافة، وصلى عليه ابنه محمد أو يحيى، وكانت وفاته في ولاية الأمير محمد، وقد رثاه أبو عبادة الرشاش بيتين رواهما القاضي عياض، كما أورد بيتين آخرين رثاه بهما أحمد بن باجي، وخَلَفَ ابْنين، هما: محمد وعبد الله^(١).

عبد الله بن عبد الملك بن حبيب السُلَمي

من أهل البيرة في الأندلس، وقد سمع من أبيه، وكان رجلاً صالحاً وله حظ من العلم، حدث عنه محمد بن فطيس^(٢).

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، ص ٣٠ - ٤٨، المجلد الثالث، طبع بيروت. وفي جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص ٢٥٠، طبع القاهرة أن عبد الملك بن حبيب السُلَمي توفي سنة مائتين ونيف وتسعين.
(٢) المصدر السابق ص ٤٨.

(٤) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ص ٤٠٤، المجلد الرابع عشر.

أبو سوار السُّلمي

له حديث أورده كتاب «تاريخ واسط» لأسلم بن سهل الرزاز المتوفي سنة ٢٩٢هـ - ٩٠٥م، وقد روى أبو سوار السُّلمي هذا الحديث عن أبي حاضر عن ابن عباس - رضي الله عنه، قال: (احتجم رسول الله ﷺ بالقاحة وهو صائم)^(١).

ابن خزيمة السُّلمي

هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السُّلمي، أبو بكر: إمام نيسابور في عصره، كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث، ولد وتوفي بنيسابور، ورحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر وتفقه على المزني وغيره، ولقبه السبكي بإمام الأئمة، تربو مصنفاته على ١٤٠ كتاباً، منها كتاب «التوحيد وإثبات صفة الرب»، ومولده بسنة ٢٢٣هـ - ووفاته بسنة ٣١١هـ، وقال الدارقطني: كان إماماً معدوم النظر^(٢).

بُكَار بن أحمد بن بكار السُّلمي

نسبه ابن حزم هكذا: (بُكَار بن أحمد بن بُكَار بن عبد الله بن سعيد بن العباس بن مرداس. وقال عنه: محدث، عابد، مات بمصر^(٣) ولم يعين سنة وفاته).

أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السُّلمي

ذكره الذهبي، وقال عنه: توفي سنة ٣٣٤هـ^(٤).

محمد بن مسعود العياشي السُّلمي

أبو النضر، فقيه من كبار الإمامية من أهل سمرقند، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهاراً عظيماً، وتزيد كتبه على مائتي كتاب، وقد أورد ابن النديم أسماء أكثرها^(٥).

(١) تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز، ص ١٤٨ طبع بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م والقاحة موضع على ثلاث مراحل من المدينة في طريق مكة، معروفة إلى اليوم بهذا الاسم.

(٢) الأعلام، للاستاذ خير الدين الزركلي، ص ٢٥٣، المجلد السادس، ومرة الجنان ص ٢٦٤، الجزء الثاني.

(٣) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ٢٦٢.

(٤) تذكرة الحفاظ، ص ٨٤٧، الجزء الثالث.

(٥) الأعلام، للاستاذ خير الدين الزركلي، ص ٣١٦، الجزء السابع، الطبعة الثالثة ببيروت.

وفي نسخة (فهرست ابن النديم) المطبوعة بمطبعة الاستقامة بمصر عنه - وهي كثيرة الأغلاط المطبعية: «أبو النضر محمد بن مسعود من أهل سمرقند، وقيل إنه من بني تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوجد دهره وزمانه في غزارة العلم»^(١).

وربما كانت لفظة (تَمِيم) المذكورة محرفة عن (سَلِيم) لأنهما متقاربتان في الخط، ولم يعول الأستاذ خير الدين الزركلي في (سَلْمِيَّة) العياشي على «فهرست ابن النديم» وحده، بل أتى بمستندات أخرى على ذلك هي: النجاشي، وسفينة البحار، ومنهج المقال، والذريعة.

ويدلنا إسناده كونه سلمياً إلى فهرست ابن النديم على أن هناك نسخة تنص على ذلك. توفي العياشي السلمى نحو سنة ٣٢٠هـ - ٩٣٢م.

هياج بن العلاء السلمي

هو صاحب واصل بن عطاء أحد رؤساء المعتزلة، صحبه في علم الكلام، وتضلّع فيه^(٢).

أبو عروبة الحسن بن أبي معشر السلمي

هو الحافظ أبو عروبة الحسن بن أبي معشر محمد بن مودود السُّلَمي، توفي سنة ٣١٨هـ وهو في عشر المائة^(٣).

منصور بن عمار السُّلَمي الواعظ

أصل منصور من خراسان أو البصرة، سكن بغداد وحدث بها، وجده كثير وكنيته أبو السري، وهو واعظ بليغ مؤثر فصيح البيان، حدث في بغداد عن جملة علماء، منهم معروف أبو الخطاب صاحب وائلة بن الأسقع، وليث بن سعد، وغيرهما. وروى عنه ابنه: سليم السُّلَمي، وعلي بن خشرم، ومحمد بن جعفر لفلوق وغيرهم.

(١) الفهرست لابن النديم، ص ٢٨٨ و ٢٨٩، طبع مطبعة الاستقامة بمصر.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، ص ١٦٩، الجزء الثاني.

(٣) مرآة الجنان، ص ٢٧٧، المجلد الثاني.

وقال أبو عبد الرحمن بن محمد الحسين السُّلَمي: إنه من أهل مَرَوْ، من قرية يقال لها: (دنداقان)، ويقال: من أهل (أبيورد) أو من أهل (بوشنج).

لمنصور بن عمار حديث بسنده المتصل إلى وائلة بن الأسقع، قال وائلة: لما أسلمت أتيت النبي ﷺ فأسلمت على يديه، فقال لي: «اذهب فاحلق عنك شعر الكفر واغتسل بماء وسدر».

قدوم منصور إلى مصر

حين قدم منصور بن عمار إلى مصر جلس يقص على الناس، فسمع كلامه اللَّيْثُ بن سعد فاستحسن قصصه وفصاحته، فقال له الليث: يا هذا، ما أقدمك إلى بلدنا؟ قال: طلبتُ أكتسب بها ألف دينار، فقال له الليث: فهي لك على رصين كلامك هذا الحسن، ولا تتبذل. فأقام في مصر في جملة الليث بن سعد وفي جريته، إلى أن خرج عن مصر فدفع له الليث ألف دينار، ودفع إليه بنو الليث أيضاً ألف دينار، فخرج فسكن بغداد وبها توفي.

ويتحدث منصور بن عمار عن نفسه أثناء إقامته بمصر فيقول: لما قَدِمْتُ إلى مصر وكان الناس قد قحطوا، فلما صَلَّوْا الجمعة رفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء، فحضرني النية، فصرْتُ إلى صحن المسجد، فقلت: يا قوم، تقربوا إلى الله بالصدقة، فإنه ما تُقَرَّبُ إليه بشيء أفضل منها، ثم رميت بكسائي، ثم قلت: اللهم هذا كسائي وهو جهدي وفوق طاقتي، فجعل الناس يتصدقون ويعطوني ويلقون على الكساء، حتى جعلت المرأة تلقي خُرْصَهَا وسخابها (قلادتها) حتى فاض الكساء من أطرافه، ثم هطلت السماء، فخرج الناس في الطين والمطر، فلما صَلَّيْتُ العصر، قلت: يا أهل مصر، أنا رجل غريب ولا علم لي بفرائكم، فأين فقهاؤكم؟ فدُفِعْتُ إلى الليث بن سعد، وابن لهيعة، فنظرا إلى كثرة المال، فقال أحدهما لصاحبه: لا تحرك، واكلوا به الثقات حتى أصبحوا، فَرُحْتُ، أو قال: فادلجتُ إلى الإسكندرية، وأقمت بها شهرين. فبينما أنا أطوف على حصنها وأكبرُ، فإذا أنا برجل يرمقني، فقلت: مالك؟ قال: يا هذا، أنت قدمت من مصر؟ قلت: نعم، قال: أنت المتكلم يوم الجمعة؟ قال: قلت: نعم، قال: فإنك صرت فتنة على أهل مصر. قلت: وما ذاك؟ قال: قالوا: كان ذاك الخضر دعا،

فاستجيب له . قلت : ما كان الخضر بل أنا العبد الخاطيء ، قال : فادلجت فقدمت مصر فلقيت الليث بن سعد ، فلما نظر إليّ قال : أنت المتكلم يوم الجمعة ؟ قال : قلت : نعم . قال : فهل لك في المقام عندنا ؟ قال : قلت : وكيف أقيم وما أملك إلا جبتي وسراويلي ؟ قال : قد أقطعتك خمسة عشر فداناً ، ثم صرت إلى ابن لهيعة ، فقال لي مثل مقالته - مقالة الليث - وأقطعتني خمسة فدادين ، وهكذا أقام منصور ابن عمار السلمي ، بمصر مكرماً منعماً .

مدلولات القصة

والقصة المذكورة تدلنا على أمور :

أولاً - أن منصور بن عمار كان واعظاً قديراً ومخلصاً ، وصالحاً موفقاً في حياته ولم يكن دجالاً من الدجاجة .

ثانياً - أن الليث بن سعد وهو إمام أئمة العلم والدين من طبقة الإمام مالك ابن أنس ومن أصدقائه - كان ثرياً وجيهاً في مصر ، وكان ينفق ماله في وجوه البر والخير ، فهو ممن ينطبق عليهم أول بيت الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا . وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ثالثاً - وكذلك كان شأن زميله ابن لهيعة ، إلا أنه ربما كان أقل ثراء منه بدليل أنه أعطى منصوراً ثلث عطية الليث .

رابعاً - أن أهل مصر كانوا منذ القدم سريعى التأثير بالخيالات ، فها هو ذا أحدهم يتحدث عنهم ويقول لمنصور بن عمار ما معناه : إنه بعد استجابة دعائه وهطول المطر في مصر اعتقد أهلها أنه الخضر .

خامساً - أن أهل مصر كانوا منذ صدر الإسلام يتسابقون إلى فعل الخيرات رجالاً ونساءً .

من شواهد فصاحة منصور بن عمار

كتب إليه بشر الحافي يقول له : اكتب إليّ بما منّ الله علينا ، فكتب إليه منصور هذه الرسالة الوجيزة الضاربة في البلاغة صوب القمة :

(أما بعد يا أخي - فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصى، في كثرة ما نعصيه، ولقد بقيت متحيراً فيما بين هذين: لا أدري كيف أشكره لجميل ما نشر، أو قبيح ما ستر).

إثراء منصور وإنفاقه في الخير

ويبدو جليا أن منصور بن عمار قد أثرى بأخْرَةٍ، ونحن نراه ينفق إنفاق من لا يحسب للفقير حسابًا، قال محمد بن موسى: شهدتُ منصور بن عمار القاصِّ، وقد كلمه قوم فقالوا له: هذا رجل غريب يريد الخروج إلى عياله، فقال لابنه أحمد بن منصور: يا أحمد، امض معهم إلى أبي العوام البزاز، فقل له: أعطه ثيابًا بألف درهم، بل بأكثر من ذلك، حتى إذا باعها صحَّ له ألف درهم.

ويمكن أن نستنتج من «تحويله» العطاء إلى أبي العوام البزاز، أن أبا العوام هذا ربما يكون وكيل دكان منصور بن عمار الذي يباع فيه البز - الحرير -، ولذلك حوّل عليه إعطاء الغريب من البز الذي بالدكان، وربما يكون أيضاً صديقه الأثير لديه الذي يعرف عن تجربة أنه سيدفع له قيمة ما حوله عليه من البز، والتأويل الأول أقرب عندي، وخاصة إذا نظرنا إلى قول منصور في آخر كلامه: (حتى إذا باعها - أي الثياب - صح له ألف درهم)، فإن هذا التعليل للتحويل وإعطاء الغريب من بز الدكان الذي يعمل فيه أبو العوام - يضع أصابعنا على أن الدكان لمنصور بن عمار، ويدلنا في نفس الوقت على أنه لم تكن لديه نقود بهذا القدر يوم أمر بالتحويل على أبي العوام.

وفاته

توفي منصور بن عمار، ودُفن ببغداد، بباب حرب، ووُضِعَ على قبره لوح
منقوش عليه اسمه، وإلى جانبه قبر ابنه سليم، وهو غير ابنه أحمد الذي سبق
ذكره آنفاً^(١).

هذا، وقد ترجم الشيخ عبد الرزاق البيطار، منصور بن عمار بن كثير السلمى الخراسانى الواعظ وسماه باسمه المذكور، وذكر اسم أبيه: عمار واسم جده

كثير، ونسبه إلى سُلَيْمٍ، ووصفه بأنه (صوفي) بدلاً من وصف (الواعظ) الذي وصفه به الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، والبغدادي من أهل القرن الخامس الهجري، ومنصور بن عمَّار من أهل القرن الثالث الهجري. وجَعَلَهُ الشيخ عبد الرزاق (دمشقياً).

وموضوع كتاب الشيخ عبد الرزاق البيطار على ما ورد نصا في عنوان الكتاب: (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) هو تراجم أهل القرن الثالث عشر الهجري.

وقال الشيخ البيطار عن منصور بن عمار أثناء ترجمته له كشخصية صوفية بارزة من أهل القرن الثالث عشر الهجري ما نصه: «إنه كان مسرقاً على نفسه ثم تاب» وأورد قصة وجوده رقعة مكتوباً فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم) فلم يجد لها موضعاً يضعها فيه فأكلها فرأى في المنام قائلاً يقول له: قد فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك للرقعة، فقام من نومه نادماً على أفعاله، تائباً من وقوعه في أحواله، مقبلاً على مولاه، معرضاً عما سواه. . ففتح الله عليه أبواب القبول، وسهل له أسباب الوصول، ومنحه من العلوم الإلهية والتجليات العرفانية ما أثبت له (الفضيلة) إلخ. وقد جعل الشيخ عبد الرزاق البيطار وفاة منصور بن عمار بن كثير السُّلَمي في دمشق (في سنة ألف ومائتين و...) (١).

ويبدو لي أن الثابت في التاريخ هو أن منصور بن عمار السُّلَمي الواعظ كان معاصراً لليث بن سعد، وكان من أهل القرن الثالث الهجري، وقد استوفى ترجمته الخطيبُ البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» حسب ما سبق بيانه.

عباس بن الوليد بن صبح الحلال أو (الحلال) السلمي

أبو الفضل الدمشقي، روى عن زيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي، وأبي مسهر، وعبد السلام بن عبد القدوس الشامي وغيرهم، وروى عنه ابن ماجه، وأبو حاتم، وغيرهما.

(١) (حلبة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر)، الجزء الثالث، ص ١٥٦٢، طبع مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٦٤م.

قال أبو حاتم: شيخ.

وقال الآجري عن أبي داود: كتبتُ عنه: وكان عالماً بالرجال والأخبار، وقال محمد بن عوف الطائي: كان أبو مسهر ومروان بن محمد يقدمانه ويرحبان به. وقال عمرو بن دحييم: مات لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وذكره ابن حبان في الثقة^(١).

محمد بن أحمد بن حكيم بن كثير السُّلمي: أبو الحسن

بغدادى، وكان يذكر أنه ابن أخي منصور بن عمار.

وحدث عن سليم بن منصور بن عمار، وروى عنه عبد الله بن عدي الحافظ وذكر أنه سمع منه بجرحان^(٢).

أبو عون أحمد بن المنجم السُّلمي بالولاء

مولى بني سُلَيْم وهو ابن أخي هلال أبي المنجم، وأحمد بن أبي المنجم، وهو شاعر ومتكلم ومرسل.

له من الكتب: كتاب التوحيد وأقاويل الفلاسفة، وكتاب النواحي في أخبار الأرض، وقيل: إن الكتاب الأخير هو لأبي إسحاق بن أبي عون الذي هو ابن هذا المترجم^(٣)، ولم يفدنا ابن النديم في (فهرسته) عن تاريخ مولده ومكان مولده وتاريخ وفاته ومكانها، وله العذر، فإن كتابه إنما هو كاسمه (فهرست)، والفهرست ليس من شأنه أن يحمل التفاصيل، كما تحملها الكتب التي هي أوسع نطاقاً من الفهارس أو من كتب الفهارس.

أبو إسحاق بن أبي عون السُّلمي بالولاء

أبو عون الذي هو والد أبي إسحاق من موالى بني سُلَيْم، وهو ابن أحمد ابن المنجم، وكان أبو إسحاق من أصحاب جعفر محمد بن علي الشلغاني المعروف بابن أبي العزاقر، وأخذَ معه أبو إسحاق فضربت عنه بعده؛ وذلك أن

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص ١٣١، المجلد الخامس، طبع حيدر آباد دكن.

(٢) تاريخ بغداد، ص ٢٩٣، الجزء الأول.

(٣) الفهرست، لابن النديم، ص ٢١٧، مطبعة الاستقامة، بمصر.

أبا إسحاق، عَرِضَ عليه أن يشتم ابن أبي العزاقر وأن ييصب عليه، فأبى وأرعد وأظهر خَوْفًا من ذلك، لِلْحَيْنِ وَالشَّقَاءِ^(١)، وهذا يدل على أنه يعتقد فيه ما يحول بينه وبين توجيه آية إهانة منه إليه، فكان عقابه القتل معه، استتصلاً لفتنته وزيفه في عَصْرِ كثر فيه مروجو الفتنة والزيف والإلحاد.

وكان أبو إسحاق - على ما حكاه ابن النديم - من أهل الأدب، مؤلفاً للكتب، ناقص العقل، ولولا نقصان عقله ما تبعَدَ لابن أبي العزاقر، واعتقد فيه الألوهية.

وله كتاب «النواحي في أخبار البلدان»، وتمة عنوان هذا الكتاب هي: «الأرض» لا «البلدان».

وكانَّ ابن النديم سها أخيراً عما كتبه أولاً في ترجمة أبي عوف والد أبي إسحاق، فيما يتعلق باسم هذا الكتاب، فأخذ تكملة اسمه من معنى اسمه الذي سبق أن أورده، فالأرض والبلدان متقاربتا المعنى.

ولأبي إسحاق أيضاً كتاب «الجوابات المسكّنة»، وكتاب «التشبهات» وكتاب «بيت مال السرور» وكتاب «الدواوين» وكتاب «الرسائل»^(٢).

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمى

الإمام الترمذي صاحب «الكتاب الجامع» في الحديث النبوي، الذي هو أحد الصحاح الستة هو من بني سُلَيْم بن منصور فهو من مفاخرهم الخالدة في الدين والعلم الإسلامي.

وقد ذكروا أن اسم جده الثاني لأبيه هو: موسى.

والترمذي أحد حفاظ حديث الرسول، وكتابه «الكتاب الجامع» من أهم كتب الحديث النبوي، ومن أحسنها تأليفاً وتنسيقاً وصحة.

(١) في النسخة المطبوعة بمطبعة الاستقامة من كتاب الفهرست، لابن النديم: (للحين) بالجين والياء التحتية الموحدة. وقد رجحنا أن تكون صحة الكلمة: (للحين) بفتح الحاء المهملة بعدها ياء تحتيه مثناة ساكنة، وذلك بديل سياق الكلام، فقد وردت بعدها كلمة: (والشقاء) وهي تتناسب مع (الحين بمعنى الهلاك) بخلاف كلمة (الحين).

وكان مولده سنة بضع ومائتين للهجرة، وسمع كثيراً من كبار العلماء، وأخذ علم الحديث عن أبي عبد الله البخاري، وروى عنه كثيرون، ذكره ابن حبان في الثقة، وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر.

ومن كتبه غير الكتاب الجامع: شمائل رسول الله ﷺ، وكتاب العلل، ورسالة في الخلاف والجدل والتاريخ.

وينسب إلى «بوغ» فيقال له: (البوغي) ويضرب به المثل في علم الحديث، وكان ضريراً^(١).

هذا، وقد غلط الأستاذ ناجي معروف حينما سماه «عيسى بن سورة»^(٢)، فعيسى بن سورة هو اسم أبيه وليس اسمه هو، إن اسمه - كما أسلفناه آنفاً - هو: «محمد بن عيسى» وربما كان هذا الغلط ناشئاً من الطبع لا من المؤلف، فما أكثر أغلاط المطابع العربية في هذا الزمان وفيما سبقه من الأزمان.

وفاته

توفي الترمذي في ثالث عشر رجب سنة ٢٧٩هـ بترمز أو بقرية بوغ.

سفيان السُّلَمي

من أهل مدينة واسط وقدم بغداد.

وهو سفيان بن حسين بن الحسن، مولى بني سُلَيْم، ومولاه بالذات هو عبد الله بن خازم السُّلَمي القائد البطل المعروف، حدث سفيان عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وابن شهاب الزهري، وأبي بشر بن جعفر بن إياس، وروى عنه شعبة، وهشيم، ومحمد بن يزيد، وعباد بن العوام، ويزيد بن

(١) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، الجزء الرابع، ص ٢٩٤ و ٢٩٥، والتاج المكلل لصديق حسن القنوجي، ص ١١٢، طبع بومبيي سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٢م، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ص ١٠٤ و ١٠٥، الجزء الحادي عشر، والأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي، ص ٢١٣، الجزء السابع، طبع مصر، ومرآة الجنان، لليافعي، ص ١٩٣، الجزء الثاني، طبع مطبعة حيدر آباد دكن.

(٢) علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية، للأستاذ معروف ناجي، ص ٢ طبع بغداد سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

هارون، وغيرهم. ضمه المنصور أبو جعفر العباسي إلى المهدي يُعلِّمه، وخرج معه إلى الري، وكان مؤدَّبَ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ثم أدب ولد يزيد بن هبيرة، ثم ضمه المنصور إلى المهدي.

وكان حسن الصوت في قراءة القرآن، وطلب منه أبو جعفر المنصور أن يقرأ له شيئاً من القرآن فقال له: القرآن لا يَتَلَذُّ به، فقال له الخليفة: عالم أنت؟ فسكت، فقال له الربيع: «حاجب أبي جعفر المنصور»: أجب أمير المؤمنين، فقال له: سألتني عن مسألة لا جواب لها، إن قلت: لستُ عالماً وقد قرأت كتاب الله كنت كاذباً، وإن قلت: أنا عالم كنت بقولي جاهلاً.

وهذه براعة من سفيان، جأبه بها تدخل الربيع المعروف في تاريخه بالقسوة والضاوأة، وقد أفحمه سفيان السلمي بهذا الجواب البارع، وسد عليه أبواب الاعتراض والتدخل من كل جهة.

كان سفيان ثقة مضطرباً في الحديث، وكان صاحب تفسير.
سئل أحمد: سفيان أحب إليك أو صالح بن أبي الأخضر؟ قال: سفيان بن حسين.

ووثقه يحيى بن معين، ولكنه قال: (هو ضعيف الحديث عن الزهري)، وقال عنه: (لأنه ليس من أكابر أصحاب الزهري، أكابرهم المعتمد عليهم منهم: معمر، وشعيب، وعقيل، ويونس، ومالك. وربما قال: وابن عيينة).

وثقه أحمد بن عبد الله العجلي وقال: (سفيان بن حسين واسطي ثقة).

وفاته

مات بالري في خلافة المهدي العباسي^(١).

محمد بن أحمد بن العباس: أبو جعفر السلمي، نقاش الفضة

سمع محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، والحسن بن محمد المخرمي، وعبد الله بن محمد البغوي وغيرهم. وقد سأل الخطيبُ البغدادي - الأزهري عن أبي جعفر النقاش، فقال: ثقة، وقال: كان أحد المتكلمين على مذهب الأشعري، ومنه تعلم أبو علي بن شاذان، الكلام.

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ص ١٥٠ و ١٥١، الجزء التاسع.

ولد أبو جعفر السُّلَمي للنصف من جمادى الأولى سنة ٢٩٤هـ، وقال الخطيب البغدادي: (سمعت منه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وكان يسكن درب الديزج، وتوفي سنة ٣٧٩هـ بين الأحد أو الإثنين لست خلون من المحرم)^(١).

الحسن بن أحمد: أبو محمد السُّلَمي

هو الحسن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن خالد. حدث ببغداد عن جده سعيد بن محمد، وغيره عن رواه عنه يرفعه إلى ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا جدَّ به السير جمع بين المغرب والعشاء. توفي الحسن السُّلَمي الرهاوي سنة ٣٢٩هـ في الرها^(٢).

أبو عمرو بن نجيد السُّلَمي

إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السُّلَمي النيسابوري أبو عمرو: زاهد عابد، له جزء في الحديث، قال ابن الجوزي: كان ثقة، وكان شيخ الصوفية في نيسابور، وكان يقول: (من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله، ومن لم تهذب رؤيته فاعلم أنه غير مُهذَّب)، توفي بمكة سنة ٣٦٦هـ - ٩٧٧م^(٣).

أبو طاهر السُّلَمي

هو ابن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة السُّلَمي الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة الحنبلي، توفي سنة ٣٨٧هـ^(٤). ولعل أبا طاهر هذا حفيد الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة الذي مرت بنا ترجمته في هذا الفصل.

(١) تاريخ بغداد، ص ٣٢٥ و ٣٢٦.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ص ٢٧١، الجزء الثاني.

(٣) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ص ٣٢٦ المجلد الأول الطبعة الثانية بمصر.

(٤) مرآة الجنان للياضي، ص ٤٣٥ الجزء الثاني.

أبو عمر عبد الله السُّلَمي

عبد الله بن عبد الوهاب السُّلَمي الأصبهاني المقرئ توفي سنة ٣٩٤ (١).

أبو عبد الرحمن: محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري السلمي

له ترجمات في كتب الأنساب، ومن ترجمه: الحافظ الذهبي، قال: «محمد ابن الحسين: أبو عبد الرحمن السُّلَمي النيسابوري، شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، تكلموا فيه وليس بعمدة.

روى عن الأصم وطبقته، وعني بالحديث ورجاله، وسئل الدارقطني قال: قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الأحاديث للصوفية، وقال الحافظ عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور: جمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرست تصانيفه مائة أو أكثر، وكتب الحديث بمرو، ونيسابور، والعراق، والحجاز.

وقال الخطيب البغدادي: قدم بغداد مرات، وحدث بها عن شيوخ خراسان، وصنف للصوفية سننًا وتفسيرًا وتاريخًا، ونقده محمد بن يوسف القطان النيسابوري فقال عنه: «كان غير ذي ثقة وكان يضع للصوفية الأحاديث».

ولكن الخطيب البغدادي قال عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي ما نصُّه: (قَدْ رَأَى
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدَةِ جَلِيلٍ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مَجُودًا، صَاحِبَ حَدِيثٍ،
وَلَهُ دَوِيرَةٌ لِلصُّوفِيَةِ.

وقال الياضي في «مرآة الجنان»: إنه صاحب جده أبا عمر بن نجيد، وصنف التفسير والتاريخ، وترجم له ابن الأثير فقال عنه: (وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي الصوفي، وهو ابن بنت أبي عمرو بن نجيد السلمي، له تصانيف في علوم الصوفية لم يسبق إليها، ومؤلفه: «طبقات الصوفية» كبير^(٢)).

وكان مكثراً من الحديث، روى عنه الحاكم أبو عبد الله، ومات قبله بسبع

مسئله

(١) مرآة الجنان، ص ٤٤٧ الجزء الثاني.

(٢) طبع بمطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م في ٥٧١ صفحة.

مولده ووفاته

ولد سنة ٣٣٠هـ، وقد اتفق الحافظ الذهبي وابن الأثير والياضي على أن وفاته كانت في شعبان سنة ٤١٢هـ، إلا أن ابن الأثير حدد وفاته بثالث شعبان من تلك السنة^(١).

محمد بن الحسين بن موسى السُّلَمي

يُلقَّب بأبي عبد الرحمن، صنف كتاب «عيون النَّفس ومداوتها»^(٢)، وقد توفي في شعبان ٤١٢هـ الموافق ١٠٢١م، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون^(٣).

أحمد بن عيسى أبو عقيل السُّلَمي

من بغداد، وهو أحمد بن عيسى بن زيد بن الحسن بن عيسى بن موسى بن هادي بن مهدي، أبو عقيل السُّلَمي القزاز.

سمع أحمد بن سلمان النجاد وغيره، وقال عنه الخطيب البغدادي: كَتَبْتُ عنه، وكان يسكن باب البصرة، وروى له حديثاً بسنده إلى عمرو بن تغلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأنَّ وجُوههم المِجَانُ المطرقة».

مولده ووفاته

ولد في صفر من سنة ٣٣٨هـ، وقال الخطيب البغدادي: (مات في يوم الأحد الثالث من شوال سنة ٤٢١هـ)^(٤) ومعنى ذلك أنَّ وفاته كانت قبل وفاة الخطيب البغدادي باثنين وأربعين عاماً).

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، طبع دار إحياء الكتب العربي، القسم الثالث، ص ٥٢٣ و ٥٢٤، واللباب في تهذيب الانساب، لابن الأثير، ص ٥٥٤، الجزء الأول، طبع مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٧هـ؛ ومراة الجنان، ص ٢٦، الجزء الثالث.

(٢) مخطوط في خزانة الرباط ورقمه ١٤١٩د.

(٣) فهرس المخطوطات العربية برباط الفتح القسم الثاني، الجزء الأول، للأستاذين علوش وعبد الله الرجراجي، طبع باريس ١٩٥٤، بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ص ٢٨٤، الجزء الرابع.

أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد السُّلَمي

هو أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلمي، اقتصر اليافعي في «مرآة الجنان» على القول بأنه توفي في سنة ٤٦٩ هـ^(١)، وقال عنه عبد الحي بن العماد الحنبلي: «أحد رؤساء دمشق وعدولها»، «روى عن جده أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان وجماعته، وسمع بمكة من ابن جهضم» وحدّد شهر وفاته وستّها فقال: توفي في ربيع الأول سنة ٤٦٩ هـ في عشر التسعين، قاله في العبر^(٢) فهو إذن معمر.

سلامة بن سليمان أبو الحسين السُّلَمي

هو سلامة بن سليمان بن أيوب بن هارون، أبو الحسين المقرئ الباجدائي، حدث في بغداد بعد قدومه إليها عن جماعة، منهم أبو يعلى الموصلي، ويقول عنه الخطيب البغدادي: «ما علمت من حاله إلا خيراً».

وروی عنه بسنده إلى بندار منامًا رأى فيه بندارٌ سفيانَ الثوري بعد موته،
على ما وصفه له عبد الرحمن بن مهدي. وكان قد طلب منه أن يصفه له
ففعِلَ (٣).

محمد بن حامد السلمي

قدم بغداد، وهو محمد بن حامد بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل،
أبو أحمد السُّلَمي الخراساني.

قدم بغداد في حياة الحافظ الخطيب البغدادي، وحدث بها عن محمد بن يزيد السُّلَمي النيسابوري وغيره، أحاديث منكورة، منها ما رواه عن محمد بن يزيد ابن عبد الله السُّلَمي عن سليمان بن قيس، عن أبي المعلى بن المهاجر عن أبان، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة، ليحيين دين الله وستي على يديه)، ويقول الخطيب

(١) ج ٣، ص ٩٧.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي، ص ٣٣٣، الجزء الثالث.

(٣) تاريخ بغداد، ص ٢٠٢ و ٢٠٣، الجزء التاسع.

البغدادي: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، وهو باطل موضوع، ومحمد ابن يزيد متروك الحديث، وسليمان بن قيس، وأبو المعلى، مجهولان، وأبان بن أبي عياش رُمي بالكذب^(١).

محمد بن علي بن عبد الله السُّلَمي

من بغداد، هو محمد بن علي بن عبد الله بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن يزيد بن عتبة بن فرقد: أبو الحسن السُّلَمي ويعرف بالحبري، لأنه كان يبيع الحبر بباب الشام - ببغداد، وقد روى حديثاً بسنده المتصل إلى أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقوم الرجل من مجلسه إلا لبني هاشم)، وقد وثقه الخطيب البغدادي، قال: (سألت عبد العزيز بن علي، عن هذا الشيخ؟ فقال: بَغْدَادِي ثقة^(٢)).

يوسف بن عبد الواحد السُّلَمي

سمع من أبي البيان القرشي الدمشقي: نَبِيَّ بن محمد بن محفوظ المعروف بابن الحوراني شيخ الطرق البيانية بدمشق^(٣).

ابن أبي الفضل المريسي السُّلَمي

هو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي، أبو عبد الله، مفسر علامة. ولد في ذي الحجة سنة ٥٦٩هـ أو ٥٧٠هـ بمرسية، وكان رجالة، سمع بالمغرب من جماعة، ورحل من المغرب سنة ٦٠٣هـ، وعمره نحو ثلاث أو أربع وثلاثين سنة، وتجول في أنحاء العالم الإسلامي لطلب العلم، فدخل مصر وسمع بها من علمائها، وبدمشق من قضاتها ودخل بغداد فصنَّع مثل ذلك، ومن سمع منهم ببغداد أبو أحمد بن عبد الوهاب، ومن سمع منهم بنيسابور زينب الشعرية، سمع منها جُزء ابن نجيد وغيره، ودخل هراة وسمع من علمائها، وجاء مكة فتلقى من الشريف يونس بن يحيى وطبقته، وحدث بالكثير في أماكن عدة منها مكة،

(١) تاريخ بغداد، ص ٢٨٨ و ٢٨٩، الجزء الثاني.

(٢) تاريخ بغداد، ص ٨٨، الجزء الثالث.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي، ص ٢٠٤، الجزء السابع، طبع هندية بمصر.

دخلتُ هراةُ أَسْتَفِيدُ علومَها فآلَفْتُ ما فيها حَمِيرَ الوَرَى فهما
 يَرون بي لا يَعرِفون مَكانتي كَأَنِّي دَينار يَمر به أَعْمى
 والبيت الثاني مضمن لغيره (١).
 شمس الدين ابن سيدة السُّلَمي

هو الشيخ شمس الدين أبو طالب بن محمد بن عبد الله بن صابر السُّلَمي،
 عرف بلقب «ابن سيدة»، وهو من أهل بيت كبير في دمشق ومن أهل العلم
 والحديث والتصوف، صاحب الشيخ عتيقاً وغيره، وكان يخضب شعره، توفي سنة
 ٦٣٧هـ (٢).

سلطان العلماء:

أبو العزِّ عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمي

هو أبو محمد عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن
 الحسن بن محمد بن المذهب الدمشقي، الملقَّب بسلطان العلماء، واشتهر بالعز بن
 عبد السلام، والسُّلَمي نسبة إلى بني سُلَيْم إحدى القبائل القيسية المشهورة من
 مُضَرَ.

ويبدو لي أنه ربما كان من نسل بني سُلَيْم الذين دخلوا سورية مع القرامطة
 من قبل.

زار «سلطان العلماء» بغدادَ في سنة ٥٩٩هـ فأقام بها شهراً، وعاد إلى
 دمشق.

وسمع من عبد اللطيف بن أبي سعد، والقاسم بن عساكر، وجماعة، وتفقّه
 على فخر الدين بن عساكر، والقاضي جمال الدين بن الحرساني، وقرأ الأصول
 على الأمّدي، وبرع في الفقه والأصول العربية، وفاق الأقران، والأضراب،
 وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال الناس
 وما أخذهم، وقد بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه، ورحل إليه الطلاب من سائر البلاد،

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ص ٨٥ و٨٦، الجزء الثاني.

(٢) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، لأبي شامة المقدسي
 الدمشقي، ص ١٦٨، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧.

مؤلفاته

للعز بن عبد السلام مؤلفات كثيرة في التفسير وقواعد الأحكام، وفي الحديث والعقائد والأصول والفتاوي، والسيرة والتصوف فضائل الأعمال، وتربو مؤلفاته على ثلاثين كتابًا، أكثرها مخطوط.

ومن مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: شَفُّ الإشكالات عن بعض الآيات، ويلوح لي أنه هو الكتاب الذي قامت بطبعه وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، وكان عنوانه: (الفوائد في مشكل القرآن).

ومن مؤلفاته في علم الحديث: مختصر صحيح مسلم.

ومن مؤلفاته في العقائد: كتاب الأنواع في علم التوحيد، ويوجد في مكتبة برلين.

ومن مؤلفاته في علم الفقه الإسلامي: كتب في الصلاة والصوم ومناسك الحج، وأحكام الجهاد وفضله، واختصار النهاية في الفقه الشافعي، والجمع بين الحاوي والنهاية، والفتاوي الموصلية والفتاوي المصرية.

ومن مؤلفاته في أصول الفقه: قواعد الأحكام في مصالح الأنام.

ومن مؤلفاته في السيرة النبوية: بداية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ.

ومن مؤلفاته في التصوف: حل الرموز ومفاتيح الكنوز.

ومن مؤلفاته في فضائل الأعمال والعلوم المختلفة: شجرة المعارف، وأدلة الأحكام، والفتن والبلايا والمحن والرزايا، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام. وله وصية، منها نسخة بالمكتبة الظاهرية بالرقم ٥٢٥٨.

وقد وُصِفَ العز بن عبد السلام بأنه «رزق قسامة في الوجه ونعومة الأسارير، فهو مقبول الصورة، وكان مع ذلك جليلاً، وكان قوي الشخصية، ومع ذلك كان متواضعاً في مظهره بعيداً عن التكلف، لايتأثق لكاذب الحشمة ومألوف الوقار، حتى لم يكن يتقيد بلبس العمة على عادة العلماء والفقهاء، بل ربما لبس قبع لباد (طاقية الصوف) وكان يحضر المواكب السلطانية به.

وقد روى الاستاذ خير الدين الزركلي أن من أمثال مصر القديمة قولهم: (ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام)^(١)، وقال عنه أبو محمد عبد الله بن سعد الياضي في كتابه «مرآة الجنان»: (ومرتبته في العلوم الظاهرة مع السابقين في الرعيال الأول)^(٢).

مولده، ووفاته

ولد العز بن عبد السلام بدمشق ونشأ بها، ومولده كان سنة ٥٧٧هـ أو ٥٧٨هـ.

وكانت وفاته بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٦٠هـ ومشى في جنازته الخاص والعام وشيعة الظاهر، ولما بلغ خبر وفاته السلطان الظاهر بيبرس قال: (لم يستقر ملكي إلا الساعة، لأنه - أي عز الدين - لو أمر الناس في بما أراد، لبادروا إلى امتثال أمره).

أبو جعفر محمد بن علي السُّلَمي: مسند الشام

العباسي الدمشقي، كان مترهداً، حج مراراً وجاور وتفرد عن أبي القاسم ابن حصري، والبهاء عبد الرحمن، ورحل إليه.

توفي عن أربع وتسعين سنة، في عام ٧٠٨ هـ^(٣).

يحيى بن خضر السُّلَمي البصري

يُلَقَّبُ بِمَحْيِي الدِّينِ كَانَ يَعْمَلُ الْحَيَاكَةَ فِي بَيْتِهِ ، لَهُ نَظْمٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مَلِيحِ أَصَابِهِ رَمَدٌ :

لما بدا وعلى عينيه من رمد
شعرُ به ما لها شبه سوى الغسق

شعْرُ به ما لها شبه سوى الغسق

حسبته البدر فوق الجو يستره غيم وقد كحلت للشمس بالشفق

غيم وقد كحلت للشمس بالشفق

وله أيضاً في مثل ذلك :

(١) كتاب الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي، ص ١٤٥، الجزء الرابع.

(٢) امرأة الجنان لليافعي، وأئمة الفكر الإسلامي: العز بن عبد السلام - لرضوان على الندوي، من

ص ٧٢ إلى ص ٨٣، طبع دمشق.
(٣) مرآة الجنان، ص ٢٤٥، الجزء الرابع.

هيهات ما عينه محمرة رمدا
ولا بها مثل ما قال الوري ألم
لكن أراق دم العشاق ناظرها
وشاهد القتل في حد الحسام، دم
توفي سنة ٧١١هـ^(١).

سيف بن سليمان السُّلَمي

هو سيف بن سليمان بن كامل بن منصور بن علوان بن ربيعة، الموازني
السُّلَمي الزرعي القاضي شرف الدين، سمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر،
ومن غيرهما، وحدث واشتغل وولي القضاء بعدة بلاد.

وُلِدَ سنة ٦٤٣هـ، ومات بالقدس سنة ٧١٣هـ في شهر جمادى الأولى،
وكان مشكور السيرة، وله نظم قليل^(٢).

أبو بكر السُّلَمي

ابن محمد بن أحمد بن عترة السُّلَمي: كمال الدين بن شرف الدين.

سمع من إسماعيل بن عبد الرحمن القوصي، وحدث بالإجازة عن سبط
السلفي فأكثرُوا عنه جدا. وخرج له البرزالي جزءاً لطيفاً من عواليه. وحدث عنه
جماعة من شيوخ ابن حجر العسقلاني، وذكره أبو جعفر بن الكويك في معجم
ابن جماعة.

ولد سنة ٦٤٥هـ - ومات في ربيع الآخر سنة ٧٨٣هـ^(٣).

بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عرض بن عمر السُّلَمي الدميمري

عالم فقيه مالكي، مغربي، يُلقَّب بتاج الدين أبي البقاء، له ثلاثة شروح
على مختصر خليل، وله كتاب شامل في الفقه المالكي وغير ذلك من تأليفه.

ولد سنة ٧٣٤هـ - وتوفي سنة ٨٠٥هـ^(٤).

(١) درة الحجال - لابن القاضي، الجزء الثاني، طبع المطبعة الحديثة بالرباط سنة ١٩٣٤م، من مكتبة
الأستاذ خير الدين الزركلي.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لابن حجر العسقلاني، ص ١٨٣، الجزء الثاني، طبع
مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد دكن.

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لأحمد بن حجر العسقلاني، ص ٤٥٦، المجلد الأول، ط
دار الكتب الحديثة بمصر.

(٤) درة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القاضي، ص ١١٨،
الجزء الأول، طبع المطبعة الجديدة في رباط الفتح بالمغرب، بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي.

أبو البركات المعروف بابن الحاج البلفيقي السُّلَمي

من مشاهير القضاة بالأندلس، وهو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن خلف السُّلَمي، من ذرية العباس بن مرداس، فهو ابن عم عبد الملك بن حبيب المرדاسي السُّلَمي المترجم في هذا الكتاب.

ويعرف أبو البركات في بلدة بابن الحاج، وفي غير بلدة بالبليقي، و«بلفيق» حصن من عمل مدينة الرّية بالأندلس، ويبت أبي البركات بيت دين وفضل.

ذكر ابن الأبار جده الأعلى (أبا إسحاق) وأطنب في الثناء عليه بالخير والصلاح، وكان أبو البركات ممن نشأ على طهارة وعفاف، واجتهد في طلب العلم صغيراً وكبيراً، وعبر البحر إلى بجاية^(١) فأدرك بها المدرس المعمّر أبا علي منصور بن عبد الحق المشدّالي، وحضر مجالسه العلمية وأخذ عنه وعن غيره من أهلها، ثم قدم إلى مراكش وتجوّل فيما بينها من البلاد وأثار (آثر) السكنى بسبته، على طريقة جده إبراهيم الأقرب إليه، ثم عاد إلى الأندلس فأقام منها بمالقة واختص بخطيبها الشيخ أبي عبد الله الطنجالي، وروى عنه وعن غيره وقيد الكثير بخطه، ورام في ابتداء طلبه التشبه بالقاضي أبي بكر بن العربي في لقاء العلماء ومصاحبة الأدباء، والأخذ من المعارف كلها والتكلم في أنواعها، وكان كثير الضبط لحاله، مهتماً بالنظر في تسمير ماله؛ على رأي ابن سحنون الذي يقول: «ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده، ولا يتكلف أكثر مما في وسعه».

وكان أبو البركات يميل إلى القول بتفضيل الغنى على الفقر، ويبرهن على صحة ذلك، ويقول: «وبخصوص البلاد الأندلسية، لضيق حالها، واتساع نطاق مدنها، ولا سيما في حق القضاة فقد شرط كثير من العلماء في القاضي أن يكون غنيا، ليس بمدىان ولا محتاج».

(١) مدينة ساحلية في شمال أفريقيا (تقع في دولة الجزائر الآن).

ومن كلامه: (من اقتصر على التعيش من مرافق الملوك ضاع هو، ومن له وشمله القُلُّ، وخامره الذُلُّ، اللهم إلا من كان من القوة بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا إلى الحد الذي يكسبه الراحة بالخروج من متاعها، وترك شهواتها قليلها وكثيرها، مالها وجاهها، بأمر آخر، ومن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام، ولاسيما في هذا الزمان، ولم يسمع من الولاة المتقدمين في الأندلس إلا ما حكي عن إبراهيم بن أسلم، وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته، فقطع عنه جرائته فكتب إليه عند ذلك:

تزيد على الإقلال نفسي نزاهة وتأنس بالبلوى وتقوى مع الفقر
فمن كان يخشى صرف دهر فإني أمنت بفضل الله من نُوبِ الدهر

فلما قرأ الحكم بيتيه، أمر برد الجراية وحملها إليه، فأعرض عنها وتمنّع من قبولها، وقال: «إني والحمد لله، تحت جراية من إذا عصيته لم يقطع عني جرائته، فليفعل الأمير ما أحب».

فكان الحكم بعد ذلك يقول: «لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته، مخزاة عظم منا موقعها، ولم تسهل علينا المقارضة فيها».

تولى الشيخ أبو البركات القضاء في بلاد عديدة منها: مالقة صدر عام ٧٣٥هـ ثم نقل إلى قضاء الجماعة بحضرة غرناطة والخطابة فيها، ثم صير إلى مدينة المرية، ثم أعيد إلى قضاء الجماعة، واستعمل في السفارة بين الملوك فكان موفقاً في مهماته السياسية، وكان كثير الرحلات من قطر إلى قطر والتنقل من عمل إلى عمل، من غير استقرار في منزل أو محل ويقول في هذا المعنى عن نفسه:

ماذا تقول: فدتك النفس في حالي يفنى زَمَانِي في حلٍ وترحال

وكان شاعراً، وله ديوان كبير سماه: «العذب الأجاج»، وهي تسمية لطيفة تدل على ذوق أدبي وشعري مرهف، ولاسيما إذا علمنا أن ديوانه

يحتوي من ضروب الأدب جدا وهزلاً، وله كتاب سماه: «المؤمن في أبناء من لقيته من أبناء الزمن».

وفي مدينة المرية كان استقراره، إلى أن توفي فيها في شهر رمضان عام ٧٧٣هـ عن بنت أُمِّه، وعن أربع زوجات، وعاصب بعد.

نماذج من شعره

يقول ملغزاً:

وَمُصَفَّرَةٌ الْخَدَيْنِ مَطْوِيَةٌ الْحِشَا
عَلَى الْجَبْنِ، وَالْمَصْفَرُّ يُؤْذِنُ بِالْخَوْفِ
لَهَا بِهِجَةً كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَلَكِنَّهَا فِي حِينِهَا تَغْرُبُ فِي الْجَوْفِ

ويقول في كتمان السر وحكمته:

توهم أَنَّ الود غير حقيق
ولكني أخشى صديق صديقي

ويقول في الغربة وأسبابها وملابسها:

قالوا: تغربت عن أهل وعن وطن
قضى الأحبة والأهلون كلهم
أفرغت دمي وحزني بعدهم فانا
فقلت: لم يبق لي أهل ولا وطن!
وليس بعدهم سكنى ولا سكن!
من بعد ذلك لا دمع ولا حزن!

ويقول عن «إخوان الخيالة»:

رعى الله إخوان الخيانة إنهم
كفونا مؤونات البقاء على العهد
ولو قربوا كنا أسارى حقوقهم
نراوح ما بين النسيئة والنقد

ويقول متغزلا:

يلومونني بعد العذار على الهوى
ويقولون أَمْسِكْ عنه قد ذهب الصبا

ومثلي في حبي له لا يُفْنَدُ!
وكف أرى الإمساكَ والخيطُ أسود؟

ابن عشائر السُّلَمي

ولد محمد بن علي بن محمد السُّلَمي الحلبي أبو المعالي، ناصر الدين بن عشائر في سنة ٧٤٢هـ - الموافقة لسنة ١٣٤١م - وتوفي في سنة ٧٨٩هـ - الموافقة لسنة ١٣٨٧م، وهو حافظ مؤرخ، كان خطيب حلب، وسافر إلى القاهرة فتوفي بها، وله مصنفات منها: «ذيل على تاريخ حلب لابن العديم» في أربع مجلدات، و«تاج السرّين في تاريخ قنسرين»^(١).

أبو الفضل السُّلَمي

أحد علماء إفريقية الشمالية، ولعل اسمه وكنيته شيء واحد، ويكنى أيضاً أبا القاسم السُّلَمي الباجي وهو أحد فقهاء تونس المدرسين بها، قال أحمد القلقشندي: كان فقيهاً محققاً من أهل الدين والفضل والعلم التام. توفي بتونس أول المحرم عام ٧٧٠هـ^(٢).

حسن بن أحمد السُّلَمي المكي البزاز

هو حسن بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلى السُّلَمي المكي البزاز - بزاءين منقوطين - ويلقب: بدر الدين.

أجاز له جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري وغيرهم، وحدث وهو من شيوخ مكة الذين خرج لهم المحدث جمال الدين بن مرسى المراكشي، وصار كفيف البصر بأخرة، وكان يبيع الحرير والبزّ، ومن هنا لُقّبَ بالبزّاز^(٣)، وزاد السخاوي أنه يعرف بأبن سلامة.

مولده ووفاته

ولد حسن البزّاز السُّلَمي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بمكة، وتوفي في ليلة ثالث جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة، ودفن بالمعلاة^(٤).

(١) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي عن مصادره.

(٢) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، ص ٦٨١ و٦٨٢، الجزء الأول، القسم الثالث، طبع تونس.

(٣) في الضوء اللامع للسخاوي جاء لقبه هكذا: (البزاز) بالراء في الآخر، ولعله تحريف إما من الناسخ أو من الطابع. راجع الصفحة ٩٤، المجلد الثالث.

(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي، ص ٦٦ و٦٧، الجزء الرابع، والضوء اللامع للسخاوي، ص ٩٤، المجلد الثالث.

وله ترجمات في كتب عديدة، وعن ترجمه ابن ظهيرة والمقريزي وآخرون. وكان ذا هبة عظيمة، وذا نزاهة وقوة نفس وحشمة، وكان ذا دنيا متسعة، وكان كثير التودد إلى الناس، مَوْقِرًا عند الخاص والعام محببًا إليهم، وكان يُعْنَى بتحصيل نفائس الكتب، ولما استقل بالقضاء لَأَن جَانِبُهُ، مع تفضل على الطلاب بالإطعام، ومع مداراة لمن قد يقصر في حقه بالستر، مع قدرته على هتك ستره بالانتقام منه، ولم يعقب^(١).

محمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق السُّلَمي

جده الثالث هو: إبراهيم البدر بن الفخر بن التاج السُّلَمي المناوي ثم القاهري الشافعي، أخوه البهاء أحمد الماضي، استقر شريكًا له بعد موت أبيهما في تداريسه، وقد رأى السخاوي بخطه أنه يروي عن ابن عم والده: الصدر المناوي، وقال في ترجمته: «والظاهر أنه من أهل هذا القرن»، وأضاف قوله: «ثم رأيت من عرض عليه سنة ثلاث وثمانمائة»^(٢)، وبذلك تأكد أنه من أهل القرن الهجري التاسع الذي ترجم لهم السخاوي في كتابه وقصر تراجمه عليهم.

محمد بن مسعود السمرقندي السُّلَمي

صاحب التصانيف الكثيرة التي تزيد على مائتي مؤلف، وهو من أهل سمرقند.

أبو بكر السُّلَمي

هو أبو بكر آخر غير من سبقت ترجمته في هذا الفصل.

واسم أبيه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشرف بن التاج السُّلَمي المناوي الشافعي، ولد قبل سنة ٧٦٠هـ، وأجاز له ابن جماعة فهرست مروياته، واشتغل قليلاً، وقرأ (التنبيه) وسمع على البهاء بن خليل وغيره، وناب في الحكم عن ابن عمه الصدر محمد إبراهيم الذي تقدمت ترجمته في هذا الفصل، ودرس بعدة أماكن، وخطب بالجامع الحاكمي، وكان مُزَجِّج البضاعة.

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ص ٢٤٩ و ٢٥٠، الجزء

السادس، طبع بيروت.

(٢) الضوء اللامع، ص ١٤٩، الجزء الثامن

مات أبو بكر السُّلَمي هذا في جمادى الآخرة سنة ٨٠٩ هـ وقد قارب
الخمسين، وقال المقرئ: مات عن نحو الخمسين^(١).

محمد بن عثمان بن محمد السُّلَمي السويدي الدمشقي

سمع من ابن الشيرجي، جزء الانصاري، ومن علي بن موسى الصفدي،
والتقي بن رافع، وجماعة، ووقع في الحكم في ولاية البلقيني لقضاء دمشق،
وفاق أقرانه في ذلك. وقال ابن حجي: كان صحيح العدالة، محرراً عارفاً
بالشروط، انفرد بذلك في وقته، مع حسن خطه، وجودة ظبطه. وقد حَدَّثَ
قليلًا.

مات في ربيع الاول سنة ٨١٥هـ^(٢).

محمد بن عبد الله السُّلَمي

اسم والد أبيه المذكور: موسى بن رسلان بن زين الدين موسى بن إدريس
ابن موسى بن موهوب، البدر أبو عبد الله بن الجمال أبي محمد بن الشرف أبي
البركات السُّلَمي، بضم المهملة - الدمشقي الشافعي.

ولد في ذي الحجة ليلة عرفة سنة ٧٥٣هـ وحضر - وهو في الخامسة في
عاشر رمضان سنة ثمان وخمسين^(٣) على العماد بن كثير الحافظ، متقى من رابع
حديث سعدان بسماعه على الحجار، وسمع على محمد بن موسى بن سليمان بن
الشيرجي جزء الأنصاري مع الفوائد، وعلى الشمس محمد بن موسى بن سند
الحافظ، بعض المائة انتقاء العلاني من مشيخة الفخر، وحدثَ وسمع منه الفضلاء.

مات محمد بن عبد الله السُّلَمي في ذي الحجة سنة ٨٣٧هـ، أي في الشهر الذي ولد فيه بعد أربع وثمانين سنة من عمره المديد^(٤).

(١) الضوء اللامع، ص ٦٩، الجزء الحادي عشر.

(٢) الضوء اللامع، ص ١٥٠، الجزء الثامن.

(٣) العماد ابن كثير، توفي سنة ٧٧٤هـ. راجع الاعلام للزركلي، ص ٣١٧ و ٣١٨، الجزء الاول

(٤) الضوء اللامع، ص ١١٥، الجزء الثامن.

محمد بن حسن السُّلَمي

جده الأول هو: أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلى السُّلَمي المكي، مات في مكة سنة ٨٤٤هـ^(١).

منصور بن محمد بن عبد العزيز السُّلَمي

نسبُه السخاوي فقال: منصور بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان بن عمر السُّلَمي المتتاني - متنانة من أعمال بجاية بساحل الجزائر - البجائي المغربي المالكي.

ولد سنة ٨٦٥هـ، وحفظ القرآن المجيد ببلده، ثم تحول إلى بجاية في سنة ٨٧٨هـ فاشتغل في الفقه والأصولين والعربية والمنطق والفرائض والحساب وغيرها، وارتحل إلى تونس، وقدم القاهرة سنة ٨٧٩هـ ليحج فلم يتيسر له، وتخلف عن الحج، وكتب السخاوي له أجازة، وكان والده محمد حياً إذ ذاك، وكان يقرئ الناس في البادية، وحينما ترجم السخاوي لمنصور هذا كان عمره قد بلغ ٦٥ عاماً^(٢).

أحمد بن محمد بن علي بن محمد

الشهاب، السُّلَمي، المنصوري، الشافعي ثم الحنبلي

يعرف المترجمُ بابن الهائم وبالمنصوري، و«المنصوري» نسبة إلى المنصورة بمصر.

ولد ابن الهائم في سنة ٧٩٨هـ، وقال فيما كتبه: إنَّ مولده كان سنة ٧٧٩هـ، وبلغه أنه قبيل القرن ييسير في المنصورة، ونشأ بها فحفظ القرآن ثم انتقل منها إلى القاهرة، فحفظ التنبيه ولمحة في النحو: (لمحة الإعراب) ودرس التنبيه على الشرف عيسى الأقفهسي، وألفية ابن مالك على الشمس بن الجندي، وسمع الحديث على شيخ السخاوي والرشيدي، وتنزل في حنابلة الصوفية بالشيخونية، وتعانى الأدب، وطارح الشعراء، وصار بأخرة أوحد شعراء القاهرة

(١) الضوء اللامع، ص ٢١٨، الجزء السابع.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٢، الجزء العاشر.

مع عدم تقدمه^(١) في الفنون، حتى كان العز قاضي الحنابلة - وناهيك به - يرجحه على كثيرين، وقد حج وامتدح النبي ﷺ بعدة قصائد.

وقال في مولودٍ وَلِدَ للسخاوي، يهنؤه به:

لِيَهْنِكَ شمسَ الدينِ فَرْعُكُ مشبهٌ سجايك، والقطر الشهيُّ من الطَّخَا
وذلك من جود الإلهِ وفضله ففرعك من جود^(٢) وأصلك من سخا

وإذا كان هذا «نموذج» روائع شعر ابن الهائم السُّلَمي في نظر السخاوي ومعاصريه من أهل القرن التاسع الهجري - وقد قال السخاوي في شعره: (صار بأخرة، أوجد شعراء القاهرة) - فإن الشعر في ذلك العصر، عامة كان في دركة منحطة.

وعجيبٌ أن يضيف السخاوي إلى وصفه لابن الهائم بالأوحدية بين شعراء القاهرة، قوله: (مشاركاً إليه بالشعر في الآفاق) إذ مفهوم ذلك أنه كان في نظر معاصريه من أعلام شعراء الآفاق، مشاركاً إليه بينهم برفعة الشاعرية والإبداع فيها والإمتاع.

مات ابن الهائم بعد انقطاعه يوم الإثنين، سادس جمادى الآخرة سنة ٨٨٧هـ^(٣).

ابن الحاج السُّلَمي

هو: الطالب بن حمدون بن الحاج حمدون السُّلَمي، المعروف بابن الحاج، وهو مغربي الموطن على ما يبدو من اسمه، وله من المؤلفات: «حاشية على شرح بَحْرَقَ على لامية الأفعال لابن مالك»^(٤) وكتابُ «العقد الجوهري، من فتح الحي القيوم في حل شرح الأزهرى على مقدمة ابن آجروم»، وهي حاشية على شرح الشيخ خالد الأزهرى على الآجرومية، أتمها سنة ١٢٦٩هـ^(٥).

(١) مما يسترعي الانتباه، استعمال محمد بن عبد الرحمن السخاوي وهو من أهل القرن الهجري العاشر لصيغة: (التقدم) في المعنى الذي تستعمل له في العصر الحديث وفي الأدب الحديث.

(٢) في طبعة أوفست كونروغرافير، بيروت، ما نصه: (ففرعك) بالقاف بعد الفاء، وواضح من سياق البيت أن الصحة: (ففرعك) بفاءين كما أثبتناه.

(٣) الضوء اللامع، ص ١٥٠ و ١٥١، الجزء الثاني.

(٤) طبعت بفاس في سنة ١٣١٥هـ وبمصر.

(٥) معجم المطبوعات العربية والمعرية ليوسف إلان سركيس، ص ٧٠.

محمد بن حمدون المرداسي السُّلَمي

عالم جليل من فاس بالمغرب الأقصى، له مشاركة في العلوم وكُتِبَ كثيرة منها: «النشر على مبادئ العلوم العشر» و«الإشراف على من مات بفاس من مشاهير الأشراف».

توفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م.

وقال عنه صاحب «معجم المؤلفين» استناداً إلى «معجم المطبوعات العربية والمعرية» لإليان سركيس وعلى «فهرس المكتبة التيمورية» بمصر، و«فهرس دار الكتب المصرية» - إنه «نَظَمَ» «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» و«حواشي عليه» لابن هشام، مع شرح النظم للمؤلف.

وقد راجعنا ما ورد في «معجم المطبوعات العربية والمعرية» فإذا الأمر كما ورد في معجم المؤلفين، وقد أضاف إليان سركيس إلى ما ذُكر قوله: «وبأوله ترجمته، وإنه - أي الكتاب الذي نظم به أوضح المسالك طبع بفاس سنة ١٣١٨هـ» (١).

علامات من بني سُلَيْم

مشاركة النساء للرجال في العلوم الإسلامية وعلم الحديث النبوي خاصة أمر سارت بذكره الركيان، بل إن النساء بالنسبة لعلم الحديث خاصة قد كنَّ في طليعة رواته عن النبي ﷺ، وتدوين علم الحديث وطبقات رواته من صحابة وصحابات ومن تابعين وتابعات ومن جاءوا أو جئن بعدهم، طفحت به الكتب المتعبرة من قديم الزمان.

وكثيراً ما نجد من حُفَّاظ الحديث ورجاله ممن يشار إليهم بالبنان، من يذكر في مشايخه وإسناده بعض النساء المزيكات في الورع والرواية والدراية، ومن يراجع أسفار هذا العلم يجد الشواهد تترى على ما قلناه.

وفي أثناء تجوالنا بين المصادر القديمة والحديثة وجدنا امرأة واحدة من بني سُلَيْم، قد أسهمت في هذا الميدان فأدرجناها في هذا الفصل.

(١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ص ٢٧٠، الجزء التاسع، ومعجم المطبوعات العربية والمعرية،

ص ٧٠، طبع مطبعة سركيس بمصر سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

أما «قيس» فتقول غير ذلك، إنها تقول: إن قاتل ربيعة بن مكرم هو نبیشة ابن حبيب السلمي، وكان أهبان أخاً لنبیشة لأمه، وكان أتابه زائراً، وأغار ربيعة بن مكرم على بني سليم، فخرج أهبان مع أخيه لأمه: نبیشة، فحمل أهبان على ربيعة بن مكرم فقتله، وحمل أخو ربيعة بن مكرم على أهبان فقتله. وفي تأييد ما تدعيه خزاعة من أن أهبان لا نبیشة هو قاتل ربيعة يقول أهبان:

ولقد طَعَنْتُ رَيْبَعَةَ بْنَ مَكْرَمٍ يوم الكَدِيدِ فَخَرَّ غَيْرَ مُوسِدٍ
في عارضِ شَرْقِ بناتِ فُؤَادِهِ عنه بأحمر كالنَّقِيعِ المُجَسَّدِ
ولقد وهبتُ سلاحه وجواده لأخي: نُيْشَةَ قبل لومِ الحُسَدِ^(١)

وهكذا تَرَكْنَا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، في متاهة حول البطل الحقيقي لهذه المسرحية - مسرحية قتل ربيعة بن مكرم - أهي من نسج يد أهبان الخزاعي، أم هي من صنع نبیشة السلمي!

إن «المبرد» في هذه القصة لم يأت لنا بالخبر الواضح الفصل، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تناقض ما ورد في حقيقة قاتل ربيعة بن مكرم، فهي قصة تدور حول أهبان الخزاعي ونبیشة بن حبيب السلمي، ولعل السبب في هذا «الخلط» يعود أيضاً إلى القرابة التي بين أهبان ونُيْشَةَ من جهة الأم التي ولدتهما معاً وهي سلمية.

هذا، وقد نص ابن دريد على أن قاتل ربيعة بن مكرم الكِنَانِي هو نبیشة بن حبيب^(٢).

مرداس بن أبي عامر السلمي

هو والد عباس بن مرداس الصحابي الشاعر الفارس البطل، ووالد أبي عامر جد عباس هو: رفاعه وقيل جارية بن عبد بن عبس بن رفاعه بن الحارث بن بهثة ابن سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس عيلان بن مُضَرَ^(٣).

وكان مرداس ممن حضر يوم شعب جبلة في صف بني عامر من هوازن بن منصور وأبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً.

(١) الكامل للمبرد، ص ٨٩ و ٩٠، الجزء الرابع، طبع مطبعة النهضة بمصر.

(٢) الاشتقاق - لابن دريد، ص ٣١١، طبع مطبعة السنة الحمديد بمصر، سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

(٣) مقدمة ديوان العباس بن مرداس ليحيى الجبوري، ص ١، طبع بغداد، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

ولمرداس هذا بيتان في حادث تعميره (الْقُرْيَة) التي لا نستطيع تحديد موقعها بالدقة الآن، وربما تسعفنا بها المصادر فيما بعد - هو وحرب بن أمية شريكه في هذه الشركة الاقتصادية المساهمة، يقول:

إني انتخبْتُ لها حرباً وإخوته إني بحبل وثيق العقد دساسُ
إني أقومُ قبل الأمر حجتَه كيما يقال: وليَّ الأمر مرداسُ^(١)

وفي هذين البيتين عدة فوائد، منها مرداساً هو الذي دفع حرباً إلى العمل معه في زراعة الغيضة التي آصت مكاناً صالحاً للزراعة فسُميت (الْقُرْيَة) وعُرفت بهذا الاسم، ومنها أن مرداس بن أبي عامر قد احتاط لأمر نجاح الشركة والعدل فيها فأشرك مع حرب وإخوته، ولم يكتف بذلك بل أبرم بينه وبينهم عقداً ربما كان مكتوباً، ولذلك قال: إنه يُقَوِّمُ للأمر حجتَه وبرهانه قبل مباشرته، ليقال: إن وليَّ هذا الأمر الناجح وهذه الشركة الناجحة هو مرداس الحصيف الذي لا يمكن أن يُخدَع أو يُغرر به.

ولعباس بن مرداس ترجمة في كتاب «معجم الشعراء» للمرزباني، وقال عنه: يكنى أبا الهيثم، ويقال: أبو الفضل، وأضاف أنه «أحد فرسان الجاهلية وشعرائهم المذكورين وفد على النبي ﷺ ومدحه، فأسلم، فأعطاه مع المؤلفه قلوبهم» وقال عنه وهو القائل:

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي احتفي كان فيها أم سواها

وهذا البيت من جملة أبيات قالها موجهاً «الإنذار» فيها إلى خصمه ومنافسه خُفاف) وهي:

ألا من مُبْلِغٍ عني خُفافاً ألوكا بيت أهلك منتهاها
أنا الرجل الذي حُدِّثَ عنه إذا الخُفَرَاتُ لم تَسْتُرْ بُراها
أشدُّ على الكتيبة لا أبالي احتفي كان فيها أم سواها

(١) مقدمة ديوان العباس بن مرداس السلمي - للدكتور يحيى الجبوري نقلاً عن مصادره، ص ١ و ٢ و ١٠٨، طبعة بغداد.

ولي نفسٌ تنسوق إلى المعاني سَتَنَفُّ أو أبلَغَهَا منها^(١)
و«الألوك»: الرسالة، و«برأها»: ريستها، وكل حلقة من سوار وقرط
وخلخال وما أشبهها: برة.

العباس بن أنس الأصم السلمي

هو من فرسان الجاهلية وشجعان العرب، وله ذكر في وقائعهم^(٢).

عمرو بن رياح - الشريد السلمي

من سادة سُليَم بن منصور، وهو والد الخنساء وصخر ومعاوية ومالك،
اعترف له العرب بشرف المكانة.

ووالده: رياح بن عمرو، وقد غلب عليه لقب «الشريد» لقوله:

تولى إخواني وبقيت فرداً وحيداً في ديارهمو شريداً^(٣)

وقد أورد المؤرخون قصة النعمان بن المنذر مع كسرى ملك الفرس، وكان
كسرى طعن في شأن العرب ورد عليه النعمان في ذلك، في بيان عربي فصيح
مؤدب. مما استوجب إعجاب كسرى ببيانه وكِسْوَتِهِ، ولكن النعمان شعر من فحوى
كلام كسرى في توهين أمر العرب والخط من كرامتهم، أن وراء الأكمة ما وراءها،
فلما غادر إلى الحيرة رأى أن يبعث إلى نفر من سادة العرب يدعوهم للحضور
إليه، وكان من بينهم عمرو بن الشريد السلمي، وقد حدثهم النعمان بما كان من
أمر كسرى ومقاله، وقال لهم: قد سمعت من كسرى مقالات تَخَوَّفَت أن يكون
لها غَوْرٌ، ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خَوْلاً - عبيداً - كبعض
طماطمته - أي قومه الذين في لسانهم عجمة ولا يفصحون - في تأديتهم الخراج
إليه، وقد استحسّن الحاضرون من رؤساء العرب كلام النعمان ورأيه ووافقوه في
اتباع ما ينصح به، فَبَيَّنَ لهم أن من رأيه أن «يسيروا بجماعاتهم إلى كسرى، وأن
يتكلم كل منهم بما حضره من الكلام المرتجل، لكي يعلم كسرى أن العرب على
غير ما يظن أو تحدّثه نفسه به، على أن لا ينطق أحد منهم بما يغضبه ولا ينخلولوا -

(١) معجم الشعراء للمزدباني، ص ١٠٢ و ١٠٣؛ وديوان العباس بن مرداس، ص ١١٠.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - لجواد علي، ص ٢٦١، الجزء الرابع، طبع دار العلم
للملايين في بيروت؛ وكتاب الاشتقاق، ص ٣١١.

(٣) البيان والتبيين - للجاحظ، ص ٢٨٩، الجزء الأول، طبع المطبعة الرحمانية بمصر.

ينخذلوا - انخزال - انخذال - الخاضع الذليل . وكتب معهم كتاباً إلى كسرى يخبره فيه بأنه أوفد إليه رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم، لِيَسْمَعَ منهم ويكرمهم بإكرامهم وتعجيل سراحهم، وقال له: إنه قد نسبهم في أسفل كتابه إلى عشائهم، فخرج القوم بعد أن كساهم النعمان بما في خزانته من طرائف حلل الملوك؛ كسا كل رجل منهم حلة وعممه عمامة . وختمه بياقوته، وأمر لكل واحد منهم بنجبية .

ودخلوا على كسرى، وأذن لهم بالكلام، فتتابعوا في خطبهم المرتجلة: أكرم ابن صيفي، فحاجب بن زرارة التميمي، فعمر بن الشريد السلمي، وقال له عمرو ابن الشريد: (أيها الملك نعم بالك، ودام في السرور حالك، إن عاقبة الكلام متدبرة، وأشكال الأمور معتبرة، وفي كثير قلة، وفي قليل بُلغة، وفي الملوك سورة العز، وهذا منطلق له ما بعده، شرف فيه من شرف، وخمل فيه من خمل، لم نأت لضيْمك، ولم نَفِدْ لسخطك، ولم نتعرض لرفدك، إن في أموالنا مُتَقَدًّا، وعلى عزنا معتمدًا، إن أوزينًا نارا أنقبتنا، وإن أروء - رفق - دهر بنا اعتدلنا، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون، ولمن رامك كافحون حتى يُحمد الصدر، ويُستطاب الخبر).

وقد أجابه كسرى بقوله: «ما يقوم قصد منطقك بإفراطك، ولا مدحك بذمك».

عباس بن رعل السلمي

كان عباس هذا أحد القادة في حرب الفجار التي وقعت بين قريش وأحلافها من الأحابيش، وبين قيس عيلان ومنهم بنو سليم، وكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش وكنانة ومن ضوى إليهم، ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس، فقتلوه قتلًا ذريعًا، حتى نادى عتبة بن ربيعة يومئذ - وإنه لشاب ما كملت له ثلاثون سنة - إلى الصلح، فاصطلحوا على أن عدوا القتلى، وودت قريش لقيس ما قتلت فضلاً عن قتلهم، ووضعت الحرب أوزارها. وقد حضر النبي ﷺ مع عمومته هذه الحرب ورمى فيها بأسهم، وكان عمره يومئذ عشرين سنة، وكان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة، وقالت العرب في الفجار - كدأبها في هذه المواقف - أشعاراً كثيرة^(١).

(١) الطبقات الكبرى - لمحمد بن سعد، ص ١٢٧ و ١٢٨، الجزء الأول.

بمهاجمتهم، وحَمَلَ (يوسطنيان) سفيره الآنف الذكر، إلى (السميفع أشوع) رجاءً آخر. هو طلب موافقته على تعيين رئيس عربي اسمه (Kaisos) - (قيس) - عاملاً: (فيلارخا) (Phyiarch) على قبيلة عربية تدعى: (معديني) - (Maddeni) أي قبيلة (معد) ليشترك معه، ومع عدد كبير من أفراد هذه القبيلة بمهاجمة الساسانيين (الفرس).

وقد رجع سفير (يوسطنيان) مغتبطاً بنجاح مهمته، معتمداً على الوعود التي أخذها من العاهلين: «النجاشي» ملك الحبشة، و«السميفع أشوع» حاكم اليمن، غير أنهما لم يفعلوا شيئاً مما تعهدا به للسفير، فلم يغزواً الفرس، ولم يعين (السميفع أشوع) «قيساً» - (فيلارخا) - أي عاملاً على قبيلة معد.

وقد وصف المؤرخ (بروكوبيوس) (Kaisos) (Caisus) (قيساً) بأنه كان شجاعاً ذا شخصية قوية مؤثرة، حازماً، من أسرة سادت قبيلة معد، وقتل أحد ذوي قرابة (السميفع أشوع) (Esimiphaeus) (Esimaphaios) فتعادى معه - فعاداه - بذلك حتى اضطر إلى ترك دياره والهرب إلى مناطق صحراوية نائية، فأراد القيصر أن يشفع له لدى (Esimaphaios) ورجاه أن يوافق على إقامته رئيساً (Phylarch) على قبيلة معد.

وهناك رواية لابن إسحاق جاء فيها أن أبرهة عيّنَ محمد بن خُزاعي عاملاً له على مَضَرَ، وأنَّ (قيساً) كان يرافق أخاه محمداً حين كان في أرض كِنانة، فلما قُتل (محمد) فرأى - فر - إلى أبرهة^(١).

ولعلنا نستطيع من تحليل الحوادث السالف ذكرها أن نتوصل إلى تقرير هذه النظرية أو هذه النتيجة: وذلك أنه لما لم يقبل (السميفع أشوع) حاكم اليمن وساطة القيصر (يوسطنيان) في تعيين قيس السُّلمي فيلارخاً - عاملاً على قبيلة معد - أي

(١) في المحبر - لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي، ص ١٣٠، طبعة حيدر آباد دكن، اسم محمد ابن خُزاعي هذا، وقد وضعه في فصل: (المسمون بمحمد لما كان يبلغهم أنه يبعث في العرب نبي يقال له «محمد» فجعل الله النبوة لمحمد ﷺ). وقد أفادنا «المحبر» بسلسلة نسب محمد بن خُزاعي هذا، فهو (محمد ابن خُزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السُّلمي)، وقال عنه: (وكان في جيش أبرهة مع الفيل، وفي ابن إسحاق أن أبرهة عين محمد بن خُزاعي عاملاً له على مصر)، «المفصل»، ص ١٧٣، الجزء الرابع.

بقبيلة معد، و«معد» والد قبائل لا قبيلة واحدة، وربما كانت رئاسة قيس للقبيلة المذكورة بعد مقتل أخيه محمد بن خُزاعي وقبل فراره هو إلى أبرهة أو بعده، وقد أرسل قيس ابنه معاوية إلى (يوسطينيان)، وأعطى القيصر الإمارة لمحمد بن خُزاعي أخي قيس ثم لابن قيس، وكانت هذه الإمارة على فلسطين^(١)، وربما كان هذا كله بعد إخفاق وساطة القيصر لدى «السميفع أشوع» حاكم اليمن في تنصيب قيس «فيلارخا» - عاملاً على قبيلة بني سُلَيم أو على «قيس» المعديّة كلها.

هذا، وبمراجعة لعمود نسب حكيم بن أمية السُلَيمي الذي سبقت ترجمته في هذا الفصل والذي نصب نفسه «محتسباً» في مكة، وفي زمن الجاهلية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطارد المُجَانَّ والعابثين والسفهاء ويُجْلِيهِمْ عن مكة - وجدناه هكذا: (حارثة - وهو جد حكيم الأول - ابن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة السُلَيمي).

وقيس - على ما نرى ويُلمَّحُ إليه صاحب كتاب «المفصل» في تاريخ العرب قبل الإسلام - سُلَيميٌّ، وإذا تأملنا نَسَبَهُ فإننا نجدُه هكذا: (قيس بن خُزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة السُلَيمي).

وفي البيان المقارن التالي يتضح أن «حكيمًا» و«قيسًا» متساويان في عدد الآباء إلى جدهما: (مرة بن هلال):

(١) (٢) (٣) (٤)

١ - حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة.

(١) (٢) (٣) (٤)

٢ - قيس بن خُزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - لجواد علي، ص ١٧٣ و ١٧٤، الجزء الرابع. وفي الجزء الثالث منه ص ٤٩٢، أن يوسطينيان عين (حرثم بن جبلة): الحارث بن جبلة، عاملاً (فيلارخا) على عرب السرسين (Saracens) بفلسطين وإنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية وتمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها، وكان شديدًا على المخالفين.

حاجتك! فقال له عمرو: «حاجتي صلة مثلي»، فأعطاه ما ذكر آنفاً، وأضاف إلى عطيته السالفة غلاماً خبازاً، فلما خرج عمرو من عنده قال له أهل المجلس: كيف وجدت صاحبك؟ قال: لله درُّ بني سُلَيْم؛ ما أشدَّ في الهيجاء لقاءها، وأكرم في الأواء عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها، والله يا بني سُلَيْم لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبنَّاكم، ولقد هاجيناكم فما أفحمنَّاكم، وقد سألناكم فما أبخلناكم^(١)، وقال شعراً منه:

فله مستولاً نوالاً ونائلاً وصاحب هَيْج يوم هَيْج مجاشع^(٢)

وجاء في رواية أخرى أن مُجاشعاً أمر لعمر بن معد كرب بعشرين ألف درهم وفرس عتيق جواد وسيف صارم وجارية نفيسة، فمر ببني حنظلة (من تميم) فقالوا له: يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك؟ فقال: لله درُّ بنو سُلَيْم، ما أشدَّ في الحرب لقاءها، وأجزل في اللزبات عطاءها، وأحسن في المكرمات ثناءها، ولقد قاتلتها فما فلتلتها، وسألتها فما أبخلتها، وهاجيتها فما أفحمتها^(٣).

وهاتان الروايتان، وإن اختلفتا شكلاً ولفظاً فهما متفقتان موضوعاً ومعنى.

يزيد بن معن السُّلَمي

من الحديث التالي الذي دار بين يزيد ومعاوية يبدو لنا أنه كان أثيراً لدى معاوية، فقد قال له حينما شق عليه سقوط مقامه: والله ما بلغ أحد سنك إلا كرهَ بعضه بعضاً، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك، فطابت نفس معاوية بهذه الكلمة^(٤)، ولا بد أن معاوية كان يركن إلى رأيه ولذلك استحسَن قوله، فهو إذن بمثابة مستشار خاص له فيما نفترضه ما ذكر.

طُرَيْفَةُ بن حَاجز السُّلَمي

من أمراء الإسلام في بني سُلَيْم في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

(١) أي فيما وجدناكم جبناءً، ولا مفحمين ولا بخلاء.

(٢) العقد الفريد - لابن عبد ربه، ص ٦٦ و ٦٧، المجلد الثاني، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر

بمصر.

(٣) لباب الآداب - لأسامة بن منقذ، ص ٣٤٩ و ٣٥٠، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٤هـ -

١٩٣٥م.

(٤) البيان والتبيين - للجاحظ، ص ٦٦، الجزء الأول.

قومًا يحدثوني سواهم، فوجد ببابه أبا الأعور ومعن بن يزيد بن الأخنس ونصر بن الحجاج بن علاط السلميين، فأدخلهم، فخاطبهم معاوية وخاطبوه بكلام طويل، ثم أمر بإخراجهم، فكتب إليه أبو الأعور:

ل فتلك التي مثلها يلتمس	مُعَاوِيَا أَمَا التَّمَسْتَ الرِّجَا
ر من الكاشفي عنك ما قد لبس	فقد أمكنك لعمري الأمو
وهم تطاول فيه النفس	من إيراد أمر، وإصداره
ومدّ الدلاء وجرّ الفرس	فلما تُرِدْنَا لِهَنِي الْجِمَال
ل فليس بنا - يا ابن هند - خرس ^(١)	وإطرقنا بعد ثني السوا

وأبو الأعور جد عبيد السلميّ أو «عبيدة» والي أفريقية أو عم أبيه، واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأوقص بن مرة بن هلال. وكان أبو الأعور أحد قواد معاوية بن أبي سفيان^(٢).

ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» أنه يُعدُّ في الصحابة، ولكن أبا حاتم الرازي أنكر ذلك وقال: لا يضح له صحبة ولا رواية، وكان من أشد الناس على عليٍّ - رضي الله عنه، وحدث بقصة هزيمة حُنين، وكان عليٌّ يذكره في القنوت، في صلاة الغداة يقول: «اللهم عليك به» مع قوم يدعو عليهم في قنوته.

عمير بن الحباب السلميّ

هو عمير بن الحباب بن جعدة، رأس القيسية في العراق وأحد الأبطال الدهاة.

كان عمير ممن قاتل عبيد الله بن زياد الأموي مع إبراهيم بن الأشتر النخعي بالخازر، ثم أتى قرقيسيا خارجًا على عبد الملك بن مروان، وتغلّب على نصيبين، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها، ونشبت بينه وبين اليمانية وبني كلب وتغلّب - وقائع منها يوم ماكسين ويوم الثرثار الأول ويوم الثرثار الثاني

(١) مخطوطة «من سمي من الشعراء عمراً» - لابن الجراح، ص ٥٤ - ٥٥، بمكتبة الدكتور عزت حسن المدير العام للمكتبة الظاهرية بدمشق.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ص ٦٣٦، المجلد الثاني، طبع بيروت، وجمهرة أنساب العرب - لابن حزم،

والفدين والسكر والمعارك والشرعية والبليخ ويوم الحشاك، وهذا اليوم الأخير - يوم الحشاك - هو الذي قُتل فيه عمير بن الحباب السُّلمي. قتله بنو تغلب^(١). وكان بطل هذه الوقائع كلها.

وقد استشهد «المبرد» بقول عمير بن الحباب السُّلمي:
أنا عمير وأبو المُغَلَّس وبالقناة مارني مَدْعَس

استشهد به على أن معنى: (دعسه بالرمح: طعنه).

وكان مقتل عمير بن الحباب سنة ٧٠هـ - ٦٩٠م^(٢).

عبيدة (أو) عبيد بن عبد الرحمن السُّلمي^(٣)

هو أخو الأعور السُّلمي أو ابن أخيه، هكذا نسبوه، وأرى بناءً على ما سبق عن أبي الأعور أن المناسب أن يكون عبيدة، حفيده أو ابن عم أبيه.

قدم عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن السُّلمي إلى «إفريقية» في سنة عشر ومائة، وألّا عليها من قبل هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي بدمشق.

وقد حدث موسى بن أشعث عن قصة مقدم عبيدة أو عبيد من المشرق إلى المغرب - كما شاهدها - وهي قصة طريفة ومثيرة تغبر عن نفسية عبيدة أو عبيد السُّلمي وعن اتجاهاته وأخلاقه، وخاصة في الفقرة التي يخاطب فيها الأمير عبيدة أو عبيد هذا الرجل الذي يقابله مصادفة وهو على مداخل القيروان، وأعني به موسى بن الأشعث فيقول له: (أنا أميرك عبيدة بن عبد الرحمن)، وهذا اعتزاز واضح بالنفس وبالمنصب، لعله هو الذي حمله على أن ينكل بكبار الناس في أفريقية عقب مباشرته لأعمال منصبه، وكان من هؤلاء «أبو الخطّار» ابن ضرار

(١) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي، ص٢٦٤، المجلد الخامس، طبع مصر، الطبعة الثانية.

(٢) الكامل للمبرد، ص٣٩، الجزء الأول طبع مطبعة نهضة مصر.

(٣) في كتاب جهمرة أنساب العرب، لابن حزم، ورد اسمه هكذا: «عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور»، وقال عنه: «ولّي أفريقية». وكذلك اسمه عند ابن خلدون، ففي كتاب العبر لابن خلدون، أنه: «عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور السُّلمي»، ص٦٣٦، المجلد الثاني. وفي تاريخ أفريقية والمغرب للرقيق القيرواني، ص١٠٤ ورد اسمه (عبيدة) بالتاء المربوطة، وفي الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى - لأحمد بن خالد الناصري، أنه «عبيدة بن عبد الرحمن السُّلمي» أيضاً وأنه «ابن أخي أبي الأعور السُّلمي وقبل ابن ابنه»، ص١٠٤، المجلد الأول، طبع دار الكاتب بالدار البيضاء بالمغرب الأقصى.

الكلبي المجاهد السريّ الكريم والشاعر الفحل، وقد حمل عليه أبو الخطّار حبال تنكيله به في نفسه، فأرسل - سرّاً - قصيدته السياسية المثيرة العنيفة إلى الخليفة هشام، فلما قرئت عليه استشاط غضباً على عبيدة وعزله عن ولاية أفريقية ووكّى مكانه أحد الموالى مما سيأتي تفصيله، ونحن نعلم ما كان قد حدث بين قيس - ومنهم بنو سلّيم معشر عبيدة - وبني كلب من قتال ضارٍ في «مرج راهط» وعقاييل ذلك، ولعل هذه الحرب الضروس التي انهزمت فيها قيس ووقعت فيها مقتلة عظيمة منهم، كانت السرّ الدفين وراء حرد عبيدة على أبي الخطّار، ونحن نعلم أيضاً مكانة بني كلب في الدولة الأموية منذ تزوج معاوية ابنتهم ميسون وأولدها يزيد بن معاوية، ومنذ ناصرُوا الأمويين وأيدوا خلافتهم ضدّ عبد الله بن الزبير، وضدّ أشياعه الكثر في الشام حتى وضعوا في يد الأمويين صولجان الخلافة أو الملك، فلا غرو أن يأخذ هشام - وهو ابن عبد الملك - الخليفة أو الملك الذي ساعدته بنو كلب بإصرار على تولية الحكم ومشت في ركابه حتى آخر الشوط ضد خصمه الألدّ في مكة: عبد الله بن الزبير، وضد مناصريه القروم من قيس ومنهم بنو سلّيم، لا غرو أن يأخذ بناصر أبي الخطار الكلبي فيستشيط غضباً للإهانة التي لحقته فيعزل الوالي السّلميّ الجريء المتهور: عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن الذي تجاوز حده، فقسا على أبي الخطّار الكلبي.

بعد هذه المقدمة، ها نحن أولاء ننقل لك ما دار بين عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن السّلميّ أمير أفريقية وموسى بن الأشعث من حوارٍ، قال موسى بن الأشعث:

«خَرَجْتُ من منزلي إلى الرملة، وكانت سكةً للبريد، فبينما أنا متوجه نحو القيروان إذ أنا بركب ثمانية على دواب البريد، فتصدت للقائهم، فإذا قوم سرّاة، أجد عرف المسك كلما ضربت الريح إليّ منهم، فسلم أحدهم وهو من أحسنهم هيئة وملبساً ومركباً، فرددت عليه السلام، وقال: سرّ هاهنا!.. فملت إليه أخذاً معهم نحو القيروان، فسألني عن بعض حديث الناس والبلد سؤال من لا يعرف البلد، فقلت: إذا توالى الغيوث فالواحد مائة قال: ينبغي أن يكون فحصاً مسنّناً، يعطي عامّاً في أعوام، قلت: أجل! وقد سألتني فأخبرتكَ، وأنا أحبُّ - أصلحك الله - أن أعرف من أنت؟ فإني أرى شارةً، قال: (أنا أميرك عبيدة بن عبد الرحمن)

عاقبته العزل السريع العنيف من قبل هشام، وكما قال زهير بن أبي سلمى
شاعر مزيّنة:

ومن لم يُصانع في أمور كثيرة يُضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

عبد الله بن خازم السلمي

يكنى أبا صالح كان شجاعاً صنديداً وفارساً مغواراً وقائد حرب مُحَنِّكاً،
وكانت أمه سوداء، فهو من هذه الناحية يماثل خُفاف بن ندبة الذي كانت أمه
(نُدْبَةُ) سوداء، وكان أقوى الناس أيذاً وأعظمهم بسالة، وقد وُصِفَت قوته البطولية
الخارقة فقليل كان أقوى من الأسد؛ وذلك لأنه فتح مدينة وحده!، كان على
خراسان عشر سنين، وكان الحشرج بن الأشهب جمع له جموعاً وغلب على
قَهستان، فسار إليه عبد الله بن خازم، فقتله وأخذها منه، ثم فتح الطبيين، ثم ثار
به أهل خراسان من العرب وقتلوه وفخر صريعاً بالمعركة.

ولما قدم قَتِيبَةُ بن مسلم الباهلي خراسان، أبلغ الناس بقوله: «من كان في
يديه شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه، وإن كان في يده فليلفظه، وإن كان
في صدره فلينفثه». وقد عجب الناس من حسن ما فَصَّلَ وَقَسَّمَ، ثم غبر بعد
ذلك عيال عبد الله بن خازم، وما بخراسان أحسن حالاً منهم^(١).

ويبدو لي أن حسناً السندوبي قد دخل عليه وهم في تحقيقه الذي شرح به
سيرة عبد الله بن خازم، فقد ذكر فيما ذكر أن (قَتَلَهُ بالمعركة كان في عهد معاوية
سنة ٥٦هـ)^(٢)، والواقع الذي يقرره التاريخ الصحيح أن عبد الله بن خازم كان
والي خراسان لعبد الله بن الزبير، وحاول عبد الملك بن مروان أن يستميله إليه
بمختلف وسائل الإغراء السياسي والمادي فلم يقبل نقض بيعته لابن الزبير، وأصرَّ
عليها كل الإصرار، فلما يش عبد الملك من اجتذابه إليه سلط عليه تيار دهائه
فجعل كبار معاونيه ورجاله الذين يعتمد عليهم في كفاحه وولايته، يتقلبون عليه
خفية وهو لا يدري، ولقد تأمروا عليه حتى قتلوه في معركة ضارية جرت بينهم

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ص ٨٧ و ٨٨، طبع المطبعة الرحمانية بمصر.

(٢) شرح البيان والتبيين للسندوبي، هامش الصفحة ٨٨.

(١) خزانة الادب، ص٦٥٨، المجلد الثالث، طبع المطبعة الاميرية ببولاق بالقاهرة.

(٢) في تاريخ الكامل لابن الاثير، طبعة صادر ببيروت: (ابن وساج - بالسين المهمة والجسيم - ص٣٤٥، المجلد الرابع.

(٣) في الكامل لابن الاثير: (بحيرا) - بالحاء المهمة - ص٣٤٦، طبعة دار صادر ببيروت.

(٤) في الكامل: (أعثره)، ص٣٤٦، ط دار صادر.

وقد نقد البغدادي قَوْلَ النويري هذا، وعلّق عليه بقوله: كذا قال النويري، وهو خلاف قول الفرزدق:

فما منهما إلا بعثنا برأسه إلى الشام فوق الساجحات الرواسم^(١)
وأقول: إن الضمير في قول الفرزدق: (فما منهما) يعود إلى «ابن قتيبة وابن خازم» - حيث قال الفرزدق في القصيدة نفسها وقبل البيت المار ذكره:
أَتَغْضَبُ أَنْ أَذْنًا قَتَيْبَةَ حُزْنًا جَهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ

وقد حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَثِيرِ بقصة رأس ابن خازم، حيث قال عن رغبة بكير في أخذه إلى عبد الملك: (فمنعه بجير، فضربه بكير بعودٍ وحبسه، وسيرَ الرأس إلى عبد الملك، وكتب إليه يخبره بأنه هو الذي قتله، فلما قدم الرأس دعا عبد الملك رسول بكير، وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارتُ القوم حتى قتل ابن خازم)، ثم أوردَ ابْنُ الْأَثِيرِ الروايةَ القائلة بأن قتل ابن خازم كان بعدُ.

أبو العاج: كثير بن عبد الله السُلَامي

هو أبو العاج كثير بن عبد الله بن فروة بن الحارث بن حنتم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عُصَيَّة، ولي البصرة^(٢).

الجبّاف بن حكيم السُلَامي

أخذ شجعان بني سُلَيْمٍ وقتلَهم الشعراء، كان مُعاصِرًا لعبد الملك بن مروان، ولما أوقعت تغلب بن وائل، ببني سُلَيْمٍ، وقتلت عمير بن الحباب السُلَامي كما سبقت الإشارة إليه في ترجمته في هذا الفصل، وتحده «الأخطل» الشاعر التغلبي الفحل في الشعر لا في الحرب، تحده في أبيات معروفة، نهض عند ذاك الجبّاف بقومه: (بني سُلَيْمٍ) مستعملًا دهاء وشجاعته وحميته معًا، فقتل كثيرًا من التغلبين، وبقرَ بطون النساء الحوامل، وقتل غير الحوامل، فما كان من تغلب إزاء هذه الفتكة «الجبّافية السُلَامية» غير المتوقعة إلا أن يستجروا بعبد الملك، فأهدر دم

(١) خزانة الأدب - لعبد القادر البغدادي، ص ٦٥٩، طبع المطبعة الأميرية ببولاق، المجلد الثالث.

(٢) جمهرة أنساب العرب - لابن حزم، ص ٢٦١، طبع دار المعارف بمصر.

هذا، ومنذ معركة مرج راهط، كانت المعارك مستعرة بين قيس وتغلب بالشام والجزيرة - شمال العراق -، وفي سنة ٧٣هـ كان مقتل عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه، فهدأت الفتنة بين العنصرين، واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وتكافأت قيس وتغلب عن المغازي، وإن كان في أنفُس زعمائها ورجالها شيء كبير من الحقد على بعض، وتكلم عبد الملك في ذلك ولكنه لم يحكم الصلح، وبينما هم على ذلك الحال من المهادنة إذ قام الأخطل فأنشد عبد الملك بن مروان - وعنده وجوه قيس عيلان وفيهم الجحاف بن حكيم السُّلمي - أنشد قَوْلَهُ من قصيدة كان نظمها مدحاً في بعض بني أمية:

ألا سائل الجحاف هل هو نائر
أجحافُ إن نهبط عليك فتلتقي
تكن مثل أبداء الحُباب الذي جرى
يقتلى أُصِيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامرُ؟
عليك بحور طاميات الزواجر
به البحر تزهاه رياح الصراصر

فوثب الجحّاف يجر مطرفه من الغضب، فقال عبد الملك للأخطل: ما أراك إلا قد جررت على قومك شراً... ومضى الجحّاف، فأثى قومه وافتعل كتاباً وحشاً جرّباً - جمع جراب - تراباً، وقال لهم: إن عبد الملك قد ولاني بلاد تغلب وهذه الجرّب فيها المال، فتأهبوا وأمضوا معي فمضوا معه. فلما أشرف على بلاد تغلب نثر التراب وخرق الكتاب، وقال: ما من ولاية ولكني غَضِبْتُ لكم - وأخبرهم بقول الأخطل عند عبد الملك - فَأَنَارُوا بقومكم، فشدّ على بني تغلب بالبشر - ماء لهم أو جبل - ليلاً وهم غارّون آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب من ليلته، وكان ممن وقع في أيدي بني سلّيم «الأخطل» الشاعر نفسه، وكانت عليه عباءة دنسة، فسألوه، فذكر أنه عبد من عبيدهم فأطلقوه، فقال ابن صفار في ذلك يخاطب الأخطل:

لَمْ تَنْجُ إِلَّا بِالْعَبْدِ نَفْسُهُ
وتشابهت برق العباء عليهم
لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ عِدَا
فنجاء، ولو عرفوا عباءته هوى

وَقُتِلَ ابْنُ الْأَخْطَلِ الْمَسْمِيُّ بِأَبِي غِيَاثٍ فِي غَزْوَةِ الْجَحَافِ لِبَنِي تَغْلِبَ، قَالَ جَرِيرٌ يَخَاطِبُ الْأَخْطَلَ فِي ذَلِكَ:

شَرِبْتَ الْخَمْرَ بَعْدَ أَبِي غِيَاثٍ فَلَا نَعَمْتَ لَكَ النِّسْوَاتِ بِأَلَا
وَقَدْ بَلَغَ الْأَخْطَلُ فِي طَرِيقِ هُرُوبِهِ بَلِيلَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، فَاسْتَغَاثَ بِهِ،
وَقَالَ حِينَئِذٍ دَخَلَ عَلَيْهِ:

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافَ بِالْبَشْرِ^(١) وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُسْتَكِي وَالْمَعُولُ
فَإِنْ لَا تُغَيِّرْهَا قَرِيشٌ بَمَلِكِهَا يَكُنْ عَنْ قَرِيشٍ مُسْتَرَادٌّ وَمَرْجَلُ
وَفِي رِوَايَةٍ: (مُسْتَرَادٌّ وَمَرْجَلُ).

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِلَى أَيْنَ يَا ابْنَ الْخِئْنَةِ؟^(٢)، قَالَ: إِلَى النَّارِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَوَّلَى لَكَ لَوْ قُلْتَ غَيْرَهَا^(٣).

ثُمَّ إِنَّ الْجَحَافَ لَقِيَ الْأَخْطَلَ فِيمَا بَعْدَ، فَقَالَ:
أَيَا مَالِكَ هَلْ لَمْتَنِي إِذْ حَضَضْتَنِي عَلَى الْقَتْلِ؟ أَمْ هَلْ لَامَنِي لَكَ لَائِمٌ؟^(٤)

وَقَدْ أُرِدَ كِتَابُ «الْهَفَوَاتِ النَّادِرَةِ» تَأْلِيفَ غُرَسِ النِّعْمَةِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ
هَلَالِ الصَّابِيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٤٨٠ هـ. قِصَّةُ الْجَحَافِ السُّلَمِيِّ مَعَ الْأَخْطَلِ، وَلَكِنَّهُ
اخْتَصَرَهَا بِالنِّسْبَةِ لَمَّا جَاءَ فِي كِتَابِ «الْمَوْشَحِ» وَبَيْنَهُمَا بَعْضُ الْاِخْتِلَافِ فِي الْأَقْوَالِ،
وَهُوَ اخْتِلَافٌ غَيْرُ جَوْهَرِيٍّ.

قَالَ: حَضَرَ الْأَخْطَلَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، فَأَنْشَدَهُ:
أَلَا مَائِلُ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَائِرٌ بِقَتْلِي أَصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٌ؟
قَالَ: فَاتَّفَقَ أَنْ كَانَ الْجَحَافُ حَاضِرًا فَكَلَحَ - فَعَبَسَ - وَجْهَهُ فِي وَجْهِ
الْأَخْطَلِ، وَقَالَ مَجِيئًا:

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ - لِابْنِ مَنْظُورٍ: (الْبَشْرُ) - بَيَاءٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا شَيْنٌ سَاكِنَةٌ فَرَاءٌ مُسَهْمَلَةٌ - وَفَسَّرَهُ
قَوْلُهُ: «الْبَشْرُ: مَاءٌ لَتَغْلِبَ. وَالْبَشْرُ: اسْمُ جَبَلٍ، وَقِيلَ جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ». (انْظُرْ مَادَّةَ بَشْرٍ).
(٢) فِي رِوَايَةٍ مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ، (مَادَّةُ: بَشْرٌ): «إِلَى أَيْنَ يَا ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ».
(٣) فِي رِوَايَةٍ مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ، (مَادَّةُ: بَشْرٌ أَيْضًا): (لَقَتَلْتِكَ) بَعْدَ كَلِمَةِ (غَيْرَهَا) بِدَلَالَةٍ
مِنْ رِوَايَةِ الْأَغَانِيِّ الْمَكْفِيَّةِ بِـ (أَوَّلَى لَكَ لَوْ قُلْتَ غَيْرَهَا).
(٤) الْمَوْشَحُ لِلْمَرْزُبَانِيِّ، ص ٢١٧ - ٢١٩، طَبْعُ دَارِ نَهْضَةِ مِصْرَ ١٩٦٥ م.

نعم سوف نبيهم بكل مهند ونبي عميراً بالرماح الخواطر
يعني عمير بن حُباب السُّلَمي الذي قتلته تغلب، ثم قال (الجحاف): لقد
ظَنَنْتُ يا ابن النصرانية أنك لم تكن لتجتريَّ عليَّ ولو رأيتني مأسوراً!
وأوعده.. فما زال الأخطل في موضعه حتى حُمِّ، فقال له عبد الملك: أنا
جارك منه^(١).

أما ياقوت في «معجم البلدان» فقد ساق القصة في مادة (بشر) بإسهاب،
وزاد على كلا «الموشح» و«الهفوات النادرة» أشياء من أهمها ذِكْرُهُ أن (البشر) -
بكسر أوله وسكون ثانيه - هو اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام
من جهة البادية، وفيه أربعة معادن: معدن القار، ومعدن المغرة، ومعدن الطين
الذي يُعمل منه البَوَاتِقُ التي يُسَبَّكُ فيها الحديد، ومعدن الرمل الذي في حلب،
يعمل منه الزجاج، وهو رمل أبيض كالإسفيداج، وهو - أي جبل البشر - من
منازل بني تغلب بن وائل، قوم الأخطل الشاعر بطل القصة الصليط إلى جانب
بطلها الآخر الفتاك: الجحاف السُّلَمي.

وفيدنا ياقوت بأن جبل البِشْرِ سُمِّيَ باسم شخص هذا اسمه، من النمر بن
قاسط، كان خفيراً لفارس، وقد قتله خالد بن الوليد في طريقه إلى الشام، وكان
من حديث ذلك أن خالد بن الوليد لما وقع - (أوقع) بالفُرس بأرض العراق، وكتبه
أبو بكر بالمسير إلى الشام نجدةً لأبي عبيدة، سار إلى عين التمر، فتجمعت قبائل
من ربيعة - نصارى - لحرب خالد، ومنعه من النفوذ، وكان الرئيس عليهم عَقَّةُ بن
أبي عَقَّة قيس بن البشر بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن
الحزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، فأوقع بهم خالد وأسر عَقَّةَ وقتله وصلبه،
فغضبت له ربيعة وتجمعت إلى الهذيل بن عمران، فنهاهم حُرْقُوص بن النعمان
عن مكاشفته، فعصوه، فرجع إلى أهله وهو يقول:

ألا يا اسقياني قبل جيش أبي بكر لعل مناينا قريب ولا ندري
ألا يا اسقياني بالزجاج وكرا علينا كُمَيْتَ اللَّوْنِ صافية تجري

(١) الهفوات النادرة - لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصايي، ص ٨٥، طبع دمشق،

أظنَّ خُيُولَ المسلمين وخالدًا ستطرقكم عند الصباح على «البشر»
 فهل لكم بالسير قبل قتالهم وقبل خروج المعصرات من الخدر؟
 أرني سلاحِي يا أميمة إنني أخاف بيات القوم أو مطلع الفجر
 فطرقهم خالد وأعجلهم عن أخذ السلاح، وضرب عنق حرقوص فوقع
 رأسه في جفنة الخمر^(١).

وقد تحقق ظنه في طروق خالد لهم في صباح تلك الليلة، والبلاء موكل
 بالمنطق كما يقولون.

وقصيدة الأخطل التغلبي التي فيها بيته:

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المُشتكى والمعلوُّ
 وردت في أول ديوانه، وفي رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي،
 عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وجاء في مقدمة
 تلك القصيدة أن الأخطل قالها في مدح خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص
 ابن أمية، وجاء في المقدمة المذكورة قولها: (ويذكر وقعة الجحّاف بن حكيم
 السّلمي)، وبعد البيت المتقدم:

فسائل بني مروان ما بال ذمة وحَبْلٍ ضعيف لا يزال يُوصَلُ
 إلى أن يقول:

أناك بها الجحّاف ثم أمرته بجيرانكم عند البيوت تُقَتَّلُ
 لقد كان للجيران ما لو دعوتُ به حافل الأروى أتتكم تغزل
 فإن لا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستما ومرّحل^(٢)
 وتَعَبَّرُ أناسًا عرة تكرهونها ونحى كرامًا أو نموت فنقتل^(٣)

أما البيت الذي أثار ثائرة الجحّاف. فهو مطلع خمسة أبيات للأخطل وردت
 في ديوانه الآنف ذكره بعد ذلك البيت الذي هو:

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص ٦٣١ و ٦٣٢، المجلد الأول، طبع ليران.

(٢) هذه هي رواية الديوان. أما «الأغاني» للأصفهاني فروايتها هي: (مسترد ومرّحل) كما أسلفناه.

(٣) ديوان الأخطل، ص ١٠ و ١١، طبع مطابع أوفست علي بن علي بالدوحة، عاصمة قطر.

أشرس السُّلَمي

هو أشرس بن عبد الله السُّلَمي، أميرٌ من الفضلاء كانوا يسمونه: «الكامل» لفضله، ولأه هشام بن عبد الملك إمارة خراسان سنة ١٠٩ هـ فَقَدِمَهَا، وسُرَّ به الناس، واستمر إلى سنة ١١٢ هـ، وفي تلك السنة غزا المسلمون مدينة فرغانة وعليهم أشرس بن عبد الله السُّلَمي، فالتقاهم الترك وأحاطوا بالمسلمين، وبلغ الخبرُ هشامَ بن عبد الملك، فبادر إلى تولية جنيد بن عبد الرحمن المريّ على بلاد ما وراء النهر، ليحفظ ذلك الثغر.

توفي أشرس سنة ١١٢ هـ - ٧٣٠ م^(١) أي في سنة غزوه لفرغانة وربما كان سبب وفاته اغتنامه من الإخفاق الذي مني به في هذه الغزوة وعزله من الإمارة على إثر ذلك.

عمرو بن معاوية السُّلَمي

هو من ولد عمير بن الحباب السُّلَمي، أحد الفرسان الثلاثة من بني سُلَيْم، وهم: عبد الله بن خازم^(٢)، والجحّاف بن حكيم، وقد مرت ترجمتهما، وعمير ابن الحباب جد عمرو هذا.

تولى عمرو بن معاوية ناحية القصرين (تونس) من إفريقية، وخرج على إبراهيم بن الأغلب مع عمران بن مجالد، وكان وزيره الغالب عليه في أموره، ثم خرج ثانية على ولده: زيادة الله بن إبراهيم، وكان قد ولاه القصرين وما إليهما، فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف، فلما ظفر به زيادة الله، قتله وولديه: الحباب وسكتان، ودعا أهل بيته فشرب معهم وروّسهم بين يديه، فغضب لهم منصور بن نصر الجُشَمي من هوازن المعروف بالطنبذي - وكان عاملاً على طرابلس - وتابعه الجند، فاضطربت إفريقية على زيادة الله، وحُصِرَ في قصره، ولم يبق في يده إلا الساحل وقابس إلى أن قُتِلَ المنصور.

(١) جمهرة أنساب العرب - لابن حزم، ص ٢٦٣، والأعلام - للزركلي، ص ٣٣٢، المجلد الأول،

طبعة مصر الثانية.

(٢) في المطبوعة التي حققها الدكتور حسين مؤنس من الحلة السيرة للفضاعي: (خازم) - بالخاء

المهمل -، ص ١١٠، المجلد الأول، طبع القاهرة. والصواب أنه (خازم) بالخاء المنقوطة من فوق.

ومن شعر عمرو بن معاوية قوله يخاطب مُبارزةً من أصحاب تمام بن عثيم
يوم التقى هو وإبراهيم بن الأغلب عند خروج تمام على ابن العكي:

مَنْ مُبْلَغٌ قَوْلِي إِلَى الثَّمَامِ حَلَقًا بَرَبَ الحِلِّ والحَرَامِ
إِنَّكَ مَحْمُولٌ عَلَى الصَّمَامِ وَقَدْ تَلَاكَ حِلَقُ الحَزَامِ
ثم شد عليه عمرو بن معاوية فأرداه (١).

يزيد بن أسيد السلمي

اسم جده: زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن منقذ «فرقد» بن مالك بن
عوف بن امرئ القيس. وكان يزيد هذا من القادة في دولة بني العباس (٢) ولأه
أبو جعفر المنصور العباسي أرمينية، وتولاها لولده المهدي، وغزا الروم سنة ١٥٨هـ
واستولى على حصون من ناحية قاليقلا سنة ١٦٢هـ، وكانت أمه نصرانية، وهو
الذي فَضَّلَ الشاعرُ ربيعةَ الرقي عليه يزيد بن حاتم الأزدي في الكرم في قوله من
أبيات مشهورة متداولة على السنة الأجيال المتعاقبة حتى الآن:

لَشَتَانُ مَا بَيْنَ اليزيديين فِي الندى يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَغْرَابُ حَاتِمُ
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيِّ إِتْلَافُ مَالِهِ وَهَمُّ الْفَتَى الْقَيْسِيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
توفي يزيد بن أسيد السلمي سنة ١٦٢هـ، وقد تأمر ابنه أحمد بن يزيد
السلمي أيضاً (٣).

أحمد بن يزيد السلمي

والده يزيد بن أسيد بن زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن فرقد بن مالك
ابن عوف بن امرئ القيس، من قواد بني العباس، له ذكر في «جمهرة أنساب
العرب» لابن حزم، وهو الذي فَضَّلَ الشاعرُ ثابتَ الرقي، يزيد بن حاتم المهلبى
على أبيه يزيد بن أسيد في أبيات سارت مسير الأمثال وأوردناها جميعاً في فصل
«قصص من ماضي سليم»، وقد روينا له قصة مع سمسار جوار لها علاقة بالأبيات
التي قيلت في هجاء أبيه وذلك في الفصل المذكور آنفاً.

(١) الحلة السراء، ص ١١١، الجزء الأول.

(٢) جمهرة أنساب العرب - لابن حزم، ص ٢٦٢، ط مصر.

(٣) راجع تاريخ الكامل لابن الأثير وغيره.

وقد وصفوا ابنه أحمد بأنه أمير، وقد كان ركنًا ركينًا ومرجعًا أمينًا للجالية السُّلمية التي كانت تقيم في زمنه بجرجان على ما يفهم من فحوى أبيات للشاعر «أشجع السُّلمي»، وقد توفي أحمد هذا بجرجان.

وكونه ركنًا ومرجعًا لقومه في جرجان يدلنا على أنه كان كريمًا ووجيهًا وذا مكانة مرموقة لديهم.

معن بن أبي عاصية السُّلمي

هو مدني شاعر، استعمله زياد بن عبد الله الحارثي حينما كان عاملاً على المدينة للمنصور - استعمله على ينبع، فحبس بعض أولياء عبد الله بن حسن، فشمه عبد الله فهجاه وقبح، وستأتي بقية ترجمته في فصل: (شعراء من بني سُلَيم).

يعقوب بن داود بن عمر السُّلمي

والد جده عمر هو عثمان بن طهمان مولى أبي صالح عبد الله بن حازم - خازم - السُّلمي.

يُكنى يعقوب: أبا عبد الله الوزير.

كان ذا فضل في فنون العلوم، سمحًا جوادًا كثير الصدقة والبر، وكان كاتبًا لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي خرج هو وأخوه محمد على المنصور، وقُتِلَ الأخوان في سنة خمس وأربعين ومائة، فظفر المنصور بيعقوب فضربه واعتقله في السجن المُطْبِق، فلما مات المنصور أطلقه ابنه المهدي وواخاه، وحلَّ منه محلاً عظيماً حتى كانت كُتُبُ المهدي لا تَنفَدُ حتى يرد كتابه بإنقاذها، ثم استوزره في سنة ثلاث وستين ومائة، فأنفق أموال بيت المال، وأقبل على اللذات والشرب وسماع الغناء، فكثرت الأقوال فيه، وَوَجَدَ أعداؤه مقالاً فيه، فقالوا وذكروا خروجه على المنصور مع إبراهيم بن عبد الله العلوي، فامتنحه المهدي في مِيلِهِ إلى العلويين، فدفع إليه بَعْضَهُمْ، وقال: أشتهى أن تكفيني مثونته وتريحني منه بعد أن توثق منه، ووهب له مائة ألف وجارية،

فاستعطف العلوي^١، يعقوبَ وسأله عن العلوي، فأخبره بأنه كفاه أمره، فاستحلفه بالله وبرأسه فحلف^(١)، فأمر المهدي^٢ العلوي بالخروج، فخرج، فبقي يعقوب متحيراً، فأمر بحبسه في المُنْطَبِقِ أو في البئر، فحبس فيه، واستمر به سنين في أيام المهدي والهادي، وخمس سنين في أيام الرشيد، حتى شفع فيه يحيى بن خالد بن برمك عند الرشيد، ورد إليه ماله وخيرُهُ في المُقامِ حيث شاء، فاختار مكة، فأذن له في ذلك، فأقام بها إلى أن مات سنة ١٨٢ هـ وقيل سنة ١٨٧ هـ وقيل سنة ١٨٥ هـ، كان يعقوب عالماً سمحاً جَوَاداً كثير البرِّ والصدقة واصطناع المعروف مقصوداً ممدوحاً^(٢)، فلعلَّ ما أصابه من الميل إلى اللذات بعد اعتقاله في السجن المطبق كان من أثر الصدمة النفسية التي مُنى بها.

أسد بن الفرات السُّلَمي بالولاء أيضاً

يُكنى أسد، أبا عبد الله، وهو إماماً من خراسان من نيسابور، أو مولود بحران من ديار بكر، وقيل: بل قدم أبوه وأمه حامل. وكان علّم القرآن ببعض القرى، ثم اختلف إلى علي بن زياد بتونس فلزمه، وتعلّم منه وتفقه بفقهه، ثم رحل إلى المشرق، فجمع من مالك بن أنس «موطأه» وغيره، ثم ذهب إلى العراق، فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمرو، وكتب عن يحيى بن أبي رائدة وهشيم والحسيب وأبي شريك وأبي بكر بن عياش وغيرهم، وأخذ عنه أبو يوسف موطأ مالك.

حدث عن نفسه، فقال: لما خرجتُ من المشرق وأتيت المدينة فقدمت مالكا، وكان إذا أصبح خرج أذنه فأدخل أهل المدينة ثم أهل مصر ثم عامة الناس، فكنتُ أدخل معهم، فرأى مالكُ رغبتِي في العلم، فقال لأذنه: أدخل القُرَويَّ مع المصْرين، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلتُ له: إن لي صاحِبين وقد استوحشتُ أن أدخل قبلهما، فأمر بإدخالهما معي، وكان ابن القاسم وغيره يحملني أن أسأل مالكا، فإذا أجابني قالوا لي: قل له: فإذا كان كذا وكذا؟ فضاق عليَّ يوما، وقال: هذه سلسلة بنت سلسلة: إن كان كذا كان كذا، إن أردتَ فعليك بالعراق،

(١) هذا من الحلف بغير الله وحكمه في الشرع الإسلامى معروف.

(٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقى الدين الفاسي المكي، ص ٤٧٤ و ٤٧٥، من الجزء

السابع، طبع مصر؛ ومراة الجنان - لليافعي اليمني المكي، ص ٤١٧ و ٤٢٠، الجزء الاول.

فلما ودَّعَتْهُ حينَ خروجي إلى العراق دخلتُ عليه وصاحبان لي وهما: حارث التميمي وغالب صهر أسد، فقلنا له: أوصِنَا، فقال لي: أوصيك بتقوى الله العظيم والقرآن، ومناصحة هذه الأمة خيراً - فِرَاسَة من مالك لمستقبل أسد - فَوَكَّيَ أسدُ القضاء، وقال لصاحِبِيَّ: أوصيكما بتقوى الله ونشر هذا العلم.

ولما سمع أسد الموطأ عن مالك، قال لي: زدني سماعاً! قال: حسبك ما للناس.

وذهب أسد إلى العراق، وتتلذذ على أبي يوسف، ثم ارتحل إلى إفريقية بعدما نُعِيََ إليه أستاذه الإمام مالك بن أنس الأصبحي، وقد ارتبجت العراق لموته، وقد رأى بعيني رأسه وسمع بأذنيه كيف يُقدَّرُ العراقيون مالِكًا، فندم أسد على ما فاتهُ، وأجمع أمره على الانتقال إلى مذهبه، فقدم مصر، وقال: إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه^(١)، وفي مصر ألَّفَ كتاب «الأسديَّة» دونها عن ابن القاسم، أكبر تلاميذ مالك فهي المَدُونَةُ. وانتشر صيت أسد بن الفرات في تونس، وقد كان ثقة لم يُرمَ ببِدعة، وبسببه ظهر العلم بإفريقية، وسمع منه علماء القيروان ووجوهها في القيروان: سحنون بن سعيد وأمثاله من المدنيين وغيرهم، وحينما مات قال أبو محرر الكناني - وهو أحد أعلام العلم والقضاء بتونس - وكان منافساً لأسد -: (اليوم مات العلم).

ولايته للقضاء، فالإمارة مع القضاء

وَلَّى زيادة الله، أسدًا، القضاء مشارِكًا فيه لأبي محرر الكناني سنة ثلاث أو أربع ومائتين للهجرة، وكان أسدٌ أغزر علمًا وفقهًا، وكان أبو محرر أسدًا رأيًا وأكثر صوابًا، ومكث أسد في القضاء مع أبي محرر إلى أن ولَّاه زيادة الله سنة ٢١٢هـ إمارة جيش فتح صقلية، وأضاف إليه مع الإمارة القضاء، فكان ممن جمع بين منصبي القضاء والإمارة، وَهُمْ قَلَّةٌ جدًّا في تاريخ العالم الإسلامي. وكان أسد مع علمه أحد الشجعان، وسبب توليته الإمارة والقضاء معًا يتلخص في

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - للقاضي عياض، ص ٤٦٥ - ٤٦٩

الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت.

هذا، ولأسد بن الفرات عدة تراجم في كتاب التاريخ والفقهاء، ومن هذه الكتب: (طبقات علماء إفريقية وتونس) - لمحمد بن أحمد بن عثيم القيرواني المتوفي سنة ٣٣٣هـ بعد وفاة أسد بن الفرات بمائة وعشرين عاماً فقط.

عُزَيْرَة (أو) عُزَيْرَة بن قطّاب السُّلَمي

كان المقدم على بني سُليّم، إبان غزو القائد التركي (بغاً) لهم من بغداد وهم في بلادهم الأصلية، وذلك إنفاذاً لأمر الخليفة العباسي «الواثق بالله». وكان بنو سُليّم قد عاثوا في الأرض، وأغاروا على جيرانهم من باهلة إحدى قبائل قيس عيلان وبني كِنانة بميناء الجار: (الْبُرَيْكة) - الذي كان ميناء المدينة قبل «ينبع البحر» وأوقعوا بهم على ما فصلناه في فصل: (دور بني سُليّم في الأحداث العربية والإسلامية).

كان عَزِيرَة أو عُزَيْرَة مقدم بني سُليّم، وكان بطلاً مغواراً وفارساً صنديداً لا يُشَقُّ له غبار، وكان يحمل على الجيش الذي يقوده بُغاً ويرتجز ويقول:

لا بد من رحم وإن ضاق البابُ إني أنا عُزَيْرَة بن قطّابُ

لَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنَ الْعَابِ

وظل يقاتل إلى أن قُتل، وصُلِبَ سنة ٢٣٠هـ^(١).

ومن شعره:

لقد رعثموني يوم ذي الغار روعة بأخبار سوء دونهن مشيبي

نعيتم فتى قيس بن عيلان غدوة وفارسها تنعون له حبيب

وقد اختلف في تحرير اسم هذا البطل السُّلَمي، ففي النجوم الزاهرة ورد هكذا (عُزَيْرَة)، وفي الطبري كذلك، كما ورد أيضاً هكذا (عزيرة وغديره وغويره)، ولا بُدَّ أن تقارب الحروف أوجد هذا الاختلاف في اسمه^(٢).

(١) قمنا برحلة إلى البريكة من جدة مرتين، وقد تأكد لدينا أن ميناء الجار الذي كان يُؤمُّ المدينة من البحر هو هذه (البريكة) لا الرايس المجاور لها، وقد نشرنا بحثاً مسهباً عن الرحلة وعن ميناء الجار المعروف حالياً باسم (البريكة) في مجلة المنهل بعدد جمادى الأولى «الخاص» سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، فراجع فيه إن شئت.

(٢) النجوم الزاهرة، ص ٢٥١ و ٢٥٨، الجزء الثاني وغيره.

علي بن وداعة السلمي

أحد الأمراء الشعراء من بني سليم في الأندلس، كان قريباً من سنة ٤٠٠ هـ.

وكان «صاعد» اللغوي المشهور قد انتهت به الحال إلى أن أغرم، فاستغاث علي بن وداعة أحد الفرسان الأبطال، وأحد نبهاء الدولة في ذلك الأوان، وقد مدحه بقصيدة استعطفه فيها لاتصال نسيهما: فصاعد من ربيعة (وربيعة من سليم سنان ران عالية الرماح)، قال صاعد:

أبا حسن! ربيعة من سليم	سنان ران عالية الرماح
واني عائد بك من هنا ^(١)	تحس دعائي تحت القداح
فكرت على ابن عمك وانتسله	فليس حمى ابن عمك بالمباح
فإن الجار عندك بين جنبي	عقاب الدجن كاسرة الجناح
نظنك طالعاً ببني سليم	عليها عند مفتضح الصباح
إذا ساورت قرنك في مكر	جعلت له ذراعك كالوشاح

وله في ابن أبي وداعة (ابن وداعة):

زار الحبيب فمرحباً بالزائر	أهلاً يسدر فوق غصن ناضر
قُبلت من فرحي تراب طريقه	ومسحت أسفل نعله بمحاجري
وخشيت أن ينقذ أخمص رجله	من رقة فبسطت أسود ناظري ^(٢)

وقد قُتل علي بن وداعة في عهد هشام بن الحكم الأموي بالأندلس.

قاسم بن مرة بن أحمد السلمي

قام قاسم بن مرة بالدعوة إلى الدين الحق والسنة، وذلك في المائة السابعة للهجرة، يقول عنه ابن خلدون: «ويختلف حال صاحب الدعوة معهم - مع

(١) معنى «الهناء» هنا هو: (الداهية).

(٢) الحلة السيرة - لمحمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار، ص ٢٨٢، ٢٨٣، الجزء الأول،

الأعراب - في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه، فإذا هلك انحَلَّ أمرهم وتلاشت عصبيتهم، وقد وقع ذلك بإفريقية (تونس) لرجل من كعب من علاق بن عوف بن بُهثة من سُليم، يُسمَّى قاسم بن مرة بن أحمد في المائة السابعة».

أبو محمد السُّلمي

كان أبو محمد السُّلمي، كاتب الأمير محمد بن سعد بن مردنيش، فهو موظف رسمي، وكانت له لمحية وذكاء وثقافة واسعة، حدث أن وزير ابن مردنيش بمرسية الذي هو: عبد الرحمن بن عبد الملك تحاور - ذات يوم - بين يدي الأمير مع حاتم بن سعيد من ذرية عمار بن ياسر، وكان صاحب آراء الأمير ومن ذوي الخاصة من وزرائه، فقال عبد الرحمن بن عبد الملك يخاطب الأمير ويلمز حاتمًا: لعل الأمير اغتر بسماع اسمه: (اسم حاتم)، ما فيه من الكرم إلا الاسم، فقال حاتم: ولعل الأمير اغتر بسماع أمانة عبد الرحمن وما عنده من الأمانة إلا الاسم، وكان عبد الرحمن بن عبد الملك هذا بيده المجابي والأعمال، فقدمه على وزرائه.

فقال الأمير محمد بن سعد بن مردنيش - وقد ضحك -: الأولى فهتُم ولم أفهم الثانية، (يقصد أنه فهم خُلُو حاتم بن سعيد من الكرم، وإن كان اسمه على اسم (حاتم طيئ)، ولم يفهم النكتة الثانية التي رمز إليها حاتم بن سعيد في غمزه لعبد الرحمن بن عبد الملك وزير الجباية والخزانة، وعندئذ انبرى الكاتب أبو محمد السُّلمي - فشرح للأمير ابن مردنيش ما رمز إليه حاتم من الطعن في أمانة عبد الرحمن بن عبد الملك بأن قال للأمير: (إن حاتمًا أشار إلى قول رسول الله ﷺ في «عبد الرحمن بن عوف» - رضي الله عنه: (أمين هذه الأمة، وأمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض)^(١)، ومعنى ذلك أن عبد الرحمن بن عبد الملك الأمين لديك أيها الأمير رسميًا على جباية الأموال والأعمال، وإن كان اسمه على اسم «عبد الرحمن بن عوف» الذي هو أمين حقًا وصدقًا، فإنه - أي عبد الرحمن بن عبد الملك ليس أمينًا فعلاً، وعندما شرح أبو محمد السُّلمي الكاتب هذا المعنى العميق لهدف حاتم بن سعيد البعيد «طرب الأمير ابن مردنيش»

(١) الإحاطة بأخبار غرناطة - للسان الدين الخطيب، ص ٤٩١ و ٤٩٣، طبع دار المعارف بمصر.

وجعل يقول: أحسثما.. أحسثما» - قال ذلك وهو يخاطب المتحاورين أمامه:
(عبد الرحمن بن عبد الملك وحاتم بن سعيد).

هذا، وما يلاحظ أن مطبوعة دار المعارف بمصر، من كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» ورد فيها النص الذي سبق ذكره من حديث الرسول ﷺ - محرفاً. إذ ورد فيها كما سبق أن يَنَناه: «أمير هذه الأمة، وأمير في أهل السماء، وأمير في أهل الأرض» بالراء في ثلاث صيغ الأمير، والصواب أن الصيغ الثلاث المذكورة، كلهن بالنون لا بالراء، جاء ذلك نصاً في كتاب «الاستيعاب» للحافظ أبي عمر بن عبد البر: (قال عبد الرحمن بن عوف لأصحاب الشورى: هل لكم أن أختار لكم وأنتفي منها؟ قال علي - رضي الله عنه: أنا أول من رضي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنت أمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض)، وقال الزبير بن بكار: (كان عبد الرحمن بن عوف، أمين رسول الله ﷺ على نسائه) (١).

رواة من بني سَكِيم

نقصد بالرواة هنا، رواة العلم المتعلق بلغة العرب وأماكنهم وتاريخهم وأشعارهم وأخبارهم، وإلى هؤلاء الرواة العرب والأعراب بصفة عامة يرجع كثير من ثراء رصيدنا العلمي والأدبي عن العرب في جاهليتهم وفي صدر إسلامهم.

وقد ذكرنا في هذا الفصل من تسنى لنا الإمام بهم أو بما سجلوه لنا في رواياتهم التي كتبت عن بني سليم منهم، وكانوا معتمدين بحق فيها.

عَرَّامُ بْنُ الْأَصْبَغِ السُّلَمِي

كان عَرَّامٌ أحد أعراب بني سُلَيْم المتفتحي الأذهان، الراغبين في نشر المعلومات التاريخية والجغرافية والنباتية والاجتماعية التي عرفها بحكم جَوْلَانِهِ في بلاد العرب، وقد رأيناه يؤلف كتباً موجزاً مُكْتَنَزَةً بالمعلومات التي جمعها من هنا وهناك وقد سماه: «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه».

(١) الاستيعاب في معرفة الصحاب - لابن عبد البر، ص ٨٤٦، المجلد الثاني، طبع مطبعة نهضة مصر، وتحقيق محمد على الجاوي.

والكتاب يحوي المعلومات التي تحصل عليها عرّام عن تهامة والحجاز، وقلما يعثر عليه الباحث في غيره، فهو من هذه الناحية أحد المراجع المهمة في التعريف بماضي الأماكن التي تحدّث عنها في زمن الجاهلية وفي عهد الإسلام حتى عصره. وكان عرّام يعيش في القرن الرابع الهجري، ونسخة كتابه المطبوعة يرويها السيرافي عن أبي محمد السكّري عن أبي سعد عن عبد الرحمن المعروف بأبي الأشعث الكندي عن عرّام^(١).

وقد نشر هذا الكتيب المفيد نشرًا علميًا على نفقة الشيخ محمد نصيف ويوسف زينل - رحمهما الله - وتولى إخراجَه وتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ عبد السلام محمد هارون، وطبع بمصر سنة ١٣٧٣هـ في ٨١ صفحة من الحجم دون المتوسط، ووضعت له الفهارس العامة اللازمة.

رُواة آخرون من بني سُلَيم

روى الهجري عن رُواة سُلَيمين منهم: محمد بن الرياحي السُلَمي، ومحمد ابن يزيد الحَض السُلَمي، وموسى بن رُبَيْق بن صَبَّاح من بُهْثة بن سُلَيم، ويحيى ابن الخير من خُفاف سُلَيم، والحبيبي السُلَمي، والحضي السُلَمي، والحريمي السُلَمي، وأبو سفيان السُلَمي، وأبو عروة السُلَمي، وشغوب بن صالح السُمالي السُلَمي، والصويعة وأبو محمد عبد الله بن موسى البُهْثي وغيرهم^(٢).

سَرَاةٌ وَتِجَارٌ وَمِزَارَعُونَ مِنْ بَنِي سُلَيم

ربما كان السَّرَاة والتجار والمزارعون كثيرين في بني سُلَيم، لاتساع دائرة وجودهم في أنحاء العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا، وأغلب المؤرخون القدامى لا يعنون بهذه الناحية الاقتصادية، عنايتَهُم بالنواحي التاريخية الأخرى: الدينية والسياسية والاجتماعية والأدبية.

ولهذا - كما نرى - حُرِّمنا من الاطلاع على تراجم حيوات كثير من التجار ورجال الأعمال والسَّرَاة السُلَيمين الذين وجدوا في مختلف الأصقاع الإسلامية منذ

(١) مقدمة كتاب جبال أسماء تهامة وسكانها، لعبد السلام محمد هارون.

(٢) أبو علي الهجري للأستاذ حمد الجاسر.

وهناك سُلَميٌّ تاجرٌ في الجاهلية القريبة من صدر الإسلام وهو:

قيس بن شيبَةَ السُّلَمي

ذكرو أن قيساً هذا كان قد تاجر بمكة في أواخر أيام الجاهلية، وكان قد قدم إلى مكة ليسبع تجارتَه فيها، وحدث أن باع متاعاً له من «أبي خلف الجُمحي» من قريش، فذهب أبو خلف بحقه ولم يعطه إياه، فاستجار قيس بن شيبَةَ السُّلَمي، بآل قُصيٍّ من قريش - فرع النبي ﷺ فأجاروه، وقيل: إن هذا الحادث الذي وقع لهذا التاجر السُّلَمي في مكة كان السَّببَ المباشر في عقد «حلف الفضول» المعروف^(١).

ابن الدُّغَنَةِ السُّلَمي

اسمه ربيعة بن رفيع بن حيَّان بن ثعلبة السُّلَمي، وابن الدُّغَنَةِ هذا كان من سادة الأحابيش الذين يديرون أمورهم، ولم ينصَّ ما اطلعتُ عليه من المراجع: هل كان ابن الدُّغَنَةِ السُّلَمي و«الحليس» الحارثي، عربيين صريحين أم كانا من بني سُلَيم وبني الحارث بالولاء، ولكن مكانة ابن الدُّغَنَةِ الاجتماعية ربما تدلنا على أنه سُلَمي النسب.

وقد أجاز ابن الدُّغَنَةِ السُّلَمي، أبا بكر الصديق في مكة المكرمة، وهذا يدل على عظم مكانته في البلد الأمين في نفوس قريش أجمعين، كما أنه شهد معركة حُنين^(٢)، وله ترجمة في مادة (دغن) بـ «تاج العروس شرح القاموس»، وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر أيضاً أن اسمه: ربيعة بن رفيع بن أهبان، بدلاً من - حيَّان - بن ثعلبة السُّلَمي، وقال عنه: (كان يُقال له ابن الدُّغَنَةِ، وهي أمه، فغلبت على اسمه)^(٣)، وفي «جمهرة أنساب العرب» أنه (الربيع بن ربيعة بن ربيع ابن أهبان بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن شمال بن عوف بن امرئ

(١) تاريخ يعقوبي، ص ١١ وما بعدها، الجزء الثاني وغيره.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ص ٣٣ و ٣٥، الجزء الرابع.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - للحافظ ابن عبد البر، ص ٤٩١، القسم الثاني، طبع مطبعة

القيس بن بُهثة بن سُلَيْم قاتل دُرَيْد بن الصَّمَّة الجُشَمي من هوازن يوم أوطاس^(١). وقد مَرَّت بنا ترجمته في فصل: (صحابه من بني سُلَيْم)، وهناك أوردنا ما ذكره صاحب (الاستيعاب) من أن قتله لدريد بن الصَّمَّة كان يوم حُنين، وقد أدركه فيه فأخذ بخطام جملته وهو يظن أنه امرأة، فإذا برجل فأناخ به، فإذا شيخ كبير وإذا هو دريد، ولا يعرفه الغلام، ثم ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً، قال دريد: بثسما سلحتك أمك، خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل، ثم اضرب به، وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ، فلإني كذلك كنت أضرب الرجال، فإذا أتيت أمك فأخبرها أنني قتلت دُرَيْد بن الصَّمَّة، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك من سُلَيْم، ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً^(٢).

ويدلنا فحوى هذه القصة على استئراء الفوضى في بلاد العرب في جاهليتهم القرية من الإسلام، وأن القتل لديهم لسبب موجب أو لغيره كان أمراً مألوفاً وسنة متبعة وعادة سائدة، وإلا لما قُتل الغلام ربيعة بن ربيع أو الربيع بن ربيعة السلمي هذا الشيخ الكبير في غير ترة ولا معركة ولا خصومة أو مطمع؟.

الشريد السلمي

الشريد السلمي كان بقية أهل بيته، وسمي لذلك بالشريد، وكانت له مزرعة كبيرة عرفت في التاريخ باسم «ثنية الشريد»، وكان فيها أعناب ونخل لم ير مثلاً، وحينما قدِم معاوية بن أبي سفيان المدينة طلب المزرعة من صاحبها فأبى، ثم إن الشريد ركب ذات يوم إلى مزرعته فوجد عماله في الشمس فقال لهم: مالكم؟ فقالوا له: نسجم البثار، فركب إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين إنه لم يزل في نفسي منعي إياك ما طلبت مني فهو لك بما أردت، فكتب إلى ابن أبي أحمد: أن يدفع إليه الثمن، قال: وسمعتهم يكثرونه جداً، فقال له ابن أبي أحمد: إن أمير المؤمنين لم يسمك بها وهي على هذه الحال، فقال: إني رجوت حين صار أمري إليك التيسير عليّ. فدفع إليه الثمن^(٣).

(١) جمهرة أنساب العرب - لابن حزم، ص ٢٦٢.

(٢) الاستيعاب، ص ٤٩١، الجزء الثاني.

(٣) وفاء الوفاء - للسهمودي، ص ١٠٦٦ و ١٠٦٧، الجزء الثالث.

شعراء بني سُلَيْم

الشعر ديوان العرب، وبنو سُلَيْم كان منهم في الجاهلية وفي صبح الإسلام وضحاها وظُهره شعراء مبرزون، وقد سبق لنا في فصل: (إزاحة شبهة علمية) أن أبا القاسم الحسن الأمدي المتوفي سنة ٥٧٠ هـ كان قد أَلَفَ ستين ديواناً من دواوين القبائل العربية، كان الرابع والعشرون من هذه الدواوين هو: ديوان بني سُلَيْم، وأن هذا الديوان الجامع لأشعار السُّلَميين وأخبارهم عبثت به أصابع الدهر، وفي هذا الفصل الذي خصصناه لشعراء بني سُلَيْم وشعرهم العربي الفصيح منذ الجاهلية حتى القرن السابع الهجري، والفصل الذي يليه المخصص لشاعراتهم وأشعارهن هما ذَوَا فائدة واضحة من هذه الناحية، فقد جمعنا فيهما تراجم بعض شعرائهم وطاقات من أشعارهم حتى القرن السادس الهجري، أي إلى ما بعد زمن جامع شعرهم: (الأمدي) بقرنين ونيف، وقد قفينا به شيء من شعرهم النبطي أو الحميني المعاصر، ربطاً لحلقات التاريخ قديماً وحديثاً بقدر الإمكان، فإن الشُّعْر نبتة مغروسة في أعماق غرائز العرب يستوي في ذلك شعراء الشعر الفصيح وشعراء الشعر العامي الملحون، المعروف في الحجاز باسم: (الحميني)، وفي نجد باسم: (النبطي) بفتح النون والباء.

المنتكث - أو - المنتكب السُّلَمي

شاعر جاهلي له حديث مع عترة بن شداد العبسي، فهو كمعاصر له.

قال المنتكث أو المنتكب، يذكر يوم النُّخَيْل، وقد قُتِلَ فيه دَهْرٌ الجعفي:

ومنا أبو حرب ومنا مصرف

ومنا عقّال إذ وردنا إلى دَهْر

يسوق الصفايا من خيار نساتنا

ونحن غَيَارَى كالمسدة الزُّهْر^(١)

وللمنتكث أو المنتكب الأبيات التالية، يمدح فيها بني خفاجة بن عُقَيْلٍ من

بني عامر من هوازن:

ماء السماء بطيب الخمر

فسقى الإلهُ بني خفاجة من

مَحْبُوءَةٌ بجباية الدهر

أبدًا ولازالت نفوسهمو

(١) الصفايا: ما يصطفيه قائد الجيش لنفسه. والمسدة: بمعنى الفحول المشدودة الأفواه، المنوعة من

هم يطعنون الخيل مقبلة حتى يَصُدَّ مجدة النَّفر^(١)

عمرو بن رياح بن عمرو الشريد السُّلَمي

أبو الخنساء الشاعرة المعروفة، غلب الشريد على اسمه: (عمرو) بقوله:

تولى إخوتي وبقيتُ فرداً وحيداً في ديارهم شريداً^(٢)

وقد سبق لنا أن أوردنا في فصل: «أمراء وزعماء محتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سُلَيْم» ترجمة عمرو بن رياح «الشريد» هذا كأحد زعماء العرب في الجاهلية، وذكرنا في ترجمته ما يتعلق به من قصة إفاد النعمان بن المنذر لنفر من سادات العرب إلى كسرى ليرى بعينه ويسمع بأذنيه أحاديثهم المضمخة بشهامه العرب، وليطلع على إبانهم وشمهم وحيويتهم البالغة من كتب. وقد رثتهما أختهما الخنساء بشعر رائع يذيب الصخر، وجمع هذا الرثاء الحزين في ديوانها المطبوع.

معاوية بن عمرو السُّلَمي

أخو الخنساء الشاعرة المشهورة، ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» وأورد بعض شعره وهو شاعر جاهلي، مات قتيلاً في الجاهلية في وقعة أوردنا قصتها سالفًا، وكان قتله قبل مقتل أخيه صخر بزمان.

صخر بن عمرو السُّلَمي

أخو الخنساء أيضاً، قُتل في أيام الجاهلية في إحدى المعارك القبليَّة حسب ما فصلناه أيضاً في فصل: «أيام بني سُلَيْم في الجاهلية والإسلام». ولم يدرك صخر الإسلام.

وقد وصفوه بأنه كان حليماً جواداً، محبوباً في عشيرته، شريف قومه. وكان أبوه عمرو يأخذ بيده ويد أخيه معاوية، ويقول: (أنا أبو خيرٍ مُضر) فتعترف له العرب بذلك، وكان صخر أجمل فتيان العرب في عصره.

(١) المحمدون من الشعراء وأشعارهم، لعلّي القفطي، ص ٣٥٣، منشورات دار اليمامة. ومعجم الشعراء للمرزباني، ص ٤٥٤.
(٢) البيان والتبيين، ص ٢٨٩، الجزء الأول.

كان صخر أخا الخنساء لأبيها، فليس بشقيق لها، وَقَاتِلُ صَخْرٍ هُوَ رُبِيعَةُ بن ثور الأسدي، ولصخر قصيدة عالية النَّفْسِ تكشف لنا عن سماحته وشهامته، يقول فيها:

وقالوا: ألا تهجو فوارس هاشم	ومالي وإهداء الخنأ ثم ماليا؟
أبى الهجو أني قد أصابوا كريمي	وأن ليس إهداء الخنأ من شماليا
إذا ما امرؤ أهدى لبيت تحية	فحياك ربُّ الناس عني معاويا
لنعم الفتى أدى ابنُ صرمة بزه	إذا راح فحلُّ الشولِ أهدبَ عاريا
إذا ذكَّرَ الإخوانُ رفرقتُ عبرة	وحَيَّيتُ رَمْسًا عِنْدَ لِيَّةٍ ثاويا
وطيَّبَ نفسي أنني لم أقل له	كَذَّبْتَ ولم أبخلُ عليه بماليا
وَدَيَّ إخوةً قَطَعْتُ أَقْرانَ بَيْنِهِمْ	كما تركوني واحداً لا أخا ليا

ولو أردنا أن نحلل مدلولات هذه القصيدة لاستطعنا أن نقول: إن صخرًا في رثائه لأخيه معاوية إنما يمتَحُّ من بثر غزيرة فياضة بالشعر البديع وبالخزن الممض، وقد أجاد في التعبير عما في ضميره المكبوت الخفاق بالآلام والأوصاب من جراء الفراق الأبدي المحزن لأخيه الحبيب (معاوية)، ولست أدري أرثاؤه له نابع من روح أخوته الخنساء، أم رثاؤها له ولصخر رائي أخيه بعد مقتله هو النابع من رثائه البليغ؟! أم هناك تفاعل بين رثاء الأخوين الشاعرين البارعين خاصة في شعر الرثاء الذي بلغا فيه القمة، بساطةً وتأثراً وتأثيراً وإشجاءً. . . لست أدري!

ومن أخبار قتل صخر، أنه لما طعنه أبو ثور الأسدي أدخل حَلَقُ الدرع في جوفه، فمرض زمانًا، فجعل ينث الدم وينث معه حلق الدرع، وكانت امرأته (سليمي) تقوم عليه، فطال مرضه عليها وملته، فمر بها رجل - وكانت ذات خَلْقٍ - فقال: أَيْبَاعُ الْكَفَلِ؟ فقالت: عما قليل، فسمع صخر ما دار بينهما من الحوار، وقال لها رجل آخر: كيف صخر؟ فقالت: لا حَيٌّ فيرجى، ولا ميت فيُستراح منه، فسمعها صخر أيضًا، فَهَمَّ بِأَمْرِ فِي نَفْسِهِ، وقال لها: ناوليني سيفي - وهو يريدُها - انظُرْ ما بقي من قوتي، فناولته السيف، فلإذا يده لا تُقَلُّه، فقال صخر عندئذ: (وكانه يرثي نفسه، وهو الشاعر الذي يجيد الرثاء كل الإجادة)، قال:

سباع بن كوثل السُّلمي

ذكره ثعلب، فقال: وأنشدني زبير، لسباع بن كوثل السلمي - هكذا بالياء

قبل الميم:

نظرتُ إلى مَيٍّ خِلَاسًا عَشِيَّةً على عجل والكاشحون حضورُ
كذا مثل طرف العين ثم أجنَّها رواقٌ أتى من دونها وسُورُ
فقالت: حَذَارِ القوم إن نفوسهم - وَعَيْشِ أَخِي - وَجَدًا عليك تفور^(١)

وقد ذكر ابن منظور، كَوَثَلًا السُّلمي - في مادة (كثل)، وقال عنه: رجل معروف، إليه يغزى سباع بن كوثل أحد شعرائهم^(٢).

عرعة بن عاصية السُّلمي

كان عرعة بطلاً وشاعراً، أوقع بيني سهم بن معاوية من هُذَيْل في الجُرْفِ، وبذلك أدرك ثار أخيه عمرو بن عاصية السُّلمي، القَتِيل.

قال عرعة في ذلك:

ألا أبلغ هُذَيْلًا حيث كانت مغلغلة تخبُّ عن الشفيق
مقامكم غداة الجُرْفِ، لما تواقفت الفوارس بالمضيق

وكان الجرف الذي أوقع فيه عرعة بأعدائه يسمى (العَرَض)، وكان مخضوضراً، قال كعب بن مالك فيه:

فلما هبطنا «العَرَض» قال سَرَاتُنَا: عَلام إذا مالم نمنع «العَرَض» نزرع؟

قالوا: وسبب تسمية «العَرَض» بالاسم الجديد الذي هو: «الجُرْف» هو قول تَبَعِ الحِميري اليماني عنه في مسيرته: (هذا جُرْفُ الأرض)، فلزمه هذا الاسم^(٣).

(١) مجالس ثعلب - لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ص ٨١، القسم الأول، طبع دار المعارف بمصر.

(٢) لسان العرب، ص ٥٨٤، المجلد الحادي عشر، مادة «كثل».

(٣) معجم ما استعجم، للبكري، ص ٣٧٨، الجزء الثاني.

مالك بن عمير السُّلَمي

لقبه المرزباني بـ «الناصري».

له مع النبي ﷺ حديث، وهو القاتل:

ومن يتدع ماليس من سوس نفسه يدعه ويغلبه على النفس ضيمها^(١)

ضمضم بن الحارث السُّلَمي

كان ضمضم أحد فرسان بني سُلَيْم.

وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد السُّلَمي، فقتل به ضمضم، محجناً وابن عم له وهما ثقيفان. فقال ضمضم من قصيدة له يخاطب ثقيفاً:

إلى جُرَشٍ من أهل رِيَّانِ والفمِ
طَوَاغِيْ كَانَتْ قَبْلُنَا لَمْ تُهْدَمْ
تَرَكْتُ بُوْجَ مَائِثًا بَعْدَ مَائِمْ
جِوَارُكُمُ وَكَانَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ
وَأَسِيفُنَا يَكْلِمُنْهُمْ كُلَّ مَكْلَمٍ^(٢)

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب
نُقِتْلُ أَشْبَالَ الْأَسْوَدِ وَنَبْتَغِي
فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنِّي
أَبَاؤُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّةُ
تُصِيبُ رَجَالًا مِنْ ثَقِيفٍ رِمَاحُنَا

ومن شعر ضمضم القصيدة التالية، وهي قصيدة تتحدث عن شؤون اجتماعية، وقد تحدث فيها عن أخلاق النساء «الحلائل» مع أزواجهن، في شخص تجاربه مع «حليته»، ويبدو من «آياته» أنه لم يكن زوجاً مغتبطاً ولا سعيداً مع هذه الحليلة، وقد قاسى أخلاق سائر الحلائل على أخلاق زوجته، قال:

لَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمَارٍ
قَدْ كُنْتُ لَوْلَبِثِ الْغَزِيِّ بَدَارٍ
وَعَزَا الْمَصِيفَةَ وَالْعِظَامُ عَوَارٍ
مُتَسَرِّبِلًا فِي دَرْعِهِ لَغَوَارٍ

أَبْلَغُ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَائِلِ آيَةٌ:
بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَةِ بَيْتِهَا:
لَمَّا رَأَتْ رَجُلًا تَسْفَعُ لَوْنَهُ
مُسْطُ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ لَيْلَةٍ

(١) معجم الشعراء - للمرزباني، ص ٢٦٢.

(٢) راجع سيرة ابن هشام، ص ١١٣، المجلد الرابع.

جرداء تلحق بالنجاد إزارى
كُتِبَتْ مجاهدة مع الأنصار
مَهْلًا تَمَهَّلُهُ وكل خَبَار
وتردُّ أنى لا أؤوب فَجَار^(١)

إذ لا أزال على رحالة نهدة
يومًا على أثر النهاب وتارة
وزُهَاء كل خميلة أزهقتها
كيما أغبرُ ما بها من حاجة

العباس بن مرداس السُّلَمي

العباس بن مرداس السُّلَمي «شاعر حُنين»، من الشخصيات البارزة في بني سُلَيْم في الجاهلية والإسلام، هو فارس وشاعر ومن أسرة مرموقة في قومه، وفي يوم حوزة كان شابًا في مقتبل العمر متميزًا بالحسن، والحسن في فتيان بني سُلَيْم صفة مشهورة، وأبوه مرداس وأمه الخنساء أشهر شواعر العرب، وأبعدها صيتًا في الحسب والنسب والأدب.

وأمه مخضرمة أدركت طرقًا من الجاهلية وأدركت الإسلام، وأسلمت وحسن إسلامها، وهو مثلها في هذه الشمائل. وقيل: بل أمه هند بنت سِنَّة بن سنان بن جارية بن عبد السُّلَمية ولدت (يزيد ذا الرمحين، وهُرَيْمًا، وسراقَةَ، وأنسًا، وهبيرة، وعباسًا) بني مرداس بن أبي عامر السُّلَمي^(٢).

كان لوالد العباس الذي هو «مرداس» صنم اسمه ضماد أو ضممار^(٣)، ولما حضرت الوفاء مرداسًا أوصى (العباس) به وعبادته والقيام عليه، فجعل العباس يأتيه في كل يوم وليلة مرة، فلما ظهر أمر رسول الله ﷺ قال العباس: (سمعت صوتًا في جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضماد فإذا الصوت في جوفه يقول:

(١) سيرة ابن هشام، ص ١١٤، المجلد الرابع.

(٢) للمحبر، ص ٤٥٦.

(٣) ليس مرداس والد العباس هو، السُّلَمي الوحيد الذي عبَدَ وسَدَنَ صنمًا في الجاهلية، فقد ذكر هشام الكلبي في كتاب الأصنام أن سدنة العزى كانوا بني شيبان بن جابر بن مرة بن عيس بن رفاعة بن الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور بن بني سُلَيْم، وكان آخر من سَدَنَها منهم دُبِيَّة بن حرمي السُّلَمي فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه ﷺ فعابها وغيرها من الأصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها، وفي عام فتح مكة دعا النبي ﷺ خالد بن الوليد فقال له: «انطلق إلى شجرة بطن نخلة فاعضدها»، فانطلق فأخذ دُبِيَّة فقتله وكان سادنها. ص ٢٢ - ٢٤، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م.

نحن البشر واختفاؤها عن حواسنا ومدركاتنا لا ينافي وجودها ولا يقتضي عدم وجودها، وأعني بهذه العوالم الخفية من مُحَسَّاتِنَا البصرية: الملائكة والجن، وما جاز على المثل - من ناحية الاختفاء عن أبصارنا مع ثبوت الوجود - يجوز على المماثل، وما دامت الجراثيم قد ثبت وجودها على أرضنا وثبتت حياتها معنا وحولنا وفوقنا وتحتنا، وثبت أننا كنا في جهل مطبق حيال وجودها وتكاثرها المريع على سطح الأرض مع أنها حيوان مثلنا، فبالأحرى أن يثبت لدينا وجود الملائكة والجن، برغم عدم رؤية أبصارنا لها، إذ عدم رؤيتنا للجراثيم والذرة والكهرباء ثبت أنه لا ينهض دليلاً على عدم وجودها، بل ثبت أنه قام دليلاً على عدم وجودها، وما ينطبق على الجراثيم الحيوانية المانحة حولنا ينطبق على ما هو أبلغ منها شفوفاً وروحانية وخفاءً عن الأبصار البشرية، وما صنعتها أيدي الناس وعقولهم من الآلات هو الذي كشف لهم بأخرة عالم الجراثيم الصغير الكبير الخطير، فالملائكة والجن أشف كياناً من الجراثيم وأعمق استتاراً من الجراثيم عن العيون وعن وسائل الإدراك البشرية المادية؛ ولذلك يراهم صفوة الخلق من الأنبياء، ويرى الجن ذوو الشفافية الروحانية وبالمناسبات إذا تشكلوا بأشكال غير أشكالهم الطبيعية البالغة الشفوف والاحتجاب.

وعباس بن مرداس لا يوجد سبب مادي أو أدبي يدعو إلى اختلاق هذه القصة، فإنه إذا أراد، آمن بالرسول ﷺ لمجرد تصديقه برسالته، كما فعل كثير غيره من مشركي العرب الذين ضربوا بالشرك والوثنية عرض الحائط جهاراً نهاراً، ورفضوا عبادة الأصنام بإصرار وحماسة ودخلوا في الإسلام وآمنوا برسالة محمد ﷺ بمجرد إيمان قلوبهم وعقولهم بها وبه، ولا حاجة مطلقاً ولا ضرورة ملجئة لعباس إلى أن يخالق قصة وهمية خيالية لإسلامه كهذه القصة، وقد آمن برسالة محمد ﷺ أكابر السلميين وغيرهم دون وقوع قصص كهذه لهم.

هذا، وتمضي بنا قصة إسلام العباس بن مرداس، فتفيدنا بأنه كانت تحته «حبيبة بنت الضحَّاك بن سفيان السلمي» أحد بني رِعل، وقد خرج العباس حتى انتهى إلى إبله، وهو يريد النبي ﷺ فبات بها، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: (من سألك عني فحدثه أنني لحقت يثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمداً وكائناً معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور،

فإن كان خيراً لم أَسْبَقْ إليه، وإن كان شراً أبصرته لخزولته - لخذلته - إلخ). ثم سار إلى النبي، وانتهى الراعي نحو إبله فأتى امرأته حبيبة السُّلَمِيَّة، فأخبرها بالذي كان من أمر زوجها العباس، ومسيره إلى النبي ﷺ، فقامت فقوضت بيتها ولحقت بأهلها (١).

وقد ذكرنا فيما سلف أن العباس شاعر، والشاعر مرهف الشعور، يسجل بريشة شاعريته، عواطفه وانفعالاته وأحواله الفكرية والنفسية والاجتماعية، ولهذا لا غرو أن نرى العباس بن مرداس يسجل لنا بشعره قصة دخوله في الإسلام من أولها إلى آخرها، ووجود القصة في شعره مما يؤكد وقوعها وأنها ليست من صنع الرواة، قال:

لَعَمْرِي إِنِّي يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِدًا	«ضَمَادًا» لرب العالمين مشاركا
وتركي رسولَ الله، والأوسُ حوله	أولئك أنصار له، ما أولئك
كتاركِ سَهْلِ الأرض والحزنِ يتغي	لَيْسُ لَكَ فِي غَيْبِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا
فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ	وخالفتُ من أَمسى يريد الممالكا
ووجهتُ وجهي نحو مكة قاصداً	وتابعتُ بين الأخشيين المَبَارِكَا
نبيُّ أُنَانَا بعد عيسى بناطق	من الحق فيه الفصل منه كذلك
أَمِينًا عَلَى الْفَرْقَانِ أَوَّلَ شَافِعِ	وَأَخِرَ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا
تَلَافَى عُرَا الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْفِصَامِهَا	فَأَحْكَمَهَا حَتَّى أَقَامَ الْمَنَاسِكَا
رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا	تَوَسَّطْتَ فِي الْقُرْبَى مِنَ الْمَجْدِ مَالِكَا
سَبَقْتَهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْعِلَا	وبالغاية القصوى تَفُوتُ السَّنَابِكَا
فَأَنْتَ الْمُصَفَّى مِنْ قَرِيشٍ إِذَا	غَلَاصِمُهَا تُبْقِي الْقُرُومَ الْفَوَارِكَا

وكان قدوم العباس بن مرداس على النبي في المدينة وهو يريد المسير إلى مكة لفتحها، فواعده رسول الله ﷺ قُدَيْدًا، وقال: (القنا أنت وقومك بقديد) فلما نزل

رسول الله ﷺ، قُدِيدًا وهو ذاهب لِقَيْهِ - في رواية عباسُ بن مرداس في ألف من بني سُلَيْم، وفي ذلك يقول:

بَلَّغَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ مُحَمَّدًا	رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدًا أَيْنَ يَمَّمَا
دَعَا قَوْمَهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ رَبَّهُ	فَأَصْبَحَ قَدْ وَافَى الْإِلَهِ وَأَنْعَمَا
عَشِيَّةً وَأَعَدْنَا قُدِيدًا «مُحَمَّدًا»	يَوْمَ بِهَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمَا
حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ	فَأَوْفَيْتَهُ أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُعْلَمَا
سَرَايَا بَرَاهَا اللَّهُ وَهُوَ أَمِيرُهَا	يَوْمَ بِهَا فِي الدِّينِ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْهَا دُرْعَنَا	وَخَيْلًا كَدْفَاعِ اللَّوَاتِي عَرْمَرَمَا
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ	وَحَتَّى صَبَحْنَا الْخَيْلَ أَهْلًا يَلْمَلَمَا

وسار العباس وقومه إلى فتح مكة ثم إلى حُنين مع رسول الله ﷺ، وقسم الرسول غنائم هوازن، فأكثر العطايا لأهل مكة وأجزل لهم القسم ولغيرهم ممن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس من تميم، وعُيَيْنَةُ بن حصن الفزاري من غطفان، والعباس بن مرداس، عطايا فضل فيها عيْنَةُ والأقرع على العباس، فتأثر العباس من ذلك، وما سكت على تأثره، لأنه كان مؤمناً صادق الإيمان يكشف الرسول بدخيلة نفسه، وقد جاءه وأنشده:

كَانَتْ رَزَايَا تَلَا فَيْنُهَا	بَكْرِي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِعِ
وَإِقْبَاطِي الْحَيَّ أَنْ يَرْقُدُوا	إِذَا هَجَعَ الْقَوْمُ لَمْ أَهْجِعِ
فَأَصْبَحَ نَهَبِي وَنَهَبَ الْعُبَّ	نَيْدٌ ^(١) بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تَدْرَاءِ	فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ	يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مُجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا	وَمَنْ تَضَعَ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فبلغ قوله رسول الله ﷺ فدعاه، فقال له: أنت القاتل:

أصبح نهبي ونهب العبيد - يد بين الأقرع وعُيَيْنَةُ

(١) العبيد - بضم العين المهملة وفتح الباء التحتية الموحدة - : اسم فرس العباس بن مرداس.

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم يقل ذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر وما أنت براوية، قال: فكيف؟ قال: فأنشده أبو بكر - رضي الله عنه، فقال الرسول ﷺ: هما سواء، لا يضرُك بأيهما بدأت: بالأنقرع أم بعينة. وقال رسول الله: اقطعوا عني لسانه، وأمر بأن يعطوه من الشيء والنعم ما يرضيه، ليمسك، فأعطي^(١)، وهكذا كان العباس من المؤلفة قلوبهم.

ويقول عبد البديع صقر: إن العباس بن مرداس وُلِدَ في عهد النبي ﷺ^(٢)، ولم أرَ هذا القول لغيره فيما لديّ من المراجع، فإنها تكفي بأن تقول: إنه مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم.

ومن رأيي أنه إذا كان قول عبد البديع صقر مطابقاً للواقع فلا بد أن يكون مولد العباس في الحقة التي سبقت البعثة النبوية إما بقليل أو أكثر من القليل، وذلك لأننا نعرفُ العباس بن مرداس، وهو فارس وشاعر في عام فتح مكة، ونعرفه قبل ذلك بطلاً معلماً خاض المعارك مع خُفاف بن نُدبة السُّلمي، وقال في حروبه معه شعراً نشرنا شيئاً منه، وعام الفتح هو السنة الثامنة للهجرة - بين الفتح ومولد الرسول ﷺ حقة من الزمن هي واحد وستون عاماً، فإذا كان عباس بن مرداس ولد في حياة الرسول فمولده - على ما نقدر - في العقد الثاني من عمره ﷺ، ومعنى هذا أنه كان وقت البعثة شاباً مكتمل الشباب، وسنه حول العشرين عاماً، وعندما كان الفتح وهو بعد البعثة بواحد وعشرين عاماً كان في آخر أيام شبابه، فهو يومئذ يقف على عتبة الكهولة والنضج، ونحن نراه قبل الفتح زوجاً لحبيبة السُّلمية التي لم ترضَ عن تحوله إلى الإسلام، فارتحلت عنه وهجرته مفارقة له، ونحن نراه قبل الفتح ذا خيل وإبل ولأنعامه راعٍ خاص بها، كما نراه قبل إسلامه سادناً للصنم الذي كان والده يرقاه وقد أوصاه به وبعبادته بعد وفاته ففعل، ومن كان كذلك لابد أن يكون رجلاً يتحمل المسؤوليات ويؤثّل الأموال ويعهد إليه بالمهام؛ ونحن نرى أن الحرب التي نشبت بينه وبين خُفاف، نشبت بعد البعثة النبوية وقبل فتح مكة، وقد كانت رحاها تدور بينهما قبل إسلامه وقبل إسلام

(١) الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني، ص ١٢١ - ١٢٦، الجزء الثالث عشر، القسم الأول.

(۲) شاعرات العرب، ص ۶۲، منشورات المکتب الإسلامی بیروت.

خصمه وابن عمه: خُفاف بن ندبة، ولايقوم بأعباء حرب كهذه إلا رجلٌ قوي
البينة مكتمل الشباب والفتوة.

وظل العباس بن مرداس على بداوته - بعد الإسلام - كان أليف الفيافي،
فلم يسكن بعد إسلامه مكة ولا المدينة، ولم يُقِم في أي بلد إقامة دائمة، وكان إذا
حضر إحدى غزوات النبي ﷺ لا يلبث أن يعود بعدها إلى مضارب قومه في قلب
البادية، يستنشق نسيمها العليل، ويأنس بنغمات طيورها البرية، ويرتاح إلى عشبها
وأشجارها، ويهفو إلى صحوها وغيمها، ويغرم بصحارها وجبالها وأوديتها،
وقالوا: إنه قدم البصرة مع من قدموا إليها من قومه بعد تمصيرها في خلافة عمر
ابن الخطاب، ولكنه لم يتخذها موطنًا، كما اتخذها غيره من بني عمومته، بل إنه
عاد لسكنى البادية التي تخفق الأرواح في أبياتها الشَّعرية أو الجلدية، وكان منزله
بالعقيق مما يلي سفوان.

وقد حرم على نفسه الخمر وهو في الجاهلية، وهذه مزية نفسية تدلنا على
أنه كان لبيبًا وذا رأي قويم في بعض الأمور الضارة أو النافعة للصحة العامة
والخاصة، وللمرءة والكرامة الإنسانية، فالخمر أمُ الخبائث وشُرُّها يؤدي إلى
ارتكاب المحرمات الأخرى، لأنها تسلب عقلَ العاقل وكرامة الكريم ولُبَّ
اللبيب، وقليل هم الذين حرموها على أنفسهم من عرب الجاهلية في الفترة
الآخيرة، لشغف أذهانهم وانجلاء بصائرهم وتفهمهم لعواقبها الوخيمة على الفرد
والمجتمع.

توفي العباس بن مرداس في الشام سنة ١٦هـ وله من الأولاد: جاهمة أو
جلهمة وله صحبة، وأبي، وسعيد. ومن ذرية جاهمة، عبدُ الملك وهارون ابنا
حبيب، ومن ذرية سعيد، بكار بن أحمد بن عبد الله بن سعيد المُحدث العابد،
مات بمصر.

خصائص شعره

يمتاز شعر عباس بن مرداس بالطراوة والطلاوة مع الوضوح، ومع أنه بدوي
موغل في البداوة أليف صحراء ووهاد ونجود، ورب سيف وخوَّاض معارك،
فإن شعره الذي بين أيدينا كان رطبًا سلسًا خفيف الروح، لا تجد فيه شيئًا من

وقال العباس بن مرداس يهجو خُفاف بن بدبة السُّلَمي، وطالما تلاحيا

وتهاجيا وتقاتلا في جاهليتهما:

نَاوَا عَنِّي وَقَطَعُوهُمْ شَدِيدُ
وَقُلْتُ: لَعَلَّ حِلْمَهُمْ يَعُودُ
فَأَسْقِيهِ الَّتِي عَنْهَا يَحِيدُ
مِنَ الشَّحْنَا الَّتِي لَيْسَتْ تَبِيدُ
وَعَوُفٌ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَقُودُ
وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْ نَعْمٍ مَزِيدُ
حُلُوقٌ مَا يَبْضُ لَهَا وَرِيدُ
وَإِنْ أَقْرَبُ فَوَدَّهْمُ بَعِيدُ
تَرْقُوا يَا بَنِي عَوُفٍ وَزِيدُوا
وَلَا مِثْلِي بِضَائِرِهِ الْوَعِيدُ
أَيْتَفَعْنِي الْهَبُوطُ أَمْ الصَّعُودُ؟
كَكَلْبٍ لَا يَهْرُ وَلَا يَصِيدُ
شَوَازِبَ مِثْلُهَا فِي الْأَرْضِ عَوْدُ
كَأَنَّ رِمَالِ صَحْصَحِهَا قَعُودُ
فَوَارِسَ نَجْدَةٍ فِي الْحَرْبِ صَيْدُ
بِكُلِّكُلِهَا وَمَنْ لَيْسَتْ تَرِيدُ^(١)

أَرَانِي كُلَّمَا قَارَبْتُ قَوْمِي
سَمَمْتُ عَتَابَهُمْ فَصَفَحْتُ عَنْهُمْ
وَعَلَّ اللَّهُ يُمْكِنُ مِنْ خُفَّافٍ
بِمَا اكْتَسَبَتْ يَدَاهُ وَجَرٌّ فِينَا
فَلِإِنِّي لَوْ يُوَدِّبُنِي خُفَّافٌ
وَإِنِّي لَا أَرِيدُ خَيْرًا
فَضَاقَتْ بِي صَدُورُهُمْ وَغُصَّتْ
مَتْنِي أَبْعَدُ فَشَرُّهُمْ قَرِيبُ
أَقُولُ لَهُمْ وَقَدْ لَهَجُوا بِشْتَمِي
فَمَا شَتَمِي بِنَافِعٍ حَيٍّ عَوُفُ
فَمَا أَدْرِي وَمَا يَدْرِيهِ عَوُفُ
أَتَجْعَلُنِي سَرَاةَ بَنِي سُلَيْمٍ
كَأَنِّي لَمْ أَقْذُ خَيْلًا عَنَاقًا
أُجَشِّمُهَا مَهَامَةً طَامَسَاتِ
عَلَيْهَا مِنْ سَرَاةِ بَنِي سُلَيْمٍ
فَأَوْطِئْتُ مَنْ تَرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ

تلوح من هذه القصيدة من شعر عباس بن مرداس مسحة من الألم المكبوت، وشكوى مكنونة من الاستخفاف به الذي لمسه من بني قومه - وربما كان ذلك منهم إبان القتال الناشب بينه وبين ابن عمه «خفاف» - وهو يذكر هنا أسماء معينة، يوجه إليها قوارص العتب واللوم والتفريع جزاء شتمهم له، وهؤلاء هم:

وفي هذه القصيدة يذكر لنا أن «المتغزل فيها»:

تضوع منها المسك حتى كأنما تَرَجَّلُ بالريحان رطباً ويابساً

و(تَرَجَّلُ) بمعنى تُسَرِّحُ الشَّعْرَ، ومن هذا يبدو أن تسريح شعر النساء بالريحان رطباً ويابساً عادة كانت لديهن مألوفة في الجاهلية.

وقد قطع عباس نسيبه في «أسماء» قطعاً، بالانصراف إلى شئون أعدائهم

فقال:

فَدَعَهَا وَلَكِنْ قَدْ أَتَاهَا مَقَادُنَا لِأَعْدَائِنَا تُزْجِي الثُّقَالَ الْكُودَا

إلى أن يقول:

سَمَوْنَا لَهُمْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً نَجُوبٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَفْرًا وَيَابِسًا

وهو يصف بُعدَ منازل أعدائهم الذين غزوه في عقر دارهم، مصعدين، لأن منازلهم بتثليث قرب نجران، وتثليث بعيدة عن منازل بني سُلَيْمٍ. . هي في الجنوب، وهم في الشمال، قال:

فَبِتْنَا قَعُودًا فِي الْحَدِيدِ وَأَصْبَحُوا عَلَى الْمُرَكَبَاتِ يَجْرُدُونَ الْأَيَّاسَا

فلم أرَ مثلَ الحيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا لَمَّا التَّقِينَا فَوَارِسَا

أَكْرُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

وبينما يصف الشاعر هنا قومه بالفروسية والبطولة، يشني فيصف أعداءهم بأنهم أكرُّ على الأبطال وأحمى للحقيقة، وبأن قومه هو - بني سُلَيْمٍ - أضربُ للأبطال بالسيوف، وهذا إنصافٌ من الشاعر.

ويعود إلى وصف شجاعة قومه فيقول:

وَأَخْصَنَّا مِنْهُمْ فَمَا يِلْغُونَا فَوَارِسُ مِنَّا يَحْبِسُونَ الْمُحَاسِبَا

وهو هنا يصف لنا موقف قومه الدفاعي - وهذا إنصاف آخر منه - فما

أحسن الحقيقة حين تقال في مثل هذه المواقف.

ومن إنصافه أن يقول: إنه لولا حماية هؤلاء النفر الثلاثة له لَلَّقِيَ الدَّوَاهِي؛
فالدهارس هي الدواهي.

ويستمر في وصف وقائع المعركة فيقول: فأما زيد فقد مارس الإقدام، لولا
إقصار خطأ مهره، وبنو سُلَيْمٍ كانت الخيل لديهم كثيرة وفيرة - كما قدمناه:

ومارس زيد ثم أقصر مهره وحقَّ له في مثلها أن يمارسا
ولعنترة في معلته وصف يماثل ما وصف به العباس «زيداً»، يقول عنترة:
(ولكنني تضايق مقدي).

وأما قُرَّة فكان موقفه حمَايةَ المنهزمين والمتفرقين في المعركة، وطعن الأعداء
بقوة وضراوة، فلله دره من فارس مغوار:

وقُرَّةٌ يحميهم إذا ما تبددوا ويطعنهم شزراً فأبرحتَ فارسا
ويجلي لنا الموقف تماماً أن بني سُلَيْمٍ في غزوهم لمراد في أرضهم: «تثليث»
تمكنوا من (جَرَح) الكثير من رجالهم فقط، ولم يجهزوا عليهم، ولو مات الجرحى
من أعدائهم لاغتبط الضباع هنالك بكثرة القتلى، والسبب في عدم تمكن
السُّلَمِيِّين الغزاة من القضاء على خصومهم يعود إلى أن هؤلاء الخصوم كانوا
يلبسون الدروع المضاعفة، فلا تصل إلى أجسامهم سيوف بني سُلَيْمٍ ولا رماحهم:
ولومات منهم مَنْ جَرَحْنَا لأصبحت ضِبَاعٌ بأكناف الأراك عرائسا
ولكنهم في «الفارسي» فلا يرى من القوم إلا في المضاعف لابسا

ويقصد بـ «الفارسي» هنا، الدروع الفارسية المضاعفة، أي المنسوجة حلقتين
حلقتين، فهي لذلك بقي لابسا من الضرب والطعن.

ويزيدُ الموقفَ (النجلاء): فيذكر أن أعداءهم إذا تمكنوا من قتل كريم منهم
فإنهم هم أيضاً قد قتلوا به منهم قَتْلَى تُذَلُّ أنوفهم، فقد قتلوا بالقتيل السُّلَمِي
الواحد، خمسة بل ستة من أعدائهم:

فإن يقتلوا منا كريماً فإننا أبأنا به قَتْلًا تُذَلُّ المعاطيبا
قتلنا به في ملتقى الخيل خمسة وقتلته زِدْنَا مع الليل سادسا

وقد اقتضى المشهد هنا أن يبرز شهامة قومه وإباءهم في الحروب، وتقدمهم إليها كما يتقدم حبيب لحبيب:

وكنّا إذا ما الحرب شَبَّتْ نَشْبُهَا ونَضْرِبُ فيها الأَبْلَجَ المتقاعسا
والأَبْلَجُ: «المتكبر» والمتقاعس: «المتنعم» الذي لا يطأطئ رأسه.

وهنا يختم الشاعر قصيدته «المنصفة» بوصف شامل لما حدث في الصدام المسلح بينهم وبين مُراد، فيقول:

فأَبْنَا وأَبْقَى طَعْنًا في رماحنا مَطَّارِدَ خَطِيٍّ وَحُمْرًا مَدَاعِسا
والمطارِدُ: ما يبقى من الرماح إذا انكسرت، والخطيُّ: الرمح المنسوب إلى خط البحرين.

وجُردًا كَبَأَ الأسدَ فوق مُتُونِها من القوم مَرءٍ وسًا وآخر رائسا
وهكذا عاد الغزاة السُّلَمِيُّونَ من صدام مسلَّح لم يكن لهم فيه نصر ولا انكسار، ولكنهم حققوا في غزوتهم معنى البطولة، ودافعوا بالهجوم البعيد المدى الذي شنوه على أعدائهم في عقر ديارهم عن أعراضهم وسمعتهم وشرفهم وحماهم - والهجوم من أنجح وسائل الدفاع وأنجحها قديماً وحديثاً -.

هذا، وقد ذكّرني (اختتام) العباس بن مرداس (لسينيته المنصفة) هذه بقول عمرو بن كلثوم التغلبي في (قصيدته المنصفة) - معلقته النونية المعروفة:

فأَبَا بالنهب وبالسبَايا وأَبْنَا بالملوك مَصْفَدِينَا

ويبدو أن العباس كان على علم بقول عمرو بن معد كرب له من قصيدة سينية أو هما بيتان فقط:

أعباس لو كانت شياراً جِيَادَنَا بتثليث ما ناصَبْتَ بعدي الأحامسا
ولكنها قِيدَتْ بصعدة مرةً فأصبحن ما يمشين إلا تكاؤسا

نماذج أخرى من شعره الإسلامي

لَقَبْنَا عباس بن مرداس السُّلَمِي، بشاعر حُنين، لما اتضح لنا من دراسة شعره الإسلامي، من أنه أكثر من قال الشعر في يوم حُنين وأنداهم صوتًا، وخاصة أنه شهد المعركة مع بني سُلَيْم وخاض معهم غمارها، ومن ذلك قوله:

فلإني والسوانح يوم جَمَعُ
لقد أحببتُ ما لَقِيتُ ثَقِيقًا
ركضنا الخيل فيهم بين بَسَّ
بذي لجب رسول الله فيهم

ومن ذلك قوله أيضًا في يوم حنين:

ويوم حُنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحَّاك لا يستفزنا
أمام رسول الله يخفق فوقنا
عشية ضحَّاك بن سفيان معتص

إلى أن يقول:

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى
ولكن دين الله دين محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا
مصالاً لكننا الأقربين تُتَابِعُ
رضينا به في الهدى والشرائع
وليس لأمر حَمَّةُ الله دافع

يقول في الأبيات الثلاثة الأخيرة: إنهم يقاتلون إخوتهم (هوازن) الذين تجمعهم بهم وشيعة النسب في (قيس) - يقاتلونهم عن إخوتهم في الإسلام الذين يربطهم ببعض ما هو أقوى من وشيعة النسب من كُتُب، وإن بني سُلَيْم لو كانوا يرون في حكم الدين مصالاً ومجالاً أو تطاولاً على الناس لكانوا مع الأقربين

(١) في ديوانه: الأوراد، وقال جامع الديوان ومحققه: موضع عند حنين. أما الأورال باللام فهو ما ورد في السيرة، والأورال: أجبل ثلاثة سود بجانبها ماء لبني عبد الله بن دارم من تميم. ومعنى تنحط بالنهاب: أي تخرج أنفاسها عالية بما تنهب.

(٢) خذروف السحابة: طرفها، أراد بذلك سرعة تحرك هذا اللواء المظفر.

(٣) معنى (معتص): ضارب بسيف رسول الله ﷺ والضحَّاك بن سفيان هو من بني كلاب من بني عامر من هوازن، أمره رسول الله على بني سُلَيْم وكان قائدهم في معركة حُنين. وحذف الألف واللام في (الضحَّاك) لضرورة وزن الشعر.

خُفَّافُ بنِ عمير السُّلَمي

أحد شعراء بني سُلَيْم المعروفين، وصفه الأصمعي حينما سُئِلَ عنه، وعن عنترة العبسي من غطفان، والزيرقان بن بدر من بني تميم، بقوله: (هؤلاء أشعر الفرسان، ومثلهم عباس بن مرداس السُّلَمي) ولم يقل أنهم فحول^(١).

ولخُفَّاف ترجمة وافية سبقت لنا في فصل: (صحابة من بني سُلَيْم) اكتفينا بها عن تكرار ترجمته في هذا الفصل، حيث إن في تلك مقطوعات طيبة من شعره.

الفرَّار السُّلَمي

(حيَّان بن الحكم)، شاعر مخضرم، صحابي، وكان أحد أصحاب راية بني سُلَيْم يوم فتح مكة، وتقدمت ترجمته في فصل: «صحابة من بني سُلَيْم» أيضًا، وله شعر جزل رصين. وقد مكثته شاعريته القوية من أن يُحَسِّنَ (الفرَّار) على قبحه حتى حَسَّن، قال:

وكتيبة لَبَسَتْهَا بكتيبة حتى إذا التبستُ نفضتُ لها يدي
فتركتهم تقصُّ الرماحُ ظُهورَهم ما بين مقتول وآخر مسند
هل ينفعني أن تقول نساؤهم، (وقُتِلْتُ دون رجالها) لا تبعد^(٢)
ويذكرنا تحسينه للفرار في شعره هذا، بقول الحارث بن هشام حين فرَّ عن أخيه أبي جهل بن هشام، واعتذر عن ذلك في قوله:

الله يعلم ما تركتُ قتالهم حتى علَّوا فرسي بأشقر مُزِيدٍ
وشممتُ ريح الموت من تلقائهم في مأزق والخيل لم تبددِ
وعلمت أني إن أقاتلُ واحدًا أقتلُ ولا يضرُّ عدوي مشهدي
فصدرتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعًا لهم بعقاب يوم مُرصدٍ

(١) الموشح للمزباني، ص ١٢٠، طبع دار النهضة، مصر، ١٩٦٥م.

(٢) العقد الفريد - لابن عبد ربه، ص ١٣٩ و ١٤٠، المجلد الأول، وفي شرح ديوان الحماسة:

(ما بين منعفر وآخر مسند)، والمنعفر: الملقى في التراب... فالمنعى واحد جاء في القاموس المحيط أن المترجم (حبان) - بالباء التحتية الموحدة -؛ لأنه أورد اسمه في (مادة حب).

وكان حسان بن ثابت شاعر الأنصار قد هجا الحارث بقصيدة - بسبب
فراره - يقول فيها:

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَ الَّذِي حَدَّثَنِي
 فَنَجَوْتَ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
 وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ

وأبيات الحارث المتقدمة قالها جواباً عن هجاء حسان هذا.

مالك بن عمير السُّلَمي

صحابي وشاعر. له حديث رواه عن النبي ﷺ في الشعر، راجع ترجمته في فصل: (صحابه من بني سليم).

أبو شجرة: عمرو السلمي

هو عمرو بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن رواحة بن مُثَلِّب - بضم الميم بعدها لام مفتوحة فياء ساكنة فلام - ابن عَصِيَّة، أمه الحنساء الشاعرة، أورد ابن حزم أنه شاعر^(١).

ارتد أبو شجرة مع من ارتد من قومه في خلافة أبي بكر، وله شعر في ذلك يقول فيه:

فلو سألت عنا غداة مُزَامِرٍ
لقاء بني فهر^(٢) وكان لقاءهُمُ
صبرتُ لهم نفسي وعَرَجْتُ مُهْرَتِي
إذا هي صدت عن كَمِيٍّ أريدُه
وقال في رده عن الإسلام:

صحا القلب عن مَيِّ هواه وأقصرا
وأصبح أدنى رائد الجهل والأصبي
وأصبح أدنى رائد الوصل منهم

وطاوع فيها العاذلين فأبصرا
كما ودَّها عنا كذاك تغَيَّرا
كما حبَّ لها من حبِّلنا قد تَبَتَّرا

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦١.

(۲) یعنی قریش

ألا أيها المدلني بكثرة قومه
سل الناس عنا يوم كل كريهة
السنا نعطاي ذا الطماح لجامه
وعارضة شهباء تخطر بالقنا
فرويتُ رمحي من كتيبة خالد
وقد عمّر أبو شجرة بعد الردة كما رجًا، ومن حسن حظّه أن أسلم ودخل
فيمن دخل فيه الناس.

أبو شجرة وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

وفي زمن عمر بن الخطاب قَدِمَ أبو شجرة المدينة، وأناخ بصعيد بني قريظة -
وإخالة شرقي المدينة حيث حرّة بني قريظة؛ لأن هذه الناحية هي الموالية لبلاد بني
سُلَيْم - ثم أتى عمر وهو يعطي المساكين من الصدقة ويقسمها بين فقراء
العرب، فقال: يا أمير المؤمنين ! أعطني فإني ذو حاجة. قال: ومن أنت؟ قال:
أبو شجرة بن عبد العزّي السُلَمي، قال عمر: أبو شجرة؟! أي عدوّ الله! أَلَسْتُ
القاتل:

فرويتُ رمحي من كتيبة خالد
وإني لأرجو بعدها أن أعمّرًا
ثم جعل عمر يعلوه بالدرة - السوط - في رأسه حتى سبقه أبو شجرة عدوًّا.
فرجع أبو شجرة إلى ناقته فارتحلها ثم أسندها في حرّة شوران^(١) راجعًا إلى أرض
بني سُلَيْم، وقال يحكي ما حدث بينه وبين عمر بن الخطاب في المدينة:

ضنّ علينا «أبو حفص» بنائله
ما زال يُرهِقني حتى خذيتُ له
لما رهبتُ «أبا حفص» وشرطته
ثم ارعويت إليها وهي جانحة
وكل مختبط يومًا له ورق
وحال من دون بعض الرغبة الشفق
والشيخ يفزع أحيانًا فينحمق
مثل الطريدة لم ينبت لها ورق

(١) شوران - بفتح الشين وسكون الواو -: جبل مطل على السد مرتفع بجنوب غرب المدينة المنورة،
وفيه مياه كثيرة يقال لها: البحيرات، وعن يمينك حيثئذ غير، وبهذاء شوران هذا جبل ميطان (معجم البلدان
لياقوت الحموي مادة «شوران»).

نصر بن حجاج السُّلَمي

كان نَصْرٌ من أجمل العرب، وهو تابعي، وأبوه «حجَّاج» السُّلَمي من الصحابة، وقد مرت بنا ترجمته في فصل: (صحابة من بني سُلَيْم). ونصر من شعراء سُلَيْم.

وقد أورد لنا الرواة قصة افتتان بعض نساء العرب في المدينة بجماله الباهر، وحينما ثبت لدى عمر بن الخطاب - وهو خليفة - تشبيب امرأة به في أبيات شعر أنشدتها ليلاً، فسمعها أثناء عَسَهِ وتجوَّاله في سِكَكِ المدينة - غَرَّبَ نصرًا عن المدينة اتقاء الفتنة به في بلد الرسول ﷺ.

ومجمل القصة أن «الذلفاء»^(١) هَوَيْتْ نصرًا ودعته إلى نفسها، فزجرها ولم يوافقها، وبينما عمر يعس في بعض سِكَكِ المدينة ليلاً إذ سمع نشيد شعر من دار فوق يتسمع فإذا الذلفاء تقول:

يا ليت شعري عن نفسي أراهقة مني ولم أقض ما فيها من الحجاج؟!

ألا سبيلٌ إلى خمر فأشربها؟ أم لا سبيل إلى نصر بن حجَّاج؟!

فامر عمر، فأخرجت من منزلها وحَبَسَهَا، وحينما علمت بالسبب أنفَت على نفسها أن يعاقبها أمير المؤمنين بما سمع منها، فكتبت إليه شعراً تقول فيه:

قل للإمام الذي تُخشى بواده مالي وللخمر أو نصر بن حجَّاج؟

إني عنيت أبا حفص يعدهما شرب الحليب وطرف قاصر ساجي

لا تجعل الظن حقاً أو تيقنه إن السبيل سبيل الخائف الراجي

إن الهوى زَمَهُ التقوى فَخِيَّسَهُ حتى أقر بالجام وأسراج

فبعث إليها عمر وأطلق سراحها وقال لها: لم يبلغنا عنك إلا خير، ومن يومئذ لقت «الذلفاء» «بالمتمنية»، وسار لقبها هذا في الآفاق، وشرق وغرب، حتى وصل إلى العراق، وعرفته نساؤه وتداولته، وضربت بها الأمثال.

(١) جزم ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» بأن المرأة التي قالت هذا الشعر هي «فريعة» أم الحجاج ابن يوسف الثقفي أمير العراق، وكانت زوجة للمغيرة بن شعبة، وقدم الدليل على رأيه في الصفحة ٢٦٣.

تلك إحدى روايات قصة نصر بن حجاج السُّلَمي.

أما «المدائني» فلم يجعل خاتمة حياته ما ذكر آنفاً، بل قال: وبعد أن أقام نصر حَوْلًا كتب إلى عمر:

لعمري لئن سَيَّرْتَنِي أو حرمتني	وما نلتُ ذنباً إنَّ ذا لحرام
وما لي ذنب غير ظن ظنته	وفي بعض تصديق الظنون أثم
أأن غنَّت الحوراء يوماً بمنية	وبعض أمانِي النساء غرام
ظننتُ بي الظنَّ الذي ليس بعده	بقاءً ومالي في النديّ كلام؟
وأصبحتُ منفياً على غير ريبة	وقد كان لي بالمتكئين مقام
ويمنعني مما يُظنُّ تكرمي	وأباءُ صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تمت صلاحها	وطولُ قيام ليلها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي	وقد جُبَّ مني كاهل وسنام؟

قال صاحب الأوائِل: (فلما وصلت الأبيات إلى عمر نظر فيها، وكتب إلى أبي موسى الأشعري، وأمره بالوصاية به، إن أحبَّ يُقيمُ بالبصرة، وإن أحبَّ الرجوع إلى المدينة فذاك إليه. فاختر نصرُ المقامَ بالبصرة، ولم يزل مقيماً بها إلى أن خرج أبو موسى إلى محاربة أهل الأهواز، فخرج معه نصر بن حجاج في الجيش، وحضر معه فتح تستر^(١)).

ويفهم من الرواية التي أوردتها ابن الحجاج في كتابه (من سُمِّيَ من الشعراء عمراً) أن نصرًا هذا عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان، وقد أوردنا نص هذه الرواية في ترجمة عمرو بن أبي سفيان أبي الأعور السُّلَمي في الفصل الذي ذكر فيه فوارس سُلَيْم من هذا الكتاب.

ولنا هنا ملاحظات على هامش رواية المدائني لخاتمة قصة نصر بن الحجاج.

أولاً - إن لَقَبِيَّ (الْمُتَمَنِّيَّة) و(الْمُتَمَنِّي) اللذين وُسِمَ بهما كل من الذلفاء أو

الفریعة، ونصر بن حجاج، قد بلغا من الاستقرار فی النفوس والمجتمعات إلى حد جعل نصرًا نفسه یشير إليهما إشارة واضحة حين یقول فی الآیات التي بعث بها إلى عمر:

ویمنعني مما یُظنُّ تكرمي وآباءُ صدق سالفون كرام
ویمنعها مما تمنت صلاحها وطولُ قیام لیلها وصیام

ثانيًا - أرى أن لنصر الحق فی اختیار الإقامة بالبصرة عن المدينة؛ وذلك لأن أمره وأمر (التمنية) قد ذاع وشاع فی سائر الأوساط الإسلامية وبالمدينة خاصة، وصار موضع التندر والأحاديث العامة والخاصة، فلو عاد إلى المدينة لعاد معه الحديث المتشعب المتواتر الدائم عن أمره وأمر صاحبه التمنية، مما يقض مضجعه ويعيد إليه الشجون والآلام، فكثرة حديث الناس عن مثل هذا الموضوع يؤثر أثرًا عكسيًا على من یقال فيه، وخاصة إذا لاحظنا تزايد الجماهير وتوسعتهم لشقة الظنون ومختلف التفسيرات والتحليلات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ثالثًا - وقيام نصر بن حجاج - على رواية المدائني - بمرافقة الجيش الغازي مع أبي موسى، يدلنا على عمق إيمان نصر وعلى أنه فی المستوى الطيب من كرم الأخلاق وطيب العنصر، فما حال بينه وبين الجهاد فی سبيل الله لو كُ الألسنة لاسمه بحق وبغير حق.. لقد كان شريفًا وابن شريف وظل على مستواه الاجتماعي وقد رأينا عمر بن الخطاب (وهو الخليفة الرجاء إلى الحق متى لاح له ضياؤه من أي مكان ومن أي إنسان) رأيناه يعطف عليه عطفًا كاملاً ويعيد إليه (اعتباره) ويكتب إلى عامله بالبصرة بتخييره بين المقام بالبصرة والعودة إلى المدينة.. وكم كان نصر حقيقًا وليبًا عندما فضل البقاء فی البصرة للبواعث التي أشرنا إليها آنفًا، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وليس على أقواه الناس أقفال.

عباس بن أنس بن عباس بن مرداس السلمي

يتراءى لي أن عباسًا هذا هو أحد أحفاد عباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر البطل المعروف^(١).

(١) يسند ذلك إلى ما ورد في معجم الشعراء للمرزباني، فقد ساق نسه كما ذكرناه، راجع ص ١٠٣.

ولعباس بن أنس رثاء مؤثر في ابن عمه: عبد الله بن خازم السُّلَمي، القائد المحنَّك وبطل الحروب المغوار الذي أوقع به دهاء عبد الملك بن مروان؛ حينما حافظ على كلمة الشرف فلم يقبل أن ينقض بيعته لعبد الله بن الزبير؛ برغم المغريات الكبيرة التي قدمها له عبد الملك. وقد فصلنا ترجمة حياته في فصل: (أمرء وزعماء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سُلَيْم).

يقول عباس بن أنس يرثي عبد الله بن خازم:

نفس الفدا لعبد الله إذ جشأت	نفسُ الجبان وضاق الورد والصدرُ
كان المحافظَ والحامي حقيقتنا	إذا الكمأة ارجحنوا والقنا كسرُ
وضاقت الخيل تردّي في أعتتها	خزر العيون ولما ترشح العذرُ
حامّي وخاضَ حياضَ الموت معترماً	بالسيف. . يخطر حتى عزّة النفرُ
وفر أصحابه عنه وأسلمه	للشائنين صروف الدهر والقدَرُ
فصادف الموتَ محموداً أخاً ثقة	كأنَّ غُرَّتَه في القسطل القمرُ (١)

وقصيدة عباس بن أنس هذه تجري مجرى سائر قصائد بني سُلَيْم الذين اطلعتُ على أشعارهم في الجاهلية والإسلام، من حيث جمالُ الأسلوب، وحصافة المعاني، وجزالة البيان، ووضوح المقاصد والأهداف، وعدم التعثر في حوشي^(٢) الكلام ولا وحشيّه.

موسى بن عبد الله بن خازم السُّلَمي

شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء بني سُلَيْم في صدر الإسلام، وهو ابن القائد البطل عبد الله خازم.

لموسى قصيدة عصماء رثى بها أخاه (محمد بن عبد الله بن خازم) الذي قُتل في ولاية والدهما لخراسان:

ذكرتُ أخي والخُلُو مما أصابني يَغْطُ ولا يدري بما في الجوانح

(١) معجم الشعراء، ص ١٠٣ و ١٠٤.

(٢) حوشي الكلام: غامضه.

صدورهم من ألم ممض وتفجع وحزن قاتل، في صَوغٍ مُنسجمٍ مُوسيقىٍّ رائعٍ يستبي القلوب ويستهوِي الأفكار، ويجعل السامع والقارئ يشاطران شاعرهم حزنه العميق.

نقل ترجمة موسى بن عبد الله بن خازم، مُحَقِّقُ كُتَيْبٍ «أسماء جبال تهامة وسكانها، لعَرَّامِ السُّلَمي» عن «النجوم الزاهرة»، ومحقق ذلك الكُتَيْب هو: محمد عبد السلام هارون^(١).

أبو عدنان السُّلَمي

عبد الرحمن بن عبد الأعلى البصري، مولى بني سُليم، قال عن نفسه: كان جدُّ أبي من السُّغَدِ أصابه سِبَاءٌ، سباه عبد الله بن خازم السُّلَمي، فمن عليه.

سمع أبو عدنان من أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي مالك، ونظرائهم. وكان أحد الرماة المُجِيدِينَ، وكان شاعراً راوية للحديث، وله كتب في الأدب حَسَنٌ منها: «كتاب قِسِيَّ العرب» لم يسبقه أحد إلى تصنيف مثله، وكتابٌ في «غريب الحديث».

وأبو عدنان هو قاتل هذا البيت الذي:

سار مسير الشمس في كل بلدة وهبَّ هبوب الريح في البر والبحر

وذلك البيت هو قوله:

تدس إلى العطار ميرة أهلها ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر^(٢)

وله زميل لا يقل عنه روعة، وإن قلَّ عنه شهرة، وهو قوله:

الم تر أن البان يُجَلَبُ عُلْبَةً ويتركُ عودٌ لا ضراب ولا ظهر

(١) ص ٢٨ و ٧٦.

(٢) يفهم من هذا البيت أن نساء العرب في عهد الشاعر كن يستعملن نوعاً من «المكياج» لتجميل وجوههن. وللييت رواية أخرى:

تروح إلى العطار تصلح وجهها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

وقد سبق إلى هذا المعنى، الشاعر جران العود حيث قال:

عجوز ترجى أن تكون فتية وقد لحب الجنيان واحدودب الظهر

تسوق إلى العطار ميرة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

بنيت بها قبل المحاق بليلة فكان محاقاً كله ذلك الشهر

(راجع تهذيب الألفاظ لابن السكيت، ص ٥٨٠، طبعة بيروت ١٩٨٥م).

وعندما سمعت امرأة أبي رجاء الكلبي البيتين السابقين، أجابته بقولها:
 عَدِمْتُ الشيوخَ وأشباهَهُمْ وذلك مِنْ بَعْضِ أَفْعَالِيهِ
 ترى زوجة الشيخ مُغْبَرَةً وتُسمي بصحبته بِأَلِيهِ
 لقد كالت له من نفس النوع الذي كاله لها، وجزاء سيئة بمثلها، والبادي
 أظلم.

ويحدثنا أبو عدنان عن نفسه وعن هذه المرأة، فيقول: بعد ما سمع بيتيها
 السالفين: «فَوُتِّبْتُ عَلَيْهَا... فَنَادَتْ يَالَ كَلْبُ!»، وناديت: يَالَ كَلْبُ!، فدخل
 علينا النساء دون الرجال، فضربتني وخنقتني وشققن مَدْرَعَتِي.
 وقال محمد بن الجراح: أبو عدنان الأعور السُّلَمي البصري اسمه: وَرْدُ بن
 حكيم، راوية أبي البيداء:
 ومن شعر أبي عدنان قوله:

أَهْمَلْتُ نَفْسَكَ فِي هَوَاكَ وَلَمْتَنِي لو كُنْتُ تُنْصِفُ لِمَتَ نَفْسِكَ دُونِي
 مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرَى أَقْدَاءَهَا وترى الخفاء من الأذى بجفوني؟
 وقال أحمد بن سليمان: سألت أبا عدنان عن قول النبي ﷺ لأبي أيوب:
 (إِنْ طَلَّقَ أُمَّ أَيُوبَ لِحُبِّ) - أهو الإثم؟ فقال: لو كان كذا، لضاق على كل
 مطلق الطلاق، ولكن الحوب: الوَحْشُ، وأنشد:
 إِنْ طَرِيقٌ مُثَقَّبٌ لِحُبِّ

أَي: لَوَحْشٍ، قال: وَمِثْقَبٌ: طريق الكوفة إلى مكة، وطريق البصرة إلى
 مكة يدعى (فَلَجًا)، وأنشد:
 إِنْ بَنِي الْعَبِيرِ أَحْمَوْا فَلَجًا ماءً رَوَاءَ وَطَرِيقًا نَهَجًا

ويُدعى طريق اليمامة إلى مكة: المنكدر، وأنشد:
 لَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ طَرِيقَ الْمُنْكَدِرِ وَلَا تَكَارَى مِنْ فُقَيْمِي عَسِرِ
 تَسِيرُ يَوْمِينَ وَيَوْمًا تَنْتَظِرُ وَلَا يَزَالُ قَدْ أَتَاكَ يَعْتَذِرُ
 بِالْإِفْكِ وَالزُّورِ وَإِيَّاكَ يَغُرُّ^(١)

(١) نور القيس المختصر من المقتبس لأبي عبد الله محمد بن غمران المرزباني اختصار أبي المحاسن
 يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليمغوري، ص ٢١٧ و ٢١٩، طبع فيسبادن ١٩٦٤م - ١٣٨٤هـ.

مَعْنُ بْنُ أَبِي عَاصِيَةِ السُّلَمِيِّ

يقال: إن اسمه يعقوب بن أبي عاصية الأجدع السُّلَمِيُّ.

وهو مدني شاعر، له في مَعْنُ بن زائدة مديح سائر، وكان ناصيباً، استعمله زياد بن عبد الله الحارثي لما كان على المدينة للمنصور - على يَنْبَغ، فَحَبَسَ بعض أولياء عبد الله بن حسن، فشهَر (فشتمه) عبد الله، فهجاء وَقَبَح. وسماه عمر بن شبة: يَعْقُوبَ، وقال الزبير: اسمه مَعْنُ.

وهو القائل لمَعْنُ بن زائدة الشيباني من بكر بن وائل:

إن زال معن بن شريك لم يزل يوماً إلى بلد بغير مسافر
نَذراً عليّ، لئن لقيتك سالماً أن تستمر بها شفار الجازر

وهو القائل عند قدومه إلى العراق:

تطاول ليلي بالعراق ولم يكن عليّ بأكناف الحجاز يطول
فهل لي إلى أرض الحجاز ومن به بعاقبة قبل الممات سبيل؟
إذا لم يكن بيني وبينك مرسل فريح الصبا مني إليك رسول^(٢)

ابن أقيصر السُّلَمِيُّ

تنازع ابن أقيصر الشاعر السُّلَمِيُّ إلى الحسن بن زيد في قَطِيعَةِ سَلَمَةَ بن مالك السُّلَمِيِّ، فعرفها الحسن، فقال: اتنوني ببرهان مع معرفتي (قال ابن أقيصر): فأتينا عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر فسألناه، فَأَخْبَرَنَا عن أبيه عن جده، رفعه إلى عمار بن ياسر، أن النبي ﷺ أقطع سَلَمَةَ بن مالك السلمي وكتب له: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ، سَلَمَةَ بن مالك أعطاه ما بين الحناظل إلى ذات الأوساد، ومن حاقه فهو مبطل، وحقه حق)^(٣).

(١) معجم الشعراء، للمرزباني، ص ٣٢٤ و ٣٢٥ وغيره.

(٢) مجالس ثعلب، ص ٤٣٥، والحناظل: موضع في ديار بني أسد كانت فيه وقعة لبني تميم على بكر.

راجع هامش الصفحة ٤٣٥ من مجالس ثعلب لعبد السلام محمد هارون.

النون، وقال نقلاً عن صاحب «المسهب»: إنه أخو إسماعيل أول من ملك طليطلة من بني ذي النون، وقال: إنه يُكَنَّى يَأبِي الضراس، ويظهر أن أسرته ضاقت به ففر منها، فُدسَّت له من قتله^(١). وإذا ثبت هذا النسب للأرقم فهو ليس بسُلَيمٍ وإنما هو بربري؛ لأن بني ذي النون أمراء طليطلة بالأندلس برابرة كما هو معروف.

محمد بن أبي بدر السُلَيمي

من شعراء بني سُلَيم، وكان نزل الجبل، وله في زهير بن هلال من قصيدة مخمسة أولها:

الحمد لله على السراء والحمد لله على الضراء
رزاق أهل الأرض والسما ما أحسن الصبر على البلاء
والشكر لله على الرخاء

ثم حرف الباء خمسة أبيات، مثل حرف الهمزة، وهكذا إلى آخر حروف الهجاء^(٢).

عمرو بن مرثد أبو الغرَّاف السُلَيمي

هو أحد شعراء سُلَيم المعروفين، وقد رد على ربيعة الرُّقي قوله الذي مدح به يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وهجا فيه يزيد بن أسيد السُلَيمي:

لشَّتَان ما بين اليزيديين في العلي^(٣) يزيد سُلَيم والأغرُّ بن حاتم
يزيد سُلَيم سالم المال والغنى أخو الأزْد للأموال غير مُسَالِم
فَهَمُّ الفتى الأزديُّ تفريق^(٤) ماله وهمُّ الفتى القيسيُّ جمع الدراهم
وهمُّ الفتى القيسيُّ دُفٌّ ولعبة وهمُّ الفتى الأزديُّ ضرب الجماجم

(١) خريدة القصر وجريدة أهل العصر مع هامشها - القسم الرابع، الجزء الثاني، ص ١٥٨، ط مطبعة دار نهضة مصر بالقاهرة.

(٢) معجم الشعراء، ص ٤٠٥.

(٣) في رواية أخرى «في الندي» وهي أقرب إلى المعنى المقصود من هذه الأبيات.

(٤) في رواية أخرى لهذا البيت: «اتلاف» بدلاً من صيغة «تفريق» والرواية الأخرى هذه أدق بالنسبة للهدف المنشود من الأبيات جميعاً.

فلا يحسب التَّمَتَامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
وَقَدْ عَقَّبَ «ابن الجراح» عَلَى مَا ذَكَرَ أَنْفًا بِقَوْلِهِ: «فَهَجَا أَبُو الْغُرَّافِ، الْيَمَنَ
وَرَبِيعَةَ».

وَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَهْجُو يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ وَيَزِيدُ بْنُ أَسِيدٍ،
وَيُفَضِّلُ عَلَيْهِمَا يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ الشَّيْبَانِي:
لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى إِذَا عُدَّ فِي النَّاسِ الْمَكَارِمُ وَالْمَجْدُ
يَزِيدُ بَنِي شَيْبَانَ أَكْرَمُ مِنْهُمَا وَإِنْ غَضِبْتُ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ وَالْأَزْدُ
فَتَى لَمْ يَلِدْهُ مِنْ سُلَيْمٍ قَبِيلَةَ وَلَا لَحْمٌ يُنْمِيهِ، وَلَمْ يُنْمِهِ نَهْدُ
وَلَكِنْ نَعْتُهُ الْغُرُّ مِنْ آلِ وَائِلٍ وَبِرَّةٌ تُنْمِيهِ وَمَنْ بَعْدَهَا هِنْدُ

وَمِنْ هَذَا وَمَنْ اسْتَقْرَأَنِي لِلْكِتَابِ ظَهَرَ أَنَّ مَا قَالَهُ الْمَرْبُوبَانِي فِي «مَعْجَمِ
الشُّعْرَاءِ» مِنْ وَجُودِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي هَجَا بِهَا أَبُو الْغُرَّافِ السُّلَمِيُّ الْيَمَنَ وَرَبِيعَةَ فِي
كِتَابِ «مَنْ سُمِّيَ مِنَ الشُّعْرَاءِ عَمْرًا» لِابْنِ الْجَرَّاحِ، هُوَ غَيْرُ وَاقِعٍ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّسْخَةِ
الْمَخْطُوطَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي اطَّلَعْتُ عَلَيْهَا بِمَكْتَبَةِ الدَّكْتُورِ عَزْتَ حَسَنَ بَدْمَشَقٍ فَكُلُّ مَا
جَاءَ فِيهَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى تِلْكَ الْأَبْيَاتِ فَقَطْ دُونَ إِيرَادِهَا.

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّلَمِيِّ

بَطْلٌ مُوفَّقٌ، وَشَاعِرٌ عَاشَرَ فِي عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَشَارَكَ فِي حُرُوبِهِمُ الدَّاخِلِيَّةِ،
تَرَجَّمَ لَهُ ابْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّلَمِيِّ شَاعِرٌ عَبَّاسِيٌّ، صَاحِبُ الْعَصْبِيَّةِ فِي فَتْنَةِ مُحَمَّدِ
الْأَمِينِ، عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ خَرَجَ عَلَيْهِ أَبُو الْهَيْثَمِ، يَقُولُ حَمْزَةُ بْنُ مَيْمُونٍ: حَضَرْتُ
عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحٍ يَوْمًا، وَقَدْ دَخَلَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ بَعْدَ أَنْ
اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ، لَمَّا قَلَّدَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّامَ، فَأَعْجَبَهُ مُحَاوَرَتُهُ وَجَوَابُهُ، فَقَالَ:
يَا عَمْرُو! لَقَدْ تَنَاهَى إِلَيَّ مِنْ خَبَرِ ظَفَرِكَ بِأَعْدَائِكَ فِي حُرُوبِكَ مَا يُعْجَبُ مِنْهُ، فَهَلْ
تَعْرِفُ لَذَلِكَ سَبَبًا تُخْبِرُنِي بِهِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِلَّا مَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرٍ مِنْهُمْ وَلَكِنْ بِأَوْلَى بِالطَّعَانِ وَأَصْبَرَا

وَقَامَ عَمْرُو بْنُ عِنْدِهِ - مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ - فَقَالَ: أَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا

قال الشاعر:

يغدو إذا ما خِلاجُ الشكِّ عنَّ له
رَكَّابُ ما يكره الأبطالُ يَقدُّمه
على صريمة أمر غير مردود
رأيٌ جميعٌ وقلب غير رعديد

وأورد «ابن الجراح» من شعره قوله:

دعوتُ بني عمي فكان جوابهم
فما لُمتُّهم في النصر حين دعوتهم
وبليك فعل السادة النُجَبِ الغُرِّ
ولا لامني قومي لدى النُهْيِ والأمر
وقوله:

يطلبُ الثَّارُ من إذا همَّ أمضى
ليس يخشى عواقب الأمر يغشاه
همَّه كان مُخطئًا أو مصيبًا
إذا ناله وإن كان حُوبًا
وقوله:

ما الفتك إلا لمن إن قال يفعله
لا كالمشاور فيما يرتثيه وقد
ولا يشاور فيما يرتثي أحدا
يخشى العواقب إن بقى له ولدا
لا تخش عاقبة في الفتك وأمضٍ لما
هممت إن غيَّة كانت وإن رشدًا
من يستشر يختزل أولى عزيمته
في الفتك أو يَطلبُ الأعوان والمدد^(١)

ويبدو جليا أن الخطة التي يقررها عمرو بن عبد العزيز السُّلَمي في شعره قد نفذها في حياته - وهي خطة المبادرة إلى اقتحام المخاطر بدون تروٍ وبدون مشاورة - هي خطة كثيراً ما توقع صاحبها في مهاوي التهلكة والزلل والفشل، بخلاف الخطة المضادة التي هي خطة إعمال الفكر، واستعمال المشورة قبل ركوب المخاطر، فإنها كثيراً ما ترفع صاحبها إلى قمة النجاح وتحقيق الأهداف المثلى، وهذه الخطة الحكيمة هي التي وجه إليها بشَّار بن برد الأنظار والأسماع في قوله البليغ:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
ولا تجعل عليك غضاضة
برأي نصيح أو نصيحة حازم
مكان الخوافي قوةً للقوادم

مادة (الربذة)، وكان قد قال ذينك البيتين حول حفائر حفرها المهدي، على ميلين من جبل القُهْب، وتدعى «ذا بقر»، قال:

قَدَرُ أَحَلَّكَ ذَا النخيل وقد أرى وأييك مالك ذو النخيل بدار
إلا كداركم بذى «بقر الحمى» هيهات ذو بقر من الزوار!

أشجع السُّلَمي

أسهب عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) في «الشعر والشعراء» - في ذكر مقطوعات أشجع وقصائده مما يدلنا على إعجابه بشاعريته وبشعره، وقد ترجمه مُختَصِرُ شَرْحِ التبريزي لديوان الحماسة فأفادنا بأنه: (من ولد الشريد بن مطرود السُّلَمي، وكان يكنى أبا الوليد. . شاعر إسلامي عباسي نشأ بالبصرة، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عدَّ من الفحول. وكان الشعر يوم نبغ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس شاعرًا، فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس، وانقطع إلى البرامكة ومدحهم، واختص جعفر فأصفاه مدحه، فأعجب به أيضًا وأمدّه بالمال، فأثري وحسنت حاله في أيامه وتقدم عنده، وله فيه المدائح المختارة والقصائد السائرة)^(١).

وقال ابن قتيبة عنه: «أشجع بن عمرو» من بني سُلَيْم، وكان متصلاً بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة، منها قوله في يحيى بن خالد، وكان غاب:

قد غاب يحيى فما أرى أحداً يأنس إلا بذكره الحَسَنِ
أَوْحَشَتِ الْأَرْضُ حِينَ فَارَقَهَا مِنْ الْأَيَادِي الْعِظَامِ وَالْمَنَنِ
لَوْ لَا رَجَاءُ الْإِيَابِ لَانْصَدَعَتْ قُلُوبُنَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَزَنِ^(٢)

ولأشجع أبيات في فائدة الإلحاح في طلب الحاجات، يقول:

ليس للحاجات إلا من له وجه وقاح
ولسان طرْمُذَان^(٣) وغُـدُو ورواح

(١) مختصر شرح التبريزي على ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي، ص ٣٥٤ و ٣٥٥، الجزء الأول طبع مطبعة السعادة بمصر.

(٢) الشعر والشعراء، ص ٧٥٨.

(٣) أي مفتخر بما ليس عنده ومتكبر بما لا يفعل.

إن أكن أبطأت الحـا
فعليّ الجهد فيها
جـة عنيّ والسـراح
وعلى الله النـجـاح

وله مدائح سيارة في هارون الرشيد، منها قوله:

وصلت يداك السيف يوم تقطعت
وعلى عدوك يا ابن عمّ محمدٍ .
أيدي الرجال ورّلت الأقدام
رصدان: ضوء الصبح والإظلام
سلّت عليه سيوفك الأحلام
فاذا تنبه رعته وإذا هدا .

وقد ذكر الجاحظ البيتين الأخيرين: (وعلى عدوك إلخ) وقال: إنهما قالهما أشجع السُّلَمي في هارون الرشيد^(١).

ولأشجع أبيات في منتهى الروعة والطلاوة، مدح بها جعفر بن يحيى:
بديهته مثلُ تدييره
إذا همّ بالامر لم يُثنيه
متى هجته فهو مُستجمعُ
هجوٍ ولا شادنُ أفرعُ
ففي كفه للغنى مطلبُ
وللسُّر في صدره موضعُ
وكم قائل إذ رأى بهجتي
غداً في ظلال ندى «جعفر»
يجرُّ ثياب الغنى «أشجع»
وما خلفه لامرئ مطمعُ
ولا دونه لامرئ مَقْنَعُ^(٢)

وقد ترجم عبدُ القادر البغدادي، أشجعَ ترجمة وافية، وفي هذه الترجمة زيادات على ما جاء في الكتب السالف ذكرها، ومن ذلك أن أباه تزوج امرأة من أهل اليمامة، فشحص معها إلى بلدها، فولدت له هناك أشجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه، فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه وكان له هناك مال، فماتت بها وربى أشجع ونشأ بالبصرة، فكان من لا يعرفه يدفع نسبته، ثم كبر وقال الشعر فأجاد، وعدّ في الفحول، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس عيلان شاعر، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه، ثم خرج

(١) البيان والتبيين، ص ١٩٤، الجزء الثالث.

(٢) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ص ٧٦٠، طبع بيروت.

أشجع إلى الرقة والرشيد بها، فتزل على بني سليم، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة، فوصله الرشيد فائرى وحسنت حاله. ولما ولّى الرشيد، جعفر بن يحيى خراسان، جلس لتهتة الناس، وأنشده الشعراء ودخل في آخرهم أشجع، فارتجل مقدمة نثرية مختصرة بارعة الأسلوب، قال فيها يُخاطب جعفرًا: (لَتَأْذَنَ فِي إِنْشَادِ شِعْرِ قَضَيْتُ بِهِ حَقَّ سَوْدُكَ وَكَمَالِكَ، وَخَفَّفْتُ بِهِ ثِقْلَ أَيَادِيكَ عِنْدِي)، فقال له جعفر: (هات يا أبا الوليد)، فأنشده قوله:

أَتَصْبِرُ يَا قَلْبُ أَمْ تَجْزَعُ؟	فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَقُ
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى	وَيَكْثُرُ بَاكٍ وَمُسْتَرْجِعُ
وَمَضَى حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ:	
وَدَوِيَّةٌ بَيْنَ أَقْطَارِهَا	مَقَاطِعُ أَرْضِينَ لَا تُقَطَّعُ
تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ عَيْرَانَةٍ	مِنَ الرِّيحِ فِي سِيرِهَا أَسْرَعُ
إِلَى «جَعْفَرٍ» نَزَعَتْ رَغْبَةً	وَإِيَّافَتًى نَحْوَهُ تَتَرَعُ؟!
فَمَا دُونَهُ لَامَرِيٍّ مَطْمَعُ	وَلَا لَامَرِيٍّ دُونَهُ مَقْنَعُ
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا حَطَّهُ	وَلَا يَضْمَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
يُرِيدُ الْمُلُوكُ نَدَى جَعْفَرٍ	وَلَا يَصْنَعُونَ الَّذِي يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعَهُمْ فِي الْغَنَى	وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
يَلُودُ الْمُلُوكُ بِأَرَائِهِ	إِذَا نَالَهَا الْحَدُّ الْإِفْطَعُ
بِدَيْهَتِهِ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ	مَتَى رُمَتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمَعُ ^(١)

البلاء موكل بالمنطق

وعندي نقد «بما تحمل صيغة النقد من معنى لغوي وفني شامل» فالقصيدة في وزنها وفي خفة روحها وسلاسة ألفاظها وعذوبتها وروعة معانيها؛ هي في ذروة «الشعر السلمي» الذي نرى أنه يمتاز بهذه المعاني كلها، وكلما ارتقى أحد شعرائهم أو شاعراتهم سلم المجد الشعري كان شعره كالسلال الفياض الشفيف المفعم بالجمال حساً ومعنى، وروحاً ومبنى.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد يكون الشاعر المفلق «أشجع» ذهب به التأثير من فراق صديقه ومُسْذِي جم الإحسان إليه: «جعفر البرمكي» - إلى أن يبدأ قصيدة تهنتته هذه العظيمة له بمعاني الفراق والجزع، وخلو الديار وتفرق أهل الهوى، وكثرة الباكين والمسترجعين لفراقهم لهذا الغيث المنسجم والربيع الخصب الممرع، والروضة الغناء التي كل ثمارها يانعة بالكرم والجود.. ولكن فاته أهم شيء وهو «اللماحية» التي يحتاج إليها الشعراء دائماً وهم يمدحون العظماء، فإن العبارات المتشائمة الحزينة الباكية التي جعلها مقدمة قصيدته المهتة لا يحسن بمثله - على كل حال - أن يتفوه بها ولا أن يقدمها بين يدي قصيدة يهنيئ بها عظيماً صديقاً ولّيَ منصباً كبيراً؛ لأنها عبارات تشاؤم تحمل ولا بد إلى الممدوح ريحاً كريهة من النكد والتقرّز والانزعاج الخفي من المستقبل الذي رسمته له هذه الأبيات، إنها عبارات تغلق شهية المديح، وتفتح باب الانكماش والشؤم من المنصب الذي قوبل بهذه الألفاظ المكروهة المسمومة، وكان الأجدر بأشجع أن يكون شاعراً لبقاً يعرف من أين تؤكل الكتف، فيُبعد جداً ممدوحه عن سماع هذه النغمات الحزينة الممرضة، ويقدم إليه بدلاً عنها باقات نضرة فواحة باسمه بالأمل والرجاء، وبالأمني المعسولة بدوام العز والبهجة والحبور، وبانتظام الشمل وكثرة الأفراح والليالي الملاح، وأن يفرش الأزاهير والورود الفوّاحة بين يدي مديحيته العصماء، في أرضها وفي الأجواء.

وإني أعتقد أن جعفرًا - وهو مثقف وذو إحساس أدبي مرهف، لأبدًا أن يكون في قرارة نفسه غير مستحسن لهذا المطلع الأسود القاتم العابس في وجه مستقبله الذي يرجو أن يكون كله باسمًا ومشرقًا وعبقًا، والبلاء كما يقولون: موكل بالمنطق. . فقد وقع كل ما جاء في مقدمة قصيدة أشجع وإن كان غير قاصد له ولا مريد ولا راغب فيه، فنُكِبَ البرامكة نكبة تاريخية هائلة، وتفرق عنهم الأحبة، وأضت ديارهم بعد عمران زاهر، بلأقع تندب حظها وحظهم، وبكاهم الباكون واسترجع المسترجعون، ورثوا عزهم الآفل ومجدهم الزائل. ورحم الله الشاعر «أشجع» المخلص لجعفر البرمكي وغفر له، حيال ما قدمه لممدوحه الأثير لديه - من الإنذار، بالمستقبل المظلم العابس المكفهر، بعد الحاضر الناضر المزدهر، على طبق زمردني رائع من قصيدته هذه البليغة الساحرة.

هذا، ولأشجع قصيدة ممتعة في أحمد بن يزيد بن أسيد السُّلمي، (وكان يزيد قد اعتل ثم أفاق من علته):

لئن جَرَحَتْ شَكَاتُكَ كُلَّ قَلْبٍ	لقد قُرتْ بِصَحَّتِكَ الْعَيُونُ
وَحَقَّ لَهَا بِأَنْ تَخْشَى الْمَنَايَا	عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُنْكَبِهَا الْيَمِينُ
وَلَوْ فَقَدْتُكَ قَيْسَ يَا فَتَاهَا	إِذَنْ لَتَضَعُضْتَ مِنْهَا الْمَتُونُ
وَلَوْ أَنَّ الْمَنُونَ بَدَتْ لِقَيْسٍ	لَمَا نَالَتْكَ أَوْ يَفْنَى الْمَنُونُ

وقد علّق الرقيق القيرواني على الأبيات المتقدمة بقوله: «وكان أحمد بن يزيد (السُّلمي) وأبوه (يزيد) شريفين مذكورين».

وحينما مات أحمد بن يزيد السُّلمي الذي يبدو أنه كان ركنًا ركينًا للجلالية السُّلمية في «جرجان»، رثاه أشجع بقصيدة منها:

رَحِمَ اللَّهُ أَحْمَدَ بْنَ يَزِيدٍ	رَحْمَةً تَغْتَدِي وَأُخْرَى تَرُوحُ
جَبَلًا أَطْبَقُوا عَلَيْهِ بِجَرْجَا	نَ ضَرِيحًا مَاذَا أَجَنَّ الضَّرِيحُ ^(١) !

ولأشجع السُّلمي قصيدة طويلة رثا بها عليّ بن الحسين بن علي بن حمزة الملقب بالرضا وهو الذي جعله المأمون الخليفة العباسي وكليّ عهد المسلمين، ثم توفي في حادث غامض بطوس فدفنه المأمون إلى جانب أبيه هارون الرشيد، وقد روى هذه القصيدة أبو الفرج الأصفهاني وقال عنها: «إنها لما شاعت غيرَ أشجع ألفاظها فجعلها في الرشيد...».

وهذه أبيات مقتطفة من تلك القصيدة:

يَا صَاحِبَ الْعَيْسِ يَخْذِي فِي أَرْمَتِهَا	اسْمَعْ وَاسْمَعْ غَدًا يَا صَاحِبَ الْعَيْسِ
إِقْرَ السَّلَامَ عَلَى قَبْرِ بَطُوسَ وَلَا	تَقْرَأَ السَّلَامَ وَلَا النُّعْمَى عَلَى طُوسَ
فَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا	رَوْعٌ وَأَفْرَخَ فِيهَا رَوْعُ إِبْلِيسِ
وَأَخْلَسَتْ وَاحِدَ الدُّنْيَا وَسِيدَهَا	فَأَيُّ مُخْتَلِسٍ مِنَّا وَمُخْلُوسِ

إلى أن يقول:

أوفى عليك الردى في خيسٍ أشبَّله والموت يلقي أبا الأشبال في الخيسِ
ما زال مقتبسًا من نور والده إلى النبي ضياءً غير مَقْبُوسِ
ويختم أشجع السُّلَمي قصيدته الرثائية البليغة لعليّ الرضا، بقوله:
أَحَلَّكَ اللهُ دَارًا غَيْرَ رَائِلَةٍ في منزلٍ برسول الله مَأْنُوسِ^(١)

رأي في شعر أشجع

لابن الجهم وللبحثري الشاعرين رأي في شاعرية أشجع، يقول البحثري:
«فاوضتُ ابن الجهم عليا في الشعر، وذكر أشجع السُّلَمي فقال: إنه كان يُخْلِي،
فلم أفهمها عنه، وأنفتُ في شعر أشجع، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة
ليس فيها بيت رائع»^(٢).

وهذا الناقد الصادر من علي بن الجهم فالبحتري لشعر أشجع يحتمل المناقشة
والنقد، وقد درستُ ما وصل إلى يدي من شعر أشجع فما رأيت هذا النقد منطبقًا
عليه، ومعلوم أن المعاصرة تذهب المناصرة، لاسيما وأن أشجع كان قد احتل مكانة
طيبة لدى هارون الرشيد ولدى البرامكة، فلا بد أن تناله بعض عقارب الحسد من
زملائه في صنعة الشعر، وهذا أمر طَبْعِيٌّ مألوف، وليس معنى هذا أن شعر أشجع
كله درر وغرر، فما من شاعر في الدنيا مهما تتعاضم شاعريته إلا وله سقطات،
وكفانا بالمتنبي وأحمد شوقي شاهدًا ومثالًا.

عمرو بن مسلم الرياحي السُّلَمي

هو من بني الشريد، يكنى أبا المسلم، حجازي، شاعر مجيد روى عن
نفسه، قال: أتيت الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب،
أخا صاحب فخ، وكان جوادًا وهو ينيب، وقد امتدحته، فقال لي: من أنت؟
فقلت: عمرو بن مسلم. قال: الرياحي! قال: لا حياك الله، يا عاص كذا
وكذا... أَلَسْتُ الذي تقول في محمد بن خالد العثماني:

(١) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٥٦٨ - ٥٧٠، طبعة بيروت.

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق، ص ٢٥٠، الجزء الأول، طبع مطبعة السعادة

أيا ابن الذي حَنَّ الحِصَا في يمينه وأكرم من وأفى مِنِّي والمحصب^(١)
 وخَيْرَ إِمَامٍ كان بعد ثلاثة مَضَوْا سَلَفًا أرواحُهُمْ لم تشعب
 هو الثالثُ الهادي بهْدِي محمد على رغم أنف الساخط المتعَبِّ
 فقلت: أنا القائل، ووالله لئن احتملت^(٢).

وقد ترجم له ابن الجراح في كتابه «من سُمِّي من الشعراء عمراً» ترجمة وافية، وقد تحَصَّلْنَا في هذا الكتاب على إكمال النقص المذكور آنفاً، والذي ورد في آخر ترجمة كتاب «الورقة» لابن الجراح نفسه، في النسخة المطبوعة بالقاهرة والتي أشرف على تحقيقها الدكتور عبد الوهاب عزَّام وعبد الستار أحمد فراج. ويدل الهامش الذي دوناه أسفل من هذه الورقة والذي كتبه المحققان على أنهما لم يطلعا على كتاب «من سُمِّي من الشعراء عمراً» وهذه هي تكملة النقص المذكور: «قال: قلت: نعم، أعزك الله، أنا قائلُ ذاك، ووالله لئن احتملتُ رَحْلِي حتى أُصِيرَ هذه الرحلة بيني وبينك ليأتينك مني ما قال زهير:

لئن حَلَلْتَ بَجَوٍ في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذكُ
 ليأتينك مني منطق قَذع باق كما دنَّس القبطية الودكُ

قال: فقال: ادْنُ لا حَيَّاكَ الله - وأوسع لي إلى جنبه، وأوقر لي رواحلي تمرأ. اهـ^(٣).

وقد أورد ابن الجراح في كتابه (من سُمِّي من الشعراء عمراً) شيئاً من شعر عمرو بن مُسْلَم أبي المُسلم الرياحي هذا بعد أن قال عنه: إنه مديني حسن الشعر يمدح ويهجو وله حظ من أدب، فمن شعره الذي اتَّحَفْنَا به ابن الجراح قوله عن نفسه:

(١) هذا البيت على هذه الرواية فيه إقواء، فقد كسرت كلمة (المحصب) تمثيلاً مع القافية، وكان حقها أن تفتح؛ لأنه معطوف على منصوب.
 (٢) كتيب «الورقة» لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، ص ٧٣، طبعة دار المعارف بالقاهرة.
 هذا، وقد عقب المحققان لكتاب الورقة على العبارات الختامية: «والله لئن احتملت» عقبا عليها بقولهما في الهامش: (ههنا تبقى عبارة الأصل ناقصة).
 (٣) الورقة ٦٢ من كتاب «من سُمِّي من الشعراء عمراً» والمخطوط.

ولأبي الصلت بيتان من مقذع الهجاء على غرار هجاء الخطيئة أو أشد
إقذاعاً، وهما في أبي عذافر ورَدِ بن سعد أو ابن عبد الصمد العَمِيّ الشاعر، وهما
هما بحذف الكلمة المقذعة الواردة في الشطر الأول من البيت الأول:

وكان اسمه فيما مضى... أمه يُسَمَّى به في كل بدوٍ وحاضرٍ
فلما اكتسى ريشاً وعاد جناحه تَسَمَّى بِوَرْدٍ واكتنى بعذافر^(١)

موسى بن محمد السُّلَمي: أبو عمران

شاعر بصري مسجدي متوكلي، من شعره في الشيب والخضاب قوله:
قعد الشَّيبُ بي عن اللذات ورماني بجفوة القينات
فإذا رُمْتُ ستره بخضاب فضحته طلائع الناصلات
ما رأيت الخضاب إلا سراباً غَرَّ في لمعه بأرض فلاة
فإذا ما دعا إلى الناس داع قلتُ ما للكبير والشربات؟
لستُ بعد الشباب ألتذُّ بالعي ش فدعني وغصّة العبرات
إنَّ فقد الشباب أنزلني بعـ ذلك دار الهموم والحسرات
ورماني بأسهم الشيب دهر قارعتني أيامه عن حياتي

ويفوح من هذا الشعر أن الشاعر صوفي النزعة فهو من طراز أبي العتاهية
في شعر الزهد المتصوّف.

وله بيتان ينمان عن «تزهده» في شعره.. قال يُخاطب شخصاً كبيراً يهابه
ويقدّره، ولعل هذا الشخص وجه إليه إساءة ما، وحاول إلصاقها بموسى:

أتلزمني ذنباً، وأنت جنيته ولكنني أخشاك أن أتكلما
ولولا اتقائي أن تميتك دعوتي دعوتُ على ما كان أخفى وأظلماً^(٢)

ابن الطريف السُّلَمي اليمامي

علي بن سليمان، ونسبته إلى اليمامة تدل إماً على ولادته بها أو سكناه

(١) كتيب «الورقة» لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، ص ٣، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) معجم الشعراء، ص ٢٩٠.

أبو النجم هلال السُّلَمي

مولاهم، شاعر معروف من شعراء بني سُلَيْم بالولاء، ويكنى أبا الرميل،
يقال: إنه أنشد أبا الشيص قوله:

كأنه في الفلك الدَّوَّار صــــــــــــــــوت المردن

فقال أبو الشيص: قاتلكم الله يا معشر بني سُلَيْم، تقول الخنساء: (كأنه عَلمٌ
في رأسه نار) وأنت تقول هذا^(١)!

الأمير أبو الفتح

الحسن بن عبد الله (بن أبي حُصَيْنَة) السُّلَمي

ليس هذا الذي أسطره هنا تحليلاً لشاعرية هذا الشاعر السُّلَمي الفحل، وإنما
هو ترجمة له، يُضاف إليها تقديم فكرة عن شاعريته الثرة، بعرض نماذج من شعره
القويِّ الأسر.

وهذه سلسلة نسبه: أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن
أبي حُصَيْنَة السُّلَمي المعرِّي يتصل نسبه ببني سُلَيْم.

وُلد أبو الفتح بن أبي حُصَيْنَة، قبل سنة ٣٩٠ هـ، ويرَجَّحُ أن مكان ولادته
في المعرَّة بالشام، ولم يوقف على حقيقة السنة التي وُلد فيها، فقد اضطربت أقوال
المؤرخين في ذلك، وقال ابنُ عساكر أقدمُ مَنْ كَتَبَ عنه: إن ولادته كانت قبل سنة
٣٩٠ هـ نفسها.

وتلقى ابن أبي حُصَيْنَة العلم عن شيوخ يرجح أنهم من شيوخ المعرَّة، وأنهم
من الطبقة التي تتلمذ عليها أترابه، من أبي العلاء المعرِّي (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)
وطبقته^(٢)، ويبدو أنه دخل المسجد الجامع الأموي وجلس في حلقاته العلمية
والأدبية. ثم اتصل بآل مرداس من بني كلاب من هوازن، أمراء حلب بعد
انقراض الدولة الحمدانية من بني تغلب بن وائل من سنة ٤٠٦ هـ إلى سنة
٤١٥ هـ.

(١) الفهرست لابن النديم ٢١٦ و ٢١٧.

(٢) مقدمة محمد أسعد طلس لديوان أبي الفتح الذي حققه وطبعه المجمع العلمي العربي بدمشق.

(١) بوسعنا أن نستنبط من هذا النص نتيجتين: إحداهما أن لمنح لقب إمارة الشعر في عهد العبيدين بمصر سجلاً خاصاً تدون فيه أسماء الأمراء من الشعراء الذين مُنحوا هذا اللقب بأمر رسمي، كما أن لهم شهادات أو براءات - وهذه ثنائية النتيجة - تسلم إليهم لإثبات ذلك، كما أن لهم مكانة شرف ممتازة في أواسط مجتمع ذلك العصر. وإذن، فإن منح الأمير أحمد شوقي في هذا القرن، لقب إمارة الشعر ليس بدعاً=

سجل الإمارة هو أبا علي صدقة بن إسماعيل بن فهد الكاتب، فكافأه أبو الفتح على صنيعه بأن مدحه بقصيدة غراء كان مستهلها:

قد كان صبري عيلَ في طلب العلا	حتى استندتُ إلى ابن إسماعيل
فظفرتُ بالخطر الجليل ولم يزل	يحوي الجليل من استعان جليلا
لولا الوزيرُ «أبو علي» لم أجد	أبدًا إلى الشرف العليُّ سبيلا
إن كان ريب الدهر قَبَّحَ ما مضى	عندي فقد صار القبيح جميلا
وأجلّ ما جعل الرجال، صِلَاتُهُمْ	لرأغبين العزِّ والتبجيلا
اليوم أدركتُ الذي أنا طالب	والأمس كان طَلَابُهُ تعليلًا

وكان تَسَلَّم الأمير أبي الفتح لسجل الإمارة هذه في ربيع الآخر سنة ٤٥١هـ.

هذا، وقد انتهالت الجوائز المالية السخية على ابن أبي حصينة شاعر المرداسيين، فأثرى وعمرَ وبنى.

وكان قد مدح الأمير محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عندما تملك حلب سنة ٤٥٢هـ، فأيد منحه لقب إمارة الشعر، والقصيدة التي مدحه بها منها قوله:

أبا سلامة عش واسلم حليفُ علا	وسؤدد بشعاع النجم مقرون
أشقي عداكم وأهوى أن أدين لكم	وللعدى دينهم فيكم ولي ديني

وقد ثبتت إمارة محمود أخيراً لحلب، فما كان منه إلا أن خلع طاعة العبيدين وخطب للعباسيين، كما صنع زميله في إفريقية الشمالية المعز بن باديس في القرن ذاته، وظل محمود المرداسي حاكمًا لحلب حتى مات، وقد تابع صاحبنا أبو الفتح بن أبي حصينة مديحه له أسوة بمن سبقوه من الأمراء المرداسيين.

=في الحضارة العربية الإسلامية، بل له سابقات قبل نحو ألف عام، وأحمد شوقي جدير بهذا اللقب كل الجدارة، فلم يجر بعد أحمد أبي الطيب المتنبي من يفري فريه غير سميّه هذا «أحمد شوقي».

وثلاثة هم شعراء الشام في القرن الهجري الخامس: أبو العلاء المعري، وكان أرفعهم شأنًا، وابن حيوس، وابن أبي حصينة السلمي، ولكل من هؤلاء الأعلام ديوان شعر مطبوع. وابن حيوس وابن أبي حصينة فرسا رهان فيما يرى محمد أسعد طلس؛ ونؤيده، فإن الدارس لشعرهما يجدهما متوازيين في الطلاوة والفصاحة والجزالة وطول النفس، وابن حيوس أقرب إلى طريقة أبي تمام، وابن أبي حصينة أقرب إلى منهج البحتري، وأبو تمام والبحتري فرسا رهان.. والخمسة جميعهم من زعماء الشعر في الشام.

ومما يسترعي الانتباه في بعض قصائد ابن أبي حصينة أنه سلك فيها أسلوب أبي الطيب المتنبي؛ فقد مدح الأمير ثمالا معز الدولة بن صالح بن مرداس بدالية بليغة وأنفذها إليه من دمشق بمناسبة فتحه لقلعة حلب في شهر ربيع الأول سنة ٤٣٤هـ قال:

لَسَيْفِكَ بَعْدَ اللَّهِ قَدْ وَجِبَ الْحَمْدُ فَيَا لَيْتَ جَفَنِي مَا حَيَّتُ لَهُ غَمْدُ

ومضى إلى أن يقول:

غِيُوثٌ إِذَا جَادُوا لِيُوثَ إِذَا عَدَوْا كَثِيرٌ إِذَا عَادُوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُوا
يَشْكُونُ فِي ظَهْرِ الْعَدُوِّ أَسِنَّةً إِذَا خَرَجْتَ مِنْ صَدْرِهِ خَرَجَ الْحَقْدُ

ثم يقول واصفًا فتح قلعة الثغر:

وَعَدْتُمْ لَذَاكَ الثَّغْرَ سَدًا مِنَ الْعَدَى وَأَيُّ سَدِيدٍ مَا دَرَى أَنْكُمْ سَدًا!
وَمَا رَدَّ كَيْدَ الرُّومِ خَلَقٌ سِوَاكُمْ يُنِيلُ إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ دُونِهِمْ رَدُّ
أَتَوْا يَثْقُلُونَ الْأَرْضَ مِنْ فَوْقِ شُرْبِ إِذَا أَسْرَعْتَ فِي الْخَطِّ أَثْقَلَهَا السَّرْدُ
يُورِيهِمْ نَسْجَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَمَا فِيهِمْ مَنْ مِنْهُ جَارِحَةٌ تَبْدُو
فَلَوْلَاكُمْ لَمْ يَنْهَهُمْ عَنْ حَرِيمِنَا وَعَنْ حَرَمَةِ الْإِسْلَامِ جَمْعٌ وَلَا حَشْدُ

=قيسون وهم بنو عمومة لبني سليم ولكنهم ليسوا منهم وإنما هم قبيلة من عامر بن صعصعة من هوازن بن منصور أخوة سليم بن منصور، وكان لبني كلاب شأن يذكر في الشام، وأخيرًا أنشأوا دولة لهم على يد صالح ابن مرداس، وقد أحدثوا في زمن سيف الدولة الحمداني الوائلي حدثًا أزعج سيف الدولة وأحرقه عليهم، فغزاهم في عقر دارهم وسبى نساءهم، فتلطف أبو الطيب المتنبي وتوسط في قصيدة بائية غراء مدح بها سيف الدولة في أن يصفح عنهم.

ولكنكم قَبَلْتُمُوهُمْ ذَوَابِلًا
وَخَضْتُمْ عِجَاجًا يُرْمَدُ الْجَوُّ نَفْعُهُ
فَمَا انْجَابَ ذَاكَ النِّقْعَ حَتَّى طَرَحْتَهُمْ
وَصَارَتْ حِيَاضًا لِلْمِيَاهِ جَمَاجِمٌ
فَلَا تَطْمَعُ الْأُمَالُ فِيمَا مَلَكَتُمْ

من الخَطِّ لَدَا مُشْرِعِوْهَا هُمُ اللَّذُّ
ولكنه تَحْصِي به الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
فَرَائِسُ تَقَاتِ الْوَحُوشِ بِهَا بَعْدُ
مُفْلَقَةٌ فَاسْتَجْمَعَ الزَّادُ وَالْوَرْدُ
فَمَا تَتَخَلَّى عَنْ فَرَائِسِهَا الْأَسَدُ

إِذَا سَلَّمَ اللَّهُ رُوحَ الْأَمِيرِ فَلَاهُونَ شَيْءَ ذَهَابُ الذَّهَبِ
وَمَنْ كَسَبَ الْحَمْدَ فِي الْخَافِقِينَ فَلَيْسَ بِبَالِي عَلَى مَا كَسَبَ
فَخَذَ مَا صَفَا مِنْ لَذِيزِ الْحَيَاةِ وَدَعَ لِسِيَّوَاكَ الْأَذَى وَالنَّصَبَ

ومن جيد قصائده: (الرائية) التي يقول فيها يمدح ثمالاً المرداسي:

أَقُولُ لَصَحْبِي بِجَوِّ الْغُمَيْرِ^(١) وَقَدْ ضَلَّ حَادِي الْمَطَايَا وَحَارَا
تَيَّامَنْتُمْ عَنْ بِلَادِ الْمَعَزِ فَعُوجُوا يَسَارًا تَصِيبُوا يَسَارَا
وَلَا قُوا أَمِيرًا قَلِيلَ النَّظَرِ يَحِبُّ الشَّنَاءَ وَيَشْنَأُ النَّضَارَا
كَرِيمَ النَّجَارِ عَفِيفَ الْإِزَارِ حَوَى الْمَكْرَمَاتِ وَشَادَ الْفَخَارَا
أَعَادَ وَأَبَدَى وَلِلْفَضْلِ أَسْدَى وَلِلْقِرْنِ أَرْدَى وَلِلرَّيْحِ بَارَى
كَرِيمَ الصَّنِيعَةِ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ سَهْلَ الشَّرِيعَةِ لَمْ يَأْتِ عَارَا
غَنَاءُ الْفَقِيرِ وَنَعَمَ النَّصِيرِ إِذَا الْمُسْتَجِيرُ إِلَيْهِ اسْتَجَارَا
يَفُكُّ الْأَسَارَى وَيَحْمِي الْعِذَارَى وَيُعْطِي الْمَهَارَى وَيُفْنِي الْمِهَارَا
إِذَا حَلَّ فِي الْبَدْوِ زَانَ الْعَمُودِ وَإِنْ حَلَّ فِي الْحَضَرِ زَانَ الْجِدَارَا
أَبَا صَالِحٍ قَدْ فَضَّلْتَ الْمُلُوكَ فَعُدْتَ يَمِينًا وَعَادُوا يَسَارَا
وَأَلْبَسَكَ اللَّهُ ثَوْبَ الْوَقَارِ فَلَا نَزَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْوَقَارَا
تَحَوَّلْتَ بِالْأَمْسِ عَنْ مَوْضِعٍ فَلَأَنْتَ دَارًا وَأَوْحَشْتَ دَارَا

ونالت أبا الفتح قَوَارِصُ الْأَلْسُنِ مِنَ الْمُنَافِسِينَ وَالْحَسَدَةِ، وَكُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٍ، وَكَانَ هَذَا الْمَوْقِفُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ يُمَازِلُ مَوْقِفَ سَلْفِهِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ الَّذِي تُوُفِّيَ قَبْلَ مِيلَادِهِ بَسَتْ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَقَدْ كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِذَا تَأَخَّرَ مَدْحُ الْمُتَنَبِّئِيِّ لَهُ شَقٌّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَيَحْضُرُ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ بِالتَّعَرُّضِ لِلْمُتَنَبِّئِيِّ فِي مَجْلِسِهِ بِمَا لَا يَحِبُّ، وَذَاتَ مَرَّةٍ أَنْشَدَ الْمُتَنَبِّئِيُّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ قَصِيدَتَهُ (الْمِيمِيَّةَ) السَّائِرَةَ، وَقَالَ لَهُ فِيهَا مَعْرُضًا بَمَنْ يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي غِيَابِهِ بِمَجْلِسِهِ:

(١) الغمير - بالتصغير -: موضع في ديار بني كلاب عند التليوث، فهو من منازل قوم ممدوحه ثمال المرداسي الكلابي العامري الهوازني، وفي ذكره لفظة مناسبة دلت على دقة ملاحظة وحسن ذوق شعري من الشاعر.

وليس أبو المنيع وإن توالى
كلا الملكين أولاني جميلاً
ولو أنني بليتُ بهاشمي
لهانَ عليَّ ما ألقى ولكن
أعلمه الرماية كلَّ يوم
إليَّ صلاته كمن اصطفاني
ولكنَّ الجميل لمن بداني
خؤولته بنو عبد المدان
تعالى فانظري بمن ابتلاني
فلما اشتد ساعده رماني

والآيات الثلاثة الأخيرة قديمة ضمنها الشاعر قصيدته، وما يسترعي الانتباه مخاطبته في أحد هذه الآيات الثلاثة للسُّلمية التي تغزَّل فيها، فقال معدلاً صيغة البيت الأصلية:

لهانَ عليَّ ما ألقى ولكن
تعالى فانظري بمن ابتلاني
وأصل البيت هكذا:

لهانَ عليَّ ما ألقى ولكن
تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وكما أسهم المتنبي بقصائده الخوالد في مواكب الجهاد الإسلامي الذي كان يقوم به علي بن عبد الله الحمداني التغلبي (سيف الدولة) بما ينظمه وينشده إياه من قصائد ظاهرها مديح سيف الدولة وباطنها الإشادة بجهاده وكفاحه لنصرة الإسلام والدفاع عن حوزته ودياره وثغوره، كذلك كان للأمير ابن أبي حصينة نصيبٌ طيب في هذا الميدان، ففي ديوانه قصائد عصماء من هذا القبيل. ونحن هنا نقدم للقارئ أبياتاً مختارة من إحدى هذه القصائد، وقد قال ابن الوردي عنها: إنه في (سنة ٤٢٦هـ وصلت الروم إلى حلب، فقاتلهم صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي وتبعهم إلى عزاز، فقتل وغنم. وكان اسم ملك الروم أرمانوس، فقال أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري (السُّلمي) من قصيدة طويلة أنشده إياها «بظاهر قنسرين»، وأورد ابن الوردي الأبيات التي اخترنا منها مايلي:

إلى نصر وأي فتى كنصر
إذا حَلَّتْ بمغنائه الركابُ
أمتَّهكَ الصليب غداة ظلت
حُطاماً فيهم السُّمرُ الصَّلابُ

=الطعن في أبي الفتح عند الأمير المرداسي في غيابه، وربما وجدوا منه أدناً صاغية. فنظم الشاعر السُّلمي ابن أبي حصينة هذه القصيدة يمدح بها الأمير المرداسي ويعتذر له ويدفع عن نفسه كيد الخصوم.

جُنُودُكَ لَا يَحِيطُ بِهِنَّ وَصَفُ
وَذِكْرُكَ كُلَّهُ ذَكَرَ جَمِيلُ
و(أرمانوس) كَانَ أَشَدَّ بَأْسًا
أَتَاكَ يَجُرُّ بِحَرٍّ مِنْ حَدِيدِ
إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُ بِأَرْضِ
فَعَادَ وَقَدْ سَلَبَتْ الْمَلِكُ عَنْهُ
فَمَا أَدْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ مَجِيءُ
فَلَا تَسْمَعُ بِطَنْطَنَةِ الْأَعَادِي
وَلَا تَرْفَعُ لِمَنْ عَادَاكَ رَأْسًا
وَجُودُكَ لَا يَحْصِلُهُ حِسَابُ
وَفَعَلْتَ كُلَّهُ فَعَلَ عُجَابُ
وَحَلَّ بِهِ عَلَى يَدِكَ الْعَذَابُ
لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عُجَابُ
تَزَلْزَلَتْ الْأَبَاطِحُ وَالْهَضَابُ
كَمَا سَلَبَتْ عَنِ الْمَيِّتِ الثِّيَابُ
وَلَا أَقْصَاهُ مِنْ شَرِّ إِيَابُ
فَلَمَّا نَهَمُوا إِذَا طَنُّوا ذُبَابُ
فَلِإِنَّ اللَّيْثَ تَنْبَحُهُ الْكِلَابُ

ويلوح لي أن هذه القصيدة البائية الماتعة الرائعة تنظر من قريب أو من بعيد إلى (بائية) المتنبي التي تماثلها في الوزن والقافية، وإن كانت تزايلها في الموضوع والهدف ولا سيما في قول أبي الطيب المتنبي:

وَجُرْمُ جَرَّةٍ سُفْهَاءُ قَوْمٍ فَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعِقَابُ
فهو قريب الشبه والسماط من قول ابن أبي حُصينة:
وَأَرْمَانُوسُ كَانَ أَشَدَّ بَأْسًا وَحَلَّ بِهِ عَلَى يَدِكَ الْعَذَابُ

وكما أن لابن أبي حُصينة مدائح، فله مَرَاثُ نشير هنا إلى إحداها وهي التي قالها في سنة ٤٤٣هـ حينما توفي زعيم الدولة أَبُو كَامِلِ بَرَكَةُ بْنُ الْمُقْلَدِ بْنِ الْمُسَيْبِ الْعُقَيْلِيِّ - شريك أخيه قرواش في ملك الموصل - بتكريت. قال ابن أبي حُصينة من قصيدة طويلة:

مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ مَوْتَ الْعَظِيمِ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ مَوْتِ الزَّعِيمِ
يَا جَفَوْنِي سُحِّي دَمًا أَوْ فَحَمِي صَحْنُ خَذِي بِعَبْرَةٍ كَالْحَمِيمِ

وحينما توفي في سنة ٤٤٤هـ قرواش معتمد الدولة أَبُو مَنِيعِ بْنِ الْمُقْلَدِ الْعُقَيْلِيِّ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ مَسْجُوتًا بِقَلْعَةِ الْجَرَّاحِيَّةِ، رثاه الأمير أَبُو الْفَتْحِ السُّلَمِيُّ بِقَصِيدَةٍ بَاكِيةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ:

أمثل قرواش يذوق الردى يا صاح ما أوقع وجه الحِمَامِ

وله مرآث أخرى مدونة في ديوانه المطبوع، ومن أهمها رثاؤه لصديقه الحميم أبي العلاء المعري الذي أملى لديوانه شرحاً قال في مقدمته عنه: «وكان مولاي الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة سألني أن أسمع شعره، فقرأ عليّ ما أنشأه من أنواع القريض، فَوَجَدْتُ لفظه غير مريض، ومعانيه صحاحاً مُخْتَرَعَةً، وأغراضه بعيدة مبتدعة، وهو وإن كان متأخراً في الزمان، فكأنه من فرط عهد النعمان، ومن سمع كلامه علم أنه لم يغير شهادة، ولا خرم في إبداع الكلام سيادة»^(١).

وشهادة كهذه من إمام في الشعر واللغة والعلوم كأبي العلاء المعري، لا شك أنها ترفع إلى القمة مستوى الشاعر المشهود له فيها برفعة المكانة الشعرية.

يقول الأمير أبو الفتح السُّلَمي في رثاء صديقه أبي العلاء المعري:

العلم بعد أبي العلاء مُضَيِّعٌ	والأرض خالية الجوانب بلقُعٌ
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً	تسري كما تسري النجوم الطُّلُعُ
ما كنت أعلم - وهو يودع في الثرى -	أن الثرى فيه الكواكب تودعُ
ثم يقول فيه أيضاً:	

تنصرم الدنيا ويأتي بعده	أُمٌّ وانت بمثله لا تسمع
ثم يقول فيه أيضاً:	

قصدتك طُلابُ العلوم ولا أرى	للعلم باباً بعد بابك يُقَرَّعُ
-----------------------------	--------------------------------

هذا وللأمير أبي الفتح جولات في ميادين الحكمة.

قال:

أشدُّ من فاقة الزمان	مُقَامٌ حُرٌّ على هوانٍ
فاسترزق الله واستعنه	فإنه خير مُسْتَعْنٍ
وإن نبأ منزلٌ بِجَرٍّ	فمن مكان إلى مكانٍ

(١) مقدمة ديوان أبي حصينة لأبي العلاء المعري، ص ٣، طبع دمشق.

المحرم سنة ثلاث وسبعين (بعد الخمسمائة) - بقوص، ووقعت إلي من شعره
قصيدة بخطه، نظمها في سيف الدين أخي صلاح الدين، عند خروج الكثر من
ربيعة بن نزار بأسوان^(١)، وقتله والفتك به والفتك بالسودان، من جملتها:

ومن ذا يطيق الترك في الحرب إنهم
حُمَاةٌ كُمَاةٌ كالضراغم، خيلُهم
ومنها في صفة الجيش:

بجيش يضيق الليل فيه إذا سرى
إذا ما خَبَتْ فيه المشاعل عاضها
وتَطَرَّدُ الرايات فيه كأنها
فما لاح ضوء الصبح حتى تحكمت
كان مُسَارُ النقع سحبٌ ويَضْمَنُ
ومنها:

لكم يابني أيوب في البأس والندى
أَلْتُمْتُ لَنَا الْإِيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةِ
وَقَلْدَتُمُونَا الْبَيْضَ تَثْقِلُ بِالْحُلَى
ضَرَبْنَا بِهَا أَعْدَاءَكُمْ فَجِيَادَنَا
وله من أخرى:

أما مل من عذل عاذلي
لقد أطمع النَّفْسَ فِي سَلْوَةِ
ومن غمر هذا الهوى أني
أَحِبُّ فَأَقْتُلُ نَفْسِي فَلَا
ولي كل يوم وقوف على
فيطرح حلي على كاهلي
يخيبها طمعُ العاقل
لأعشق من عشقه قاتلي
أفوز من الحب بالطائل
حِمَى، وسلام على راحل

أبو عبد الله الخضر بن عبد الرحمن السُّلَمي الدواتي المعدل

ذكره العماد الأصفهاني في كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر): والدواتي نسبة عامية للدواة، وهي نسبة مخالفة للقاعدة النحوية، فالقاعدة تقول: إن صحة النسبة إلى الدواة: دَوَوِيٌّ، ومنه لقب أبي علي ابن الرئيس خليفة الدويي^(١).

قلت: وهناك شاعر ذكره التاريخ وهو (الأعشى السُّلَمي) وهو غير الأعشى المشهور من ربيعة العدنانية.

وكان الأعشى قد سُجِنَ في المدينة النبوية فتذكر جبل شرورى من ديار قومه من بني سُلَيْم فقال:

(هاجك ربع بشرورى ملبد).

شاعرات من بني سُلَيْم

ريطة بنت العباس بن أنس السُّلَمي المعروف بالأصم

كانت ريطة تعيش في الجاهلية، وهي إحدى شواعر بني سُلَيْم.

قالت ترثي أباه أو أخاها أو زوجها:

لنعم الفتى أرديتمو آل خثعما ^(٢)	لعمري وما عمري عليَّ بهين
إلى هضب أشراك أناخ فألجما	وكان إذا ما أورد الخيل بيشةً
جراد زفته ريح نجد فأتهمما	فأرسلها رهوًا رَعَالًا كأنها
وكان الحصى يكسو دوابرها دما	فأمسى الحوامي قد تَعَفَّينَ بعده
يُرى قلقًا تحت الرحالة أهضما	فآبت عشاءً بالنهاب وكلها
أو الرس خيلا، طاردهما بعيهمما	وكانت إذا لم تطارد بعاقل

(١) خريدة القصر وجريدة أهل العصر: ذسل الصفحة ٢٦٠ بالقسم العراقي، الجزء الثاني، طبع المجمع العلمي العراقي ببغداد، ١٣٨١هـ - ١٩٦٤م.

(٢) خثعما تعني هنا قبيلة خثعم العدنانية المعروفة والتي تيامنت ودخلت في العرب القحطانية.

في ذات يوم دخلت الخنساء على أم المؤمنين عائشة فأنشدتها قولها في رثاء أخيها صخر:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني فقد أضحكنتي زمناً طويلاً

فقالت لها عائشة: أتبكين صخرًا وهو جمرة في النار؟ فقالت الخنساء: يا أم المؤمنين ذاك أشدُّ لجزعي عليه، وأبعثُ لبكائي، وعدُّ هذا الجواب من الأجوبة المستكثة.

عمرة بنت مرداس السُّلمية

أخت عباس بن مرداس السُّلمي، وهي شاعرة مقالة مخضرمة. أمها الخنساء، فعمرة إذن نشأت في محيط مزدهر بالشعر. . أمها شاعرة وأخوها شاعر وعمّاها شاعران، وقد أوردت «حماسة أبي تمام» أبياتاً لعمرة تعتبر من جيد الشعر، قالت:

أعينيَّ لم اختلكما بخيانة أبى الدهر والأيام أن أتصبرا
وما كُنتُ أخشى أن أكون كائني بعيرٌ إذا يُنعي أخِي تحسرا
ترى الخصم زوراً عن أخِي مهابةً وليس الجليسُ عن أخِي بأزورا

وهكذا سلكت عمرة في رثائها الحزين الجميل الأسلوب والمعبر عن عواطفها - مسلك والدتها وإخوتها في الرثاء - ومن يشابه «أهله» فما ظلم.

ويقول بروكلمان: إن عمرة بنت الخنساء ورثت عن أمها ملكة الشعر، وإن بعض أشعار عمرة بقيت في ديوان أمها^(١).

ولعمرة أخ اسمه يزيد، كان قد قتلَ قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارونُ بنُ النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من قتله، فقتله بقيس بن أبي قيس وهو ابن عمه، فقالت عمرة ترثي أخاها يزيد: (أعيني لم اختلكما بخيانة) الأبيات الثلاثة المتقدمة آنفاً. . ولها فيه مراثية أخرى تقول فيها:

أجَدُّ بنُ أُمِّيَ أن لا يؤوبا وكان ابنُ أُمِّيَ جَلْدًا نجيبا

(١) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ص ١٦٤، الجزء الأول، طبع دار المعارف بمصر.

وعندما مات أخوها عباس بن مرداس بالشام سنة ١٦هـ قالت تراثه:
لَتَبِكَ ابْنُ مِرْدَاسٍ عَلَى مَا عَرَاهُم عَشِيرَتُهُ إِذْ حُمَّ أَمْسٍ رَوَّالُهَا
لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهمو فكان إليها فَضْلُهَا وَحِلَّالُهَا
ومعضلة للحاملين كَفَيْتِهَا إذا أَنَهَلَتْ هُوجَ الرِّيحِ طِلَّالُهَا
ولها قصيدة بائنة ذكرت فيها الأقيصر بن نشبة الذي مات صغيراً، وتعرض
لأخيها: شداد، لأنه كان شامتاً بموته، وقد جاء فيها قوله:
مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي فَلَاتَا رِسَالَةً فَمَا أَنْتَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهِ بِمُعْتَبٍ (١)
وقد رثت عمرة ابنة مرداس، أباه مرداس بن أبي عامر، وكان يقال له
(الفيض) لفرط سخائه، تقول عنه فيها:
و(الفيض) فينا شهاب يُسْتَضَاءُ بِهِ إِنَّا كَذَلِكَ فِينَا تَوَجَّدَ الشُّهْبُ (٢)
وتوفيت عمرة سنة ٤٩٩هـ (٣).

حبيبة بنت الضحَّاك السُّلَمِيَّة

الضحَّاك هو أبو سفيان السُّلَمِي، وهي شاعرة من شاعرات العرب، وكانت
تحت العباس بن مرداس المولود في عهد النبي ﷺ على قول صاحب كتاب
«شاعرات العرب» فعلمت حبيبة بإسلامه فغضبت وارتحلت وقالت قصيدة تؤنبه
منها:

ألم ينه عباس بن مرداس أنني رأيت الورى مخصوصة بالفجائع

ثم قالت له:

لعبري لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلاً بعزة غداة اختلاف المرفقات القواطع (٤)

(١) شاعرات العرب، جمع وتحقيق عبد البديع صقر، ص ٢٧٢ - ٢٧٦، منشورات المكتب الإسلامي. والدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزینب علي العاملي، ص ٣٥٢ و ٣٥٣، طبع المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١٢هـ.

(٢) شاعرات العرب، ص ٢٧٤.

(٣) شاعرات العرب، ص ٢٧٢.

(٤) شاعرات العرب، ص ٦٢.

شاعرة سُلَمية غير مسماة

هذه شاعرة سُلَمية لم نقف على اسمها، وقد ذكرها ثعلب في مجالسه بسنده قال: أخبرني أبو الزبير ثابت بن عبد الرحيم قال: أنشدتني امرأة من بني سُلَيم:

وإنَّ امرأَ أمسى ودون حبيبهِ	سواسُ فوادي الرُّسِّ والهميان
لمعترفٍ بالتَّأْيِ بعد اقترابه	ومعذورة عيناه بالهملان
فما ريح ريحان بمسكٍ بعنبر	برند بكافورٍ بدهنة بان
بأطيبَ من ريا حبيبي لو أنني	وجدتُ حبيبي خاليًا بمكان ^(١)

وقد أورد «لسان العرب» البيتين الأولين في مادة (سوس) وعزاهما لثعلب، وقال عن «سواس»: موضع: واستشهد بالبيت الأول عن ذلك.

قلت: ويوجد في بني سُلَيم شاعرات ونساء أخريات كثيرات لهن ذكر في التاريخ العربي لا يتسع المقام بالسرد المطوّل عنهن، ومن أراد المزيد فليرجع إلى مجلدات ١، ٢، ٤، ٥ من كتاب «أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام» للأستاذ الجليل والمؤرخ العربي السوري رضا كحالة.

(١) مجالس ثعلب، ص ٥٩٩ و ٦٠٠، القسم الثاني، طبع دار المعارف بمصر، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

شعراء الشعر (الحميني) أو النبطي من بني سُلَيْم في المملكة العربية السعودية

عقد الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه: (ما رأيت وما سمعت) فصلاً خاصاً بشعر البُدَاة، ويقول عن هذا الشعر البدوي: إنه مختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الصحيح أو القريض، وقال عنه: (ويسمونه «الحميني» ولم أعلم اشتقاق هذه اللفظة ولا أصلها).

وأضاف إلى ذلك قوله: «يُسَمُّونَ المساجلة بين الشاعرين منهم: «قصيداً». كما يسمون القصيدة الطويلة أو القصيرة «نشيداً»، ويسمون القصائد على الإطلاق: «مَجَالِسِيَّاتٍ»، ويعرف عندهم اللغز باسم: «الغبوة».

وهم يقولون للشاعر إذا أحسن: «صح لسانك» بدلاً من قول العرب الأقدمين للشاعر المُجِيد: «لافض فوق».

وقلَّ من شعراء البادية من يتفق له أن يتلقى في صغره شيئاً من مبادئ علوم العربية، أما من تهيأ له ذلك فيستعين بسليقته الشعرية على نظم شيء من الشعر الصحيح، وقد تكون فيه معان جديدة توحى بها إليه بداوته وصفاء قريحته.

ومن شواهد هذا النوع من القريض البدوي الفصيح، بعضُ شِعْرِ الوقداني، ومنه قوله في رثاء أمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون:

الْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْدُنْيَا مَدَاوِلَةٌ وَمَا لِحَيٍّ عَلَى الْأَيَّامِ تَخْلِيدُ

وَالنَّاسُ زَرْعُ الْفَنَاءِ وَالْمَوْتُ حَاصِدُهُ وَكُلُّ زَرْعٍ إِذَا مَا تَمَّ مُحْصُودُ

وشعر البادية اليوم وقبل اليوم ينتشر بالواسطة أو بالرواية على التعبير الدقيق، فهو في كيانه وتنقله وذيوعه وانتشاره يشبه شعر العرب الفصحاء قبل ظهور الإسلام، إذ كان له رواة يحفظونه في صدورهم وينقلونه إلى الجماهير بالسُتْهم، فيُحْفَظُ عنهم ويُروى جيلاً فجيلاً. وهناك رواة للشعر الحميني معروفون.

ويبدو أن شعراء الشعر الحميني في البادية هم حملة مقاليد اللغة بين البادية، فلهم الحق في التصرف في مقاليدها كما تملّي عليهم قرائحهم وكما تستدعيه منهم

الأوزان الشعرية التي يصنعونها، وهم في هذا شبيهون أيضاً بشعراء العرب القدامى.

ولغة الشعر الحميني «بدوية عامية صرف» ومن شواهد هذا تعبيرهم بقولهم: (إليا) في معنى (إذا): (إليا نصيتَ الرَّبَّع) أي إذا قصدت الرَّبَّع، فنصا عندهم بمعنى (قصد) ولتصا مشتقاتها: (ينصى) مضارع، و(إنص): فعل أمر، و(ناصيه): قاصده - اسم فاعل وهكذا. ويقولون (لا جالك) والمعنى: (إذا جاءك) ويقولون (برضه) أخذاً من عامية مصر، فإن مصر كانت ذا خلطة قديمة بالحجاز بدوه وحضره.

وفي صيغة (تنصى) بمعنى (تقصد) يقول محمد الجبرتي السُّلَمي:
سَلامَ رَدِيَّةٍ وَفَى مِنْ بَالِي تَنْصَى الرِّجالَ والمَحَلَّ الغالي
وفي (إليا) بمعنى (إذا) يقول حبيب بن قليثان السُّلَمي:
سُوءَةُ الطَّرِيدِ أَلْيَا عَطَى حَاجِزِ المَعطُوفِ عَلَى الجَرَّةِ اللَّيِّ متبعتها تباريها
و(اللِّي) عندهم بمعنى (الذي) ومن شواهد ذلك قول حسين بن هندي السُّلَمي:

يَا لَلِّي سَقَيْتَ الأَرْضَ مِنْ غُرِّ الأَمْزَانِ يَا لَلِّي خَلَقْتَ الوَرشَ فِي رُؤْسِ الأَفْئَانِ^(١)
وشعراء البادية كغيرهم من البادية يُسَكِّنُونَ أواخر الكلمات، وهم يسمون الجواب «ردأذا»، وفي لغتهم كثير مما لا تنطق به العامة في مصر والشام، وفيها كثير من الكلمات المتفرعة من العربية الفصحى الباقية على ما كانت عليه قبلاً، وهذه توارثوها عن أسلافهم، وقد دخلت إلى لغتهم كلمات كثيرة من الأقطار المجاورة أيضاً.

وللحميني بحور ومقاطع يعرفها شعراؤه بالسليقة، كما كان العربي القديم يعرف أوزان شعره ويُجري عليها قصائده بالسليقة.

(١) ما ورد في أربعة الأسطر الأخيرة من الصفحة السابقة وثلاثة الأسطر الأولى من هذه الصفحة هو من كلام المؤلف عبد القدوس الأنصاري، وما قبلهما وما بعدهما مأخوذ من كتاب «سمعت وما رأيت» بتلخيص من المؤلف لكتاب بنو سليم.

وبالجملة فإن أوزان الشعر الحميني تشبه أوزان شعر العامة في مصر والشام، فهي كالزجل والمعنى والقراديات، فكلاهما معتمد على المقاطع.

وهناك اختلاف دقيق بين الشعر الحميني لدى البادية ولدى الحاضرة، فشعر البادية فيه وعورة على فهم الحضري، وشعر الحاضرة قريب من لغتهم، ومن أمثلة تمايز الشعرين في الأسلوب واللهجة قول زيد بن هوشل من (نشيد):

الظَّفِرُ^(١) لأبد من صغره يبين ظَفِرٌ، ويكرم سبال الغائمين
كل قالات^(٢) الرجال ألها فطين قبل ما يبلغ من الاعوام عشرين

وقول الشريف عبد الله بن محمد بن هزاع من «نشيد» أيضاً:

آه من قلب تَعْنَى وانقَسَم أتعب الأعيان واغداني سَقِيم^(٣)
في هوى من فاق حُسْنَه واستم فاق جمع الخوذ لم جالَه حَتِيم^(٤)

ومن شعر الحميني (الرَدَج) وتسميه قبيلة هُذَيْلُ «الرَّجَز» (وكلاهما بفتح أوله وثانيه) وهو في عرفهم أن يسير جمع من الناس أو يصطفوا وقوفاً يتوسطهم شاعرهم، فيبدأ بالآلات ثم يرتجل البيت من الحميني، فيعيدونه جميعاً هارجين، ويستمر ويرتجل حتى ينتهي من (نشيده) أي قصيدته^(٥).

وبعد، فقد قدمنا ما سبق، ليستبين على ضوئه حقيقة شعر الحميني السُّلَمي والوانه، وهو الشعر الذي عقدنا له هذا الفصل وذكرنا ما أمكننا ذكره من شعرهم وشعرائهم فيه.

حبيب بن قليشان السُّلَمي

هو من شعراء الشعر النبطي، من بني نَوَّالٍ إحدى بطون بني سُلَيْم الموجودة اليوم في ديارها في أعالي الحجاز، بين الحجاز ونجد.

(١) الظفر بفتح فكسر: الشاب.

(٢) قالات: أقوال.

(٣) الأعيان: العيون.

(٤) لم جاله: لم يجهل له. حَتِيم: شبيه ونظير.

(٥) راجع كتاب ما رأيت وما سمعت، للأستاذ خير الدين الزركلي، من ص ١٦٢ إلى ص ١٧٩.

توفي حبيب قبل نحو ٩٠ عامًا، واسم (حبيب) الذي سُمِّي به، هو اسم قديم في بني سليم: سَمُوا به في الجاهلية وصدر الإسلام وضحاها، وقد مر بنا في فصل: (أمرأ وزعماء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم)، اسم (نبيشة بن حبيب السلمي) ومر بنا في فصل (العلماء السلميين) (عبد الملك بن حبيب) ومر بنا اسم (يربوع بن حبيب) الذي هو أيضًا عُبَّة بن فُرقد السلمي في فصل (صحابة من بني سليم)، ومر بنا اسم (حبيب بن ربيعة) في ذلك الفصل أيضًا.

يقول حبيب بن قليشان النوالي السلمي يصف سيره على راحلته السبوق وقد قابلته (دَوْرِيَّة) (*) عساكر الترك واستجوبوه، فأفادهم بأنه حامل بريد رسمي كلفة الحاكم - أمير مكة - بإيصاله، فلم يصدقوه وهددوه بالقتل فما خاف منهم، ثم تركوه ومضى لسبيله حتى أدى مهمته كما يجب.

أقوله وأنا طرقي مع الديرة اللّي خوفٌ على وسق^(١) هِجْنِ شَائِبَاتٍ مقارِها
لِيا^(٢) حثها المشعابُ تسبق عام الشوف تداري كما أذاري الهائب يراعيها
سواة الطريد^(٣) اليا عطى حاجز المعطوف على الجرّة^(٤) اللّي تبعها بتاريها
ذبحها الظما والجوع وألحقها الماحوف ولا غير أوارِها ولا غير لا أدارِها
نصّاني^(٥) عساكر خيل وأرسانهن أقوف مع الوادي اللّي نبّ ساله يواليها
وقالوا: وش أنت؟ قلت: أنا واحد مكلف وقالوا: تموت! قلت: ما أنتم سلوك الموت
مكلفني الحاكم مكاتيب أودِها^(٦) ونفس البنادم^(٧) علمها عند واليها

(*) الدورية: كلمة كانت تستعمل في عهد الأتراك ولا تزال. ومعناها: طائفة من جند يسرون ليلاً أو نهاراً في الأماكن للتفتيش وتوطيد الأمن.

(١) وسق: ظهر. (٢) ليا: إذا. المشعاب: عصا ذات رأس منحني.

(٣) الطريد: الغزال. (٤) الجرّة: الأثر.

(٥) نصّاني: قصدي. وفي مراجع اللغة: نصاء: قبض بناصيته، وانتصاه: اختاره.

(٦) أودِها: أعطيتها لأهلها. «وأدى»: من معانيها أعطى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

(٧) (البنادم) كلمة بمعنى (ابن آدم)، دخل فيها لكثرة استعمال العوام ما يسمونه التركيب المزجي، في

اللغة الفصحى، مثل (عشمي) في التسمية إلى (عبد شمس). والتركيب المزجي، في بعض الأحيان، يقتضي حذف بعض الحروف من الكلمات المزوجة ببعضها البعض.

مطلق بن عُضَيْب المطرودي النوالي السُّلَمِي

أحد شعراء الشعر النبطي من بني سُلَيْم، توفي قبل نحو ٨٠ عامًا، ومن شعره النبطي أو العامي قوله يخاطب الشريف عون الرفيق باشا إبان إمارته على مكة فيما يتعلق بالعناية ببني سُلَيْم:

قال النوالي^(١) واق^(٢) عالي البتيل^(٣)
في المرقب اللَّي ما بداه الذليل
مطلق بدع^(٤) رين اللحن ثم غناه
ولا كما ذوب العسل من خلاياه
ولايته^(٥) إلا مرهفات النحائل
نبيعها من خوف قيل لقائل
ولايته^(٦) إلا ناعمات الودايا
كم واحد خلت عياله قوايا
ولايته^(٧) إلا القود^(٨) عوج العراقيب
واللي بقي منهم نشيله مصاوب
ولايته^(٩) إلا ناطحين المعاريب
إما نكيفة^(١٠) قوم وإلا مغايب
واللي يحط البيت من فرع الأبيات
وهم ليا جو ياخذونه بالأنعات
ولا ييه^(١١) إلا إن كان جونا لساير

في رأس ضلع السليم ضلع طويل
واللي عن المقسوم روحه مداريه
قاف^(١٢) كما در البكار المعفاه
ذوب العسل جني النحل من مشاريه
ومسلب^(١٣) تكلم بها كل عائل^(١٤)
كم مقلد^(١٥) من صدر راعيه نزميه
اللي عليها عاكفين السبايا
جريد من الخضر يست علاويه
اللي على عظامها يتعب الذيب
كم فازت بروح وفقراء تخليه
فأوساقها يقدونها^(١٦) بالمشاعيب
والا طريقي يبي^(١٧) من يعشيه
كيف يتهنى فيه ويقيم ويبات
يلقى عليه الدرب ولا مغبيه
بيناتهم سوا شط الذخائر

(١) النوالي: نسبة إلى بني نوال.

(٢) واق: طلع ذروة الجبل.

(٣) البتيل: الضلع المرتفع.

(٤) بدع: نظم قصيدة.

(٥) القاف: قصيدة.

(٦) ولايه: لا أخشى إلا من الحسود.

(٧) المسلب: البندقة.

(٨) عائل: شاب تائه.

(٩) مقلد: حزام الرصاص.

(١٠) القود: الإبل.

(١١) يقدونها: يسوقونها.

(١٢) كيف: الرجوع بعد الغزو.

(١٣) يبي: يريد.

ويقول:

سَلامٌ رَدِيَّةٌ وَفَى مِنْ بَالِي تَنصَى^(١) الرِّجَالُ وَالْمَحَلَّ الْغَالِي
مَنْ لَا لَهُ أَوَّلٌ لَا يَجِي لَهُ تَالِي لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ نَصْفٌ^(٢) أَحْسَابِهِ
وَالْحَيَّ لَا بَدَّ تَجِي لَهُ فَاقَهُ مِثْلَ الْحَصَاةِ اللَّيِّ عَلَى الْمَطْرَاقَةِ
إِنْ طَقَّهَا رَأْسَ الْقَدَمِ طَقَّاقَهُ مَنْ طَقَّ بَابَ النَّاسِ طَقُّوا بَابَهُ

وهو في أبياته الأربعة هذه ينحو نحو الشعر العربي الجاهلي في الحكمة الاجتماعية.

وله يصف لنا كيف سطا عليه (الناموس) - البعوض - ليلاً وحرمه لذيق النوم حتى أصبح عليه الصباح وهو سهران:

الْبَارِحَ النَّامُوسُ سَرَى عَلَيْهِ جَانِي بِقَوَّاتِهِ وَقَوْمٍ لَظِيَّةٍ^(٣)
سَهْرَانٌ حَتَّى الصَّبْحِ تُوْمِي^(٤) يَدَيْهِ وَأَصْبَحْتُ مِنْ فِعْلِ النَّوَامِيسِ سَهْرَانٌ
حميد حويمد الجبرتي السُّلَمِي

ظفرنا له بيتين قالهما في (الحكمة الدينية):

الْعَاجِلَةَ لِمُجَمَّعِينَ الْحُطَامِ وَالْآخِرَةَ لِلْمَسْكَنَةِ وَالْفُقَارَا^(٥)
وَمَنْ لَا يَصَلِّي مَا قُبِلَ لَهُ صِيَامٌ حَيْثُ الصَّلَاةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ شَعَارَا^(٦)
عتيق الله عَضِيبُ الْمَطْرُودِي السُّلَمِي

نظم هذه القصيدة قبل أكثر من ستين عاماً، ويبدو أنه أخو مطلق بن عَضِيبِ الْمَطْرُودِي الذي سبق ذكره آنفاً:

(١) تنصى: تقصد.

(٢) نصف: نتحرى.

(٣) لظية: من اللظى. أي شديد البأس.

(٤) تومي: من الإيماء، أي تتحرك ذات اليمين وذات الشمال.

(٥) الفقار: جمع فقير.

(٦) الشعار: العلامة.

ياروق^(١) جا دونكم عَزُومٌ مثل القفيل
راعي يبي له في العواني مقيل
أما يجييه على سبل النقا والدليل
لكن بأسرع ما أدرجنا عليه الرحاه
حرم عليه المقل إن كان عزب نقاه
والا نجيه على سبله ودرب عطاء

حسين بن هندي السلمي

شاعر سلمي معاصر، وشعره مثل معاصريه نبطي، ويمتاز بوضوحه، وهو
رئيس قرية الكامل أم قرى المنطقة ومركز الحكم والإمارة.

له من قصيدة نبطية قوية البناء ضمنها نصائح وإرشادات لابنه:

قال:

ياالله طلبناك الهداية والإيقان
ياللي سقيت الأرض من غرّ الأمزان
إني طلبتك ستر فوق الرفاقه
ففيها وسيم الحق ماله سياقه
ياللي خلقت الورش^(٢) في روس الأفنان
يامهجي^(٣) الجيعان من كل مشاه
من هجرة جاتنا على غير فاقه
وإن كان تطلب جنق ماعاد تلقاه

مبارك عبد التواب الصادري النوالي الربيعي السلمي

شاعر سلمي، نبطي الشعر، وهو من أوائل من قدموا من ديارهم إلى جدة،
ابتغاء التقدم التجاري والثقافي، ويعتبر الأثري الأول بالنسبة لمواطنيه، لاهتمامه
بآثار منطقته قبل غيره وركوبه المشقات في التعرف على تلك الآثار والتعريف بها.
قال هذه القصيدة يوصي (حفيدة لابنته) خالد أحمد سالم باكواسة الحضرمي
بمكارم الأخلاق. وقد ذكر في قصيدته هذه أنه بلغ نحو ٥٠ عاماً ولم يرزق بأبناء
ذكور:

(١) ياروق: أي الروقة بطن من عتيبة (هوازن)، وعيزوم: بطن من عتيبة يقال لهم العوازم.

والقفيل: الجبل.

(٢) الورش: النبات.

(٣) مهجي: مطعم ومشيع.

وقد نظم مبارك هذه القصيدة في ١٦ المحرم ١٣٩١ هـ.

وقصائد الوصايا للأبناء لها سابقات في قديم الشعر العربي وحديثه.

عثرنا في كتاب: (ما رأيت وما سمعت) للأستاذ خير الدين الزركلي على قصيدة للشريف حامد بن عبد الله: «نشيد» طويل يوصي به ابنه (سعداً)، ومنها قوله في المطلع:

يقول حامد يوم هَجَسَ (١) بالغنا
حديث أحلى من حليب القود
ويقول:

عسى الله يخلّي لي «سعداً» يحتضني (٢) بي
لا أستوي في قبري الملهود
ويبدأ وصيته له فيقول:

أنا أوصيك مني ياسعد واستمع لي
افطن ولا تنس وصاة العود
أوصيك في أسناع الشكالة تفيدها
تري الشكالة حبلها ممدود (٣)
وأوصيك في ضيفك ألياً جاك حشمة
تَجَمَّلْ ورحبْ بـُءِ على الماجود (٤)

فوصايا الشريف حامد بن عبد الله لابنه، وحسين بن هندي السلمي لابنه، ومبارك عبد التواب السلمي لحفيده من ابنته هي من هذا النوع من «النشيد»، أي «القصيد» في شعر الحميني الذي هو شعر باديتنا الوحيد اليوم.

ومن وصايا الآباء للأبناء أو أبناء الأخ ومن يشبههم في شعر العرب القدامى قصيدة نونية وصى بها لبيد ابن أخيه ولم يكن له ولد ذكر، فهو من هذه الناحية يشبه حالة مبارك السلمي حينما نظم قصيدته النبطية في وصية حفيده لابنته، ومنها قول لبيد في تلك القصيدة يخاطب حفيده لابنته:

وافعل بمالك ما بدا
لك، إن مُعَانًا أو معينا
واعفف عن الجارات وامنح
هن ميسرك السمين

(١) هجس بالغنا: رفع صوته بالغناء.

(٢) يحتضني: يحظى. لا أستوي: إلى أن أستوي.

(٣) الشكالة: الشجاعة.

(٤) ألياً: إذا. الماجود: الموجود.

وابذل سنام القـدر إنَّ
سواءها دُهمًا وجونا
ذا القدر ان تَضَجَّتْ وَعَجَّ
لُ قبله ما يشـتوينا
إن القـدر لواقـح
يَحْلِنَ أمثل ما رُعِينَا^(١)

ويعضي لبيد في وصيته لابن أخيه وذلك عندما شعر لبيد بوطأة الكبر،
فيقول في القصيدة ذاتها:

وإذا دفنت أباك فـاجـ
عل فوقه خشبًا وطينا
وصفائحًا صُمًّا رَوًّا
سِيها يُسَدِّدْنَ الغـضونا
لِيَقِينَ وجه المـرء سفا
ف التراب ولن يقـينا
ثم اعتبر بثناء رهطك
إذ ثوى جـددنا جنينا
وتراجعوا غُـبِرَ المـرا
فق من أخـيهم يائـسنا
تلك المكارم إن حـفـظـ
تَ فلن تُرى أبدًا غـبـينا^(٢)

ومن أجود قصائد الوصايا وأروعها وأمتعها قصيدة يزيد بن الحكم الثقفي
معاصر الفرزدق وجريـر، وهو يوصي فيها ابنه (بدرًا) بمكارم الأخلاق، ويدله على
طرق المجد المؤثـل والثناء المستطاب، يقول:

يا بدرُ - والأمثال يضربها
لذي اللب الحكيمُ
دُم للخليل بِوَدِّهِ
ما خير ودٌ لا يدومُ
واعرف لجارك حقه
والحق يعرفه الكريمُ
واعلم بأن الضيف يو
والناس مُبْتَتِيانِ
واعلم بُنَيَّ فـلـانـه
محمود البناية أو ذميمُ
بالعلم يتفـع العليمُ
إن الأمور دقيـقها
مما يهيج له العـظيمُ

(١) يقول لابن أخيه اذبح الإبل السمان للضيوف والضيقات وعجل قبل نضج لحم الإبل ما تشتوي
الجارات إن القدور لقائح تحلب لئلا حرها من الشرف والحمد والذكر الحسن أكثر مما يطعم فيهن. ومعنى
ع. س. استحقظن وجعل فيهن

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٢١٥ و ٢١٦

ويعضي فيقول له:

قد يُقْتَرُ الْحَوْلُ التَّقْسُ ويكثر الحَمَقُ الأثِيمُ
يُمَلَى لَذَاكَ وَيُبْسَلَتَلَى هذا، فأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ؟!

ويعضي فيقول في ختام وصاياه لبدر ابنه الأثير لديه:

واعلم بأن الحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرْحُ السَّؤُومُ
وَالْخَيْلَ أَجُودَهَا الْمُنَا هَبْ عِنْدَ كَبَّتِهَا الْأَرْوَمُ^(١)

واعتقد أنه لو تَتَبَعَ باحثٌ دواوين الشُّعْرِ العربي القديم لَوَجَدَ الكثيرَ مِنْ هذا النوع من الشُّعْرِ العربي الرصين. (انتهى).

المراجع

- القرآن الكريم
- العائلة البشرية
- البيان والإعراب للمقرئ
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة
- قبائل مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة
- قبائل العرب في مصر
- الولاة والقضاة
- عربتنا
- عمرو بن العاص
- السودان الشمالي
- أنساب قبائل العرب
- الأنساب
- نهاية الأرب
- البلدان
- الخطط
- معجم البلدان
- العقد الفريد
- تاريخ الجبرتي
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
- قلائد الجمان
- سبائك الذهب
- جمهرة النسب
- إبراهيم رزقانة
- تحقيق: د. عبد المجيد عابدين
- رضا كحالة
- د. عبد الله خورشيد البري
- أحمد لطفي السيد
- الكندي
- محمود كامل
- محمد فرج
- د. محمد عوض
- الحبوني
- السمعاني
- القلقشندي
- اليعقوبي
- المقرئ
- ياقوت الحموي
- ابن عبد ربه
- الجبرتي
- ابن فضل الله العُمري
- القلقشندي
- السويدي
- الكلبي

- جمهرة أنساب العرب
- ابن حزم
- صبح الأعشى
- القلقشندي
- تاريخ الأمم والملوك
- الطبري
- تاريخ العبر ومبتدأ الخبر
- ابن خلدون
- التعريف
- الشهابي
- عروية مصر
- دروزة
- القبائل المصرية
- اللواء صلاح التايب
- الدرر الذهبية
- محمد أحمد الهاشمي
- وصف مصر - ترجمة زهير الشايب -
- أميديه جوبير
- شريعة الصحراء
- اللواء رفعت الجوهري
- العباددة - دراسة في الاقتصاد الصحراوي
- محمد رياض
- أسوان في العصور الوسطى
- محمود الحريري
- العباددة تحت الإدارة المصرية في السودان
- د. حمدنا الله مصطفى حسن
- تاريخ السودان القديم والحديث
- نعوم شقير
- من روايا التاريخ السوداني
- حسن أحمد خليفة العبادي
- الشعوب والسلالات الإفريقية
- محمد عوض محمد
- استقرار البدو في جهات الصعيد
- كوثر عبد الرسول
- رحلات في بلاد النوبة
- بوركهارت
- في بلاد العباددة
- سمير خواسك
- أحوال السودان الاقتصادية تحت الإدارة المصرية
- نسيم مقار
- التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان
- د. حمدنا الله مصطفى حسن
- مصر والسودان
- محمد فؤاد شكري
- برقة قديما وحديثا
- محمد الغزالي
- برقة العربية أمس واليوم
- محمد الطيب بن أحمد بن إدريس

خليفة محمد التليسي

د. وفاء عامر

ليلى عبد اللطيف

علي بركات

دي شايرول

مارتان

العياشي

جومار

علي باشا مبارك

ابن إياس

محمد رمزي

فرج سليمان فؤاد

المسعودي

ماك مايكل

بيير

الهمداني

د. جواد علي

ابن رشيق

ابن منظور

الساسى

البكري

ابن هشام

الأصفهاني

هزاع الشمري

- معجم سكان ليبيا

- العربان ودورهم في المجتمع المصري

- سياسة محمد علي تجاه العربان

- تطور الملكية الزراعية في مصر

- العربون المحدثون (وصف مصر)

- ريف مصر

- رحلة العياشي المغربي

- الحملة الفرنسية

- الخطط التوفيقية

- بدائع الزهور

- المعجم الجغرافي

- الكنز الثمين لعظماء المصريين

- مروج الذهب

- تاريخ قبائل العرب

- دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر

- صفة جزيرة العرب

- تاريخ العرب قبل السلام

- العمدة

- لسان العرب

- الأغاني

- معجم ما استعجم

- سيرة النبي ﷺ

- الأغاني

- كرام العرب

- جمهرة الأمثال
- معارك الإسلام الفاصلة
- المغازي
- معجم القبائل السعودية
- مجلة العرب السعودية
- مرآة جزيرة العرب
- التعليقات والنوادر للهجري
- رحلة عبر الجزيرة
- أصدق الدلائل في أنساب بني وائل
- مجاري الهدية
- مخطوط تاريخ آل بن علي العتوب
- تاريخ العتوب
- الطبقات
- الأنساب
- بنو سُليَم
- الارتسامات اللطاف
- الرحلة اليمانية
- أسماء جبال تهامة وسكانها
- الأمكنة والمياه
- بلاد العرب
- وفاء الوفاء
- معجم الشعراء
- الأعلام
- الكامل
- العسكري
- محمد أحمد باشميل
- الواقدي
- حمد الجاسر
- حمد الجاسر
- أيوب صبري باشا
- تحقيق حمد الجاسر
- سعود بن جمران
- ابن عبَّار
- الشيخ راشد بن فاضل آل بن علي
- الشيخ راشد آل بن علي
- منى غزال
- ابن سعد
- السمعاني
- عبد القدوس الأنصاري
- شكيب أرسلان
- عبد المحسن البركاتي
- لعرَّام بن الأصبح السلمي
- الزمخشري
- الأصفهاني
- السمهودي
- المرزباني
- الزركلي
- المبرِّد

- | | |
|-------------------|-----------------|
| ابن عبد البر | - الاستيعاب |
| ابن حجر العسقلاني | - تهذيب التهذيب |
| الخطيب البغدادي | - تاريخ بغداد |
| ابن حجر العسقلاني | - الدرر الكامنة |
| رضا كحالة | - معجم المؤلفين |

محتويات المجلد الثاني

الموضوع

الصفحة

٣	تاريخ الهجرات العربية إلى مصر
١٢	القبائل العربية القديمة في مصر بعد الفتح العربي
١٢	القبائل العدنانية
١٢	قبائل مُضَر
٧٥	قبائل رَيْبَعَة
٧٩	القبائل القحطانية - سبأ -
٨١	قبائل كَهْلَان
١٦٠	قبائل حَمِير
١٩٨	ما قاله ابن فضل الله العُمرِي عن قبائل مصر في القرنين السابع والثامن الهجريين
٢٢١	منازل القبائل على حسب التقسيم الإداري لمصر في القرن التاسع الهجري
٢٢٤	لمحة عن القبائل العربية في مصر في القرن التاسع الهجري
٢٤٠	الإمارات العربية بمصر في الوجهين القبلي والبحري
٢٤٦	ملخص ما قاله القلقشندي عن قبائل مصر
٢٦٢	هواره ونسبهم
٢٦٧	نصوص تاريخية عن الهواره

الصفحة

الموضوع

٢٧١ بعض ما قاله المؤرخون عن فروع وتاريخ هوارة.
٢٨٤ قبيلة الهمامية من الهوارة.
٢٨٧ قبيلة الصوامعة من الهوارة.
٢٨٨ قبيلة البهاليل من الهوارة.
٢٨٩ قبيلة بنو محمد من الهوارة.
٢٩٦ قبيلة بنو يحيى من الهوارة.
٣٠٠ قبيلة القليعات من الهوارة.
٣٠٣ قبيلة الوشاشات من الهوارة.
٣٠٤ قبيلة السماعنة من الهوارة.
٣٠٨ قبيلة أولاد ماض من الهوارة.
٣٠٨ قبيلة أولاد شلول من الهوارة.
٣٠٩ قبيلة الفرعان من الهوارة.
٣٠٩ قبيلة بندار من الهوارة.
٣١٢ قبيلة أبو دومة من الهوارة.
٣١٥ قبيلة الكوامل من الهوارة.
٣١٦ قبيلة البلايش من الهوارة.
٣٢٠ قبيلتا المجابرة والبلايزة من الهوارة.
٣٢٢ قبيلة العربات من الهوارة.
٣٢٧ قبيلة الأهله من الهوارة.

الصفحة

الموضوع

٣٢٩ العباددة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٣٣١ أصول العباددة ومجتمعهم
٣٣٦ أقسام العباددة في صعيد مصر وشمالى السودان
٣٣٨ مجتمع العباددة
٣٤٧ العباددة وفتح السودان
٣٥١ دور العباددة فى التجارة بين مصر والسودان
٣٦٧ العباددة والثورة المهديّة
٣٧٢ سقوط بربر ١٨٨٤م ودور العباددة
٣٨١ البراعصة وأصلهم وتاريخهم وما قاله المؤرخون عنهم
٣٨٦ البراعصة فى الديار المصرية بالبحث الميدانى
٣٩٦ سمالوس ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٠٢ الفرغان وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٠٣ تفاصيل عن قبيلة الفرغان بالبحث الميدانى
٤٠٨ الجوابيص وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤١٠ لمحة عن الجوابيص بالبحث الميدانى
٤١٢ الضعفا ونسبهم وفروعهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤١٨ الفواخر وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤١٩ لمحة عن الفواخر فى مصر
٤٢٠ خويلد وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم

الصفحة

الموضوع

٤٢٢ القذاذفة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٢٢ لمحة عن القذاذفة في مصر
٤٢٤ الربايع ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٢٤ الربايع في مصر بالبحث الميداني
٤٢٦ النّجّمة ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٢٩ فروع النّجّمة بالبحث الميداني
٤٣٠ سعيط وتاريخهم
٤٣١ فروع سعيط بالبحث الميداني
٤٣٣ ما قاله المؤرخون عن سعيط
٤٣٥ العوّامة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٣٦ العوّامة بالبحث الميداني في مصر
٤٣٨ الجّهّمة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٣٩ ترهونة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٤١ المشاركة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٤٣ حبون وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٤٧ الحسون وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٤٨ العطايات وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٤٩ زناتة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٥٠ فروع زناتة في مصر

الصفحة

الموضوع

٤٥٢ لواة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٥٤ الهدهيد وأصلهم وما قاله الحبوني عنهم في مصر
٤٥٥ الحسانة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٥٦ الزاوية وأصلهم وما ذكره الباحثون عنهم
٤٥٧ بنو غازي وأصلهم وما قاله أحمد لطفي السيد عنهم
٤٥٨ المسامير وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٦٠ الجرارة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٦٢ المنقة وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٦٨ زوية وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٧٢ الشواعر وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٧٦ أولاد الشيخ وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٧٨ القبائل ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٧٩ الشهبيات وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٨٠ التراكي وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٨١ فزارة ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٨٤ فزارة في مصر بالبحث الميداني
٤٨٦ عبس ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم
٤٨٦ عبس في مصر بالبحث الميداني
٤٨٨ العايد ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم

الصفحة

الموضوع

٤٩١	كنز ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم.....
٤٩٦	الحبابية وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم.....
٤٩٩	الأوس والخزرج ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥٠١	أولاد زهير ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥٠٢	البشارية وأصلهم وفروعهم وما قيل عنهم.....
٥٠٤	العلاونة وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥٠٤	الحريش ونسبهم.....
٥٠٤	خفاجة وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥٠٦	رزاح ونسبهم.....
٥٠٦	حسن طوبار ونسبهم وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥٠٧	بنو وائل وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥٠٨	إندارة وما قيل عنهم.....
٥٠٨	معن.....
٥٠٨	محروس.....
٥٠٨	بنو جري.....
٥٠٩	الشريصات.....
٥٠٩	الشرامة.....
٥٠٩	المحاحمة.....
٥٠٩	الدهان.....

الصفحة	الموضوع
٥٠٩	الحبوس.....
٥١٠	الجيّهات.....
٥١٠	القريضات.....
٥١٠	السراحنة.....
٥١٠	الكلاحين.....
٥١١	اللزذ.....
٥١١	السعانة.....
٥١١	بنو حرام وما قاله المؤرخون عنهم.....
٥١٢	العزايذة ما قاله المؤرخون عنهم.....
٥١٣	نصف حرام.....
٥١٣	الرشايذة.....
٥١٣	العوازم.....
٥١٤	ثمامة.....
٥١٤	الدييسات.....
٥١٤	قيس.....
٥١٤	القيين.....
٥١٤	بنو عدي.....
٥١٥	العتين.....
٥١٥	بنو منقر.....

الصفحة

الموضوع

٥١٥	الطرشان
٥١٥	الطرفا
٥١٦	الأطاولة
٥١٦	الكلليات
٥١٦	كلاب
٥١٦	الصبيحة
٥١٧	الشنابلة
٥١٧	الصبيحات
٥١٧	المسارحة
٥١٧	المحاريث
٥١٧	الكولي
٥١٨	مطيرد (الطرايدة)
٥١٨	مسيند
٥١٨	الجويلي وأصلهم وما قاله المؤرخون عنهم
٥١٨	غزالة وما قاله المؤرخون عنهم
٥٢٠	ابن بغداد
٥٢٠	خبيري
٥٢٠	الزيدية
٥٢١	الترافع

الصفحة

الموضوع

٥٤٤ ما قاله العلامة ابن حزم الأندلسي عن سُليْم.
٥٤٨ صفوان بن المُعطَّل السلمي صاحب حديث الإفك.
٥٤٩ الحجاج بن علاط ومكره بقریش.
٥٥٠ بنو سُليْم وفتح مكة.
٥٥٧ قصة إسلام عباس بن مرداس زعيم بني سُليْم.
٥٥٨ أشعار عباس بن مرداس في فتح مكة وغزوة حُنين.
٥٧٢ العباس بن مرداس وسبي هوازن.
٥٧٥ التفصيل عن سُليْم في المملكة العربية السعودية.
٥٨٢ ما ذكره عايش بن شريف السلمي عن سُليْم في السعودية.
٥٩٥ لمحة عن بني سُليْم في بلاد الخليج العربي.
٥٩٦ التفصيل عن قبيلة آل بن علي (العتوب) من بني سُليْم في الخليج العربي.
٦١٦ تنويه عن قبيلة رعب.
٦٢٩ ما ذكره الأديب السعودي عبد القدوس الأنصاري عن بني سُليْم.
٦٢٩ ديار بني سُليْم الأصلية في الجزيرة العربية.
٦٦٦ بنو سُليْم أصولاً وفروعاً وهجرات. x
٦٧٨ أسماء بني سُليْم عبر التاريخ.
٦٨٣ سُليْم وديارهم في الشعر العربي.
٦٨٦ أيام بني سُليْم في الجاهلية وصدر الإسلام.
٧٠٤ بنو سُليْم يمتنعون ثم يقتنعون بالإسلام.

الصفحة

الموضوع

- ٧٠٦ موقف سُليْم في الرُّدة.
- ٧٠٨ أحد عشر دوراً لبني سُليْم في الأحداث العربية والإسلامية.
- ٧٢٠ قصص من ماضي بني سُليْم.
- ٧٢٥ العلامة عبد الرحمن بن خلدون وبنو سُليْم وبنو هلال.
- ٧٣٦ إزاحة شبهة علمية.
- ٧٣٩ الأنساب العربية في العصور الإسلامية.
- ٧٤٥ صعود فهبوط ثم بداية صعود.
- ٧٤٧ وثيقة سُليْمية تحدد بعض ديارهم.
- ٧٥٨ توضيح الوثيقة باللغة الفصحى.
- ٧٦١ أعراف وعادات بني سُليْم في المملكة العربية السعودية.
- ٧٦٥ أمثال عامية لبني سُليْم.
- ٧٦٨ بنو سُليْم آخرون.
- ٧٧٢ التفصيل عن الصحابة من بني سُليْم.
- ٨٠٩ صحايات من بني سُليْم.
- ٨١٠ تابعيون من بني سُليْم.
- ٨٢٢ تابعيات من بني سُليْم.
- ٨٢٢ علماء ومفتون وقضاة من بني سُليْم.
- ٨٦٨ علامات من بني سُليْم.
- أمراء، وزعماء، ومحتسبون، وفرسان، وقادة، وولاة، وموظفون
- ٨٦٩ من بني سُليْم.

الصفحة

الموضوع

٩٠٣	رواة من بني سُليم
٩٠٤	سراة وتجار ومزارعون من بني سُليم
٩٠٨	شعراء من بني سُليم
٩٧٢	شاعرات من بني سُليم
٩٧٧	شعراء الشعر النبطي من بني سُليم في السعودية
٩٩٢	المراجع:
٩٩٧	محتويات المجلد الثاني